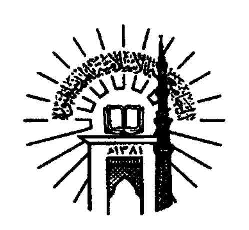
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٥١)



نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس

تأليف
د. سالم بن عبد الله الخلف

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

نظم حكم الأمويين

ورسومهم في الأندلس

١

ح الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٣هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

الخلف ، سالم بن عبد الله الخلف

نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ـــ المدينة المنوّرة.

١٠٤٢ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٩-٣١٠-٠٢-٩٩٦٠

١- الأندلس- تاريخ - العصر الأموي أ- الخلف، سالم بن عبدالله (مؤلف)

ب - العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٧١١ ١٤٢٣/٥٢٥٨

رقم الإيداع: ١٤٢٣/٥٢٥٨

ردمك: ٩-٣١٠-٠٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة معالي مدير الجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أشرف ما تتجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم، والبحث والنظر فيه، وتنقيح مسائله، وسلوك طريقه، لأن ذلك هو الذي يوصل إلى السعادة، كما قال الرسول ﷺ: ((**من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**)). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ هو وحي الله إليه بالعلم ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾. وقال تعالى يخاطبه ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ... ﴾. وقال تعالى ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾.

وما قامت به الحياة السعيدة في الحياة الدنيا والآخرة إلا بالعلم النافع.

ولذا كان التعليم هو الهدف الأعظم لمؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز رحمه الله، ولأبنائه كذلك من بعده، ففي عهد خادم الحرمين الشريفين، أول وزير للمعارف بلغت مسيرة التعليم مستوى عالياً، وازدهر التعليم العالي وارتقت الجامعات، ومن هذه الجامعات

العملاقة، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فهي صرح شامخ، يشرف بأن يكون إحدى المؤسسات العلمية والثقافية، التي تعمل على هدي الشريعة الإسلامية، وتقوم بتنفيذ السياسة التعليمية بتوفير التعليم الجامعي والدراسات العليا، والنهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

ومن هنا، فعمادة البحث العلمي بالجامعة تضطلع بنشر البحوث العلمية، ضمن واجباتها، التي تمثل جانباً هاماً من جوانب رسالة الجامعة ألا وهو النهوض بالبحث العلمي والقيام بالتأليف والترجمة والنشر.

ومن ذلك كتاب ((**نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**)) تأليف : د. سالم بن عبد الله الخلف .

نفع الله بذلك ونسأله سبحانه أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

معالي مدير الجامعة الإسلامية

د/ صالح بن عبد الله العبود

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء:١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١)

أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بعد أن فتح المسلمون بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية، والتي عُرفت بعد ذلك بالأندلس، ضمت بين شواطئها عناصر سكانية مختلفة المشارب، وأجناساً بشرية متباينة الثقافات، حتى إذا ما اجتمع هؤلاء كلهم تحت راية الإسلام، تكوَّنت على أيديهم حضارة إسلامية مجيدة، فكانت الأندلس بهذا، أحد المعابر التي انتقلت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

وبالرغم من أن المسلمين قد مكثوا في تلك البلاد زهاء ثمانية قرون، إلا أنهم غادروها مرغمين، عندما لم يستطيعوا المحافظة عليها، مخلفين وراءهم شواهد حضارية ظلت إلى يومنا هذا تحكي حقيقة مجد إسلامي أُبعد عنه أهله، بعد أن تخاذلوا عن تطبيق الإسلام والتمسك به، والله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: من الآية١١).

وفي السنوات الأخيرة نالت الأندلس اهتمام الدارسين والباحثين العرب، فظهرت في هذا الميدان دراسات وفيرة وأبحاث متنوعة، منها ما انصب اهتمامه على الأحوال السياسية، ومنها ما اختص بالحياة الحضارية، ومنها ما جمع بين النظامين السياسي والحضاري.

وقد شهدت أراضي الأندلس الإسلامية، قيام عدة دول على أراضيها، ولعل الدولة الأموية كانت أهمها على الإطلاق، فهي الدولة التي أرست قواعد الإسلام هناك، كما أنها أطول تلك الدول بقاء وأعظمها

قوة، ولذا فقد جعلت جُل اهتمامي التعمق والتخصص بها، وذلك بدراستها من كافة الجوانب ما أمكنني ذلك.

ومن هنا كانت رسالة الماجستير التي أعددتها لتكون متخصصة في دراسة الجانبين السياسي والثقافي إبان عصر الإمارة، وذلك من خلال النظم السياسية والثقافية الواردة من المشرق إلى الأندلس، ثم واصلت دراستي عن هذه الدولة، فاخترت موضوع (**نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**) ليعطي قدراً كبيراً من التعريف عن الدولة الأموية في الأندلس منذ قيامها وحتى سقوطها.

ولقد كانت الكتابة في نظم الدولة الأموية ورسومها قليلة حسب علمي، إلا ما كان من المستشرق الفرنسي (ليفي بروفنسال) الذي تطرق لمثل هذا الموضوع في المجلد الثالث من كتابه (تاريخ أسبانيا الإسلامية) وأما من العرب فلعل الدكتور/ هشام سليم أبو رميلة أول من كتب في هذا الموضوع، وذلك في الرسالة التي أعدها لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة (١٩٧٥م) وقد جاءت تحت عنوان "نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة" وبالرغم مضي عقدين من الزمن على إنجازها إلا أنها لم تنشر بعد.

وبخلاف من ذكرت، لم يصل إلى علمي أن أحداً قد كتب في هذا الموضوع، ولذا فهو جديد وجدير بالبحث والدراسة وأن ينال أهمية خاصة، فهو يكشف عن النظم التي تُسير شئون الدولة، والرسوم السائدة فيها، ذلك النظام الذي كان يقوم على السير وفق هدي الشريعة

الإسلامية السمحة والذي كفل للدولة الأموية عند الأخذ به الاستمرارية والصمود أمام الأزمات التي كادت أن تعصف بها وتقضي عليها في وقت مبكر من عمرها، وكيف أن الدولة عندما تخلت عنه، أخـذت تخطـو بسرعة عجيبة إلى السقوط.

ولعل هذه الدراسة سوف تعطي –في نظري- الدارس فرصة كبيرة لإجراء مقارنة شاملة لما كانت عليه النظم والرسوم في الدولـة الأمويـة بالأندلس، مع ماكان لدى الدولتين العباسية ببغداد والعبيدية بالقـاهرة، الأمر الذي يستوجب دراسة خاصة تكشف عن مدى استفادة الأمـويين مما لدى المشارقة بوجه عام، والعباسيين بوجه خاص، وهو ما لم أتمكـن من التطرق إليه في دراستي هذه، خشية أن يخرج البحث عن إطاره المحدد لي من قبل الجهات المعنية بذلك في الجامعة الإسلامية.

وديننا الإسلامي لم يقتصر اهتمامه على عقائد دينية فردية، بل هو نظام كامل يشمل الدين والدولة معاً، ومن هنا نجد أن نصوصه وتعاليمه قد انطوت على كافة النظم التي تهم الناس سواء على مستوى الفـرد أو الدولة.

ونظراً لأن النظم التي تطبقها أي أمة من الأمـم، تعتـبر مظهـراً لشخصية تلك الأمة، وذلك من حيث تأثيرها في الآخرين، لأجل هذا فقد حرصت على دراسة جانب من تلك النظم، سَـعُدَتْ بتطبيقـه علـى أراضيها، بلاد إسبانيا الإسلامية في وقت من أوقات التاريخ.

والنظم جمع نظام، والنظام يطلق عادة على مايدل على الترتيب والانسجام والارتباط، وأما الرسوم فهو جمع رسم، والرسوم في هذه الرسالة تعني احتفاء الناس بأمور السياسة والقيام بها، وفي مقابلة الملوك ورجالات الدول.

ولهذا فقد جاء البحث مقسماً إلى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة. فالتمهيد تعرض للتأريخ السياسي للدولة الأموية منذ نشأتها سنة ١٣٨هـ (٧٥٦م) وحتى سقوطها سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وقد جاء العرض سريعاً تناولت فيه ذكر كل أمير أو خليفة مع ذكر أبرز حوادث عصره سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، وقد تعمدت أن يكون التمهيد خاصاً بالحديث عن الحالة السياسية ليكون أرضية تسير عليها جميع فصول الدراسة، ومكملاً للجوانب الحضارية الخاصة بنظام الحكم ورسومه موضوع البحث، ولنقف كذلك على مدى تأثرها بالوضع السياسي العام للدولة.

ثم أتى الفصل الأول بعنوان "النظام السياسي ورسومه" وهو مقسم إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول "رئاسة الدولة" تناولت فيه بيان كيفية "اختيار الأمير أو الخليفة"، "تسلمه للمنصب"، "ممارسته للسلطان"، "رسوم الخلع من الخلافة"، اتخاذ الألقاب"، "الدعاء في الخطبة"، "المقصورة"، "الساباط"، "السرير"، "القضيب"، "المظل"، "حجر الأعزة"، "الطراز".

وأما المبحث الثاني فقد كان خاصاً بـ"ولاية العهد" تحدثت فيه عن "اختيار ولي العهد"، "مراسم تعيينه"، "إعداده وتدريبه على شئون الحكم"، "سلطان ولي العهد وصلاحياته"، "تعريف الأمة بولي العهد"، "الاضطراب الذي تطرق لولاية العهد"، "موافقة الأسرة ومعارضتها".

وجاء المبحث الثالث خاصاً بـ"رسوم الإمارة والخلافة" وقد اشتمل هذا المبحث على عدد من الفقرات التي تظهر وبجلاء مدى ما وصلت إليه الدولة الأموية من عناية فائقة بهذا الجانب، كالحديث عن "استقبال الرسل وعقد المعاهدات"، "موكب الأمير أو الخليفة"، "المجالس الخاصة" وختمت هذا المبحث بالحديث عما يمكن تسميته بـ"رسوم عامة لبني أمية".

وكان الفصل الثاني خاصاً بالحديث عن "النظم الإدارية والمالية" وهو مقسم إلى مبحثين المبحث الأول كان عن النظام الإداري، وفي هذا المبحث بينت أن المسلمين احتفظوا بأصول التقسيم الذي وجدوه قائماً بالأندلس، و لم يضيفوا إليه إلا بعض التعديلات التي اضطروا إليها، ثم تحدثت عن الكتابة، والبريد.

وأما المبحث الثاني فقد كان عن النظام المالي، وقد وضحت كيف أن الدولة الأموية كان لديها ثلاثة أنواع من الخزائن وبينت موارد ومصارف كل نوع منها، واختتمت هذا المبحث بالحديث عن العملة في الأندلس.

وتحدثت في الفصل الثالث عن "الخطط السياسية" واقتصرت الحديث فيه على خطتي "الحجابة والوزارة" وجعلت كل خطةٍ في مبحث منفصل، ولعل أبرز ما في الحجابة أن متوليها كان معظم عهد الدولة الأموية أشبه بوزير التنفيذ، لكنه منذ أن سيطر الحاجب المنصور بن أبي عامر على الدولة الأموية، أصبح منصب الحاجب وزير تفويض بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى.

وأما خطة الوزارة فهي تدين للأمير عبدالرحمن الأوسط بتنظيمها، وإنشاء مجلس خاص للوزارة بقصر قرطبة، عُرف ببيت الوزراء، وكل من الحجابة والوزارة قد تأثرتا وبشدة في عهد الفتنة التي عم تأثيرها أنشطة الدولة كافة والمجتمع في عهد بني أمية.

وكان الفصل الرابع خاصاً بالحديث عن "النظام الحربي" شمل خطتي الجيش والأسطول، فبينت في الجيش: العناصر المكونة له، ومرتبات أفراده وتعداده، وموارده، والتنظيمات والمناصب العسكرية المتبعة فيه، وأسلحته وكيفية التعبئة وأساليب القتال، وجاءت خاتمته بذكر الصوائف والشواتي.

وأما خطة الأسطول فتعرضت فيها لذكر كيفية نشأته في الأندلس، واهتمام الأمويين به وأنواع السفن والمراكب الحربية المستخدمة وإدارة الأسطول، والأسلحة المستخدمة في المعارك البحرية، والأربطة وصورها ووسائل الأنذار فيها، وحياة المرابطين داخلها.

في حين أن الفصل الأخير جاء خاصاً بذكر "الخطط الدينية" وهذا الفصل شمل الحديث عن خطط القضاء، والصلاة والرد، والمظالم،

والشورى، والشرطة، والمدينة، والسوق، وقمت بتوضيح كل خطة من هذه الخطط كما حرصت على أن أبين كيف يصل الفقيه إلى أحد هذه الخطط، ثم تحدثت عن صلاحياته، ومجلسه، ومرتبه، وأشهر من تولاها سواء في قرطبة أو بقية الكور وختمت البحث بخاتمة حوت أهم النتائج التي توصلت إليها.

ولقد عملت جاهداً على إخراج هذه الدراسة بصورة مقبولة، وربما كان لطبيعة الموضوع دور في إيراد بعض نصوص المصادر، رغم اجتهادي في التقليل منها، واللجوء إلى تحليلها، وتعليل بعض الأحداث كلما أمكن ذلك، مع الاعتناء بالدراسات الحديثة، وعدم اغفال جهد من سبقني إلى طرق هذا الموضوع.

ومما زاد من صعوبة هذا البحث أن المدة الزمنية كانت متسعة، بحيث شملت عمر الدولة الأموية في الأندلس، البالغ زهاء ثلاثة قرون، بالإضافة إلى أن الكتابة في هذا الموضوع تستوجب القراءة الدقيقة فيما يتعلق بالرسوم، والتي ربما ترد عبارة صغيرة في نص كامل تكون قادرة على إيضاح واف للتعرف على رسم من رسوم الدولة.

كما اجتهدت عند عملي في هذه الدراسة، أن أبتعد –ما أمكنني ذلك– عن الإسهاب الممل، عند تطرقي لبعض الموضوعات المساعدة لفهم الدراسة مكتفياً بالإشارة إلى المصادر والمراجع، إلا عندما يستوجب الأمر الإسهاب، وقد حرصت على أن أعرض جزئيات البحث وفصوله بأسلوب مترابط يجعل كل فقرة تأخذ بعقب أختها مراعياً التسلسل

التاريخي لتلك الأحداث والمتغيرات وعند ورود التاريخ الهجري أتبعه بالتاريخ الميلادي، وحرصت على ذكر الاسم الأسباني لكل موقع جغرافي بالأندلس، كما عملت على التعريف بأسماء الأعلام والمواقع الجغرافية، عند أول ذكر لها، كل ما أمكنني ذلك، وكل مصدر أو مرجع لم أر ضرورة لذكره في قائمة المصادر والمراجع، عرفت به تعريفاً كاملاً عند أول استخدام له.

تحليل المصادر: وغني عن البيان أن هذه الرسالة، لم تكن لتظهر بهذه الصورة، لولا اعتمادها –بعد الله تعالى– على الكثير من المصادر والمراجع التي تعدد اختصاصها.

واستعراض جميع المصادر التي استفاد منها هذا البحث، أمر فيه إطالة غير مرغوبة، لأجل ذلك سأقتصر في هذا التحليل على أهمها:

١ – "قضاة قرطبة" للحافظ أبي عبدالله محمد بن حارث الخشني، عاش سنواته الأولى من حياته في القيروان، ثم رحل إلى الأندلس وهو لم يتجاوز الثانية عشرة، ونزل قرطبة، فسمع من أعلامها، وقد نال الخشني ثناء الآخرين عليه، فقد كان شاعراً، بليغاً، إلا أنه كان يلحن، وكان حكيماً بعمل الأدهان، حافظاً للفقه، عالماً بالفتيا، ولي الشورى، ثم توفي في شهر صفر سنة ٣٦١هـ (ديسمبر ٩٧١م) بعد أن ترك عدة مؤلفات.

وقد ألف الخشني كتاب "قضاة قرطبة" بطلب من الخليفة الحكم المستنصر بالله، الذي أباح له الاستفادة من مكتبة القصر التي كانت عامرة بمختلف الكتب، وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب "قضاة قرطبة" إلا

أنه عظيم الفائدة في موضوعه، فقد أفاد البحث بذكر حوادث انفرد بها، فقد أورد مثلاً خبر معارضة الفقيه بقي بن مخلد تحليف قاضي الجماعة عمرو بن عبدالله القبعه أمام الناس، خشية أن يصل الخبر لبني العباس، فيتندرون بهذه الحادثة في مجالسهم، كما ذكر خبر تعطل منصب قاضي الجماعة لمدة ستة أشهر في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، وستة أشهر أخر في عهد ابنه الأمير محمد، كما عرَّفنا الكتاب على الرسم الذي وضعه للفقهاء قاضي الجماعة الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي، وذلك عندما يُطلبوا لتسجيل فتاواهم، إذ أمر كلاً منهم أن يقوم بتسجيل فتواه بيده في السجل الخاص، فأصبح هذا الرسم متَّبع من بعده في الأندلس، كما ذكر الخشني أن الوزير صاحب المدينة هو الذي يقوم باستلام ديوان القضاء عند عزل القاضي، ويظل الديوان عند الوزير صاحب المدينة حتى يتم تعيين قاضٍ آخر.

وقد قام المستشرق الإسباني "خوليان ريبيرا" بنشر هذا الكتاب وترجمته إلى الإسبانية سنة ١٩١٤م ثم قامت الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م بطبعه ونشره.

٢ — ولدينا كتاب آخر للخشني هو "أخبار الفقهاء والمحدثين" وهو عبارة عن تراجم لطبقات عديدة من الفقهاء الأندلسيين، امتدت منذ فتح الأندلس حتى عصر المؤلف.

والكتاب وردت تراجمه بصورة غير منظمة، أي لم يتبع فيها المؤلف الترتيب الأبجدي، كما تضمن الكتاب معالجة لبعض المسائل الفقهية.

والخشني اتبع في هذا الكتاب منهجاً شائعاً لدى أصحاب التراجم، فهو يعرض للشخص المترجم ولشيوخه وتلاميذه، ثم يذكر رحلته، ومن ثم سنة وفاته، والملاحظ أنه قد اختصر في بعض التراجم حتى أن بعضها لاتزيد عن سطر واحد، مثل ترجمته لأبي العطاف يعلى بن عبدالله الأموي، بينما نجد بعض التراجم تستغرق صفحات تتجاوز العشرة، مثل الترجمة التي أوردها ليحيى بن يحيى الليثي، وعبدالملك بن حبيب، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح وغيرهم، ولعلنا ندرك من هذا التفاوت في التراجم أن المؤلف قد ركز اهتمامه على أولئك الفقهاء المشهورين، أصحاب التأثير سواء ثقافياً أو اجتماعياً.

ورغم ذلك، فإن هذا الكتاب يعتبر من أنفس مصادر التاريخ الأندلسي، فهو أقدم كتاب تراجم لأهل الأندلس يصل إلينا، وقد أفاد البحث منه كثيراً فهو فضلاً عن التراجم، حوى في بعض صفحاته وثائق هامة جداً، لم ترد فيما سواه، وذلك مثل الرسالة التي بعث بها الأمير الحكم الربضي للفقيه يحيى بن يحيى الليثي، وكذلك كتابه لعيسى بن دينار، يؤمنهما فيه بعد حادثة هيج الربض.

وقد تم نشر الكتاب أخيراً، فقد قام بدراسته وتحقيقه، كل من: "ماريا لويسا آميلا"، ولويس مولينا، ونشره المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، سنة ١٩٩٢م.

٣ – "كتاب تاريخ افتتاح الأندلس" لأبي بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز، الشهير بابن القوطية، والمقصود بالقوطية "سارة" حفيدة

"غيطشه WITIZA" ملك أسبانيا القوطي، وبذلك فالمؤلف مولّد من طبقة المولّدين. أصله من إشبيلية، وسمع من أعلامها وأعلام قرطبة، كان عالماً بالنحو، حافظاً للغة، متقدماً فيها، حافظاً لأخبار الأندلس، طال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة، قُدِّم للشورى، وتصرَّف في الخطط، وترك عدة مؤلفات. ثم توفي يوم الثلاثاء في ربيع الأول لسبع بقين منه سنة ٣٦٧هـ (نوفمبر ٩٧٧م).

والكتاب يتناول تاريخ الأندلس منذ أن افتتحها المسلمون، وحتى مطلع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وهو عبارة عن مجموعة من الأخبار القصار منفصل بعضها عن بعض، وهو يسرد الحوادث ولايذكر التاريخ إلا نادراً. كما أنه ليس من تأليف ابن القوطية، بل إن أحد تلاميذه هو الذي تولى تأليفه، بدليل تكرار عبارة "قال شيخنا أبو بكر" قال ابن القوطية[1]. ولقد أفاد البحث كثيراً من كتاب "افتتاح الأندلس" فقد انفرد بأخبار غاية في الأهمية منها: طرد الأمير الحكم الربضي للوزير أبي البسام بسبب غدره بالفقيه طالوت بن عبدالجبار، وموقف الوزير صاحب المدينة أمية بن عيسى بن شهيد من ولد الأمير محمد بن عبدالرحمن عندما حاول مغادرة سطح باب السدة، كما عرَّفنا على نوعية الثقافة التي يجب أن يتلقاها السجناء، وهي ثقافة لاتكسبهم إلا الخمول

١ - آنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي: ص٢٠٢-٢٠٤.

والاشتغال بالملذات، كأن يسمعهم المؤدب خمريات الحسن بن هانئ، وما شابهها من الأهزال.

٤ – "كتاب الوثائق والسجلات" للفقيه الموثق أبي عبدالله محمد بن أحمد الأموي الشهير بابن العطار، وصفه ابن حيان بأنه متفنن في علوم الإسلام، فقيه لانظير له، حاذق بالشروط، وبسبب إعجابه بنفسه، وشكاسة أخلاقه، تعرض لوقوف نظرائه ضده، تولى الشورى في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، ثم أسقط عنها وعن الشهادة، وفرضت عليه الإقامة الجبرية في داره، وبعد أن أدى فريضة الحج، أعاده المنصور إلى ماكان يليه، توفي في ذي الحجة سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م).

وكتاب "الوثائق والسجلات" عبارة عن نماذج لوثائق فقهية متنوعة، والكتاب في بابه نادر لاغنى عنه لمن يدرس القضاء أو يشتغل فيه، وقد رافقني الكتاب كثيراً في المبحث الخاص بالقضاء، ونقلت عنه نموذجين بين فيهما ابن العطار كيفية تسجيل القاضي برجوعه عن قضاء قضى به تبين له الخطأ فيه.

وقد قام بتحقيق الكتاب كل من: "بدروشالميتا"، "وفيدريكو كوينطي". ونشره مجمع الموثقين المجرطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة في مدريد سنة ١٩٨٣م.

٥ – "نقط العروس" لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ولد سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤م)، اهتم والده بتربيته وتثقيفه اهتماماً شديداً، فخرج عالماً يشار إليه بالبنان، بل إنه أبرز علماء عصره،

تولى بعض المناصب، ثم ترك السياسة وهجرها، وانقطع للعلم، فـألف في مختلف فروع الثقافة، توفي في بادية لبله سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٤م).

وكتابه (نقط العروس) الذي ألفه في حدود سنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) عبارة عن أخبار قصيرة جداً عن الخلفاء، وهذه الأخبار على قصرها ضمت الخطوط العامة للخلافة الإسلامية والخلفاء حتى عصر ابن حزم. ولذا فهو كتاب حافل بمعلومات قيمة يحتاجها من أراد يدرس نظام الخلافة الإسلامية[1].

ومن أهم المعلومات التي اعتمد فيها البحث على "نقط العروس" هي محاولة الحاجب المنصور بن أبي عامر التسمي بالخلافة، وأنه استشار الفقهاء في ذلك،ن إلا أنهم وقفوا ضد رغبته وكان أشدهم في ذلك الفقيه محمد بن يبقى بن زرب.

وفي مجال الحديث عن ولاية العهد انفرد ابن حزم في نقط العروس بذكر تسمي سليمان بن هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر بولاية العهد في بداية استيلاء المهدي محمد بن عبدالجبار على الخلافة، دون أن يسميه بذلك أحد.

بالإضافة إلى أن الكتاب قد استقصى ذكر ألقاب أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، وهو يعتبر في معلوماته الدقيقة حجة، لأن المؤلف ووالده من قبله كانا من رجالات الدولة.

---

١ - نقطة العروس: مقدمة المحقق ص٤٤، ٤٥.

وقد قام الدكتور شوقي ضيف بنشر "نقط العروس في تواريخ الخلفاء" بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ١٣ المجلد الثاني، وذلك في شهر ديسمبر سنة (١٩٥١م).

٦ – "المقتبس" لأبي مروان حيان بن خلف، شيخ مؤرخي الإسلام في الأندلس بلا نزاع، جده الأعلى وهب بن حيان كان مولى للأمير عبدالرحمن الداخل. تولى والده خلف بن حسين منصب الوزارة في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، وقد كان عالماً راسخاً في العلم، مما كان له أعظم الأثر في تربيته لولده أبي مروان حيان بن خلف الذي عايش أحرج فترة في عمر الدولة الأموية وهي فترة الفتنة، ولم يغادر قرطبة، ولذا فقد نقل لنا أدق تفاصيلها، كما أنه تولى منصب صاحب الشرطة لابن جهور وبعد حياة مليئة بالأحداث توفي ابن حيان سنة ٤٦٩هـ (١٠٧٦م)[1].

ولقد كان كتاب "المقتس" مرافقاً للبحث في أكثر مراحله، ولذا فهو من المصادر المهمة التي لابد من الحديث عنها، وقد أفدت من القطع الأربع المنشورة من المقتس، لكن أهمها:

قطعة تبدأ من سنة ٢٣٢هـ – ٢٦٧هـ (٨٤٦-٨٨٠م) وهي بذلك تشمل ست سنوات من عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط ومعظم عهد ابنه الأمير محمد، وهذه القطعة قام بنشرها الدكتور محمود علي مكي، فقد ذكر ابن حيان في هذه القطعة إنشاء الأمير عبدالرحمن الأوسط

---

١ – انظر، ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق وتقديم وتعليق: د.محمود علي مكي، ص١٦-١٤٦ من مقدمة المحقق.

لبيت الوزراء وتنظيمه لأعمالهم، كما أورد خبر تقديم الوزراء الشاميين على نظرائهم البلديين، وعرَّفنا على الرسم الذي استُحدث لدى الأمويين فيما يتعلق بالجنائز. وانفرد بخبر اهتمام الأمير محمد بن عبدالرحمن بآلات اللهو والغناء وبالذات آلات الزمر وسؤاله الدائم عن أشهر أهل هذه الصنعة وجمعهم عنده، وأنه كان له مزمار خاص به.

وهناك قطعة خاصة بعهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، وهي تبدأ من سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) إلى سنة ٣٣٠هـ (٩٤١م) وقد قام بنشرها كل من "بدروشالميتا"، "وفيدريكو كورينطي"، "ومحمود صبح"، وهذه القطعة مفيدة جداً في معرفة الأسلوب الإداري الذي اتبعه عبدالرحمن الناصر والذي اعتمد فيه على السياسة المركزية المطلقة، وتبرز فيه التغييرات الوزارية الكثيرة في عهده، بحيث من النادر أن يبقى صاحب الخطة في خطته أكثر من سنة أو سنتين. كما انفرد بذكر "حجر الأعزة" وهو مكان في القصر مخصص لركوب الأمير أو الخليفة، ولايمكن لأحد الركوب من هذا المكان إلا من أُنعم عليه بهذه المزية، كما ذكر خبر الاحتفال الذي أقامه الخليفة عبدالرحمن الناصر في معسكر الجيش بمناسبة وفادة الملكة "طوطه" عليه، عندما كان في إحدى غزواته لبلاد نصارى الشمال.

وهناك قطعة أخرى نشرها الدكتور عبدالرحمن الحجي، وهي خاصة بأحداث خمس سنوات غير كاملة من سني الخليفة الحكم المستنصر بالله، وتبدأ من سنة ٣٦٠هـ (٩٧٠م) إلى سنة ٣٦٤هـ (٩٧٤م)، وهذه

القطعة اتكأ البحث عليها كثيراً خاصة في ذكر الرسوم المتبعة في الاحتفالات التي تجري في الدولة، سواء بمناسبة جلوس الخليفة لتهنئته بالعيدين أو عند استقباله للسفارات والوفود، أو عند إجراء عرض عسكري بين يدي الخليفة، بالإضافة إلى انفراده بذكر رسوم عقد اللواء وكيفية تسليمه للقائد الذي سيخرج على رأس الجيش الغازي.

٧ – "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، والمؤلف ينتسب إلى إحدى الأسر العريقة في شنترين "SANTAREM" وفيها نشأ وعاش صباه، ثم رحل إلى أشبونه سنة ٤٧٧هـ (١٠٨٤م) بعد أن ألّف كتابه "الذخيرة" في إشبيلية سنة ٥٠٢هـ (١١٠٩م)[1].

وكتاب "الذخيرة" يكاد يكون خاصاً بمجريات القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) اعتمد فيه على ابن حيان كما صرح هو بذلك، والكتاب مقسم إلى أربعة أقسام طبقاً للأقاليم الأندلسية، وقد أفدت منه كثيراً لانفراده بذكر نصوص لابن حيان من كتابه "المتين" الذي لم يعثر عليه بعد، وهو بذلك يعتبر من أهم المصادر بالنسبة للبحث، فقد ذكر لنا الهيئة التي برز فيها الخليفة هشام المؤيد للناس في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، وما كان يقوم به الوزير عيسى بن سعيد

---

١ – آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د.حسين مؤنس، ص٢٨٩.

من بيع للمناصب الإدارية في عهد الحاجب عبدالملك المظفر، كما انفرد في تقديم وصف للوزراء ولمن كان يلي خطة المظالم في عهد الفتنة.

وقد قام الدكتور إحسان عباس بتحقيق الكتاب وأخرجه في ثمانية مجلدات، وقامت الدار العربية للكتاب في: ليبيا-تونس، بنشره سنة ١٩٨١م.

٨ - "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن عذاري المراكشي، والمؤلف يرجع إلى أصل مغربي، عاش في عصر الموحدين، وقد كان حياً سنة ٧١٢هـ (١٣١٢م). وكتاب "البيان المغرب" يعد من أهم مصادر تاريخ المغرب والأندلس، إذ إنه يغطي فترة زمنية تمتد من الفتح الإسلامي للمغرب حتى سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) معتمداً فيما يورده من أخبار على مصادر متعددة، الكثير منها لم يصل إلينا، مثل كتابي الرقيق القيرواني والوراق وغيرهما. والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام نشرت في أربعة مجلدات بعناية: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال.

وقد اعتمد البحث كثيراً على "البيان المغرب" خاصة المجلدين الثاني والثالث، لما تضمناه من معلومات هامة ذات صلة بكافة فصول البحث، وأهميته تتأكد بصورة أكبر متى ما عرفنا أنه قد أكمل النقص الذي سببه فقد بعض قطع المقتبس.

فمن خلال كتاب (البيان المغرب) أمكن معرفة الرسم المتبع عند خروج الأمير أو الخليفة للصيد أو النزهة، كما انفرد بخبر اشتراك أكثر من

مسئول في منصب الحجابة وهو ما حدث في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله .

وقد أورد ابن عذاري في "البيان المغرب" خبراً ربما لم يرد عند غيره، وهو الخبر الذي يدور حول احتفاظ أمراء وخلفاء بني أمية بذخائرهم ونفيس جواهرهم بطريقة سرية، وكيف تمكن المهدي الثائر من الوصول إليها والاستيلاء عليها جميعاً.

٩ – "أعمال الأعلام" للوزير لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد الشهير بابن الخطيب، من أصل قرطبي، ولد في "لوشة **LOJA**" سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) وتلقى العلم في غرناطة، فبرز في كافة ميادينه، ثم التحق ببني الأحمر، فتولى الوزارة في دولتهم، ثم ذهب إلى المغرب وتنقل بين مدائنه، حتى لقي حتفه، فقد خنُق ثم أحرقت جثته، وذلك سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م).

وكتاب "أعمال الأعلام" مقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول خاص بالمشرق وهو لايزال مخطوطاً، والقسم الثاني خاص بالأندلس، والثالث خاص بالمغرب.

والقسم الثاني من الكتاب رافق البحث كثيراً، فقد انفرد بذكر أسماء الشهود الذين سجلوا شهاداتهم في السجل الخاص، وذلك في الحفل الذي أقيم بمناسبة تعيين هشام بن الحكم ولياً للعهد، وأخذت البيعة من أولئك الشهود.

كما أورد لنا مافعله المنصور بن أبي عامر ببني أمية وكيف أخمل ذكرهم ومنع الناس من الاختلاط بهم، وكيف عمل على إرهاقهم بحملهم معه في غزواته حتى أشغلهم بأنفسهم.

والقسم الخاص بالأندلس نشره المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنسال" تحت مسمى "تاريخ أسبانيا الإسلامية" وذلك في الرباط سنة ١٩٣٤م، ثم أعيد نشره في بيروت سنة ١٩٥٦م.

١٠ – "ذكر بلاد الأندلس" لمؤلف مجهول، يُرجَّح أنه كان حياً في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

والكتاب جاء في فصلين، الفصل الأول خاص بالحديث عن وصف مدن الأندلس وأقاليمها وذكر مايمتاز به كل منها.

والفصل الثاني خاص بذكر من نزل الأندلس من الأمم والملوك، ابتدأ به من زمن الطوفان وانتهى به عند بداية عهد ملوك الطوائف.

واعتمد المؤلف على مصادر متعددة ذكرها في ثنايا الكتاب، وبعض هذه المصادر لم يصل إلينا مثل تواريخ كل من: ابن أبي الفياض والدولابي والرقيق والمزني وغيرها، ومن هنا ندرك أهمية المعلومات التي أوردها هذا المؤلف، رغم أن معلوماته جاءت حولية متميزة بالخطو السريع.

وقد أفاد البحث كثيراً من هذا الكتاب، وبالذات فيما يتعلق بذكر نقوش خواتم أمراء وخلفاء بني أمية، إذ يكاد أن يكون هو الوحيد الذي اهتم بذكرها، كما أورد خبر إلغاء الحاجب المنصور بن أبي عامر لخاتم الخليفة هشام المؤيد بالله، واقتصاره على خاتمه الخاص.

وقد قام "لويس مولينا" بنشر الجزء الأول من الكتاب مختصراً لعنوانه الذي جاء في أكثر من سبعين كلمة، مكتفياً بأول عبارة وردت في العنوان "ذكر بلاد الأندلس" وذلك في مدريد، سنة ١٩٨٣م.

١١ – "نفح الطيب" لأبي العباس أحمد بن أحمد بن يحيى المقري، التلمساني، يعود أصله إلى بلدة "مَقَّره" بشرق الجزائر، ولد في تلمسان سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) وتلقى فيها وفي فاس علومه، وتنقل في بلاد المغرب والمشرق، حتى أدركته الوفاة سنة ١٠٤١هـ (١٦٣٢م) بمصر حيث دفن في مقبرة المجاورين.

ولعل إعجاب المقري بالوزير لسان الدين بن الخطيب الدافع الأساسي له في تصنيف كتاب عنه، ثم رأى أن يمهد له بتاريخ عام للأندلس، فأتى كتابه الموسوعي "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" على قسمين، الأول: خاص بالأندلس، والثاني خاص في التعريف بابن الخطيب.

وقد أفاد البحث كثيراً من "نفح الطيب" فقد أورد معلومات لم ترد فيما سواه، من ذلك: الخبر المتعلق بكيفية تأديب الأمير عبدالرحمن الأوسط لولده المنذر الذي كان كثير الشك بمن حوله، معاقباً لمن قدر عليه منهم، مكثراً التشكي لوالده ممن ليس له قدرة عليهم.

كما أنه أفاد البحث في وصفه المسهب لبعض الاحتفالات الرسمية التي كانت تجريها الدولة الأموية، بالذات وصف الحفل الذي أقيم عند مبايعة الحكم بن عبدالرحمن الناصر بالخلافة، كما أنه انفرد بخبر تشبه بني

حمود بالعباسيين في مخاطبتهم للداخلين عليهم، فقد كان الخليفة الحمودي يتكلم من وراء الستر والحاجب يقوم بنقل كلامه لمن في المجلس.

ورغم أن كتاب "نفح الطيب" يفتقر إلى التنظيم في سرد المعلومات، فإن ذلك لم يمنع من أن يكون مصدراً أساسياً لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس والمغرب، لأجل ذلك فقد نال عناية الكثير من المهتمين بالدراسات الأندلسية من المستشرقين، فقد قام دوزي (**Dozy**) ودوجا (**Dogat**) وغيرهما بنشر الجزأين الأولين من هذا الكتاب في مدينة ليدن فيما بين عامي ١٨٥٨ و ١٨٦١م.

كما نشر الكتاب في القاهرة سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٢م) بمطبقة بولاق في أربعة أجزاء. ثم أعاد نشره الشيخ محيي الدين عبدالحميد في عشرة أجزاء، بالقاهرة سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م)، وأخيراً قام الدكتور إحسان عباس بإعادة تحقيق الكتاب ونشره في ثمانية أجزاء وطبع في بيروت سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

وإذا كانت الدراسة قد نهلت مادها بالدرجة الأولى من المصادر، فإن ذلك لايعني مطلقاً أنها كانت بمنأى عن الاستفادة من الدراسات الحديثة، فهي من نهاية جهود المؤرخين المحدثين ابتدأت، وعلى طائفة من تحقيقاهم توكأت، وبمنهاج بعضهم اهتدت، فتم الاستعانة بما وقع تحت اليد من كتب ورسائل وأبحاث لها صلة بالموضوع، فقد كانت الفائدة عظيمة جداً مما كتبه باللغة العربية على سبيل المثال لا الحصر. الأستاذ محمد عبدالله عنان، والدكاترة: حسين مؤنس ومحمود علي مكي ومحمد

عبدالوهاب خلاف. ومن الدراسات الأجنبية ما كتبه المستشرق الفرنسي ليفي برفنسال.

ولا أنسى هنا أن أثني على جهد الدكتور هشام أبو رميلة في رسالته "نظم الحكم في الأندلس" إذ يكفي أنه أول من طرق هذا الموضوع من الباحثين العرب، وفتح لي مجالاً واسعاً للحديث عن نظم ورسوم الأمويين في الأندلس فجزاه الله تعالى خير الجزاء على جهده.

وليس هناك كلمات في ختام هذا التقديم ألذّ في النفس من الاعتراف بفضل الآخرين عليّ، "فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

ويتقدم من اعترف بفضلهم بعد الله تعالى جامعتنا الإسلامية الموقرة، ثم أستاذي الفاضل الدكتور عبدالله بن علي المسند، الذي تولى الإشراف على هذا البحث بعد أستاذيَّ الفاضلين: مصطفى محمد رمضان، ومحمد ضيف الله بطاينه، اللذان رافقا البحث في مراحله الأولى، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ولايسعني إلا أن أعرب عن عظيم امتناني لأخي الدكتور/ شمس الله محمد صديق الذي كثيراً ماساعدني في الترجمة من الفرنسية إلى العربية، كما أشكر أخي الدكتور طلال بن سعود الدعجاني على مساعدته لي بالحصول على بعض المصادر.

وأسأله برحمته وفضله جل وعلا أن يجزي بالإحسان كل من وقف إلى جانبي حتى تم إنجاز هذه الرسالة.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٨٢) .

سالم بن عبدالله الخلف

المدينة النبوية في ١٤١٦/٠١/٠١هـ

التمهيد

بويع أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي[1] بالخلافة يوم الجمعة ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢هـ[2] (١يناير ٧٥٠م) وبذلك بدأ حكم الأسرة العباسية عوضاً عن الأسرة الأموية، التي فقدت آخر خلفائها في قرية بوصير[3]، وأمام المطاردة العباسية التي لا هوادة فيها،

---

١ - هو أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، ولد بالحميمة سنة ١٠٤هـ، ونشأ بها، كان يلقب بالمرتضى، وأما لقب السفاح فأطلق عليه لاحقاً، وإن كان في حياته فهو لكثرة عطاياه وبذله الأموال، وصف بأنه كان رجلاً طوالاً، أبيض اللون، حسن الوجه، أجعد الشعر، حسن اللحية، حيياً، سخياً، حليماً، وقوراً، عاقلاً، حسن الأخلاق، كما وصف بالفصاحة والعلم والأدب، توفي شاباً ودفن بقصره في الأنبار، وذلك يوم الأحد ١٣ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٦هـ. انظر تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق: د.أكرم العمري، الرياض، دار طيبة، ط الثانية ١٤٠٥هـ) ص٤٠٩- ٤١٢، اليعقوبي، التاريخ، (بيروت، دار صادر. د-ت) ٣٦١/٢،٣٥٨،٣٤٩، الطبري، التاريخ، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط ١٩٦١م). ٤٢٤/٧، ١٧٠-٤٧١، الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق د.علي حبيبه القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص١٥٩،١٢٣-١٦٠المقدسي البدء والتاريخ، "المنسوب للبلخي" نشر: كلمان هوار ، باريس ١٨٩٩م، ٨٨/٦-٩٠.

٢ - تاريخ اليعقوبي ٣٤٩/٢، البدء والتاريخ ٨٨/٦.

٣ - بوصير: بكسر الصاد وسكون الياء: قرية من قرى الفيوم بصعيد مصر. أنظر ياقوت، معجم البلدان (بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ٥٠٩/١. وفيها قُتل=

أضطر أبناء الأمويين إلى التواري عن الأنظار في أقطار شتى[١].

وكان عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك[٢] أحد الأمويين الذين كُتبت لهم النجاة من بطش العباسيين، فقد غادر

=آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد بن مروان بن الحكم في يوم الأحد ٢٧ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢هـ. انظر: تاريخ خليفة ص ٤٠٤، تاريخ الطبري ٧/٤٤١-٤٤٢.

١ - إن عم الخلفاء العباسيين عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس هو الذي قام هذه المطاردة الوحشية، وكان عبدالله بطلاً شجاعاً مهيباً جباراً عسوفاً، سفاكاً للدماء، وصف بأنه من رجال العالم ودهاة قريش. انظر: تاريخ الطبري ٧/٤٧٤-٤٧٩، ٨/٧-٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ٦/١٦١-١٦٢ وهو الذي أُطلق عليه لقب السفاح، إذ عرف به في حياته وذلك سنة ١٣٣هـ انظر: تاريخ الموصل ص١٤١. وأما عن تلك المطاردات فانظر: د.حسين عطوان، الدعوة العباسية تاريخ وتطور (دار الجيل، بيروت)،ص٤٠١-٤٣٦ ومصادره.

٢ - هو مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، ولد في دمشق سنة ١١٣هـ، أمه بربرية اسمها راح أو رداح، نشأ يتيماً وتربى في قصر جده الخليفة هشام بن عبدالملك، فأولاه رعايته، ووهبه جميع الأخماس التي اجتمعت للخلفاء في الأندلس، كان طويل القد، أصهب، أعور، خفيف العارضين، بوجهه خال، له ضفيرتان، كما وصف بأنه كان فصيحاً، بليغاً، حسن التوقيع، جيد الفصول، مطبوع الشعر، توفي يوم الثلاثاء ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٧٢هـ . انظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس=

الشام متوجهاً إلى مصر، ومنها انطلق إلى المغرب، ومن هناك دخل الأندلس، حيث تمكن بعد توفيق الله له، ثم بذكائه من استمالة الجماعات الإسلامية هناك[1].

وطبيعي أن يكون دخول هذا الأمير الأموي بلاد الأندلس له صداه، خاصة في مثل تلك الظروف، ولذا فما أن شاع خبره هناك، حتى توافدت

=(نشر: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي القاهرة مكتبة الخانجي١٤٠٨هـ) ١١/١. الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. (القاهرة -الدار المصرية للتأليف والترجمة-١٩٦٦م) ص٨-٩، ابن الأبار: الحلة السيراء، (تحقيق: د. حسين مؤنس) القاهرة الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٣م) ١/٣٥-٤٢. ابن عذاري، البيان المغرب. (تحقيق: كولان وبر وفنسال بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م) ٢/٤٠-٦٠، سير أعلام النبلاء: ٨/٢٤٤-٢٥٣.

١ - عن هرب عبدالرحمن بن معاوية إلى الأندلس واستمالته الجماعات الإسلامية هناك، انظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ملحق به "الرسالة الشريفية في الأقطار الأندلسية" (نشر: باسكوال دي جايا نجوس ، مدريد ١٨٦٨م) ص٢١-٢٧. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، (نشر: لافوانتي أي ألكنترا، مع ترجمة أسبانية، مدريد، ١٨٦٧م) ص٦٧-٩١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (تحقيق: عبدالله القاضي بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م) ٥/١٢٢، ١٢٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ أسبانيا الإسلامية، نشر: ليفي بروفنسال: بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م) ٢/٧-٨ النويري، نهاية الأرب (الجزء الثالث والعشرون: تحقيق: د. أحمد كمال زكي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م) ص٣٣٥-٣٣٨.

عليه الجموع وهي تعلن ترحيبها به واستعدادها للسير خلفه[١]، كما تأثرت بوصوله قوى أخرى، من ذلك أن جيش والي الأندلس يوسف الفهري[٢] تفرق أكثر أفراده، بمجرد وصول خبر الأمير عبدالرحمن إليهم، مما حال دون تمكين الفهري من مهاجمته وهو في بداية أمره[٣].

لأجل ذلك عمد الفهري ووزيره الصميل[٤]، إلى اتباع أسلوب المراسلات، في محاولة منهما لثني الأمير عبدالرحمن عن

---

١ - ابن القوطية، ص٢٤-٢٧، أخبار مجموعة، ص ٧٦، ٨٣-٨٤، ابن الكردبوس. الأندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م) ص٥٥-٥٦.

٢ - أبو محمد يوسف بن عبدالرحمن الفهري، أخر ولاة الأندلس، تولاها باتفاق المضرية واليمنية لأنه قرشي، وذلك في شهر ربيع الآخر ١٢٩هـ وهو ابن ٥٧سنة، وفي عهد الأمير عبدالرحمن بن معاوية قام يوسف الفهري بثورة ضده، لكنها انتهت بفشله ومن ثم قتل عند طليطلة على يد عبدالله بن عمر الأنصاري سنة ١٤٢هـ، انظر أخبار مجموعة ص ٩١-١٠٠، الكامل في التاريخ ١٢٦/٥، ١٢٧، الحلة السيراء ٣٤٧/٢-٣٥٠.

٣ - أخبار مجموعة ص٧٨-٧٩. قارن: المقري، نفح الطيب، (تحقيق: د.احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ) ٣٢/٣-٣٣.

٤ - الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن، جده شمر أحد قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما، كان الصميل نجداً كريماً، دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر، غلب على أمر والي الأندلس يوسف الفهري، حتى أصبح هو الحاكم الفعلي، مات الصميل في سجن الأمير عبدالرحمن بن معاوية سنة ١٤٢هـ. انظر: الحلة السيراء، ٦٧/١-٦٨. نفح الطيب، ٢٥/٣-٢٦.

مراده[١]، إلا أنهما فشلا في تحقيق مايصبوان إليه، ولذا فلم يعد هناك مناص عن اللقاء المسلح، فالتقى الجمعان في موقعة المصارة[٢]، وذلك يوم الجمعة، العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٨هـ[٣] (١٤ مايو ٧٥٦م) وأسفر عن هزيمة الفهري وتمزيق قواته، ودخول الأمير عبدالرحمن بن معاوية قرطبة[٤] بدون

---

١ - أنظر أخبار مجموعة ص٧٩-٨٢. البيان المغرب ٢/٤٥-٤٦.

٢ - المصارة: كلمة لايعرف معناها، أطلقت على عدة أماكن، والمقصود بها فيما ورد أعلاه أنها ضاحية من ضواحي قرطبة، تقع إلى الجنوب منها، على شاطئ الوادي الكبير وهناك من يقول أنها كانت مكاناً لتدريب الخيول، وقيل أنها موضع معصرة زيت تسمى بالإسبانية **ALMUZARA** أو المعصرة، انظر: الحلة السيراء، ٢/٣٤٩ حاشية رقم ١. تاريخ ابن الكروبوس، ص٥٦ حاشية رقم٧.

٣ - ابن القوطية ص٢٦-٢٨.

٤ - قرطبة **CORDOBA** قاعدة الأندلس ومستقر الإمارة والخلافة الأموية في الأندلس، مدينة العلم ومقر السنة والجماعة، خرجت من أيدي المسلمين سنة ٦٣٣هـ. ويعتبر الجامع والقنطرة أشهر معالمها في العصر الحالي، انظر : البكري، جغرافية الأندلس وأوربا (من كتاب "المسالك والممالك" (تحقيق:د. عبد الرحمن الحجي، بيروت، دار الإرشاد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م) ص ١٠٠-١٠٦. الحميري، الروض المعطار (تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م) ص٤٥٦-٤٥٩

F.SIMONET- AND . J.LERCHUNOL: ARABI CO-ESPANOLA GRANADA. 1881 . P:36-40

وانظر الدراسة الوافية عن قرطبة التي أعدها د. السيد عبدالعزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس. (جزآن . الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٤م).

مقاومة، بعد أن فشل الفهري في اللجوء إليها[١]، ومنذ ذلك اليوم بدأت دولة بني أمية في الأندلس.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير عبدالرحمن الداخل على الرغم من أنه استغل العصبية القبلية المتفشية في الأندلس آنذاك لتحقيق أهدافه، إلا أنه لم يقع أسيراً لتلك العصبية، بل على العكس من ذلك فقد عمل من أول وهلة على إخضاعها لسلطانه[٢]، مرتفعاً بإمارته أن تكون رهينة للتحالفات القبلية، وبذلك فقد أصبح معيار القرب منه والبعد عنه مرتبطاً بمبدأ الطاعة، فمن التزم بالأوامر وظهر الإخلاص في تصرفاته، ضمن الحظوة لديه، ومشاركته في تحمل أعباء إمارته، وأما من كان لايزال يعاني من داء العصبية القبلية فلا سبيل إلى الاستعانة به إطلاقاً.

---

١ – عندما أدرك الفهري أن الهزيمة لحقت به، حاول التحصن في قرطبة، إلا أن عاملها عبدالرحمن بن عوسجه أغلق الأبواب في وجهه، فاضطر الفهري إلى التوجه نحو طليطلة وقيل إلى البيرة. أنظر: ابن القوطية، ص٢٦-٢٨، أخبار مجموعة ص٨٩-٩٠، البيان المغرب،٢/٤٧، مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس (تحقيق: لويس مولينا الجزء الأول: مدريد ١٩٨٣م) ١/١١٣-١١٤.

٢ – من ذلك مثلاً: موقفه من اليمنية بعد هزيمته للفهري في موقعة المصارة، انظر: ابن القوطية، ص٢٨، أخبار مجموعة، ص٩٠.

وقد أثبت الأمير عبدالرحمن الداخل مقدرة فائقة، ورباطة جأش نادرة، عندما تمكن وبكل كفاءة من الصمود وبالتالي القضاء على قوى المعارضة الداخلية والخارجية على السواء[١].

وبعد حياة حافلة بالحركة الدائبة، وضع خلالها قواعد دولة إسلامية متينة البنيان، اختتم حياته ببناء المسجد الجامع بقرطبة[٢]، وأسند ولاية العهد من بعده لإبنه هشام[٣].

---

١ - انظر: العذري. نصوص عن الأندلس "من كتاب: ترصيع الأخبار (تحقيق: د.عبدالعزيز الأهواني، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥). ص:١١١،٢٥، ١١٧-١١٨، أخبار مجموعة: ص٩١-١١٢. الكامل في التاريخ ٥/١٢٦-١٢٧، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٧ ، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٣٩-٢٤٠ ، ٢٥٧، ٢٥٨ كارلس ديفيز. شارلمان، (ترجمة د. الباز العريني القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م) ص٩٨-١٠٢، ٢٩٦-٢٩٧. خليل السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، (بغداد، مطبعة أسعد، ١٩٧٦م))، ص ٤١١-٤٤٨ ومصادره.

٢ - البيان المغرب، ٢/٢٢٩. نفح الطيب ١/٥٦٠-٥٦١. وانظر: الدراسة المستفيضة للأستاذ الدكتور عبدالعزيز سالم عن جامع قرطبة في كتابه: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ١/٢٦٩-٤٠٢.

٣ - الأمير هشام أمه أم ولد تدعى حلل أهدها ابنة يوسف الفهري للأمير عبدالرحمن الداخل بعد انتصاره في موقعة المصارة ودخوله قرطبة، ولد في الرابع من شهر شوال ١٣٩هـ، وتولى الإمارة في أول شهر جمادي الأولى ١٧٢هـ، وتوفي ليلة الخميس ٨ صفر ١٨٠هـ. وصف بأنه كان أبيض مشرب بحمرة بعينه حول، طويل الساقين.=

تسلم الأمير هشام مقاليد الإمارة في مطلع شهر جمادي الأولى سنة ١٧٢هـ (٧٨٨م) بعد وفاة أبيه بستة أيام[1]، وله من العمر اثنان وثلاثين سنة وستة أشهر وسبعة وعشرين يوماً[2]، كان عاقلاً حازماً، ذا رأي وشجاعة ، شريف النفس، خيِّراً، محباً لأهل الخير والصلاح، شديداً على الأعداء، راغباً في الجهاد، على طريقة حسنة، يحضر الجنائز ويعود المرضى ويفك الأسرى[3]، مما أهله لثناء المؤرخين والفقهاء على السواء مطلقين عليه لقب "الرضا" .. لرضاهم عن سيرته ومنهجه[1].

=انظر: ابن القوطية، ص٢٨-٢٩. ابن الفرضي: ١/١١-١٢. قارن: البيان المغرب ٦١/٢، ذكر بلاد الأندلس ١١٨/١.

١ - ابن الفرضي ، ١٢/١.

٢ - هناك اختلاف في تقدير سن الأمير هشام عند توليه الإمارة، فالمراكشي يرى أنه كان ابن ثلاثين سنة، انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، (القاهرة ١٣٨٣هـ) ص٤٣، وتابعه على ذلك صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ١١٩/١. وهناك من رأى أنه كان ابن ثلاث وثلاثين سنة. انظر : محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس، (العصر الأول - القسم الأول- ط الثالثة القاهرة، ١٣٨٠هـ)، ٢٢١/١. د.خالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس في عصر الإمارة (منشورات الجامعة الليبية)، ص١٠٩. إلا أنني أرى أن ماأثبته هو الصواب، وتتضح صحة ذلك إذا رجعنا إلى تاريخ مولده في الرابع من شهر شوال ١٣٩هـ.

٣ ــ ابن عبدربه: العقد الفريد، (تحقيق: احمد أمين، وغيره، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م) ٤٩٠/٤. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق=

ولأن الأمير هشام كان معروفاً بالتدين لذا فقد كان الفقهاء أقرب الناس إليه[٢]، مما مكنهم من تكوين سلطان عريض في بلاطه، لايقل عن سلطان رجالات الإمارة، سارا طيلة عهده جنباً إلى جنب دونما اصطدام، فنعمت الرعية بعهد سمته العدالة والطمأنينة.

إلا أن هذا الوضع لم يكتب له الاستمرار، فقد تولى الإمـــارة مـــن بعده الأمير الحكم[٣] -١٨٠-٢٠٦هـ (٧٩٦ـ ٨٢٢م) الذي تباينـــت فيه أراء المؤرخين بين مدح وقدح[٤]، إلا أنه بالجملة كان شديد الاعتداد

=عبدالسلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص٩٤. الكامـــل في التاريخ ٣٠٨/٥، البيان المغرب: ٦٥/٢، نهاية الأرب: ٣٥٨/٢٣.

١ – ابن القوطية ص٤٢. ابن حزم، نقط العروس، (تحقيق: د.شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول. م١٣ ج٢ ديســـمبر ١٩٥١م) ص٥٠. البيـــان المغـــرب، ٦١/٢. ذكر بلاد الأندلس ١١٨/١- اعمال الأعلام ١٢/٢.

٢ – البيان المغرب ٦٦/٢، ذكر بلاد الأندلس ١٢٠/١، ١٢٢.

٣ – ولد الأمير الحكم سنة ١٥٤هـ، أمه تدعى زخرف، بويع بالإمارة بعد وفاة والده بليلة، وذلك يوم الخميس لثمان خلون من صفر سنة ١٨٠هـ كان آدم شديد الأدمة، طويلاً اشم، نحيف، لم يخضب، وكان شديد الحزم، ماضي العزم، وذا صولة تتقى ، كما كان حسن التدبير لشؤون إمارته، محباً للعدل. انظر: البيان المغرب ٦٨/٢، ٧٨ ســـير أعلام النبلاء ٢٥٣/٨-٢٦٠.

٤ – العقد الفريد ٤//٤٩٠-٤٩١، نقط العروس ص٧٣، جذوة المقتبس ص١٠، الحلة السيراء ٤٣/١، سير أعلام النبلاء، ٢٥٤/٨.

بنفسه، غير متقبل لمشاركة الأخرين له في سلطانه، سواء الفقهاء أو غيرهم، وبما أن الفقهاء كانوا هم المقربين عند والده، وكان ابنه الحكم بعكسه، لذلك فقد كان الاصطدام بين الطرفين أمراً متوقعاً[١].

وعندما وقع الاصطدام، كان مبدؤه الكلام، ثم تحول إلى التخطيط للعصيان، وأخيراً انتهى إلى السيف، فذهب ضحية ذلك العديد من أعلام قرطبة، بالإضافة إلى مئات من طلبة العلم، وتشريد أهل حي الربض[٢]

---

١ - سالم بن عبدالله الخلف، العلاقات السياسية والثقافية بين الخلافة العباسية والإمارة الأموية بالأندلس، ١٣٨-٣٠٠هـ رسالة ماجستير (لم تطبع)، مقدمة لقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٠هـ. ص٢٨٣-٢٨٤.

٢ - كلمة الربض في معناها اللغوي تعني الضاحية والجمع أرباض. ويقصد بها هنا المنطقة السكنية المستجدة في قرطبة العربية بعد إنشاء القنطرة وترميمها في عهد الأمير هشام الرضا، وتمتد هذه المنطقة إلى ماوراء الضفة الجنوبية لنهر الوادي الكبير حتى بلدة شقندة وامتازت بأنها كانت آهلة بالسكان. انظر: نفح الطيب، ٣٧٩/١. ابن منظور، لسان العرب. (دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م). مادة ربض. د.أحمد العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٣١-٣٣٢. ويذكر الدكتور حسين مؤنس أن هذا الربض قد تم تحويل جزء منه إلى مقبرة عرفت بمقبرة الربض، وقد ظل هذا الربض خالياً من العمران طيلة حكم المسلمين، واليوم يقوم فيه حي من أحياء قرطبة الحالية يعرف باسم: حي الروح القدس **BARRIO DEL ESPIRITU SANTO** وعلى مدخل هذا الحي في مواجهة القنطرة يقوم الحصن المعروف بحصن قلهرة **CASTILLO LA CALAHORRA** أنشيء بعد أيام المسلمين . انظر الحلة السيراء: ٤٤/١ حاشية رقم ١.

بأسره، وإزالته من الوجود، وذلك يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٢٠٢هـ (٢٦ مارس ٨١٨م) ومن هنا أُطلق على الأمير الحكم لقب "الربضي"[١].

وقبل هذه الحادثة بأكثر من عقدين كان الأمير الحكم قد أخمد ثورة أهل طليطلة[٢] سنة ١٨١هـ (٧٩٧) بطريقة مفزعة[٣].

---

١ - عن ثورة الربض واكتساب الأمير الحكم بن هشام لقب "الربضي" بسببها، انظر: جمهرة أنساب العرب. ص٩٦، الكامل في التاريخ ٤١٣/٥-٤١٤، الحلة السيراء: ٤٤-٤٦، البيان المغرب ٧٥/٢-٧٧، سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٨-٢٥٨.

٢ - طليطلة **TOLEDO** معناها باللاتينية: فرح ساكنوها، تقع شمال قرطبة وغرب الثغر الأعلى، كانت قاعدة ملوك القوط ومحل اختيارهم، وقد سقطت طليطلة بأيدي النصارى في منتصف شهر محرم سنة ٤٧٨هـ. ولأنها قاعدة الثغر الأدنى فقد كان سقوطها كارثة على الدولة الإسلامية في الأندلس إذ لم يلبث النصارى أن سيطروا على جميع الأراضي الواقعة جنوباً حتى جبال قرطبة وأطلقوا على هذه المنطقة الجديدة فيما بعد اسم قشتالة الجديدة **CASTILLA LA NUEVA** وللتوسع عن تاريخ طليطلة انظر:

LA DESCRIPTION D'FAL-ANDALUS DA RAZI AL-ANDALUS, VOL,XVIII, 1953, P:81-82.

وسوف أشير إليه فيما بعد بـ"وصف الأندلس للرازي" الروض المعطار، ص٣٩٣-٣٩٥. د.عبدالمجيد نعنعي، الإسلام في طليطلة بيروت، دار النهضة العربية بدون تاريخ.

٣ - عن هذه الحادثة انظر: ابن القوطية ص٤٦-٤٩ البيان المغرب ٦٩/٢-٧٠، سير أعلام النبلاء ٢٥٩/٨-٢٦٠.

هذه الأحداث جعلت الأمير الحكم يعيش أزمة نفسية لازمته سنيه الأخيرة إلى أن توفي يوم الخميس ٢٦ من شهر ذي الحجة سنة ٢٠٦هـ[١] (مايو ٨٢٢م) فتولى الإمارة من بعده ابنه الأمير عبدالرحمن[٢] "الأوسط".

وقد كان الأمير عبدالرحمن قد اعتنى والده بتربيته وتثقيفه عناية فائقة، فنشأ نشأة طيبة، واكتسب ثقافة عالية، واتصف بصفات فريدة أطنب المؤرخون في ذكرها[٣]. ولأنه عندما تولى الإمارة وجد بلاداً موطأة ورعية مؤدبة[٤]، لذا فقد تفرغ لتزيين دولته، منطلقاً في ذلك من رصيد ثقافي يمتلكه، من هنا فقد كانت فترة حكمه فترة متميزة، وساعد على

---

١ - ابن القوطية ص٥٥، ابن الفرضي ١٢/١، الحلة السيراء: ٤٦/١-٤٧، البيان المغرب: ٧٧/٢. ذكر بلاد الأندلس ١٣٣/١.

٢ - ولد الأمير عبدالرحمن بطليطلة في شهر شعبان سنة ١٧٦هـ، أمه تسمى حلاوة، كان وادعاً محمود السيرة، تولى الإمارة ليلة وفاة والده، كان أشم، أقنى، أعين، أسود العينين، طوالاً، فخماً، مسبلاً عظيم اللحية، يخضب بالحناء. انظر: ابن الفرضي ١٢/١-١٣. ابن حيان، المقتبس، تحقيق د.محمود علي مكي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م)، ص ١٧، ٢٢ جذوة المقتبس، ص١٠.

٣ - انظر المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٨٩-٩١. أخبار مجموعة ص ١٣٥، الحلة السيراء ١١٣/١، البيان المغرب ٩١/٢، ذكر بلاد الأندلس ١٣٧/١. ابن سعيد، المغرب في حُلى المغرب، (تحقيق د.شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م)، ٤٥/١.

٤ - ذكر بلاد الأندلس ١٣٩/١.

ذلك التميز أن الفقهاء استعادوا مكانتهم في عهده[1]، فنتج عن هذه الأمور استقرار اجتماعي، الأمر الذي سمح للنشاط الاقتصادي بالنمو والإزدهار، وبذلك حصل تغير ملموس سواء بالنسبة لرسوم الإمارة أو على مستوى الوسط الاجتماعي وذلك بسبب الروافد الثقافية القادمة من المشرق.

وبعد وفاة الأمير عبدالرحمن الأوسط ليلة الخميس ٣ ربيع الآخر سنة ٢٣٨هـ[2] (٢٢ سبتمبر ٨٥٢م) تولى الإمارة من بعده ابنه الأمير محمد[3] الذي أثنت عليه المصادر، ووصفته بأنه كان كاملاً عاقلاً على أخلاق جميلة ومكارم حميدة[4]، محباً للعلوم، مؤثراً لأهل الحديث، حسن

---

١ - سالم الخلف، المرجع السابق ص ٢٩٥-٢٩٧.

٢ - المقتبس، تحقيق د.محمود مكي ص ١٧.

٣ - ولد الأمير محمد في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧هـ، أمه أم ولد اسمها بُهيرِ، تولى الإمارة ليلة وفاة والده، وصف بأنه كان أبيض، مشرباً بحمرة، ربعة، أوقص، وافر اللحية، يخضب بالحناء والكتم، اشتهر بالفصاحة والبلاغة، وكان عظيم الأناة، متنزهاً عن القبيح مؤثراً للحق وأهله. انظر: ابن الفرضي ١٣/١. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص١٠٢، جذوة المقتبس ص١١. البيان المغرب ٢/٩٣-٩٤، ١٠٧.

٤ - البيان المغرب ١٠٧/٢.

السيرة[١]، امتاز بالذكاء والفطنة[٢]، ذا دراية بالأمور وبصيرة بوجوه الرأي[٣].

وقد تأثرت دولته بوجود رجلين إداريين في وقتين مختلفين، ففي النصف الأول من عهده امتازت إدارته بالانضباط والحزم، وذلك لوجود حاجب رشيد هو عيسى بن شهيد[٤] الذي كان على مستوى كبير من الكفاءة وحتى بعد وفاته سنة ٢٤٣هـ (٨٥٧م) لم يختل نظام الإدارة إذ خلفه على منصبه عيسى بن الحسن ابن أبي عبدة[٥]، لأنه كان لايقل عن

---

١ - جذوة المقتبس ص ١١.

٢ - الكامل في التاريخ ٣٤٩/٦.

٣ - المقتبس تحقيق: د. محمود مكي ص ١٣٤.

٤ - عيسى بن شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح، أحد أعيان الموالي في الدولة الأموية، اشتهر بالحلم والوقار والحصافة والعلم والمعرفة والجزالة، حتى أن شيوخ الأندلس اتفقت كلمتهم على أنه ماخدم بني أمية في الأندلس أكرم منه، استعمله الأمير عبدالرحمن الأوسط في عدة خطط إلى أن ولاه الحجابة سنة ٢١٨هـ، وظل في منصبه إلى وفاته سنة ٢٤٣هـ. انظر: ابن القوطية، ص٧٤-٧٥، المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٢٦-٣٠، المغرب في حُلى المغرب ٥٠/١، البيان المغرب ٨٤/٢.

٥ - عيسى بن أبي عبده، ينتمي لأسرة من أكبر أسر موالي بني أمية في الأندلس، عُرف عيسى بالرثاثة وعدم الرشاقة في الخدمة، تغلب عليه غفلة السلامة، إلا أنه كان مشهوداً له بالدقة في التدبير وجودة الرأي، تولى الحجابة بعد ابن شهيد، وكانت العلاقة بينه وبين الوزير هاشم بن عبدالعزيز سيئة. انظر: المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص ١٥٢-١٥٥.

سلفه كفاءة ومروءة، ولكن الوضع تغير كلية بعد أنه أصبح الوزير هاشم بن عبدالعزيز[1] هو الغالب على الأمير محمد المدبر لدولته، فقد أفسد على الأمير منهجه "بشرهه وصلفه، وحمله على غير المنهج من محمود طرقـه، وعدل عن اختيار ثقات العمال من الشيوخ والكهـول وأولي السـوابق والأصول إلى الأحداث واللاحقين من أولي الشره والخيانة ودناءة الأصول والبراءة من عهدة الحياء والمروءة[2]" فكانت النتيجة فساد الحال وانخفاض دخل الدولة بسبب سوء سيرة الولاة، وتبدل نفـوس القـائمين علـى الأعمال، فكان ذلك مدعاة لرفض الرعية لهذا الوضع، الأمر الذي ترتب عليه اندلاع الفتن في الداخل، وكثرت التهديدات من الخارج، فعاشـت

---

١ - أبو خالد هاشم بن عبدالعزيز بن هاشم بن خالد، أصله من موالي أمـير المـؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولأسرة هاشم مكانة مرموقة بإلبيرة، كان هاشم خاصاً بالأمير محمد بن عبدالرحمن، فعظمت مترلته لديه، وصيره أخص وزرائه، عرف بالبـأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة، لكنه بالمقابل كـان تياهاً، معجبا بنفسه، مما أحقد عليه القلوب، استحجبه الأمير المنذر بن محمـد ثم نكبـه وحبس أكابر أولاده، ومات هاشم مقتولاً في لية الأحد ٢٦ شوال سنة ٢٧٣هـ. انظر: ابـن القوطيـة، ص٨٢، ٨٤-٨٦ ، ٨٩-٩٠، ٩٢-٩٣، ٩٧-٩٨، ١٠٢-١٠٣، المقتبس تحقيق: د. محمود مكي ص ١٥٩-١٦٠ والتعليق رقم ٣٣٠. جذوة المقتـبس، ترجمة رقم ٨٦٤. الحلة السيراء ١/١٣٧-١٤٢، المغرب في حلى المغـرب ١/٥٣،٥٢، ٩٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٢، ١٥٣، ٢/ ٢٢، ٩٤-٩٥.

٢ - المقتبس: تحقيق د.محمود مكي، ص ١٣١.

الدولة أياماً عصيبة "حتى خُرقت الهيبة وزال صدر الحرمة[١]" ومـــاتوفي الأمير محمد حتى كانت الفتنة مستعرة في معظم أرجاء الأندلس[٢].

ولعل أشـــد حركـــة واجهـــت الأمـــير محمـــد هـــي حركـــة عمـــر بـــن حفصـــون[٣]، ويكفـــي للدلالـــة علـــى ذلـــك أنهـــا

١ - المغرب في حلى المغرب، ٥٣/١.

٢ - المقتبس تحقيق: د.محمود مكي، ص١٣٢.

٣ - عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شيتم بن دميان بن فرغلوش بن إذفـــونش، من مسالمة الذمة من كورة تاكرنا من عمل رنده، هرب من الأندلس ، ونزل بمدينـــة تاهرت بالمغرب الأوسط، ومارس مهنة الخياطة هناك عند أحد المولـــدين، ثم عـــاد إلى مسقط رأسه وجمع حوله عدداً كبير من المولدين وأعلن تمرده ببشتر ســـنة ٢٦٧هـــ واستمر في تمرده حتى هلك سنة ٣٠٥هـــ. انظر: ابـــن القوطيـــة ص٩٠-٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١١١-١١٥. ابن حيان: المقتبس (طبعة ملشورم انطونيه، باريس ١٩٣٧)، ص ٥٠-٥٤، ٨٢-٨٤، ٨٩-٩٤، ٩٦-١٠٩ وغيرها. ابن حيان، المقتبس، الجزء الخامس، (نشر: بدرو شالميتا وغيره، مدريد، المعهد الأســـباني العـــربي للثقافـــة، ١٩٧٩م)، ص٦٣-٦٤، ٦٦-٦٨، ٧٢، ٩٣، ١١٢-١١٦، ١٣٠-١٣٣، ١٣٨-١٤٢، البيان المغرب ١٠٤/٢، ١٧١.ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (تحقيق: محمد عبدالله عنان القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٩٣-١٣٩٧هـــ (١٩٧٣-١٩٧٦م)) ٣٨/٤-٤٢.

استمرت إلى أوائل القرن الرابع الهجري[1] (العاشر الميلادي).

وبعد وفاة الأمير محمد عقب صلاة عصر يوم الخميس ٢٨ صفر ٢٧٣هـ[2] (٤ أغسطس ٨٨٦م) تولى الإمارة ابنه الأمير المنذر[3]، فتصدى لتلك الفتن بكل كفاءة واقتدار، إلا أنه لم يتمكن من إخمادها بسبب وفاته، إذ أن مدة إمارته لم تتجاوز سنتين، وفي هذا يقول ابن عذاري فيما يرويه عن بعض الشيوخ " أنه لو عاش المنذر عاماً واحداً

---

١ - عن هذه الثورة، انظر: د. محمد عيسى الحريري، ثورة عمر بن حفصون زعيم المولدين في الجنوب الأندلسي (دار الكتاب الجامعي القاهرة ط الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) وللأستاذ حسين مؤنس تعليق طريف لاستمرارية ثورة ابن حفصون وعجز جيوش الإمارة عن سحقها. انظر د.حسين مؤنس: رحلة الأندلس حديث الفردوس المفقود (القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط الأولى ١٩٦٣م) ص٢٤٩.

٢ - ابن الفرضي ١٣/١.

٣ - ولد الأمير المنذر سنة ٢٢٩هـ أمه أم ولد تسمى أثل، تولى الإمارة يوم الأحد ٩ ربيع الول سنة ٢٧٣هـ كان أسمر، جعد الشعر، بوجهه أثر جدري، يخضب بالحناء والكتم، شجاعاً: صارماً، ذا عزم وحزم. انظر: ابن الفرضي ١٣/١-١٤ جذوة المقتبس ص١١ البيان المغرب ١١٣/٢-١٢٠،١١٤.

زائداً لم يبق برية[١] منافق[٢]" وذلك لشجاعته وحزمه وفي يوم السبت ١٥ من شهر صفر سنة ٢٧٥هـ[٣] (٣٠يونيو ٨٨٨م) توفي الأمير المنذر وهو محاصر لقلعة ابن حفصون ببشتر[٤]. فتولى الإمارة من بعده أخوه

---

١ - رية: إقليم في جنوب شرق الأندلس عاصمته مالقة، وكلمة رية مأخوذة من اللاتينية **REGIO** أي الملكية، أو هي تعني عند القوط: سلطانة، فهي سلطانة البلاد، اشتهرت بخيراتها الزراعية الوفية، بالذات أشجار الموز والتين، كانت منزلاً لجند الأردن عندما تم توزيع الجند الشاميين. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق رقم ٤٥، الحلة السيراء ١/٦١-٦٢،حاشية رقم ١، المغرب في حلى المغرب ١/٤٢٣، **ARABICO-ESPANOLOL: P.48.**

٢ - البيان المغرب ٢/١٢٠.

٣ - ابن الفرضي ١/١٤.

٤ - ببشتر **BOBASTRO** حصن يقع جنوبي قرطبة على مسافة ثمانين ميلا، وصف بأن الأبصار تزل عنه فكيف بالأقدام، بني على صخرة صماء منقطعة لها بابان، ويتوصل إلى أعلاها من شعب يسلكه الداخل الخفيف، وطريقه عند الطلوع والهبوط على النهر، وأعلى الصخرة سهلة مربعة غزية المياه ولهذا الحصن قرى كثيرة وحصون، وماحوله كثير المياه والأشجار، انظر: الروض المعطار ص٧٩. هذا وقد خلط بعض المؤرخين بين ببشتر وبربشتر . انظر: البيان المغرب ٢/١١٧. وبربشتر تقع في منطقة الثغر الأعلى. انظر: الروض المعطار ص٩٠-٩١.

الأمير عبدالله[١]، وهذه حالة فريدة في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس، إذ أن نظام الحكم فيها وراثي محدد في الولد بعد أبيه[٢].

وقد تباينت الآراء في الأمير عبدالله بين ذم وثناء[٣]، واتُهم بقتل أخيه الأمير المنذر[٤]، وعندما تولى الإمارة كانت الفتن مندلعة في كافة أرجاء الأندلس[٥]، حتى أن قصر الإمارة في قرطبة لم يعد بمنأى عنها[٦]، وأصبحت الإمارة الأموية تكتفي في أكثر أيام الأمير عبدالله بأخذ مقدار

---

١ - ولد الأمير عبدالله في النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩هـ، أمه أم ولد تسمى بهار أو عشار، كان بصيراً بلغة العرب، فصيح اللسان. حسن البيان، حافظاً لأشعار العرب محباً للعلم وأهله، وصف بأنه كان أبيض أصهب، مشرباً بحمرة، أزرق، أقنى، يخضب بالسواد، ربعة إلى الطول، عظيم الكراديس. انظر، ابن الفرضي ١/١٤، جذوة المقتبس ص١٢، البيان المغرب ٢/١٢٠-١٢١، ١٥١.

٢ - ذكر ابن حزم أن الأمير الحكم الربضي كان قد جعل الأمر من بعده لولديه عبدالرحمن ومن ثم المغيرة، لكن عبدالرحمن خلع أخاه. انظر: جمهرة أنساب العرب ص٩٨.

٣ - انظر: العقد الفريد ٤/٤٩٧، المقتبس، طبعة: انطونيه ص ٣٣-٤١، البيان المغرب ٢/١٥٢-١٥٣. أعمال الأعلام ٢/٢٦.

٤ - عن هذه المسألة انظر: د.محمد إبراهيم أبا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ٢٧٥-٣٠٠، (الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز ١٤١٦هـ/١٩٩٥) ص٧٩-٨٢ ومصادره.

٥ - المقتبس، طبعة انطونية ص٩-٣٢.

٦ - المصدر السابق ص١٠٢،٩٣،٩٢. أخبار مجموعة ص١٥١، الإحاطة ٤/٤٠-٤١.

من المال من بعض أهل الطموح، ليعتبر ذلك إعلاناً للتبعية[١]، وهـذا في الوقت الذي كانت فيه سلطة الأمير الحقيقية لاتتجاوز قرطبـة وقراهـا المجاورة، وهي السمة الغالبة على أكثر سني حكمه.

ورغم أن الأمير لم يفقد رباطة جأشه أمام تلك الشدائد[٢]، إلا أنه بالمقابل كان يشعر بإحباط داخلي فقد معه الثقة بالأخرين، الأمر الـذي نتج عنه قتله لاثنين من إخوته، ومثلهما من أبنائه، وظل طيلة سني حكمه في صراع مع ثوار الأندلس حتى وفاته ليلة الخميس الأول من شهر ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ[٣] (١٦ أكتوبر ٩١٢م).

هذا هو عصر الإمارة الذي امتد أكثر من قرن ونصف القرن تعاقب خلال تلك الحقبة على الحكم سبعة أمراء، وإذا كان الإمير عبدالرحمن بن معاوية قد استغرق فترة حمكه في مواجهات مستمرة مع مناوئيه، فإن تلك الفترة تعتبر فترة تأسيس للدولة وترسيخ لقواعدها، ووضع أسسها العامة إدارياً وعسكرياً، والتي كفل الأخذ بها -بعون الله تعالى- استمرارية حكم

---

١ - أخبار مجموعة ص ١٥١-١٥٢.

٢ - د. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (القاهرة، دار مطابع المستقبل، ١٩٨٠م)، ص ٣٠٤-٣٠٥.

٣ - ابن الفرضي ١/١٤ نقط العروس ص ٧٨-٧٩. المقتبس ، طبعة أنطونية ص ٥٠-١٤٧ د.محمد إبراهيم أبا الخيل، المرجع السابق،ص١٠٥-٣٠٩.

الأمويين في الأندلس مدة تزيد على ثلاثة أضعاف ماعاشته دولة أسلافهم في المشرق.

كما تُعد فترة حكم الأمير عبدالرحمن الأوسط مرحلة قطف الثمرة التي غرس شجرتها وحفها بعناية من سبقه من آبائه.

وأما مايخص الصراع الذي شهده عصر الإمارة فيمكن تقسيمه إلى قسمين، جرى كل قسم منهما في مدة زمنية معينة منفصلة عن الأخرى.

فالقسم الأول من الصراع الذي جرى في النصف الأول من ذلك العصر، كان صراعاً بين أفراد البيت الأموي، وذلك من أجل الوصول إلى السلطة.

وعندما اختفى هذا النمط من الصراع، ظهر في النصف الثاني من عصر الإمارة صراع من نوع آخر، يتمثل في حركات وفتن متعددة، اندلعت في أرجاء البلاد، كان معظمها ذا طبيعة شعوبية أو عنصرية، وإذا كان بعض قادتها قد اكتفوا بالدفاع عن مكتسباتهم فقط، فإن بعضهم الآخر لم يتوقف عند هذا الحد، فقد أخذ يهاجم قرطبة عاصمة الإمارة.

وهناك حركات مناوئة قادها العرب، أرادوا من خلالها الإعلان عن وجودهم القوي في المجتمع الأندلسي،

وأنه ليس بإمكان الإمارة الأموية أن تتجاهلهم، وذلك مثل بني الحجاج(١) في إشبيلية(٢).

هذه الحركات هزت أركان الإمارة الأموية، وتركت آثارها على المستوى العام للأندلس، وربما لانبعد عن الصواب عندما نقول إنها كانت أمراً متوقعاً، وذلك نتيجة للتفاعلات الحضارية والثقافية الواردة إلى

---

١ - عن ثورة بني الحجاج في اشبيليه والتي اندلعت في عهد الأمير عبدالله بن محمد واستمرت حتى تمكن الأمير عبدالرحمن بن محمد من القضاء عليها وإخضاع إشبيلية لقرطبة، وذلك يوم الإثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٣٠٥هـ. انظر: المقتبس، طبعة: أنطونية، ص ٦٧-٨٥، ١١٠-١١٤، المقتبس طبعة: بدروشالميتا ص٦٩-٧٩. د. حمدي عبدالمنعم حسين، التاريخ السياسي لمدينة إشبيليه في العصر الأموي (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م) ص٦١-١١٣. أبا الخيل، المرجع السابق، ص٢٢٧-٢٥٩ ومصادره.

٢ - إشبيليه **sevilla** مدينة قديمة، أصل تسميتها "إشبالي" معناه المدينة المنبسطة وأما إسم إشبيلية فقد أطلق عليها فيما بعد وتعني التنجيم، وبالقرب من إشبيلية يوجد جبل الشرف الشهير بأشجار الزيتون وقد خرجت إشبيليه من أيدي المسلمين في شهر شعبان سنة ٦٤٦هـ. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص٩٢، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص١٠٧ـ ١١٩. ابن غالب، فرحة الأنفس في أخبار الأندلس، (نشر قطعة منه د. لطفي عبدالبديع تحت عنوان "تعليق منتقى من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس" القاهرة مجلة معهد المخطوطات العدد الأول القسم الثاني ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ص ٢٩٢-٢٩٣، الروض المعطار ص٥٨-٦٠ د.حمدي عبدالمنعم، التاريخ السياسي لمدينة اشبيلية ص٧-٢٦.

الأندلس من أقطار شتى، بالإضافة إلى التنافس الاجتماعي القوي بين أفراد المجتمع الأندلسي، كل هذا نتج عنه أفكار ورؤى وتطلعات تجسدت في حركات مناوئة. الغرض منها إثبات الذات لزعماء تم تجاهلهم، وإحداث تغيير يلبي مصالح المجتمع، ويلغي استئثار فئة معينة من فئات المجتمع بأوضاع تميزهم عن البقية دون وجه حق.

لأجل ذلك فإن إطلاق مصطلح "عصر دويلات الطوائف الأولى[1]" على النصف الثاني من عصر الإمارة، والذي يشغل تقريباً فترة النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) هو تعبير مختصر عن وضع كانت البلاد تعيشه طيلة تلك الفترة .

أما عصر الخلافة الذي استمر مائة وست سنوات، فيمكن تقسيمه إلى ثلاث مراحل، الأولى منها هي مرحلة عصر قوة الخلافة، وهو العصر الذي كان الخليفة فيه متمتع بكافة المؤهلات التي تمكنه ليس فقط من إصدار القرارات، بل مع ضمان سرعة تنفيذها. وهذه المرحلة لم يكتب لها البقاء طويلاً، إذ أن عمرها لايتجاوز نصف قرن، وذلك إذا جعلنا تاريخها يبدأ من إعلان الأمير عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله[2] نفسه خليفة في

---

١ - في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٦٦.

٢ - ولد الأمير عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد يوم الخميس منتصف شهر رمضان ٢٧٧هـ أمه أم ولد تسمى مزنة، قتل والده بعد ولادته بأحد وعشرين يوماً، فتربى عند جده الأمير عبدالله، وليلة وفاته تولى الإمارة عبدالرحمن بن محمد، كان=

الأندلس، وذلك يوم الخميس مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦هـ[1] (١٥يناير ٩٢٩م).

وكانت الإمارة الأموية في الأندلس في مطلع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) لاتسيطر إلا على قرطبة وقراها، فتمكن الخليفة عبدالرحمن بن محمد الشهير بالناصر من بسط نفوذه على المدن التي خرجت عن نطاق سيطرة قرطبة، وكان يعتمد على المركزية المطلقة في الحكم، شديد التمسك بها[2]، حتى أنه كان يناقشها مع بعض الوفود الدبلوماسية التي تقدم إلى قرطبة لزيارته[3]، ولكنه مع كل هذا كان يجيد التعامل مع أنصاره ومناوئيه على السواء، فقد امتاز بالوفاء بالعهد، وإكرام من أتاه طائعاً، الأمر الذي ساعده كثيراً في السيطرة على البلاد[4].

=شهماً صارماً أخمد الله على يديه نيران الفتن المستعرة في أرجاء الأندلس، ودخل الناس في طاعته، كان أبيض ربعة، أشهل، حسن الجسم، جميلاً، يخضب بالسواد. انظر: ابن الفرضي ١/١٤-١٥، البيان المغرب ٢/١٥٦-١٥٧، ٢١٣-٢٣٤.

١ - المقتبس، طبعة بدروشالميتا، ص٢٤١-٢٤٢، البيان المغرب ٢/١٩٨-١٩٩.

٢ - ستانلي لين بول، العرب في أسبانيا (ترجمة: علي الجارم، القاهرة، دار المعارف ١٩٤٧م)، ص٩٩.

٣ - محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس: ١/٢/٤١٧.

٤ - المغرب في حُلى المغرب، ١/١٨٢-١٨٥. عندما تطرق ليفي بروفنسال لذكر عبدالرحمن الناصر وصفه بقلة الورع، وأنه صاحب تقوى ظاهرية، وأن خوفه من الفقهاء هو الذي حال بينه وبين تولية منصب قضاء الجماعة لأي شخصية من أصل أندلسي،=

كما عُرف عن الخليفة عبدالرحمن الناصر حزمه ويقظته وعدم خلوده للراحة، ومما يدل على ذلك، أنه بالرغم من استمرار حكمه مدة خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام، إلا أنه عندما أخذ يعد الأيام التي صفى له سرورها من هذه المدة الطويلة، لم يجد إلا أربعة عشر يوماً فقط[1].

وبعد حياة حافلة بالمنجزات الهائلة توفي الخليفة عبدالرحمن الناصر وذلك يوم الأربعاء ٣ رمضان سنة ٣٥٠هـ[2] (١٦ أكتوبر ٩٦١م) فتولى الخلافة من بعده ابنه الحكم المستنصر بالله[3]، وذلك يوم الخميس ٤

=وذلك لشدة تسامحه مع اليهود والنصارى الذي لم يشعر تجاههم بأي تعصب، كما كان عصره فترة ازدهار لهم. انظر: L.PROVENCAL: HISTOIRE DE L'ESPAGNE MUSLMANE . 3.VOLS. PARIS 1950, T,11,P:3. هذه نظرة مؤرخ معادٍ للإسلام وأهله ولذا فليس من المستغرب أن يأتي منه أكثر من هذا.

١ - البيان المغرب ١٦٨/٢.

٢ - ابن الفرضي ١٤/١.

٣ - ولد الخليفة الحكم المستنصر بالله يوم الجمعة عند صلاتها. غرة رجب سنة ٣٠٢هـ. أمه أم ولد إسمها مرجانه، وصف بأنه كان أبيض مشرباً بحمرة، أعين، أقنى، جهير الصوت، قصير الساقين، ضخم الجسم، غليظ العنق، عظيم السواعد أفقم. انظر: ابن الفرضي ١٥/١، المقتبس، طبعة بدرو شالميتا، ص١٠١-١٠٢، البيان المغرب، ٢٣٣/٢، سير أعلام النبلاء، ٢٣٠/١٦-٢٣١.

رمضان[١] (١٧ أكتوبر)، وقد كان الخليفة الحكم معروفاً بحسن السيرة[٢] والفضل والعدل[٣]، رفيقاً بالرعية[٤]، من أهل الدين والعلم، إماماً في معرفة الأنساب، حافظاً للتواريخ، مميزاً للرجال[٥]، مكرماً للقادمين عليه من العلماء، جماعة للكتب، آثر العلم على لذات الملوك[٦]. وعندما استلم الحكم المستنصر بالله الخلافة كان لديه رصيد هائل من التجربة التي اكتسبها من طول ملازمته لوالده، ويبدو أنه كان متأثراً به لدرجة أن الناس لم يعدموا من عبدالرحمن الناصر إلا شخصه، أما ماعدا ذلك فكأنه كان موجوداً بينهم[٧]، وذلك إذا استثنينا عدم اتباع الخليفة الحكم المستنصر بالله للمركزية المطلقة في إدارة الدولة، فقد

---

١ – ابن الفرضي ١/١٥.
٢ – جذوة المقتبس ص ١٣.
٣ – الحلة السيراء ١/٢٠٠.
٤ – جمهرة أنساب العرب ص١٠٠.
٥ – أعمال الأعلام ٢/٤١.
٦ – نفح الطيب ١/٣٩٥.
٧ – المصدر السابق ١/٣٨٢.

كان حاجبه جعفر بن عثمان المصحفي[1] هو القائم بتدبير الأمور الموكل إليه تصريفها[2].

وقد كان الخليفة المستنصر بالله شديد الاهتمام برعيته، مراقباً الله تعالى فيهم، فوظف الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي الذي كانت تعيشه دولته، فيما يعود بالمنفعة على الرعية، وتفرغ هو لطلب

---

١ - جعفر بن عثمان بن نصر بن عبدالله القيسي المصحفي، من برابر بلنسية، كان والده مؤدباً للحكم بن عبدالرحمن الناصر، فلما توفي عثمان سنة ٣٢٧هـ قرب الحكم إليه جعفراً المصحفي، وجعله كاتباً عنده، وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تقلب جعفر في عدة مناصب، وبعد أن تولى الحكم الخلافة استوزر جعفراً وولاه كتابته الخاصة بالإضافة إلى الشرطة وخدمة ابنه الأمير هشام، وظل جعفر موضع ثقة الخليفة الحكم وأقرب الناس إليه طيلة عهده، ثم تولى الحجابة لهشام المؤيد، إلا أن المنصور ابن أبي عامر تسلط عليه فحاكمه وصادره وأهانه وسجنه بالمطبق حتى هلك سنة ٣٧٢هـ. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٩٨، جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٣٥٣، ابن بسام، الذخيرة، (تحقيق: د. احسان عباس، ليبيا -تونس، الدار العربية للكتب، ١٣٩٩-١٩٧٩م)، ق٤ م١ ص٥٨-٧٠. الفتح بن خاقان، مطمح النفس، (تحقيق: محمد علي شوابكه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص١٥٣-١٦٦. الحلة السيراء ١/٢٥٧-٢٦٧، البيان المغرب ٢/٢٦٠-٢٧٢.

٢ - البيان المغرب ٢/٢٥١.

العلم ومجالسة العلماء[١]، وبذل بلا حدود في سبيل اقتناء الكتب، حتى تجمعت لديه مكتبة قل نظيرها[٢].

وعندما شعر الخليفة الحكم، المستنصر بالله، بالضعف في بدنه، سارع إلى أخذ البيعة بولاية العهد من بعده لابنه هشام[٣]، وذلك في يوم السبت مستهل جمادى الآخرة سنة ٣٦٥هـ[٤] (٥ فبراير ٩٧٦م).

---

١ - الحلة السيراء ٢٠١/١.

٢ - جمهرة أنساب العرب ص ١٠٠ ، الحلة السيراء ٢٠٤/١-٢٠٧.

٣ - ولد هشام يوم الأحد ٨ من شهر جمادى الآخرة سنة ٣٥٤هـ، أمه تدعى صبح البشكنسيه بويع بالخلافة صبيحة يوم الاثنين الرابع من شهر صفر سنة ٣٦٦هـ، كان أبيض أشهل، أعين خفيف العارضين لحيته إلى الحمرة، حسن الجسم قصير الساقين، مائل إلى العبادة والانقباض، مغفّل يصدق تراهات الخبثاء. انظر: ابن الفرضي ١٥/١، البيان المغرب ٢٤٩/٢، ٢٥٣، أعمال الأعلام ٤٨/٢، ٥٨، ذكر بلاد الأندلس ١٧٣/١-١٧٤.

٤ - البيان المغرب ٢٤٩/٢. لقد وقع الخليفة الحكم المستنصر بالله في خطأ ترك أثاره على الأندلس والوجود الإسلامي هناك، فبالرغم من الصفات الحسنة التي اشتهر بها ذلك الخليفة، إلا أنه أسند ولاية العهد من بعده لابنه الذي لم يبلغ الحلم، كل هذا وقوعاً منه تحت تأثير العاطفة وحبه لولده وأم ولده وتحسين بطانته له هذا الفعل الشنيع لأن تلك البطانة السيئة لم تنظر أبداً إلا لمصلحتها هي فقط، ولعل جعفر المصحفي كان له أكبر الأثر في هذا الأمر، فمنذ أن شاع الخبر بأن صبحاً البشكنسية زوجة الخليفة الحكم، حبلى بادر جعفر فألقى قصيدة بين يدي الخليفة يهنئه فيها بهذا الخبر السعيد، وبما أن

وأما المرحلة الثانية من مراحل عصر الخلافة، فهي التي سيطر فيها العامريون على الخلافة، فبعد أن توفي الخليفة الحكم ليلة الأحد لثلاث خلون من شهر صفر سنة ٣٦٦هـ[1] (الأول من أكتوبر ٩٧٧م) حرص مجلس

الخليفة قد عرف عنه كلفه الشديد بالولد لأنه لم يرزق بمولود رغم تقدمه بالسن، لذا فقد استغل المصحفي هذا الأمر، وبادر إلى ترشيح ذلك الجنين بولاية العهد ومن ثم الخلافة، ومما جاء في تلك القصيدة قوله:

هنيئاً للأنام وللإمام ... كريم يستفيد على كرام

مرجى للخلافة وهو ... ماء مأمول لآمال عظام

وما إن وضعت صبح مولودها، حتى بادر هذا الحاجب الوصولي فارتجل قصيدة هذه المناسبة بين يدي الخليفة الذي أعياه طول الانتظار لإطلالة هذا المولود على الدنيا ومما جاء في تلك القصيدة:

إطلع البدر من حجابه ... واطرد السيف من قرابه

وجاءنا وارث المعالي ... ليثبت الملك في نصابه

والمصحفي في قصيدته الثانية يؤكد ما أملاه على سيده في قصيدته الأولى كل هذا بأسلوب نفسي بارع جعل الخليفة يقع تحت تأثيره: انظر: البيان المغرب ٢/٢٣٧. الذخيرة، ق٤م١ ص ٥٣. د.عبدالسلام الهراس: الأندلس بين الاختبار والاعتبار، محاولة لدراسة ضياع الأندلس وسقوطها من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، (من بحوث ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، المنعقدة في الرياض من ١٥-١٩ جمادي الأولى ١٤١٤هـ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض)ص ١١-١٢.

١ - الذخيرة ق٤ م١ ص٥٨-٥٩.

الوصاية المكوَّن من الحاجب جعفر المصحفي وغالب بن عبدالرحمن الناصري[١] ومحمد بن عبدالله بن أبي عامر[٢]

---

١ - هو القائد الأعلى أبو عثمان غالب بن عبدالرحمن الناصري، شيخ موالي الأندلس قاطبة، وفارس الأندلس في عهده، تولى القيادة العليا للجيوش الأندلسية، ولقب لوحده بذي السيفين، استعان به ابن أبي عامر للتخلص من جعفر المصحفي، ثم انقلب عليه، فجرى الصدام العسكري بينهما، وقد مات غالب فجأة يوم السبت الرابع من شهر محرم سنة ٣٧١هـ وعمره نحو ثمانين عاماً. انظر: نقط العروس، ص٨١-٨٢، المقتبس: (تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م)، ص٦٩، ١٠٢، ١٠٨-١٠٩، ١٢٦، ١٣٠-١٣٦، ١٤٥-١٤٦، ١٧٤-١٨٢، ١٩٤-٢٠٠، ٢١٩-٢٢٣، البيان المغرب: ٢/٢٢١، ٢٤٠، ٢٤١-٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٥-٢٦٧، ٢٦٨-٢٩٦، أعمال الأعلام ٢/٦١-٦٥.

٢ - محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عامر بن أبي عامر المعافري، أصله من الجزيرة الخضراء، قدم قرطبة شاباً، فبرع في طلب العلم، ثم اتصل بصبح البشكنسيه زوجة الخليفة الحكم، فنصبته لخدمتها وخدمة ابنها عبدالرحمن، فلما توفي تولى ابن أبي عامر خدمة الأمير هشام، ومن ثم تولى عدة مناصب إدارية في عهد الخليفة الحكم المستنصر، انظر : جذوة المقتبس، ترجمة رقم ١٢١، مطمح الأنفس ص٣٨٨-٣٩٧، الذخيرة ق٤ م١ ص٥٦-٧٨، الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، (نشر: فرانسيسكو كوديرا، وخليان ريبيرا، مدريد، مطبعة روخس، ١٨٨٤م)، ترجمة رقم ٢٤٢. الحلة السيراء ١/٢٦٨-٢٧٧. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، (نشر: فرانسيسكو كوديرا، مدريد، مطبعة روخس، ١٨٨٧م)، رقم ١٩١٤م.

بالإضافة إلى صبح والدة هشام[١]، على تنفيذ وصية الخليفة بتولية ابنه هشام من بعده[٢] فتم لهم ذلك.

وقد وقع الخليفة الصبي تحت سيطرة ابن أبي عامر، الذي أصبح أمر الدولة بيده، وذلك بعد أن تجاوز كافة الموانع المادية والأخلاقية التي كانت تحول بينه وبين هدفه، وبذلك قوي أمره، ولم يعد للخليفة أي سلطان.

وقد أثار تسلط ابن أبي عامر على الخليفة سخط الأمويين، فدبر عبدالرحمن بن عبيدالله بن عبدالرحمن الناصر ٣٦٧هـ[٣] (٩٧٧م) محاولة انقلابية للتخلص من ابن أبي عامر وإقصاء هشام عن الخلافة، ودبر الأمر مع عبدالرحمن بعض وجهاء المجتمع الأندلسي وبايعوه بالخلافة، منهم عبدالملك بن منذر بن سعيد البلوطي[٤]، صاحب خطة

---

١ - صبح أو صبيحة، ترجمة لكلمة **Aurora** ومعناها الفجر أو الصباح الباكر، كان الخليفة الحكم المستنصر بالله يسميها جعفر، وكانت مغنية حظية عنده، توفيت في حياة ابنها هشام المؤيد. أنظر البيان المغرب ٢/٢٥٣.

٢ - المصدر السابق ٢/٢٤٩، ٢٦٠-٢٦٢.

٣ - الحلة السيراء ١/٢٨٠.

٤ - أبو مروان عبدالملك بن منذر بن سعيد البلوطي، ولد سنة ٣٢٨هـ، سمع من أبيه وغيره، وكان عبدالملك متهماً بالاعتزال، تولى خطة الرد أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله، الذي كان كثيراً مايبعث به أميناً ليتعرف على أحوال الناس في الكوروسير=

الرد[1]، وزياد بن أفلح[2]، صاحب المدينة، إلا أن المؤامرة فشلت، فقتُل عبدالرحمن بن عبيدالله، كما صُلب عبدالملك بن منذر على باب السدة[3]، وذلك يوم الخميس للنصف من جمادي الآخرة سنة ٣٦٨هـ[4] (يناير ٩٧٩).

=عمالهم فيهم. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٢٣، ابن حزم، طوق الحمامة، (تحقيق: حسن صيرفي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبر، بدون تاريخ)، ص٤٥، المقتبس، تحقيق د.عبدالرحمن الحجي ص١٠٤،١٠٠.

١ – طوق الحمامة، ص٤٥.

٢ – زياد بن أفلح، أحد زعماء الصقالبة، ومن وزراء العامريين وكبار رجالهم، كان يلي المدينة، وقد اشترك في المخطط الانقلابي، إلا أنه عندما أدرك فشل المحاولة انقلب على أصحابه مخافة افتضاح أمره، وهو الذي أيد صلب عبدالملك بن منذر وقد توفي زياد سنة ٣٦٨هـ دون أن يُكشف أمره، إذ أعانه أحمد بن محمد بن عروس على ذلك. انظر: الحلة السيراء ١/٢٧٨-٢٨٠، والحاشية رقم ٢.

٣ – باب السدة: هو الباب الرئيسي لقصر الحكم بقرطبة، يقع على مقربة من الرصيف، ويعلوه السطح المشرف، وسوف نتعرف فيما بعد على أهمية هذا الباب. وعنه انظر: قرطبة حاضرة الخلافة ١/١٩١-١٩٢.

Balbas: Bub Al Sudda y los Zudas de la Expana oviental Al Andalus Fasc. 1,2, vol, xvll, 1952, p: 165-175.

٤ – ابن الفرضي ترجمة رقم ٨٢٣، طوق الحمامة، ص٤٥، الحلة السيراء ١/٢٧٨ حاشية رقم ٢.

ومنذ تلك المحاولة الانقلابية الفاشلة شعر ابن أبي عـــامر بخطـــورة الأمويين عليه، فاستخدم معهم أسلوباً قاسياً، لشل حركتهم، وجعلـــهم دائماً تحت رقابته، فقد بث عليهم العيون، وفرض عليهم الإقامة الجبرية في منازلهم، لا يغادرونها إلا لضرورة قصوى، كما منع الزيارات عنهم إلا لمن يأذن فيه من غلام أو وكيل أو معلم أو طبيب، وفوق كل ذلـــك كـــان يصطحبهم معه أثناء خروجه للغزوات، حتى ذلوا وانكسرت نفوســـهم واشتغل كل منهم بأمره[١].

وإمعاناً من ابن أبي عامر في الاحتياط لنفســـه، ولشـــدة إعجابـــه بالخليفة عبدالرحمن الناصر وحرصاً منه على التشـــبه بـــه، ابتـــدأ ســـنة ٣٦٨هـــ (٩٧٩م) ببناء مدينة الزاهره[٢]، وبعد اكتمالها انتقـــل إليهـــا واستوطنها ونقل إليها كافة دواوين الدولة[٣]، وأمر كل من له حاجة أن يأتي إلى مدينته بدلاً من قصر الخليفة وأصبح هو الآمر الناهي، بعـــد أن

---

١ - أعمال الأعلام ٢/٧٦-٧٧.

٢ - مدينة الزاهرة **Azzahira** تقع شمال شرق قرطبة، مقابلة لمدينة الزهراء التي بناهـــا الخليفة عبدالرحمن الناصر شمال غرب قرطبة، ورغم اهتمام المنصور بمدينة الزهراء إلا أنها لم تدم طويلاً، فقد خربت بعد وفاته بسبع سنين، انظر: البيان المغرب ٢/٢٧٥-٢٧٧، الروض المعطار، ص٢٨٣-٢٨٤، ذكر بلاد الأندلس ١/١٨٠-١٨١، قرطبة حاضـــرة الخلافة ١/٢٥٨-٢٦٣.

٣ - البيان المغرب ٢/٢٧٥-٢٧٦، ذكر بلاد الأندلس ١/١٨١.

حجر على الخليفة، وسد بابه، وأدار على قصره سوراً وثيقاً، وأيده بحراسة مشددة فلا يطمع أحد بمقابلة الخليفة إلا بإذن ابن أبي عامر، ولتبرير فعله هذا أشاع في الناس أن الخليفة قد فوض إليه أمر تدبير الدولة ليتفرغ هو لعبادة ربه[1]، وبذلك ضمن التحرر نهائياً من الخليفة وسلطانه.

وكان ابن أبي عامر "المنصور" يتدرج في مناصب الدولة، وفي كل مرة يُظهر أمر الخليفة بمنحه منصباً جديداً أو لقباً إضافياً، وإن كان الواقع يشير إلى أن الخليفة ليس له من الأمر شيء، إذ لم يبق له من رسوم الدولة سوى السكة والخطبة[2].

ورغبة من المنصور في ترك أثر له على العمارة فقد ابتدأ سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) بإجراء التوسعة من الناحية الشرقية لجامع قرطبة، دونما اهتمام بالزخرفة[3]، كما بدأ في سنة ٣٧٨هـ (٩٨٨م) ببناء القنطرة[4] على نهر

---

١ - أعمال الأعلام ٦٢/٢.

٢ - البيان المغرب ٢٧٦/٢.

٣ - المصدر السابق ٢٨٧/٢.

٤ - القنطرة: رومانية قديمة البناء، تصل بين قرطبة وريفي شقندة المسمى اليوم "الاسبيرتو سانتو" وفي الأيام الأولى للفتح الإسلامي كانت تلك القنطرة قد تهدمت وأصابها التلف و لم تعد الاستفادة منها ممكنة فلما أصبح السمح بن مالك الخولاني والياً على الأندلس كتب لأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله بأمر القنطرة ووضح له أهميتها، فأذن له ببنائها بصخر سور قرطبة، فأتم ذلك سنة ١٠١هـ، وقد جددت بعد ذلك مراراً. انظ: أخبار مجموعة ص٢٤، رحلة الأندلس ص٥٧-٥٨.

الوادي الكبير[1]، وكان فراغه منها في النصف من سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩م) بعد أن بلغت تكاليف البناء حوالي مائة وأربعين ألف دينار[2].

ويبدو أن التدابير التي اتبعها المنصور، واستبداده بالسلطان دون الخليفة، واجراءاته التعسفية ضد الأخرين، أثارت الناس ضده، حتى أقربهم منه كرهه وكره تصرفاته، ولذا فقد تم تدبير حركة عصيان قام بها ابنه عبد الله بن المنصور بن أبي عامر[3]،

---

١ - نهر الوادي الكبير **Rio Guadal Quivir** أهم أنهار الأندلس، من أسمائه : النهر العظيم، نهر قرطبة، واسمه القديم "بيطي **Beatis**" ويبلغ طوله ٣١٠ أميال، ويروي قرطبة وإشبيلية، انظر: بروفنسال، الأندلس أو شبه جزيرة الأندلس، (مقال منشور ضمن كتاب الأندلس، ترجمة: إبراهيم خورشيد وغيره، بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة دار الكتاب المصري ط الولى ١٩٨٠) ص٧٦.

٢ - نفح الطيب ٤٠٨/١.

٣ - كان عبدالله بن المنصور قد وجد في نفسه على أبيه، بسبب تقديمه لأخيه عبدالملك مع أن عبدالله يرى نفسه أنه أفرس وأفهم وأشجع من أخيه عبدالملك، لأجل هذا نزح إلى سرقسطة واتفق مع صاحبها عبدالرحمن بن مطرف على التمرد، وأيدهما على ذلك قومس قشتالة غارسيه بن فردلند **Carci Fernalndez** مما كان سبباً في وقوعه أسيراً في يد المنصور وذلك في ١٥ ربيع الثاني سنة ٣٨٥هـ. انظر: ديوان ابن دراج القسطلي، (تحقيق وتعليق: د.محمود علي مكي، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، ١٣٨٠هـ)، ص٣٦٢ والحاشية رقم ٢، والقصيدتان رقم ١١٨،١١٢ والتعليق عليهما. البيان المغرب ٢٨٣/٢-٢٨٤.

وعبدالرحمن بن مطرف[١]، صاحب سرقسطة[٢]، والوزير عبـدالله بـن عبدالعزيز المرواني[٣] صاحب طليطلة، بالإضافة إلى جماعة من وجوه أهل

---

١ - عبد الرحمن بن مطرف بن محمد بن هاشم التجيبي، من أسرة عربية استقرت في إقليم أرغون منذ الأيام الولى للفتح، وعبدالرحمن بن مطرف عندما رأى فتك المنصور برجالات الدولة علم أنه لم يبق غيره، فخشي على نفسه، وأيد عبدالله بن المنصور في الخروج ضد أبيه. انظر: الحلة السيراء، ٧٩/٢ حاشية رقم ١. البيان المغرب ٢٨٢/٢، د.عبدالواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقية والأندلس، (الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٢م)، ص ٢٢٤-٢٢٥.

٢ - سرقسطه **Zaragoza** هي إحدى القواعد الأندلسية في الشمال الشرقي للبلاد على نهر وادي الإبرو، كانت قاعدة للثغر الأعلى أيام المسلمين، وقد سقطت بيد ملك أراغون الفونسو الأول في رمضان سنة ٥١٢هـ بعد حصار دام تسعة أشهر. ولم يبق من أثار المسلمين بها إلا جزء من قصر الجعفرية نسبة لأبي جعفر أحمد بن هود والملقب بالمقتدر بالله، ومن أشهر معالمها في الوقت الحالي كنيسة "سيو **Seo**" التي أقيمت مكان المسجد الجامع بسرقسطه الذي اختطه حنش الصنعاني رحمه الله تعالى. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص٧٨-٧٩، نصوص عن الأندلس ص٢٢، فرحة الأنفس ص٢٨٧-٢٨٨، تاريخ ابن الكردبوس، ص١١٨ حاشية رقم ٢. الروض المعطار ص٣١٧، مرحلة الأندلس ص٢٨٥-٢٨٧. شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، (فاس، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ١١٤/٢-١٣٦.

٣ - عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن أمية بن الحكم الربضي، الملقب بالحجر اليابس، وبالعجمية البطرشك أو البطرة شقة **Petra Sicca** قلده الخليفة المؤيد بالله الوزارة مع ولاية طليطلة، كان أحد رجالات بني أمية عقلاً وشهامة وأدباً وغزارة علم، ظل سجيناً في داره حتى مات المنصور، ثم أطلقه عبدالملك بن المنصور وولاة=

قرطبة من الجند والخدم وغيرهم، إلا أن التدبير فشل، فقد اطلع المنصور على المخطط، وانتهى الأمر بفرض الإقامة الجبرية على المرواني في داره، ومقتل كل من عبدالرحمن بن المطرف سنة ٣٧٩هـ[١] (٩٨٩) وعبدالله بن المنصور في يوم الأربعاء ١٦ من جمادي الآخرة سنة ٣٨٠هـ[٢] (١١ أغسطس ٩٩٠م).

هذا ولم يكتف المنصور بأن أمضى حياته مسيطراً على الخليفة وسالباً لسلطانه: بل حرص على أن يسير خَلَفُه وفق منهجه سواء مع الخليفة خاصة أو مع الأمويين بوجه عام، ويتضح ذلك جلياً من وصيته لابنه عبدالملك، فقد جاء فيها: " ... وصاحب القصر -أي الخليفة- قد علمت مذهبه، وأنه لايأتيك من قبله شيء تكرهه، والآفة ممن يتولاه، ويلتمس الوثوب باسمه، فلا تنم عن هذه الطائفة جملة، ولاترفع عنها سوء ظن ولاتهمة، وعاجل بها من خفته على أقل بادره .... وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ماطاوعتك بنانك، فإني أعرف ذنبي إليهم"[٣].

=الوزارة، ولم تطل حياته إذ توفي غازياً مع عبدالملك غزاته الأولى سنة ٣٩٣هـ بمدينة لاردة. انظر جمهرة أنساب العرب ص٩٨. الحلة السيراء ١/٢١٥-٢٢٠ والحواشي المذكورة.

١ - البيان المغرب ٢/٢٨٣.

٢ - المصدر السابق ٢/٢٨٤.

٣ - الذخيرة: ق٤ م١ ص ٧٦-٧٧.

وبعد أن أمضى المنصور زهاء ربع قرن وهو مسيطر على أمور الدولة، أفنى خلالها رجالات الأندلس[1]، وأذل الأمويين، وأخمل ذكر أرباب البيوتات الشهيرة التي هي عماد ملك بني أمية[2]، وأحدث تغييراً كبيراً في الدولة، حتى أنه غير سياسة بني أمية بالكلية، "فعوَّض باللين

١ – تمكن المنصور من القضاء على المصحفي بعد أن أعانه عليه غالب الناصري، ثم تخلص من الأخير بعد أن استعان عليه بجعفر بن علي بن حمدون، ثم قتل جعفراً بواسطة فارس العرب معن التجيبي، وتخلص هو من معن بقتله له.

٢ – البيان المغرب ٢٧٢/٢، لعل من أبرز مايميز حكم بني أمية في الأندلس، أن المناصب الإدارية في دولتهم قد تم حصرها بأيدي أبناء أسر معينة، مثل آل أبي عبدة وآل شهيد وآل جهور وآل فطيس، والأمر في هذا لايقتصر على هذه الأسر الأربع فقط، فهناك أسر أخرى سوف تتم الإشارة إليها في حينه، وإذا فتشنا عن العلاقة بين الأسرة الأموية وأي أسرة من تلك الأسر، نجد أن رابطا يربط الطرفين بعضهما ببعض منذ أيام الخلافة الأموية في الشام، وعندما قدم الأمير عبدالرحمن بن معاوية إلى الأندلس وقف إلى جانبه عمداء تلك الأسر، وأثبتوا له صدق الولاء، وعندما استعملهم لمس منهم الوفاء والكفاءة، فاختط لبنيه وأحفاده من بعده سياسة لم يحيدوا عنها، تقوم على حصر المناصب في تلك الأسر، ليحقق بذلك نقطتين: الأولى: استمرارية ولاء تلك الأسر، والثانية: أن تلك الأسر تمثل سياج حماية قوي للأسرة الأموية، إذ أن مصيرها مرتبط بمصير الأمويين، وبذلك غدا المصير المشترك رابطاً قوياً بين الطرفين، ولذا فقد حرص الأمويون على تقوية تلك الأسر، بينما تفانت الأخيرة في حماية الأسر الأموية، لأجل ذلك فإن إقدام المنصور على إضعاف شأن تلك الأسر هو تقويض لأقوى دعائم الدولة الأموية، وعامل رئيسي من عوامل سقوطها.

غلظة، وبالسكون حركة، وبالأناة بطشه وبالموادعة محاربة[1]" وبعد كل هذا توفي المنصور ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان المبارك سنة ٣٩٢هـ (أغسطس ١٠٠٢) ودفن بقصره في مدينة سالم[2].

وقد قام بالأمر من بعد المنصور ابنه عبدالملك[3]، بناء على عهد صوري مُنح له من الخليفة الغلوب على أمره، ولاه فيه الحجابة مكان أبيه، وأوصاه بتدبير شؤون الدولة[4].

---

١ – البيان المغرب ٢٧٣/٢.

٢ – الذخيرة، ق٤ م١ ص٧٥، الحلة السيراء ٢٧٣/١، البيان المغرب ٣٠١/٢، ذكر بلاد الأندلس ١٩٥/١ ومدينة سالم **Medinaceli** تقع على الطريق بين مدريد وسرقسطة، وتبعد عن مدريد مسافة ١٣٥ كيلو متر، وتقع منها إلى الشمال منحرفة نحو الشرق، وهي الآن من أعمال مدينة سرية **Saria** ومدينة سالم من إنشاء سالم بن ورعمال بن وكذات من قبيلة مصمودة البربرية، انظر: وصف الأندلس للرازي ص٧٩، المقتبس، تحقيق: د.محمود علي مكي، تعليق رقم ٢٨٦ والمصادر المذكورة، الحلل السندسية ٨١/٢-٨٧.

٣ – هو أبو مروان عبدالملك المظفر بالله، أمه الذلفاء، وصف بأنه أسعد مولود ولد في الأندلس على نفسه وأبيه وغيرهما، كان حيياً باراً بوالديه، مراقباً لربه، محباً للصالحين، شجاعاً، اجتمع الناس على حبه، وسكنوا منه إلى عفاف ونزاهه ونقاء سريره، فتنافسوا في المكاسب، فازدهرت الأندلس، فقد كانت أيامه أعياداً دامت سبع سنين، سميت بالسابع تشبيها لها بسابع العروس. انظر: الذخيرة، ق٤ م١ ص٧٨-٨٦، البيان المغرب ٣/٣-٣٧، أعمال الأعلام ٨٣/٢-٨٩، نفح الطيب ٤٢٣/١.

٤ – الذخيرة، ق٤ م١ ص ٧٨.

وحرصاً من عبدالملك على كسب محبة أبناء المجتمع الأندلسي، فقد افتتح عهده بان أصدر أوامره بإسقاط سدس الجباية المفروضة علـــيهم[١]، كما بادر إلى تجهيز الجيوش وتولي قيادتها ضد نصارى الشمال[٢].

وكان الوزير عيسى اليحصبي[٣] هو المدبر لدولة عبدالملك ، إلا أنه عندما شعر بتغيره ناحيته، عمل على التخلص منه وصرف الخلافة لهشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر، لكن اطلاع الحاجب علـــى تلـــك المؤامرة، مكنه من إفشالها، وبالتالي قتل مدبرها اليحصبي ليلة العاشر مـــن ربيع الأول سنة ٣٩٧هـــ[٤] (٤ ديسمبر ١٠٠٦م).

---

١ - المصدر السابق والصفحة، أعمال الأعلام ٢/٨٤.

٢ - انظر: البيان المغرب، ٣/٤-٩، ١١-١٤، ٢١-٢٤.

٣ - أبو الأصبغ عيسى بن سعيد اليحصبي، المعروف بالقطاع، عربي من بني الجزيـــري، من كورة باغه، كان أول كاتب للمنصور قبل تسلطه على الخلافة، وقد حسنت مترلته لديه، وارتفعت مترلته بصورة متناهية في عهد عبدالملك المظفر، حتى أصبح هو المـــدبر لدولته، لكن أمره انتهى بأن قتله عبدالملك المظفر بيده في أحد مجالسه الخاصـــة انظـــر: الذخيرة ق١م١ص١٢٣-١٢٨. البيان المغرب ٣/٢٤-٣٤ أعمال الأعلام ٢/٧٥.

٤ - الذخيرة ق١ م١ ص ١٢٥-١٢٧، البيان المغرب ٣/٣٠-٣٣ إلا أنه جعل مقتلـــه ليلة السبت ٢٠ ربيع الأول، وبهذه المناسبة ألقى الشاعر ابن دراج قصيدة بـــين يـــدي المظفر يهنئه فيها بالتخلص من اليحصبي، ويخبره أنه بهذه الفعلة شفى قلوب الناس وحقق أمانيهم، وذلك في قصيدة مطلعها:

شكراً لمن أعطاك ماأعطاكا ربي أذل لملكك الأملاكا=

وبعد مقتل اليحصبي بثلاثة أيام، تم إلقاء القبض على هشـــام بـــن عبدالجبار، فاعتقله عبدالملك في حجرة خاصة لمدة يـــومين، ثم نقلـــه إلى حبس سبق وأن أعده له، فكان أخر العهد به[١].

وإذا ألقينا نظرة على حال الخليفة وأهل القصر، نجد أن الخليفـــة لم يكن يظهر إلا مستخفياً عن أعين الناس، في نزه مستمرة أبلغه عبـــدالملك المظفر فيها غايته ، ومع ذلك لم يشهد الخليفة صلاة قط[٢].

وبعد سبع سنوات قضاها الحاجب عبدالملك المظفر، وهو يحكـــم الدولة نيابة عن الخليفة المؤيد بالله، أدركته الوفاة قبالة دير أرملاط، وذلك في يوم الجمعة ١٨ صفر من سنة ٣٩٩هـ[٣] (٢٣ أكتوبر ١٠٠٨).

وقد قام بالأمر مـــن بعـــده أخـــوه عبـــدالرحمن بـــن المنصـــور الملقـــب ب"شـــنجول"[٤] الـــذي كـــان شـــاباً معروفـــاً بفســـاد

=انظر: ديوان ابن دراج، القصيدة رقم ١٤. ومن الجدير بالذكر أن الشاعر نفسه سبق وأن مدح اليحصبي بأكثر من قصيدة، انظر : المصدر السابق، القصيدتان رقم ٢٣، ٢٤.

١ - البيان المغرب ٣/٣٤-٣٥.

٢ - الذخيرة ق٤ م١ ص٨٢-٨٣.

٣ - البيان المغرب ٣/٣٦-٣٧.

٤ - شنجول **Sanchuelo** تصغير شانجة، اسم جده لأمـــه المعـــروف في المصـــادر النصرانية بلقب **Abarca** وهو شانجة الثاني بن غارسية الأول بن شانجة، ثالث ملـــوك البشكونس "مملكة نبارة" وتذكر المصادر أنه رغبة من هذا الملك في عقد صـــلح مـــع المنصور أهدى إليه ابنته، فقبلها المنصور واعتقها وتزوجها، وتسمت بـــ"عبده" وحسن=

الأخلاق[١]، افتتح عهده بالخلاعة والمجانة[٢]، قلده الخليفة المؤيد بالله الحجابة مكان أخيه، ولقبه بالمأمون في كتاب أصدره بهذه الشأن، لكن شنجول أضاف لقباً آخر، هو الناصر فكان يدعى بـ"الحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة"[٣].

وقد تعامل شنجول مع المنصب بكل غرور، من أجل هذا أتت تصرفاته سيئة غريبة، كما أنه تقرب إلى الخليفة بكافة السبل، حتى تمكن من استصدار قرار منه باسناد ولاية العهد إليه[٤]. وبذلك أصبح منصب الحجابة

=إسلامها، وأنجبت عبدالرحمن سنة ٣٧٤هـ وهي التي أطلقت عليه لقب "شنجول" تذكراً منها لاسم أبيها، خاصة أنه كان أشبه الناس به، انظر: ديوان ابن دراج، القصيدة رقم ١٠٧ وتعليق المحقق عليها، البيان المغرب ٣٨/٣، أعمال الأعلام ٦٦/٢. وقد فسر ابن الكردبوس كلمة شنجول بمعنى "أحمق" ولكن لعله أراد بذلك أن عبدالرحمن بن المنصور كان أحمقاً طائشاً، كما ذكر ذلك محقق النص. انظر تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ص٦٦ والحاشية رقم ٥.

١ - المغرب في حُلى المغرب ٢١٣/١.

٢ - البيان المغرب ٣٩/٣.

٣ - أعمال الأعلام ٩٠/٢.

٤ - ورد لدى ابن الأبار أن شنجول عندما حدثته نفسه بطلب ولاية العهد، استفتى بذلك فقهاء قرطبة وعلماءها، فحسنوا له ذلك، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم=

معطلا، فولاه ولده عبدالعزيز[1]، ولقبه بـ"سيف الدولة"[2]. وحسب شنجول أن الدنيا قد صفت له بعد أن

="لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه" وبما أن عبدالرحمن ابن أبي عامر كان معافرياً قحطانياً، فقد قالوا عسى أن يكون هو المعني بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان، المتوفى سنة ٤١٣هـ، والوزير الكاتب أبو جعفر أحمد ابن محمد بن أحمد بن برد، المتوفى سنة ٤١٨هـ، من أشد الناس تأييداً لشنجول في هذا الأمر، ولذا قال فيها ابن أبي يزيد المصري:

إن ابن ذكوان وابن برد	قد ناقضا الدين بعد عمد
وعاندا الحق إذ أقاما	حفيد شنجة ولي عهد

انظر الحلة السيراء ١/٢٧٠-٢٧٢.

١ - بعد مقتل شنجول، حُمل ابنه عبدالعزيز سراً إلى سرقسطة، وهناك عاش في كنف منذر بن يحيى التجيبي، وظل عنده إلى أن استدعاه العامريون إلى شاطبه، فتولاها سنة ٤١١هـ وعمره خمس عشرة سنة وأشهرا ثم طردوه منها سنة ٤١٢هـ فذهب إلى بلنسية، فرحب به من كان فيها من العامريين، ثم ولوه رئاستها سنة ٤١٧هـ، وتلقب بالمؤتمن والمنصور، وقد بلغت بلنسية في عهده أوج اتساعها، وكان عبدالعزيز على درجة عالية من الأخلاق الكريمة، فوصل رحمه، وأوى إليه قرابته، فأغنى فقيرهم، وجبر كسيرهم، وظل في الإمارة حتى توفي سنة ٤٥٢هـ. انظر: ديوان ابن دارج. القصيدتان رقم ١٣٣،١٤٥. أعمال الأعلام ٢/١٩٤-١٩٥. محمد عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط الأولى ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) ص٢١٠-٢١٣. كيليا سارنللي تشركوا، مجاهد العامري، قائد= =الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، (القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٦١م) ص٨١-٨٣.

٢ - البيان المغرب ٣/٤٧. أعمال الأعلام ٢/٩٤.

حقق مراده، فاتجه بكليته إلى طلب ملذاته، وتلبية شهواته، وأحاط نفسه بمن هم على شاكلته من إخوان السوء وأدنياء القوم عمر بهم مجالسه[١].

وضعف نظر شنجول عن رؤية أي شيء في الدولة يحتاج إلى إصلاح، ولذا فقد كان القرار الإصلاحي الأول الذي أصدره مفاجأة غير سارة لرجالات الدولة، فقد أمر الوزراء وأصحاب المناصب العليا بطرح القلانس الطوال المرقشة الملونة، والتي تميزهم عن غيرهم، وأمرهم بلبس العمائم البربرية وتوعد بالعقوبة من يخالفه[٢].

وعندما أعلن الجهاد، لمواصلة المسيرة العسكرية لأبيه وأخيه، لم يستجب له إلا المرتزقة ويسير من المطوعة[٣]، ثم ارتكب حماقة كبيرة عندما خرج بمن استجاب له في أشد أوقات السنة برودة[٤]، وسلك طريقا يدعى بالعريان[٥]، فاقتحم أرض جليقية[٦]، من قبل طليطلة، وهو

---

١ - البيان المغرب ٣/٤٧-٤٨، أعمال الأعلام ٢/٩٤.

٢ - البيان المغرب ٣/٤٨.

٣ - المصدر السابق ٣/٣٩.

٤ - نفسه ٣/٦٦.

٥ - ذكر ابن عذاري أن شنجول عندما سلك هذا الطريق، تفائل له قوم من الناس وقالوا: أعرى هذا الفتى. البيان المغرب ٣/٣٩.

٦ - جليقية هي المنطقة الممتدة من نهر دويرة جنوباً حتى الساحل الشمالي لأسبانيا ومن ساحل البحر المحيط لها حتى منطقة قشتالة، انظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا،=

على حاله في المجانة والخلاعة[١]، فلما وصل طليطلة بلغه نبأ اندلاع الفتنة في قرطبة، فكر راجعاً إليها، وعندما بلغ قلعة رباح[٢] تبرأ من ولاية

=ص ٧١-٧٣، الروض المعطار ص١٦٩، ويعتبر الفونسو الأول بن بطره حاكم إمارة كانتبريا المؤسس الحقيقي لمملكة جليقية، وذلك حوالي النصف الأول من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) انظر: د.عبدالرحمن علي الحجي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، دار الإرشاد، ط الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص٤٢. واما اليوم فإن إقليم جليقية هو الركن الشمالي لأسبانيا وهو يضم أربع مديريات تحمل كل منها اسم عاصمتها، وهي في مجموعها ولايات بحرية، يعمل أهلها بالزراعة وتربية الماشية وصيد السمك وبناء السفن. انظر: رحلة الأندلس ص٣٦٢-٣٦٣.

١ - البيان المغرب ٤٨/٣.

٢ - قلعة رباح **Calatrava** من عمل مدينة جيان، تقع بين قرطبة وطليطلة، وتوصف بأنها مع مدينة طلبيرة حد فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين، وفي العصر الحالي تتبع المدينة الملكية **Ciudad real** في إقليم لامنشا **La Mancha** . وقلعة رباح تبعد عن هذه المدينة بإثنى عشر كيلو متر إلى الشمال الشرقي منها، واكتسبت اسم رباح نسبة للتابعي الشهير علي بن رباح اللخمي الذي دخل الأندلس مع موسى بن نصير رحمهما الله تعالى. وقد سقطت قلعة رباح مع طليطلة في يد الفونسو السادس ملك قشتالة وذلك سنة ٤٧٨هـ ثم استعادها أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بعد انتصاره في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ، ثم خرجت من أيدي المسلمين نهائياً عندما استولى عليها الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة ٦٠٩هـ، وقد أصبحت فيما بعد مقراً للنظام الديني الرهباني المسمى **La order de calitrava** الذي تجرد لمحاربة=

العهد، وأعلن اقتصاره على الحجابة، وأرسل كتاباً بذلك لكن أحـــداً لم يأبه به[١]، فعزم على دخول قرطبة وأصر على ذلك[٢]، رغـــم نصـــيحة البعض له بالفرار[٣]، فكان في إصراره حتفه، فقد قتل بمنزل أم هانئ عند دير أرملاط، وذلك عقب مغرب يوم الجمعة لأربع خلون من رجب سنة ٣٩٩هـــ[٤] (٤ مارس ١٠٠٩م).

=المسلمين، انظر المقتبس، تحقيق د.محمود مكي التعليق رقـــم ٤٧٨، الحلـــة الســـيراء ١٧٧/٢ حاشية رقم٣ ، الروض المعطار ص ٤٦٩.

١ - البيان المغرب ٦٩/٧.

٢ - كان شنجول يأمل بالحصول على أمان من محمد المهدي بن عبـــدالجبار، وذلـــك بواسطة بعض وجهاء أهل قرطبة وبالذت قاضي الجماعة ابن ذكوان لكن أمله خاب، إذ أن ابن ذكوان كان أشد الناس عليه عند المهدي مما حال بينه وبين الأمان . انظر المصدر السابق ٧١/٣.

٣ - كان مع شنجول أحد النصارى، تربطه أواصر قربى بأم شنجول يدعى قومس بن غرسية الذي عندما رأى اضطراب حال شنجول انفرد به، فقـــال لـــه "أرى أحوالـــك منتقضة وأمورك مدبرة وجندك مخالفين لك فأخبرني عن هذا الرجل الذي في قرطبة أأنت أشرف أم هو؟ قال: بل هو. قال: الناس أميل إليك أم إليه؟ قال: ماأراهم إلا إليه أميل، فقال: هذا دليل ردي، قال شنجول: فما الرأي عندك؟ قال : الرأي عندي أن ترحـــل وأرحل معك بأصحابي الليلة.. خذ باليقيين وضع الظن فأمرك والله مختل وجندك عليك لالك، فقال: لابد من الإشراف على قرطبة. فقال له: أنا معك على كراهـــة لرأيـــك، وعلم بخطئك فإن عشت عشتُ معك، وإن متَّ متُّ معك". البيان المغرب ٧٠/٣.

٤ - المصدر السابق ٧٢/٣-٧٣.

وأما المرحلة الثالثة التي مرت بها الخلافة الأموية في الأندلس، فهي مرحلة عصر الفتنة التي استمرت من سنة ٣٩٩-٤٢٢هـ (١٠٠٩-١٠٣١م) وأعقبها سقوط الدولة فمنذ أن سيطر المنصور بن أبي عامر على الدولة الأموية، وحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله، واستبد بالأمر من دونه، وطارد الأمويين وضيق عليهم، واستهان بأهل البيوت المساندة للبيت الأموي، وأهمل ذكرها، وأخل بتركيبة الجيش، وحكم البلاد بصورة سلطوية ورأي فردي لايقبل النقاش، منذ أن فعل ذلك، لابد أن نتوقع رد فعل عنيف يتحالف فيه الجميع على إزالة هذا الكابوس، رغم أن ذلك الجمع المتحالف لايكن أعضاؤه الود بعضهم لبعض، لكن المصلحة اختطت لهم جادة واحدة وأجبرتهم على السير فيها.

فالحاكم السلطوي المستبد، الذي لايرى إلا ذاته، ويحكم بالقهر والغلبة، يحدث عقب وفاته فراغ سياسي هائل، لايمكن ملؤه بسهولة، وإن ساد الهدوء الأعوام القلائل التالية لعهده، فلكونها لازالت متأثرة بشخصيته، ولكن هذا التأثير لايلبث أن يزول، فيحل المحذور وتعم الفوضى.

وهذا ماحدث عقب وفاة المنصور، فقد قام بالأمر من بعده ولده المظفر، مستفيداً من شخصية والده التي ألقت بظلالها على سنوات حكمه، وما أن توفي المظفر حتى هان أمر العامريين على الجميع، وأصبحت عملية إزالتهم مسألة وقت لاأكثر، وبدلاً من أن يعمد شنجول

إلى الإبطاء بتلك الإزالة، نراه يدفع بعجلتها بكل حماقة بقوة نحو النهاية، وذلك بادعائه لولاية العهد.

ولم يكن التنظيم للحركة التي دُبرت ضد سلطة العامريين، وليد عهد شنجول، بل إن البذرة الأولى يمكن القول بأنها قد وضعت في عهد والده المنصور، وذلك في سنة ٣٦٧هـ (٩٧٨م) عندما تم ترشيح عبدالرحمن بن عبيدالله ابن عبدالرحمن الناصر لدين الله من قبل بعض الفقهاء والقضاة ليتولى الخلافة بدلاً من المؤيد، ثم جرت محاولة أخرى سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩م) كان الوزير عبدالله بن عبدالعزيز المرواني أحد منظميها.

وفي عهد عبدالملك المظفر كانت المحاولة الإنقلابية أكثر قوة وأشد وضوحاً، فقد اختار أصحاب المحاولة هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر لتولي الخلافة، وكادت أن تنجح لولا أنها أُحبطت في اللحظات الأخيرة.

ورغم الإخفاق الذي صاحب تلك المحاولات، إلا أن الأمر لايعني الحكم بفشل المحاولات القادمة، بل على العكس من ذلك، إذ يمكن القول بأنها كانت مقدمات لعمل مستقبلي ناجح.

وهذا ماحصل في عهد شنجول، فالتنظيم السري الذي سبق وأن أُعد في عهد عبدالملك المظفر، والذي كان هشام بن عبدالجبار هو المرشح

في ذلك التنظيم لنيل الخلافة، نجده يستمر في عهد شنجول، وذلك عندما قام محمد بن هشام بن عبدالجبار[١] بقيادة تنظيم سري هو امتداد للمحاولة السابقة لوالده، فقد اختار محمد من أصحابه إثنى عشر رجلاً جعلهم نقباء[٢]، وكان رئيسهم الذي يبث دعوته بين العامة، ويأخذ البيعة منهم سرا، يدعى صاعد بن عبدالوهاب الحرَّار وصف بأنه كان في الجهل آية[٣].

وقد كثر الإرجاف في قرطبة، بقرب ظهور أحد الأمويين، وبادر الفتى الأكبر إلى سيده شنجول ينصحه بعدم مغادرة قرطبة، وحذره من الأمويين، فأجابه شنجول قائلاً "والله لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدي وأنا نائم ما أيقظوني[٤]" فكان رده هذا أقوى دليل على ضعف رأيه واستهتاره بالآخرين.

---

١ - هو أبو الوليد محمد بن هشام، أمه أم ولد تسمى مزنه، ولقبها كباره تعرف بالعرجاء لخلع كان بها، ولد محمد سنة ٣٦٦هـ، وصف بأنه ثائر جسور، خليع ماجن، لايبالي بأي واد هلك، كان أبيض أشقر أشهل تام القامة به انحناء تعلوه صفره، له ولد وحيد اسمه عبيدالله قتله واضح في قرطبة. انظر: جمهرة أنساب العرب ص١٠١، جذوة المقتبس ص١٩، البيان المغرب ٣/١٠٠،٥٠، أعمال الأعلام ٢/١٠٩.

٢ - البيان المغرب ٣/٥٥.

٣ - المصدر السابق ٣/٥٤.

٤ - أعمال الأعلام ٢/٩٦.

وعندما خرج شنجول بجيشه إلى جليقية، واطمأن محمد بن هشام لبعده، جهر بحركته، وذلك يوم الثلاثاء ١٦ جمادى الآخرة سنة ٣٩٩هـ (١٥ فبراير ١٠٠٩) وهجم أصحابه على صاحب المدينة عبدالله بن عمر، فقبضوا عليه[١]، ثم قتلوه بأمر محمد بن هشام، فلما رأى العوام رأس صاحب المدينة، انثالوا على ابن هشام من كل حدب وصوب فيهم من العنازين والجزارين والسفلة وسائر غوغاء الأسواق مالايحصون كثرة، فخطب بهم خطبة بين لهم فيها سبب قيامه، وحرَّضَهم على ابن أبي عامر، وأذن لهم بنهب مدينة الزاهرة، فاستهواهم الطمع وأمر بكسر السجن العام، فخرج من كان فيه من اللصوص والذعار وأصحاب الجرائم، فانضموا إليه، وتسلحوا بما وصلت إليه أيديهم، وزحفت هذه الجموع الغوغائية على قصر الخليفة الذي حاول جاهداً أن يسكن ثائرهم، لكنه فشل، فانصرف وأمر خدمه بالكف عنهم، وأمام هجوم أولئك الغوغائيين أضطر الخليفة إلى إصدار أمره بفتح أبواب القصر لابن هشام، فدخل

---

١ - عندما اندلعت ثورة المهدي كان صاحب المدينة عبدالله بن عمر الذي يفترض فيه أن يكون أكثر المسؤولين اهتماماً بالأمن، جالساً في غرفته الخاصة مترنحاً بين جاريتين تغنيانه بعد أن صرف حرس باب القصر للعمل في مزارعه الخاصة. انظر: البيان المغرب ٥٥/٣، أعمال الأعلام ١٠٩/٢.

واستولى عليه، وذلك في ليلة الأربعاء وزحفت جموع هائلة من العوام نحو مدينة الزاهرة، فلم يتمكنوا من دخولها تلك الليلة[١].

وفي تلك الليلة أصدر محمد بن هشام أوامره بتولية ابن عمه محمد بن المغيرة خطة الشرطة، فأجلسه على كرسيها عند باب القصر، وقلد خطة الحجابة ابن عمه الآخر عبدالجبار، وأما أنه قد اسند ولاية العهد لسليمان بن هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر[٢]، فهذا غير صحيح، فقد ذكر ابن حزم أن سليمان هذا قد تسمى بولاية العهد دون أن يسميه به خليفة[٣].

وأخيراً أتم محمد بن هشام بن عبدالجبار مراده، فخلع الخليفة هشام المؤيد بالله في نفس الليلة، وأخذ البيعة لنفسه، فابتدأت خلافته يوم الأربعاء ١٧ من جمادى الآخرة سنة ٣٩٩هـ (١٨ مارس ١٠٠٩م)

١ - البيان المغرب ٣/٥٥-٥٨، أعمال الأعلام ٢/١٠٩-١١٠، نهاية الأرب ٢٣/٤١٠-٤١٢، ولكنهم فيما بعد دخولها ونهبوها ومن ثم أحرقوها. انظر: نهاية الأرب ٢٣/٤١٤.

٢ - البيان المغرب ٣/٥٩، أعمال الأعلام ٢/١١٠.

٣ - نقط العروس ص٥٤. وقد قتل سليمان هذا مع أبيه هشام، وذلك عندما ثار الأخير ضد المهدي، وتسمى بالمعصوم، انظر: نقط العروس ص٥٨،٥٤. قارن: البيان المغرب ٣/٨٢.

واتخذ لنفسه لقب "المهدي" لكن العامة كانت تلقبه بـالمنقش لهشاشته وطيشه وخفته[١].

ويعتبر الخليفة المهدي "آخر من ولي الأمر من بني مروان بالأندلس ولاية تامة، يعزل فيها ويولي من آخر شرقها إلى آخر غربها، وكذلك في كثير من بلاد البربر"[٢].

وقد استقبل القرطبيون حركة المهدي بسرور عظيم، فأقاموا الولائم والأعراس ليالي متتالية، ينتقلون من موضع إلى آخر بالمزامر والملاهي[٣].

والعجيب أنه بعد سيطرة المهدي على قصر الخلافة، كَلَّف حاجبه ومعه صاحب المدينة أن يثبتا في الديوان اسم كل من يأتيهما لاستلام العطاء[٤] "فلم يتخلف عن أخذ ماله واستحلال نهبه والدخول في فتنته فقيه ولاعالم ولاعدل ولاإمام ولاحاج ولا تاجر إلا قام في نصرته بما قوي عليه من لسانه ويده، وتكلف حمل السلاح وإن كان لايغني عن نفسه

---

١ - أعمال الأعلام ٢/١١٠-١١١.

٢ - جمهرة أنساب العرب ص ١٠١.

٣ - البيان المغرب ٣/٧٤.وقد ألقى ابن دراج قصيدة يهنئ فيها المهدي بتوليه الخلافة، مطلعها: قُل للخلافة قد بلغت مناك ورأيت ماقرت به عيناك

انظر: ديوان ابن دارج، القصيدة رقم ٢٥.

٤ - قيل أن عدة من أثبتت اسماؤهم في ديوان المهدي للعطاء بلغ خمسون ألفا. أعمال الأعلام ٢/١١١.

فضلاً عن غيره"[١]. هذا وعندما تعرضت المصادر لأسباب حركة المهدي، اختلفت في تعليلها فهناك من عزا الأمر إلى الذلفاء أم المظفر وحرصها الشديد على الانتقام لابنها من أخيه عبدالرحمن المتهم بوضع السم له[٢]، وهناك من جعل السبب في ذلك يعود إلى حقد المهدي على العامريين بسبب قتلهم والده[٣]، بينما نظر ابن خلدون إلى الزاوية القبلية في هذه المسألة، فاتخذ من تحويل الأمر من المضرية إلى اليمنية سبباً كافياً لاندلاع الفتنة[٤].

والحق أن الخوض في أسباب اندلاع فتنة المهدي، ليس بالأمر اليسير إذ أن الأمر يتعلق بجميع أفراد المجتمع على مختلف فئاتهم، وتفاوت ثقافاتهم، ومن المعلوم أن الظواهر الاجتماعية لايمكن أن يرد سبب ظهورها إلى عامل واحد، فكيف والأمر يتناول قضية اشترك الجميع بها؟

فإذا نظرنا إلى المهدي نجده يحصل من الذلفاء على الأموال[٥]، ومن الأمويين وفتيانهم على المساعدات المادية والمعنوية[٦]، ثم أن من قاد العامة

---

١ - البيان المغرب ٦٢/٣.

٢ - المصدر السابق ٥٢/٣، أعمال الأعلام ١٠٩/٢.

٣ - الحلة السيراء ٥/٢، أعمال الأعلام ١٠٩/٢.

٤ - ابن خلدون، التاريخ، (بيروت، مؤسسة الأعلمي ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ١٤٩/٤.

٥ - أعمال الأعلام ١٠٩/٢.

٦ - المصدر السابق والصفحة.

الغوغائيين واقتحم بهم قصر الخلافة ومدينة الزاهرة هم عشرة رجال بين حجام وجزار وحائك وزبَّال[1].

وعلى هذا يمكن القول بأن حركة المهدي والتي اشتركت فيها أطراف عدة، هي في حقيقتها تعبير عن رفض المجتمع الأندلسي لواقع عانى منه طويلاً، وبالذات سيطرة العامريين على الخلافة الأموية التي هي رمز قوي لجمع كلمة المسلمين في الأندلس، وبذلك فإن جميع الأسباب التي ذكرت من قبل أدت مجتمعة إلى ظهور حركة المهدي.

وبإمعان النظر في المشاركين في الفتنة، نجد ان لكل منهم غاية سعى لتحقيقها، فالانتقام رغبة الذلفاء، وإقصاء العامريين جملة هدف الأمويين والقرشيين عامة، والمتعة المستعجلة غاية العوام، والطمع مرام البقية، وأما المهدي فحب السلطة والرئاسة قادته إلى مثل هذا، وهؤلاء جميعهم عمتهم فتنة أعمتهم عن رؤية العواقب.

وأي حركة يكون العوام محور ارتكازها، لايمكن أن تأتي بخير، إذ أن كلاً منهم لايرى إلا منفعته الآنية فقط، فهم "لاتدفع صولتهم إذا هاجوا، ولايؤمن هيجاهم إذا سكنوا، إن أخصبوا طغوا في البلاد، وإن أجدبوا آثروا العناد"[2].

---

١ - البيان المغرب ٧٤/٣، نهاية الأرب ٤١٧/٢٣.

٢ - رسائل الجاحظ (تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٩٩هـ) ٣١٤/٤.

ويصدق هذا الوصف على أتباع المهدي من الغوغائيين والسفلة، فبعد أن عمهم المهدي بعطائه، بقيت قرطبة عدة أيام لم يوجد فيها حجام ولاكنَّاف ولاذو مهنة ذليِّه[1].

ولذا فليس من المستغرب أن يصطدم من اشترك في هذه الفتنة بالحقيقة المرة بمجرد أن اتضحت الأمور وانكشفت الوقائع، ولكن بعد فوات الأوان، بعد أن وضع المهدي قانونه الجديد في أن الخلافة لايمكن الوصول إليها، إلا بالفتن والاضطرابات.

ويمكن القول بأن الحلف الذي قام بين القوى التي ساندت المهدي، كان حلفاً تكتيكيا، يتضح ذلك في موقف المهدي من الصقالبة[2] العامريين، وهو الجناح العامري الذي تقوده الذلفاء،

---

١ - البيان المغرب ٦١/٣.

٢ - الصقالبة: جمع صقلبي "**Eslavos**" وتعني العبد أو الرقيق، وهذه الكلمة أطلقها العرب في البداية على من يتم جلبه من الشعوب السلافية عامة، لكنهم توسعوا فيما بعد في استعمال هذا المسمى، فأطلقوا على أرقائهم من أي أمة نصرانية، ولعل الأمير عبدالرحمن الداخل هو أول من استخدم هذه الفئة واتخذ لهم علامة يعرفون بها، وحذا خلفاؤه حذوه في هذه السياسة. انظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، (تحقيق: فؤاد سيد بيروت، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥) ص١٠٧. ابن حوقل، صورة الأرض، (بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م) ص١٠٦. الذخيرة، ق ٤ م١ ص٦١، أخبار مجموعة ص١٠٨-١٠٩، البيان المغرب ٢٥٩/٢-٢٦٤، المغرب في حُلى المغرب٣٩/١، تاريخ ابن خلدون ١٢٧/٤،١٢٥. نفح الطيب ١٤٥/١، ٣٥٦،=

فقد قام المهدي ليلة الأحد ٢٨ رجب سنة ٣٩٩هـ (٢٨مارس ١٠٠٩) بنفي جماعة من الصقالبة العامريين عن قرطبة[١]، وفي يوم الخميس ١٥ شعبان سنة ٣٩٩ هـ (١٤ إبريل ١٠٠٩) طرد صقالبة القصر وسد أبوابه[٢].

وكما بدد المهدي شمل الصقالبة العامريين، فقد ألحق الأذى بالعوام الذين سبق وأن استظهر بهم، فبعدما استوثق الأمر له، أسقط منهم سبعة آلاف رجل، كان قد كتبهم في جيشه[٣]، ثم وجه ضربته للأمويين فترع الخليفة هشام المؤيد بالله من منصبه، وتولى الخلافة بدلاً منه[٤]، ولكي

=٣٨٢، الحلل السندسية ١/٤٦-٤٧، د. أحمد مختار العبادي، الصقالبة في أسبانيا، (مدريد، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) ص٨-٩.

١ - البيان المغرب ٣/٧٧. ذهب هؤلاء الصقالبة واستولوا على الأطراف الشرقية للأندلس، وكونوا بها ممالك خاصة بهم في كل من المرية ومرسية ودانية والجزائر وبلنسية. انظر: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص١٥٦-١٦٢، ١٧١-١٧٦، ١٨٣-١٩٩، ٢٠٦-٢١٦.

٢ - البيان المغرب ٣/٧٧.

٣ - المصدر السابق ٣/٧٧. أعمال الأعلام ٢/١١٢.

٤ - الحق أن المهدي بهذه الخطوة قد قضى على أي أمل للأمويين فيه، فهم ساعدوه في البداية ليخلصوا الخليفة هشام المؤيد من حالة الحجر التي فرضها عليها العامريون، لكنهم فوجئوا بمن هو أسوأ من العامريين، فإن كان العامريون قد ألغوا شخصيته، واستبدوا بتصريف أمور الدولة من دونه، فإن المهدي استحوذ على كل شيء وأصبح هو الخليفة.

يأمن ردة الفعل من أي جهة أقدم على خطوة في غاية الغرابة، فقد أخرج هشام المؤيد من القصر، وفرض عليه الإقامة الجبرية في دار الحسن بن حي بقرطبة، ثم أعلن نبأ وفاته[1].

وقد ذكرت المصادر التاريخية أن المهدي أحضر رجلاً يهودياً أو نصرانيا ميتاً[2]، كان شديد الشبه بهشام المؤيد، وقدمه للوزراء على أنه الخليفة هشام، وأنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك[3].

وذكر الرقيق القيرواني[4] وتابعه النويري[5] أن الذين شهدوا على وفاة الخليفة المؤيد كانوا من أصحاب المهدي، وفي رواية أكثر تفصيلاً واولى بالقبول من غيرها، وصاحبها شاهد عيان في هذه القضية، ذكر ابن حزم مانصه "أندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام ابن الحكم المستنصر، فرأيت أنا وغيري نعشاً فيه شخص مكفن وقد شهد غسله شيخان

---

١ - البيان المغرب ٧٧/٣. نهاية الأرب ٤١٨/٢٣. وقد ورد في ذكر بلاد الأندلس ٢٠٠/١ أن المهدي حبس المؤيد في مطبق المحابس.

٢ - ورد في ذكر بلاد الأندلس ٢٠٠/١ أن المهدي كان قد خنق ذلك الرجل.

٣ - البيان المغرب ٧٧/٣. أعمال الأعلام ١١٢/٢.

٤ - انظر: البيان المغرب ٧٧/٣.

٥ - نهاية الأرب ٤١٨/٢٣.

جليلان حكمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت، وخارج البيت أبي وعظماء البلد"[١].

فابن حزم ذكر أنه لم يشهد المتوفى، وأن الأمر في ذلك اقتصر على رجلين فقط، كما أن الرقيق القيرواني ذكر أن الشهود كانوا فقط من أصحاب المهدي، وعلى هذا يمكن القول بأن المهدي استغل عدم معرفة الناس بالمؤيد، لإنهم لم يكونوا يرونه، وإن خرج فمتقنعاً كالنساء، ولوجود الشبه بينه وبين ذلك الميِّت، فقد انطلت حيلة المهدي على الشيخين، ليتخلص بذلك من عقبة كؤود.

وقد حضر الجنازة ألوف من الناس، صلوا على الميِّت، وتبعوا جنازته إلى قبره، حيث دُفن يوم الاثنين ٢٦ شعبان[٢] سنة ٣٩٩هـ (٢٥ إبريل ١٠٠٩) وبسبب كل مامضى انصرفت عن المهدي نفوس الموالي والخواص واضطربت عليه بنو أمية[٣].

---

١ – ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل، (وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، القاهرة المطبعة الأدبية، ط الأولى ١٣١٧هـ.) ٥٩/١.

٢ – البيان المغرب ٧٧/٣. أعمال الأعلام ١١٢/٢. وذكر النويري أنه مات لأربع بقين من شعبان. انظر: نهاية الأرب ٤١٨/٢٣. والحق أن إجرام المهدي لم يقف عند حد، حتى أنه تجرأ على استقبال الباري جل وعلا وهو يصلي على ميت غير مسلم وغش جماعة عظيمة من المسلمين في هذا الموقف إشباعاً لتطلعات نفسه الخبيثة.

٣ – البيان المغرب ٥١/٣.

ثم أضاف المهدي إلى حماقاته السابقة حماقة أخرى، فقد تجاهل قوة ضارة في المجتمع الأندلسي، وأعني بها الطوائف البربرية التي جعلها المنصور بن أبي عامر عماد دولته، فسلط المهدي عليهم رجاله، فاحتقروهم وأهانوا زعيمهم زاوي بن زيري بن مناد[١]، وقام بعض سفهاء قرطبة بنهب دور البربر، ولما اشتكى زعماؤهم من هذا الفعل، أمر المهدي بضرب رقاب المعتدين[٢].

---

١ – أبو مثنى زاوي بن زيري بن مناد، زعيم صنهاجه، دخل الأندلس في بداية عهد عبدالملك المظفر ابن المنصور هو وأقاربه، فأكرمهم المظفر، وفي سنة ٤٠٣هـ سكن زيري وقومه مدينة إلبيرة بناء على طلب أهلها، ثم بنى مدينة غرناطة ليتحصن بها، وفي سنة ٤١٠هـ غادر الأندلس إلى القيروان حيث مات فيها مسموماً. انظر: عبدالله بن بلقين. التبيان أو مذكرات الأمير عبدالله، (نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال. القاهرة، دار المعارف،١٩٥٥م) ، ص١٦-٢٥. الذخيرة، ق١ م١ ص٤٥٣-٤٦٠، ق١ م٢ ص٥٨٨. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، (تحقيق: محمد عبدالله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٩٣-١٣٩٧هـ،١٩٧٣-١٩٧٦م). ١/٥١٣-٥١٧، مجهول، نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من كتاب مفاخر البربر، (نشر: ليفي بروفنسال، المغرب، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، ١٣٥٢هـ/١٩٣٤). ص٣٥،٤٣. تاريخ ابن خلدون ٤/٦٠. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن ١٠ إلى القرن ١٢م. (ترجمة، حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٩٩٢م)، ١/١٣٣، ١٧٣-١٧٥.

٢ – البيان المغرب ٣/٧٥-٧٦.

وعز على المهدي أن يختتم هذه الصورة العجيبة إلا بإبراز الوجه الحقيقي له، لتهون أمام هذا المنظر كل أفعاله السابقة، فقد أظهر من الخلاعة والمجون ما لم يخطر ببال غيره، فباختصار لقد كان المهدي رجلاً فاسداً مختل الدين والعقل[١]. هذه الأفعال المشينة للمهدي بالإضافة لسيرته الأخلاقية المتدنية، وحدت القوى المعارضة، وجعلتها تقف أمامه في صف واحد، ولعل أول من وقف ضده من تلك القوى، هي تلك الفئة التي أسقطها المهدي من ديوانه، بالإضافة إلى العبيد العامريين، فنصبوا عليهم هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر ولقبوه بـ"الرشيد"[٢] وفشل المهدي في ثني الرشيد عن تمرده، بالرغم من إطلاقه لسراح ولده سليمان[٣]، فقد تقدم الرشيد ومن معه فهاجموا أحد أسواق قرطبة وأحرقوه[٤]، إلا أن أنصاره خذلوه عندما رأوا قيام العامة مع المهدي،

١ - انظر: المصدر السابق، ٨٠/٣. إن من أشد المصائب أن تبتلى الأمة بولي أمر فاسد فهو لن يقودها إلا إلى الدمار. فماذا سيجد من كان الغراب دليله؟

٢ - البيان المغرب ٥١/٣.

٣ - انظر: البيان المغرب ٧٩/٣. نهاية الأرب ٤١٩/٢٣.

٤ - ورد في البيان المغرب ٨٠/٣ أن الرشيد هاجم سوق السرادق، بينما ورد لدى النويري أنه هاجم سوق السراجين، نهاية الأرب ٤١٩/٢٣.

فأُسر الرشيد وقُتل صبراً بين يدي المهدي وذلك يوم الخميس الخامس من شهر شوال سنة ٣٩٩هـ[١] (٢ يونيو ١٠٠٩م).

وأراد المهدي أن يكافئ العامة على موقفها، فأباح لها نهب دور البربر، ونادى مناديه أن من أتى برأس بربري فله كذا وكذا، فجرى من العامة شيء عظيم، إذ راح ضحية طيشهم وعبثهم الكثير من العلماء والفقهاء وغيرهم، وسبيت النساء، وتم قتل الحوامل منهن، وبلغ من حرص العامة على نيل المكافأة أن قتلوا سبعة عشر رجلا من أهل تلمسان[٢] في ساعة واحدة، كانوا قد قدموا للجهاد، كما قتلوا آخرين

١ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٨٨، البيان المغرب ٨١/٣، نهاية الأرب ٤١٩/٢٣. أعمال الأعلام ١١٣/٢. وذكر ابن الأبار أن الرشيد جهر في حركته في آخر شهر شوال انظر: الحلة السيراء ٦/٢.

٢ - تلمسان: مدينة مشهورة بالجزائر، أصلها قرية "أغادير" وفي أواخر القرن الخامس الهجري أقام زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين قرية أقرارات، ثم انضمت القريتان فأصبحتا تلمسان، ومنذ ذلك الوقت عاشت البلدة حياة مزدهره إلى أن فقدت قوتها ونضارتها بانحطاط دولة بني زيان سنة ٩٣٢هـ، والبلدة فيها أماكن أثرية مشهورة كما أن أهلها يمتهنون صناعات يدوية متقنة. انظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، من كتاب "المسالك والممالك" (طبعة: دي سيلان، الجزائر ١٩١١م) ص٧٦-٧٧، مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، (تحقيق: د.سعد زغلول. المغرب الدار المغربية ١٩٨٥م)، ص١٧٦-١٧٧. معجم البلدان ٤٤/٢، الروض المعطار ص١٣٥-١٣٦. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر.(الجزائر، البليدة، نشر دار الكتاب،

من أهل خراسان والشام على أنهم من البربر[١]، الأمر الذي دفع الكثيرين للهرب، وكان من بين الهاربين ابن أخ للرشيد يدعى سليمان بن الحكم[٢]، فوجد البربر فيه ضالتهم، إذ لابد لهم من أموي يسيرون خلفه، لأن الناس لن يقبلوا أن يلي الخلافة إلا أحد أبناء تلك الأسرة المجيدة، ومن أجل ذلك بايع البربر سليمان بن الحكم وذلك في ٢٧ شوال ٣٩٩هـ[٣] (٢٦ يونيو ١٠٠٩م) ولكي يدركوا ثأرهم استعانوا بشانجة بن غرسيه

١٣٨٢هـ/١٩٦٣م)، ص١٨٩-١٩١. لطيفة بن عميرة. تلمسان من نشأتها إلى قيام دولة بني عبدالواد، (مجلة الدراسات التاريخية، إصدار معهد التاريخ، جامعة الجزائر. العدد السادس لعام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م). ص٦٣-٦٩. والمصادر الواردة.

١ - البيان المغرب ٨١/٣.

٢ - أبو أيوب سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، أمه أم ولد اسمها ظبية، ولد يوم الأحد الثامن من جمادي الآخرة سنة ٣٥٤هـ، كان أسمر أعين تام القامة أشم الأنف عظيم الكراديس جميل الوجه، عُرف بالعلم والفهم وحسن الأدب والشعر والفصاحة له رسائل وأشعار بديعة، وله معرفة بفنون الغناء فقد كان في حداثته يضرب بالطنبور انظر: جمهرة أنساب العرب ص١٠٢، الذخيرة ق١ م١ ص٤٦، الحلة السيراء ٧/٢-٨، البيان المغرب ٩١/٣-٩٢.

٣ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٨٨، البيان المغرب ٨٤/٣، ومن الجدير بالذكر أن سليمان هذا كان من المبادرين إلى تهنئة المهدي عقب اغتصاب الخلافة، وأنشده قصيدته التي مطلعها:

الحمد لله حمداً لا نقلله — هذا السرور الذي كنا نؤمله

انظر : الحلة السيراء ١٠/٢-١١.

بن فردلند[١] قومس[٢] قشتالة الذي أطلقت عليه بعض المصادر التاريخية الإسلامية اسم ابن مامه النصراني[٣]، فلما وصلت رسل البربر إليه، وجدوا ان رسل المهدي وواضح[٤]

---

١ - أعمال الأعلام ١١٣/٢.

٢ - قومس أو قمز، جمعها قوامس، كلمة لاتينية **Comes** تعني نديم الملك، ولعلها أطلقت فيما بعد على من كان من وجوه القوم، ثم تطورت في اللغات الأوروبية معنى ومبنى، فهي اليوم في الأسبانية **Conde** وفي الإنجليزية **Count** وفي الإيطالية **Cont** وفي الفرنسية **Comte** وكلها بمعنى حاكم منطقة متمتع باستقلال تام أو محدود او هي بمعنى الرجل الشريف، انظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوربا، ص ٩٩ حاشية رقم ١.

٣ - البيان المغرب ٨٦/٣.

٤ - بعد أن تخلص المنصور من الصقالبة أتباع الخلافة الأموية، اصطنع صقالبة غيرهم ممن يديونون له بالولاء، ولذا عُرفوا بالفتيان أو المماليك العامرية، ويعتبر واضح الفتى من أشهرهم، قاد العديد من الجيوش الأندلسية في عهد المنصور وولده المظفر، وفي عهد الأخير أصبح والياً على مدينة سالم والثغر الأوسط، وبعد مقتل شنجول تولى واضح منصب الحجابة للمهدي، لكنه سرعان ماانقلب عليه وأعاد المؤيد للخلافة، وعندما ظهر عجز واضح عن مقاومة البربر، هان أمره على الجند، فأحس بالخطر، وعزم على الهرب سراً من قرطبة، لكن الجند ثاروا عليه بقيادة ابن وداعة فقتلوه وأخذوا مالديه من أموال ونهبوا دور أصحابه وكتابه وذلك في أواخر سنة ٤٠١هـ. انظر: البيان المغرب ٢٨٢/٢. ٣/٥-٦ ، ١١، ٧٦ ، ٩٣-٩٥، ١٠٠-١٠٥. أعمال الأعلام ١١٢/٢، ١١٤-١١٨.

صاحب طليطلة والثغر الأوسط[١] عنده، وقدَّمت الرسل هدية سنية، لكن شانجة الذي كان يراقب مايجري عند جيرانه المسلمين أراد أن يضرب القوة الإسلامية مرة واحدة، فأعلن عن تأييده للبربر[٢]. وأقبل بجموعه يريد قرطبة، فاستعد المهدي للقائه ورتب قواته، ومن المضحك أن قيادة جيشه كان فيها طبيب ووكيل بل وقوم من الحواتين والجزارين وأشباههم[٣]. فدارت الدائرة عليهم، وقتل من أهل قرطبة أكثر من عشرة

---

١ - الثغر الأوسط أو الأدنى قاعدته مدينة سالم ثم استبدلت فيما بعد بطليطلة، وهذا الثغر مواجه لمملكتي قشتالة وليون. وعن هذا الثغر وبقية الثغور الأندلسية أنظر: خليل إبراهيم السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي "دراسة في أحواله السياسية ٩٥-٣١٦هـ" (بغداد، مطبعة أسعد ١٩٧٦م ص٣٩-٤٤والمصادر المذكورة.

٢ - تجدر الإشارة إلى أن ثمن مساعدته للبربر هو الحصول على ماأحب من مدن الثغر. انظر: البيان المغرب، ٨٦/٣. والملاحظ أن كلا الفريقين المسلمين لم يعمل أي منهما على حقن دماء المسلمين ويتنازل عن مطامعه الدنيوية في سبيل طلب ماعند الله تعالى، بل إن الأمر وصل بهما إلى تقديم الرجاء والخضوع لذلك النصراني عسى أن يتكرم بالمساعدة. على ماذا؟ على سفك دماء إخوانهم المسلمين. مقابل ماذا؟ مقابل إعطائه بلاداً خضبت أراضيها بدماء زكية سالت من أجساد نذرها أصحابها أن تكون فداءاً لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمدرسول الله، لذا فلا عجب أن يعيش أفراد الفريقين سنوات عدة لايعرفون فيها طعماً للعافية، كلها فتن ومحن ليذوقوا وبال أمرهم. والعاقبة لمن اتقى.

٣ - المصدر السابق ٨٨/٣.

آلاف رجل[١]، وذلك يوم السبت ١٤ ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ[٢] (٦ نوفمبر ١٠٠٩م) وحاول المهدي أن ينقذ مايمكن إنقاذه، فأخرج هشاماً المؤيد وأبرزه للناس، لكن ذلك لم يغن عنه شيئاً إذ أن سليمان بن الحكم قد دخل قرطبة وبويع في المسجد الجامع بالخلافة وذلك في يوم الثلاثاء ١٧ من ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ (٩ نوفمبر ١٠٠٩م[٣]) وتلقب بـ "الظافر بحول الله مضافاً إلى المستعين بالله"[٤].

---

١ – اختلفت المصادر في تقدير عدد القتلى، فالمراكشي يذكر أن العدد أكثر من عشرين ألفاً، بينما يرى ابن عذارى أنهم نحو عشرة آلاف في حين أن ابن الخطيب ذكر أن العدد أكثر من ثلاثين ألفاً، انظر: على التوالي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص٨٨. البيان المغرب ٩٠/٣، أعمال الأعلام ١١٣/٢.

٢ – البيان المغرب ٨٩/٣، هذه المعركة تعتبر حاسمة في تاريخ المسلمين في الأندلس، وذلك لأنها قضت على خلافة المهدي وأكدت إنقسام المسلمين هناك إلى طائفتين متضادتين، البربر في ناحية والأندلسيين في ناحية أخرى ولذلك فهي تعتبر البداية الحقيقية لفترة دول الطوائف في الأندلس. انظر: الحلة السيراء، ٦/٢ حاشية رقم ٢.

٣ – البيان المغرب ٩١/٣، أعمال الأعلام ١١٤/٢، وقد ذكر الحميدي أن البيعة تمت في شهر ربيع الآخر، في حين جعلها ابن بسام وكذلك ابن الأبار في النصف من شهر ربيع الأول، انظر: جذوة المقتبس، ص١٩. الذخيرة ق١ م١ ص٣٦. الحلة السيراء ٧/٢.

٤ – جذوة المقتبس ص١٩. الحلة السيراء ٧/٢. وقد ألقى ابن دراج قصيدة مدح فيها المستعين وهنأه بالخلافة، مطلعها:

هنيئاً لهذا الدهر روحٌ وريحانُ — وللدين والدنيا أمان وإيمانُ

انظر : ديوان ابن دارج، القصيدة رقم ٢٦.

هرب المهدي من قرطبة والتجأ إلى طليطلة، فوصلها في أول جمادي الأولى سنة ٤٠٠هـ[١] (٢١ ديسمبر ١٠٠٩م) فقام واليها الفتى واضح بمناصرته، واتفق مع قومس برشلونة[٢] ريموند بوريل Ramon borrell[٣] وأخيه أرمنجول Armengol[٤] على مناصرة المهدي لقاء أن يتنازل للنصارى عن مدينة سالم، وأن يلتزم لكل رجل منهم دينارين في كل يوم ومايقوم به من الطعام والشراب وغير ذلك، وعلى أن لهم كل ماحازوه من عسكر البربر من السلاح والدواب والأموال، وأن نساء

---

١ - البيان المغرب ٩٣/٣. أعمال الأعلام ١١٤/٢.

٢ - برشلونة **Barcelona** مدينة بحرية مهمة على البحر المتوسط، وهي قاعدة بلاد كتلونية، يحدها من الشمال الشرقي مقاطعة جيرندة أو جيروندة، ومن الغرب مقاطعة لاردة، ومن الجنوب مقاطعة طركونة، وفي العصر الحالي تعد برشلونة أعظم بلدة تجارية وصناعية في شبه الجزيرة الأيبرية، وهي عبارة عن ثلاث مدن: برشلونة القديمة وبرشلونة المحدثة في العصور الوسطى وبرشلونة الحديثة وهي التي أحدثت في هذا العصر. انظر: جغرافية الأندلس وأوربا ص٩٦، ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، (تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى ١٩٧٠م) ص١٨١. الروض المعطار ص٨٦-٨٧. الحلل السندسية ٢٧٢/٢-٢٨٠.

٣ - هو حاكم إمارة قطلونية - التي عاصمتها برشلونة- بين سنتي ٣٨٢-٤٠٩هـ.

٤ - تسميه بعض المصادر العربية باسم أرمقند. انظر: الذخيرة ق١ م١ ص ٣٦، البيان المغرب ٩٥/٣. أو باسم أرمنقد. انظر: أعمال الأعلام ٧٥/٢.

البربر ودماءهم وأموالهم حلال لهم لايحول أحد بينهم وبينها إلى غير ذلك من الشروط التي التزم بها واضح[١].

وأقبلت جموع المهدي وواضح ومعهما النصارى، والتقت بجموع البربر التي يقودها المستعين، وذلك في موضع يعرف بدار البقر[٢]، وكادت الهزيمة تحل بالمهدي ومن معه، إذ أن البربر قتلوا الملك النصراني أرمنجول وعدداً كبيراً من جيشه إلا أن المستعين لم يصمد ففر بمن معه إلى شاطبه[٣]، عند ذلك اضطر البربر إلى الانسحاب من المعركة، ثم عرجوا على مدينة الزهراء فأخذوا أولادهم وأمتعتهم ثم انصرفوا إلى الجنوب

١ - البيان المغرب ٣/٩٤.

٢ - دار البقر **Elvacar** أو عقبة البقر، حصن يقع على بعد عشرين أو خمس وعشرين كيلو متر شمال قرطبة إلى الجنوب الغربي قليلاً من **Ovejo** انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق رقم ٥٨٨ ومصادره . الحلة السيراء ٢/٧ حاشية رقم ١.

٣ - شاطبة **Jativa** مدينة كبيرة قديمة، تقع في شرق الأندلس على بعد ٥٦كم جنوب غرب بلنسية، وهي داخلية لاتطل على ساحل، اشتهرت بصنع الكاغد ومنها يحمل إلى سائر أقطار الأندلس، وهي موطن قبيلة نفزة البربرية، ولايزال إلى العصر الحالي يوجد موقع في منطقة شاطبة يعرف باسم **Nifzies** نسبة لتلك القبيلة، وقد خرجت شاطبة من أيدي المسلمين سنة ٦٤٤هـ، انظر: نصوص عن الأندلس ص ١٨-١٩. معجم البلدان ٣/٣٠٩-٣١٠. الروض المعطار ص٣٣٧. والدراسة الوافية للدكتورة سحر عبدالعزيز سالم. شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس (الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٥م)، ص١-٢٣٣ والمصادر والمراجع الواردة .

الأندلسي[١]، متجهين إلى الجزيرة الخضراء[٢]، وذلك في يوم الجمعة ١٦ شوال سنة ٤٠٠هـ (٢ يونيو ١٠١٠) فاغتنم عوام قرطبة الفرصة، فنهبوا ما وجدوا في مدينة الزهراء، ودخل المهدي قرطبة وأخذ البيعة لنفسه وبذلك بدأت دولته الثانية[٣].

ولم يهدأ المهدي في قرطبة بل إنه سارع إلى ترتيب قواته ومن معه من النصارى، فسار الجميع بأثر البربر للقضاء عليهم، فالتقى الجمعان في وادي آره[٤]، فقاتل البربر قتال المستميت. إذ أن هذه هي الفرصة الأخيرة

---

١ - إن اتجاه البربر إلى الجنوب الأندلسي أمر منطقي، فهم بذلك أقرب إلى موطنهم الأصلي، ولعلهم في هذه الحالة لايعدمون وصول مساعدات من تلك المناطق تعينهم على ماهم فيه.

٢ - الجزيرة الخضراء كورة تشمل عدة مدن، قاعدتها مدينة الجزيرة الخضراء، وتقع في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الأيبيرية في مواجهة سبته وبجوارها جبل طارق، وقد سقطت بأيدي النصارى سنة ٧٤٣هـ ثم استردها محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة سنة ٧٧١هـ إلا أنه دمرها تدميراً كاملاً لئلا يستفيد منها النصارى أو بني مرين في المغرب، وهي اليوم مركز إداري في مديرية قادس ويكتب اسمها **Al Geciras**. انظر: نصوص عن الأندلس ص ١٢٠، الحلة السيراء ١٩٩/٢ حاشية رقم ٣. الروض المعطار ص٢٢٣-٢٢٤، الحلل السندسية ٨١/١ ومابعدها.

٣ - انظر البيان المغرب ٩٤/٣-٩٥.

٤ - يعرف بوادي السقائين. انظر: أعمال الأعلام ١١٥/٢، د.السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (لبنان، دار المعارف ط الأولى ١٩٦٢م) ص ٣٥٤ حاشية رقم ٢.

لهم للمحافظة على كيانهم ووجودهم في الأندلس، فهزموا قوات المهدي هزيمة منكرة، واحتوى البربر ماكان في معسكر خصومهم من سلاح ومال ودواب، وذلك في يوم الخميس السابع من ذي القعدة سنة ٤٠٠هـ[١] (٢٢ يونيو ١٠١٠) فانصرف المهدي وواضح ومن كتبت له النجاة من قواهما، إلى قرطبة، حيث ارتكبت فيها تلك الجموع ومن معها من عوام قرطبة والنصارى مالا يخطر ببال[٢]، وعندما وصلت الأخبار بأن البربر قد أقبلوا يريدون قرطبة ، استعد المهدي للحصار، وأصاب أهل قرطبة الجزع الشديد بسبب رحيل النصارى عنهم واقبال البربر إليهم[٣].

---

١ - البيان المغرب ٣/٩٥-٩٦. أعمال الأعلام ٢/١١٥.

٢ - الحق أن المسلم لايستطيع أن يحتمل تصور ماحل بالمسلمين بقرطبة، فقد أذاقهم الله تعالى بأس بعضهم البعض، وسلطهم على أنفسهم، فقد قام المهدي ومن معه بقتل كل بربري أو متشبه بهم أو حتى من كان متهماً بأنه بربري، قتلوا الرجال وذبحوا الأطفال وشقوا بطون الحوامل وسبوا الجميلات من النساء، وأصبح من حق أي نصراني أن يختار مايشاء من بنات المسلمين ليأخذها على أنها بربرية، كما أصبح من حقه أن يقف وسط السوق وينال من نبينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بما شاء، وهو آمن العقوبة، ومن دبت فيه الغيرة واعترض على ذلك، انتهره من حضر من المسلمين ونصحوه بالاشتغال بمصالحه، انظر البيان المغرب ٣/٩٧-٩٨.

٣ - لقد بلغ من جزع أهل قرطبة بسبب رحيل النصارى عنهم وخوفهم من البربر أن كان بعضهم يلقي بعضاً فيعزيه كما يعزي من فقد أهله وماله. البيان المغرب ٣/٩٩.

ورغم كل هذه البلايا والشدائد التي عاشها المهدي، إلا أنه كان عديم الالتجاء إلى الله تعالى، بل أن شره بازدياد، وفساده في يومه أشد من أمسه[١]، فسلط الله عليه نصيره واضح الصقلبي "الفتى" فدبر الأمر مع بعض العبيد العامريين، فدخلوا عليه فكتفوه، وأخرجوا هشاماً المؤيد من مقره، وأقعدوا المهدي بين يديه، فأخذ يحاسبه ثم أمر بقتله، فقتل، وذلك يوم الأحد الثامن من شهر ذي الحجة ٤٠٠هـ (٢٤ يوليو ١٠١٠) وبذلك بدأت الدولة الثانية للخليفة هشام المؤيد[٢]، الذي استمر في الخلافة إلى أن دخل البربر قرطبة بقيادة المستعين بالله يوم الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤٠٣هـ[٣](١٠ مايو ١٠١٣م) فبويع

---

١ - المصدر السابق ٩٩/٣.

٢ - لقد ذبح المهدي ذبحاً تولى ذلك عبد من عبيد الحكم يعرف بالشفق وأعانه بعض عبيد العامريين، وتم نصب جثته أياماً بدون الرأس ثم دفن في مرحاض. البيان المغرب ١٠٠/٣.

٣ - لم يكن البربر منذ انتصارهم في معركة وادي آره إلى أن دخلوا قرطبة سنة ٤٠٣هـ بأحسن سيرة من المهدي وواضح وعوام قرطبة، فبسببهم هلك أكثر أهل البوادي جوعاً وهلكت مواشيهم، بل بلغ من قسوة البربر أنهم لم يكتفوا بمصادرة الأموال من أهل مالقة مثلاً، فقد قتلوا الرجال وسبوا النساء، ومن علموا أن لدى= =أحداهن مالاً قد أخفته عنهم علقوها من ثدييها لاستخراج ماعندها من المال. وغير ذلك كثير. وبالجملة فالبربر والمهدي وواضح وعوام قرطبة في الشر سواء. انظر: المصدر السابق ١٠١/٣-١٠٢.

بالخلافة[1] بدلاً من المؤيد الذي اختلفت المصادر بشأنه[2].

هذا وقد كانت الأندلس عند مقتل المهدي مقسمة سياسياً إلى أقسام عدة، فقرطبة ومنطقة الثغور شمال الأندلس كانت تحت سيطرة المهدي، وأما الشرق الأندلسي فقد خضع للصقالبة العامريين، حيث أقاموا هناك ممالك عدة، في حين أن المستعين بالله كان قد بسط

١ - نفسه ٣/١١٢.

٢ - انظر: الفصل في الأهواء والملل والنحل ١/٥٩، الذخيرة، ق١ م١ ص ٣٧، البيان المغرب ٣/١١٣، أعمال الأعلام ٢/١٢٠. المغرب في حلى المغرب ١/١٩٣ نفح الطيب ١/٤٢٩. وانظر ماورد في نقط العروس ص ٨٣-٨٤ من تسمي أحدهم باسم هشام المؤيد بعد هذا التاريخ بعشرين سنة بل إن المعتضد بالله صاحب إشبيلية قطع الخطبة لهشام المؤيد معلناً موته بزعمه وذلك سنة ٤٥١ هـ. البيان المغرب ٣/٢٤٩.

نفوذه على الجنوب الشرقي للأندلس بالإضافة إلى مدينتي سبتة[1] وطنجة[2] وبلاد غمارة من أرض العدوة الغربية .

وعندما تولى سليمان المستعين بالله الخلافة، بادر إلى تقسيم أعمال المدن الأندلسية على بعض ذوي النفوذ وبالذات من البربر، فقد وضع

---

١ - سبتة **Ceuta** مدينة على شاطئ البحر المتوسط في شمال المغرب الأقصى، وهي عبارة عن شبه جزيره في مضيق جبل طارق، تحيط بها الجبال من جهة الجنوب، وبسبب هذا الوضع الجغرافي نجدها تمتاز بطابع أندلسي في مظهرها وثقافتها، وبعد معركة وادي المخازن واستيلاء اسبانيا على المملكة البرتغالية دخلت سبتة تحت حكم الأسبان منذ سنة ٩٨٨هـ، انظر صورة الأرض ص ٧٩-٨٠ ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص١٠٢-١٠٤، الروض المعطار ص٣٠٣-٣٠٤، أخبار البربر ص٥٨، محمد بن= =تاويت، تاريخ سبته، (الدار البيضاء، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ص١٧ ومابعدها.

٢ - طنجة **Tanger** مدينة قديمة بالمغرب الأقصى وتقع عند الطرف المغربي، بمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ولايفصلها عن الشاطئ الأسباني سوى ١٨كم خضعت طنجة للأدارسة بفاس ثم للأمويين بالأندلس ثم سيطر عليها حكام برغواطه إلى أن استنقذها منهم أمير المسلمين يوسف بن ناشفين، وهي الآن المصيف الرسمي للملكية المغربية، انظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام القسم الثالث (تحقيق وتعليق د. أحمد العبادي وإبراهيم الكتاني الدار البيضاء، دار الكتاب ١٩٦٤). ص٢٠٣ حاشية رقم ١.

المناصب بأيديهم، وقسم المناطق الخاضعة لسيطرته على قبائلهم[١]، كما جعل علي بن حمود[٢] والياً على سبته، وأخاه القاسم[٣] على طنجة

١ - كان عدد قبائل البربر ستة، فالمستعين أعطى صنهاجة إلبيرة، كما أعطى مغراوة الجوف، بينما منح بني برزال وبني يفرن جيان وذواتها، وأعطى بني دمر وأزداجه شذونة ومورور. وتوثبت البرابرة والعبيد على الأعمال، فولوا المدن العظيمة وتقلدوا الأعمال الواسعة، فهذا باديس بن حبوس في غرناطة، محمد بن عبدالله البرزالي في قرمونة. والفرني في رنده، وخزومة في شريش وابن عباد في إشبيلية، وابن الأفطس ببطليوس، وابن ذي النون بطليطلة، وابن أبي عامر ببلنسبة، وابن هود بسرقسطة، ومجاهد العامري بدانية والجزائر . وعن هذا الوضع قال أحدهم يهجو المستعين:

لارحم الله سليمانكم	فإنه ضد سليمان
ذاك به غلت شياطينها	وحل هذا كل شيطان
فباسمه ساحت بأرضنا	لهلك سكان وأوطان

انظر: البيان المغرب ١١٣/٣، تاريخ ابن خلدون ١٥١/٤، نفح الطيب ٤٢٩/١.

٢ - هو أبو الحسن علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أمه البيضاء بنت عم أبيه كان أسمر أعين نحيف الجسم طويل القامة حاد الذهن عازماً حازماً، شرس الأخلاق عدل في أحكامه ورعيته، محمود المذهب: انظر: جمهرة أنساب العرب ص٥ البيان المغرب ١١٩/٣-١٢٠، ذكر بلاد الأندلس ٢٠٦/١.

٣ - هو أبو محمد القاسم بن حمود، شقيق علي بن حمود، كان أسمر اللون أعين، أكحل، خفيف العارضين، حسن السمت، وهو أسن من أخيه علي بعشرة أعوام، وكان يذكر عنه أنه يتشيع إلا أنه لم يظهر ذلك ولا غير للناس عادة ولامذهباً، توفي خنقاً في سجن ابن أخيه إدريس بن علي سنة ٤٣٦هـ وحمل إلى ابنه محمد بن القاسم في=

وأصيلا[١]، وفي هذا يقول ابن عذاري "إن سليمان هذا أول دولة البرابر بقرطبة"[٢].

وإذا نظرنا إلى تصرف المستعين في تقسيمه البلاد على البربر، ربما نجده مضطراً إلى هذا الفعل، فلعله بدأ يشعر بثقل وطأتهم عليه، إذ أنهم يعتبرون أنفسهم هم أصحاب الدولة، فهم الذين أوصلوه إلى ماهو فيه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو يدرك تماماً عدم الوفاق بين البربر وأهل قرطبة، ولأجل هذا سعى إلى إبعاد الطرفين عن بعضهما البعض، فوزع تلك الأراضي على قبائل البربر.

وأما تولية المستعين لعلي والقاسم الحموديين لكل من سبته وطجنة وأصيلاً فهو عمل ردئ من الناحية السياسية، إذ أنه بذلك وضع مفاتيح

=الجزيرة فدفنه فيها. انظر: جمهرة أنساب العرب ص٥٠، جذوة المقتبس ص٢٢-٢٤، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١٠٠، البيان المغرب ١٢٤/٣-١٢٥، ذكر بلاد الأندلس ٢٠٧/١.

١ - أصيلا **Arzila** وتكتب أصيله وأزيلي، ومعناها بالبربرية المكان الجميل، وهي مدينة قديمة أسست على عهد الفينيقيين وتقع على ساحل المحيط الأطلسي بين طنجة والعرائش، وقد اتخذها الأدارسة مركزاً لدولتهم في شمال المغرب إلى جانب حجر النسر، وقد وقعت أصيلا تحت الاستعمار البرتغالي سنة ٨٧٦هـ ومن ثم الأسباني سنة= =١٠٠٠هـ. انظر: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١١١-١١٢، معجم البلدان ٢١١/١، أعمال الأعلام ٢٠٤/٣ حاشية رقم ١.

٢ - البيان المغرب ١١٤/٣.

الأندلس من جهة الجنوب بيد أسرة غير موالية له، لأجل ذلك نجد القائد عبدالله البرزالي[١] يناقش المستعين في هذه التولية ويبين له خطرها، لكـــن الأخير تجاهل الأمر[٢].

وقد صدقت تحذيرات البرزالي، فقد أعلن علي بن حمود الثورة بعد أن اتفق مع خيران العامري[٣]، الذي لم يكن راضياً عن خلافة المستعين،

١ - ينتسب عبدالله بن إسحاق البرزالي إلى قبيلة زناته البربرية، ومنازل بـــني بـــرزال بالمغرب في منطقة الزاب الأسفل حول مدينة المسيلة، وهم من الخوارج الإباضية، وقـــد دخلوا الأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، وخدموا في دولته ودولة المنصـــور بن أبي عامر الذي ولى إسحاق البرزالي ولاية قرمونة، فما زال في الولاية حتى توفي سنة ٤٠٤هـــ فخلفه عليها ولده عبدالله واستمر عليها إلى أن توفي سنة ٤١٤هـــــ، وقـــد تعاقب أولاده وأحفاده عليها إلى أن سقطت دولتهم سنة ٤٥٩هـــ. انظـــر: جمهـــرة= =أنساب العرب ص٤٩٨. المقتبس، تحقيق: د. عبـــدالرحمن الحجـــي ص١٩٢-١٩٣، أعمال الأعلام ٢/٢٣٦-٢٣٨، مفاخر البربر، ص٢٩، ٧٢، ٤٤.

٢ - البيان المغرب ٣/١١٤.

٣ - هو أحد الفتيان العامريين المخلصين للبيت العامري، فر من قرطبة عندما اســـتولى عليها المستعين في دولته الأولى، ثم عاد إليها في عهد المهدي، وكان لـــه دور في قتلـــه وإعادة المؤيد للخلافة، فلما استولى المستعين على قرطبة ثانية هرب خـــيران إلى شـــرق الأندلس، واستقر في قلعة أوريولة من كورة تدمير سنة ٤٠٤هـــ، ثم استولى على مرسية وبعدها المرية سنة ٤٠٥هـــ وظل بها حتى توفي سنة ٤١٩هـــ. انظر: دول الطوائف منذ قامها حتى الفتح المرابطي ص١٥٦-١٦٠. د.عبدالعزيز سالم، تاريخ مدينـــة المريـــة=

فقد كان خيران العامري يأمل بحياة المؤيد، بل إنه كان يخطب له على منابر المرية[١]، ولذا عندما أحس برغبة ابن حمود في القيام ضد المستعين، بادر بالموافقة وبالذات بعد أن أخبره ابن حمود أن كتاباً كان قد وصله من المؤيد يسند إليه فيه ولاية العهد ويفوضه بأخذ ثأره من المستعين[٢]، فدعا له خيران بولاية العهد، ووافقه على ذلك جماعة منهم صاحب مالقة[٣]

=الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط ١٩٨٤م). ص ٥٨-٦٢ ومصادره.

١ - المرية **Almeria** مدينة على ساحل البحر المتوسط جنوب شرقي أسبانيا، بناها الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ في مقاطعة بجانة، وأصبحت المرية القاعدة الكبرى للأسطول الأندلسي، بالأضافة إلى مركزها التجاري والسياسي والثقافي، كانت قاعدة لمملكة العبيد العامريين، ثم عاصمة لبني صمادح التجيبين، وقد استولى عليها النصارى نهائياً سنة ٨٩٤هـ. انظر: المرجع السابق ص١٣-١٨٥.

٢ - انظر: الذخيرة: ق١ م١ ص٣٧-٣٨، ٤٣. الكامل في التاريخ ٩٨/٨. بغية الملتمس ص٢٢ البيان المغرب ١١٤/٣. نفح الطيب ٤٨٢/١. ومهما يكن من أمر فالكتاب فيه شك حول حقيقته، وابن حمود دعاه ليتخذ منه سنداً شرعياً يوصله لمراده. البيان المغرب ١١٦/٣. ولولا أن لخيران العامري هوىً في محاربة المستعين وتنحيته من الخلافة لما اقتنع بكلام ابن حمود.

٣ - مالقة **Malaca** مدينة من أعمال رية على شاطئ البحر المتوسط بين الجزيرة الخضراء والمرية، وصفت بالحسن والاتساع ووفرة الخيرات، اشتهرت بالتين واللوز ولها ربضان كبيران وشرب أهلها من الأبار أسسها الفينيقيون وأعطوها اسم "مالكو **Malako**" أي المملح نسبة إلى مستودعات الأسماك المملحة التي كانت تجفف وتحفظ=

عامر بن فتوح الفائقي[1] الذي بادر إلى تسليم مالقة لابن حمود سنة ٤٠٥هـ[2] (١٠١٤) واجتمع خيران ومن وافقه بالمنكب[3] سنة ٤٠٦هـ (١٠١٥) وبايعوا علياً بن حمود على طاعة المؤيد[4]، وعندما

=فيها، اشتهرت سياسياً، فقد كانت عاصمة للحموديين زمن الطوائف، والعاصمة الثانية بعد غرناطة أيام ملوك بني الأحمر، وقد سقطت مالقة في يد النصارى في أواخر شعبان سنة ٨٩٢هـ بعد حصار دام ثلاثة أشهر. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق اختراق الآفاق، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية "مصورة على طبعة: نابولي –روما) ص٥٦٥ أبي سعيد، كتاب الجغرافيا ص١٤٠. معجم البلدان ٤٣/٥. أعمال الأعلام ٢٤١/٣ حاشية رقم ٣.

١ – هو مولى فائق مولى الخليفة الحكم المستنصر بالله.

٢ – جذوة المقتبس. ص ٢٠، بغية الملتمس.ص٢٢، المعجب في تلخيص أخبار المغرب.ص٩١. الكامل في التاريخ ٩٨/٨. قارن البيان المغرب ١١٦/٣.

٣ – المنكب، اسم عربي بمعنى الحصن المرتفع، ويسمى اليوم **Almunecar** وهو مرفأ ساحلي مرتفع في جنوب شرق الأندلس بمقاطعة غرناطة، على بعد ٢٣ كيلو متر غربي مطريل، وقد سقط المنكب بأيدي النصارى في شهر المحرم سنة ٨٩٥هـ. انظر: الروض المعطار ص٥٤٨-٥٤٩. ابن الخطيب، مجموعة من رسائله، (نشرت تحت عنوان "مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس "بعناية د. أحمد مختار العبادي، الاسكندرية١٩٥٨م). ص٧٩-٨٠ والحاشية رقم ٢. محمد عبدالله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا، دراسة تاريخية أثرية (القاهرة، مؤسسة الخانجي، ١٣٨١هـ/١٩٦١م) ص٢٥٨-٢٦١.

٤ – الكامل في التاريخ ٩٨/٨.

بلغوا غرناطة[1] وافقهم أميرها، وساروا جميعاً إلى قرطبة فالتقوا بقوات المستعين فهزموها وأسروه[2]، ودخل علي بن حمود قرطبة في يوم الأحد ٢٢محرم سنة ٤٠٧هـ[3] (يوليو ١٠١٦) وقتل صبراً سليمان المستعين وأخيه ووالدهما، واستخرج جثة المؤيد، وجهزه وصلى عليه ودفنه بجوار والده[4]، وبذلك انتهت دولة سليمان بن الحكم بعد ست سنين وعشرة

---

١ - غرناطة **Granada** ويقال إغرناطة تقع في الركن الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الأيبرية، كانت عند الفتح الإسلامي محلة صغيرة، وكانت إلبيرة المجاورة لها هي المدينة الكبيرة في المنطقة، حتى أن الكورة سميت باسمها، وفي مطلع القرن الخامس الهجري شهدت غرناطة توسعاً كبيراً وأصبحت مركزاً للكورة وذلك لأن بني زيري اتخذوها حاضرة لهم، ونظراً لمنعة موقع غرناطة، فقد ازدادت أهميتها بصورة كبيرة خاصة بعد سقوط الأمصار الأندلسية الكبرى، حيث غدت حاضرة ملوك بني الأحمر. وقد عرفت غرناطة باسم دمشق الأندلس لشدة التشابه بينهما، كما أنها موطن جند دمشق، ويقال لها غرناطة اليهود لكثرتهم فيها وقد ظلت غرناطة بيد المسلمين إلى أن سقطت بيد النصارى سنة ٨٩٨هـ. انظر: وصف الأندلس، ص٦٧، الروض المعطار ص٤٥-٤٦، الإحاطة١/٩٣،٩١، ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، بعناية: محب الدين الخطيب، (القاهرة، المكتبة السلفية، ١٣٤٧هـ) ص١٢-٢٩.

٢ - الذخيرة، ق١ م١ ص٩٧.

٣ - المصدر السابق، ق١ م١ ص٤٢. المعجب ص٩١. البيان المغرب ٣/١١٧.

٤ - يبدو أن علي بن حمود كان على عجلة من أمره من أجل إتمام مبايعته بالخلافة، ولذا نراه يبادر إلى قتل سليمان المستعين بالله وأخيه ووالدهما، رغم إصرار سليمان ووالده على أن المؤيد لايزال حيا، ولأن ابن حمود يدرك تماماً أن ظهور المؤيد يجعل كل=

أشهر[1]، وهذه المدة وصفها ابن حيان بقوله: "وكانت كلها شداداً نكدات، صعاباً مشؤمات، كريهة المبتدأ والفاتحة، قبيحة المنتهى والخاتمة، لم يعدم فيها حيف، ولافورق فيها خوف، ولاتم سرور، ولافُقد محذور ... دولة كفاها ذماً أن أنشأها شانجة، فقشعها أرمقند، وثبتتها الجلالقة، ومزقتها الإفرنجة، ودبرها فاجر شقي، ووزر لها خب دني، فتمخضت عن

=ماقام به يذهب سدى، لأجل ذلك بادر إلى فعلته قبل أن يدخل الشك قلوب من كانوا معه، وبالذات خيران الذي كان يطمع في حياة المؤيد، وعن كيفية التأكد من وفاته لدينا رواية ابن الأثير وهي أوسع الروايات في هذه المسألة، فقد ذكر أن خيران وغيره دخلوا إلى القصر طمعاً في أن يجدوا المؤيد حياً، فلم يجدوه، ورأوا شخصاً مدفوناً، فنبشوه وجمعوا له الناس وأحضروا بعض فتيانه الذين رباهم وعرضوه عليه، ففتشه، وفتش أسنانه، لأنه كانت له سن سوداء فأخبروا خيران أنه المؤيد، وكان يعلم ذلك الفتى أن المؤيد حي".

الكامل في التاريخ ٩٩/٨. ولعل شهادة هذا الفتى ومن معه بالإضافة إلى مسارعة ابن حمود بقتل سليمان وأخيه ووالدهما، دليل كاف على ادعائه للوصية، وأن الأمر بالنسبة له لايعدو مطامع شخصية عمل من أجل تحقيقها مع تلافي الخطأ الذي وقع فيه شنجول من قبل.

١ - كان لسليمان المستعين بالله ولد اسمه محمد ولاه عهده، وصف بأنه كان نظير والده بالإهمال والإفساد في البلاد، وبعد مقتل المستعين فر ولده محمد ولجأ إلى منذر بن يحيى التجيبي لكنه غدر به وقتله صبرا. انظر جمهرة أنساب العرب ص١٠٢.

الفاقرة الكبرى، وآلت بمن أتى بعدها إلى ماكان أعضل وأدهى، مما طوى بساط الدنيا، وعفى رسمها، وأهلك أهلها"(١).

ولأول مرة في الأندلس تخرج الخلافة عن الأمويين، وذلك عندما بويع علي ابن حمود بالخلافة عند باب السدة، واتخذ لقب: "الناصر لدين الله"(٢).

وما أن استراح الخليفة ابن حمود في القصر، حتى تصدع التحالف الذي كان قد أقامه، فالعبيد الصقالبة والعامريون أصحاب الممالك المتناثرة في شرق الأندلس، رفضوا الاعتراف بخلافته رغم مكاتبته لهم، وإغرائه إياهم بالوعود الجميلة(٣)، إذ أنه لاينتمي للأسرة الأموية وعليه فلا حق له بالخلافة من وجهة نظرهم.

ومما دفعهم أيضاً إلى رفض ابن حمود، موقف خيران العامري منه، فقد حرضهم عليه، بل دعاهم للقيام ضده، والسبب في ذلك يعود إلى اليوم الأول الذي دخل فيه خيران قصر الخلافة، ولم يجد المؤيد حيا، فقد

---

١ - الذخيرةق١ م١ ص٤١-٤٢.

٢ - انظر جذوة المقتبس، ص٢٢. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٩٨. البيان المغرب ١٢٢/٣ أعمال الأعلام ١٢٨/٢، نفح الطيب ٤٣١/١. وذكرت بعض المصادر أن ابن حمود تلقب بـ"المتوكل على الله" نفقط العروس: ص٨٠. الكامل في التاريخ ٩٩/٨.

٣ - انظر: الذخيرة، ق١ م١. ص١١٧-١١٩.

خاب أمله، إذ كان يطمع باستعادة مكانته في ظل الخليفة الضعيف، كما أدرك أن لامجال له مع ابن حمود، وأنه في خطر منه[1]، ولذا انسل من قرطبة وذهب إلى دار ملكه في المرية، وهناك بحث عن أموي يسير خلفه ليحقق من ورائه أطماعه، ويرضى نفسه الطموحه، وفي الوقت نفسه يضمن عدم بقاء ابن حمود في الخلافة، إذ لابقاء له في الحكم مع قيام أموي يطالب بإرثه.

وفي سنة ٤٠٧هـ (١٠١٧)[2] عثر خيران على رجل أموي يدعى عبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك ابن عبدالرحمن الناصر[3] وكان أصلح من بقي من بني أمية[4]، فبايعه خيران ومن معه بالخلافة كما بايعه أصحاب دول الطوائف ولقبوه بالمرتضى[5]، إذ أن هدفهم متفق مع هدف

١ - الكامل في التاريخ ٨/٩٩. البيان المغرب ٣/١٢١-١٢٢.

٢ - البيان المغرب، ٣/١٢١.

٣ - كان عبدالرحمن هذا رجلاً صالحاً مائلاً إلى الفقه، لم يلبس في ولايته خزاً إلى أن قتل، ترك ولداً واحداً، انظر: جمهرة أنساب العرب ص١٠١.

٤ - الكامل في التاريخ ٨/٩٩.

٥ - جمهرة أنساب العرب ص١٠١. الذخيرة ق١ م١ ص٩٩. الكامل في التاريخ ٨/٩٩. وتجدر الإشارة إلى أنه قبل قيام خيران وصاحبه المرتضى، كان مجاهد العامري صاحب دانية والجزائر قد قدم للخلافة الفقيه المشاور عبدالله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي، أحد أبناء الأسرة الأموية، وبايعه على ذلك في جمادى الآخرة سنة ٤٠٥هـ، وسماه بـ "أمير المؤمنين المنتصر بالله" لكن الوفاق لم يدم بين الطرفين، مما حدا بمجاهد=

خيران. ثم اجتمعوا في مكان يعرف بالرياحين، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٤٠٨هـ (إبريل ١٠١٨م) ومعهم الفقهاء والعلماء، وبايعوا المرتضى على أن تكون الخلافة شورى وليست وراثة[١].

وما أن علم الخليفة علي بن حمود بهذا التجمع، وأن أهل قرطبة يتطلعون للمرتضى حتى غير ابن حمود سياسته تجاههم، فبدل اللين شدة، وأذاقهم الذل وأراهم القهر بالظلم والطغيان، وألزمهم مغارم عسيرة، فضاقوا به، وابتهلوا إلى الله بالدعاء عليه، فسلط الله تعالى عليه ثلاثة من

=أن يطرد المعيطي إلى بجاية في العدوة المغربية. فقضى بقية عمره هناك معلماً لصبيان البربر حتى توفي خاملاً سنة ٤٣٢هـ. انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، الجزء الثامن، (تحقيق: سعيد أعراب، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م). ص٢٦-٢٨. ابن بشكوال. كتاب الصلة، (بعناية عزت العطار الحسيني. القاهرة . مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م). ترجمة رقم ٥٩٢. البيان المغرب ١١٦/٣. أعمال الأعلام ٢٢٠/٢. دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص١٨٥-١٩٠. مجاهد العامري. ص١٤٩-١٥٥.

١ - الكامل في التاريخ ٩٩/٨-١٠٠، وبهذه المناسبة ألقى ابن دراج قصيدة مدح فيها المرتضى، مطلعها :

جهادك حكم الله من ذا يرده وعزمك أمر الله من ذا يصده

انظر : ديوان ابن دراج القصيدة رقم ٣٢. الذخيرة ق١ م١ ص٨٢.

صقالبة القصر[1]، فقتلوه وهو في الحمام، وذلك ليلـــة الســـبت أول ذي القعدة سنة ٤٠٨هـــ[2] (٢١ مارس ١٠١٨).

وقد شجع الموت المفاجئ لابن حمود الخليفة الأموي المرتضى على المسير إلى قرطبة إلا أنه عرَّج على غرناطة، فدعى زاوي بن زيـــري إلى الدخول في طاعته[3]، فرفض طلبه[4]، فنشبت معركة حامية بين المرتضى وقواته وبين زيري والصنهاجيين، إلا أن خيران والعبيد العامريين خـــانوا المرتضى، فتخلوا عنه في المعركة، وتركوه وحيدا، فغادر أرض المعركـــة،

---

١ - تواطأ على قتل ابن حمود ثلاثة وصفاء، أحدهم يدعى "منجح" كان حسن الوجه، خفيفاً على قلب ابن حمود والآخران هما "لبيب وعجيب" ضربوه بخناجرهم وسدوا عليه باب الحمام. أنظر: الذخيرة ق١ م١ ص١٠١.

٢ - المصدر السابق: ص٩٧-١٠١. وقد ذكر ابن حبان أن أهل قرطبة عندما علمـــوا بمقتل ابن حمود فرِّج عنهم همٌّ عظيم وابتهلوا إلى الله تعالى بشكرهم.

٣ - لم تكن خطة المرتضى مبنية على الاصطدام بزاوي بن زيري، فقد كان يريد المسير إلى قرطبة للقضاء على القاسم بن حمود الذي تولى الخلافة مكان أخيه. لكن خيران ومن معه عندما لمسوا لدى المرتضى قوة شخصية وأنه متى وصل إلى قرطبة لن ينالوا مايؤملوه، عندها أضمروا الغدر والخيانة بالمرتضى، فزينوا له دعوة زيري للدخول في طاعته. انظر: الذخيرة، ق١ م١ ص٤٥٣-٤٥٥.

٤ - انظر المراسلات التي تمت بين المرتضى وزاوي لدى: ابن حيان في الذخيرة: ق١ م١ ص٤٥٣-٤٥٤.

فتمت مطاردته حيث قتل بقرب وادي آش[١] وذلك سنة ٤٠٩هـ[٢] (١٠١٩م).

وقد أرسل زاوي بن زيري إلى القاسم بن حمود بخبر نتيجة المعركة، كما أرسل له نصيبه من الغنائم، ومن بينها سرادق المرتضى نفسه فضربه القاسم على شاطئ نهر قرطبة، مما أثار حزن أهلها على خليفة أموي طال انتظارهم له[٣].

وهكذا أدى الصقالبة الذين يفترض أنهم الحريصون والأمناء على الخلافة الأموية، خدمة كبرى للحموديين، إذ أنهم بنتيجة هذه المعركة قد ساعدوهم من حيث لايشعرون على تثبيت حكمهم في قرطبة، وفي الوقت نفسه قضوا على أي أمل في إعادة الدولة الأموية إلى سابق عهدها، كما أنهم حكموا بالتفوق للبربر على الجماعة الأندلسية الذين لم يعد

---

١ - وادي آش أو وادي إيش. إسمها القديم "Acci" هي اليوم مدينة تعرف باسم Guadix تقع على نهر فردس على مسافة "٥٣" كيلو متر شمال شرق غرناطة، اشتهرت بوفرة المياه والمزروعات. انظر: الروض المعطار ص٦٠٤-٦٠٥. ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، (تحقيق: د. محمد كمال شبانة. الإمارات - المغرب. د.ت) ص١١٢. مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص٢٨ حاشية رقم ٤.

٢ - عندما هرب المرتضى من أرض المعركة بعد أن تُرك وحيداً، أرسل خيران خلفه مجموعة من رجاله تبعوه وقتلوه وجاؤوا برأسه إلى خيران ومنذر. انظر: الذخيرة، ق١ م١ ص٤٥٤-٤٥٥. البيان المغرب ٣/١٢٦-١٢٧.

٣ - الذخيرة ق١ م١ ص٤٥٥-٤٥٦.

بالإمكان إقناعهم بالاجتماع على كلمة واحدة، وفي هذا يقول ابن حيان "فحل بهذه الواقعة على جماعة من الأندلس مصيبة سوداء أنست ماقبلها، و لم يجتمع لهم على البربر جمع بعد، وأقروا بالإدبار، وباءوا بالصغار"[1].

كما كانت هذه المعركة سبباً في رحيل الزعيم الصنهاجي الشهير زاوي بن زيري، إذ أدرك أن انتصاره في تلك المعركة انتصار مصطنع، وأن الأندلسيين هم الذين أرادوا انتصاره، وهذا يعني أنه بإمكانهم الوقيعة به متى أرادوا ذلك، ولذا فقد كره المقام بالأندلس وغادرها إلى أفريقية[2].

ويمكن القول كذلك، أنه بسبب هذه المعركة اهتزت الثقة بالأمويين بصورة كبيرة، فلم يعد لهم في قلوب الناس مكان، حتى أن خيران زهد في

---

١ - المصدر السابق ص ٤٥٥.

٢ - نفسه ص ٤٥٧-٤٥٨.

أخ للمرتضى يدعى هشام[1]، فطرده من مملكته، فغادر هشام واستقر في حصن البونت[2].

وبعد قتل علي بن حمود، عقد الزناتيون اجتماعاً، قرروا خلاله استدعاء القاسم بن حمود من إشبيلية ليتولى الخلافة، لكن القاسم حسب أن في الأمر خدعة، ولذا أرسل أحد ثقاته ليقف على حقيقة الأمر، فلما عاد إليه الرسول بالخبر، قدم إلى قرطبة، وصلى على أخيه، وأرسل جثمانه إلى سبته ليدفن هناك[3].

---

١ - هو أبو بكر هشام بن محمد بن عبدالملك، أمه أم ولد اسمها عاتب، ولد سنة ٣٦٤هـ، وهو أسن من أخيه المرتضى بأربعة أعوام، كان هشام أبيض أصهب إلى الأدمة، سبط الشعر، أخنس، خفيف العارضين واللحية، حسن الجسم إلى القصر. مات ولاعقب له. انظر: جمهرة أنساب العرب ص١٠١، جذوة المقتبس ص٢٨-٢٩. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١٠٩-١١٠. البيان المغرب ١٤٥/٣-١٤٦. وهشام هذا هو آخر خليفة أموي كما سنعرف.

٢ - البيان المغرب ١٢٧/٣. إلا أنه كتب: حصن البنت. والتصحيح من البكري: جغرافية الأندلس وأوربا ص ١٢٨، والبونت **El puente** مدينة تقع شمال غربي بلنسية. انظر: معجم البلدان ٥١١/١. المغرب في حلى المغرب ٣٩٥/٢. الروض المعطار ص١١٥.

٣ - الذخيرة، ق٤ م١ ص١٠١. قارن: لويس سيكودي لوثينا: الحموديون سادة مالقة والجزيرةالخضراء، (ترجمة د. عدنان آل طعمه دمشق، دار سعد الدين، ١٩٩٢م) ص٢٣.

وبويع القاسم بالخلافة يوم الثلاثاء الخامس من شهر ذي القعدة سنة ٤٠٨هـ (٢٥ مارس ١٠١٨م) وتلقب بالمأمون[١]، كان وادعاً[٢]، محباً للعافية[٣]، أحسن تلقي الناس وأجمل مواعيدهم[٤]، فأحبه أهل قرطبة وشعروا بالأمان في عهده.

ويبدو أن القاسم أراد أن يتخلص من ثقل وطأة البربر والعرب على حكمه، ولذا اختط لنفسه سياسة جديدة، فقرب إليه السودان وولاهم دولته[٥]، الأمر الذي أغضب البربر والعرب معاً، مما أحدث هزة في حكمه، فحاول إصلاح الوضع، وقام بمراسلة بعض الزعماء أصحاب المطامع الذي كانوا مع المرتضى[٦]، لكنهم استثقلوه وازداد وضعه حرجاً بعد أن قام ضده ابن أخيه يحيى بن علي[٧] مطالباً بحقه في خلافة والده،

---

١ - جذوة المقتس، ص٢٢. البيان المغرب ١٢٤/٣.

٢ - جذوة المقتبس، ص٢٢، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص٩٩.

٣ - المصدر السابق ص٩٩.

٤ - البيان المغرب ١٣٠/٣.

٥ - المصدر السابق والصفحة.

٦ - الكامل في التاريخ ١٠٠/٨-١٠١. البيان المغرب ١٣٠/٣.

٧ - هو يحيى بن علي بن حمود، اختلف في كنيته، أمه بنت عم أبيه لبونة بنت محمد بن الحسن بن القاسم ولد سنة ٣٨٤هـ، صفته أبيض أعين أكحل، كان شجاعاً ذا عزم وحزم وإقدام وكرم، قتل بقرمونة في شهر المحرم سنة ٤٢٧هـ. انظر: جمهرة أنساب

وعندما اشتكى القاسم للبربر سوء وضعه، قابلوا شكواه بعدم الاهتمام مفضلين توسيع الخلاف بين الاثنين[١]، الأمر الذي اضطره أخيراً إلى مغادرة قرطبة إلى إشبيلية وذلك ليلة السبت ٢٢ ربيع الآخر سنة ٤١٢هـ[٢] (٧ أغسطس ١٠٢١) فدخل يحيى بن علي قرطبة بمساعدة خيران وصحبه الذين لاهم لهم إلا مصالحهم الخاصة، دون النظر لثمن تلك المصالح.

وقد بويع يحيى بن علي بالخلافة يوم الاثنين مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٢هـ (١٣أغسطس ١٠٢١) وتلقب بالمعتلي بالله[٣]، في الوقت الذي كان عمه القاسم يدعى له بالخلافة في إشبيلية[٤]، وعن هذا الوضع يقول ابن حزم "وهذا أمر لم يسمع في الدنيا بأشنع منه ولا بأدل على إدبار الأمور"[٥].

العرب ص٥١ جذوة المقتبس ص٢٤-٢٥ المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١٠٣-١٠٤. البيان المغرب ٣/١٣١-١٤٤. ذكر بلاد الأندلس ١/٢٠٧-٢٠٨.

١ - المصدر السابق ٣/١٣١.

٢ - نفس المصدر والصفحة .

٣ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص٩٩. البيان المغرب ٣/١٣١.

٤ - المصدر السابق ٣/١٣٢.

٥ - نقط العروس ص٨٠.

وفي بداية الأمر اختط يحيى سياسة حببته للجميع سواء أهل قرطبة أو البربر لكنه سرعان ماتركها فنفرت النفوس عنه[١]، فتم استدعاء عمه القاسم من إشبيلية، ففر يحيى عن قرطبة يوم الثلاثاء ١٨ من شهر ذي القعدة سنة ٤١٣هـ (١٤فبراير ١٠٢٣) وهو اليوم الذي دخل فيه القاسم قرطبة[٢]، وهذه هي دولته الثانية، إلا أن عهده في هذه المرة لم يطل، فقد كرهه القرطبيون بسبب تسلط البربر عليه، فثاروا ضده وطردوه وذلك يوم الثلاثاء ٢١ جمادي الآخرة سنة ٤١٤هـ[٣] (٩ سبتمبر ١٠٢٣).

وما أن تخلص القرطبيون من الحموديين، حتى قرروا إعادة الخلافة لبني أمية، فعقدوا اجتماعاً عاماً في جامع قرطبة لانتخاب أحد ثلاثة رشحوا لهذا الأمر، وهم سليمان[٤] بن المرتضى، ومحمد بن العراقي[٥]، وعبدالرحمن بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر لدين الله[٦]،

---

١ - انظر البيان المغرب ١٣٢/٣.

٢ - البيان المغرب ١٣٢/٣، أعمال الأعلام ١٣٢/٢-١٣٣.

٣ - المعجب. وانظر د. إسماعيل العربي، دولة الأدراسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١٤٠٣هـ/١٩٨٤م) ص٢٤٩-٢٥١.

٤ - هو ابن الخليفة المرتضى الذي غدر به خيران وصحبه وقتل قرب وادي آش.

٥ - قتله المستكفي بالله خنقاً ونعاه للناس. البيان المغرب ١٤٢/٣.

٦ - هو أبو المطرف عبدالرحمن بن هشام، أخو الخليفة المهدي، أمه أم ولد اسمها غاية، ولد في شهر ذي القعدة سنة ٣٩٢هـ، وصف بأنه أبيض، أشقر، أعين، أقنى، طويل،=

وكان الترشيح القوي لصالح سليمان بن المرتضى حتى أن كتاب العهد كان مكتوباً باسمه، إلا أن الجميع فوجئ بالدخول القوي لعبدالرحمن بن هشام، فقد اقتحم المسجد وهو على رأس مجموعة مسلحة، فدخل المقصورة، فتمت مبايعته مباشرة، ولم يتخلف المرشحان الآخران للخلافة عن البيعة، وكشط اسم سليمان من كتاب العهد وكتب بدلاً منه اسم عبدالرحمن، الذي اتخذ لقب المستظهر بالله، وذلك في الرابع من شهر رمضان سنة ٤١٤هـ[1] (٢١ نوفمبر ١٠٢٣).

ونظراً لأن المستظهر بالله كان وصوله للخلافة عن طريق الغصب والمباغتة، وذلك بواسطة رجال الدائرة، الذين هم حرس الخليفة، لذا فقد كانت لهم دالة عليه، يضاف إلى هذا أن المستظهر رفع مقادير مشيخة الوزراء من بقايا موالي الأمويين، وهؤلاء لاهم لهم إلا مصالحهم، فعملوا على استغلال قربهم من الخليفة، لكنه كان فقيرا، فالمال الذي يقع في يده يسد به رمقه، ومافضل منه يفرقه على من تكنفه من رجال الدائرة.

=نحيف البدن، حسن القد والجسم، كان في غاية الأدب والبلاغة والفهم ورقة النفس، ذكياً، لوذعيا، عفيفاً، لم يشرب النبيذ سراً وعلانية، وكان في وقته نسيج وحده، ختم به فضلاء أهل بيته الناصريين. انظر: جذوة المقتبس ص٢٥-٢٦. الذخيرة، ق١ م١ ص٤٨-٥٩. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٠٥-١٠٦ الحلة السيراء ٢/١٢-١٧، البيان المغرب ٣/١٣٥-١٣٩.

١ - الذخيرة . ق١ م١ ص٤٩-٥٠.

ويبدو أن أولئك الوزراء قد زادوا من ضغوطهم على الخليفة المعدم، ولذا فقد زج بجماعة منهم في السجن، وطالبهم بما لديهم من أموال، كما سجن بعض أبناء الأمويين، الأمر الذي أسخط رجال الدائرة، فأثاروا العامة ضده، فاقتحموا عليه قصره وقتلوه بعد أن أمضى بالخلافة سبعة وأربعين يوماً[١].

وفي اليوم الذي قتل فيه المستظهر بالله تولى الخلافة أبو عبدالرحمن محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن عبدالرحمن الناصر[٢]، وذلك يوم

---

١ - قام رجال الدائرة بمطاردة الخليفة المستظهر بالله في أرجاء القصر، وسدوا عليه أبواب النجاة، وبعد أن عثروا عليه مختبئاً في مخزن الفحم والخشب الخاص بحمام القصر، قتلوه أمام الخليفة الجديد المستكفي بالله، و لم يكتف أولئك الفسقة بقتل المستظهر، بل إن شرهم طال حريمه، فقد سبوا أكثرهن وحملوهن إلى منازلهم علانية، وجرى عليهن مالم يجر على حرم سلطان في مدة تلك الفتنة. انظر: الذخيرة ق١ م١ ص٥٠-٥٥، الحلة السيراء ١٢/٢-١٣، البيان المغرب ١٣٦/٣-١٣٩. إن في هذا لعبرة فإهمال ذوي الأحلام والنهى ورفع مقام السفلة والأغمار والوثوق بهم لايأت بخير أبداً.

٢ -هو أبو عبدالرحمن محمد بن عبدالرحمن أمه أم ولد اسمها حوراء، ولد سنة ٣٦٦هـ، كان ربعة، أشقر، أزرق، أشم، مدور الوجه، واللحية، ضخم الوجه والجسم، كبير البطن، صاحب شهوة بطن وفرج، كان منذ عرف عطلاً منقطعاً إلى البطالة، جاهلاً عاطلاً من كل خلة تدل على فضيلة: يلقب بالخويفية ولقب أيضاً بأبي زكيرة، انظر: جذوة المقتبس، ص٢٦-٢٧، الذخيرة، ق١م١ص٤٣٣-٤٣٤، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٠٧، البيان المغرب، ١٤٠/٣-١٤١.

السبت الرابع من ذي القعدة سنة ٤١٤هـ (١٨ يناير ١٠٢٤) ولقب بالمستكفي بالله[١]، وكان الخليفة الجديد غفلاً عطلاً منقطعاً إلى البطالة، مجبولاً على الجهالة"[٢] في غاية السخف وركالة العقل وقلة التدبير[٣]، ولذا فلا عجب أن يسند تدبير أمور دولته لرجل حائك يدعى أحمد بن خالد[٤].

وقد اجمعت الآراء على أنه لم يكن في خلفاء الفتنة أسقط من المستكفي ولا أنقص منه، فقد كان سقيم السر والعلانية، أسير الشهوة، عاهر الخلوة، مشابهاً للخليفة العباسي المستكفي في كل شيء[٥]، حتى

---

١ - الذخيرة، ق١ م١ ص٤٣٣-٤٣٤، البيان المغرب ٣/١٤٠-١٤١.

٢ - الذخيرة. ق١ م١ ص٤٣٤.

٣ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١٠٧.

٤ - المصدر السابق والصفحة.

٥ - الذخيرة، ق١ م١ ص٤٣٤. الكامل في التاريخ ٨/١٠٣ والخليفة المستكفي العباسي هو أبو القاسم عبدالله بن علي أمه أم ولد يقال لها غصن ولد سنة ٢٩٢هـ، بويع بالخلافة يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ٣٣٣هـ، وذلك بواسطة أمرأة تدعى حُسن الشيرازية، فصارت قهرمانته وغلبت على أمره كله. وقبض عليه في يوم الخميس لسبع بقين من جمادي الآخرة سنة ٣٣٤هـ، وخلع نفسه من الخلافة. كان أبيض مشربا حمره، أسود الشعر سبطه، خفيف العارضين أكحل العينين، أقنى الأنف. سملت عيناه يوم خلعه وحبس بعد ذلك ولم يزل محبوساً إلى أن توفي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة٣٣٨هـ انظر: المسعودي مروج الذهب . (القاهرة=

"أنهما اتفقا في الأخلاق والعهر واللعب وأن كل واحد منهما عاش اثنين وخمسين سنة، وكل واحد منهما ملك سنه ونحو خمسة أشـهر، وكـل واحد منهما تركه أبوه صغيراً، وتوافقا في اللقب وبالجملـة فهمـا رذلي قومهما"[١].

وقد ضاق الناس بالمستكفي ذرعاً، فأكثروا من الشكوى بشأنه إلى يحي بن علي بن حمود، المقيم بمالقة، وطلبوا منه الحضور إلىقرطبة[٢]، فلما تحرك إليها، هرب المستكفي منها في زي غانية بين امرأتين[٣]، وذلك يوم الثلاثاء ٢٤ ربيع الأول سنة٤١٦هـ[٤] (٢٦ مايو ١٠٢٥) ولحق بالثغر، وكان معه القائد عبدالرحمن بن محمد بن السليم[٥]، الذي مل المسير معه، فسمه في طعامه، فلما مات غسله وكفنه وصلى عليه ودفنه في قريـة في

=المطبعة البهية ١٣٤٦هـ)، ٢/٥٤٠-٥٥٢ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (بـيروت دار الكتب العلمية، د.ت) ١٠/١٠-١١ -مجهول، كتاب العيون والحدائق الجزء الرابع، القسم الثاني (تحقيق عمر السعيدي دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربيـة ١٩٧٣م) ص٤١٥. - الكامل في التاريخ ٧/١٨٧-٢٠٣،١٨٨-٢٠٧.

١ - البيان المغرب ٣/١٤١.

٢ - انظر : الكامل في التاريخ ٨/١٠٣.

٣ - الذخيرة، ق١ م١ ص٤٣٧.

٤ - البيان المغرب ٣/١٤١.

٥ - من ولد سعيد بن المنذر أحد القادة المشهورين في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر.

الثغر تعرف بـ"شمنت"[١] لتنتهي بذلك حياة المستكفي بعد حكم دام سبعة عشر شهراً لم تتجاوز خلالها طاعته فرسخاً[٢].

وقد بقيت قرطبة بعد رحيل المستكفي عنها، بدون خليفة مدة ستة أشهر تقريباً، حتى حضر إليها يحيى بن علي بن حمود[٣]، فدخلها يوم الخميس السادس عشر من شهر رمضان سنة ٤١٦هـ (٩نوفمبر ١٠٢٥) ومكث بها إلى نهاية السنة، ثم غادرها إلى مالقة يوم الثلاثاء ٨ من شهر محرم سنة ٤١٧هـ (١مارس ١٠٢٦) تاركاً فيها وزيره وكاتبه أبا جعفر أحمد بن موسى، فاستغل الفرصة العامريان مجاهد وخيران، وذلك بإيعاز من حبوس بن ماكسن[٤]، فقدما إلى قرطبة، فهرب عنها وزير المعتلي،

---

١ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٠٧-١٠٨.

٢ - نقط العروس ص٧٢.

٣ - ذكر ابن الأثير أن يحيى بن علي لم يحضر وإنما أرسل بدلاً منه عبدالرحمن بن عطاف اليفرني والياً عليها. انظر: الكامل في التاريخ ١٠٣/٨.

٤ - هو ابن أخي الزعيم الصنهاجي زاوي زيري، كان أحد نابي برابرة الأندلس، عرف بالحلم والوقار والهيبة، كان نزر الكلام قليل الضحك كثير الفكر، شديد الغضب، غليظ العقاب، شجاعاً حسن الفروسية، جباراً متكبراً داهية واسع الحيلة كامل الرجولة، تولى غرناطة بعد رحيل عمه زاوي عنها ومازال يحكمها حتى توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر: الذخيرة، ق١ م١ ص٤٥٨-٤٦١. دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، ص١٢٣-١٢٥.

فبقي العامريان في قرطبة نحو شهر ثم خشي كل منهما غـدر الآخـر، فغادراها تباعاً[١].

وبعد رحيل خيران ومجاهد، أجمع أهل قرطبة، برأي مـن الـوزير جهور بن محمد بن جهور[٢] على "خلع العلويين لميلهم إلى البربر وإعادة الخلافة في الأندلس إلى بني أمية"[٣] فبايعوا هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر، وهو مقيم بحصن البونت، وذلك في يوم الأحـد ٢٥

١ - البيان المغرب ٣/١٤٣-١٤٦. أعمال الأعلام ٢/١٣٦-١٣٧.

٢ - ينتمي جهور لأسرة آل أبي عبده الشهيرة التي تولى أفرادها المناصـب القياديـة في الدولة الأموية، وجهور هذا تولى الوزارة في عهد العامريين، ثم اعتزل العمل السياسـي وتمكن بحسن أدائه من الاستقلال بقرطبة بعد طرد الأمويين، فحسنت أحـوال أهلـها، ونعموا بالأمن والرخاء إلى أن توفي ليلة الجمعة السادس من محرم سنة ٤٣٥هـ. وقـد وصف جهور بالحزم والدهاء والوقار والأدب والحلم، متواضعاً صالحاً، طاهر الأثواب، عفيفاً في شبابه وكهولته مواظباً على صلاة الجماعة، حافظاً لكتاب الله قائماً به في سره وجهره، يزور المرضى ويشهد الجنائز. إلا أنه كان يعاب عليه البخل الشـديد، انظـر: جمهرة أنساب العرب، ص١٠٢، جذوة المقتبس ص٢٧-٢٩، ترجمة رقم ٢٥٨. مطمح الأنفس، ص١٨٠-١٨٦. الذخيرة ق٢ م١ ص٦٠٣-٦٠٤. بغية الملتمس، ترجمة رقم ٦٢٣. الحلة السيراء ٢/٣٠-٣٤. البيان المغرب ٣/١٨٦-١٨٧.

٣ - الكامل في التاريخ ٨/١٠٦.

ربيع الآخر سنة٤١٨هـ[١] (٥ يونيو ١٠٢٧) فاتخذ لقب "المعتد بالله"[٢].

وقد كان المعتد بالله في شبابه معروفاً بالشطارة، لكن تاب فرجي صلاحه[٣]، إلا أن الظن فيه خاب، إذ ما أن وصل قرطبة في يوم الخميس الثامن من شهر ذي الحجة سنة ٤٢٠هـ[٤] (١٩ ديسمبر ١٠٢٩) حتى تبدلت أحواله، فقلد تدبير دولته لرجل حائك يدعى حكم بن سعيد ويعرف بالقزاز[٥]، الذي عندما بحث عن رجال يستعين بهم لمساعدته في تدبير أمور الدولة لم يهتد إلا "إلى نغل دغل وماجن سفيه أو سوقي رذل"[٦].

---

١ - البيان المغرب، ١٤٥/٣، أعمال الأعلام ١٣٨/٢. وتجدر الإشارة إلى أن هشام بن محمد بقي في حصن البونت بعد مبايعته في الخلافة مدة سنتين وسبعة أشهر وثمانية أيام وهو يخطب له في قرطبة.

٢ - جذوة المقتبس ص ٢٨، الذخيرة ق٣ م١ ص٥١٥.

٣ - الذخيرة، ق٣ م١ ص٥١٥. "والشاطر هو من أعيا أهله خبثا" انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط (المطبعة المصرية القاهرة ١٣٥٢هـ) ج٢ ص ٥٨.

٤ - جذوة المقتبس ص٢٨. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١١٠.

٥ - هو أحد أبناء الموالي العامريين، حائك مشهور، عرف الخليفة المعتد بالله في قرطبة أيام الصبا، ومن ثم اجتمع به في حصن البونت، الذخيرة ق٣م١ ص٥١٦. وقد كان هذا الحائك عاهر الخلوة صريع الشهوة، كذاب فاجر. البيان المغرب ١٤٩/٣.

٦ - الذخيرة، ق٣ م١ ص٥١٨-٥١٩.

وقد تفرغ الخليفة المعتد بالله لملذاته، فعانى الناس منه ومن وزيره ومن سار في نهجهما الأمرين[1]، ثم اتفقوا على قتل الوزير، فقتله رجل من هم يعرف بابن الحصار[2]، عند الركن الشرقي للجامع[3].

وقد حاول أمية بن عبدالرحمن بن هشام بن عبدالرحمن الناصر[4] استغلال الموقف لصالحه، ويتولى الخلافة، بدلاً من المعتد بالله، وحرص على ذلك أشد الحرص، حتى أنه عندما قال له أهل قرطبة: إنا نخاف عليك القتل في هذا اليوم لشدة الفوضى، أجابهم قائلا "بايعوني اليوم

---

١ - اشترك مع الحائك في سفالته وخلعه كل من: الفقيه ابن الجيار وكذلك الشاعر أبو عامر بن شهيد، الذخيرة ق٣ م١ ص ٥١٩-٥٢١.

٢ - البيان المغرب ١٤٦/٣.

٣ - الذخيرة ق٣ م١ ص٥٢٥-٥٢٦.

٤ - امية بن عبدالرحمن كان فتى شديد التهور والجهالة، قاد المتذمرين من سياسة الخليفة المعتد بالله، حتى تمكنت تلك المجموعة من قتل الوزير الحائك والتمثيل بجثته، وقد اقتحم أمية القصر وجلس في مجلس الخليفة المعتد، و لم يأل أمية جهداً في سبيل تولي الخلافة، إلا أن جماعة الوزراء رفضوه وطردوه من القصر فهرب من قرطبة، ويبدو أنه حاول العودة إليها مرة أخرى بعد أن تم طرد الأمويين منها، فأخرج إليه شيوخ قرطبة من يقتله قبل دخولها، فقتل بموضع يعرف بقرية راشد، وذلك في شهر جمادى الآخر سنة ٤٢٥هـ. انظر: الذخيرة ق٣ م١ ص٥٢٥-٥٢٩ إلا أنه جعل اسمه أمية بن عبدالعزيز بدلاً من عبدالرحمن. البيان المغرب ١٤٩/٣-١٥٢، ١٨٧. اعمال الأعلام ١٣٨/٢-١٣٩.

واقتلوني غداً"[١] إلا أن الوزراء بقيادة الوزير جهور بن محمد قرروا حرمان أمية من مراده، فقد طردوه من القصر[٢]، ثم خلعوا الخليفة المعتد بالله يوم الثلاثاء ١٢ من شهر ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ[٣] (٣٠ نوفمبر ١٠٣١) وأخرجوه إلى صخرة محمود بن الشرف[٤]، ثم نودي في أسواق قرطبة وأرباضها، بأن لايبقى من بني أمية أحد، ولايكنفهم أحد[٥].

وهكذا أسدل الستار على تاريخ دولة من أعظم دول الإسلام، كانت على ثغر من ثغور الديار الإسلامية، جاهدت عنده بكل قوة، وسطر رجالاتها الأفذاذ بجهادهم أنصع الصفحات وخلفوا حضارة بنيت على أسس متينة.

وعلى كل فإن كانت هذه الدولة المجيدة قد أزيلت لأسباب سوف نتعرض لها في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى، فإن آثارها رغم ذلك، أبت

١ – البيان المغرب ١٥٠/٣.

٢ – الذخيرة، ق٣م١ ص٥٢٩.

٣ – البيان المغرب: ١٤٥/٣، ١٨٥.

٤ – الذخيرة، ق٣ م٢ ص٥٢٧-٥٢٨. وقد بقي هشام المعتد بالله هناك مدة، ثم لحق بابن هود في لاردة فأقام عنده إلى أن مات في يوم الجمعة لأربع بقين من صفر سنة ٤٢٨هـ. انظر: البيان المغرب ١٤٥/٣. نهاية الأرب ٤٣٧/٢٣-٤٣٨. وورد في جذوة المقتبس ص٢٩، وفي المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١١٠، أنه توفي سنة ٤٢٧هـ.

٥ – البيان المغرب ١٥٢/٣.

إلا أن تقف بكل إباء إلى عصرنا الحاضر رغم كر الدهور، لتعطي الدليل الذي لايقبل النقاش على عظمتها وسؤددها، والملك لله تعالى يهبه لمـــن يشاء وينزعه ممن يشاء.



الفصل الأول

النظام السياسي ورسومه

وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول: رئاسة الدولة

المبحث الثاني: ولاية العهد

المبحث الثالث: رسوم الإمارة والخلافة



المبحث الأول

رئاسة الدولة

يأتي الأمير أو الخليفة الأموي في الدولة الأموية بالأندلس على رأس جهاز الحكم، ونظراً لأخذ الأسرة الأموية بالأندلس بنظام الحكم الوراثي، فإن الأمير أو الخليفة يوصي بالحكم من بعده لأحد أبنائه، وليس بالضرورة أن يكون للابن الأكبر حق ملزم في تولي الحكم بعد أبيه، إذ أن منصب ولاية العهد يتم الاختيار له بعناية فائقة[١]، وبناءً على وصية يتركها الأمير أو الخليفة يبايع ولي العهد حاكماً جديداً للبلاد.

وكان إذا توفي الأمير أو الخليفة الأموي يبادر ولي العهد إلى أخذ البيعة من كبار فتيان القصر الصقالبة المعروفين بالخلفاء الأكابر، وهم بدورهم يأخذونها على من تحت أيديهم[٢]، ثم يأمر بإحضار الكتَّاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فيبايعونه[٣]، بعد ذلك يتم إحضار الأخوة والأعمام وأولادهم بواسطة بعض الوزراء ومعهم الجند، بدون قبول عذر أي منهم[٤]، فإذا وصلوا جلسوا في مجالس خاصة مع رجالات الدولة وكبار أصحاب البيوتات الأندلسية، فإذا تمت الاستعدادات لتلقي البيعة، جلس الحاكم الجديد للبلاد على سرير الملك بمجلسه الضخم، فيكون

---

١ - سوف نتطرق لهذا الأمر عند الحديث عن ولاية العهد.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ١٢٠. نفح الطيب: ٣٨٧/١.

٣ - نفح الطيب: ٣٨٧/١.

٤ - المقتبس، تحقيق:د. محمود مكي ص١٢٠، نفح الطيب: ٣٨٧/١.

إخوته وعمومته وأولادهم أول الداخلين عليه، ولباسهم الأردية والظهائر البيض إعلاناً لحزنهم على الحاكم الراحل[١]، فيبايعونه بأن يصفقوا بأيديهم على يده على هيئة المصافحة[٢]، وبعد أن ينصتوا لسماع قراءة صحيفة البيعة بصوت أحد الوزراء[٣]، ويعلنون التزامهم لأيمان انعقادها، يقوم أحد أولئك الأمراء ويرتجل كلمة نيابة عن أبناء الأسرة الأموية يعزي فيها الحاكم بوفاة والده الفقيد ويهنئه بالمنصب الجديد[٤]، بعد ذلك يتقدم الوزراء وأولادهم وإخوانهم ويتلوهم أصحاب الشرطة وطبقات أهل

---

١ - مؤلف مجهول، تاريخ عبدالرحمن الناصر، (تقديم د.عدنان محمد آل طعمه، دمشق دار سعد الدين، ١٩٩٢م) ص١٨. في الأندلس لبس البياض شعار للحداد والحزن، قال إبن دحية: "ولبس البياض عادة أهل الأندلس في الحزن على موتاهم استنوا ذلك من عهد بني أمية قصداً لمخالفة بني العباس في لباسهم السواد". انظر: ابن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، (تحقيق: مصطفى عوض، الخرطوم، ١٩٥٤م) ص٨٥.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٢٠. البيان المغرب ٣/٦٠. البيعة شبيهة بالبيع الحقيقي كأن كل واحد منهما باع ماعنده من صاحبه، وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره، والأصل في ذلك أنه كان من عادة العرب أنه إذا تبايع اثنان صفق أحدهما بيده على يد صاحبه. وهي في عرف اللغة ومقصود الشرع: العهد على الطاعة على أنهم يسلمون لربها النظر في أمور أنفسهم لاينازعونه في شيء من ذلك ويطيعونه فيما يكلفهم به من الأمر على المنشط والمكره، شبهت حالتهم في مصافحتهم بأيديهم تأكيداً لعهدهم بفعل البائع والمشتري وسميت بيعة. انظر: عبدالحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت). ١/٢٢١-٢٢٢.

٣ - الحلة السيراء، ١/١٣٨.

٤ - تاريخ عبدالرحمن الناصر، ص ١٨.

الخدمة، فإذا بايعوا قعدوا جميعاً عن يمين الأمير أو الخليفة وشماله، ثم يتولى أحد كبار رجالات الدولة أخذ البيعة على بقية الحضور[١].

ويصف لنا المقري الحفل الذي أقيم في الزهراء عند مبايعة الحكم المستنصر بالخلافة في الثالث من رمضان سنة ٣٥٠هـ (١٦ أكتوبر سنة ٩٦١م) فيقول:

"وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التي في السطح الممرد، فأول من وصل إليه الإخوة فبايعوه، وأنصتوا لصحيفة البيعة، والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ماانعقد فيها، ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم، ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة، وقعد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله إلا عيسى بن فطيس[٢] فإنه كان قائماً يأخذ البيعة على الناس، وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة، فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يميناً وشمالاً إلى آخر البهو كل منهم على قدره في المترلة، عليهم الظهائر البيض شعار الحزن، قد تقلدوا فوقها السيوف، ثم تلاهم الفتيان الوصفاء، عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية، صفين منتظين في

---

١ – البيان المغرب، ٢/٢٥٤.نفح الطيب، ١/٣٨٧.

٢ – عن ابن فطيس: انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، قسم التعليقات، تعليق: رقم ١٨٧.

السطح، وفي الفصلان[1] المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض، بأيديهم السيوف، يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة، ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجبابهم، ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة والعدة الكاملة، وقامت التعبية في دار الجند والترتيب من رجّالة العبيد عليهم الجواشن والأقبية البيض، وعلى رؤوسهم البيضات الصَّقيلة، بأيديهم التراس الملوَّنة والأسلحة المزينة، انتظما صفين إلى آخر الفُصُل، وعلى باب السدة الأعظم البوابون وأعوانهم، ومن خارج باب السدة فرسان العبيد إلى باب الأقباء، واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكباً إثر موكب إلى باب المدينة الشارع إلى الصحراء"[2].

وبعد أن تتم مراسم الاحتفال بالبيعة الخاصة التي تنتهي عادة في نفس اليوم[3]، وبعد أن يسمع الأمير أو الخليفة لإنشاد الشعراء الذين يعزونه لفقد والده ويهنؤنه بالإمارة او الخلافة[4]، يتم توزيع الكساوي

١ - الفصلان جمع فصيل وهو الرحبة عند مدخل البيت. وتكون الفصلان، فيما يبدو، على شكل رحاب وصحون متوالية تحددها هيئة الأعمدة. انظر: نفح الطيب، ٣٨٧/١ حاشية رقم ١.

٢ - المصدر السابق، ٣٨٧/١-٣٨٨.

٣ - تاريخ عبدالرحمن الناصر، ص١٨.

٤ - انظر مثلاً قصيدة ابن دراج التي رثى فيها عبدالملك المظفر وعزَّى أخاه عبدالرحمن وهنأه فيها بالحجابة وولاية العهد. انظر: ديوان ابن دراج القسطلي، (تحقيق وتعليق: د.محمود مكي. منشورات المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦١م). ص٤٥٦.

والأموال على الحضور حسب مراتبهم وأقدارهم[١]، ثم يؤذن للجميع بالانصراف باستثناء الإخوة والأعمام والوزراء وأهل الخدمة، وذلك لحضور مراسم مواراة الأمير أو الخليفة الراحل في المقبرة الخاصة بأمراء وخلفاء بني أمية والمعروفة باسم روضة الخلفاء الموجودة داخل القصر بقرطبة[٢] وعادة مايتولى الحاكم الجديد الصلاة على جثمان سلفه[٣].

وجرت العادة في البيعة الخاصة المعروفة بالمشرق باسم "بيعة أهل الحل والعقد[٤]" أن تسجَّل شهادات الشهود في سجل خاص، وقد أورد لنا ابن الخطيب نقلاً عن ابن حيان أسماء الشهود الذين حضروا البيعة الخاصة التي جرت للخليفة هشام المؤيد بن الخليفة الحكم المستنصر والتي تمت في يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة ٣٦٦هـ (أكتوبر ٩٧٧) وقد بلغ عدد أولئك الشهود مائة وتسعة وثلاثين شاهداً[٥].

---

١ - المقتبس، تحقيق د. محمود مكي، ص ١٢١-١٢٨، أعمال الأعلام: ٢/١٨.

٢ - انظر: المقتبس، تحقيق :د. محمود مكي: ص١٧. المقتبس، تحقيق أنطونية، ص٣، البيان المغرب ٢/٤٨، ١٥١، ٩٠، ٧٧. ذكر بلاد الأندلس ١/١٢٤، ١٣٣، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٣، ٢٠٤. نفح الطيب، ١/٣٨٨.

٣ - تاريخ عبدالرحمن الناصر، ص١٨، البيان المغرب ٢/٧٧، ٦٥، ١٠٦، ١٢١، ١٥١، ذكر بلاد الأندلس، ١/١٦٨، ١٥٦، ١٥٢، ١٣٣، ١٢٤.

٤ - الماوردي، الأحكام السلطانية (بعناية: محمد بدر الدين الحلبي القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) ص٥.

٥ - أعمال الأعلام: ٢/٤٨-٥٧. إلا أنه عند التحقق من أسماء أولئك الشهود نجد أن سبعة عشر شاهداً لايمكن أن يكونوا ضمن الحاضرين للبيعة، إذ أن معظمهم ولد بعد البيعة بكثير، وهناك من كان عمره عند البيعة سنة واحدة وآخر ست سنين وثالث تسع سنين، بل إن هناك من توفي قبل البيعة بسبع سنين وهم على الترتيب:=

=- القاضي عبدالرحمن بن محمد بن عيسى، يعرف بابن الحشا، توفي سنة ٤٧٣هـ "الصلة. ترجمة رقم ٧٢٨".
- الفقيه أبو عبدالله بن عتاب بن محسن، ولد سنة ٣٨٣هـ، "ترتيب المدارك ٨/١٣١-١٣٤".
- القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، ولد سنة ٤٠٣هـ. "الصلة. ترجمة رقم ٤٥٣".
- أبو الحسن مختار بن عبدالرحمن الرعيني القرطبي، ولد سنة ٣٩٣هـ. "ترتيب المدارك ٨/٩٨. الصلة ترجمة رقم ١٣٧٤".
- أبو عمر عبدالرحمن بن القرداحي، توفي وأبوه حي سنة ٤٢٥هـ. "ترتيب المدارك ٨/٩٣".
- أبو المطرف عبدالرحمن بن سعيد بن جرج، ولد سنة ٣٦٨هـ. "ترتيب المدارك ٨/١٣".
- أبو بكر بن أبي العباس بن ذكوان، ولد سنة ٣٩٥هـ. "ترتيب المدارك ٨/٨٧-٨٨".
- أبو محمد عبدالمهيمن بن عبدالملك بن أحمد القرشي، ولد سنة ٤٠٠هـ. "ترتيب المدارك ٨/٢٠-٢١".
- سراج بن عبدالله بن محمد بن سراج، ولد سنة ٣٧٠هـ. "الصلة ترجمة رقم ٥١٧".
- أبو بكر عبيدالله القرشي التيمي القرطبي، ولد سنة ٣٦٥هـ. "الصلة، ترجمة رقم ٦٦٧".
- أبو العباس أحمد بن أيوب الألبيري. ولد سنة ٣٦٠هـ. "الصلة ترجمة رقم ١٠٠".
- همام بن أحمد بن عبدالله الأطروش، ولد سنة ٣٥٧هـ. "الصلة ترجمة رقم ٣٥٠".
- عبدالملك بن هذيل بن عبدالملك التميمي، توفي سنة ٣٥٩هـ. "ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٢٢".
ويمكن أن نضيف إلى تلك الأسماء أسماء أخرى هناك شك كبير يحيط بحضورها لبيعة المؤيد ربما لأن أصحابها كانوا وقتها دون الحلم، وهم:
- أبو محمد عبدالله بن سعيد بن لباج الأموي، توفي سنة ٤٣٦ "الصلة ترجمة رقم ٥٩٧".=

ونظراً للاضطراب الذي كانت الخلافة الأموية بالأندلس قد مرت به في الربع الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) والمسمى بعصر الفتنة من سنة ٣٩٩-٤٢٢هـ (١٠٠٩-١٠٣١م) فإن مراسم الاحتفال بالبيعة الخاصة للخليفة قد اختفت تماماً، حيث أصبح الأمر يقتصر على أن يقوم المبايعون بالصفق على يد الخليفة، إما في المسجد الجامع بقرطبة[1]، أو في داخل قصر الخلافة[2]، وهناك من جرت بيعته على سطح القصر[3]، وآخر بويع بباب السدة من قصر قرطبة[4]، بل

= - أبو مروان عبدالملك بن أحمد الأصبغ القرشي، ولد سنة ٣٥٨هـ، "الصلة ترجمة رقم ٧٧٠".
- عبدالله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي، توفي سنة ٤٣٢هـ، "ترتيب المدارك ٢٦/٨-٢٧. الصلة، ترجمة رقم ٥٩٢".
- أبو محمد مكي بن أبي طالب ولد سنة ٣٥٥هـ. "ترتيب المدارك ١٣/٨ الصلة ترجمة رقم ١٣٩٠".
ولعل الكاتب الذي نقل عنه ابن حيان أراد بزيادة أسماء الشهود إثبات حجية بيعة الخليفة هشام المؤيد بكثرة عدد الشهود الموقعين على الوثيقة.

١ - الذخيرة، ق١ م١ ص٤٩-٥٠.

٢ - المصدر السابق، ق١ م١ ص٥٤، الحلة السيراء، ٧/٢. البيان المغرب، ٦٠/٣،٧٧، ١٢٢، ١٣٦. أعمال الأعلام ١١٠/٢-١١١، ١٣٦، ذكر بلاد الأندلس، ٢٠٩/١،٢٠٨،٢٠٤،٢٠١.

٣ - الذخيرة، ق١ م١ ص٤٥.

٤ - البيان المغرب، ١٢٢/٣.

إن هناك من كانت بيعته أولاً في الثغر ثم جددت بيعته عند دخوله قرطبة[١].

وبعد أن تتم مراسم البيعة الخاصة يتولى قاضي الجماعة[٢] وصاحب المدينة وصاحب الشرطة العليا، وصاحب الشرطة الصغرى، وصاحب أحكام السوق[٣] أخذ البيعة العامة من الناس في المسجد الجامع بقرطبة لعدة أيام، كما يتم إرسال نسخ من كتاب البيعة للعمال في الكور، والقادة في الثغور لأخذ البيعة على من قبلهم، حيث ترد بعد أيام كتب من كافة أقطار الأندلس تخبر بإنجازها[٤]، كما أن وفوداً تحضر إلى القصر من تلك الكور والثغور يستقبلها الأمير أو الخليفة بمحضر من الوزراء وقاضي الجماعة ورجالات الدولة، حيث يتلقى مبايعة أعضاء هذه الوفود، وتسجل شهاداتهم بسجل خاص[٥]، كما يتم إرسال وفد من قبل الأمير أو الخليفة لأخذ البيعة في بعض الكور[٦].

---

١ - انظر: جذوة المقتبس، ص٢٨، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١١٠. البيان المغرب، ٩١/٣، ١٤٥، أعمال الأعلام ١٣٨/٢. ذكر بلاد الأندلس، ٢١٢/١،٢٠٣.

٢ - المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي ص١٢٠.

٣ - تاريخ عبدالرحمن الناصر، ص١٨.

٤ - تاريخ عبدالرحمن الناصر ص١٨-١٩. البيان المغرب، ١٥٨/٢.

٥ - المقري. أزهار الرياض، ٢٨٨/٢.

٦ - المقتبس، تحقيق: أنطونية، ص٥٠. تاريخ عبدالرحمن الناصر ص١٩. البيان المغرب ١٢١/٢.

رسوم الخلع من الخلافة

وكما أن للبيعة بالإمارة أو الخلافة رسوم متبعة، فإن للخلع من ذلك المنصب رسوماً مشهودة، فالخليفة هشام المؤيد عندما قام ضده محمد بن هشام بن عبدالجبار الملقب بالمهدي طالب المؤيد بخلع نفسه عن منصب الخلافة، فاستجاب لطلبه، فدخل اثنان من كبار فقهاء قرطبة على الخليفة هشام المؤيد في مجلسه، وسمعا منه خلع نفسه، وأخذا منه البيعة للمهدي فأداها وهو يقرأ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾[1] فبشهادة هذين الفقيهين، خُلع المؤيد ونودي بالمهدي خليفة بدلاً منه، وذلك يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٩٩هـ[2] (١٨مارس ١٠٠٩م).

وعندما بدأت دولة المهدي للمرة الثانية ودخل قصر الخلافة بقرطبة في شهر شوال سنة أربعمائة[3] (يونيو ١٠١٠م) بادر إلى إحضار الخليفة هشام المؤيد إلى مجلسه، وطالبه بخلع نفسه من الخلافة، فاستجاب لطلبه "وكتب خلعه بيده[4]".

وعلى هذا فإننا نجد أن رسوم الخلع من الخلافة تقتضي حضور الشهود من قضاة وفقهاء ووزراء ونحوهم، وأن يكتب الخليفة المخلوع

---

١ - من أية ٣٦ سورة آل عمران.

٢ - البيان المغرب ٣/٦٠.

٣ - المصدر السابق، ٣/٩٥.

٤ - ذكر بلاد الأندلس، ١/٢٠١.

كتاباً بيده، يعترف فيه بعجزه عن تدبير أمور الخلافة، ويُحل الرعية من البيعة التي له في أعناقهم[١]، ويشهد الحضور على ذلك الكتاب، ثم يبايع الخليفة المخلوع للخليفة الجديد.

إلا أن هذه الرسوم لم تُتبع عندما أجمع "وزراء ومشيخة الرأي[٢]" في قرطبة على إنهاء الخلافة الأموية في عهد هشام المعتد بالله، فقد اكتفوا بإصدار قرارهم دون أن يأخذوا من الخليفة هشام المعتد بالله كتاباً يقر فيه بعجزه عن إدارة شؤون الخلافة، ويحل الأمة من بيعته، وذلك يوم الثلاثاء الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة ٤٢٢هـ[٣] (٣٠ نوفمبر ١٠٣١م).

وهذه الحالة تكررت من قبل، فعندما اتفق أعيان قرطبة على خلع الخليفة المستكفي بالله يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٤١٦هـ[٤] (٢٦مايو ١٠٢٥) دخلوا عليه وقالوا له :"قد علم الله اجتهادنا في تثبيتك، فاعتاص ذلك علينا، واضطررنا إلى مقارعة عدونا، وهانحن خارجون إليه ولاندري مايحدث عليك بعدنا، فإن تك لك الكرة

---

١ - الذخيرة ق٣ م١، ص٥٢٩.

٢ - البيان المغرب ١٤٥/٣، أعمال الأعلام ١٣٩/٢.

٣ - انظر: الذخيرة، ق٣ م١، ص٥٢٩. البيان المغرب، ١٥١/٣. أعمال الأعلام ١٣٩/٢.

٤ - البيان المغرب ١٤١/٣.

فلا تيأس فمع اليوم غد، فأجمل الرد وانقاد للدنية[1]" ولم يؤخذ منه كتاباً يعترف فيه بالخلع ويحل الأمة من بيعته.

ممارسة الأمير أو الخليفة للسلطان

بدراسة المصادر الأندلسية، نلاحظ أنه كان إلى جانب صاحب السلطة السياسية في البلاد، هناك أصحاب البيوتات الأندلسية الموالية لبني أمية كانوا مشاورين وناصحين ومساعدين للأمير أو الخليفة في ممارسته للسلطان، إذ أنهم يتميزون بالخبرة الواسعة، وذلك لتوارثهم المناصب في كافة شئون الدولة.

ويبدأ الأمير أو الخليفة بممارسة سلطاته في الحكم، بمجرد تلقيه البيعة الخاصة، وتستمر هذه الصلاحيات طيلة توليه رئاسة الدولة، ويتخلل تلك الفترة إصداره قرارات عديدة، لإحكام سيطرته على أجهزة الدولة. ويمكن تقسيم تلك القرارات إلى مجموعات، منها: قرارات تتعلق بترسيخ سلطة الدولة، ومن الأمثلة على ذلك، أن الأمير عبدالرحمن الداخل بعد أن استولى على قصر الإمارة بقرطبة، بلغه أن هناك مخططاً لاغتياله، بعد هزيمته للوالي الأندلسي يوسف الفهري ووزيره الصميل[2]، ولذا عمد

---

١ - الذخيرة ق١ م١، ص٤٣٦.

٢ - ورد في بعض المصادر التاريخية أن أبا الصباح زعيم اليمينة، عرض على قومه التخلص من الأمير عبدالرحمن الداخل ومواليه، وذلك بعد هزيمة الأخير للفهري والصميل في معركة المصارة سنة ١٣٨هـ. انظر: ابن القوطية ص ٣٠. أخبار مجموعة ص٩٠-٩١. نفح الطيب، ٣٤/٣.

الأمير الأموي إلى تولية عبدالرحمن بن نعيم قيادة شرطته، واتخذ من مواليه حرساً، وضم إليه موالي بني أمية في قرطبة[١].

ومن القرارات التي يمكن إدراجها في هذا الإطار: التصدي للمناوئين والمعارضين للبيعة من أبناء الأسرة الأموية[٢]، وبما أنه هو القائد الأعلى للجيش، فهو الذي يصدر القرار بخروج الجيش للغزو، سواء تولى هو القيادة أو أناب عنه أحد رجاله[٣]، وهو الذي يعلن الحرب والسلم[٤]، وباسمه ترد كتب الفتوح[٥]، وهو الذي يصدر قرارات القضاء على حركات التمرد والعصيان[٦]، وهدم بعض مواطن أصحابها[٧]، وبناء القلاع وإحكام أسوارها وشحنها بالرجال والعتاد[٨]، وإحكام السيطرة على بعض الكور التي دبت فيها الفتن حتى قبل تلقيه البيعة الخاصة[٩].

١ - أخبار مجموعة ص٩١.

٢ - البيان المغرب ٥٧/٢، ٦٢، ٧٠، ١٥٠-١٥١، ١٨٠-١٨٢ .

٣ - استمر حكام بني أمية يقودون الجيوش حتى سنة ٣٢٧ وهي السنة التي جرت فيها غزوة الخندق وانهزم فيها الخليفة عبدالرحمن الناصر.

٤ - المقتبس، تحقيق:د. محمود مكي ص٣٠٨،٣٠٧.

٥ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص١٠٢.

٦ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص٣-٤، ٧. البيان المغرب، ٤٨/٢-٥٨،٦٤، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨٢ ،٨٣، ٨٧.... إلخ.

٧ - المصدر السابق: ٨٢/٢، ٩٦ ، ١٠٠.

٨ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٣٢. البيان المغرب، ٩٤/٢، ٩٥.

٩ - المصدر السابق، ١٢٠/٢.

وهناك قرارات تتعلق بإدارة الدولة مثل إقرار أصحاب المناصب على مناصبهم أو عزلهم عنها[١]، وإسناد المناصب المهمة للأكفاء[٢]، إنشاء الخطط الجديدة في الدولة[٣]، وإنشاء بيت الوزراء وإلزامهم التجمع فيه[٤]، ومناقشتهم في أمور البلاد[٥]، ومراجعة حسابات الخزينة،[٦] وتكريس الخطط في أبناء أسر معينة[٧]، والإشراف على السياسة الخارجية للدولة، فباسمه تبرم المعاهدات الخاصة بالتحالفات التي تعقد مع الدول الأخرى[٨]، وهو الذي يختار مبعوثيه لإجراء المفاوضات إذا استلزم الأمر[٩]، كما أنه

---

١ - قضاة قرطبة، ص٢٥، ٨٨-٨٩ ، ١٠٦. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٢٨. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي: ص٤١، ١٣٥، ١٩٠.

٢ - ابن القوطية، ص ٨٢، البيان المغرب، ١٥٨-١٥٩، ٢٢٠.

٣ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص٩٩، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٥٢.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٩.

٥ - المصدر السابق، ص١٧٢.

٦ - نفسه، ١٣٦.

٧ - نفسه، ١٤٣-١٤٤، ١٧٩.

٨ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص١٤٦. أعمال الأعلام، ٦٨/٢. نفح الطيب، ٣٣٠/١-٣٣١. أندلسيات، ٧٢/٢.

٩ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي ص١٤٦-١٤٧. أعمال الأعلام، ٦٨/٢. نفح الطيب، ٣٤٦/١. غزوات العرب، ص١٤٢. الإسلام في المغرب والأندلس، ص٩٧-١٠١.

يقوم بالجلوس لاستقبال الوفود الزائرة[١]، وكـذلك يتفقـد المنشـآت العمرانية[٢]، ويمنح الألقاب[٣]، ويهتم بالبريد[٤].

كما أن هناك قرارات تتعلق بالمرافق الدينية مثل:- توسيع جـامع قرطبة، فقد حظي هذا الجامع باهتمام أمراء وخلفاء بني أميـة، منـذ أن أنشأه الأمير عبدالرحمن الداخل سنة ١٦٨هـ (٧٨٥م) حيث اسـتمرت عملية الإضافة إليه طيلة عهدي الإمارة والخلافة وكانت آخـر زيـادة شهدها الجامع سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) على يد الحاجب المنصور بـن أبي عامر[٥]، ولم يقتصر الأمر على الاهتمام بجامع قرطبة، فقد أُنشأت الجوامع في كافة كور الأندلس[٦]، وتم إجراء الزيادة فيها[٧]، وإعمـار ماتهـدم منها[٨]، ولعل جامع العدبَّس بإشبيلية هو أشهر تلك الجوامع بعد جـامع قرطبة[٩]، وقد بلغ من اهتمام الأمير هشام الرضـا: ١٧٢-١٨٠هـ

---

١ - المقتبس، طبعة شالميتا، ص٤٢٣، ٤٥٩، ٤٦٩، ٤٨٥. أندلسيات، ٢/٦٣-١٠٦. المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي ص ٢١-٢٢، ٥٠-٥٢، ١٣٨، ١٤٦.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٩٢.

٣ - المصدر السابق ص٦٩.

٤ - نفسه ١٣٦.

٥ - انظر: قرطبة حاضرة الخلافة ، ١/٢٦٩-٣٤٩ ومصادره.

٦ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٤٤. البيان المغرب، ٢/٨٢، نفح الطيـب، ١/٣٤٧.

٧ - البيان المغرب ٢/٩٦.

٨ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص٣٢٧.

٩ - ينسب هذا الجامع لعمر بن عدبَّس قاضي إشبيلية الذي تولى الإشراف على بنائـه سنة ٢١٤هـ تنفيذاً لأمر الأمير عبدالرحمن الأوسط وقد كان هذا الجامع من أعظـم=

(٧٨٨-٧٩٦م) بالمساجد وترغيب الناس في ارتيادها أنه كان "يصرِّر الصرر بالأموال في ليالي المطر والظلمة ويبعث بها إلى المساجد فيعطي من وجد فيها، يريد بذلك عمارة المساجد"[١].

وهناك قرارات تدور حول الاهتمام بالرعية: منها إشاعة العدل في المجتمع، وذلك عندما ينصاع الأمير أو الخليفة لحكم القاضي وإن كان ضد رغبته[٢]، وإرسال أناس عدول يطوفون الكور والثغور يسألون الناس عن سير عمالهم وقضاتهم فيهم[٣]، وإقامة الحق علنا على من استوجبه منهم[٤]، وكذلك إنشاء مرافق الخدمة العامة مثل: بنيان قنطرة قرطبة[٥]، وقنطرة أخرى على نهر إستجه[٦]، وبناء المدن[١]، وإذا استلزم الأمر إجراء

=مساجد الأندلس بعد جامع قرطبة، وقد أزال النصارى كل أثر لهذا الجامع وأقاموا مكانه كنيسة السلفادور. انظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، (تحقيق: عبدالهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) ص:٤٧٠. التكملة: طبعة كوديرا، ترجمة رقم ١٩٠٨. ذكر بلاد الأندلس ١/١٤٢، ولكنه أشار إلى أن البناء تم سنة ٢٣٠هـ. رحلة الأندلس، ص١٣٩.

١ - العقد الفريد، ٤/٤٩٠.

٢ - انظر: قضاة قرطبة، ص٢٣-٢٤، ٢٩، ٣٠، ٧٣. فرحة الأنفس، ص٣٠٤، النباهي، المرقبة العليا (تحقيق: ليفي بروفنسال. بيروت، المكتب التجاري، د.ت) ص٥٦-٧٠. وسأشير إليه فيمابعد باسم "النباهي". البيان المغرب ٢/٦٦.

٣ - المصدر السابق ٢/٦٦.

٤ - نفسه، ٢/٦٦.

٥ - نفسه، ٢/٦٦، ٢٨٨.

٦ - نفسه، ٢/٢٨٨. إستجه **Ecija** مدينة قديمة، تقع على وادي شنيل إلى الجنوب الغربي من قرطبة على بعد خمسين كيلو مترا، واسمها يعني جمعت الفوائد، وصف أهلها=

توسعة لإحدى الشوارع أو الأسواق وترتب على ذلك نزع بعض الأملاك، من حوانيت أو دور، فإن الحكومة تدفع لأربابها مايرضيهم[٢].

وقد كان الفقراء والمحتاجون في قائمة اهتمامات أمراء وخلفاء بني أمية لذلك أنشئت دار للصدقة[٣]، وعادة مايتم الإكثار من الصدقات على الفقراء والمحتاجين أوقات القحط[٤]، وعند دخول شهر رمضان[٥]، وتكون هذه الأموال من المال الخاص بالأمير أو الخليفة، كما تم اتخاذ المؤدبين لتعليم أولاد الضعفاء وإنشاء بعض المكاتب التي يتعلمون بها[٦]،

=بأنهم أصحاب شغب وانحراف عن الطاعة سواء قبل الفتح الإسلامي أو بعده. انظر: الروض المعطار ص٥٣، المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي تعليق رقم ٣٧.

١ - البيان المغرب، ٢/٢١٤، ٢٣٦.

٢ - المصدر السابق ٢/٢٨٧-٢٨٨.

٣ - تقع هذه الدار بغربي جامع قرطبة، ومنها يتم تفريق الصدقات على الفقراء. انظر: البيان المغرب، ٢/٢٤٠، وقد حفظ لنا ابن حيان صورة عن كيفية توزيع الصدقات على المحتاجين، فذكر أنه في أوائل شهر شوال سنة ٣٦٤هـ جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله بسطح باب السدة بقصر قرطبة، ومعه ولده هشام وقد تجمع أهل الحاجة عند الباب، ثم تقدم الفتيان الخدم الصقالبة ، وبأيديهم أكياس المال المعد للصدقة، وأخذ كل فتى من الخدم يملأ يديه من الكيس ويدفعه لأهل الحاجة كل بحسب ماقدر له، والخليفة يرى كل مايجري. انظر: المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٣٣-٢٣٤.

٤ - المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص٩٣. البيان المغرب ٢/١٦٨.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٧٦.

٦ - البيان المغرب ٢/٢٤٠.

وأقيمت الأحباس لأجل ذلك[1]، ويجري في بعض الأحيان أداء الديون عن المعسرين بالإضافة إلى فداء الأسرى المسلمين[2].

وهناك أعمال انفرد بها بعض من تولى رئاسة دولة بني أمية في الأندلس، ولعل ذلك يعود إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي واكبت توليه الرئاسة.

فالأمير عبدالرحمن الأوسط: ٢٠٦-٢٣٨هـ (٧٩٦-٨٢٢م) بادر فور توليه الإمارة إلى إخراج الأموال وتفريقها على من حضر معه مواراة جثمان والده، ثم أمر بإسقاط المكوس، وقتل القومس المشرف عليها، وتشريد أهل الفساد وهدم أوكارهم[3].

كل هذه الأعمال قام بها الأمير عبدالرحمن الأوسط في محاولة جادة منه لفتح صفحة جديدة مع رعيته، وذلك لإزالة ماعلق في نفوسهم بسبب ماجرى لهم في عهد والده[4].

وأما الأمير محمد بن عبدالرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ (٨٥٢- ٨٨٦م) فإنه بمجرد تلقيه البيعة الخاصة أصدر قراره بترقية وكيله محمد بن موسى

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٠٧.
٢ - ذكر بلاد الأندلس: ١/١٧٠.
٣ - المصدر السابق ١/١٣٩.
٤ - سواء ماكان منها متصلاً بهيج الربض، أو إيقاعه بأهالي طليطلة وتسليطه للقومس على المسلمين، وما عُرف عنه أنه يقوم بضم الغلمان المشهورين بالجمال لخدمته بعد أن يأمر بخصيهم.

الإشبيلي[١]، وعبدالرؤوف بن عبدالسلام[٢] إلى منصب الوزارة[٣]، مكافأة لهما على مناصرتهما له ليلة دخوله قصر الإمارة بقرطبة عقب وفاة والده الأمير عبدالرحمن الأوسط[٤].

وبعد أن بويع المنذر بن محمد بالإمارة: ٢٧٣-٢٧٥هـ (٨٨٦-٨٨٨م) عمل على كسب ولاء الجند، ففرق فيهم العطاء، وتحبب إلى الناس فأسقط عشر السنة عنهم ومايلزمهم من خراج ومعونة كما أمر بإطلاق سراح أهل السجون[٥].

والأمير المنذر اضطر إلى القيام بهذا التصرف، لأنه استلم دولة تعاني من اندلاع حركات التمرد والعصيان في كافة أرجائها، فإذا أراد

---

١ - هو محمد بن موسى، من بيت والي الأندلس عبدالرحمن الغافقي التحق بخدمة عيسى بن شهيد في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، ثم تولى الخزانة وبعدها وكالة محمد بن الأمير عبدالرحمن، وكان هو السند الرئيسي ـ بعد الله تعالى ـ في وصول محمد للإمارة، ولذا فقد كافأه بالوزارة غداة توليه الحكم، فحاز المجد واعتلت في الناس منزلته. انظر: ابن القوطية ، ص٧٥-٧٦، ٨٠. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٣٩-١٤١.

٢ - هو عبدالرؤوف بن عبدالسلام بن إبراهيم بن يزيد، أحد كبار الموالي الأمويين بالأندلس، دخل أبوه الأندلس وخدم في دولة الأمير عبدالرحمن الداخل، في حين أن عبدالرؤوف تولى طليطلة ونواحيها للأمير عبدالرحمن الأوسط في آخر أيامه كما تولى الوزارة للأمير محمد بن عبدالرحمن وتوفي في أيامه وهو يلي الوزارة. انظر: ابن القوطية، ص٨١-٨٢، المقتبس، تحقيق: د.محود مكي، تعليق: رقم ٩٣ ومصادره.

٣ - ابن القوطية، ص٨٢. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٢٨.

٤ - ابن القوطية، ص ٨١-٨٢، المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص١٣٩-١٤١.

٥ - البيان المغرب، ١٢٠/٢. ذكر بلاد الأندلس: ١٥٠/١. وطبيعي أن هذا مقتصر على غير أهل الحدود والحقوق الخاصة.

مواجهتها بقوة، فعليه كسب ولاء الجند ليضمن إخلاصهم، ويتحبب إلى أهل قرطبة فيأمن اضطرابهم عليه[1].

وعندما تولى عبدالله بن محمد الإمارة: ٢٧٥-٣٠٠هـ (٨٨٨-٩١٢م) كان الانتقاض قد تحيَّف الدولة، ولذا فإن في أول قرار أصدره أن أرسل أحد رجاله ليأخذ له البيعة من عمر بن حفصون ومن حوله[2]، وأما الأمير عبدالرحمن بن محمد: ٣٠٠-٣٥٠هـ (٩١٢-٩٦١م) فإنه بمجرد أن تولى الإمارة، وجه اهتمامه لمعالجة الخلل الإداري في الدولة، فبادر إلى حصر جميع السلطات في يده، وأحدث تغييرات وزارية شاملة، فقد أصدر عدة مراسيم تقضي بتعيينات جديدة في خطط الحجابة والوزارة والمدينة والشرطة العليا والخزانة والعرض وخزانة السلاح وخطة البيازرة[3]، عله بذلك يتمكن من ضبط الإدارة العليا للدولة، فينجح

---

١ - لكن هذا لايمنع من أنه دال على عظم همته وقوة شكيمته، فإن أخاه الأمير عبدالله لم يكن بكفاءة سلفه رغم أنه استلم دولة عرفت هيبة المنذر وشجاعته فترة وجيزة، إلا أنه عجز أن يفعل مثله.

٢ - المقتبس تحقيق: أنطونيه ص٥٠.

٣ - البيان المغرب، ١٥٨/٢-١٥٩، البيزره أو البزدرة: هي علم أحوال الجوارح، والكلمة فارسية، وعربت ببازيار أي صاحب الباز، وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٣٧هـ/١٩١٥م) ٤٦٩/٥. أبو عبدالله الحسن بن الحسين، البيزرة، (تحقيق: محمد كرد علي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٤٠٩هـ (١٩٨٨م)) ص٤. وخطة البيازرة تعني الرؤساء الذين يتولون الإشراف على كل ماله علاقة بأمور الصيد.

بالتالي في معالجة الوضع المتردي الذي كانت تعيشه الدولة ككل في عهد جده.

وفي عصر الفتنة الممتد من سنة ٣٩٩-٤٢٢هـ (١٠٠٩-١٠٢١م) اختفت القرارات التي تهتم بشئون الرعية، فقد كان جل اهتمام الخلفاء في تلك الفترة ينحصر بمحاولة إحكام سيطرتهم على البلاد، فالخليفة المهدي ٣٩٩-٤٠٠هـ(١٠٠٩م) بعد أن استولى على قرطبة كانت أوائل أعماله أنه أجلس بكرسي الشرطة ابن عمه محمد بن المغيرة، واتخذ من ابن عمه الآخر عبدالجبار حاجباً، ثم أجبر الخليفة هشام المؤيد على خلع نفسه والاعتراف به خليفة بدلاً عنه[١].

وأما الخليفة سليمان المستعين بالله الذي تولى الخلافة يوم الثلاثاء ١٧ ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ (٩ نوفمبر ١٠٠٩م) فإنه بعد أن استولى على قرطبة أصدر الكتب إلى كافة أقطار الأندلس تعلن خبر استيلائه عليها، وتميزت تلك الكتب بعبارات مشحونة بمعاني القوة، ووصف فيها كيفية دخوله لها ومن معه من البربر وكان هدفه من انتقاء تلك العبارات إدخال الرهبة في قلوب أهل النواحي ليسمعوا ويطيعوا[٢]، كما بادر إلى تعيين العمال وتفريقهم على أماكن أعمالهم وولى الولايات[٣]، وعندما دخل علي بن حمود قصر قرطبة بادر إلى قتل سليمان المستعين وأخيه

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/١١٠-١١١.

٢ - الذخيرة، ق١ م١ ص٣٧.

٣ - البيان المغرب، ٣/٩٢.

وأبيهما[١] ثم استقبل المبايعين في باب السدة من قصر قرطبة واتخذ لقب الناصر لدين الله[٢] وذلك يوم الاثنين ٢٣ محرم ٤٠٧هـ (يونيو ١٠١٦م) وبعد قتل علي بن حمود بويع بالخلافة لأخيه القاسم يوم الثلاثاء الخامس من شهر ذي القعدة سنة ٤٠٨هـ[٣] (٢٥ مارس ١٠١٨م) فأصدر نداءاً أُعلن في أقطار البلد بأمان الأحمر والأسود وبراءة الذمة ممن تسوَّر على أحد[٤].

وأما الخليفة الأموي الأخير هشام المعتد بالله ٤١٨-٤٢٢هـ (١٠٢٧-١٠٣١) فإنه عندما دخل قصر قرطبة جلس في مجلس الخلافة بالقصر واستقبل المهنئين، ثم جلس للمظالم، وأصدر قراره بزيادة عدد قراء جامع قرطبة، كما زاد في رزق مشيخة الشورى[٥].

ومن مظاهر ممارسة الأمير أو الخليفة الأموي في الأندلس للسلطان، موقفه من المكائد التي تقع داخل القصر أو خارجه، سواء وصل إليه الخبر بواسطة عيونه المبثوثة، أو تمكن من الوقوف على الأمر بنفسه ومن الأمثلة على ذلك:-

---

١ - الذخيرة، ق١ م١ ص٤٢. البيان المغرب، ٣/١١٧. أعمال الأعلام، ٢/١٢١. ذكر بلاد الأندلس، ١/٢٠٤.

٢ - الذخيرة، ق١ م١، ص٩٧.

٣ - البيان المغرب، ٣/١٢٤. أعمال الأعلام، ٢/١٣٠.

٤ - البيان المغرب، ٣/١٣٠.

٥ - الذخيرة، ق٣ م١ ص٥١٧.

أنه عندما فشلت طروب[١]، ومعها الفتى الكبير نصر الخصي[٢] مدبر دولة الأمير عبدالرحمن الأوسط في تقديم عبدالله بن الأمير عبدالرحمن الأوسط لتولي منصب ولاية العهد دون أخيه الأسن منه محمد[٣]، عمل نصر الخصي على اغتيال مولاه الأمير عبدالرحمن الأوسط بواسطة سم مركب أعده الطبيب يونس الحراني[٤] الذي أخبر بدوره

١ - طروب هي جارية الأمير عبدالرحمن الأوسط، والمقدمة لديه على جميع نسائه حاولت أن تحوز ولاية العهد لابنها عبدالله فلما أعيتها الحيلة لجأت إلى محاولة اغتيال مولاها، مستعينة بالفتى نصر الخصي. انظر: ابن القوطية، ص٧٦-٧٧. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٨-١٥ الحلة السيراء ١/١١٤ حاشية رقم١.

٢ - هو أبو الفتح نصر بن أبي الشمول، أبوه من نصارى قرمونه **Carmona** ثم اعتنق الإسلام قبل أن يُقدم الأمير الحكم على المثلة بولده نصر، وقد ارتفعت منزلة نصر عند الأمير عبدالرحمن الأوسط لدرجة أنه أصبح يتصرف باسمه في شؤون الدولة ومازال في سؤدد حتى توفي سنة ٢٣٦هـ. انظر: جمهرة أنساب العرب ص٩٥-٩٦. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق رقم ٤٩.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص١٠٦-١٠٧.

٤ - ورد ذكر هذا الطبيب في عدة مصادر إلا أنها لم تذكر اسمه صراحة فقد اكتفى ابن جلجل بقوله "الحراني الذي ورد من المشرق" في حين قال صاعد "رجل من أهالي حران كان يعرف بالأندلس بالحراني لم يبلغني اسمه" وقال عنه ابن حيان "طبيب الأمير المعروف بالحراني" وأما بن أبي أصيبعه فقد قال "الحراني الذي ورد من المشرق" ولم يذكر اسمه صراحة إلا القفطي حين قال "يونس الحراني الطبيب نزيل الأندلس ... وولده أحمد وعمر" . انظر على التوالي : ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، (تحقيق: فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ) ص٩٤. صاعد البغدادي، طبقات الأمم (تحقيق: حياة العبد بوعلوان، بيروت، دار الطليعة ط الأولى، ١٩٨٥م) ص ١٨٦. القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (تصحيح: أمين الخانجي، القاهرة، مطبعة السعادة،=

فجر[١] جارية الأمير عبدالرحمن الأوسط وضرة طروب، فكانت النتيجة هلاك الخصي بالسم الذي أعده الطبيب الحراني[٢].

ومن المكائد والسعايات التي جرت خارج القصر، ماوقع من بعض فقهاء قرطبة ضد بقي بن مخلد[٣] في صدر دولة الأمير محمد بن عبدالرحمن، الذي ماإن رفعت القضية إليه حتى سارع إلى الجمع بين بقي وبين أولئك الفقهاء في مجلسه وسمع من الطرفين أقوالهما، وعندما أدرك أن الحق مع بقي منعهم من النيل منه، وأمره بنشر علمه وأن يكون ضمن الفقهاء الداخلين عليه[٤].

وعندما حاول الوزير هاشم بن عبدالعزيز الإيقاع من خلال السعايات والدسائس بأحد خدم الأمير محمد بن عبدالرحمن، بل إن

=١٣٢٦هـ.) ص٢٥٨-٢٥٩. ابن أبي أصبعية، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (شرح وتحقيق د. نزار رضا بيروت دار مكتبة الحياة د.ت) ص٤٨٦.

١ - عن فجر. انظر المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق رقم ٥٤ ومصادره.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود علي مكي ، ص٩-١١.

٣ - هو أبو عبدالرحمن بقي بن مخلد بن يزيد، أندلسي قرطبي ولد سنة ٢٠١هـ حافظ مفسر محقق، وكان إماماً مجتهداً، ورعاً فاضلاً، زاهداً رحل إلى المشرق وطلب العلم وألح فيه، حتى قال عنه ابن أبي خيثمة: ماكنا نسمية إلا المكنسه، ولذا فعندما عاد إلى الأندلس ملأها علماً جماً. ترك عدة مؤلفات، ودفن بمقبرة بني العباس. انظر: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٤٩-٦٢ ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٨٣. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٢٤٨-٢٥٠ وتعليق رقم ٤١١ والمصادر المذكورة. جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٣٣١.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٤٧-٢٤٩. البيان المغرب ٢/١٠٩-١١٠.

الأخير عندما استشار وزيره هاشماً بأمر ذلك الخادم طالبه بالتنكيل به وتشريده، فما كان من الأمير إلا أن أطلع وزيره على ضبارة كتب تحوي مايقرب من مائة ورقة كلها ضد الوزير وكل واحد منها تكفي لسفك دمه، فأسقط في يد الوزير، وأخذ بالتنصل مما كتب ضده وقدم المعاذير ملقياً باللائمة على الحساد وطالب الأمير بالتثبت وعدم التسرع، فأخبره الأمير أن التسرع ليس من شيمته، وأنه قد اختبر تلك الكتب فوجد أكثرها كاذبة، ورغم ذلك فلهم مكافآت على مايقدمونه من معلومات[١] ثم طالبه الأمير ببقاء أسماء أصحاب تلك الكتب سرية وهدده بعقوبة شديدة إن خرج من تلك الإسماء شيء[٢].

ومن المكائد التي فطن لها الأمير محمد بن عبدالرحمن ماقام به وزيره هاشم بن عبدالعزيز عندما عمل على رد أموال الكاتب صاحب القلم الأعلى قومس بن أنتنيان[٣] إلى بيت مال المسلمين، وعدم تقسيمها بين ورثته، متهماً إياه بأنه قد مات على النصرانية، وقد وردت على القاضي

---

١ - لأنه إن قطع الأمير مكافأة أحد أولئك المخبرين بسبب كذبه، تردد الباقون في رفع الأخبار إليه. انظر: أخبار مجموعة، ص ١٤٣.

٢ - أخبار مجموعة، ص١٤٢-١٤٤.

٣ - قومس بن أنتنيان ينتمي لأسرة نصرانية، احتفظ بديانته مدة، ثم أسلم، وتولى الكتابة للأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٤٦هـ، وتوفي بعد ذلك بمدة وجيزة. انظر: المقتبس، تحقيق: محمود مكي ص١٤٢.

سليمان بن أسود[1] شهادات كثيره كلها تذكر أن قومس قد مات على النصرانية وعندما رفع القاضي تلك الشهادات للأمير محمد، لم يتصفحها بل أرسل أحد فتيانه إلى القاضي ليسأله عما ثبت لديه في قضية ابن انتنيان، فأثنى القاضي على قومس وطعن في الشهادات المرفوعة ضده[2]،" فخرج التوقيع إلى القاضي اقسم مال قومس بين ورثته"[3].

هذا وقد اهتم بنو أمية في الأندلس كثيراً بالتعرف على أحوال رعاياهم ووصول الأخبار إليهم أولاً بأول، بواسطة العيون والأرصاد، لوضع الحلول المناسبة لما يستجد من أحداث، فمن الأمثلة على ذلك:-

سرعة وصول خبر وفاة القاضي المصعب بن عمران[4] للأمير الحكم

---

١ - هو سليمان بن أسود بن يعيش بن جشيب من مدينة غافق كان والياً على كورة ماردة، ثم ولي قضاء الجماعة مرتين في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وأربعين يوماً في بداية عهد الأمير المنذر بن محمد. انظر: قضاة قرطبة، ص ٧٣-٨٩.

٢ - قضاة قرطبة ص٧٥-٧٧.

٣ - المصدر السابق، ص٧٧. وقد ذكر الخشني أن الفقيه محمد بن يوسف بن مطروح كان إذا قعد في الجامع قال على رؤوس الناس: "من مثل قومس السجاد العباد حمامة هذا المسجد يقال فيه مات على النصرانية، ثم ترجَّع "كما أن الخشني ذكر أيضاً بأن الناس كانوا يتعجبون ممن شهد على قومس بالنصرانية، انظر: قضاة قرطبة، ص٧٦. الأمر الذي يدل على أن الشهادات التي كانت مرفوعة ضد قومس قد سبق وأن دفعت أثمانها.

٤ - أبو محمد المصعب بن عمران بن شفي الهمداني، عربي شامي، كان خيراً فاضلاً رفض أن يلي القضاء للأمير الداخل، ثم قبله في عهد أبنه هشام الرضا، وأقره على القضاء الحكم الربضي، كان عادلاً فقيهاً لايقلد مذهباً بل يقضي بما يراه صواباً. انظر: قضاة قرطبة، ص٢٤-٢٨، ابن الفرضي: ترجمة رقم ١٤٣٢.

الربضي[١]، وكذلك موقف الأمير الحكم الربضي من القاضي محمد بن بشير[٢] عندما رفض استقبال العباس بن عبدالله المرواني القرشي[٣] في مترله[٤]. وهذا الأمير محمد بن عبدالرحمن كان من بين عيونه الذين يكتمون السر ويثق بهم شرحبيل الزامر الذي بسببه اعترف الوزير هاشم بن عبدالعزيز باغتصابه لضيعة أحدهم[٥].

وأما الخليفة عبدالرحمن الناصر فإنه من شدة اهتمامه بشؤون دولته ومصالح رعيته كان له من يأتيه بخبر كل صغيرة وكبيرة مما يجري في مواطن اجتماع الناس، فقد جند أناس كثر، حازوا ثقة الآخرين وهم ينقلون إليه مايدور في المجالس والأسواق، فكأن الخليفة بينهم[٦]، وهذا

---

١ - البيان المغرب ٧٨/٢.

٢ - أبو عبدالله محمد بن سعيد بن بشير المعافري، أصله من جند باجه كان في حداثته كاتباً للقاضي المصعب بن عمران، ثم رحل إلى المشرق، فسمع من الإمام مالك، ولما عاد إلى الأندلس، لزم ضيعته بباجه، إلى أن استدعي للقضاء بقرطبة، وصف بالعدل والفضل، وكان حسن الزي جميل الخلق، وقد ظل في القضاء حتى توفي سنة ١٩٨هـ. انظر: ترتيب المدارك، ٣، ٣٢٧-٣٣٩. ابن الأبار، التكملة، طبعة الحسيني، ترجمة رقم ٩٥٤. النباهي ص٤٧-٥٣.

٣ - العباس بن عبدالله بن عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم كان والياً على باجه للأمير هشام الرضا، ثم تولى الوزارة والقيادة للأمير الحكم الربضي، وظل على مرتبته هذه في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط حتى توفي سنة ٢١٩هـ. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٨، ٧٩. والتعليق رقم ٩١.

٤ - أخبار مجموعة، ص١٢٨. نفح الطيب، ١٤٥/٢.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص١٤٩-١٥١.

٦ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٣-٢٤.

الخليفة الحكم أوصلت له عيونه خبر تجاوزات جرت من بعض العمال، فأرسل إلى جميع عماله في كور الأندلس "يعنفهم على جرأتهم ويحذرهم من سطوته وعقوبته"[١].

واما الحركات التي كانت تدبر ضد الحكم الأموي، فقد قابلها أمراء وخلفاء بني أمية بالحزم والشدة. من ذلك أن مغيرة بن الوليد بن معاوية[٢]، عمل على تدبير حركة ضد الأمير عبدالرحمن الداخل، وساعده على ذلك هذيل بن الصميل بن حاتم وغيره، وعندما وصل الخبر إلى الأمير عبدالرحمن الداخل أمر بإلقاء القبض على مغيرة وهذيل ومن معهما، وبعد أن أوضح التحقيق صحة مانُسب إليهم، قتلوا جميعاً، وذلك سنة ١٦٨هـ (٧٨٤-٧٨٥م) [٣].

وأما الأمير الحكم الربضي فإنه عندما أبلغه أحدهم بأن حركة ستهب ضده في قرطبة لم يتسرع بقبول الخبر، بل اتهم المخبر فيما رفعه إليه، ثم توعده بضرب عنقه إن لم يقم دليلاً قاطعاً على ذلك[٤]، وتكررت حكمة التريث في قبول مايخطط له من عصيان مع الأمير عبدالله بن محمد

---

١ - البيان المغرب ٢/٢٣٩.

٢ - مغيرة بن الوليد بن معاوية، عمه الأمير عبدالرحمن الداخل، وقد دخل الوليد بن معاوية الأندلس في عهد أخيه، الذي نفاه عن الأندلس بعد قتله لابنه مغيرة، ولمغيرة ثلاثة أولاد أخوه يعرفون بالمغيريين، انظر: جمهرة أنساب العرب، ص٩٣-٩٤.

٣ - أخبار مجموعة ص١١٦، البيان المغرب ٢/٥٧.

٤ - ابن القوطية ص٥٠-٥١. سير أعلام النبلاء ٨/٢٥٥-٢٥٦.

في شان أخيه القاسم[1]، وكذلك مع الخليفة عبدالرحمن الناصر في شأن ولده عبدالله[2].

ومن أساليب ممارسة الأمير أو الخليفة الأموي في الأندلس للسلطان، تعامله مع بعض المناوئين، فقد وضع الأمير عبدالرحمن الداخل سياسة ذات أبعاد في التعامل مع من يشك في إخلاصه من رجال الدولة. وكانت هذه السياسة نبراساً لمن أتى بعده من سلالته أمراء وخلفاء، كانت هذه السياسة تقوم على إخضاع ذوي الشوكة ثم نقلهم ومعهم أهلهم وذووهم إلى العاصمة قرطبة، وقد بدأ الأمير عبدالرحمن الداخل العمل بهذه السياسة منذ الأيام الأولى لإمارته، فبعد أن صالحه يوسف الفهري والصميل على أن يمنحهما ومن سواهما الأمان لهم ولأموالهم، واستجاب الداخل لطلبهما

---

١ - أبو محمد القاسم بن محمد بن عبدالرحمن الأوسط، من أدباء بني مروان ونبهائهم، كان جباراً تياهاً، قام بحركة ضد أخيه الأمير عبدالله فحبسه، ومات في الحبس، وقد اختلف في سبب موته. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٠٠-٢٠٤. المقتبس، تحقيق: أنطونيه ص٤١. الحلة السيراء، ١/١٢٧-١٢٨، البيان المعرب ٢/١٥٠-١٥١.

٢ - كان عبدالله بن عبدالرحمن الناصر من نجباء ألاد الخلفاء، شاعراً فقيهاً، على مذهب الشافعي، محباً للعلم والعلماء، وقد حدث عن بعضهم، له تواليف تدل على علمه وفهمه، سعى ضده أخوه الحكم المستنصر بأنه يريد القيام ضد أبيه، فكان ذلك سبب قتله في آخر سنة ٣٣٨هـ. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص١٠٢. الحلة السيراء، ١/٢٠٦-٢٠٨، البيان المغرب، ٢/٢١٧. أعمال الأعلام، ٢/٣٩.

بعد أن قبلا بشروطه عليهما، أقبل إلى قرطبة وهما بصحبته وذلك سنة ١٣٩هـ[1] (٧٥٧).

ولعل الغرض من هذه السياسة، تسهيل مراقبة من يخشى جانبه، واتقاء شره عندما ينقل إلى قرطبة، وذلك للحيلولة دون اندلاع الفتن في المجتمع، ولكي تصبح الرعية أمة واحدة ومطمئنة[2].

وهناك هدف آخر تحرص حكومة قرطبة على تحقيقه، وهو عسى أن تكتشف تلك الفئات المنقولة إلى قرطبة مدى حرص الأمويين على حسن سير السياسة العامة للدولة، فتكف من تلقاء نفسها عن معاداتها، بالإضافة إلى أن تلك الفئات تصبح قريبة من العطاء المقدم من ديوان بيت المال الذي يهدف منه تأليف القلوب. كما أن حكومة قرطبة تسعى إلى إشعار أولئك المنقولين إلى العاصمة بمكانتهم، ولذا فإنهم يكونون في مقدمة المدعوين إلى الإحتفالات التي تقيمها السلطة المركزية، ولذلك يشعرون بإكرام الدولة لهم، هذا الوضع بصفة عامة يمكنّ أولاد المنقولين إلى قرطبة من التقرب من أولاد الأمويين، فيذوب مافي نفوس أولئك

١ - أخبار مجموعة ص٩٣-٩٤ إلا أنه جعل الصلح في سنة ١٤٠. البيان المغرب ٤٨/٢. نفح الطيب ٣٤/٣. وللاستزادة عن موضع نقل ذوي الشوكة إلى قرطبة. انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٨٠، ١٩٠، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٧١، ٢٨٣. البيان المغرب، ٧٢/٢، ١٠٠، ١٦١، ١٨٣، ١٩٧، ٢٠٠.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢١٨.

المناوئين، وبالتالي يصبح ذلك المناوئ سابقاً من بين ثقات الأمير[١] وحشم الخليفة[٢].

ومما رسمه الأمير عبدالرحمن الداخل لأحفاده من بعده في التعامل مع المعارضين للبيت الأموي، فرض الإقامة الجبرية على بعضهم أياً كان محل إقامته دون نقله إلى قرطبة، فالأمير الداخل ألزم مولاه بدراً[٣] الإقامة في داره ومنعه من مغادرتها بعد أن أكثر من الدلال عليه[٤]، وكذلك الخليفة الحكم المستنصر فرض على أحمد بن هاشم الإقامة الجبرية في داره تأديباً له عندما بلغه عنه مايسؤوه[٥].

ومن الأساليب التي سار عليها بنو أمية في الأندلس عند التعامل مع بعض المعارضين الخارجين على الدولة، استخدام الإيقاع بين الأطراف المعارضة، وهذا ماسار عليه الأمير عبدالرحمن الداخل عند مواجهته

١ - البيان المغرب، ٢/٨٣.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٤٨.

٣ - بدر هو الساعد الأيمن لمولاه الأمير عبدالرحمن الداخل، فهو رفيق دربه في هربه من المشرق إلى الأندلس، كما أنه كان أحد الأركان التي قامت عليها الدولة الأموية في الأندلس، ونظراً لشعوره بإهمال مولاه له، أخذ يكثر من الكتابة إليه، طمعاً في الحصول على منصب عالٍ في الدولة، مدلاً عليه بما بذله لأجله، ناسياً أن الملوك لايمن أحد عليهم بشيء أيا كان، ولذا فقد أصدر أمره بإلزام مولاه بدراً الإقامة في داره، بعد أن استصفى أمواله، ولما كتب إليه بدر مرة أخرى أمر بطرده من قرطبة وإسكانه أقصى الثغر. انظر في أخبار بدر. ابن القوطية، ص٢٣،٢٢،٢١. أخبار مجموعة، ص٥٤، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٥... وغيرها، نفح الطيب ٣/٢٧-٣١، ٣٩-٤١.

٤ - نفح الطيب، ٣/٤٠.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ١٠٤.

للبربر[1]، وأخذ بهذا الأسلوب أيضاً الأمير عبدالله بن محمد ضد إبراهيم بن حجاج وابن خلدون[2]، وهناك عنصر المفاجأة، وهو مااستخدمه الأمير الحكم الربضي مع أحد العصاة[3]، وفي أحيان أخرى يعمد الأمير الأموي إلى إقطاع المعارض مكاناً معيناً إتقاءً لشره، ولنيل طاعته، ومثل ذلك مافعله الأمير محمد بن عبدالرحمن مع ابن مروان عندما أقطعه بطليوس[4]، وكذلك الأمير عبدالله بن محمد مع إبراهيم بن حجاج عند تغلبه على إشبيلية[5].

وعرفت حكومة قرطبة أسلوب الاغتيال، نجد ذلك عند الأمير عبدالله بن محمد الذي كتب سراً إلى أبي يحيى بن عبدالرحمن التجيبي

---

١ - البيان المغرب، ٢/٥١، ٥٤-٥٥.

٢ - المصدر السابق: ٢/١٢٥. ويعد بيتا بني الحجاج وبني خلدون من أنبه البيوتات العربية في كورة إشبيلية وقد كانت الزعامة لهما في تلك الكورة، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وينتسب بني حجاج إلى قبيلة لخم القحطانية، كما أنهم يتصلون بملوك القوط من ناحية الأمومة. في حين أن بني خلدون يعودون في أصلهم إلى عرب حضرموت. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص٤٦٠. الحلة السيراء، ٢/٣٧٦-٣٧٧. د. عبدالواحد طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، ص٢٥٥،٢٥٢. أبا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص٢٢٨-٢٥٩ ومصادره.

٣ - أخبار مجموعة ص١٢٩-١٣٠.

٤ - ابن القوطية ص٨٩-٩٠ وعن بطليوس وحركة بن مروان الجليقي بها، واقطاعها له. انظر: د.سحر السيد سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي (الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ت) ١/٢٤٥-٢٨٦ والمصادر المذكورة.

٥ - البيان المغرب ٢/١٣٥.

السرقسطي يأمره بالفتك بأحمد بن البراء[١]، كما استخدم طريق الاستمالة والمهادنة مع سوار بن حمدون المحاربي[٢]، وهذه السياسة سار عليها الخليفة عبدالرحمن الناصر مع محمد بن إبراهيم بن حجاج فقد رفعه إلى منصب الوزارة بعد نقله من قرمونة[٣] إلى قرطبة[٤].

ومن هذا يتضح لنا المنهج الذي سار عليه الأمويون في الأندلس عند معالجة الأحداث الطارئة، فرغم استخدامهم العيون التي ترفع إليهم كل

---

١ - كان الأمير المنذر بن محمد قد ولى أحمد بن البراء من مالك القرشي سرقسطه وثغرها، وكلفه محاربة بني قسي، وقد أقره الأمير عبدالله بن محمد على ولايته، إلا أن كلمة نقلت عن الوزير البراء بن مالك جعلت الأمير عبدالله يخشى أطماع أحمد بن البراء، فكلف محمد بن عبدالرحمن التجيبي المعروف بالأنقر القيام باغتيال البراء، فنجح التجيبي في هذا الأمر، وذلك يوم الأربعاء ١٨ من شهر رمضان سنة ٢٧٦هـ ونال ولاية سرقسطة مكافأة له. انظر: ابن القوطية، ص١١٣-١١٤. المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٨٥-٨٦.

٢ - سوار بن حمدون القيسي المحاربي، زعيم عربي، قاد حركته سنة ٢٧٦هـ بناحية البراجلة في كورة إلبيرة، وانضوت إليه بيوتات العرب، في الفتنة التي جرت بينهم وبين المولدين وكان سوار معروفاً بالشجاعة والجرأة وحسن المعاملة، قتل غدراً على يد بعض أتباع ابن حفصون سنة ٢٧٧هـ. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٠. المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٥٤-٦١. الحلة السيراء، ١/١٤٧-١٥٤.

٣ - قرمونة **Carmona** مدينة قديمة البناء تقع إلى الشمال الشرقي من إشبيلية، وتبعد عنها مسافة ٣٢ كيلو متراً فقط، وكانت في التقسيم الإداري للأندلس كورة واسعة، تضم مدناً وحصوناً كثيرة، وقد خرجت من أيدي المسلمين سنة ٦٤٤هـ. انظر: وصف الأندلس، ص٩٤. الروض المعطار، ص٤٦١. الآثار الأندلسية الباقية، ص٧١-٧٤.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٧٠ ومابعدها. أعمال الأعلام، ٢/٣٥.

مايجري في المجتمع، إلا أهم امتازوا بعدم التسرع، فكل خبر يرفع إليهم يعملون على كشفه والتأكد منه، فإذا ثبتت صحته عالجوا مايمكن معالجته بالصفح والمصالحة أو التأديب الذي لايتلف الروح، هذا إذا كان الأمر لايتعلق بالتآمر على السلطة وأمن الرعية، أما إذا وصل الحال إلى هذه الدرجة، فالموت مصير من يعبث بهذا الجانب.

الألقاب

من مظاهر سلطان حاكم الدولة الأموية في الأندلس اتخاذ الألقاب ومنحها[١]، وبما أن دولة بني أمية في الأندلس قد مرت بعصري الإمارة والخلافة، لذا فإن الألقاب ارتبطت بالحالة السياسية للدولة.

ففي عصر الإمارة نجد أن الأمير عبدالرحمن بن معاوية قد أُطلقت عليه عدة ألقاب، أشهرها: الداخل[٢]، لأنه أول من دخل الأندلس حاكماً

---

١ - كان الأمير أو الخليفة الأموي في الأندلس يمنح الألقاب لكبار موظفيه في الحجابة والوزارة والقضاء والجيش... إلخ. وسوف نتكلم عن رسوم منح الألقاب كل في مجاله.

٢ - انظر: نقط العروس، ص٦٠، المعجب، ص٤٠، ذكر بلاد الأندلس، ١١٨/١ سير أعلام النبلاء، ٢٤٤/٨، نفح الطيب ٢٧/٣، صبح الأعشى ٤٧٨/٥، ويبدو أن هذا اللقب لم يختص به الأمير عبدالرحمن بن معاوية لوحده، فقد كان يطلق على كثير ممن وفد إلى الأندلس من المشرق، فمثلاً: عبدالجبار بن نذير دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر فأطلق عليه لقب الداخل فأصبح يعرف بعبدالجبار الداخل. انظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٥. وهناك أحد الأدباء كان جده يعرف بالداخل وهو عبيد الله بن قرلمان بن بدر الداخل. انظر: ابن القوطية ص ٥٩، كما أن الفقيه المشاور عبدالله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج اللخمي، كان يطلق عليه وعلى أبيه وجده لقب الداخل. انظر: الصلة، تراجم رقم٢٥، ٢٣٧، ١١١٤.وعلى هذا الأساس فإن لقب الداخل يمكن أن يطلق غالباً على كل من دخل الأندلس قادماً من المشرق وأسس أسرة مستقرة فيها.

من بني أمية، كما لقب بـ" الإمام"[١] و"ابن الخلائف"[٢] ونودي بـ"سلطان الأندلس"[٣] و"الأول"[٤] لأنه أول من حمل اسم عبدالرحمن من حكام بني أمية في الأندلس.

ومن الألقاب التي أطلقت على الأمير عبدالرحمن بن معاوية "صقر قريش"[٥]، و"صقر بني أمية"[٦]، ولُقّب بـ"الأمير الكريم والملك العظيم"[٧].

كما عرف ابنه الأمير هشام بـ"الرضا" وقد ذكر ابن حزم أنه لم يتلقب من بني أمية في الأندلس بهذا اللقب إلا هشام بن عبدالرحمن الداخل، فقد كان يقال له: هشام الرضا[٨]، وذكر ابن الآبار أن هشاماً

---

١ - نصوص عن الأندلس، ص١١، ٢٥، ٢٦، ابن الفرضي، ١١/١، البيان المغرب، ٥٤/٢، ٥٦، ٥٧، ٥٨. ذكر بلاد الأندلس، ١٠٩/١، ١١٨.

٢ - أبو بكر الهمداني، مختصر كتاب البلدان (بعناية دو غوية بريل ١٨٨٥م) ص٨٣.

٣ - نصوص عن الأندلس، ص١١-١٢، ٢٦، ٢٧، المغرب في حلى المغرب، ١٤٣/١، ٢/ ١٢٣، ١٤٦. صبح الأعشى، ٤٧٨/٥.

٤ - المعجب، ص٤٨، نفح الطيب، ١٣٤٧. ولاشك أن هذه التسمية لايمكن إطلاقها إلا في وقت متأخر من تاريخ بني أمية في الأندلس.

٥ - العقد الفريد، ٤٨٨/٤. أخبار مجموعة، ص١١٨-١١٩، الحلة السيراء، ٣٥/١. البيان المغرب،٥٩/٢-٦٠.

٦ - الإحاطة، ٤٦٧/٣.

٧ - سير أعلام النبلاء، ٢٥٠/٨.

٨ - نقط العروس، ص ٥٠.

سمي بـ"الرضا لعدله وفضله[١]" ويبدو أن هذا اللقب قد أطلق عليه في فترة لاحقة، إذ أن المصادر المتقدمه لم تورده إطلاقاً[٢].

وكان الأمير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل معروفاً بلقب "الربضي[٣]" وهذا اللقب لم يطلق عليه إلا في أواخر عهده وذلك بسبب مافعله بأهل الربض عند قيامهم ضده في يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٢٠٢هـ[٤] (٢٦ مارس ٨١٨م).

ولم يُعرف الأمير عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بلقب معين، والمصادر التاريخية المبكرة خلت من ذكر لما يمكن أن يكون لقباً له، إلا أن المصادر التاريخية التالية أطلقت عليه لقب "الأوسط" ومن الطبيعي أن هذا اللقب لايمكن أن يتم إطلاقه إلا بعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أي بعد زوال دولة بني أمية. ولعل هذا الرأي يوضحه بعض المؤرخين أثناء حديثه عن الأمير عبدالرحمن حيث قال: "ويعرف الأمير

---

١ - الحلة السيراء، ٤٢/١. وانظر: البيان المغرب ٦١/٢، ذكر بلاد الأندلس ١١٨/١، أعمال الأعلام ١٢/٢.

٢ - العقد الفريد، ٤٩٠/٤ ابن القوطية، ص٤٢-٤٤، ابن الفرضي، ١٢/١. أخبار مجموعة. ص١٢٠-١٢٤.

٣ - نقط العروس، ص٥٠، ٧٣. جذوة المقتبس، ص١٠. المعجب، ص٤٤. الحلة السيراء، ٤٢/١. المغرب في حلى المغرب، ٣٨/١. ذكر بلاد الأندلس، ١٢٤/١.

٤ - جذوة المقتبس، ص١٠. الحلة السيراء، ٤٤/١. وانظر: أخبار مجموعة، ص١٣٠-١٣١، الكامل في التاريخ، ٤١٣/٥-٤١٤. البيان المغرب ٧٥/٢-٧٧.

عبدالرحمن بالأوسط، لأن الأول عبدالرحمن الداخل والثالث عبـــدالرحمن الناصر[١]" .

لكن إذا كان الأمير عبدالرحمن بن الحكم لم يُعرف بلقـــب علـــى المستوى الرسمي فإن العامة أطلقت عليه لقباً استوحته من كلفـــه بصـــيد الغرانيق فقد أطلقوا مثلاً أصبح شائعاً فقالوا: "أيام أبو الغرانيق"[٢].

وقد عُرف الأمير محمد بن عبدالرحمن بلقب "الأمين"[٣] في حين أن ابنيه المنذر وعبدالله لم يعُرفا بلقب معين.

هذه هي ألقاب بني أمية في الأندلس فمنذ قيـــام دولتـــهم ســـنة ١٣٨هـــ (٧٥٥م) إلى سنة ٣١٦هـــ (٩٢٨م) كان كل حاكم منـــهم يطلق عليه لقب "أمير" الذي يعني في اللغة الأمر والتسلط[٤]، كما كـــان يطلق عليه لقب "الإمام"[٥] الذي يعني القدوة[٦].

---

١ – انظر: المعجب ، ص ٤٨. الحلة السيراء، ١١٣/١. نفح الطيب، ٣٤٧/١.
٢ – انظر: الزجالي، "ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام" (دراسة: د. محمد بن شريقة. نشر تحت عنوان : أمثال العوام في الأندلس . المغرب فاس مطبعة محمد الخامس ١٣٩٥هـــ، ١٩٧٥م) ٧٦/٢.
٣ – نهاية الأرب، ٣٨٧/٢٣.
٤ – د. حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصـــرية ١٩٥٧م). ص١٧٩.
٥ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٢٤. البيـــان المغـــرب، ٢، ٥٤، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٨٥، ١١٤، ١١٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣. ذكـــر بـــلاد الأنـــدلس: ١٥٣/١،١٤٩،١٤٦،١٣٧،١٢٤،١١٨.
٦ – الألقاب الإسلامية، ص ١٦٦.

وقد شهد عصر عبدالرحمن بن محمد ٣٠٠-٣٥٠هـ (٩٦١-٩٧٦م) تغيراً جذرياً في سياسة الدولة الأموية، حيث تم في عهده إعلان قيام الخلافة الأموية في الأندلس، ففي يوم الخميس مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦هـ (١٥ يناير ٩٢٩م) أصدر الأمير عبدالرحمن بن محمد كتاباً وزعت نسخه على عمال الكور وقادة الثغور في الأندلس ليعتمد الجميع مخاطبته بأمير المؤمنين، جاء فيه:-

"بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإنّا أحقُ من استوفى حقه، واجدر من استكمل حظه، ولبس من كرامة الله ماألبسه، للذي فضلنا الله به وأظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسَّر على أيدينا إدراكه، وسهَّل بدولتنا مرامه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلوّ أمرنا، وأعلن من رجاء العاملين بنا، وأعاد انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا، والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا، وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعو بهذا اللقب غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتسم بما لايستحقه، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله والله المستعان"[1].

---

١ - البيان المغرب ١٩٨/٢-١٩٩، وانظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٤١، أعمال الأعلام، ٣٠/٢. مؤلف مجهول، تاريخ عبدالرحمن الناصر، ص٥٦-٥٧.

وفي يوم الجمعة ثاني ذي الحجة دعا قاضي الجماعة بقرطبة الفقيه أحمد بن بقي بن مخلد[١] لعبد الرحمن بن محمد بإمرة المؤمنين[٢]، ولأجل إظهار الفرق بينه وبين من دونه واستكمالاً لمظاهر الفخامة، أصدر الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) أمراً يقضي (بأن يكون الخطاب الموجه إليه كله جواباً بالكتابة عنه بالهاء ... دون الكاف ... وأن تخرج كتبه بالخبر عن مخاطبته تعظيماً لقدره)[٣].

وقبل أن ننتقل من هذه المسألة إلى غيرها، لابد من مناقشة الدوافع التي كانت وراء إعلان عبدالرحمن الناصر عن قيام الخلافة الأموية في الأندلس، فابن عذاري ذكر أنه كان يرى في نفسه أنه أحق بهذا الاسم "من كل منتخب في المشرق والمغرب"[٤]. فهو سليل خلفاء، حقيق بحمل ماكان لهم من الألقاب.

---

١ - هو الفقيه القرطبي أبو عبدالله أحمد بن بقي، كان عاقلاً حصيفاً، امتاز بالدهاء والأدب، واتصف بكرم الأخلاق وبلاغة اللسان وحسن العشرة، اشتغل بطلب الآخرة عن الدنيا، كان يلي الصلاة مع قضاء الجماعة، توفي ليلة الاثنين الأول من جمادى الأولى سنة ٣٢٤هـ. أنظر: أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٧. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٣.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٤١.

٣ - مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، (تحقيق: د.سهيل زكار، وعبدالقادر زمامه المغرب، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثه، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص٣٢.

٤ - البيان المغرب ١٩٨/٢.

بينما يرى ابن الأثير[1] وابن الآبار[2] وابن خلدون[3] أن ضعف الخلافة العباسية في المشرق، وتسلط الأتراك على خلفائها[4] وقيام الخلافة العبيدية في القيروان[5]، كان سبباً في إعلان الأمير عبدالرحمن بن محمد للخلافة في الأندلس، ويضيف ابن الخطيب إلى ماسبق قيام عدد من الدويلات في مشرق الدولة العباسية[6]، ولعل صاحب "الحلل الموشية" قد

---

١ - الكامل، ٢٧٠/٧.

٢ - الحلة السيراء، ١٩٨/١.

٣ - تاريخ ابن خلدون، ١٣٧/٤.

٤ - تولى المقتدر بالله العباسي، الخلافة يوم الأحد الثالث عشر من شهر ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ وعمره ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وعشرون يوماً، وتسلم الأتراك والوزير أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات تدبير أمور الدولة، حيث أصبح الخليفة ألعوبة في أيديهم. انظر: تاريخ الطبري، ١٣٩/١٠. مسكويه، تجارب الأمم (القاهرة، مطبعة شركة التمدن الصناعية ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ٢٤١/٢. حمدان عبدالمجيد الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ (العراق، النجف، مطبعة النعمان ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص٢٥ ومابعدها.

٥ - في يوم السبت مستهل شهر رجب سنة ٢٩٦هـ دخل أبو عبدالله الشيعي مدينة رقادة، وفي يوم الجمعة السابع منه، أمر بعدم ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة، وفي العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ دخل عبيدالله المهدي مدينة رقادة، وفي يوم الجمعة أمر أن يخطب في المساجد باسمه، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وبذلك قامت خلافة العبيديين. انظر: العيون والحدائق، ج٤ ق١، ص١٣٩، ١٥٠، ١٥١. البيان المغرب ١٤٩/١-١٥١، ١٥٨. المقريزي، اتعاظ الحنفا، (تحقيق: د.جمال الدين الشيال، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م). ٦٣/١، ٦٦.

٦ - أعمال الأعلام: ٢٩/٢. لقد شهد المشرق الإسلامي نشوء عدة دويلات إسلامية، ابتدأت منذ مطلع القرن الثالث الهجري، من هذه الدول: دولة بني دُلف في الكرج والبرج، دولة بني ساج في أذربيجان، دولة العلويين في طبرستان، والدولة الظاهرية في=

انفرد بتعليل ربما لم يذكره مؤرخ قبله، فقد أشار إلى أن الأندلسيين هم الذين أطلقوا على الأمير عبدالرحمن بن محمد لقب "أمير المؤمنين والناصر لدين الله" فكأن إعلانه للخلافة كان استجابة لهم، وفي هذا يقول المؤرخ المجهول:-

"وربما كان بعض أولي التحصيل والتأمل من الناس سموه بهذا الاسم قبل أن يتسمى به هو، وخاطبه به كثير من خاصتهم في كتبهم وأشعارهم، فكثر ذلك عليه، ووافاه من كل ثنية، وجاءه من كل ناحية، حتى اضطره إلى حمله، وحاجوه أن يكون باخساً لنفسه في رفضه، وهونوا عليه مخالفة آبائه في اقتصارهم على سواه، واستشهدوا بما فهمه الله سليمان في الحكمة دون والده، عليهما الصلاة والسلام"[(١)].

وإذا استعرضنا الأقوال السابقة، نجد أنها تحمل عدة آراء، هي: ضعف الخلافة العباسية، وظهور الدويلات في المشرق،وقيام الدولة العبيدية، وأخيراً استجابة الأمير عبدالرحمن بن محمد لطلب الأندلسيين بإعلان الخلافة.

=خراسان، والدولة الصفارية في إيران. انظر: تاريخ الطبري، ٥٩٣/٨-٥٩٤، ٦٢٠، ٥٤٥/٩، ٧١/١٠. الكامل في التاريخ، ٢٩/٧. ستانلي لين بول، الدول الإسلامية (ترجمة: محمد صبحي، دمشق، مكتبة الدراسات الإسلامية. ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)) ٢٥٤/١-٢٧١.

١ - الحلل الموشية ص٣٠-٣١.

ولعل بالإمكان تجاوز كل هذه الآراء، إلا مايتعلق بالدولة العبيدية، فالخلافة العباسية كانت واقعة تحت تسلط الأتراك قبل الإعلان عن القيام الخلافة الأموية في الأندلس بأكثر من ثلثي قرن، حيث كان الأتراك يتدخلون في تعيين الخلفاء، وأصبحت إدارة الدولة في أيديهم منذ أواسط القرن الثالث وحتى أوائل القرن الرابع الهجري (التاسع والعاشر الميلاديين[1]).

وأما ظهور الدويلات في المشرق فقد ابتدأ منذ مطلع القرن الثالث الهجري[2]، في حين أن المغرب والشمال الأفريقي شهدا انفصالاً مبكراً عن الخلافة العباسية، وذلك عندما تمكن عدد من الزعماء من إنشاء إمارات خاصة بهم استقلوا بها عن العباسين[3].

---

١ - يتضح ذلك من اتفاق المنتصر بن المتوكل العباسي مع بعض القادة الأتراك على قتل والده الخليفة، وقد نفذ ذلك في يوم الأربعاء الثالث من شهر شوال سنة ٢٤٧هـ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى سنة ٢٥٧هـ كان القادة الأتراك هم الذين يعينون الخلفاء، ثم تكرر تسلطهم مرة أخرى طيلة الربع الأول من القرن الرابع الهجري. انظر: تاريخ الطبري، ٩/٢٢٢-٢٣٠، ٢٣٤-٢٣٩، ٢٥٦-٢٥٨، ٣٤٢-٣٤٥، ٣٦٤، ٣٨٩-٣٩٦، ٤٤٣-٤٦٩. الكامل في التاريخ، ٦/١٣٧-١٣٨، ١٤١-١٤٣، ١٤٧-١٥٠، ١٦٥-١٧٢، ١٨٥، ١٩٩-٢٠١، ٤٣٨-٤٣٩.

٢ - إن اول إمارة بدأت بالاستقلال في المشرق عن الخلافة العباسية هي إمارة طاهر بن الحسين، الذي بسط نفوذه على خراسان واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته، وذلك سنة ٢٠٥هـ. انظر: تاريخ الطبري، ٨/٥٧٧-٥٨٠.

٣ - شهد المغرب والشمال الأفريقي ظهور عدة إمارات: فإمارة "نكور" تأسست على يد زعيم عربي يمني يدعى صالح بن منصور الحميري، في بلاد الريف، وذلك سنة ٩١هـ وبعد قيام الدولة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨هـ أصبحت إمارة نكور ذات ارتباط=

وأما مسألة استجابة الأمير الأموي عبدالرحمن بن محمد لطلب الأندلسيين باتخاذ لقب الخلافة، فأمر يحتاج إلى وقفة، إذ من الممكن أن يكون عبدالرحمن هو الذي بث في أوساط الناس من يناديه بالخلافة ويطالبه باتخذا ألقابها، وبالتالي يصبح تسميه بالخلافة كأنه استجابة لطلب رعيته.

وإذا صح ماذهبنا إليه، فإنه لايصمد أمام البحث إلا مايتعلق بالدولة العبيدية وبناء عليه: يمكن القولَ بأن هذه التغيرات التي شهدها البلاد الإسلامية، إضافة إلى رؤية العبيدين للشمال الأفريقي قاطبة ومايليه من بلاد الأندلس على أنه مجال حيوي لدولتهم، فضلاً عن حملهم للواء التشيع، وإذا وضعنا في الحسبان ما كانت عليه الإمارة الأموية في الأندلس في أواخر القرن الثالث الهجري، ومن ثم سيطرة عبدالرحمن الناصر على كافة العصاة والخارجين على دولته، وحده من نفوذ النصارى في الشمال وإرهاقهم بالغزوات المتتالية. كل هذه الأمور مجتمعة دفعت عبدالرحمن الناصر إلى التفكير في إحداث نقلة معنوية كبيرة لدولته، وذلك لأهمية

=قوي بها، واستقلت تماماً عن الخلافة العباسية، وأسس عيسى بن يزيد الأسود المكناسي إمارة بني مدرار الصفرية سنة ١٤٠هـ واتخذ من سجلماسة عاصمة لإمارته، وفي سنة ١٦٠هـ تمكن عبدالرحمن بن رستم بن بهرام إمام الرستميين من إنشاء الإمارة الرستمية واتخذ من تبهرت عاصمة له، وتبع هذه الإمارة إمارة الأدراسة في المغرب الأقصى وإمارة الأغالبة في أفريقية. انظر: البيان المغرب ١/١٥٦، ١٧٦، ١٩٦-١٩٧، تاريخ ابن خلدون ٤/١٩٦-١٩٧، ٢٠٠ سالم بن عبدالله الخلف، العلاقات السياسية والثقافية بين الخلافة العباسية والإمارة الأموية في الأندلس، ص١٩٥-٢٤٥ والمراجع الواردة.

الخلافة في نفوس المسلمين، التي تستوجب الطاعة من الرعية لما لها من شرف وارتباط بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعلن عن قيام الخلافة في بلاده، وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله.

واهتمام الخليفة عبدالرحمن الناصر ببناء مدينة الزهراء، كان نتاجاً طبيعياً لإعلانه عن قيام الخلافة، وذلك لأن قصر الخلافة بقرطبة كان قديم البناء، رغم التجديدات والإضافات التي أدخلها أمراء بني أمية عليه(١)، إذ لم يعد يتسع لحاشية الخليفة ولا يتناسب مع الرقي المادي الذي كانت تعيشه الدولة آنذاك.

وفضلاً عن ذلك كله، فإن موقع القصر أصبح في وسط المدينة تقريباً، وفي أكثر مناطقها ازدحاماً، إذ لايفصله عن المسجد الجامع إلا بضع خطوات، كما أنه قريب من الحي التجاري، ومجاور لباب القنطرة القائمة على الوادي الكبير، وهو أكبر أبواب قرطبة(٢).

وهذه الأماكن شديدة الازدحام بطبيعتها، لأنها ملتقى الجميع، فالخليفة في هذه الحالة يعتبر معايشاً للعامة، ومن هناك أصبح بناء مدينة الزهراء أمراً ضرورياً، لاكتمال الفخامة من جهة، وللبعد عن ضوضاء العامة من جهة أخرى، وكذلك لعدم مضايقته للناس بموكبه الضخم عند

---

١ - عن تاريخ القصر وتجديدات وإضافات أمراء بني أمية إليه. انظر: قرطبة حاضرة الخلافة ١/١٨٧-١٨٩.

٢ - المرجع السابق ص ١/١٧٢.

خروجه من القصر أو الدخول إليه، فضلاً عن تأمين أقصى درجات السلامة له وللوفود الزائرة.

وأما من ناحية الألقاب، فلم يقتصر الخليفة عبدالرحمن الناصر على لقب "الناصر لدين الله" فقد اتخذ لقباً آخر كما يذكر ابن حزم هو "القائم لله[١]" وهناك نسخة أخرى أشار إليها محقق كتاب نقط العروس تفيد بأن الخليفة عبدالرحمن الناصر قد أغفل استخدام لقب القائم[٢]، ولم يجمع بينهما إلا في رسالة قد بعث بها إلى قسطنطين ملك الروم، إلا أن ابن حزم عاد في موضع آخر وذكر أنه اطلع على أكثر من خمسين كتاباً كتبها الخليفة عبدالرحمن الناصر كلها تحمل اللقبين معاً[٣].

وأما طريقة ترتيب ألقاب عبدالرحمن الناصر فقد كانت تأتي على التسلسل التالي" عبدالله[٤]" متبوعاً باسمه الشخصي ومن ثم لقبه وأخيراً

---

١ - نقط العروس، ص ٥٠-٥١. والخليفة عبدالرحمن الناصر اتخذ لقب "الناصر لدين الله والقائم لله" تعبيراً عن ذبه عن مذهب السنة، ووقوفه في وجه المد الرافضي الباطني القادم بقوة من أفريقية بتأييد من العبيديين بالإضافة إلى رغبته في مضاهاة خلفاء بني العباس ببغداد.

٢ - نقط العروس ص٥١ حاشية رقم ١.

٣ - المصدر السابق ص٥٢.

٤ - أول من اتخذه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كانت الكتب الصادرة منه تكتب: من عبدالله عمر أمير المؤمنين، وتبعه من أتى بعده من الخلفاء. انظر: ابن شبه، تاريخ المدينة، (تحقيق: فهيم شلتوت. د.ت) ٣/٨١٩، القلقشندي. مآثر الإنافة في معالم الخلافة (تحقيق: عبدالستار أحمد فراج الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء ١٩٦٤م). ١/٢٠.

لقب أمير المؤمنين، فأصبحت الكتب الصادرة منه معنونة "مـن عبـدالله عبدالرحمن الناصر لدين الله القائم لله أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان"[١].

وقد جرى من أتى بعد الخليفة عبدالرحمن الناصر على اتخاذ اللقب المركب المكون من مقطعين، المقطع الثاني اسم الجلالـة "الله" فالخليفـة الحكم بن عبدالرحمن الناصر اتخذ لقب "المستنصر بالله" في حين أن ابنـه هشام تلقب بـ"المؤيد بالله" وعندما فرض سليمان بن الحكم سلطة على قرطبة اتخذ لقب "المستعين بالله".

وفي الفترة التي تولى فيها الحموديون الخلافة في قرطبة، تلقب أولهم على بن حمود الحسيني بـ"الناصر لدين الله" وابنه يحيى بـ"المعتلي بالله[٢]" وعندما استعاد الأمويون سلطتهم على الخلافة مرة أخرى تلقـب عبـد الرحمن بن هشام بـ"المستظهر بالله" وجاء بعده محمد بـن عبـدالرحمن فتلقب بـ"المستكفي بالله" وآخر خليفة أموي وهو هشام بن محمد كان لقبه "المعتد بالله"[٣].

ولعل لكل واحد من هذه الألقاب دلالـة خاصـة، فالمستنصـر والمستعين والمعتلي والمستظهر والمستكفي والمعتد بالله كلها ذات دلالـة واحدة وهي أن حاملها يطلب التأييد والعزة من الله تعالى، وأنه جل وعلا

---

١ - نقط العروس ص٥٢.
٢ - البيان المغرب ٣/١١٩، ١٣١.
٣ - نقط العروس ص٥١.

كافيه عمن سواه، وأما "المؤيد بالله" فهو من الألقاب التي تشير إلى تقوى الملقب إذ أنه مؤيد من السماء يأتيه النصر من عند الله تعالى[1].

وهنا لابد من القول أن هذه الألقاب ماعدا لقبي الخليفتين عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، كلها لاأثر لها في الدولة الأموية في الأندلس، يدل على هذا أنه منذ أن توفي الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) يمكن القول بأن دور الخليفة قد انتهى، فمنذ ذلك التاريخ إلى سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩) كانت الخلافة التي يمثلها الخليفة هشام المؤيد تحت سيطرة العامريين المنصور وولديه عبدالملك وعبدالرحمن، ومن بعد ذلك بدأت الفتنة التي استمرت حتى سقوط الدولة الأموية سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وطيلة هذه الفترة التي استمرت قرابة ثلاثة وعشرين عاماً، تعاقب على الخلافة تسعة خلفاء وبعضهم تولى أكثر من مرة، الأمر الذي يعطي دلالة أكيدة على مدى الاضطراب الذي كانت تعانيه الخلافة الأموية في آخر عمرها في الأندلس، والفوضى السائدة في البلاد بصورة عامة مما أدى إلى سقوطها وقيام حكم دويلات الطوائف.

هذا، وقد استخدم أمراء بني أمية في الأندلس لقب "أمير" في النقش على المنشآت العامة، فعندما أتم الأمير عبدالرحمن بن الحكم زيادته في جامع قرطبة في جمادى الأولى سنة ٢٣٤هـ (ديسمبر ٨٤٨)[2] نقش على أحد التيجان عبارة "بسم الله بركة للأمير عبدالرحمن بن الحكم أعزه

---

١ - صبح الأعشى، ٣٢/٦. الألقاب الإسلامية، ص٥٢٣.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٤٣-٢٤٦.البيان المغرب ٢٣٠/٢.

الله"[١]. وعندما أنجز الأمير محمد بن عبدالرحمن إتمام الزيادة التي بـــدأها والده في جامع قرطبة[٢]، وُجد نقش على عقد أحد أبوابه جاء فيه "أمـــر الأمير أكرمه الله محمد بن عبدالرحمن ببنيان ماحكم به من هذا المســـجد وإتقانه رجاء ثواب الله عليه وذخره به، فتم ذلك سنة إحدى وأربعـــين ومائتين على بركة الله وعونه"[٣].

وكذلك فعل الخليفة عبدالرحمن الناصر فقد نقش اسمه ولقب أمـــير المؤمنين ولقبه الخاص على لوحة تذكارية عند إقامته لجدار جديد دعَّم به الواجهة القديمة التي أنشأها جده الأمير عبدالرحمن الداخل، فقد نقشـــت لوحة بهذه المناسبة وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٤٦هـــــ (مــــارس ٩٥٨م) جاء فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم، أمر عبدالله عبدالرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أطال الله بقاه، ببنيان هذا الوجه وإحكام إتقانه، تعظيماً لشعائر الله، ومحافظة على حرمة بيوته، الـــتي أذن الله أن ترفـــع ويذكر فيها اسمه، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجـــر وجزيـــل الذخر، مع بقا شرف الأثر وحسن الذكر، فتم ذلك بعون الله، في شـــهر

١ – مانويل مورينو، الفن الإسلامي في أسبانيا، (ترجمة: د.لطفي عبدالبديع، د. الســـيد سالم، مراجعة: جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـــاهرة، ١٩٧٧م)، ص٥٥. وقد ذكر المؤلف أن هذا التاج يوجد في متحف الآثار بمدريد وله صورة في كتابـــه ص ٥٦ (ش٥٠،٤٩).

٢ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢١٩–٢٢٠. البيان المغرب ٢/٢٣٠،٩٥.

٣ – الفن الإسلامي في أسبانيا، ص٦٥ وشكل ٦٩.

ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلث مائة، على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبدالله بن بدر، عمل سعيد بن أيوب"(١).

وهناك نقش في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، جاء مفتتحاً بلقب الإمام، ثم اللقب الخاص بالخليفة الحكم، ثم لقب عبدالله، ومن بعده الاسم الشخصي للخليفة، وأخيراً لقب أمير المؤمنين، ففي أحد النقوش في المسجد الجامع بقرطبة، نص جاء فيه: "أمر الإمام المستنصر بالله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله، فيما شيَّد من هذا المحراب بكسوته بالرخام داخله، في جزيل النور وكريم المنار، فتم ذلك على يدي مولاه وحاجبه جعفر بن عبدالرحمن رضي الله عنه بنظر محمد بن تمليخ وأحمد بن ناصر وخالد بن هاشم أصحاب شرطته ومطرف بن عبدالرحمن الكاتب، في شهر ذي الحجة من سنة أربع وخمسين وثلث ماية ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٢).

كما كانت أسماء الأمراء والخلفاء الأمويين تنقش على الدراهم الفضية والدنانير الذهبية(٣).

---

١ - الآثار الأندلسية الباقية، ص٣٠. وذكر صاحب كتاب دولة الإسلام في الأندلس: ع١ ق٢ ص٤٤٥-٤٤٦. أن هذه اللوحة مازالت موجودة إلى اليوم في الجانب الأيمن من الباب الرئيسي للمسجد في الجامع، والمسمى باب النخيل **Puerta de las Palmas**.

٢ - د. حسين مؤنس رحلة الأندلس، ص١٠٠-١٠١.

٣ - انظر: المقتبس، تحقيق، شالميتا، ص٢٤٣. البيان المغرب، ٢/٩١، ذكر بلاد الأندلس ١/١٤٠، ١٤١، المغرب في حُلى المغرب ١/٤٦.

كذلك حرص أمراء وخلفاء بني أمية على إثبات بعض ألقابهم في الكتب الرسمية الصادرة من قبلهم، فالخليفة عبدالرحمن الناصر عندما عقد الأمان لمحمد بن هاشم التجيبي[١] ومن معه من أهل سرقسطة في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٣٢٥هـ (أكتوبر ٩٣٧م) استخدم اللقب الخاص به، الناصر لدين الله، بالإضافة إلى لقب أمير المؤمنين[٢].

وعندما بعث برسالته إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين[٣]، كان الكتاب يحمل اسم عبدالله قبل الاسم الشخصي للخليفة، ثم اللقبين الخاصين به معاً، وأخيراً لقب أمير المؤمنين، جاء فيه: "من عبدالله الناصر لدين الله القائم لله أمير المؤمنين"[٤].

---

١ - عن هذه الأسرة، انظر : جمهرة أنساب العرب، ص٤٣٠-٤٣١، الحلة السيراء ٧٨/٢-٧٩ حاشية رقم ١. الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقية والأندلس، ص٢٢٤-٢٢٥.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ٤٠٥-٤٠٧.

٣ - قسطنطين السابع، يلقب بالأرجواني أي لابس الأرجواني، وذلك لأنه ولد في الغرفة الأرجوانية وهي الغرفة المخصصة للأمبراطور في القصر الامبراطوري، تولى الحكم سنة ٩٤٤م وهو في الأربعين من عمره، ونظراً لأن ميوله أدبية، ولارغبة لديه في الأمور السياسية، لذا فقد قبل الحكم مكرها، وبسبب ذلك وقع تحت سيطرة زوجته هيلين صاحبة الطموح السياسي، أسهم قسطنطين بقوة في التقدم الفكري البيزنطي، فقد بذل الكثير من أجله، كما أصدر عدة مؤلفات، وقد ظل قسطنطين في الحكم حتى توفي في نوفمبر ٩٥٩م. انظر: د.إبراهيم طرخان، المسلمون في أوربا في العصور الوسطى، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٦) ص ١٩٩. حاشية رقم ٢. د. الباز العريني، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م (لبنان، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٢) ص٤٠٩-٤٣٢.

٤ - نقط العروس، ص ٥١ حاشية رقم ١.

وعلى نفس الصورة كتب الخليفة الحكم المستنصر بـــالله الســـجل الذي عقده لأبي العيش بن أيوب على قومه جاء فيه: "بسم الله الـــرحمن الرحيم كتاب من عبدالله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين لأبي العيش بن أيوب"(١).

ومن بعد هذين الخليفتين نشهد اختصاراً في الألقاب، فالخليفة هشام المؤيد عندما أصدر أمره بتلقيب الحاجب عبدالملك بن المنصـــور بـــن أبي عامر بـــ"المظفر" جاء في كتابه "من الخليفة هشام المؤيد بالله"(٢).

ثم عندما أصدر هشام المؤيد أمره بتعيين الحاجب عبدالرحمن بـــن المنصور أبي عامر ولياً للعهد جاء كتابه مصدراً بـــ:"هذا ماعهد به أمـــير المؤمنين هشام المؤيد"(٣).

وبعد الخليفة هشام المؤيد زاد اختصار الألقاب، فالخليفة ســـليمان المستعين عندما أصدر كتاباً أعلن فيه تعيين ولده محمداً وليـــاً للعهـــد، لم يحمل ذلك الكتاب سوى لقب "أمير المؤمنين"(٤).

وتجدر الإشارة إلى أن جميع الكتب التي تصدر عن الخلفاء الأمويين بالأندلس إن لم يخاطب بها ملوك دول أخرى، تأتي مقتصرة على لقـــب

---

١ – المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي ص١١١.
٢ – أعمال الأعلام، ٨٨/٢.
٣ – المصدر السابق ٩١/٢.
٤ – نفسه ١٢٦/٢.

أمير المؤمنين[١]، بل إنه في عهد الإمارة نجد أن كتاب الأمان الذي بعثه الأمير الحكم الربضي للفقيه عيسى بن دينار[٢] قد خلى من الألقاب بالجملة حيث اقتصر على ذكر اسم الأمير، فقد جاء فيه "من الحكم بن هشام لعيسى بن دينار ... [٣]".

وأما الألفاظ التي تتم بها مخاطبة الأمير أو الخليفة الأموى في الأندلس من قبل أبناء الرعية، فإن الأمر فيها لايقتصر على نمط معين، فالأمير - مثلاً- كان يخاطب بـ"الأمير سيدي[٤]" و "مولاي[٥]" و "ابن الخلائف[٦]" و"الإمام[٧]" و"سيدي[٨]" و "إمام الهدى[٩]" و "الملك[١٠]" و

١ - انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٦٨، ٣٠٦- ٣٠٧، ٣١٠، ١٢ ، ٣٢٧-٣٣٠، ٤٣٨-٤٤٣. المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ٧٧-٧٨، ٩٨، ١٠٠، ١٠٩، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٩، ١٣١، ١٣٥، ١٧٨-١٨٢، ٢٠٧.

٢ - أبو محمد عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، فقيه الأندلس وعالمها، أصله من طليطلة، وبها نشأ، وطلب العلم بقرطبة، ثم رحل إلى المشرق، فلما انصرف إلى الأندلس، أصبحت الفتيا تدور عليه، وقد كان عيسى من أهل الزهد والورع، وكثرة العمل والخشية، توفي رحمه الله بطليطلة، يوم الجمعة لست بقين من شوال سنة ٢١٢هـ. انظر: أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣٥٢. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٩٧٥.

٣ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٢٧١.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢١٧،٢٠.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٧، ١١٨، ١٢٨، ١٥٠، ١٧٠.

٦ - نفسه، ص٤١، ٢٨٠، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٥٧.

٧ - نفسه، ص٤٤، ١٢٢، ٢٢١، ٢٢٤، ٣٠٢، ٣١٦.

٨ - نفسه ص١١٥، ١٩٨.

٩ - نفسه، ص١٢٢، ٢٤٤.

١٠ - نفسه، ص١٢٣.

"إمام المسلمين[١]" و"الأمير[٢]" و"الخليفة سيدي[٣]" و"أمين الله[٤]" و"الخليفة[٥]" وأمير المسلمين[٦]" و"ولي الله[٧]".

وأما الخلفاء فكانوا يخاطبون بـ: "بن الخلائف[٨]" و"الإمام[٩]" و"الإمام المؤيد[١٠]" و" الملك[١١]" و "سراج الله[١٢]" و"أمير المؤمنين[١٣]" و"الحكم المهدي[١٤]" و"أمير الله[١٥]"و"مولانا[١٦]" و"إمام المسلمين[١]" و"ظل الله[٢]" و"سيدي[٣]" و"سيدنا[٤]".

---

١ - نفسه، ص٢٧.

٢ - نفسه، ص ١٤٧، ١٧٨، ٢٢٤، ٣٠٠.

٣ - نفسه، ص ١٧٧.

٤ - نفسه، ص٢٧٨، ٢٤٤.

٥ - نفسه، ص ٢٤١.

٦ - نفسه، ص ٢٨٣.

٧ - نفسه، ص ٣٠١.

٨ - نفسه، تحقيق: شالميتا، ص٣٩٩، نفسه، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٨٣، ١٦٣، ٢٠٦.

٩ - نفسه، تحقيق: شالميتا ص٤٢٣، نفسه، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص٨٤، ٨٥، ١٦٣، ١٦٥.

١٠ - نفسه، تحقيق: شالميتا، ص ٤٢٤.

١١ - نفسه، تحقيق: عبدالرحمن الحجي ٨٣، ٩٤.

١٢ - نفسه، ص٨٤.

١٣ - نفسه، تحقيق: شالميتا، ص ٢٥٩، ٢٦٥-٢٦٧، ٢٩١-٢٩٤. المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي ص ١٢٢، ١٦٨ ، ١٨٦، ٢١٣، ٢١٥.

١٤ - المقتبس، تحقيق:د.عبدالرحمن الحجي، ص١٣٨.

١٥ - نفسه، ص ١٥٩.

١٦ - نفسه، ص ١٥٩.

وحدث مرة أن خوطب الخليفة بلفظ "ياولي العهد" وذلك عندما جمع الخليفة المستكفي بالله أهل قرطبة، وخاطبهم بكلام مؤنث عاتبهم فيه على عصيانهم له، فرد عليه أحد العوام قائلاً: "ياولي العهد، نفعل ذلك لأنكم تجورون ولاتعدلون وتفسدون ولاتصلحون[٥]" إلا أن الكتب التي تصل إلى الأمير أو الخليفة لابد أن تكون مشتملة على الألقاب الرسمية، فمثلاً: الكتاب الذي بعثه عبدالكريم بن يحيى ومن معه من الأندلسيين من بني عمه من أهل فاس[٦] في عقب شهر رمضان المبارك سنة ٣٦٣هـ (يونيو ٩٧٣) جاء فيه : "الإمام العدل الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين"[٧].

---

١ - نفسه، ص ٢٠٥.
٢ - نفسه، ص ٢٠٥.
٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٦٢- ٢٦٣، ٣٠٠- ٣٠٥، ٣٠٨-٣٤٨،٣١٠-٣٥٠، ٣٧١-٣٧٤، ٣٨٥-٣٨٦.
٤ - نفسه، ص ٢٩٥-٢٩٧، ٣٦٩-٣٧١، ٣٧٥- ٣٧٦، ٣٨٧-٣٨٨.
٥ - ذكر بلاد الأندلس، ٢١١/١-٢١٢.
٦ - عن فاس، انظر: الجزنائي، زهرة الآس في بناء مدينة فاس (بعناية: الفريد بيل. الجزائر، مطبعة كاربريل، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م) ص١٨ ومابعدها. روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية (ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) . ٥٣/١ ومابعدها .
٧ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص ١٧٥.

الخاتم

ومن مظاهر ممارسة الأمير أو الخليفة الأموي في الأندلس للسلطان، استخدام الخاتم "إذ هو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية[١]" وهو عبارة عن آلة تصنع بدقة تنقش عليها بعض الكلمات ويلبس بالإصبع ويختم به على الرسائل أو الأوامر الصادرة من الأمير أو الخليفة[٢].

ولكل أمير أو خليفة أموي في الأندلس خاتم خاص به "فصه زمردة رفيعة القدر شريفة الجوهر منقوش عليها اسمه[٣]"، ويتولى أحد كبار رجالات الدولية عملية الإشراف على نقش الخاتم[٤].

فالأمير عبدالرحمن الداخل كان نقش خاتمه "بالله يثق عبدالرحمن وبه يعتصم"[٥] وذكر ابن عذاري أن نقش الأمير الداخل "عبدالرحمن بقضاء الله راضٍ"[٦] ويدعم قوله هذا بما أورده عند استعراضه لإمارة الأمير عبدالرحمن الأوسط من أنه اتخذ خاتماً أعاد فيه العبارة التي كانت منقوشة على خاتم جده عبدالرحمن الداخل وهي "عبدالرحمن بقضاء الله راضٍ"[٧].

---

١ – مقدمة ابن خلدون، ص٧٠٤.

٢ – المصدر السابق، ص ٧٠٥-٧٠٦.

٣ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٦٠.

٤ – البيان المغرب ٨١/٢.

٥ – نهاية الأرب، ٣٥٢/٢٣. نفح الطيب، ٥٤/٣. بينما ورد في ذكر بلاد الأندلس، ١١٠/١ "بالله يستعين عبدالرحمن وبه يعتصم".

٦ – البيان المغرب ٤٨/٢.

٧ – المصدر السابق ٨١/٢.

وباستعراض نقوش خواتم بني أمية أمراء وخلفاء نجدها على نمطين لا ثالث لهما، فالأميران هشام الرضا، وابنه الحكم الربضي كانا على نسق واحد من حيث العبارة المنقوشة على خاتميهما، "بالله يثق هشام وبه يعتصم[١]" و"بالله يثق الحكم وبه يعتصم"[٢].

وقد أورد ابن عذاري قصة لنقش خاتم الأمير عبدالرحمن الأوسط، فقد ذكر أن الأمير كان له خاتم قبل ذلك باسمه ففقده، فلما أعياه العثور عليه، اتخذ عبارة "عبدالرحمن بقضاء الله راضٍ" وفي ذلك قال الشاعر ابن الشمر[٣]:

خاتم للملك أضحى   حكمه في الناس ماضي
عابد الرحمن فيه   بقضاء الله راضي[٤]

وقد ذكر المقري أن الأمير عبدالرحمن الأوسط هو أول من اتخذ نقش: "عبدالرحمن بقضاء الله راضٍ" وأنه بقي وراثة لمن بعده من ولده[٥].

---

١ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١١٨، نهاية الأرب، ٢٣/٣٥٨.
٢ - البيان المغرب ٢/٦٨. ذكر بلاد الأندلس ١/١٢٤.
٣ - هو أبو محمد عبدالله بن الشمر بن نمير القرطبي، منجِّم الأمير عبدالرحمن الأوسط ونديمه، كانت له عناية بطلب العلم، كان شاعراً متقناً، لطيفاً حسن المعاشرة. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٦٩١. المغرب في حُلى المغرب، ١/١٢٤-١٢٧.
٤ - البيان المغرب ٢/٨١.
٥ - نفح الطيب ١/٣٤٨.

وبتتبع تراجم أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، نجد أن كل الذين أتوا بعد الأمير عبدالرحمن الأوسط، قد اتخذوا لخواتمهم عبارة موحدة تنقش عليها[١].

وقد وجد من بني أمية في الأندلس من اتخذ خاتمين، أحدهما عام والآخر خاص لإصبعه، فالأمير محمد بن عبدالرحمن كان نقش خاتمه الخاص "محمد بالله يثق وبه يعتصم"[٢]، والخليفة عبدالرحمن الناصر كان نقش خاتمه الخاص "بالله ينتصر عبدالرحمن الناصر"[٣].

وبصفة عامة، فإن العبارات التي اختارها أمراء خلفاء بني أمية في الأندلس لتنقش على خواتمهم، سواء الخاصة منها أو العامة، كلها تحمل معاني التواضع لله جل وعلا، وطلب النصر والسداد منه، ومن تلك النقوش نخرج بصورة ربما لاتكون بعيدة عن الواقع وهي أن السمة الدينية كانت أبرز صفاتهم، فرغم مابلغوه من سؤدد وقوة، إلا أن الاتصاف بالتواضع لم يفارقهم، ولاغرابة في ذلك، فهم حكام مسلمون، ومن موطن الإسلام "الحجاز" وهم سلالة الأمويين الفاتحين، سلالة شرف

---

١ - كانت نقوش خواتم بني أمية في الأندلس على النحو التالي:-
الأمراء: محمد بقضاء الله راضٍ، المنذر بقضاء الله راضٍ، عبدالله بقضاء الله راض.
الخلفاء: عبدالرحمن بقضاء الله راضٍ، الحكم بقضاء الله راض، هشام بقضاء الله راضٍ.
انظر: البيان المغرب، ١١٣/٢، ١٥٦، ٢٣٣، ذكر بلاد الأندلس، ١٤٦/١، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٤.

٢ - المصدر السابق ١٤٦/١.

٣ - نفسه ١٥٩/١.

ودين، وعلم، وفي وسط غالبيته إسلامي، يعج بالفقهاء الذين يشار إليهم بالبنان، وفضلاً عن ذلك فهم على ثغر من أهم ثغور الدولة الإسلامية.

وأما خلفاء عصر الفتنة من المهدي إلى المعتد بالله ٣٩٩-٤٢٢هـ (١٠٠٩-١٠٣١م) فلم تذكر المصادر لأي منهم نقشاً لخاتمه إلا ماكان من الخليفة المستعين بالله، فقد كان نقش خاتمه "سليمان بن الحكم"[١].

وقد يفوض الخليفة الأموي في الأندلس أحد ثقاته، باستخدام خاتم منقوش عليه اسم الخليفة ليستخدمه بالتصديق على ماينفذ إليه من كتب، وهذا مافعله الخليفة عبدالرحمن الناصر، عندما أهدى للخير بن محمد[٢] هدية حسنة سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠) "وأرسل إليه خاتماً من خواتمه الخاصة، فصه زمردة رفيعة القدر شريفة الجوهر، منقوش عليها اسمه، أمر أن يقتصر على الطبع به لما ينفذه من كتبه في أكثر أوقاته"[٣].

الدعاء في الخطبة

ومن شارات حكام الدولة الأموية بالأندلس، الدعاء في الخطب، والمراد به أن الخطيب يدعو في خطبة الجمعة لولي الأمر من أمير أو خليفة ولولي عهده تنويها بذكرهما وتلمساً لساعة الإجابة[٤].

---

١ - البيان المغرب، ٩٢/٣، ذكر بلاد الأندلس، ٢٠٣/١.

٢ - الخير بن محمد بن خزر الزناتي، زعيم زناته في الغرب الأوسط، كان يقطن منطقة وهران، تمكن الأمويون من استمالته ليقف بجانبهم ضد العبيديين. انظر أخباره في المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٥٩، ٢٦٠ وغيرها.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٦٠.

٤ - مقدمة ابن خلدون، ص ٧١٣.

ودعاء الخطيب على المنبر لغير الحاكم القائم هو إعلان لفسخ حكمه وابتداء لحكم جديد، وهذا رأيناه في الأندلس، فالأمير عبدالرحمن الداخل وهو في طريقة للاستيلاء على قرطبة في بداية أمره، دخل أرشدونه[١] ARCHIDONA وكان دخوله لها يوم عيد الفطر سنة ١٣٨هـ (٨ مارس ٧٥٦م)، فأقبل زعيمها جدار بن عمرو القيسي[٢] على الإمام وأمره أن يخلع يوسف الفهري والي الأندلس ويخطب لعبدالرحمن بن معاوية، فخطب له وبايعوه بعد انقضاء الصلاة[٣].

وفي بداية نشأة الدولة الأموية في الأندلس كان يدعى في الخطبة للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ثم يدعى من بعده للأمير عبدالرحمن الداخل، واستمر هذا الوضع مدة عشرة أشهر فقط، وبعدها أصبح الدعاء للأمير الأموي وحده[٤].

---

١ - أرشذونة: قاعدة كورة ريه، ومنزل الولاة والعمال، تمتاز بموقع منيع، فهي تقع في بطن وادٍ سحيق، تحيط به الجبال، ومن معالمها الباقية حصنها الواقع فوق ربوة عالية، وقد سقطت بأيدي النصارى سنة ٨٩٢هـ، انظر: الروض المعطار، ص٢٥. الآثار الأندلسية الباقية ص ٢٣٨-٢٤٠.

٢ - جدار بن عمرو، كانت له رئاسة العرب بكورة رية، وهو جد بني عقيل، تولى قضاء العسكر للأمير عبدالرحمن الداخل، ثم ولاه قضاء الجماعة بعد أبي مضر محمد بن إبراهيم الأودي الأكشوني، وذلك سنة ١٧٠هـ. انظر: ابن القوطية، ص ٢٤-٢٥ التكملة طبعة الحسيني، ترجمة رقم ٦٦٧.

٣ - ابن القوطية، ص ٢٤-٢٥.

٤ - اختلف المؤرخون في المدة التي قضاها الأمير عبدالرحمن الداخل وهو يدعو لأبي جعفر المنصور، فابن حزم أشار إلى أنه ظل يدعو له أعواماً، وأما ابن الأثير فقد حددها بعشرة أشهر فقط، وتابعه على ذلك النويري والمقري، في حين أن ابن الأبار ذكر أن=

ولعل أصعب مرحلة مرت بها الدولة الأموية في الأندلس، كانت في عهد الأمير عبدالله بن محمد، الذي قل أن تجد كورة من كور الأندلس لايوجد فيها عصيان على حكومة قرطبة[1]، بل إن الأمر استفحل لدرجة أنه لم يبق لتلك الحكومة سيطرة إلا على قرطبة وأحوازها[2]، بالإضافة إلى بعض المناطق مثل طرطوشة[3] وبجانة[1] اللتين استمرتا على علاقتهما مع قرطبة فكان ولاتهما يعينون إما من قبل الأمير عبدالله أو بمباركته[2].

=المدة دون السنة، وأما ابن الكردبوس فقد ذكر أن جميع أمراء بني أمية كانوا يخطبون للعباسيين، وتابعه على ذلك ابن أبي دينار، وأما صاحب ذكر بلاد الأندلس فقد ذكر أن الدعوة استمرت لأبي جعفر المنصور مدة سنتين، في حين أن ابن خلدون لم يحدد المدة. انظر على التوالي: نقط العروس ص٧٥. الكامل ٢٠٩/٥. نهاية الأرب ٣٤٦/٢٣. نفح الطيب ٥٩/٣، الحلة السيراء ٣٥/١-٣٦. تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ص٦٠-٦١. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، (تحقيق وتعليه: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس ١٣٨٧هـ)، ص ١٠٠. ذكر بلاد الأندلس ١١٤/١. تاريخ ابن خلدون ١٢٢/٤. ومن خلال هذه الأقوال نرى أن المدة التي قضاها الداخل في الدعاء للمنصور هي عشرة أشهر فقط، كما ذهب إلى ذلك ابن الأثير ومن تابعه، ويمكن الاستئناس بتاريخ مولد هشام بن الداخل، على المدة التي استمر فيها الدعاء للمنصور، فقد ورد في البيان المغرب (٤٨/٢) أن الأمير الداخل بعد قطع الدعاء للمنصور ولد ابنه هشام لأربع خلون من شوال سنة ١٣٩هـ، وإذا ماأجرينا عملية حسابية من يوم الأضحى سنة ١٣٨هـ إلى مولد هشام نجد المدة لا تتجاوز عشرة أشهر.

١ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١٠٤.

٢ - أعمال الأعلام ، ٢٧/٢.

٣ - طرطوشة: **Tortosa** تقع في شمال شرقي إسبانيا، بالقرب من البحر المتوسط على بعد ٨٤ كيلو متر من مصب نهر الأبرو، أقام فيها الخليفة عبدالرحمن الناصر دار صناعة ضخمة، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٥٤٣هـ. انظر : ابن غالب:=

وهذا يعني أن الدعاء للأمير عبدالله توقف في كافة أرجاء الأندلس إلا في قرطبة وما جاورها بالإضافة إلى طرطوشة وبجانه.

وفي الخطبة أيضاً تم الإعلان عن تحول الدولة من إمارة إلى خلافة، وذلك في عهد الأمير عبدالرحمن بن محمد، ففي يوم الجمعة ثاني ذي الحجة سنة ٣١٦هـ (١٦يناير ٩٢٩) دعا قاضي الجماعة بقرطبة أحمد بن بقي بن مخلد لعبدالرحمن بن محمد بإمرة أمير المؤمنين[٣].

ارتقاب الأهلة:-

ومن مظاهر سلطان الأمير أو الخليفة الأموي، تكوين لجنة تتولى ارتقاب الأهلة، بالذات هلال شهري رمضان وشوال، ويكون قاضي الجماعة هو المسؤول عن هذه اللجنة، وبعد أن تتم رؤية الهلال، يكتب قاضي الجماعة كتاباً يرفعه للأمير أو الخليفة لإعلامه بدخول شهر رمضان أو برؤية هلال شهر شوال[٤].

=تعليق منتقى ص ٢٨٥-٢٨٦ الروض المعطار ص٣٩١-٣٩٢. الحلل السندسية، ٣/٧-٤٤. الآثار الأندلسية الباقية، ص١٢٠-١٢٢.

١ - بجانة: **Pechina** كانت من أهم المدن العسكرية على الساحل الجنوبي للأندلس، إلا أنها فقدت هذه الميزة بنشأة مدينة المرية سنة ٣٤٤هـ، وبجانة اليوم بليدة صغيرة تبعد عن المرية مسافة عشرة كيلو مترات شمالاً. انظر: الروض المعطار، ص٧٩-٨٠. تاريخ مدينة المرية الإسلامية ص ١٧-٣٢.

٢ -المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٥٢، ٥٣، ١٠٦، ١٠٩.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٤١.

٤ - النباهي، ص ٧٨.

المقصورة:-

ومن شارات الدولة الأموية في الأندلس المقصورة، وهي عبارة عن حجرة تقام بجانب المحراب، يصلي فيها الأمير أو الخليفة. ويعلق ابن خلدون على اتخاذها فيقول: "وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة، وهي إنما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال شأن أحوال الأبهة كلها"[١].

وقد تم إنشاء المقصورة في جامع قرطبة سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤) بأمر من الأمير محمد بن عبدالرحمن، فهو أول من اتخذها في الأندلس[٢]، وأصبحت سنة لمن بعده، ولا يصلي في هذه المقصورة إلا الأمير أو الخليفة وعدد قليل من الخواص.

الساباط:-

وهناك الساباط[٣] الموصل بين القصر وجامع قرطبة يعتبر من مظاهر السلطان في الأندلس وأول من أنشأه الأمير عبدالله بن محمد، ويمتد هذا

---

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٧١٢. والمقصورة تؤخذ بالإضافة للتميز حماية لولي الأمر، وأول من اتخذها الصحابي الجليل الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. انظر أبو هلال العسكري، الأوائل، (تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري، دار العلوم الرياض ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)) ١/٣٣٥.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٢٠. وعن هذه المقصورة وموقعها في المسجد ومساحتها. انظر: قرطبة حاضر الخلافة، ١/٣٣٠.

٣ - الساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق. انظر: الفيروزبادي، القاموس المحيط، (القاهرة ، المطبعة المصرية، ط الثالثة، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) ٢/٣٦٣.

الساباط من باب سبق وأن فتحه الأمير محمد بن عبدالرحمن في جدار قصره إلى الباب المعروف بباب الأمير " La Puerta De San Migule" المفضي إلى المقصورة. وكان الأمير عبدالله يستخدم هذا الساباط المستور للوصول إلى المسجد الجامع ودخول المقصورة وأداء الصلاة دون أن يراه أحد ثم يعود أدراجه إلى القصر[١].

السرير:-

ومن مظاهر سلطان الحاكم الأموي في الأندلس، الجلوس على السرير، وهو عبارة عن "أعواد منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس السلطان عليها مترفعاً عن أهل مجلسه أن يساويهم في الصعيد"[٢].

ويذكر ابن حيان أن الأمير عبدالرحمن الأوسط كان له سرير من خيزران لطيف الصنعة، ويوضع على السرير فراش وثير محشو بالريش ليجلس وهو براحة تامة[٣].

---

١ - وربما أقيم الساباط حفاظاً على سلامة الأمير، ولكن من الثابت أن السبب يعود لأمر آخر، فقد اعتاد بعض الأندلسيين عندما يكونوا في المسجد انتظاراً للصلاة القيام عند رؤيتهم للأمير مقبلاً من قصره لأداء الصلاة، فلما طال الأمر كتب إليه الفقيه سعيد بن حمير المتوفي سنة ٣٠١هـ كتاباً نبهه فيه إلى أن قيام الناس له لايجوز فأصدر أمره للناس بعدم القيام له، لكن البعض لم يترك هذه العادة، فاضطر الأمير إلى وضع الساباط بحيث يدخل المسجد وينصرف دون أن يراه أحد. انظر: المقتبس، طبعة: أنطونيه، ص ٢٦،٣٤.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ص ٧٠٠.

٣ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ١٨-١٩.

وعندما دخل الأمير محمد بن عبدالرحمن للقصر لاستلام الحكم بعد وفاة والده "احتشد الخدم المستدعون له يزفونه زفاً إلى سرير والده، فاستوى عليه وتم الملك له"(١).

وفي الأعياد والاحتفالات العامة يكون الأمير أو الخليفة على سريره في المجلس، وعن يمينه وشماله الأخوة والأعمام، ومن ثم رجالات الدولة كل وفق مرتبته، ومثل هذا ماحدث في زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله، ففي عيدالأضحى سنة ٣٦٠هـ (أكتوبر ٩٧١م) جلس الخليفة الحكم على السرير بقصر الزهراء في المجلس الشرقي للتهنئة، فكان إخوته أول المهنئين له فجلسوا على مراتبهم بعد السلام، ثم الوزراء وجلسوا عن يمين السرير بعد الإخوة، ثم سائر أهل طبقات الخدمة على منازلهم ومراتبهم(٢).

القضيب:-

ونظراً للتطور الذي شهدته رسوم الدولة الأموية في الأندلس خلال عهد الخلافة بالذات، أصبح القضيب(٣) إحدى شارات الملك، يمسك به الخليفة بيده في أثناء مسيره بموكبه أو جلوسه في الاحتفالات الرسمية.

---

١ - المصدر السابق، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١١٨.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٥٩.

٣ - القضيب: هو عبارة عن عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر والجوهر، يمسكه الخليفة في المواكب العظام. انظر: محمد البقيلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م)، ص ٢٥٧.

ويذكر ابن حيان أن الخليفة هشاماً المؤيد عندما أخرجه الحاجب المنصور ابن أبي عامر للناس ليروه برز "معمماً على الطويلة سادلاً للذؤابة، والقضيب في يده زي الخلافة"[١].

المظل:-

ويمكن اعتبار المظل أحد مظاهر سلطان ولي الأمر الأموي في الأندلس، وبالذات في عصر الخلافة إذ أن المظل هو عبارة عن خيمة ميدانية خاصة بالخليفة.

فقد ذكر ابن حيان أنه في سنة ٣٠٨هـ (٩٢٠م) قام الخليفة عبدالرحمن الناصر بغزوة ضد نصارى الشمال، وفي إحدى مواطن القتال، التجأ حوالي خمسمائة رجل من أولئك النصارى إلى أحد الحصون للاحتماء به، إلا أن الخليفة أمر بتقديم المظل وأبنية العسكر إلى ساحة الحصن لمحاصرته[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن المظل كان في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله يقدم هدية لمن يراد تكريمه وتشريفه على من سواه، فقد ذكر ابن حيان أنه في شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ (يونيو ٩٧٣) صدرت أوامر الخليفة المستنصر بالله بمنح زعيم البربر رئيس كتامه، الوافد إليه من العدوة

---

١ - الذخيرة ق ٤ م١ ص ٧٣.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٦٦.

المغربية أبي العيش بن أيوب بن بلال مظلاً فخماً بفرشه وآلته لتروله فيه إكراماً له[١].

حجر الأعزة:-

ويوجد في القصر مكان يعرف بحجر الأعزة، لايركب من عنده إلا الأمير أو الخليفة ولايسمح لغيرهما بالركوب منه إلا من أذن له من قبلهما تنويها بذكره وإكراماً له، كما فعل الخليفة المستنصر بالله عندما جعل ركوب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن الناصري من عند ذلك الحجر، عندما قلده سيفين وسماه بذي السيفين وذلك يوم الخميس السابع من شهر شعبان سنة ٣٦٤هـ[٢] (٢٢ إبريل ٩٧٥م) تقديراً له على جهوده في العدوة المغربية.

الطراز:-

ومن مظاهر سلطان الأمير أو الخليفة الأموي في الأندلس اتخاذ الطراز[٣]، الذي يعتبر من العلامات الدالة على عظم الدولة، وهو عبارة

---

١ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي ص ١١٥.

٢ - المصدر السابق، ص٢١٩-٢٢٠

٣ - الطراز: كلمة معربة عن الفارسية، استعملت في الشعر العربي عند التفاخر والمدح، كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:-

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

كما استعملت للدلالة على مجموعة معمارية. إلا أن المعنى الحقيقي لكلمة الطراز يتضح عندما تنقش العبارة الرسمية على العملة أو النسيج الرسمي أو غير ذلك من الأوراق ذات الطابع الرسمي، وقد جرت العادة أن تتخذ كل دولة لنفسها طرازاً أو عبارة مميزة. انظر: ديوان حسان بن ثابت، (تحقيق د. سيد حنفي حسين، القاهرة، وزارة الثقافة=

عن ثياب تصنع بطريقة خاصة، يتميز بها الأمير أو الخليفة أو من ينعم عليه قبلهما[١].

وطبيعي أن أي دولة تكون منصرفة عن الأمور الكمالية في بداية أمرها، فإذا استقرت وقهرت سواها، بدأ قادتها يفكرون بقطف ثمار ملكهم، فتظهر حينئذ علامات الرفه النعيم[٢].

وهذا ماحصل لبني أمية في الأندلس، فمنذ قيام دولتهم هناك سنة ١٣٨هـ (٧٥٥م) لم نسمع للطراز أي ذكر حتى كان عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، ٢٠٦-٢٣٨هـ (٨٢٢-٨٥٢م) الذي كانت أيامه تسمى "أيام العروس[٣]" ذلك لأنه "وجد ملكاً ممهداً ورعية مؤدبة وهيبة مغلظة[٤]" وهذا ثمرة طبيعية للجهد الذي بذله من سبقه من آبائه، مما كان سبباً رئيسياً في رخاء إقتصادي نعمت به الأندلس، فأصبحت خزائن الدولة ملأى بالأموال، وجاء الاتصال بالمشرق ليفتح آفاقاً رحبة أمام هذا الأمير الشاب الواعي "فرتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة[٥]" كما

=١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص١٢٣. د. حسن الباشا. الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية. (القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٦٦م)، ٦٨٦/٢. فريال داود المختار، دور الطراز في مدينة السلام (العراق وزارة الأعلام.مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الثالث، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ص ١٢٣.

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٧٠٨.

٢ - المصدر السابق ص ٥٤٨-٥٥٥.

٣ - المغرب في حُلى المغرب، ٤٦/١. ذكر بلاد الأندلس ١٣٩/١.

٤ - المصدر السابق، ١٣٩/١.

٥ - تاريخ ابن خلدون ١٣٠/٤.

أنه هو "أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة، وكسى الخلافة أهة الجلالة[1]" فكان من أهم إنجازاته التي تهمنا في هذه الدراسة أنه "أحدث الطراز واستنبط عملها[2]" فأنشأ في قصر الإمارة دوراً خاصة لصنع الثياب تعرف بـ"دور الطراز".

وهناك خزانة خاصة بكسوة الأمير وخزّانة تشرف عليها، وفي القصر خياطون لهم عريف خاص[3].

وقد تحدث بعض المؤرخين[4] بشيء من الإعجاب عن دار الطراز التي أنشأها الأمير عبدالرحمن الأوسط، لكن ابن حيان[5] ذكر أن هذه الدار كانت في الأساس من إنشاء الأمير عبدالرحمن الداخل، وعليه فربما يكون ماقام به الإمير عبدالرحمن الأوسط هو عبارة عن تجديد لتلك الدار التي أنشأها جده.

وقد شهدت دور الطراز تطوراً كبيراً في زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر، وفي هذا يقول ابن الخطيب: "ومن أثاره -عبدالرحمن الناصر- التي ضربت بها الأمثال وقضيت فيها العجائب، حال الطراز ببابه لنسج

---

١ - البيان المغرب ٩١/٢.
٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٢١.
٣ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي ص ٢٨.
٤ - ابن عذاري، البيان المغرب، ٩١/٢، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠/٢، ابن خلدون، تاريخه، ١٣٨/٤.
٥ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ١٩٥.

مايحتاج إليه من الخلع والكسى وملابس الحرم وغير ذلك[١]" بالإضافة إلى "الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية السميكة"[٢].

ولدار الطراز مسؤول يتولى الإشراف عليها، يسمى "صاحب الطراز"، وقد جرت العادة ألا يتولى هذا المنصب إلا الأعيان الذين لهم اختصاص بالأمير أو الخليفة الأموي[٣].

وعلى صاحب الطراز تقع مسؤولية حفظ مايصنع في دور الطراز، أو يدخل إليها، من الهدايا ونحوها، ولذا فقد كان يعمد إلى استخدام سجل خاص يسجل به موجودات الدار، لأنه سوف تتم محاسبته على ماكان لديه من الطراز عند عزله عن منصبه[٤]، كما أن من مهامه الإشراف على الصاغة والحاكة الذين يعملون في دور الطراز، وإجراء الأرزاق عليهم[٥]، كما كانت هناك زيارات يقوم بها أمراء وخلفاء بني

---

١ - أعمال الأعلام ٢/٤٠.

٢ - وصف الأندلس للرازي ص ٦٥. ونتيجة لاهتمام عبدالرحمن الناصر بالطراز فقد ازدهرت عملية صناعة المنسوجات بالأندلس وبالذات في مدن المرية ولقنت وسرقسطة فأصبحت تنتج الأقمشة بأنواعها من الحرير المطرز بالذهب والوشي والسقلاطوني والبغدادي والخز وسائر أجناس الديباج والثياب الرقيقة المطرزة المصنوعة من السمور، وقد بلغت تلك الصناعة من الدقة بحيث أن الكثير منها يصدر للبلاد الأخرى. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص٦٧، ٧٠، ٧٨. فرحة الأنفس، ص٢٨٣-٢٨٤، ٢٨٧-٢٨٨. أعمال الأعلام، ٢/٤٠. المغرب في حُلى المغرب ٢/١٩٣-١٩٤.

٣ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص١٨٥، مقدمة ابن خلدون، ص ٧٠٩.

٤ - نفح الطيب ١/٣٥٨.

٥ - د. حسن إبراهيم حسن، وزميله، النظم الإسلامية (القاهرة. مكتبة النهضة المصرية، ط الأولى، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م) ص٢١٩.

أمية لدار الطراز لتفقدها ومناقشة القائمين عليها ببعض المسائل وتوصيتهم وفق مايرونه مناسباً[١].

وبناءً على ماورد في بعض المصادر التاريخية، يمكن القول بأن الأمويين قد أفادوا من إنتاج دور الطراز لديهم في تعاملهم السياسي مع الآخرين، فالأمير عبدالرحمن الأوسط عندما بعث بوفد من عنده لملك النورمان، حملهم هدية اشتملت على ثياب نالت إعجاب الملك[٢] كما أن الأمير المنذر بن محمد أمر وهو في بداية عهده أن تقطع ثياباً خاصة بأولاد عمر بن حفصون، عندما خدعه الأخير وتظاهر بأنه سوف يدخل في طاعته[٣] وعندما تم الصلح بين الأمير عبدالرحمن بن محمد وعمر بن حفصون سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) بعث إليه الأمير بهدية كان فيها الكثير من الكسى السلطانية من الوشي الطرازي وغيره[٤].

ورغم كل هذا، فإن علينا أن نتذكر أن صناعة الثياب الطرازية في الأندلس لاتقارن بما كان يصنع في المشرق، على الأقل إلى منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، يدل على ذلك حادثتان إحداهما وقعت في عصر الإمارة والأخرى في عصر الخلافة.

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٩٢.
٢ – ابن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، ص١٣٢.
٣ – ابن عبدربه، العقد الفريد، ٤/٤٩٦-٤٩٧.
٤ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١١٥-١١٦.

ففي عصر الإمارة رحل الأديب أبو بكر بن سلاَّم القرطبي[1] إلى المشرق، فالتقى هناك بالجاحظ[2] واختص به ولازمه مدة طويلة، فلما أراد العودة إلى الأندلس، طلب من الجاحظ أن يحتال له بجاهه لدى صاحب الطراز في البلاط العباسي، لصنع ثياب عراقية رقيقة، تطرَّز باسم الأمير محمد بن عبدالرحمن، فكلم الجاحظ صاحب الطراز، فأسعفه في طلبه "وعمل له منها في السر المكتم عدة أثواب رفيعة القدر، جاء بها إلى الأمير محمد، فاستنبله في تحفته، وعظم موقعها لديه، ونال بها منزلة من اعتنائه"[3].

وأما في عصر الخلافة فإن الهدية السنية التي قدما الوزير أحمد بن عبدالملك بن شهيد[4] للخليفة عبدالرحمن الناصر في شهر جمادي الأولى

١ - أبو بكر بن سلاَّم، أحد أكابر أدباء وعلماء قرطبة، كان معتنياً بالأخبار والأشعار والآداب، حافظاً للأنساب، له معرفة بالطب وهو الذي أدخل كتب الجاحظ الأندلس. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٣٧. المقتبس، تحقيق:د. محمود مكي، ص ١٦٤-١٦٥.

٢ - هو أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، أشهر أدباء وكتاب القرن الثالث الهجري، ولد سنة ١٦٥هـ وتوفي سنة ٢٥٥هـ في البصرة، ترك موسوعة ثقافية ضخمة. انظر عن الجاحظ وحياته وكتبه، الأبحاث الواردة في مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الرابع ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م ص ١١-٢٥٦. شارل بللا: الجاحظ (ترجمة: د.إبراهيم الكيلاني، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م)) ص ٧-٣٩٠.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص١٦٤.

٤ - أبو عمر أحمد بن عبدالملك بن عمر بن محمد بن شهيد الأشجعي، كان من أهل الأدب، وهو من عائلة كانت خطط الدولة بأيدي أبنائها، تصرف في المناصب=

سنة ٣٢٧هـ (مارس ٩٣٩م) كانت المنسوجات فيها معظمها مشرقية إن لم يكن جميعها[١].

ولقد كانت دار الطراز لدى الأمويين تنسج ثياباً رفيعة مزينة بأشرطة الطراز، ولايمكن أن يطرز بتلك الدار لأحد باسمه سوى الأمير أو الخليفة، لكن جرت العادة لديهم أن يتم خلع بعض تلك الثياب المطرزة على بعض المقربين بين فترة وأخرى[٢].

وهناك حالة مستثناه لم تتكرر من قبل، فقد تم تطريز ثياب بدار الطراز لغير ولي الأمر، فالخليفة عبدالرحمن الناصر عندما أراد إكرام محمد بن خزر[٣] إكراماً لامثيل له، أمر صاحب الطراز أن يصنع عشر قطع متنوعة من عتيق الخز العبيدي فطرزها باسم محمد بن خزر[٤].

=لعبدالرحمن الناصر، من ولاية الكور والوزارة وقود الصوائف، وهو أول من سمى بـ"ذي الوزارتين" انظر: الحلة السيراء ٢٣٧/١-٢٣٨.

١ - نفح الطيب: ٣٥٧/١-٣٥٨. تجدر الإشارة إلى أن الأندلس أصبحت فيما بعد تنافس المشرق في هذه الصنعة، فقد تطورت في هذا المجال بصورة كبيرة، لدرجة أن مدينة المرية في عصر المرابطين "كان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز، يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكللة المعيَّنة والعتابي والفاخر وصنوف أنواع الحرير". انظر: صفة جزيرة الأندلس (نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م) ص ١٨٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٢١. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٢٨،٣٨٩،٣٠٨.

٣ - هو والد زعيم زناته في المغرب الأوسط الخير بن محمد، الذي وردت ترجمته من قبل.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٢٦٨.

وقد أشار ابن خلدون إلى أن المنسوجات التي تنتجها دار الطـــراز، يكتب عليها أسماء الحكام مع كلمات أخرى تجري مجرى الفأل[١].

ورغم أنه لاتوجد لدينا نصوص عن ألوان منسوجات دار الطـــراز، إلا أنه يمكن الاستئناس بما كان سائداً لدى الأمويين في المشرق، فقد كان الأمويون هناك ابتداءً من عهد الخليفة هشام بن عبدالملك يكسون الناس الخزَّ إلا الأصفر والأحمر، فقد ادخروا هذين اللونين لهم خاصة[٢].

وقد بقي لنا من طراز بني أمية في الأندلس مئزر كان خاصاً بالخليفة هشام المؤيد، صنع "من نسيج رقيق جداً، من الكتان المهري له أهـــداب طويلة على امتداده ويبلغ ١٢،١ وفي طرفه شريط عرضه ٧٨ ملم، مقسم إلى ثلاث مناطق، المنطقة الوسطى منها ثلاث عشرة جامة، تظهر فيهـــا رسوم آدمية في حالة الجلوس، ويمسك أحد الأشخاص في يده قـــارورة ويشير بيده الأخرى إلى حيوانات من ذوات الأربع وطيور مرســـومة في غير دقة ولا إحكام[٣] .... وفي القسمين الجانبين نقش كـــوفي في لـــون

---

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٧٠٨.

٢ - انظر: القاضي الرشيد بن الزبير، كتاب الذخائر والتحف، (تحقيق: د.محمد حميـــد الله، الكويت دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٥٩م) ص٢١١.

٣ - إن حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إذا كانت ذات أجسام حرم بالإجماع وإن كانت رقماً ففيها أربعة أقوال : الأول: يجوز مطلقاً على ظاهر الحديث (إلا رقماً في ثـــوب) الثاني: المنع مطلقاً. الثالث: إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم، وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز، قال ابن العربي (وهذا هو الأصح) الرابع: إن كان ممـــا يمتهن جاز وإن كان معلقاً لم يجز. انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (دار المعرفة بيروت – لبنان –)١٠/٣٩١.

أبيض يقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم، البركة من الله واليمن والدوام للخليفة الإمام عبدالله هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين" وأرضية الجامات من الذهب أما بقية الأجزاء فيملؤها حرير في ألوان بيضاء وزرقاء سماوية وقمحية وصفراء ووردية وخضراء فاتحة بين خطوط سوداء، وصناعته تشبه تمام الشبه الصناعة المصرية المعاصرة له"[١].

وأخيراً، يمكن أن نضيف إلى ماسبق أن من مظاهر سلطة الأمير أو الخليفة الأموي في الأندلس، تعيين الولاة والعمال، والإشراف على شؤون البلاد، وذلك من خلال بعث أمناء يسألون الناس عن سير ولاتهم فيهم، الأمر الذي يجعل الحاكم على بصيرة بما يجري في دولته، وفي الوقت نفسه يكفل لرعيته تحقيق العدالة المنشودة.

---

١ - الفن الإسلامي في أسبانيا، ص ٤١١-٤١٤، ويذكر المؤلف أن هذا المئزر محتفظ به في الجمعية الملكية للدراسات التاريخية.

ولاية العهد

اختيار ولي العهد

عند استعراضنا لتاريخ بني أمية في الأندلس، منذ قيام دولتهم وحتى سقوطها، نجد أن نظام الحكم فيها كان وراثياً، يتوارثه الأبناء عن الآباء، ولانجد ولو لمرة واحدة، أن عقد أحدهم ولاية العهد[1] من بعده، لأحد إخوانه، فضلاً عن أن يعقدها لواحد من أبناء عمومته، كما هو الحال في الدولة الأموية في المشرق.

وأما خروج هذا المنصب إلى واحد من خارج الأسرة الأموية فقد حدث مرة واحدة، وكان ذلك بسبب ظروف استثنائية قاهرة سيأتي بيانها فيما بعد. ووراثة ولاية العهد في الأبناء كانت تقوم على أسس يمكن من خلال الأحداث التالية جلاء صورها.

قام هشام بن عبدالرحمن الداخل بالإمارة مقام أبيه بعد وفاته بناءً على عهد مسبق منه[2] بالرغم من أن أخاه

---

١ - يتكون مفهوم " ولاية العهد" من لفظين، هما: ولاية- عهد. أما الولاية فتعني القرابة، والخطة والإمارة، وتعني البلاد التي يتسلط عليها الوالي. أما العهد فيعني: الوصية والتقدم إلى المرء في الشيء والموثق واليمين، والذي يكتب للولاة من عهد إليه أوصاه، واستعهد من صاحبه اشترط عليه وكتب عليه عهده. ولي العهد لأنه ولي الميثاق الذي يؤخذ على من بايع الخليفة. انظر: لسان العرب. مادة: عهد.

٢ - ابن حزم، نقط العروس، ص ٥٦. وانظر: الكامل، ٢٨١/٥. الحلة السيراء، ٣٦٣/٢. ذكر بلاد الأندلس، ١١٩/١. نفح الطيب، ٣٣٤/١. وقد ذهب كل من ابن عذاري وابن الخطيب إلى القول بأن الداخل لم يعين ولي عهده، بل جعل الأمر لمن يحضر أولاً إلى قرطبة من الأخوين سليمان وهشام، حيث تقول روايتهما: أن عبدالرحمن=

سليمان أسن منه[١]، وهنا لابد من تساؤل يُطرح: لماذا قدم هشام على سليمان؟.

كان المجتمع الأندلسي يتكون من فئات عدة، وكان العرب إحداها ولاشك أنهم لايشكلون الأغلبية، بل هم أقلية بالنسبة لأهل البلاد الأصليين، وفي تلك الفترة التي نؤرخ لها، كان العرب ينقسمون في الأندلس إلى فئتين كبيرتين، شاميين وبلديين[٢]، والبلديون أكثر من الشاميين[٣]، وقد اندلعت الحروب بين هاتين الفئتين بسبب المصالح

=الداخل أوصى ابنه عبدالله قائلاً: "من سبق إليك من أخويك فارم إليه بالخاتم والأمر، فإن سبق إليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة، وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه وبخدته وحب الشاميين له. انظر البيان المغرب، ٦١/٢. أعمال الأعلام: ١١/٢. ووفق النص السابق نجد أن الداخل جعل الأمر لمن سبق من الأخوين، فهل يعقل أن يترك الداخل أمر الدولة من بعده دون أن يقطع فيه برأيه، وإذا كان الوضع بهذه الصورة فلم لم يعمد عبدالله إلى أخذ الأمر لنفسه بعد أخذ الاحتياطات اللازمة؟.

١ - كان عمر سليمان عندما هرب والده من المشرق بعد مذبحة نهر أبي فطرس التي جرت سنة ١٣٢هـ أربع سنوات تقريباً. انظر: أخبار مجموعة ص٥٢. وأما هشام فقد ولد في الأندلس في شهر شوال سنة ١٣٩هـ. البيان المغرب ٤٨/٢.

٢ - العرب القيسيون أو الشاميون قدموا إلى الأندلس مع طالعة بلج بن بشر القشيري سنة ١٢٤هـ، إذ أنهم يشكلون أغلبية تلك الطالعة. انظر: ابن القوطية، ص١٥. كما وصل مع أبي الخطار الكلبي ثلاثون رجلاً منهم. ابن القوطية، ص ١٩. وأما اليمنيون أو البلديون فإنهم وصلوا قبل الشاميين، إذ قدموا مع طالعة موسى بن نصير في شهر رجب سنة ٩٣هـ، "انظر: الرسالة الشريفية ص١٩٢. منشورة في آخر كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية". ثم قدمت مجموعة أخرى منهم مع طالعة الحر الثقفي سنة ٩٧هـ. انظر: البيان المغرب ٢٥/٢.

٣ - أخبار مجموعة ، ٥٨.

وغياب السلطان الذي يحفظ الأمن ويجري الحقوق بين الناس، ومع ضعف دوافع الانقسام والتحزب بسبب قيام الدولة الأموية، فإن أثار ذلك ظلت تكمن في النفوس، ومن شأن وجود شاميين وبلديين في الأندلس أن يكون له حسابه في الفصل في موضوع ولاية العهد، حيث كانت أم سليمان شامية وأم هشام بلدية.

وفي النص الذي أورده ابن عذاري نجد الأمير عبدالرحمن الداخل يصرح بحب الشاميين لسليمان، عندما أوصى ابنه عبدالله قائلاً: "وإن سبق إليك سليمان فله فضل سنه ونجدته وحب الشاميين له[1]" فلو تولى سليمان الإمارة هل ستنقاد له بقية فئات المجتمع الأندلسي؟ إن الأمير عبدالرحمن الداخل بحاجة إلى استقرار إمارته، وتجنيبها الخلافات عليه وعلى خلفائه من بعده، ولذا فإن إسناد الأمر إلى هشام، من شأنه أن يجعل اجتماع الكلمة عليه أكثر احتمالاً، إذ أن أمه من البلديين.

وإذا نظرنا إلى وضع الإمارة الأموية في نهاية عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، نجد أنها كانت تنعم بالهدوء بعد أن أمضى سنوات طويلة من حكمه في إرساء قواعد دولته والقضاء على الخصوم بشدة.

ولاشك أن الأمير عبدالرحمن الداخل لم يغفل هذه الناحية، فهو يدرك ضرورة اختيار الأنسب لتولي العهد من بعده، وبما أن دولته مستقرة، ففي الحالة هذه يكون تقديم هشام أولى، وقد ذكر الماوردي أن

---

١ – البيان المغرب، ٦١/٢. وانظر: أعمال الأعلام، ١١/٢.

الأشجع من المرشحين لولاية العهد أولى بالتقدم "إن كانت الحاجة أدعى لانتشار الثغور وظهور البغاة[١]" وإلا فالعالم المتدين أحق بالتقدم.

وبالإضافة إلى ماسبق، فقد كان الأمير عبدالرحمن الداخل كثير الاهتمام بولديه، وكثيراً ماكان يسأل عنهما فتأتيه الإجابة بأن هشاماً إذا حضر إلى مجلس الوزراء[٢] أصبح الحديث الدائر في المجلس جاداً مفيداً، وإذا كان يوم حضور سليمان عج المجلس بالأحاديث الهزلية[٣].

ولم يكن الداخل يكتفي بالأخبار التي تنقل إليه عن ولديه، بل كان يعمد إلى اختبارهما بنفسه، فمن ذلك أنه قال لهشام يوماً على انفراد لمن هذا الشعر:-

وتعرف فيه من أبيه شمائل　　　ومن خاله أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا　　　ونائل ذا، إذا صحا وإذا سكر[٤]

فقال ياسيدي لأمرئ القيس، وكانه قاله في الأمير أعزه الله، فاستحسن ذلك منه، وأنعم عليه بصلة طيبة، ثم سأل سليمان على انفراد، وأنشده البيتين فقال:-"لعلهما لأحد أجلاف العرب، أما لي شغل غير

١ - الأحكام السلطانية، ص ٥.

٢ - يذكر ابن الابار أن الأمير الداخل قد استوزر ولديه سليمان وهشام، وألزمهما الركوب إلى القصر وحضور مجالس مشاورته. انظر: الحلة السيراء، ١/٤٢.

٣ - المصدر السابق ١/٤٢.

٤ - هذان البيتان من قصيدة لامرئ القيس يمدح فيها سعد بن الضباب الإيادي، ويهجو هانئ بن مسعود، انظر: حسن السندوبي: شرح ديوان امرئ القيس (القاهرة، المكتبة التجارية، د.ت) ص ١٠٢-١٠٣.

حفظ أقوال بعض الأعراب، فأطرق الأمير عبدالرحمن، وعلم قدر مابينهما من المزية"[١].

وبناءً على ماسبق، ولأن هشام كان "نجيباً[٢]" ووالده "يتوسم فيه الشهامة والاضطلاع بهذا الأمر، فلا غرابة إذا أسند إليه ولاية العهد من بعده كما صرح بذلك ابن الأثير[٣].

وقد تكررت مسألة إسناد ولاية العهد لغير الأبن الأكبر أكثر من مرة، فالأمير هشام الرضا بن عبدالرحمن الداخل ١٧٢-١٨٠هـ (٧٨٨-٧٩٦) أوصى بولاية العهد من بعده لابنه الحكم الربضي ١٨٠-٢٠٦هـ (٨٢٢-٨٥٢) بالرغم من أن أخاه عبدالملك أسن منه[٤]، والأمير الحكم جعل ابنه عبدالرحمن ولياً لعهده بوجود ابنه الأكبر هشام، وقد تولى عبدالرحمن الإمارة وهشام على قيد الحياة[٥]. وكذلك فعل الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط ٢٣٨-٢٧٣هـ (٨٥٢-٨٨٦) فقد

---

١ - نفح الطيب، ٣١٤/١. وعن اهتمام أمراء بني أمية بولاية العهد. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٠٤.

٢ - ذكر بلاد الأندلس، ١١٩/١.

٣ - الكامل، ٢٨١/٥.

٤ - البيان المغرب، ٦٥/٢. قام الأمير هشام الرضا بنكب ولده عبدالملك، فسجنه. وظل في السجن بضع عشرة سنة - حتى مات مسجوناً في ولاية أخيه الحكم الربضي. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص٩٥.

٥ - وقد ذكر ابن حزم أن السبب في فعل الأمير الحكم أنه بلغه أن ابنه هشام يتمنى موته ليلي الأمر بعده، وكان أكبر ولده، فحلف ألا يليه أبداً، وقدم عليه أخويه عبدالرحمن والمغيره. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٩٨.

جعل ابنه المنذر ٢٧٣-٢٧٥هـ (٨٨٦-٨٨٨) ولياً لعهده ومن بعده عبدالله[١] ٢٧٥-٣٠٠هـ (٨٨٨-٩١٢) وكان عبدالله أسن من أخيه المنذر[٢].

وتقديم المنذر على أخيه الأكبر عبدالله لولاية العهد مسألة تحتاج إلى مزيد من البيان والتوضيح، فقد كان للأمير محمد عدد من الأبناء النجباء، اتصفوا بالشجاعة، فتولوا مهام قيادة الجيوش[٣]، والاشتراك في الغزوات الحربية مع والدهم[٤] ومن بين أولئك الأبناء المنذر الذي "كان أشد الناس شكيمة وأمضاهم عزماً[٥]، واشتهر أمره في حياة والده بكثرة قيادته للجيوش المتجهة للجهاد ضد نصارى الشمال[٦]، كما عرف أيضاً بمقارعته للمناوئين الخارجين على حكومة قرطبة[٧].

---

١ - نقط العروس، ص٦٥.

٢ - توفي الأمير المنذر يوم السبت من شهر صفر سنة ٢٧٥هـ وسنه ٤٦ عاماً. انظر: العقد الفريد، ٤/٤٩٧. وأما الأمير عبدالله فقد توفي سنة ٣٠٠ هـ وعمره ٧٢ سنة. العقد الفريد ٤/٢٩٦. وعلى هذا يكون تاريخ ميلادهما على التوالي: المنذر سنة ٢٢٩هـ . وعبدالله ٢٢٨هـ.

٣ - انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٣١٨-٣٢٠. البيان المغرب ٢/٩٤ ومابعدها.

٤ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي ص ٣٥٥.

٥ - العقد الفريد ٤/٤٩٦.

٦ - انظر: المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي ص٣١٩، ٣٤١، ٣٨٥.

٧ - البيان المغرب ٢/١٠٦،١٠٣.

ولاشك أن الأمير محمد كان يدرك الوضع العام السائد في دولته آنذاك، ومدى الاضطراب الذي يتهددها، بسبب كثرة المخالفين واعتداءات نصارى الشمال[1]، ولذا فهو على يقين بأن البلاد بحاجة إلى حاكم يمتاز بالصلابة والمراسة والشجاعة، وهذا ما امتاز به الأمير المنذر، ومن هذه صفته فهو أولى بالتقديم في مثل هذه الظروف[2].

فإذا عرفنا ذلك، مع أخذنا بالاعتبار أن الأمير عبدالله بن محمد كان "لين العريكة، وشديد الحب للعافية[3]" أدركنا أن تقديم المنذر لولاية العهد كان محكوماً بشخصيته القوية من جهة، وبطبيعة ظروف وأوضاع الدولة من جهة أخرى، وكان تقديم المنذر لولاية العهد مع وجود الأكبر من إخوته يجري وفق أسس من الحكمة والتبصر وتسمية من هو أصلح، حتى أن والده قدمه لولاية عهده قبل وفاته بأكثر من عشر سنوات[4].

ومما يتصل باختيار الأنسب لولاية العهد، ماجاء من أن عبدالرحمن الناصر تولى الحكم بعد وفاة جده الأمير عبدالله بن محمد دون بقية أعمامه

---

١ – المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي ص٢٩٣-٢٩٤، ٣٠٤، ٣٠٧-٣١٠، ٣١٥-٣١٨، ٣٢٠-٣٢١، ٣٢٤-٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣١-٣٣٢، ٣٤٩-٣٥٥، ٣٦٩-٣٧٣، ٣٩٣-٣٩٦، البيان المغرب، ٢/٩٤-٩٦، ٩٩-١٠٠، ١٠٣،١٠٥. أعمال الأعلام، ٢/٢١. نفح الطيب ١/٣٥٠، ٣٥١.

٢ – انظر : الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٣٥٥.

٤ – خرج الأمير المنذر سنة ٢٦٢هـ على رأس جيش لمحاربة عبدالرحمن بن مروان الجليقي وصاحبه سعدون السرنباقي، وكان حينها ولياً للعهد. انظر: ابن القوطية، ص٨٨-٨٩. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٣٤٣-٣٤٤.

وأعمام أبيه، وذكر ابن حزم أن الأمير عبدالله توفي دون أن يعهد بالحكم لأحد من بعده[١] ثم يشير إلى أن استلام حفيده عبدالرحمن الناصر للإمارة جاء نتيجة لاجتماع أهل الحل والعقد، وتشاورهم فيمن يقوم بأمر الإسلام، وأنهم لم يجدوا في شباب بني أمية أصلح من عبدالرحمن فأجلسوه مكانه[٢]، ثم علق ابن حزم على البيعة قائلاً:- "وكانت البيعة من المستطرف لأنه كان في هذا الوقت شاباً، وبالحضرة جماعة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه وذوي القعدد في النسب من أهل بيته فلم يعترض معترض"[٣].

ويعلل بعض المؤرخين المحدثين[٤] عدم اعتراض أفراد الأسرة الأموية على تنصيب عبدالرحمن أميراً على البلاد، بأنهم قد زهدوا بالإمارة نتيجة إدراكهم لجسامة الأخطار المحدقة بالبلاد آنذاك.

إلا أن هذا الرأي لايمكن التسليم به إذ أن المتأمل في سيرة عبدالرحمن الناصر أثناء حياة جده، وطريقة توليه الحكم من بعده يدرك تماماً أن عبدالرحمن دون غيره هو الذي خُصَّ بولاية العهد لكفايته وثقة الأمير عبدالله بقدرته على تحمل المسؤولية، وأن أولئك الأعمام لم يزهدوا

---

١ - نقط العروس، ص٥٦.

٢ - المصدر السابق، ص ٥٧.

٣ - جذوة المقتبس، ص ١٢.

٤ - انظر: د.حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٠٨، د. السيد عبدالعزيز سالم،تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، ص٢٧٩، د.أحمد العبادي في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٧٧.

بالإمارة، كما أشار إلى ذلك ابن حزم ومن تابعه. فقد نشأ عبدالرحمن الناصر يتيماً[١]، فتولى جده الأمير عبدالله كفالته، فرباه تربية حسنة[٢]، وتفرس النجابة فيه فخرجه بأدبه، وأجهد في تعليمه[٣]" وعندما بلغ مبلغ الرجال جعله "كاتب سره[٤]" كما خصه بالسكنى معه في القصر دون بقية أعمامه[٥]، وهذا أمر سار عليه أمراء بني أمية، فهم لايسكنون أحداً معهم في القصر من أبنائهم إلا من يرشحوه لولاية العهد[٦].

وإضافة إلى ماسبق فقد كان الأمير عبدالله يكلف حفيده عبدالرحمن الناصر بالجلوس نيابة عنه في بعض الأيام والأعياد، ويقعده "مقعد نفسه لتسليم الجند عليه"[٧].

وفضلاً عن كل ماذكر فالأمير عبدالله عندما مُرض مَرض الموت، رمى بخاتم الملك إلى حفيده عبدالرحمن[٨]، وفي هذا دلالة أكيدة على أن الأمير عبدالله كان قد أوصى بالإمارة من بعده لحفيده، و لم يترك الأمر من بعده عرضة للتراع والشحناء.

---

١ – عندما قتل محمد بن الأمير عبدالله، كان عبدالرحمن قد مضى على ولادته ثلاثة أسابيع. انظر: البيان المغرب ١٥٧/٢.

٢ – المقتبس، طبعة: أنطونيه ص ٣٩. أعمال الأعلام: ٢٩/٢.

٣ – المقتبس، طبعة: أنطونيه ص٢٩.

٤ – المصدر السابق طبعة، أنطونيه ص٣٩.

٥ – البيان المغرب، ١٥٧/٢.

٦ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص١٦،١٤.

٧ – البيان المغرب، ١٥٧/٢.

٨ – المصدر السابق: ١٥٧/٢.

مراسم تعيين ولي العهد

كان من المتبع لدى بني أمية في الأندلس، أنه بعد أن يتم اختيار ولي العهد، يبدأ الاحتفال بتعيينه والإعلان عن بيعته، وقد شهدت تلك المراسم تطوراً كبيراً في عصر الخلافة عما كانت عليه في عصر الإمارة.

فقد ذكر ابن سعيد أن الأمير الحكم الربضي كان أول من عقد البيعة بولاية العهد من بعده في الأندلس[١] حيث عقدها لولديه عبدالرحمن ثم المغيرة. وقد تمت مبايعة ولي العهد مرتين[٢]، الأولى عرفت بالبيعة الخاصة، والثانية عرفت بالبيعة العامة.

وقد جرت البيعة الخاصة لولي العهد الأول في قصر الإمارة، ثم توجه إلى داره[٣] لاستقبال المبايعين بالبيعة العامة، أما ولي العهد الثاني فقد أخذت له البيعة الخاصة في دار ولي العهد الأول، ثم توجه إلى الجامع وعند المنبر أخذ يتلقى البيعة العامة التي استمرت عدة أيام ثم استكملها في داره.

لكننا نشهد تطوراً يطرأ على هذه المراسم في عصر الخلافة، فالخليفة المستنصر عندما أراد أن يعقد ولاية العهد من بعده لابنه هشام، جلس في إحدى قاعات القصر الضخمة، وبعد اكتمال حضور كبار رجالات الدولة من شيوخ البيت الأموي وزعماء البيوتات الأندلسية والوزراء

---

١ - المغرب في حُلى المغرب، ٤٣/١.

٢ - انظر: مراسم تلك البيعة لدى ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٧/٢.

٣ - تجدر الإشارة هنا إلى أن وجود دار خاصة بولي العهد يعني أن له وزراء وجلساء وندماء خاصين، لكن هذا الوضع لن يستمر طويلاً، إذ أن تغيراً طرأ على هذا الجانب، فولي العهد أصبح يسكن مع الأمير ثم مع الخليفة في القصر.

والقضاة والفقهاء والقادة وكبار الفتيان الصقالبة ونحوهم، ألقى الحكم خطبة بهذه المناسبة افتتح كلامه فيها بما عزم عليه من إسناد ولاية العهد لابنه هشام، وأشار في خطبته إلى الأسباب التي دفعته لاتخاذ هذه الخطوة، وبعد أن أُخذت البيعة على الحضور، أُخرجت نسخ من كتاب البيعة لتوقيع شهادات الذين التزموها[١]، وتولى إعطاء الحضور هذه النسخ على مراتبهم كل من صاحب الشرطة والمواريث المنصور بن أبي عامر، والكاتب ميسور الفتى، حيث يقوم كل من استلم نسخته بتسجيل شهادته بخط يده، بسجل خاص[٢].

وقاضي الجماعة هو أول من سجل شهادته في ذلك السجل، ثم تبعه الوزراء، ومن ثم أصحاب الشرطة وسائر أهل الخدمة من الحكام والقضاة والفقهاء والمشاورين وغيرهم، ولنا أن نتصور ضخامة هذا السجل إذا عرفنا أن عدد الشهود كان مائة وتسع وثلاثون رجلاً[٣]، وعادة ما يصاحب هذا الاحتفال بذل الأموال والهدايا لعلية القوم[٤]، وبالتالي يتم إرسال نسخ عديدة من كتاب البيعة لتلاوتها على كافة المنابر في الأندلس لاستقبال المبايعين من أبناء الرعية كل في محلته.

---

١ - البيان المغرب ٢/٢٤٩.
٢ - المصدر السابق ٢/٢٤٩. نفح الطيب، ١/٤٢٥.
٣ - اعمال الأعلام ٢/٤٨-٥٧.
٤ - البيان المغرب، ٢/٢٤٩.

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية نصين لكتابين من إنشاء الوزير الكاتب أبي حفص ابن برد الأكبر[١]، صدرا بمناسبة الإعلان عن عقد ولاية العهد، ومن الملاحظ أن كلا الكتابين تضمنا أسباب اختيار الخليفة لولي عهده، وذكر صفاته وأخلاقياته، وأن الاختيار لهذا المنصب الهام جاء بعد روية واستخاره.

فالكتاب الأول أصدره الخليفة هشام المؤيد عند توليته العهد لعبدالرحمن بن المنصور ابن أبي عامر الشهير بشنجول، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٩هـ (نوفمبر ١٠٠٨م) بيَّن فيه الخليفة أن اختياره لولي العهد كان من أجل صالح الأمة إذ أنه يخشى أن يوافيه الأجل دون أن يترك للأمة من تأوي إليه، وأن اختياره لشنجول كان أمراً طبيعياً لعدم وجود من هو أكفأ منه، بالإضافة إلى أنه يرى فيه القحطاني الذي سوف يسوق الناس بعصاه، وفي نهاية الخطاب تعهد المؤيد بأنه لن يغير نيته أبداً[٢].

---

١ - هو الوزير أبو حفص أحمد بن برد، مولى بني شهيد، كان ذا حظ وافر من الأدب والبلاغة والشعر، تولى ديوان الإنشاء في الدولة العامرية بعد ابن الجزيري، ثم كتب لسليمان المستعين وغيره من خلفاء الفتنة، وقد امتد به العمر حتى تجاوز الثمانين وتوفي بسرقسطة سنة ٤١٨هـ. انظر: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ١٩٩. الذخيرة، ق١ م١ ص ١٠٣.

٢ - انظر: هذا الخطاب في : الذخيرة، ق١ م١، ص١٠٤. البيان المغرب، ٣/٤٤-٤٦. أعمال الأعلام، ٢/٩١-٩٢. تاريخ ابن خلدون، ٤/١٤٨-١٤٩. نهاية الأرب، ٢٣/٤٠٨-٤٠٩. نفح الطيب، ١/٤٢٤-٤٢٥.

أما الكتاب الثاني فقد صدر عن الخليفة سليمان المستعين بالله أعلن فيه عقد ولاية العهد لابنه محمد، وذلك في منتصف شهر جمادى الأخرة سنة ٤٠٠هـ (فبراير ١٠١٠م) وقد جاء في الكتاب أن المستعين نظراً لحرصه الشديد على الأمة فقد اختار لها ابنه محمداً، وقد استخار الله تعالى في هذا الاختيار، وأنه بهذه الاستخارة والاختيار قد أبرأ ذمته من الأمة وأدى الأمانة التي اضطلع بها[1].

وإذا نظرنا إلى كلا الخطابين نجد أنهما متفقان في بعض النقاط، ومختلفان في نقاط أخرى، ففي الخطابين إشارة إلى أن قرار اتخاذ ولي العهد لم يأت إلا بعد الإكثار من استخارة الباري جل وعلا، وأن الخشية من الله تعالى والحرص على مصلحة المسلمين هما الدافع الرئيس لاتخاذ ولي للعهد، وأنه نظراً لتوافر خلال الخير وصفات الرجولة في شخصي عبدالرحمن بن المنصور بن أبي عامر ومحمد بن سليمان المستعين، دون غيرهما كل هذا رشحهما لهذا المنصب الهام.

لكن هناك نقاط ميزت أحد الخطابين عن الآخر رغم أن الكاتب واحد هو ابن برد الأكبر، وأن المدة التي تفصل بين الخطابين لاتزيد عن سنة وثلاثة أشهر، ففي الخطاب الأول نجد الدعاء للخليفة هشام بطول البقاء عند ورود اسمه، في حين خلا الخطاب الثاني من هذه المسألة، كما

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/١٢٦-١٢٧.

أن اسم ولي العهد في الخطاب الأول ذكر مقروناً بالكنية واللقب مع الدعاء له بالتوفيق، بينما ورد اسم ولي العهد في الخطاب الثاني مجرداً.

وهناك ناحية انفرد بها الخطاب الأول وهي: بما أن عبدالرحمن بن المنصور ابن أبي عامر، معافري يرجع إلى قحطان لأجل هذا ورد في الخطاب أن الخليفة هشام المؤيد يؤمل أن يكون عبدالرحمن بن المنصور هو الرجل القحطاني الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيسوق الناس بعصاه.

كما امتاز الخطاب الأول بإعلان تفويض مطلق تام من الخليفة هشام لولي عهده المنتظر في أمور الخلافة في حياة الخليفة وبعد وفاته.

وأخيراً اختتم الخليفة هشام خطابه بأنه يشهد الله وملائكته الكرام ومن حضر بأن لا يغدر بولي عهده. بينما نجد أن الخطاب الثاني اشتمل على إصدار الأمر للعمال بالكور بأن يأمروا أصحاب الصلوات في الجوامع بالدعاء لولي العهد في خطبة الجمعة. واختتم الخطاب بالتضرع إلى الله تعالى أن يوفق أمير المؤمنين لما فيه مصلحة جماعة المسلمين في دينهم ودنياهم، وأن يجازي أمير المؤمنين على جميل نيته وكرم مذهبه فيهم.

وبعد أن تنتهي مراسم الاحتفال بولاية العهد، يخرج ولي العهد إلى مكانه المخصص بموكب خاص، فإذا استقر في مجلسه صدر الإذن منه لمن

في الباب من بني أمية وغيرهم من القرشيين ولكبار رجالات الدولة وأصحاب البيوتات الأندلسية ونحوهم للدخول عليه وتهنئته والدعاء له[١].

وبعد ذلك تتم تكنية ولي العهد في المخاطبة، وينقش اسمه في السكة والأعلام والطراز، كما يتولى قاضي الجماعة الدعاء له فوق المنبر بينما يتولى القضاة وأصحاب الصلوات الدعاء له على كافة المنابر في الأندلس[٢].

هذه هي البيعة الخاصة، التي تنتهي عادة في نفس اليوم، أما البيعة العامة فيستقبلها ولي العهد لعدة أيام في بيته ويتم إرسال كتب خاصة في هذا الشأن إلى كافة الكور والثغور لأخذ البيعة من أبناء الرعية.

ولاتحدثنا المصادر التاريخية عن وقوع أي بادرة تشير إلى رفض عقد البيعة بولاية العهد أثناء الاحتفال بهذه المناسبة، فحتى عندما عقد الخليفة هشام المؤيد ولاية العهد من بعده لعبدالرحمن بن المنصور بن أبي عامر لم يظهر أي موقف معارض حين عقد البيعة[٣].

ومن الملاحظ أنه إذا عقدت ولاية العهد لصبي صغير، تؤخذ الأيمان المغلظة من المبايعين بعدم الحنث في البيعة، فالخليفة عبدالرحمن الناصر "عهد بالأمر بعده لولده الحكم، وهو طفل صغير من ثماني سنين أو نحوها،

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/١٢٥-١٢٦.

٢ - البيان المغرب، ٢/٤٦. أعمال الأعلام، ٢/٩٣.

٣ - عدم المعارضة في المجلس تدل إما على أن هناك عادة تقضي بإرجاء المعارضة إلى مابعد، وإما على شدة سيطرة عبدالرحمن بن المنصور على دولة الخليفة هشام المؤيد وهذا هو الأرجح.

وبحيث لو هلك لنصب بعده بمكانه، وحسبما اقتضاه ماأخذه على الناس من العهد بذلك، واقتضاه من الأيمان الغليظة المحرجة شأن من يأخذ العهد لولده من الملوك"[١].

إعداد ولي العهد وتدريبه على شؤون الحكم

كان اختيار ولي العهد للولاية يتم قبل إعلان الاختيار الرسمي بوقت طويل، فقد كان الأمير أو الخليفة يتعهد من يرشحه للولاية منذ نعومة أظفاره، فيهتم بتأديبه، وتثقيفه، ويختار له أفضل المؤدبين من الفقهاء والمحدثين، لينشأ مثقفاً ملماً بمعارف شتى، سواء منها ما كان يتصل بالثقافة العامة كعلوم الدين والأدب والتاريخ وسير الأولين، أو ماكان يتصل بالثقافة السياسية الخاصة بتدبير الأمور وسياسة الرعية.

فهذا الخليفة الحكم المستنصر رغم أنه اختار الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف المعافري[٢] لتأديب ولي العهد هشام المؤيد[٣]، إلا أن الخليفة كان يتدخل في عملية التأديب فرسم للمؤدب الخطة التي عليه أن يعمل بمقتضاها في تأديب ولي العهد، وحدد له مكاناً خاصاً يتمكن من خلاله متابعة ولده ومؤدبه، فلما ظهرت علامات الاستيعاب على الولد عبر

---

١ - أعمال الأعلام، ٤١/٢.

٢ - هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن يوسف المعافري، الملقب بالقسطلي، قرطبي، رحل إلى المشرق سنة ٣٤٢هـ وعاد إلى الأندلس سنة ٣٤٥هـ حيث تولى أحكام الشرطة وجلس في الجامع لنشر الحديث، وكانت وفاته رحمه الله بسبب سقوطه في الحمام، وذلك في شهر صفر سنة ٣٦٨هـ، انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٦٦.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.الحجي ص ٧٦.

الخليفة عن سروره بإخراج الأموال لتقسم على المحتاجين شكراً لله تعالى[١].

وكما كان الخليفة يهتم بتأديب ولي عهده، فإنه كان يهتم بتدريبه أيضا، وذلك من خلال إسناد بعض المسئوليات إليه، فالخليفة عبدالرحمن الناصر قام بتكليف ولي عهده ابنه الحكم المستنصر بتولي "أمر الجباية والخزانة والخُزَّان ودار الضرب وغلاتها، وقلده الإشراف على ذلك كله والوقوف على وجوهه ومعانيه وعلاته ودواعيه، فأحسن النظر وبان أمره فيما تقلد منه، واستراح إلى كفايته"[٢].

وإضافة إلى ماسبق كان حكام بني أمية في الأندلس يجعلون ولي العهد يقيم معهم في القصر، دون بقية الأبناء وكان في ذلك فائدة عظيمة له، فهو فضلاً عن تعلمه الكثير من فنون الحكم بسبب معايشته للأمير أو الخليفة، فإن وجوده في القصر يفرض عليه واجباً لا يمكنه الإخلال به، ألا وهو البقاء في القصر عند مغادرة والده قرطبة، وفي هذه الحالة فإن مكانه من القصر السطح، لأنه يقع فوق الباب الرئيسي للقصر وهو باب السدة، وهو أيضاً مجلس للأمراء والخلفاء، ومن خلال جلوسه في السطح يكون في مأمن، كما أنه يتمكن من مراقبة الباب الرئيسي للقصر، ومعرفة الداخل للقصر والخارج منه، إذ أن من يملك القصر يسيطر على الدولة، فهو مكان قعوده في النهار، ومبيته في الليل، ولايؤذن له في مغادرته البتة

١ - المصدر السابق، ص ٧٦-٧٧.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٦٩.

لأي أمر كان، ويبيت معه في السطح أحد الوزراء، بالإضافة إلى فتى من أكابر الفتيان(١).

وإن حاول ولي العهد مغادرة السطح، فإن للوزير الموكل بمرافقته الحق في منعه بأي وسيلة كانت، وإن لزم الأمر وضع القيد برجليه، ومن الأمثلة على ذلك أن الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط عندما خرج في بعض مغازيه ترك أحد أولاده على سطح القصر، ووكل عليه الوزير أمية بن عيسى بن شهيد(٢)، وكان لولد الأمير وكيل متدلل، فتظلم ذلك الوكيل إلى الولد من الوزير أمية بن عيسى، فحاول الولد الضغط على الوزير، إلا أنه لم يحفل به، فأرسل إليه الولد رسولاً يهدده بأنه سوف يترل من السطح بصحبة غلمانه ويقتص لوكيله منه، يقول ابن القوطية صاحب الرواية:-

---

١ - انظر: ابن القوطية، ص٨٦، طوق الحمامة، ص ١٤٤-١٤٥. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٤٣. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٣٤.

٢ - هو أمية بن عيسى بن شهيد ينتمي لأحد البيوتات الشهيرة في الأندلس، وكان أمية أجل وزراء الأمير محمد وأجملهم عنده وأنهضهم بخدمته، وكانت ولاية المدينة مداولة بينه وبين وليد بن عبدالرحمن بن غانم، كما كان أمية يلي قيادة الجيوش للأمير محمد. انظر: ابن القوطية، ص ٨٥-٨٧، ٩٤-٩٥، المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي: ص١٧١-١٧٢، ١٧٥-١٧٦.

"فضحك[١] -أي الوزير- وكان لم ير في المدينة ضاحكاً إلا لهذا الأمر، ولأمر نزل [بعد] لايحسن ذكره، فقال للرسول: بالله الذي لاإله إلا هو لئن جاوز باب السطح حيث ولاه أبوه، لا طرحناه في الدويرة[٢] في كلبين يكون بهما حتى يقفل أبوه أو يأتي عهد بإطلاقه"[٣].

وإذا اضطر ولي العهد لمغادرة القصر بسبب استدعاء والده له، فإنه يستخلف أحد إخوته وذلك لإنفاذ الكتب باسمه إلى حين عودته[٤].

سلطان ولي العهد وصلاحياته

من المعلوم أن لا ولاية ولاسلطان لولي العهد في حياة الأمير أو الخليفة، إلا إذا أسندت إليه بعض المهام لإشراكه في المسئولية وتحملها، والقيام بأعباء الدولة لتدريبه وإعداده، وذلك لانشغال الأمير أو الخليفة لسبب من الأسباب، فمن الأعمال التي كانت تستند إلى ولي العهد القيام بقيادة حملة عسكرية[٥]، أو الاضطلاع ببعض الأمور الإدارية، كقراءة الكتب الواردة إلى البلاط لتقديمها للأمير مختصرة[٦]، أو تولي منصب

---

١ – إن في ضحك الوزير الذي عرف بندرة الضحك دليلاً على استخفافه بتهديد الولد، وبإدراكه لأهمية مراقبته له، ومنعه من مغادرة السطح، وأنه -الوزير- يملك من الصلاحيات المطلقة مايمكنه من الحيلولة دون نزول الولد من السطح بأي وسيلة كانت.

٢ – الدويرة: أحد السجون.

٣ – ابن القوطية، ص٨٦-٨٧.

٤ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٠١، البيان المغرب ٢/١٩٠.

٥ – المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي ص ٣٤٤.

٦ – المصدر السابق، ص١٠٤.

كاتب السر[١]، وإلزامه بالركوب إلى مجلس الوزراء[٢]، أو توليته أمر الإشراف على الجباية والخزانة والخزان ودار الضرب وغلاتها[٣]، أو تكليفه الإشراف على إنجاز بناء ونحوه[٤]، أو الجلوس للمظالم[٥]، أو تفويضه بتعيين الولاة[٦] والمشاورين[٧]، وكذلك استقبال الرسل الوافدين[٨]، وأحياناً تسند إليه مهمة الصلاة على جنائز أهل القصر[٩].

ويحصل إيضاً أن يتولى ولي العهد مسؤولية الإشراف التام على شؤون الدولة في حياة والده، فعندما أصيب الأمير الحكم الربضي بعلته التي استمرت مدة أربعة أعوام، واحتجب خلالها عن الرعية إلى أن توفي، كان ابنه عبدالرحمن يتولى إدارة الدولة طيلة تلك المدة[١٠].

كما أن الحكم بن الخليفة عبدالرحمن الناصر تولى مهمة الإشراف على خطط الدولة في حياة والده وذلك سنة ٣٣٠هـ (٩٢٣)[١١].

---

١ – نفسه: طبعة: أنطونيه، ص ٣٩.
٢ – الحلة السيراء، ١/٤٢.
٣ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٦٩.
٤ – المصدر السابق، ص ٢١٠.
٥ – نفسه: طبعة: أنطونية، ص٧١.
٦ – البيان المغرب، ٢/٢٠٥.
٧ – ترتيب المدارك ٦/١٢٦-١٢٧.
٨ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٠٣.
٩ – المصدر السابق، ص ٢١٩.
١٠ – الحلة السيراء: ١/٤٦.
١١ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٧٨.

تعريف الأمة "الرعية" بولي العهد

بعد أن يتم اختيار ولي العهد، يعمد الأمير أو الخليفة إلى تعريف الناس بولي العهد، وذلك من خلال نشر ذكره بينهم. فبالإضافة إلى مايتم تكليفه به من أعمال إدارية، فإنه يقوم بمهام عسكرية، كما عرفنا من قبل، ومن خلال الأعمال العسكرية التي يضطلع بها، يتم نشر ذكره، وذلك بواسطة كتب الفتح التي ترسل من أرض المعركة. ومن الأمثلة على ذلك: أن الأمير عبدالرحمن الأوسط عندما خرج سنة ٢٢٨هـ (٨٤٣) لغزو بنبلونه[١]، جعل ابنه على ميمنة الجيش، وبعد نهاية المعركة التي أسفرت عن نصر المسلمين، أرسل الأمير عبدالرحمن إلى قرطبة كتاب الفتح، وأثنى فيه على غناء ابنه محمد وكفايته في تلك الغزوة، وبما أن كتاب الفتح يتلى على منبر جامع قرطبة، وترسل نسخ منه إلى كافة الكور والثغور لتتلى هناك، فإن ذلك يعمل على طيران اسمه في الأفاق[٢].

ونشر ذكر ولي العهد بين أبناء الرعية، أمر ضروري، وذلك لتعريف الجميع به، ولتكوين صورة طيبة لديهم عنه، فإذا مااستلم منصب رئاسة الدولة، كان ماضيه المجيد مائلاً أمامهم، فيضمن على الأقل أن هناك

---

١ - بنبلونه أو بمبلونه **Pamplona** عاصمة مملكة نافار أو نبره **Navar** تبعد عن مدريد مسافة ٣٥٠ كيلو متراً، على الضفة اليمنى لأحد أفرع نهر إيبروا، وهي اليوم مدينة جميلة يشتغل أهلها بالزراعة والصناعة، وبها مركز ثقافي هام، انظر: الروض المعطار، ص ١٠٤. الآثار الأندلسية الباقية ص ٣٠٧.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ١٠٣. وانظر: نصوص عن الأندلس، ص ٣٠، البيان المغرب ٨٦/٢.

قطاعاً عريضاً من الرعية، ينظر إليه بعين الاحترام، مما يجنبه بالتالي مجابهة المزيد من القلاقل والاضطرابات.

الإضطراب الذي تطرق لنظام ولاية العهد

سار نظام ولاية العهد -كما عرفنا- وفق منهج واضح ومحدد، وسياسة استمرت مدة قرنين من عمر الدولة الأموية في الأندلس تقريبا، إلا أنه ابتداءاً من نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ومطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، شهد هذا النظام أول تغيير انحرف به عن مساره، عندما وصل إلى ولاية العهد مَنْ هو مِنْ خارج الأسرة الأموية.

ففي سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٨) وبعد أن أمضى عبدالرحمن بن المنصور بن أبي عامر الشهير بشنجول شهر ونصف الشهر[١] على توليه الحجابة، نجح في إجبار الخليفة هشام المؤيد، على توليته العهد من بعده، واستصدر منه كتاباً لإعلام الناس بهذا الأمر، قرئ على المنابر[٢].

ويصف ابن الخطيب نقلاً عن ابن حيان موقف وجوه أهل قرطبة من هذه الفعلة فقال: "وغدا وجوه الناس من أهل قرطبة لتهنئة المغرور عبدالرحمن بهذه المنحة، التي كانت عندهم أشد محنة، كلهم يعزي نفسه، ويكفكف عليها عبرته، ثم تجملوا بالملق ... فدخلوا على منازلهم ...

---

١ - البيان المغرب ٣٨/٣.

٢ - المصدر السابق، ٤٣/٣-٤٦.

تبدوا عليهم في ظاهرهم الاستكانة والكبوة ... وخرجوا من عنده وقلوبهم ذؤوبة عليه موقدة ببغضه"[١].

كما تسمى بولاية العهد علي بن حمود، فقد ادعى أن كتاباً قد وصله من الخليفة هشام المؤيد بالله، يسند إليه ولاية العهد من بعده[٢].

ومن مظاهر الاضطراب الذي طرأ على نظام ولاية العهد في أواخر عصر الدولة الأموية، أن منصب ولاية العهد أصبح لاهيبة له، فقد ذكر ابن حزم أن هناك من سمى نفسه ولياً للعهد دون أن يسميه به خليفة.

فهذا سليمان بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر تسمى بولاية العهد في خلافة محمد المهدي[٣] فسجنه المهدي في شهر رمضان سنة ٣٩٩هـ[٤] (مايو ١٠٠٩) ثم أطلق سراحه بعد أن ثار هشام بن سليمان ضد المهدي وطالبه بإطلاق سراح ابنه[٥]، وأخيراً تمكن المهدي من قتل هشام بن سليمان وولده سليمان بعد أن فشل كل من القاضي ابن ذكوان وابن عمر بن حزم في إقناع هشام بن سليمان بالعدول عن المطالبة بالخلافة[٦].

---

١ - أعمال الأعلام: ٢/٩٣-٩٤.

٢ - الذخيرة، ق١ م١ ص٣٧-٣٨.

٣ - نقط العروس، ص٥٤. قارن: البيان المغرب، ٣/٧٨. أعمال الأعلام، ٢/١١٠.

٤ - البيان المغرب ٣/٧٨.

٥ - المصدر السابق ٣/٧٩.

٦ - نقط العروس ص٥٤. البيان المغرب ٣/٧٩-٨١.

وادعى سليمان بن هشام بن عبيد الله بن عبدالرحمن الناصر ولاية العهد في أيام ابن عمه الخليفة المستكفي، سنة ٤١٥هـ[١] (١٠٢٤) وكذلك محمد بن الحكم بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر تسمى بالعهد دون أن يسميه عمه الخليفة هشام المعتد بالله[٢].

ويضاف إلى مظاهر الاضطراب تلك، أن المراسم التي كانت تتبع عند تعيين ولي العهد، والاحتفالات التي كانت تقام عند مبايعته، لم يعد لها وجود، فمنذ أن عقد الخليفة سليمان المستعين البيعة بولاية العهد من بعده لابنه محمد في منتصف شهر جمادى الآخرة سنة أربعمائة للهجرة (فبراير ١٠١٠) أصبح الاحتفال بتعيين ولي العهد ومبايعته يقوم فقط على قراءة كتاب بولاية العهد، بالإضافة إلى نقش اسم ولي العهد في السكة والأعلام والطرز والدعاء له فوق المنابر[٣].

موافقة الأسرة ومعارضتها

عرفنا فيما سبق أن اختيار ولي العهد يكون وفق معايير دقيقة، ولكن ليس بالضرورة أن يكتب لذلك الاختيار القبول من كافة أفراد الأسرة الأموية، فقد يعقب الإعلان عن اختيار ولي العهد معارضة قوية من بعض أبناء الأسرة الأموية، فمنها مايتم القضاء عليها وهي في مهدها، ومنها مايتطور ليصل إلى حد المصادمات العسكرية، وهناك أمثلة كثيرة،

---

١ - نقط العروس، ص ٥٤. قارن: البيان المغرب ١٤٢/٣.
٢ - نقط العروس، ص ٥٤.
٣ - انظر: أعمال الأعلام، ١٢٥/٢-١٢٧.

فبعد أن بويع هشام الرضا بالإمارة بعد أبيه عبدالرحمن الداخل، أعلن سليمان رفضه لإمارة أخيه هشام، وتحصن في طليطلة، ثم انضم إليه أخوه عبدالله[١] البلنسي بن عبدالرحمن الداخل سنة ١٧٣هـ (٧٨٩م) وهاجم سليمان قرطبة محاولاً امتلاكها لكنه فشل وانهزم[٢]، وفي سنة ١٧٤هـ (٧٩٠م) قدم عبدالله على أخيه هشام بقرطبة بلا عهد سابق ولاأمان، فأكرمه هشام وأنزله عند ابنه الحكم الربضي[٣]، وفي نفس السنة طلب سليمان الأمان من أخيه هشام، فوافق الأخير شريطة أن يغادر الأندلس بأهله وولده، ويعطيه هشام ستين ألف دينار، فتم الاتفاق بينهما وعبر سليمان البحر إلى بلاد البربر[٤].

وما إن علم عبدالله وسليمان بوفاة أخيهما هشام في شهر صفر سنة ١٨٠هـ (إبريل ٧٩٦م) حتى بادرا بإعلان العصيان، وجرت بين سليمان وبين ابن أخيه الأمير الحكم الربضي عدة معارك انتهت بقتل سليمان سنة ١٨٤هـ[٥] (٨٠٠م) وفي سنة ١٨٦هـ (٨٠٢م) أخرج الحكم الربضي لعمه عبدالله أماناً عُقِد سنة ١٨٧هـ (٨٠٣م) على أن يدفع الأمير الحكم

---

١ - كان هشام يبر أخاه عبدالله ويفضله على كثير من إخوته إلا أن عبدالله كان يطمع بالمشاركة في الملك، فخرج إلى أخيه سليمان لإعلان التمرد ضد هشام، ورغم ذلك حاول هشام رده إلى قرطبة لكنه لم يفلح. البيان المغرب: ٦٢/٢.

٢ - البيان المغرب، ٦٢/٢، ذكر بلاد الأندلس ١١٩/١.

٣ - الحلة السيراء، ٣٦٣/٢. البيان المغرب، ٦٣/٢. أعمال الأعلام ١١/٢.

٤ - البيان المغرب، ٦٣/٢. أعمال الأعلام ١١/٢.

٥ - البيان المغرب، ٧٠/٢.

لعمه عبدالله ألف دينار راتباً شهرياً، بالإضافة إلى ألف دينار أخرى كـــل عام على شكل مخصصات[١]، وأن يبقى في بلنسية مؤدياً للطاعة[٢].

وعندما تولى الإمارة عبدالرحمن الأوسط تردد عبدالله البلنســـي في إعلان البيعة، ثم جهر بالعصيان إلا أنه فُلج ففشلت حركتـــه "فكاتـــب عبدالرحمن بخبر علته ويأسه من نفسه، وعهد إليه بالنظر لأهله وولـــده، فأنفذ عهده و لم يعرض له إلى ان مات سنة ثمان ومائتين"[٣].

وعندما جعل الأمير عبدالله بن محمد أكبر ولده محمداً ولياً لعهده[٤]، حقد عليه أخوه مطرف، فأوغر عليه صدر والده حتى أمر به فوضـــع في السجن الخاص بقصر الإمارة[٥]، وبعد أن بدأت علامات بـــراءة محمـــد تظهر لأبيه، وعزم على إطلاقه، بادر مطرف إلى أخيه محمد فقتله مع فجر يوم الخميس ليلة عشرة خلت من شوال سنة سبع وسبعين ومائتين (يناير

---

١ – المصدر السابق، ٢/٧٠.

٢ – الحلة السيراء، ٢/٣٦٣.

٣ – الحلة السيراء، ٢/٣٦٣-٣٦٤. الملاحظ أن عبدالله البلنسي بن عبدالرحمن الداخل منذ البداية لم يكن جاداً في إعلان عصيانه سواء ضد أخيه هشام أو ولده وحفيده، إذ أنه في كل مرة يعلن عصيانه مايلبث أن تهدأ ثائرته ويراسل الأمير لطلب العفو أو يأتي بغير أمان، فيقابله الأمير بالإكرام ويعرف له حقه ويصله، وهنا نجد أننا أمام شخصية قلقـــه واقعة تحت تأثير شخصية أخرى أقوى من شخصيته.

٤ – البيان المغرب ٢/١٥٠.

٥ – الحلة السيراء، ٢/٣٦٧. البيان المغرب ٢/١٥٠.

٨٩١م) وعمره سبع وعشرون سنة[١]، ثم قتل الأمير عبدالله ابنه مطرف بعد ذلك بخمس سنوات[٢].

وعندما أخذ الخليفة عبدالرحمن الناصر البيعة بولاية العهد من بعده لابنه الحكم المستنصر، ترك ذلك أثراً في نفس ابنه عبدالله، الذي كان مع أخيه الحكم المستنصر "يتباريان في طلب العلم، ويتناغيان في جمعه، ويتبادران إلى اصطناع أهله واختصاص رجاله وإدناء منازلهم، والإحسان إليهم[٣]". ونظراً لأن عبدالله بن عبدالرحمن الناصر كان مشهوراً بالفضل والتدين مؤدَّبا، كريماً، جامعاً، لعلوم شتى[٤]، "فإن جماعة من أهل قرطبة بايعوه بالخلافة، وكان أهلاً لذلك فضلاً وعلماً وبصراً بالفنون"[٥]، فسعى الحكم بأخيه عبدالله عند والدهما عبدالرحمن الناصر فقبل منه[٦]، وألقى القبض على ابنه ومن معه وسجنهم، ثم قتل ابنه عبدالله في شهر ذي الحجة سنة ٣٣٨هـ[٧] (يونيو ٩٥٠م).

---

١ - الحلة السيراء: ٢/٣٦٧-٣٦٨. البيان المغرب ٢/١٥٠. ذكر بلاد الأندلس ١/١٥٥.
٢ - الحلة السيراء ٢/٣٦٨.
٣ - المصدر السابق، ١/٢٠٦.
٤ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١٦٢.
٥ - أعمال الأعلام، ٢/٣٩.
٦ - البيان المغرب، ٢/٢١٧.
٧ - الحلة السيراء، ١/٢٠٧-٢٠٨. البيان المغرب، ٢/٢١٧. أعمال الأعلام، ٢/٣٩. المغرب في حُلى المغرب، ١/١٨٨. لكنه جعل قتل سنة ٣٣٩هـ.

إن خروج عبدالله ضد والده الخليفة، أمر يحتاج إلى وقفه، فقد عُرف عبدالله بالعلم والزهد والذكاء والنبل، ومن كانت هذه صفاته فهو جدير بالاحترام، الأمر الذي دفع بعض المؤرخين إلى التصريح بكفاءته لتولي الخلافة[1]، وطبيعي أن الصفات والأخلاق التي امتاز بها عبدالله ليست كافية لإعلان القيام ضد والده، لكن الأفكار الوافدة من المشرق والتي كان عبدالله يتلقفها سواء عن طريق الكتب أو عن طريق مجالسته للعلماء، الذين امتاز بعضهم بالطموح كابن عبدالبر[2]، يضاف إلى ذلك إحساس عبدالله بأن والده قد ظلمه، عندما قدم أخاه عليه، مع شعوره بأنه أكفأ منه، وإذا أضفنا إلى كل ذلك الشخصية الطموحة لعبدالله، أدركنا أن تفكيره بالمطالبة بما يرى أنه حق من حقوقه، أمر واقع لامحالة، إلا أنه رغم كل المبررات فإن خروجه ضد والده هو عقوق لاجدال فيه.

وفي أواخر القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الخامس الهجري، صدر خطاب من الخليفة هشام المؤيد يقضي بتعيين عبدالرحمن بن المنصور ابن أبي عامر الشهير بشنجول ولياً للعهد من بعده[3]، وسماه باسم خلافي

١ - أعمال الأعلام، ٣٩/٢.

٢ - هو أبو عبدالملك أحمد بن محمد بن عبدالبر، قرطبي من موالي بن أمية، كان بصيراً بالحديث فقيهاً نبيلاً متصرفاً في فنون العلم، وكان علم الحديث أغلب عليه، له كتاب مؤلف في فقهاء قرطبة، توفي في السجن لليلتين بقيتا من رمضان سنة ٣٣٨هـ رحمه الله. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٠. الحلة السيراء، ٢٠٧/١-٢٠٨.

٣ - البيان المغرب، ٤٣/٣-٤٦. أعمال الأعلام، ٩٠/٢-٩٣.

هو "المأمون ناصر الدولة"[١] فبسبب هذه الفعلة انفجرت فتنة استمرت إلى أن سقطت الدولة الأموية تماماً سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) فقد استنكر الناس هذه الفعلة، وعدت فعلة خارجية[٢].

ولنا أن نتوقع أن أمراء وخلفاء بني أمية كان كل منهم يترك وصيته لولي عهده، هي في مجملها رسم سياسة تكفل له استمرارية دولته، ومن الأمثلة على ذلك أن الأمير الحكم الربضي عندما حانت وفاته، استدعى ولده عبدالرحمن وألقى إليه وصية ذكر فيها أنه قد مهد له البلاد بعد أن قضى على المناوئين، وذلل له الصعاب التي يمكن أن تعترضه، كما أكثر عليه ضرورة تقريب أهله وعشيرته ومواليه لأنهم أنصاره الذين يشاركونه في المغنم والمغرم، وكذلك أمره بالعدل ورد المظالم لأن في انتشار العدل كسباً لمحبة الرعية وسلامة من كثرة الثورات والفتن.

كما نبهه إلى الاهتمام بانتقاء الرجال وعدم تقريب أحد إلا بعد اختباره، وأن الولايات والمناصب الإدارية يجب إسنادها لأهل الدين والرشاد لأنهم أهل الإخلاص، فبذلك يضمن إنجاز مهام الدولة بكل يسر.

وأما مظاهر الأبهة والفخامة فقد أمره بالتمسك بها، وذلك لزرع الهيبة في نفوس الرعية وأن يعتمد مبدأ الثواب والعقاب لأن في ذلك حفز للمحسنين على مضاعفة إحسانهم، وقمع لأهل الزيغ والفساد عن التطاول والإضرار بالمجتمع.

---

١ - البيان المغرب، ٤٣/٣. تاريخ ابن خلدون، ١٤٩/٤.
٢ - نقط العروس، ص ٥٤.

كذلك وجه اهتمامه إلى الأموال، التي هي عصـــب الملـــك وروح الدولة، فأكد عليه ضرورة الإشراف على الأموال بنفسه، وحفظها بعـــد جمعها بطرق الحلال.

وأخيراً اختتم وصيته بنصيحته لولي عهده بالإلتزام بتقوى الله تعالى، والدعاء لولي العهد بأن يسدده الله ويوفقه إلى الخير والرشاد[1].

---

١ - ذكر بلاد الأندلس ١٣٣/١.

رسوم الإمارة والخلافة

استقبال الرسل وعقد المعاهدات

للموقع الجغرافي دور كبير في إقامة العلاقات بين الدول. بل إن الموقع يحتم على أي دولة إقامة علاقات معينة ومن نوع خاص، مع دولة أو دول مجاورة لها[١].

ونظراً للمكانة التي كانت تحتلها دولة الأمويين في الأندلس جغرافياً وسياسياً، والتي مكنتها من تحقيق مايمكن تسميته بالتوازن الدولي[٢]، في ذلك الوقت، فإن هذا التوازن حتم عليها قيام علاقات بينها وبين الشمال الأفريقي وأوروبا، تمثلت في تبادل الوفود التي كانت تنطلق من قرطبة وإليها لأغراض شتى.

وكان النصارى المحيطين بالدولة الأموية من الشمال، قد جعلوا من أولى مهامهم ضرورة اقتلاع تلك الدولة الإسلامية إن أمكن أو زعزعة استقرارها على الأقل.

---

١ – ليس بالضرورة أن ينطبق هذا القول على الدول الإسلامية بوجه عام، والعربية بوجه خاص في الوقت الحالي.

٢ – المقصود بالتوازن الدولي، هو أن الدولة الأموية أصبحت إحدى دول العالم الكبرى آنذاك، وأصبحت موازية في قدارتها العسكرية لدولة الفرنجة وماجاورها أو لإمارات الشمال الإفريقي.

ومن هنا كانت الصدامات العسكرية بين الطرفين لاتكاد تنقطـع طيلة ثلاثة قرون تقريباً، يتخللها أحياناً وصول وفود دبلوماسية إلى قرطبة، قادمة من الشمال.

وأما عن علاقات قرطبة بالإمارات التي نشأت في الشمال الأفريقي، فقد كانت ودية إلى حد كبير، تبادلت فيها جميـع الأطـراف المصـالح المشتركة[١].

وقد كان الأمويون شديدي الحرص على مصلحة دولتهم من كافة النواحي، لذا فقد انتهجوا منذ البداية سياسة قائمة على دبلوماسية تعتمد على الاستجابة لأي نداء يعود بالخير على الجميع، لأجل هذا فقد شهدت قرطبة منذ عهد الأمير عبدالرحمن الداخل توافد سفارات ذات أغـراض متعددة.

فمنها ماهو للهدنة والصلح، وأخرى لتوثيق عرى المودة وثالثه من أجل المحالفات، ورابعة للتعزية والتهنئة، كما أن هناك ماكان الهدف منها دفع أذى قوى معارضه، إلى غير ذلك من الأغراض.

فبعد فشل الهجوم الذي شنه الإمبراطور الفرنجي شـارلمان (٧٧١-٨١٣م) على الأندلس سنة ١٦١هـ[٢] (٧٧٨م) عندما أراد ان يحقـق

---

١ - انظر: سالم الخلف، المرجع السابق ص١٩٩- ٢٠٥، ٢١٣-٢١٦، ٢٢٦-٢٣٤، ٢٤١-٢٤٥.

٢ - كارلس ديفر: شارلمان، ص ١٠١-١٠٢.

أحلامه بطرد المسلمين منها[1]، أرسل من عنده وفداً إلى قرطبة يحمل رسالة للأمير عبدالرحمن الداخل يدعوه فيها إلى المصاهرة والسلم، فأجابه

---

١ - هذه الأحلام كانت -كما تقول الرواية- تأتيه عن طريق رؤى يراها، فقد ورد في قصة "تيرين" التي ترجع إلى القرن السادس الهجري -الثاني عشر الميلادي- أن القديس "جيمس الرسول" الذي يقع مشهده في **Comopostele** بشمال غربي أسبانيا تراءى لشارلمان أثناء النوم وأخبره بأن جثمانه الذي لايعرفه المسلمون والمسيحيون يرقد في تلك الأرض النائية، ثم أمر شارلمان بأن ينهض ويستخلص جليقية من أيدي المسلمين. وبعد أن تكررت الرؤيا ثلاث مرات لم يسع شارلمان إلا أن يلبي النداء في الرابعة. انظر: كارلس ديفز، شارلمان ص٩٨. د.السيد الباز العريني، بعض معالم عهد شارلمان. (القاهرة، المجلة التاريخية المصرية. المجلد الثامن ١٩٥٩م) ص١٤٤. ويشير ابدال" مؤرخ شارلمان إلى أن الأهداف التوسعية والأطماع السياسية هي المحرك الأساسي لحملات شارلمان العسكرية، إلا أنه غلفها بالستار الديني سواء كان في غزوه للأندلس أو حروبه في أوربا" انظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ع١ ق١، ص ١٧٢. ويمكن أن نخرج من قصة رؤيا شارلمان بفائدة، وهي أن الدول التي تقوم على معتقد ديني لايمكن توحيد الصفوف ضدها إلا بإثارة معتقد ديني مضاد. وهذا ماعمد إليه شارلمان، فلعله أحس تقاعساً من أبناء النصارى عن ملاقاة المسلمين في الأندلس ولذا وجد أن السبيل الأوحد لجمع شملهم ضد المسلمين هو إشعال جذوة الدين في نفوس أولئك النصارى. وهذا مايجب اليوم على الدول الإسلامية أن تأخذه مأخذ الجد، إذ أن إشعال جذوة الدين في نفوس أبناء المسلمين هو السبيل الأمثل لتخليص الأمة الإسلامية من تسلط الأعداء.

الأمير الأموي إلى السلم و لم تتم المصاهرة[1]، وفي هذه المناسبة جرى توقيع هدنة بين الطرفين سنة ١٦٤هـ (٧٨٠م) تقريباً[2].

وفي عهد الأمير الحكم الربضي ١٨٠ـ ٢٠٦هـ (٧٩٦-٨٢٢م) عقدت هدنة مع شارلمان ومن ثم مع ولده لويس التقي (٨١٣-٨٤٠م)[3].

وشهد عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط: ٢٠٦-٢٣٨هـ (٨٢٢ـ ٨٥٢م) توقيع هدنة بينه وبين إمبراطور الفرنجة شارل الأصلع (ت٨٧٧م)، فقد ذكر ابن حيان عند حديثه عن العلامات التي اُستدل بها على ترشيح الأمير عبدالرحمن الأوسط ابنه محمداً لولاية العهد، مانصه: "وكان الذي استدلوا به على ترشيح الأمير والده إياه

١ - نفح الطيب ٣٣٠/١-٣٣١.

٢ - عن هذه الهدنة والآراء التي طرحت حولها. انظر: محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقاها مع الأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٩٠م)، ص٢١٨-٢٢٧ والمصادر المذكورة.

٣ - انظر: ابن الأثير، الكامل، ٣٦٩/٥. ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٣/٢. شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب. (القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه. ١٣٥٢هـ). ص١٤١-١٤٤.

(تصديره) لرسل قارله بن أذفونش[١] ملك الفرنجة القادم عليه مكانه"[٢].

ويتضح من عبارة ابن حيان أن ملك الفرنجة قارله بن أذفونش "شارل الأصلع" هو الذي طلب الهدنة، وأرسل وفداً من عنده وصل قرطبة سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م) [٣].

ونتيجة للهجوم الذي شنه القراصنة النورمان[٤] على الأندلس شهد عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط اتصالات دبلوماسية بينه وبين ملك النورمان "هوريك[٥]" وقد انفرد ابن دحية من بين المؤرخين في ذكر تلك الاتصالات، ونقلها عنه المقري، يقول ابن دحية: "ولما وفد على السلطان عبدالرحمن رسل ملك المجوس يطلب الصلح بعد خروجهم من إشبيليه

---

١ – أطلق عليه ابن حيان اسم "قرلش بن لذويق" المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي ص ١٣٠. بينما أسماه ابن عذاري "فردلند" البيان المغرب: ١٠٨/٢. وتابعه في ذلك ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٣/٢. واسمه الحقيقي: قارله "**Charles**" الملقب بالأصلع "**Chauve**" المعروف بلقب الورع "**Le Pieux**" انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص١٠٣ حاشية رقم ٧.

٢ – المصدر السابق ص ١٠٣.

٣ – **Levi - Provencel: OP. Cit.I , P:213**

٤ – عن أولئك القراصنة وإلى من ينتمون . انظر: د. حسين مؤنس: غارات النورمانديين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩-٢٤٥هـ (القاهرة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني، العدد الأول، مايو ١٩٤٩م)ص ٢٤-٢٨.

٥ – المرجع السابق ص ٢٩.

وإيقاعهم بها وقتل قائد الأسطول فيها رأى أن يراجعهم بقبول ذلك، فأمر الغزال[١] أن يمشي في رسالته مع رسل ملكهم لما كان الغزال عليه من حدة الخاطر وبديهة الرأي وحسن الجواب والنجدة والإقدام والدخول والخروج من كل باب، وصحبته يحيى بن حبيب، فنهض إلى مدينة شلب[٢] وقد أنشأ لهم مركب حسن كامل الآلة وروجع ملك المجوس على رسالته، وكوفئ على هديته"[٣].

ومن هذا النص يتضح أن الوفد الذي قدم من لدن ملك المجوس إنما جاء لطلب الصلح، وقد أخذ بهذا الرأي أحد الباحثين حيث قال:-

---

١ - يحيى بن الحكم البكري الجياني، المعروف بالغزال، ولد سنة ١٥٦هـ تقريباً وتوفي سنة ٢٥٠هـ، لقب بالغزال لجماله وأناقته، كان شاعراً مطبوعاً، وكان جليل القدر مقرباً من أمراء بني أمية، عرف بسعة الثقافة وحدة الخاطر. انظر: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٨٨٨ . بغية الملتمس، ترجمة رقم ١٤٦٧. آنخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، (ترجمة: د. حسين مؤنس، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ط الأولى ١٩٥٥م)، ص ٥٥-٥٦. وانظر: محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال (بيروت، دار الأفاق الجديدة ١٩٧٩م) ص ١٧-٣٢.

٢ - شلب **Silves** قاعدة كورة أكشونبة، بقبلي مدينة باجه، وتشتهر بوفرة شجر التفاح انظر: الروض المعطار ص ٣٤٢-٣٤٣ وهي اليوم مدينة صغيرة في جنوب البرتغال تابعة لمديرية الغرب **ALgarve**.

٣ - المطرب، ص ١٣٠-١٣٦، وانظر: نفح الطيب، ٢/٢٥٧-٢٥٩. وقد قوبلت رواية ابن دحية بانكار بعض المهتمين بالدراسات التاريخية الأندلسية. انظر: د. حسين مؤنس، غارات النورمانديين على الأندلس، ص٤٢-٤٧، ٦٠-٦٣.

"وأدرك ملك الغزاة مدى قوة المسلمين، واعتقد أنهم سوف ينتقمون منه ومن شعبه فبادر فوراً إلى توجيه سفارة لأمير الأندلس عبدالرحمن يطلب الصلح وتوطيد العلاقات"[١].

ولاأدري على أي أساس يقدم ذلك الباحث هذا الرأي، فإذا كان الملك "هوريك" يقطن في شمال أوربا فما الذي يزعجه من الأمير عبدالرحمن الأوسط وقواته، حيث تفصل بينهما مساحات شاسعة جداً وعقبات لايمكن تجاوزها.

ولعل الأولى بالقبول في سبب وصول وفد النورمانديين إلى قرطبة، هو ماذهب إليه الأستاذ حسين مؤنس، فقد ذكر أن للملك "هوريك" علاقات واضحة مع بعض ملوك أوربا في ذلك الوقت، فليس من المستبعد أن يقوم بمراسلة الأمير عبدالرحمن الأوسط الذي يحكم دولة من أقوى دول العالم المعروفة آنذاك، إن لم تكن أقواها على الإطلاق.

ويجب ألا ننسى أنه ربما كان يرغب في الحصول على بعض طُرف لطائف الأندلس من الثياب وغيرها، والتي كان غزاة النورمانيين يحرصون عليها بشدة ويرغبون بها عن الذهب والفضة[٢]، وقد أتحف الأمير الأندلسي ملك النورمان بالكثير من تلك الطرف واللطائف حيث سر بها بشدة، بالإضافة إلى أن الملك هوريك اعتاد أن يكتب إلى جيرانه بعد كل حادثة يقوم بها قراصنته ضد أولئك الجيران، متنصلاً من تبعتهم له،

---

١ – د. محمد صالح البنداق، يحيى بن الحكم الغزال، ص ١١٢.

٢ – ابن القوطية، ص ٦٥.

ومعتذراً عما اقترفوه، فلماذا لايكون الأمير عبدالرحمن الأوسط من بين أولئك الجيران[1]؟.

وفي ربيع سنة (٨٤٥م) الموافق شهر شوال أو ذي القعدة من سنة ٢٣٥هـ وصل وفد ملك النورمان إلى قرطبة، وبعد أن أدى رسالته غادر في أوائل سنة ٢٣٦هـ الموافق أواخر صيف سنة (٨٤٥م) وبصحبته الوفد الأندلسي[2] المكون من يحيى الغزال وصاحبه يحيى بن حبيب[3]، وعندما وصل الغزال وصاحبه إلى عاصمة النورمان أمر الملك بإكرامهما وأنزلهما مترلاً حسناً، ثم جلس لاستقبالهما بعد يومين فقط من وصولهما حيث استلم رسالة الأمير عبدالرحمن الأوسط، واستعرض هديته، ولم

---

١ - غارات النورمانديين على الأندلس ص ٤٠، ٤٥-٤٦.

٢ - المرجع السابق، ص ٥١-٥٢.

٣ - المطرب، ص ١٣٠، وقد ذهب الدكتور البنداق إلى أن ابن حبيب هذا هو الشهير بـ"صاحب المنيقلة" حيث خرج من ذلك بنتيجة مؤداها أن وجوده في السفارة مهم جداً إذ أن معرفته بالفلك تمكنه من دراسة "ظروف الحياة الطبيعية في بلدان الشمال وإطلاع الأمير عليها" انظر: البنداق، المرجع السابق ص ١٥٠. والذي ذهب إليه الدكتور البنداق غير صحيح إذ أن صاحب المنيقلة هو عباس بن فرناس الذي اشتهر بعدة علوم من بينها الكيمياء والفلك. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٢٨٢-٢٨٣. المغرب في حلى المغرب ٣٣٣/١. نفح الطيب ٣٧٤/٣.

يخف سروره بها، وبعد أن مكث رسولا الأمير مدة انصرفا عائـــدين إلى قرطبة[١].

هذه هي سفارة الغزال التي كانت رداً على وصول الوفد النورماني القادم من الدنمارك، وبذلك نجح الأمير عبدالرحمن الأوسط بالأســـلوب الدبلوماسي الذي اتبعه تجنيب بلاده هجمات أولئك القراصنة طيلة ســـني حكمه، وتمكن خلالها من تحصين بلاده[٢]، الأمر الذي نتج عنــه فشـــل الهجوم الذي شنه النورمانديون على الأندلس سنة ٢٤٥هـــ (٨٥٩م) فشلاً ذريعاً[٣].

وكما شهد عصر الإمارة اتصالات دبلوماسية تهدف إلى المهادنـــة والمصالحة، كانت هناك اتصالات أخرى ذات أغراض شتى.

---

١ - المطرب، ص ١٣١-١٣٢، ١٣٦. وانظر: د.حسين مؤنس، المرجـــع الســـابق، ص٦٣.

٢ - عن التحصينات التي قام بها الأمير عبدالرحمن الأوسط. انظـــر: ابـــن القوطيـــة، ص٦٥-٦٧. المغرب في حُلى المغرب، ٤٩/١. الروض المعطار ص٥٨-٦٠،٤٦١ Levi - Provencal: Op cit. T.I.P:225.

٣ - انظر: نصوص عن الأندلس، ص ١١٨-١١٩. المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٣٠٧-٣٠٩. البيان المغرب، ٩٦/٢-٩٧. غارات النورمانديين علـــى الأنـــدلس، ص٦٤-٧٣. Levi - Provencal: Op Cit. T.I P:310-312.

فقد وصل إلى قرطبة سنة ٢٠٧هـ (٨٢٢) وفد رسمي قادم من إمارة الرستميين[١]، وكان الوفد مكون من عبدالغني ودحون وبهرام[٢]، أبناء عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم[٣] وذلك

---

١ - الإمارة الرستمية، هي الدولة الفارسية الأولى في الإسلام، تنسب إلى مؤسسها عبدالرحمن بن رستم بن بهرام، أحد موالي الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد تم انتخاب ابن رستم إماماً لإباضية المغرب الأوسط، وبعد إتمام بناء مدينة تاهرت سنة ١٦١هـ جُددت له البيعة وذلك سنة ١٦٢هـ. وقد مكث الحكم في ذريته وراثياً، إلى أن أزيلت على يد داعية العبيديين أبي عبدالله الشيعي وذلك في شهر شوال سنة ٢٩٦هـ. انظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ٦٧-٦٨. أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم (تحقيق: وتعليق: إسماعيل العربي، الجزائر، المكتبة الوطنية، ط ١٣٩٩هـ). ص ٥٣ ومابعدها. البيان المغرب ١/١٩٦-١٩٧. محمد بن تاويت، دولة الرستميين أصحاب تاهرت، (مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية. المجلد الخامس العدد ١-٢ سنة ١٩٧٥م). ص١٠٥ ومابعدها. د.محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي (بيروت، دار العودة، ١٩٧٦م) ص ١٠٧-١٥٧. محمد ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب، من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع. (بيروت - القاهرة ١٩٧٧م) ص٢٥-٣١.د. محمد عيسى الحريري، مقدمات البناء السياسي للمغرب العربي (١٦٠-٢٩٦هـ) (القاهرة، مكتبة الشباب ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ص ٦٧ ومابعدها.

٢ - **Levi - Provencal Op Cit. T.I.P: 244**.

٣ - عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم ثاني الأئمة الرستميين، وإمام من أعظم أئمة الإباضية في تاهرت بالجزائر وعلى يديه افترقت الإباضية، كان فقيهاً عالماً شجاعاً يباشر الحروب بنفسه. انظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، (تحقيق: د. محمد=

لتقديم التعزية للأمير عبدالرحمن الأوسط بوفاة والده، وتهنئته بمناسبة استلامه الحكم[١].

وقد جرى للوفد استقبالٌ باهرٌ، حيث استقبلهم الأمير وبالغ في الحفاوة بهم، حتى غدت هذه الحفاوة مثار إعجاب الناس ومدار حديثهم[٢].

=ناصر وإبراهيم بعاص بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)) ص ٤٣-٦٥.

١ - ذكر ابن سعيد أن الأمير عبدالرحمن الأوسط قد أنفق في هذا الاحتفال ألف ألف دينار، انظر: المغرب في حلى المغرب ٤٨/١. إلا أنني أرى أن المبلغ المذكور فيه مبالغة، فإذا كانت الجباية في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط تبلغ ألف ألف دينار، فكيف ينفق كل الجباية في احتفال واحد، وعليه فالأصح أن يقال أنه أنفق على الاحتفال ألف دينار فقط، أو ألف ألف درهم.

٢ - وعن العلاقة وأهميتها بين الرستميين وأمويي الأندلس، انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٨٥، ١٣٠. الحلة السيراء ٣٧٢/٢ ، ٣٨٧، ٣٩٠. البيان المغرب: ٨٢/٢، ٨٧، ١١٨، ٢١٢، ٢١٤. د.محمود مكي، الخوارج في الأندلس، (مجلة تطوان للأبحاث المغربية والأندلسية، المغرب ١٩٥٦م)، ص١٧٣-١٧٤. محمد بن تاويت، دولة الرستميين أصحاب تاهرت (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م٥، ع ١-٢ سنة ١٩٥٧م. أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية، (ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠م) ص٢٦٠-٢٦١. **L.Provencal: Op. Cit.vl, P:244.**

وفي سنة (٨٣٩-٨٤٠م) ٢٢٥هـ وصل إلى قرطبة رسول يدعى: قراطيوس Kratiyus على رأس وفد قادم من عند الإمبراطور البيزنطي: تيوفيلوس Theophilus[(١)].

وقد جرى للرسول البيزنطي استقبالٌ حافلٌ، وبعد أن قدم هدايا الإمبراطور للأمير، تليت الرسالة التي من أجلها حضر الوفد إلى قرطبة، فقد أبدى فيها الإمبراطور رغبته في إقامة علاقات ودية مع الأمير الأموي، وأن تكون بينهما معاهدة صداقة وتحالف، كما لم ينس تذكيره بموطنه الأصيل، وقسوة العباسيين ضد أسرته، وإن باستطاعته العودة إلى الشام، و يتعهد له بتقديم المساعدة اللازمة لتحقيق هذا الهدف، ثم تطرق إلى مسألة الأندلسيين الذين استولوا على جزيرة إقريطش[(٢)]، وفي نهاية رسالته لمز

---

١ - نفح الطيب، ١/٣٤٦-٣٤٧، بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، (ترجمة د. محمود عبدالعزيز سالم، محمد صلاح الدين، القاهرة، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٦) ص٩٧.

٢ - عن جزيرة إقريطش "كريت" انظر: د. اسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، (جدة، دار المجمع العلمي، ١٣٩٧هـ) ص ٢١-٣٢، والمصادر المذكورة. وقد أحدث ضياع إقريطش من أيدي البزنطيين ارتباكاً واضحاً في النظام الدفاعي للإمبراطورية البيزنطية عموما، لأنه أفقدها ميزة الانسجام بين قواتها البرية والبحرية. انظر: د.أحمد العدوي، إقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي، (القاهرة، المجلة التاريخية المصرية م٣ ع٢ أكتوبر ١٩٥٠م) ص ٦٠. وأما عن الأندلسيين الذين تمكنوا من الإستيلاء على جزيرة إقريطش. انظر: د.عبدالعزيز سالم، تاريخ=

الخليفـــتين العباســـيين المـــأمون والمعتصـــم ونعتـــهما بـــابني مـــارده ومراجل[١].

ورداً على رسالة الإمبراطور البيزنطي، وبناءً على طلبه، فقد بعـــث الأمير عبدالرحمن الأوسط بوفد من عنده مكون من عضوين برئاسة يحيى بن الحكم الغزال حمّله فيها رسالته وهديته، وفي القسطنطنية جرى للوفد استقبال حافل برز فيه الغزال بطرفه وجماله ورجاحة عقله، فنال إعجاب الإمبراطور، فدعاه إلى مائدته، وبعد أن أدى الوفد مهمته عاد إلى قرطبـــة دون الارتباط بأي حلف مع البيزنطيين[٢].

وهناك معاهدة تحالف وقعت بـــين قرطبـــة وإمـــارة "نافـــار[٣] Navarre" فقد وصلت سفارة من النافار إلى بلاط الأمير عبـــدالرحمن الأوسط، أبرمت على أثرها معاهدة تحالف بين الطرفين، تقوم بموجبـــها

=الأسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، (نشر: مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢م) ص١٢٨-١٣٨. قارن : ابن حزم ، جوامع السيرة، (تحقيق: إحسان عباس وناصر الدين الأسد. القاهرة. المكتبة التجارية الكبرى. د.ت) ص٣٤٤. الحلة الســـيراء، ١/٤٤-٤٥ المغرب في حُلى المغرب ١/٤٤.

١ - الإسلام في المغرب والأندلس، ص ٩٧-٩٨.

٢ - نفح الطيب، ١/٢٤٦. الإسلام في المغرب والأندلس ص ٩٢-١١٨.

٣ - مملكة "نبارّة تقع في بلاد البشكنس **Basques** جنوب جبال البرتات، كانت في البداية واقعة تحت سلطة بعض النبلاء التابعين للفرنج أو لحكام من كانتبرية **Cantabria** أو أمراء من أستريياس **Austurias** استقلت في القرن الثاني الهجري، واصبحت بنبلونه قاعدة لها. انظر: د. عبدالرحمن الحجي،، اندلسيات، ٢/٥٢.

القوات الإسلامية بمساعدة النافار ضد أي اعتداء خارجي، في حين أن على النافار مساعدة القوات الإسلامية عند عبورها جبال البرتات[١] متجهة إلى فرنسا[٢].

وفي أواخر عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن وصل إلى قرطبة السفير: دولئديو "Dulcidio" أسقف سلمنقة[٣] "Salamonca" مبعوثاً من قبل ألفونسو الثالث ملك ليون، للتفاوض مع الأمير محمد من أجل توقيع معاهدة صلح بين الطرفين، وقد نجح السفير في مهمته وعاد إلى "أوفيدو[٤]"

---

١ - البرتات أو البرت "**Pirineos - Pyrenees**" هي الجبال التي تفصل أسبانيا عن فرنسا، وهي محرفة عن الأسبانية "**Puerta**" والبعض يسميها خطأ جبال البرانس، وهذه تقع شمال قرطبة، وتسمى جبل المعدن **Siera de Almaden** وجبال البرتات أربع ممرات كلها ضيقة يدخلها الفارس بعد الفارس، أشهرها باب الشيزري أو برت شيزرو "**Portus Cisenus**" يبلغ طوله ٣٥ ميلاً، وعلى طرف كل ممر تقع مدينة في الجهتين. انظر: أرسلان، الحلل السندسية ١٠٨/٢-١١٣. د. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ط الأولى.١٣٨٦هـ (١٩٦٧م)) ص ٢٧٤،٢٦٤. أندلسيات، ٧٢/٢.

٢ - انظر: أندلسيات، ٧٢/٢.

٣ - سلمنقة: مدينة تقع غرب شقوبيه على بعد ٩٩ كيلو متر، وسلمنقة القائمة على ضفاف نهر تورمس تمتاز بالثقافة، فشوارعها وميادينها غاصة بطلاب العلم الذين يفدون إليها من شتى الأقطار في العالم. انظر: رحلة الأندلس، ص ٣٥١-٣٥٢.

٤ - أوفيدو أو أوبيط، مدينة تقع في شمال أقليم اشتوريس قرب خليج البسكايه إلى الغرب من صخرة كوفادونجا على مسافة خمسة وثمانين كيلو متراً، ومن أبرز معالمها=

"Oviedo" عاصمة ليون[١]، ومعه رفاة اثنين من النصارى، هما القس أولوخيو Eulogio وصاحبته ليو كريسيا Leocrecia وذلك سنة ٢٧٠هـ (٨٨٣م)[٢]. وعلى الرغم من كثرة الوفود التي قدمت إلى قرطبة طوال عصر الإمارة ١٣٨- ٣١٦ هـ (٧٥٥-٩٢٨م) إلا ان المصادر خلت من ذكر أي مراسم تقام في تلك المناسبات، ولعل ذلك عائد إلى بساطة الاحتفالات التي كانت تقيمها الدولة آنذاك، إذ أن الدولة مرت بفترة تأسيس ثم استقرت نوعاً ماطوال عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط: ٢٠٦-٢٣٨هـ (٨٢٢-٨٥٢م) ونصف عهد ابنه محمد: ٢٣٨-٢٧٣هـ (٨٥٢-٨٨٦م) ثم عاشت باضطراب حتى أعلن الأمير

=جامعة من أقدم الجامعات الأسبانية، أنشأت سنة ١٠١٣هـ، ولاتزال قائمة إلى اليوم. انظر: الأثار الأندلسية الباقية ص ٣٦١-٣٦٥.

١ - نشأت مملكة "ليون" من اتحاد إمارتي كانتبريا "**Cantabria**" وجليقية في حكومة واحدة، عرفت عند المؤرخين المسلمين باسم "جليقية" وأراضيها تمتد من المحيط الاطلنطي غرباً حتى بلاد البشكنس شرقاً، ومن مضيق بسكاي "**Bescay**" شمالاً إلى نهر دويره "**Duero**" جنوباً، وعندما استلم الأمير عبدالرحمن الداخل إمارة الأندلس كانت مملكة ليون تشغل ربع مساحة شبه جزيرة إيبيريا تقريباً، وكانت عاصمتها في السابق مدينة أبيط "**Oviedo**" ولكن بعد أن قويت شوكة هذه المملكة واتسعت حدودها جنوباً، أصبحت مدينة ليون "**Leon**" عاصمتها الجديدة. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق رقم ٦١٠. أعمال الأعلام ٢/٣٢٣-٣٢٤. أندلسيات، ٢/٤٢.

٢ - انظر: دولة الإسلام في الأندلس، ع١ ق١، ص٣٠٣. أندلسيات ٢/٧٤.

عبدالرحمن بن محمد قيام الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م).

ومن هذا يتضح أن الأمراء الأوائل اهتموا بتثبيت أركان الدولة دون الالتفات إلى المظاهر التي تنم عن الاستقرار والرفاهية وهو أمر طبيعي، إذ أن الدولة لاتصل إلى الاهتمام بهذه الأمور إلا في مرحلة تالية، وذلك عندما يبدأ الجيل التالي بقطف ثمرة الجهد الذي بذله الجيل الأول، وهذا ماسيتضح لنا جلياً في عصر الخلافة.

ففي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كانت قرطبة تعيش أزهى أيامها، فقد بلغت من الثراء والازدهار درجة لم تبلغها من قبل، فغدت مهيبة الجانب، يخطب الجميع ودها، وأصبح السفراء يفدون إليها من أنحاء شتى، لأغراض متباينة، مابين طاعة وولاء ، وتحالف، وسلم وموالفة وتجديد عهد المودة، وطلب النصرة لاسترداد العرش، بل إن منها ما كان للاستشفاء.

فقد استقبل بلاط الخلافة بقرطبة، وفوداً وصلت من المغرب والقيروان جاءت لتقديم الطاعة والولاء[1]، وسفارات قدمت لأجل الصلح

---

١ - وصلت إلى قرطبة سفارات عدة في سنوات: ٣٢٨هـ، ٣٣٥هـ، ٣٣٧هـ، ٣٣٨هـ، ٣٣٩هـ، ٣٥٦هـ، ٣٦٠هـ، ٣٦٤هـ، وكلها قدمت من المغرب والقيروان. انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا،، ص٤٥٩. المصدر السابق، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٣٩-١٩٤،٤٢. البيان المغرب،=

والسلم مثل السفارة التى وصلت من جزيرة سردينيا، وذلك يوم الثلاثاء الثامن من ذي الحجة سنة ٣٣٠هـ[١] (أغسطس ٩٤٢م)، والسفارة التي قدمت من أردون الثالث ملك ليون سنة ٣٤٤هـ[٢] (٩٥٥م)، والسفارة التي رأستها الراهبة إلبيرة "Elvira" الوصية على ابن أخيها ردمير الثالث ملك ليون جاءت لعقد السلم مع الخليفة الحكم المستنصر بالله[٣]، وكذلك السفارة التي قدمت من برشلونة في نهاية شهر شعبان سنة ٣٦٠هـ[٤] (يونيو ٩٧١م) وتكررت مرة أخرى سنة ٣٩٣هـ[٥] (١٠٠٣م).

وهناك سفارات وصلت إلى قرطبة من أجل "إيقاع الموالفة واتصال المكاتبة[٦]" فقد قدمت سفارة من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع سنة ٣٣٤هـ[٧] (٩٤٦م)، ومرة أخرى سنة ٣٣٨هـ[٨] (٩٤٩م)، كما

=٢/ ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٤١. وتجدر الإشارة إلى أن تلك الوفود قدمت من زعامات قبلية .

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٨٥.

٢ - تاريخ ابن خلدون، ٤/١٤٣. أندلسيات ٢/٧٦-٧٩.

٣ - تاريخ ابن خلدون ٤/١٤٦.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٠-٢٢.

٥ - الذخيرة، ق١ م١، ص ٨٤-٨٥.

٦ - البيان المغرب ٢/٢١٥.

٧ - المصدر السابق، ٢/٢١٢.

٨ - نفسه ٢/٢١٥.

وصلت سفارة هوتو ملك الصقالبة سنة ٣٤٢هـ[1] (٩٥٢م)، وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادي الأولى سنة ٣٦١هـ (مارس٩٧٢م) وصل إلى قرطبة رسل إمبراطور بيزنطه[2]، وفي سنة ٣٦٣هـ (٩٧٤م) قدمت سفارة أخرى من بلاد الصقالبة[3]، كلها لأجل ذلك الغرض.

وفي الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٦٠هـ (يوليو ٩٧١م) وصل قرطبة وفد قادم من عند أحد أمراء نصارى الشمال في غربي جليقية، وذلك بغرض التحالف[4].

ومن السفارات التي وصلت إلى بلاط الخلافة بقرطبة، من أجل المساعدة في استرداد العروش التي اضطر أصحابها إلى التنحي عنها، ما ورد لدى ابن خلدون من أن الخليفة عبدالرحمن الناصر قدمت إليه طوطه ملكة نافار ومعها ولدها غرسيه "Garcia" وحفيدها شانجه "Sancho" ملك ليون المخلوع وذلك سنة ٣٤٧هـ[5] (٩٦٠م).

وفي سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) وصل إلى قرطبة ملك جليقية أردون بن أدفونش ملقياً بنفسه إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله، طالباً منه

---

١ - نفسه ٢/٢١٨.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٧١.

٣ - المصدر السابق ص ١٨٢.

٤ - نفسه ص ٢٧.

٥ - تاريخ ابن خلدون، ٤/١٤٣.

المساعدة في استرداد عرشه[١]، وقد لبى الخليفة طلب الملك، بعد أن وافق على ترك ولده غرسية رهينة عند الخليفة، حسب ما تقتضيه أنظمة الدولة الأموية[٢].

وهناك سفارة وصلت إلى قرطبة تعتبر فريدة في موضوعها، ففي سنة ٣٥٠هـ[٣] (٩٦١م) قدمت من روما سفارة، تطلب من الخليفة عبدالرحمن الناصر الإذن في استرداد جثمان لأحد النصارى، كان مدفوناً في كنيسة بالقرب من مدينة لورقه[٤].

وكانت السفارات التي تفد إلى حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، تقابل بكل مظاهر الإكرام، ويقام بهذه المناسبة احتفال ضخم، يظهر مدى قوة الخلافة وعظمتها، وذلك وفق رسوم دقيقة.

فمنذ أن يصل السفير إلى حدود الدولة الأموية، يقوم الوالي في ذلك الحد، بإخطار الخليفة عن وصول السفير، فيبعث الخليفة من عنده وفداً

---

١ - المصدر السابق: ٤/١٤٥.

٢ - نفح الطيب، ١/٣٨٤.

٣ - نصوص عن الأندلس، ص٧. ورد لدى الحميري أن السفارة جرت سنة ٣٠٥هـ. الروض المعطار، ص٥١٢. ويبدو أن خطأ في النسخ قد أحدث الإختلاف بين المصدرين.

٤ - نصوص عن الأندلس، ص٧-٨ تاريخ بن خلدون ٤/١٤٣. ومدينة لورقه **Lorca** تقع في كورة مرسية، شرقي الأندلس شمال المريه، وصفت بأنها غنية بالمحاصيل الزراعية وتمتاز بالموقع الحصين ومن منعتها اكتسبت اسمها لورقه الذي يعني باللطيني الدرع الحصين . انظر: نصوص عن الأندلس، ص١-٢. الروض المعطار، ص ٥١٢-٥١٣.

لاستقباله، وهذا الوفد هو أشبه مايكون بالبعثة الشرفية المعروفة بالوقت الحالي، وتقوم هذه البعثة بمرافقة السفير إلى العاصمة، وتحرص هذه البعثة أشد الحرص على عدم تمكين السفير من معرفة الطريق، فيختارون له الطرق الوعرة المتعبة بالذات إن كان من دولة معادية، وعندما يقترب السفير من العاصمة، تكون هناك مجموعات من الجند مرتبة ترتيباً عسكرياً، تستقبله الواحدة تلو الأخرى، ثم يخرج أحد كبار رجالات الدولة المقربين من الخليفة فيستقبل السفير، ويرحب به، ويدخل معه إلى قرطبة، ومايزال مسايراً له، حتى يتزله في دار سبق إعدادها لتزوله، ويتم ترتيب مجموعة من ذوي الخبرة بالضيافة لخدمته، ومجموعة أخرى لتمنع العامة والخاصة من الاختلاط به، خشية أن يتوصل إلى معرفة مايضر بالدولة الأموية، وذلك من خلال استمالته لأحدهم.

والخليفة لايستقبل السفير مباشرة، بل إن الوزير المرافق للسفير، يطلع على المهمة التي قدم من أجلها، وهو بدوره يبلغها للخليفة، فإن رضي عن المهمة أذن للسفير بمقابلته وإلا منعه.

ولم يحدث أن رفض الخليفة استقبال أي سفير، إلا ماجرى من الخليفة عبدالرحمن الناصر، عندما رفض استقبال الراهب جان "يوحنا" الذي كان مبعوثاً من عند الملك هوتو، بعد أن علم الخليفة أن الغرض من السفارة كان لأجل مناقشة بعض الأمور الدينية[1].

١ - أرسلان، غزوات العرب، ص ١٧٩-١٨٠.

وليس هناك وقتاً محدداً لإتمام المقابلة بين الخليفة والسفير، إذ أن وقت الفجر ممكن أن يكون موعداً للمقابلة، وذلك كما فعل الحاجب المنصور بن أبي عامر عند استقباله لأحد السفراء[١]، إلا أن هذا نادر الحصول، إذ من المتوقع أن يكون الموعد في النهار لكي تظهر المراسم بكامل زينتها.

وإذا حدث أن وفد إلى بلاط الخليفة عدة سفراء في آن واحد، صدر الإذن للسفراء المسلمين قبل غيرهم لمقابلة الخليفة، وهذا مافعله الخليفة الحكم المستنصر بالله، فقد جلس في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٣٦٢هـ (٢٤ سبتمبر ٩٧٣م) لاستقبال الرسل والوفود التي قدمت لمقابلته، فأمر بتقديم السفراء المسلمين في الإذن للدخول عليه[٢].

وقبل أن يدخل السفير أو الوفد على الخليفة، لابد من إفهامهم بما يجب عليهم اتباعه، عند مخاطبتهم له[٣]، ويتولى قاضي النصارى بقرطبة الترجمة بين الوفد والخليفة، ويفترض في المترجم أن يكون حصيفاً فلا ينقل للخليفة مايشعره بأدنى مقدار من الاستهانة به أو بمركزه، وإلا لقي الإهانة والطرد من منصبه[٤].

---

١ - نفح الطيب، ٣/٨٥.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٣٨.

٣ - المصدر السابق، ص ١٤٧.

٤ - انظر: المصدر السابق ص ١٤٦.

ومايمكن تسميته بالحصانة الدبلوماسية، مكفولة للسفير، فمهما بدا منه من جفاء فلا يعاقب، بل يكتفى بطرده من البلاط، وحرمانه من إكمال أداء مهمته[١].

ولم تعرف عادة تقبيل البساط بين يدي الخليفة، إلا في عهد الحكم المستنصر بالله[٢]، فقد كان والده يرفض ذلك ويأباه[٣].

ويتم التمييز بين السفراء حسب مكانة مرسلهم، فإذا كان المرسل صاحب دولة قوية، أو كان موالياً للدولة الأموية، فإن الخليفة يعطي السفير باطن يده ليقبلها[٤]، واما ما سوى ذلك فإنهم يقبلون ظاهر يده[٥]، وفي هذا دلالة على أن الدولة الأموية، كانت تفرق في مراسم الاحتفالات بين سفراء الدول الكبرى والصغرى.

---

١ - نفسه ص١٤٦-١٤٧. وعن أمان الرسل في الإسلام، انظر: د.كامل الدقس، العلاقات الدولية في الإسلام، ص١٣٩-١٤٣.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٥٢. نفح الطيب ١/٣٩٠-٣٩١. لعل الخليفة الحكم قد تأثر كثيراً بملوك النصارى في تقبيل البساط، الذي هو بمثابة السجود والعياذ بالله.

٣ - البيان المغرب، ٢/٢١٣.

٤ - غزوات العرب ص١٨١. قارن: هشام سليم أبو رميله، نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة، (رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٥م (لم تطبع)) ص١٠٨.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٥٢.

وفيما يتعلق بتقبيل اليد بلغ هذا الأمر ذروته في عهد الحاجب المنصور ابن أبي عامر، وذلك عندما سمح للملك شانجه والد زوجته أم عبدالرحمن بتقبيل يديه ورجليه[١].

وبعد أن يأذن الخليفة للسفير بالجلوس، يقدم الأخير هدية مرسله، ويعرضها في المجلس، وإذا كان مع الهدية بعض الجواري، فإنه يتم إرسالهن فوراً إلى دار الحرم، دون عرضهن في المجلس.

وكانت أعظم هدية يقدمها الوفد للخليفة، هي إطلاق سراح مجموعة من الأسرى المسلمين إكراماً له[٢].

وبعد أن يتقبل الخليفة الهدية ويقرأ الكتاب المصاحب لها، يقوم الشعراء والخطباء بإلقاء خطب وقصائد تحوي عبارات الثناء على الخليفة، وبعد انتهاء الحفل، يؤخذ السفير إلى مقر إقامته، ويمكث هناك حتى يطلبه لإجراء المباحثات وبعد أن يعقد معه عدة جلسات على انفراد تام، يسمح للسفير ومن معه بالقيام ببعض الجولات الترفيهية في أنحاء العاصمة، وذلك بصحبة الوزير المرافق، وبعد عدة أيام يؤذن للوفد بمقابلة الخليفة لوداعه وتقبل هديته[٣] التي يتم استلامها في بيت الوزراء، إذ أن الخليفة يأمرهم

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/٧٣-٧٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢١-٢٢.

٣ - المصدر السابق، ص٣٢. نفح الطيب، ٣٨٥/١.

بالاجتماع في بيتهم، واستقبال أعضاء الوفد للترحيب بهم، وتسليمهم هدية الخليفة[1]. وعادة ماتكون أقل من الهدية التي قدمها له الوفد.

وقد حفظت لنا المصادر الأندلسية، صوراً للاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة وصول أحد السفراء إلى قرطبة لمقابلة الخليفة.

فقد بعث الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع Costantine VII المعروف بـ "بورفيرجينيت Porphyrogenitus" أي لابس الأرجوان[2]، سفارة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وقد وصلت السفارة الأندلس في شهر صفر سنة ٣٣٨هـ[3] (أغسطس ٩٤٩م)، فتأهب الخليفة لاستقبال أعضاء السفارة، "وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه، وأحسن قبول وأكرمه، وأخرج إلى لقائهم ببجانة يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق، فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج إلى لقائهم القواد في العدد والعدة والتعبئة، فتلقوهم قائداً بعد قائد، وكمل اختصاصهم بعد ذلك، بأن أخرج إليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسراً وتماماً، إبلاغاً في الاحتفال بهم، فلقياهم بعد القواد، فاستبان لهم بخروج الفتيين إليهم بسط الناصر وإكرامه، لأن الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة، لأنهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه، وبيدهم القصر السلطاني،

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص١١٠.

٢ - تاريخ الفكر الأندلسي، ص٤٦٢.

٣ - قارن: تاريخ ابن خلدون، ١٤٢/٤. طبقات الأطباء، ص٤٩٤. تاريخ الفكر الأندلسي، ص٤٦٢.

وأنزلوا بمنية ولي العهد الحكم المنسوبة إلى نصر بعدوة قرطبة في الربض، ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة، ومن ملابسة الناس طُرًّا، ورُتّب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالي ووجوه الحشم فصُيِّروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلاً لأربع دول، لكل دولة أربع منهم، ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء إلى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من السنة المذكورة في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً، وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه الحكم، ثم عبيدالله ثم عبدالعزيز أبو الأصبغ ثم مروان، وقعد عن يساره المنذر ثم عبدالجبار ثم سليمان، وتخلف عبدالملك لأنه كان عليلاً لم يطق الحضور، وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً، ووقف الحجّاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم، وقد بُسط صحن الدار أجمع بعتاق البُسُط وكرائم الدرانك[1].

وظُلّلت أبواب الدار وحناياها بظلل الديباج ورفيع الستور، فوصل رسل ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون، وهو في رق مصبوغ لوناً سماوياً مكتوب بالذهب بالخط الإغريقي، وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضاً مكتوبة بفضة بخط إغريقي أيضاً فيها وصف هديته التي أرسل بها وعددها، وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه.

---

١ - الدرانك: البسط.

أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد منه صورة المسيح، وعلى الأخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده، وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملون البديع، وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج، وكان في ترجمة عنوان الكتاب في سطر منه :قسطنطين ورومانس المؤمنان بالمسيح، الملكان العظيمان ملكا الروم، وفي سطر أخر: العظيم الاستحقاق المفخر الشريف النسب عبدالرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس، أطال الله بقاءه[1]، ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه، لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه، وتصف ماتهيأ من توطيد الخلافة في دولته، وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه ولي عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، ويقدمه أمام نشيد الشعراء، فأمر الحكم صنيعه الفقيه محمد بن عبدالبر الكستياني بالتأهب لذلك، وإعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة، وكان يدَّعي من القدرة على تأليف الكلام ماليس في وسع غيره، وحضر المجلس السلطاني، فلما قام يحاول

---

١ - كان من بين الهدية التي قدمها الوفد البيزنطي للخليفة نسخة من كتاب الطبيب اليوناني "ديسكوريدس **Dioscorides**" في الحشائش والنباتات الطبية باللغة اليونانية، ونظراً لعدم وجود من يعرف اليونانية عند الخليفة، لذا فقد بعث إلى الإمبراطور البيزنطي رسالة يطلب فيها منه أن يبعث من عنده من يقوم بترجمة الكتاب، فاستجاب له، وبعث إليه بالراهب نيقولا سنة ٣٤٠هـ. انظر: طبقات الأطباء ص٤٩٤. تاريخ الفكر الأندلسي ص٤٦٢-٤٦٣.

التكلم بما رأى هاله وبهره هول المقام وأبهة الخلافة، فلم يهتد إلى لفظه، بل غُشي عليه وسقط إلى الأرض، فقيل لأبي علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي[١] صاحب الآمالي والنوادر، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة: قم فارقع هذا الوهي، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ... ثم انقطع القول بالقالي، فوقف ساكتاً مفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ماأراد منه، ... فلما رأى ذلك منذر بن سعيد[٢] -وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء- قام من ذاته، بدرجة من مرقاته، فوصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام عجيب، ونادى في الإحسان من ذلك المقام كل

---

١ - أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيدون، جده من موالي بني أمية تعلم ببغداد، ثم ارتحل إلى الأندلس سنة ٣٢٨هـ، ودخل قرطبة في أواخر شعبان سنة ٣٣٠هـ واستوطنها إلى أن وافته المنية بها سنة ٣٥٦هـ فدفن في مقبرة متعة ظاهر قرطبة. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٢٣. عبدالعلي الودغيري، أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية في الأندلس، (طبعة اللجنة المشتركة، المغرب - الأمارات ١٤٠٣هـ ١٩٨٣)) ص ٣٦-١٤٠.

٢ - أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبدالله بن عبدالرحمن البلوطي، من أهل قرطبة، كان عالماً فقيهاً، أديباً خطيباً، ولي قضاء مدينة لارده، والثغور الشرقية، ثم قُدِّم إلى قضاء الجماعة، فلم يزل في منصبه إلى أن توفي يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ذي القعدة سنة ٣٥٥هـ بعد أن ترك عدة مؤلفات. انظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط الثانية ١٩٨٤م) ص٢٩٥-٢٩٦. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٤٥٤. مطمح الأنفس، ص٢٣٧-٢٥٩.

مجيب، يسحه سحاً كأنه كان يحفظه من قبل ذلك بمدة، وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي[١] ... فصلب العلج وغلب على قلبه، وقال: هذا كبير القوم، أو كبش القوم، وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه، وثبات جنانه وبلاغة لسانه، وكان الناصر أشدهم تعجباً منه[٢] ... وفي خمس بقين منه نُقل هؤلاء الرسل من مترلهم بمنية نصير بـالربض، إلى دار إبراهيم الفتى بداخل قرطبة، وفي آخر هذا الشهر أعاد الناصر لدين الله القعود الثاني لرسل ملك الروم، بقصر الزهراء، فاحتفل لـذلك أيضـاً، واستكمل له الأهبة، وبالغ في الزينة، وقعد على باب السـدة صـاحب المدينة، مع من ضُمَّ إليه من العرفاء والشرط والحرس، وهم صفوف قيام، وقام مع سور القصر سماط من الموالي، في الملابس الحسـان والسـلاح الشاك، وألزم الفصلان كلها جملاً من العبيد والحشم والبوابين وغيرهـم، في أشكل زيهم، ثم أعاد القعود، لهم بالزهراء، وهذا القعود الثالث، كان يوم الخميس لثلاث بقين منه، على ماتقدم في الأهبة والاحتفال في الزينة، وفي النصف من جمادى الأولى منها أدخل الناصر لدين الله هؤلاء الرسل على نفسه في مجلس خاص، قعد لهم فيه في قصر الزهـراء، في المجلـس المشرف على الرياض، فلما خرجوا من عنده، أدخلوا في ديار الصناعات والعدة بأكناف الزهراء ودار السكة، وطيف بهم بأرجائها، ثم صرفوا إلى

١ - نفح الطيب، ١/٣٦٦-٣٦٩.

٢ - المصدر السابق ١/٣٧٢.

دار نزولهم، فاتصل مقامهم بقرطبة في كرامة موصلة وعطايا متوالية، إلى أن كملت الهدية التي كوفئ بها الطاغية مرسلهم، وأُسلمت إليهم، مع أجوبتهم، وأمروا بالرحيل، وجلس لهم الناصر لدين الله في النصف من شوال من السنة بعدها، فدخلوا للوداع، وجُددت لهم الخلع، وانطلقوا لسبيلهم، متعجبين مما رأوا من عز الإسلام"[١].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، وفد إلى قرطبة جعفر[٢] ويحى أبنا علي بن حمدون، خالعين لدعوة العبيديين، متقلدين للدعوة الأموية، فاحتفل الخليفة لقدومهما، ومن معهما من الفرسان، فأمر أن يخاطب جميع القادة والعمال في كور الأندلس للقدوم إلى قرطبة لحضور

---

١ - المقري، أزهار الرياض، (المغرب - الإمارات لجنة نشر التراث الإسلامي ١٣٩٨هـ) ٢/٢٦٠-٢٦١.

٢ - جعفر بن علي بن حمدون بن سملك الجذامي، الشهير بابن الأندلسي، نشأ في بيت القائم بأمر الله بن المهدي في افريقية، تحت رعاية الاستاذ جوذر وبسبب خلاف نشب بين بلكين بن زيري وبين جعفر التحق الأخير ببلاط الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله ثم عاد إلى المغرب، ثم استقدمه المنصور بن أبي عامر ليخلصه من غالب الناصري، فلما تم له ذلك دس عليه معناً التجيبي في طائفة من أصحابه، فقتلوه غيلة وذلك ليلة الأحد الثالث من شهر شعبان سنة ٣٧٢هـ. انظر: أبو علي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر ، (تقديم وتعليق: د. محمد كامل حسين، د. محمد عبدالهادي شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٧٤هـ /١٩٥٤م) ص١٧٥. المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي،، ص٣٢-٥٧، ٥٩-٦١، ٧٠، ٨٢، ٩٤، ١١٩ ... البيان المغرب ٢/٢٧٩-٢٨١. مفاخر البربر ٦-٨، ١٨.

الاحتفال، وأصدر بذلك كتاباً في يوم الاثنين الرابع من شهر ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ[1] (٣٠ أغسطس ٩٧١) ثم أرسل في يوم الثلاثاء الثاني عشر من ذي القعدة، صاحب السكة والمواريث وقاضي إشبيلية محمد بن أبي عامر بأربعة من عتاق الخيل وبغل أشهب مزينة بسروج الخلافة ولجمها هبة لجعفر، بالإضافة إلى خمسين فرساً ومائتا زاملة لأصحابه وأثقاله، وكذلك المظال الجليلة والأبنية الفسيحة والقباب المتوسطة والأخبية وعدة أحمال من الوطاء النفيس والغطاء السري والعماريات والهوادج الفاخرة لأجل عيال جعفر، فالتقى به ابن أبي عامر يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة على أربعة أميال من مالقة، فرحب به وسلم إليه جميع ماأرسله إليه الخليفة، ووجد عنده بسيل وعبدالحميد أبنا أحمد بن عبدالحميد بن بسيل[2] عاملي كورة ريه، فقد لزماه لتلبية مايحتاجه، ثم سار الجميع حتى إذا بلغوا قرية "أقوه ماره" يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة، التقى بهم غلام مرسل من الخليفة معه ستة أفراس من عراب الخيل بسرج الخلافة، ولجمها هدية لجعفر بن علي،

١ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص ٤١.

٢ - بيت بني بسيل من أكبر بيوتات الموالي الأمويين من أهل الشام في الأندلس، وقد كان أول من دخلها منهم عبدالسلام بن بسيل الرومي المعروف بالشيخ، وذلك أيام الأمير عبدالرحمن الداخل، مع ابنيه عبدالواحد ويحيى، فاستعمله الأمير الداخل في عدة كور ثم ولاه الوزارة، ومنذ ذلك الوقت تأصلت الخطط في بني بسيل. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق: رقم ١٩.

الذي واصل سيره حتى نزل مع أخيه يحيى ومن معهما من بني خـزر في فحص السرادق[1] شرقي قرطبة، وذلك يوم الاثنين الرابع والعشرين مـن ذي القعدة، فعدل بعيال جعفر ويحيى إلى المدينة حيث دخلوا قرطبـة في الليل بصحبة ثقات الرجال، وفق أوامر الخليفة، وتم اختيار الدار المنسوبة ليوسف بن سليمان المعروف بابن البياني سكناً لعيال جعفر، كمـا أمـر الخليفة بابتياع الدار المنسوبة إلى قاسم بن يعيش من ورثته لتكون مـترلاً لعيال يحيى بن علي، فتم ذلك في نفس الليلة، وفي غداة يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي القعدة ذهب صاحب الشرطة العليا ومعه طبقـات الجنـد والوفود والحرس في تعبئة كاملة إلى فحص السرادق، حيث اصـطحب الزعيمين جعفر ويحيى إلى منية ابن عبدالعزيز لتكون مترلاً لهمـا، فسـار الجميع في موكب امتد من محلة فحص السرادق إلى باب المنيـة، فترلهـا الزعيمان، ومكثا فيها بأرغد عيش[2]، ولما حان موعد استقبال الخليفـة لهما، أقيم احتفال بهي، حرص الخليفة فيه على إظهار كل مالديه من قوة مادية وعسكرية، فأمر بجمع شباب قرطبة وتوزيع التراس والحراب عليهم من خزانة السلاح ليكونوا في موكب إلى الزهراء، كما تم ترتيب الكتائب

---

١ – فحص السرادق: يقع بالطرف الشرقي من قرطبة، وكان في أول الأمر قصراً ريفياً لتتره الأمراء الأمويين، ومن المرجح أن يكون هذا الفحص قد تحول في عهـد الخليفـة عبدالرحمن الناصر إلى مكان لوضع سرادق الخليفة عند استعراض الجيوش قبل خروجها للغزو. انظر: قرطبة حاضرة الخلافة، ١/٢١٠، ومصادره.

٢ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٤١-٤٦.

وتنظيم العساكر، ثم انطلق صاحب الشرطة العليا في الجيوش من قصر الزهراء إلى منية ابن عبدالعزيز لاصطحاب جعفر ويحيى، فلما وصل إلى المنية، وجدهما على أهبة الاستعداد، فركبوا ومعهم أكابر رجالات الدولة الأموية "فساروا من باب المنية بين صفين مصطفين من رجالة الأرباض بقرطبة المسلحين من عند السلطان، انتهت عدهم في التحصيل ستة عشر ألف راجل عم جميعهم بالتراس والرماح، ثم انتقلوا بين مراتب الفرسان المدرعين الذين كُلف أهل الخدمة صقالبة القصر إركابهم من عندهم في الأسلحة الشاكة، وكانوا عدة وافرة[1] ثم تقدموا بين صفوف فرسان الطنجيين المدرعين، ثم نهضوا بين ترتيب فرسان الخمسيين، وعبيد الدرق، والعبيد الرماة، وعلى جميعهم الدروع السابغة، والبيض اللامعة، ثم اشتقوا بين صفي فرسان العبيد الرماة الخاصة لابسي الأقبية البيض متقلنسي المقاريف[2] الوبر متنكبي قسيهم وكنانهم الزغرية[3]، ثم نفذوا بين الفرسان المدرعين حاملي القنوات الناصلة وكانت عدها مائة قناة، ثم صاروا بين سماطي أصحاب الجواشن ثم أفضوا إلى صفي الفرسان أصحاب التجافيف، وكانت عدهم مائتي تجفاف، ثم انتقلوا إلى تعبئة أصحاب العدة الرائقة من البنود الغريبة الأنواع والصفات والتماثيل الرائعات: من الأسود الفاغرة والنمور الجائشة والعقبان الكاسرة والثعابين المضطربة،

---

١ - المصدر السابق، ص٤٧-٤٨.

٢ - المشهور "اقاريف" جمع أقارف وهو لباس للرأس مخروطي الشكل.

٣ - الزغرية منسوبة إلى زغر بالشام وكنائنها تعمل من أدم حمر وتطلى بالذهب.

وكانت عدها مائة صورة، ثم ولجوا بين صفي الجنائب خيول أمير المؤمنين المقربة مكسوة بسروج الخلافة ولجمها: المحرقة[1] والمعرقة، وكانت عدها مائة فرس انتهى موقفها في هذا الترتيب إلى باب الصورة القبلي من أبواب مدينة الزهراء، ثم ولجوا باب المدينة بين صفين مرتبين من فرسان العبيد والعرفاء المدرعين، ثم نهضوا بين صفين من رجالة المسددين والرماة المختلطين الرامين بنوعي القياس[2] من الأحرار والعبيد ومن ضُمَّ إليهم من أصحاب الصناعات، وقد لبسوا الثياب الملونة من الإفرند وغيره، على عواتقهم القسي العربية؛ وكان صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح قد استوى على كرسيها قاعداً يرتب ما يلزمه ترتيبه، إلى أن دخل القائد صاحب الشرطة إلى القصر، ودخل بدخوله الرسل النافذون إلى جعفر ومن معه لأول عبورهم: محمد بن أبي عامر وابن ناجيت وابن عبدالملك وأبنا بسيل ومعهم جعفر ويحيى بنو خزر وكان في فصلان[3] باب السدة جراً إلى دويرات البرطلات[4]: الدولتان[5] من البوابين والعبيديين والغلمان والوكلاء بدار الخيل وغيرهم من طبقاتهم قعوداً في المصاطب على اتصالهم في أحسن زيهم، متقلدي السيوف الحالية، متقلنسين بالقلانس الموشيَّة،

---

١ – المحرقة: التي بردت برداً جيداً.

٢ – القياس: جمع قوس.

٣ – فصلان: جمع فصيل وهو الرحبة عند مدخل البيت.

٤ – البرطلات: جمع برطل أي المدخل.

٥ – الدولتان: الجماعتان أو الفئتان.

وأفضوا إلى دار الجند وقد ترتب فيها رجالة الرماة، لابسي أنواع الثياب الملونة، وعلى رؤوسهم المقاريف الدرية وقد تنكبوا القسي الكبار أشباه الحنايا، بأيديهم الطبرزينات والأجوزة والدماغات والأعمدة؛ فعندها تقدم صاحب الشرطة إلى موضع نزوله في المجلس القبلي بدار الوزراء مع أصحابه، وتأخر محمد بن أبي عامر وصحبه المتكنفون لجعفر وأخيه يحيى وبني خزر بجماعتهم عن مداه، فنزلوا عند باب السدة، وصاروا إلى مجالس الجند مع أصحابهم، وقد استوى جلوس الخليفة المستنصر بالله على السرير بالمجلس القبلي الموفي على الرياض المنيفة على السطح العلي؛ (وكان) قد تقدم بإنذار الإخوة فمن دونهم من طبقات أهل المملكة، بالحضور أحفل ماجرت به عادتهم، فأهطعوا لدعوته وتوصلوا على مراتبهم إلى محلة، فكان أول مأذون له منهم الإخوة الثلاثة، قعد منهم أبو الأصبغ عبدالعزيز شقيقه عن يمينه، وتحته أبو المطرف المغيرة أصغرهم، وقعد عن يساره أبو القاسم الأصبغ، ثم توصل الوزراء فقعدوا على مراتبهم بأثر الأخوة بعد فجوة، وقام الحاجب منهم عن ذات اليمين: جعفر بن عثمان وصاحب الحشم محمد بن قاسم بن طملس وَوَلِيَ محمد بن قاسم صاحب الخيل زياد بن أفلح؛ ثم توصل أصحاب الشرطة العليا والوسطى فقاموا حجاباً على منازلهم عن ذات اليمين أو اليسار، ثم أذن لأصحاب المخزول والخُزَّان والعُرَّاض وغيرهم من طبقات أهل الخدمة، ولمن أنذر من قريش والموالي والقضاة والفقهاء والعدول، فتوصل جميعهم ومثلوا قياماً على أقدامهم، وقام صفان من الكتَّاب والمقدمين والوصفاء الأكابر ومن دونهم من

طبقات الخدم الخصيان من بين يدي آخر المجلس والمعُتَــرض، في زيهــم الجميل عليهم اللامات السابغة، والسيوف الحالية، والمرصــعة بـــالجواهر الفاخرة، فكانوا من أبهى حلى المملكة، انتظم بصفّي أكابرهم في طـــول السطح العلي من دونهم من الوصفاء وطبقات أهل الخدمة بالدار علـــى سماطين، دارعين متقلدين بالسيوف الحالية وعلى رؤوســـهم الطشـــنيات المفضضة المرقّشة، متهيئين إلى المعُتَرض بين يدي مجلس الأمراء الغربي إلى باب الفصلان، واتصلوا صفين على انتظام الفصلان إلى فصيل الكتـــاب الذي يشرع بابه إلى دار الوزراء، وانتظمت التعبئة بعدهم إلى دار الوزراء من رجالة فرسان الرياض ومن متخيَّري عبيد الحاجب جعفـــر الهالـــك، عصبة رائقة المرأى، كاملة الشكة، على رؤوسهم البيضـــات المذهبـــة، بأيمانهم الحراب الواسعة العريضة على صنعة السيوف الإفرنجـــة الملونـــة العصيّ، المزينة بأنابيب الفضة، انتهت تعبئتهم إلى الفصيل المعروف بفصيل أبي العرّاض، وانتظم في مصاطب تلك الفصلان الطوال بيـــاضُ الكـــور المستدعون اليوم متزينين بأحسن الزينة اللائقة بهم.

ولما استقر جعفر ويحيى أبنا علي وبنو خزر في البهو الأوسط مـــن مجالس دار الجند وتهذبت التعبئة، خرج الفتيان الكتّاب إليهم بـــالإذن في دخولهم، فتقدموا وتقدم بهم محمد بن أبي عامر وأصحابه المخرُجَون أولاً للمجيء بهم فنهضوا داخلين إلى أن صاروا في السطح العلي، ثم استنهضوا إلى المجلس الذي قعد فيه الخليفة، فلما أنهضوا إلى بابه قبلوا البساط مـــرة بعد أخرى، ثم تقدم بهم إلى السرير وناولهم الخليفة يده، فتقدمهم جعفـــر

بالتقديم والتسليم، ثم تلاه يحيى أخوه ثم قدم بنو خزر الأسن فالأسن، فقضوا ماعليهم من ذلك وأمرهم الخليفة بالقعود إكراماً لهم، وقُدِّم أصحابهم إثرهم الأسن فالأسن فقبلوا وسلموا، وشافه الخليفة جعفراً قبلهم فأوسع يسئله عما لديه وبسطه وفعل ذلك بأخيه يحيى وبني خزر أصحابهما، ونطق بتقبل نزعهم وتحقيق رجائهم واعتقاد مكافأتهم على محبتهم وصياغتهم ووعدهم بالإحسان إليهم والتشريف لهم، فأعلنوا الشكر واستهلوا بالدعاء وأكثروا من الثناء وحمدوا الله تعالى على مامنحهم له من تجديد إسلامهم وتأكيد إيمانهم، في قصدهم حرم أمير المؤمنين واسنادهم إلى عز سلطانهم ونبذهم لدعوة الضلال وشيعة الكفار، واعتياضهم من ذلك بالسنة والجماعة والعز والطاعة، وغرب جعفر بن علي في غرابة الأدب مقامه ذلك عند مشافهة أمير المؤمنين له، إذ كان لايرد الجواب إليه إلا بعد أن يستوي قائماً ويكلمه فيرد جوابه إلى أن انقضى المجلس، فاستُبدع ذلك من أدبه، وانطلقت الجماعة من المجلس عند انتهائه، فصاروا إلى مقعدهم الأول في مجلس الجند، ومحمد بن أبي عامر وصحبه الموكلون بهم لا يفارقونهم إلى أن ركب بهم صاحب الشرطة العليا القائد هشام بن محمد بحضرتهم لمنصرفهم، فركبوا معه وسار بهم مشيعاً لهم ومبلغاً إلى الوزراء الذين تقدم الأمر بإنزالهم فيها بقرطبة، وكان ركوبهم من الموضع الذي نزلوا فيه عند الأبهاء بدار الجند، وابن أبي عامر وصحبه لايزايلونهم، فخرجوا من قصر الزهراء مع هشام بن محمد، والترتيب الذي جاؤوا فيه على هيئته، فبلغوا زعيمهم جعفر بن علي إلى

دار يوسف بن علي بن سليمان التي أنزل فيها أهله وثقله، ونهضوا بأخيه يحيى إلى دار قاسم بن يعيش وانتهوا ببني خزر إلى دار إبراهيم الفتى الخليفة الموسومة بـ"الترل" فاغتدى يوم دخولهم إلى دار إبراهيم هذا، يوم الأحد، أحد الأيام العُقم التي طار خبرها بالأندلس في الحسن والزينة.

ولما أن استقر جعفر ويحيى بداريهما اطمأنا فيهما، عهد أمير المؤمنين بإجراء ألف دينار دراهم على كل واحد منهما للشهر، ومن القمح لنفقتهما لكل شهر لكل واحد منهما سبعون مدياً توسعةً عليهما وإغداقاً في الأفضال عليهما وأجرى أيضاً على بني خزر من الدنانير والقمح والعلوفة مايفيض ولايغيض، ثم تضاعفت على الجماعة الجرايات وترددت الصلات، فأضحوا مغتبطين بما سنّى لهم المقدار متغمسين في الحبرة"[١].

والاحتفالات التي كانت تجري عند استقبال الوفود، لايقتصر إقامتها على حاضرة الخلافة، وإنما قد يكون معسكر الجيش مكاناً لإجراء مراسم الاستقبال، فقد أقام الخليفة عبدالرحمن الناصر حفل استقبال وهو في معسكر الجيش، للملكة طوطه عندما أرغمها على أن تفد إليه وتطأ بساطه وهو في المعسكر وذلك سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) عند خروجه لتأديب المتحالفين ضده في الشمال من مسلمين ونصارى، فقد أذعنت الملكة لأوامر الخليفة، وجاءت إلى معسكره في محلة قلهرّه ومعها وجوه رجالها وقوامسها وأساقفتها، فأمر الخليفة بتعبئة الجيوش وإقامة الترتيب

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٤٨-٥٣.

وإظهار العدة والزينة، فرأت الملكة ماأدهشها، فخضعت للخليفة في كلامها، وتذللت له في سؤالها، فأكرمها، وأحسن استقبالها، وأجابها إلى طلبها ووفق شروط اشترطها وتعهدت الملكة بالتزامها[١].

وقد ذكر ابن حيان أن آخر احتفال أقيم في الأندلس أيام الدولة الأموية، كان الحفل الذي أقامه الحاجب عبدالملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٣م) بعد حملته على برشلونه وما حولها من ديار النصارى، إذ أنه بعد عودته إلى قرطبة مظفراً غانماً، وصل إليه رسول من صاحب برشلونه، فأعد "عبدالملك لوروده أكمل العدة من ترتيب الجنود، فكان يوم دخول ذلك الرسول بقرطبة آخر أيام الزينة، إذ انتقض الملك على أثره سريعاً ووقعت الفتنة"[٢].

موكب الأمير أو الخليفة

اعتبر مؤرخو رسوم الدولة، أن كثرة ظهور السلطان للرعية، تنقص هيبته في قلوبهم، مما يكون دافعاً للجرأة عليه، والنيل منه إن أمكن، ولذا فقد قال الثعالبي[٣]: "إن كثرة ظهور الملك عليه مجلبة لابتذال العيون إياه،

---

١ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٣٥-٣٣٦.

٢ – الذخيرة، ق٤ م١ ص ٨٥.

٣ – أبو منصور عبدالملك بن محمد إسماعيل الثعالبي، عربي من سكان نيسابور، كان فراءاً يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته، اشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ فيهما، وصنف في ذلك كتباً كثيرة، وبعد أن تنقل بين مدن بخارى وهراة وغزنه، عاد إلى بلدته نيسابور حيث توفي فيها سنة ٤٢٩هـ. انظر: الثعالبي، أداب الملوك، (تحقيق: د.جليل=

ومن حقه التصون عن ذلك، وبناء أموره وأحواله كلها على مايزيد في هيبته، ويعود بعلو شأنه وجلالة سلطانه"[١].

وذكر المرادي[٢] أن على السلطان أن يكون احتجابه وظهوره بقدر، لئلا يتسبب احتجابه في إدخال القلق على النفوس بسبب طول غيبته، فتفسد الرعية، ويكثر الإرجاف ولايكثر من الظهور للعامة لئلا تسقط هيبته من قلوبهم، وتمكن صاحب المقاصد السيئة من نيل مراده منه[٣].

لأجل ذلك نجد أن الأمير عبدالرحمن الداخل كان في بداية عهده يكثر من الاختلاط بالناس، ويمشي بينهم ويصلي فيهم، ويحضر الجنائز، ويعود المرضى، حتى إذا كان في أحد الأيام وهو منصرف من جنازة، تصدى له رجل عامي متظلم، فمسك عنان فرسه، وكلمه بكل جرأة،

=العطية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى ١٩٩٠م)، مقدمة المحقق ص٥-١٣ ومصادره.

١ - أداب الملوك ص ١٠٥.

٢ - أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي كان رجلاً نبيهاً عالماً وإماماً في أصول الدين، ذا حظ وافر في الأدب والبلاغة، توفي بمدينة أزكد بصحراء المغرب وهو قاضي بها سنة ٤٨٩هـ. انظر الصلة، ترجمة رقم ١٣٢٦.

٣ - أبو بكر محمد بن الحسن المرادي، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة (تحقيق: د.سامي النشار، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة،١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٨٧.

طالباً إنصافه، ويبدو أن الأمير قد أحس بسبب قلة حرسه ومرافقيه، بضعف موقفه أمام هذا المتظلم، ولذا فما كان منه إلا أن استدعى القاضي إليه وأنصف المتظلم، فلما عاد إلى قصره، كلمه بعض رجاله ممن كان يكره كثرة خروجه واختلاطه بالناس، فقال له: "إن هذا الخروج الكثير – أبقى الله تعالى الأمير– لايجمل بالسلطان العزيز، وإن عيون العامة تخلق تجلته، ولاتؤمن بوادرهم عليه، فليس الناس كما عُهدوا[١]" ومنذ ذلك اليوم ترك الأمير عبدالرحمن الداخل شهود الجنائز وحضور المحافل، وأناب عنه ولده هشام للقيام بذلك[٢].

وبذلك وضع الأمير عبدالرحمن الداخل، لكل من أتى بعده، من أمراء وخلفاء بني أمية رسماً تمسكوا به، وهو عدم الظهور للعامة إلا في مناسبات معينة، فإذا خرج أحدهم، لايكون ذلك إلا في موكب مهيب، يصعب الاقتراب منه البتة.

ولنا أن نتصور عظم ذلك الموكب، إذ عرفنا أن زرياباً[٣] مغني الأمير عبدالرحمن الأوسط كان يسير في موكب فيه مائة

١ – نفح الطيب ٣٧/٣.

٢ – المصدر السابق ٣٧/٣.

٣ – أبو الحسن علي بن نافع، اختلف في السبب الذي من أجله أطلق عليه لقب زرياب، كان فصيح اللسان واسع الإلمام بصنعة الغناء والموسيقى، عاش في كنف الأمير عبدالرحمن الأوسط مكرماً معززاً إلى أن توفي قريباً من سنة ٢٣٠هـ بعد أن ترك أثاراً واضحة في المجتمع الأندلسي بالذات في الحياة الإجتماعية. انظر: العقد الفريد، ٣٤/٦=

غلام[١]، بينما كان الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي أيام كان متقلداً خطط الدولة، في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله وأوائل عهد ابنه الخليفة هشام المؤيد بالله، يسير من قصره إلى قصر الخلافة في موكب ضخم لايمكن لأحد الاقتراب منه، جاعلاً على طرفي الموكب بعض الكتَّاب لأخذ الشكاوى من الناس الذي كانت تزدحم بهم السكك وأفواه الطرق وهم يدعون له ويسعون بين يديه[٢]، فإذا كان هذا موكب مغني وحاجب، فكيف يكون إذاً موكب الأمير أو الخليفة؟.

ومما يؤسف له، أن المصادر لم تهتم بذكر رسوم مواكب الأمراء كما اهتمت بذكر مواكب الخلفاء، لكي يساعدنا ذلك على معرفة التطور الذي طرأ عليها، ولكن هذا لايمنع من القول بأن المواكب في عهد

=نفح الطيب، ٣/ ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٤٠-١٤٢. جول رووانيت، تاريخ الموسيقى العربية (ترجمة: اسكندر شلقون، المعهد الموسيقي الفرنس، د.ت). ١/١٣٣-١٣٧. د.محمود حنفي، زرياب موسيقار الأندلس، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.) ص٩-١٠، ٤٥، ٨٧، ٩٠، ١٠٨-١١٠. د.عبدالرحمن الحجي،،، تاريخ الموسيقى الأندلسية، (بيروت، دار الرشاد ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص٢٥-٢٧، ٣٦..

١ - أبو الفضل أحمد بن طاهر، المعروف بابن طيفور، كتاب بغداد، (بعناية: محمد زاهد الكوثري، نشر: عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ص١٥٣.

٢ - مطمح الأنفس ص ١٦٠.

الخلافة كانت أكثر فخامة مما كانت عليه في عهد الإمارة، وذلك لعظم مكانة الدولة وقوتها.

وقد وُصف موكب الأمير هشام الرضا: ١٧٢-١٨٠هـ (٧٨٨-٧٩٦م) بالفخامة حتى أن الأصوات المنبعثة بسبب حركة الموكب، تحول دون سماع الأمير لمن يناديه من المتظلمين[1].

وذكر ابن حيان أن موكب الأمير محمد بن عبدالرحمن: ٢٣٨-٢٧٣هـ (٨٥٢- ٨٨٦م) كان فخماً غليظ الحجاب، يحيط به حرس من الصقالبة لايمكنون أحداً من الاقتراب منه[2].

ويبدو أن الأمر في فخامة المواكب، بلغ أوج عظمته، في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر: ٣٠٠-٣٥٠هـ (٩١٢- ٩٦١م) فقد كان عدد الذين يركبون لركوبه ويترلون حوالي اثنى عشر ألف رجل بكامل زينتهم[3].

وقد كان الرسم يقتضي ترتيب احتفال بهي، عندما يظهر الخليفة للناس، إذ يتم تنظيمهم ليتلقوا الخليفة فوجاً بعد فوج كل في مرتبته، وفي نهاية الاحتفال يتبارى الشعراء في إلقاء قصائدهم التي يمدحون فيها الخليفة، ويذكرون فيها المناسبة التي دفعته إلى الظهور لهم.

---

١ - انظر: أخبار مجموعة، ص ١٢١.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٤٩.

٣ - نهاية الأرب: ٣٩٨/٢٣. ولكن كيف تتسع شوارع قرطبة لهذا العدد الضخم ؟ إلا إذا كان المقصود أن هذا الموكب يصاحب الخليفة أثناء خروجه للترهة.

وقد حدث أن أصيب الخليفة الحكم المستنصر بالله، بعلة ألمت به يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٤هـ (ديسمبر سنة ٩٧٤م) طاولته إلى نهاية شهر ربيع الآخر من العام نفسه[١] واحتجب بسبب ذلك عن الظهور للعامة، فلما كان يوم السبت الحادي عشر من شهر رجب سنة ٣٦٤هـ (٢٨ مارس ٩٧٥م) ظهر الخليفة في موكبه متحولاً عن الزهراء إلى قصر الخلافة بقرطبة حسب نصيحة الأطباء له، فجرى بهذه المناسبة احتفال فخم سار فيه الموكب وفق مراسم دقيقة، فقد ركب الخليفة ومعه ولده الأمير هشام ركوباً حافلاً، احتفل لمشاهدته كبار رجالات الدولة، فخرجا من الباب القبلي المسمى بباب الورد، وسبق هشام والده الخليفة في البروز للناس، فلما رآه الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان المصحفي ترجل له، وفعل مثله صاحب الخيل والمدينة بالزهراء زياد بن أفلح، وتبعهما كل من كان معهما من أصحاب الخطط وطبقات أهل الخدمة، مسلمين مبتهلين، وبعد ذلك برز الخليفة، فتقدموا إليه وقبلوا الأرض بين يديه، وسلموا ودعوا، وتتابع على ذلك سائر أهل الموكب من الأحرار والعبيد، وكان يحجب الخليفة ويحف به الفتيان الكبيران الأثيران فائق وجؤذر مع أصحابهما من الفتيان الخلفاء وأكابر الفتيان، فوقف الخليفة قليلاً متأملاً حسن ترتيب عبيده ومواليه، ثم سار بموكبه حتى وصل منية "أرحاء ناصح" فترل بها

١ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٠٣-٢٠٤.

وبات فيها، وفي صباح الغد سار إلى منية الناعورة، وأقام بها إلى أن صلى الظهر، وقد نفذ العهد إلى الوزراء وأصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة والحكام ورجال الدولة بالركوب إليه إلى قصر الناعورة فلما توافوا بها، خرج الخليفة مع ولده هشام يريد قصر قرطبة، وتولى حجابته جعفر بن عثمان وزياد بن أفلح وأصحاب الشرطة العليا مع أكابر الفتيان، وعندما رآه الوزراء وطبقات أهل الخدمة ترجلوا وسلموا عليه وعلى الأمير ولده، ثم ركبوا وترتبوا في الموكب حسب منازلهم، وسار الموكب، فلما وصل الخليفة قرب المصارة، تلقاه بها رجال من كبار قريش، ونفر من وجوه الموالي نزلوا ودعوا ومجدوا، ثم سار الخليفة إلى أن أتى السوق الكبرى بقرطبة، فتلقاه بها صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر فسلم عليه، وتلقاه بعده بياض أهل قرطبة، ووجوه أهل السوق وغيرهم، مسلمين مبتهجين داعين، وسار الخليفة وأفواج القرطبيين تتلقاه فوجاً بعد فوج من الخاصة والعامة، إلى أن انتهى إلى قصر قرطبة فدخله من باب الجديد القبلي، واختتم الاحتفال بالشعراء الذي أنشدوا قصائدهم بين يدي الخليفة، يحمدون فيها الله تعالى على معافاته للخليفة، ويذكرون له سرورهم واغتباطهم بمشاهدته، ويصفون عظم موكبه وينالون مقابل ذلك الصلات الجزيلة منه[1].

١ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢١٢–٢١٥.

وعندما ظهر الإرجاف بقرطبة، لعدم ظهور الخليفة هشام المؤيد للناس - بسبب حجر المنصور بن أبي عامر عليه- أضطر المنصور إلى إبراز الخليفة، إذ أن الكثير منهم لم يره قط "فأبرزه للناس، وركب ركبته المشهورة، وقد برزوا له في خلق عظيم لا يحصيهم إلا من أحصى آجالهم، في بهجة ولبوس وهيئة، معمماً على الطويلة، سادلاً للذؤابة، والقضيب في يده، زي الخلافة، وإلى جانبه المنصور راكباً يسايره، وقدامه الحاجب عبدالملك راجلاً يمشي، ويسير الجيش أمامه، ومن المواكب وطوائف الجند والغلمان والفتيان القصريين والعامريين ماعجب من كثرتهم"[١].

وبعد اندلاع الفتنة سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) اختفت رسوم مواكب الخلفاء، وإن ظهرت فإن الناس لايأبهون بها، بسبب افتقار تلك المواكب لكل مقومات الفخامة، حتى أن الخليفة الأموي الأخير هشام المعتد بالله: ٤١٨ـ ٤٢٢هـ (١٠٢٨-١٠٣١م) عندما دخل قرطبة في شهر ذي الحجة سنة ٤٢٠هـ (ديسمبر ١٠٢٩م) كان "في زي تقتحمه العين وهناً وقلة وعدم رواء وبهجة وعدداً وعدة، فوق فرس دون مراكب الملوك بحلية مختصرة سادلاً سمل غفارة إلى ماتحتها من كسوة رثة، قدامه سبع جنائب من خيل الموالي العامريين صيروها معه للزينة دون علم ولامطرد"[٢].

---

١ - الذخيرة، ق٤ م١ ص ٧٣.

٢ - البيان المغرب، ١٤٧/٣.

موكب الصلاة

كان الأمير عندما يذهب إلى الصلاة، يصطحب معه بعض رجاله، ومجموعة من الحرس والأعوان، الذي يحيطون به عند أدائه للصلاة، وبعد أن أنشئت المقصورة سنة ٢٥٠هـ[١] (٨٦٤م) في المسجد الجامع بقرطبة، أصبح الحرس يقفون حولها، ولعل عددهم لم يعد كما كان سابقاً، خاصة بعد إنشاء الأمير عبدالله بن محمد: ٢٧٥ـ ٣٠٠هـ (٨٨٨-٩١٢م) للساباط الموصل بين قصر الإمارة وجامع قرطبة[٢] لأن من يسلك الساباط يصل المقصورة دون أن يراه أحد، وذلك من خلال باب يعرف "بباب الجامع، وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع"[٣].

وقد ذكر ابن حيان أن الأمير محمد بن عبدالرحمن: ٢٣٨-٢٧٣هـ (٨٥٢ـ ٨٨٦م) بعد أن أتم الزيادة التي أضافها إلى جامع قرطبة سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤م) قام بزيارة له، للإطلاع على تلك الزيادة، فركب من قصره وبصحبته أكابر خدمه وخواص وزرائه ووجوه أهل إمارته، وهو

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ٢٢٠. البيان المغرب، ٢/٩٨.

٢ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٣٦.

٣ - نفح الطيب، ١/٤٦٥.

راكب "على بغل مشرف القذال[١]، وعالي لبوسه طاق أبيض، فترل ودخل من باب الصومعة الجوفي، وقد أمر بإغلاق أبواب الجامع، فلم يدخل معه غير فتيانه الأكابر وصاحب الصلاة، فنظر إلى البنيان ... وتقدم إلى المحراب فصلى فيه، ثم خرج فرجع إلى قصره"[٢].

وكان الرسم يقتضي أن إذا خرج الأمير أو الخليفة لأداء صلاة الاستسقاء في المصلى مع الناس، أن يكون لباسه البياض[٣]، وعلى رأسه أقرف وشي أغبر، والخشوع ظاهر عليه، ودموعه تسيل على لحيته، فإذا وصل إلى جانب المحراب جلس على يمين الإمام على غير فراش، فإذا قضيت الصلاة أمر بتفريق الأموال والصدقات على الفقراء والمساكين تقرباً إلى الله تعالى[٤].

موكب الصيد والترهة

اعتاد أمراء وخلفاء بني أمية، الخروج في رحلات للصيد والترهة، وكان الرسم يقتضي حينئذ تقديم المطبخ بالمسير قبل الموكب[٥] إلى المكان

١ - القذال: جمع مؤخر الرأس، وهم معقد العذار خلف الناصية. انظر: ابن جزي، كتاب الخيل، (تحقيق: وتقديم: محمد العري الخطابي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م) ص٢٦٦.

٢ - المقتبس،تحقيق: د.محمود مكي ص ٢٢٠.

٣ - البياض هو لباس الحزن عند الأندلسيين.

٤ - النباهي، ص ٧٩.

٥ - البيان المغرب ٣/٦٨.

المعين لهذا الغرض، وذلك لكي يقوم أهل الخدمة بإعداد مايلزم من وسائل الراحة، ويكون الموكب فخماً نبيلاً، يتبارى الشعراء في وصفه[١]، وعندما يجتاز الموكب القنطرة المقامة على الوادي الكبير، يكون صاحب المدينة قد منع الناس من عبورها، كما أنه يتولى إبعادهم عن المكان الذي سيتوجه إليه الموكب للصيد، ومن خالف ذلك، فإن صاحب المدينة يقبض عليه، ويلقي به في السجن، إلى حين عودة الموكب، ولايستثنى أحد من هذا الإجراء، حتى وإن كان من أبناء الأسرة الأموية[٢].

ومن الوسائل المفضلة في الصيد عند الأمويين، الصقور "البزاة" ولأجل هذا فقد اعتنوا فيها كثيراً، وخصصوا أراض شاسعة لتربيتها والعناية بها، مثل جزيرة يابسة[٣]، والمناطق الجبلية في أشبونة[٤].

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٧٥.

٢ - البيان المغرب، ٢/١٤٦.

٣ - جزيرة يابسة "أبيثا **Ibiza**" مشتق من اسمها الفينيقي ابيوسوس "**Ebusuz**" وهي كبرى جزر الصنوبر "**Islas de Pinos**" الواقعة غربي ميورقة، وهي جزيرة خصبة اشتهرت بالفواكه وأخشاب الصنوبر، بالإضافة إلى شهرتها في انتاج الملح، وجبالها من أفضل الأماكن لتربية فراخ البزاة الجيدة، وقد خرجت من أيدي المسلمين سنة٦٣٣هـ . انظر: أثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٨٢. المغرب في حُلى المغرب ٢/٤٧٠. الروض المعطار، ص٦١٦. د. عصام سالم، جزر الأندلس المنسية (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٨٤)، ص٢٨،١٣-٣١.

٤ - اشبونه "**Lisbonne**" وتكتب لشبونة ولسبونة، تقع غربي باجه، اشتهرت بكثرة أشجارها، وبضروب الصيد في البر والبحر، وبزاتها الجبلية أطير البزاة وأعتقها، وهي=

ومن هذا الاهتمام تم انشاء إدارة خاصة تتولى رعاية تلك الطيور، وقد عرف المسئول عن هذه الإدارة باسم "صاحب البيازة".

وعادة لاتستغرق رحلة الصيد أكثر من نهار واحد[١] إلا إذا كان المكان بعيداً عن قرطبة، فقد كان الأمير محمد بن عبدالرحمن، يصل في رحلاته للصيد حتى جزيرة قادس[٢].

وهناك عدة اماكن، اشتهرت في زمن الأمويين بأنها أماكن نزهة لأمرائهم وخلفائهم، من هذه الأماكن،

=عاصمة البرتغال حالياً، وتقع على ساحل المحيط الأطلسي عند مصب نهر التاجو. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص ٩٠. تعليق منتقى، ص٢٢،٢٩١. آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٩٦-٤٩٧. الروض المعطار ص ٦١.

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٥٧.

٢ - المصدر السابق، تحقيق: د.محمود مكي ص ٢٧٧. وجزيرة قادس تقع في الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة إيبريا، وهي تتبع كورة شذونه، ويبلغ طولها نحو ١٢ ميلاً، وعرضها ميلاً واحدا. وهي على شكل مثلث ذات موقع استراتيجي، غنية بغاباتها ومزارعها، فتربتها رملية سهلة، وفيرة المياه العذبة، بها بعض الآثار الإسلامية وقد سقطت بأيدي النصارى سنة ٦٥٨هـ، وأصبحت قاعدة بحرية لهم، ومركزاً لمهاجمة الأراضي الإسلامية . انظر: د.سحر عبدالعزيز سالم، مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري (الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٠م) ص ٣١-١٤٣ والمصادر والمراجع الواردة.

الرصافة[١]، وقصر الدمشق[٢]، والمنية المصحفية[٣]، وفحص السرادق[٤]، ومنية الجنة بشرق قرطبة[٥]، ومنية الناعورة[٦]، ومنية نصر الخصي[٧]، وقصر قرقريط[١]، وقصر أرحي

---

١ - الرصافة منتزه يقع شمال قرطبة ناحية الغرب، وحسب قول ابن سعيد فإنها من بناء الأمير عبدالرحمن الداخل، لكن ابن حيان ذكر أن الذي اختطها أحد رحال البربر يدعى رزين البرنس، الذي دخل الأندلس مع طارق بن زياد، وأن الأمير عبدالرحمن الداخل اشتراها من ورثة رزين، فحسنها، واتخذ بها قصراً حسناً، ونقل إليه غرائب الغروس وأكارم الشجر، وأطلق عليها اسم الرصافة تذكراً منه لرصافة جده هشام بن عبدالملك، وقد اندثر مكانها في الوقت الحالي، وأقيم فيه فندق سياحي فخم يعرف باسم: الرصافة. انظر: المقتبس تحقيق: د.محمود مكي ص ٢٢٧، ٢٣٤، والتعليق: رقم ٤٠٥.نفح الطيب ٤٦٦/١-٤٦٧.

٢ - قلائد العقيان، ص ٨٤.

٣ - نسبة للحاجب جعفر المصفي. انظر: نفح الطيب، ٤٧١/١.

٤ - المصدر السابق ٤٧٥/١.

٥ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤١.

٦ - هذه المنية من بناء الأمير عبدالله بن محمد، تقع على شط الوادي الكبير أسفل قرطبة متصلة بمصلى فحص المصارة العتيق، اشتراها الأمير عبدالله سنة ٢٥٣هـ من خليل البيطار فاعتنى بها، وبعد وفاته انتقلت ملكيتها لحفيده عبدالرحمن الناصر. انظر: المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ٣٨.

٧ - تقع هذه المنية على شط الوادي الكبير، بعدوة الربض إلى جانب مقبرة الربض العتيقة، وهذه المنية كانت لنصر الخصي كبير رجال دولة الأمير عبدالرحمن الأوسط. انظر: المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ٣٨-٣٩.

ناصح[٢]، ومنية البنتلي الواقعة أيضاً شرقي مدينة قرطبة[٣].

وكان الأمراء والخلفاء يرتادون هذه المنتزهات عادة في وقت الحر والربيع، لأجل الفرجة والاستمتاع بالمناظر الطبيعية، فإذا حل الخريف ذهبوا إلى إشبيليه وشواطئها[٤]، وأما في الشتاء فربما انتقل الخلفاء من الزهراء إلى قرطبة[٥].

وقد كان الشعراء يتبارون في وصف المنية التي يبنيها الأمير أو الخليفة لنزهته[٦]، وأما موكب النزهة، فلم يكن يختلف عن موكب الصيد، فبعد أن يتم تقديم المطبخ، كان الأمير أو الخليفة يظهر للناس بكامل زينته، والأعلام تخفق حوله، ورجاله المقربين بين يديه، والحرس قد أحاطوا به، ويخترق الموكب الشوارع، وسط هتافات الجماهير المصطفة على الجانبين، حتى يمضي إلى سبيله.

وقد جرت العادة أن الخليفة هشام المؤيد، كان يخرج مستخفياً، والحاجب العامري أمامه، بعد أن يكون قد أمر الجيش بطرد الناس عن

---

١ - المصدر السابق تحقيق: شالميتا، ص ٤٨٣.

٢ - البيان المغرب، ٣/٤٠.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٥٧.

٤ - قضاة قرطبة، ص ٤٩.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢١١-٢١٣.

٦ - المصدر السابق، تحقيق: أنطونيه ص ٣٩.

طريق مرور موكب الخليفة، الذي يكون مع أهله وجواريه، لابساً للبرنس كما يفعل الجواري فلا يعرف منهن[١].

موكب الحرب

عند الإعلان عن خروج الجيش للغزو، يظهر موكب الحرب للناس، فإذا تجمع الجند في المكان المخصص، برز إليهم الأمير أو الخليفة، فيتفقد الجيش ويشرف على مدى استعداد أفراده، ويكون لابساً درعه، متلثماً، متقلداً سيفه، ممتطياً جواداً عتيقاً، وقواده قد حفوا به، والأعلام والرايات تخفق فوق رأسه[٢]، فإذا لم يتمكن من قيادة الجيش بنفسه، اكتفى بالجلوس على السطح فوق باب السدة، فإذا مر الجيش أمامه، رفع كفيه إلى السماء يدعو الله تعالى، أن يمنح الجيش التوفيق، ويستمر رافعاً يديه بالدعاء حتى يغيب الجيش عن بيوت قرطبة، وبجانبه ولي عهده يفعل مثل فعله[٣].

وعندما يعود الأمير أو الخليفة من الغزو، يخرج أهل قرطبة وعلماؤهم ووجهاؤهم لتلقيه والسلام عليه، وتهنئته بالنصر، فإذا دخل القصر جلس من الغد لاستقبال المهنئين، فيكون أكابر القرشيين من أبناء البيت الأموي هم أول الداخلين عليه، يليهم القضاة والحكام والفقهاء وأهل العدل، ويتقدم من بعدهم وجوه أهل الأرباض والأسواق من أهل

---

١ – البيان المغرب ٣/٤٠.

٢ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٣٣-٣٣٤.

٣ – المصدر السابق، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٢٢١.

قرطبة، وآخر من يدخل عليه الشعراء والأدباء مرتبين حسب تسلسل أسماؤهم في السجل الخاص بهم[١]، لإنشاد قصائدهم التي نظموها في هذه المناسبة[٢].

المجالس الخاصة

رغم الرسوم الدقيقة التي كان الأمير أو الخليفة الأموي يحرص على السير وفقها أثناء المناسبات، ليبرز للناس وهو بكامل هيبته ووقاره، إلا أن المجالس الخاصة، كانت تظهره بمظهر البساطة والتواضع، إذ أنه من خلالها يتخلى عن كافة الضوابط الرسمية، التي لاتمكنه من العيش على سجيته.

وفي بداية الحديث عن المجالس الخاصة، لابد من القول بأن أمراء وخلفاء بني أمية منذ عهد الأمير عبدالرحمن الداخل إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله كانوا لايشربون الخمر ويتحاموها، ولايشربون في تلك المجالس إلا شراب العسل، الذي يعد على نار الزرجون[٣]، باستثناء عبدالرحمن الناصر، الذي كان يشرب في المنادمة، لكنه في النهاية ترك ذلك كله، وقطع المنادمة وتزهد[٤].

وهذه المجالس لايحضرها إلا الخواص فقط، من الوزراء ورجال القصر، والندماء والمغنين.

---

١ - جذوة المقتبس، ترجمة: رقم ١٨٦، ٥٣٩، ٦١٣.

٢ - البيان المغرب ٩/٣.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٧٧. والزرجون هو حطب شجرة الكرم.

٤ - المغرب في حُلى المغرب، ص ١٨٤/١.

وهناك آداب لتلك المجالس، يجب على من حضرها الالتزام بها، فلا يغتاب أحداً في المجلس[١]، ولا ينظر إلى غلام أو وجارية[٢]، ولايطلب من القينة التي تغني في المجلس إعادة القصيدة التي غنتها[٣]، إذ أن ذلك مدعاة للشك في أن الهيبة لم تملأ قلبه، وهذا ماوقع به الشاعر الطبني، فقد ذكر ابن حيان أن أبا مضر محمد بن الحسين التميمي الطبني[٤]، كان في مجلس خاص مع الحاجب المنصور بن أبي عامر، فشرب معه، وغنت القينة بيتين من شعر أبي مضر الطبني، "فاستعادها أبو مضر، فأنكر ذلك المنصور، وعلم أن هيبته لم تملأ قلبه، فأومأ إلى بعض خصيانه، فأخرج رأس الجارية

١ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم : ٣٩.

٢ - الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، (تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية،١٣٣٢هـ /١٩١٤م) ص٦٦-٦٧.

٣ - عن اهتمام الأمويين في الأندلس بصنعة الغناء. انظر: سالم الخلف، المرجع السابق، ص٤٩٠-٥٠٣ والمصادر والمراجع الواردة.

٤ - أبو مضر محمد بن الحسين التميمي الحماني الطبني الزابي، شاعر مكثر وأديب مفتن من بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة، وأبو مضر هو أصل بني الطبني، أهل البيت الشهير بقرطبة، وقد ترك أولاداً نجباء مشهورون في الأدب والفضل. انظر: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٥٠. المغرب في حُلى المغرب ١/٢٠٦-٢٠٧.

في طست، ووضعه بين يدي الطبني، وقال له المنصور: مرها فلتعد، فسُقط في يده"(١).

ورغم ماعُرف عن الخليفة عبدالرحمن الناصر من شدة وتأكيد دائم على إظهار الهيبة والتمسك بمراسم الدولة، إلا أنه كان في مجالسه الخاص متساهلاً متواضعاً مع جلسائه.

فقد ذكر ابن حيان أن الخليفة عبدالرحمن الناصر، كان في مجلس خاص مع وزرائه، وكان من بين الحضور الوزير محمد بن سعيد المعروف بابن السليم، وفي هذه الجلسة أخذ الخليفة يعرّض بالوزير ابن السليم، مما أدخل الرعب في قلبه، خشية أن يبطش به الخليفة، ولذا فقد أفرط الوزير في الشراب من شدة الذعر، حتى اضطر إلى إفراغ مافي جوفه، فابتدره الوصفاء بالطست والمناديل، ولم يشعر الوزير إلا بالذي أمسك رأسه وهو يقول له: "استفرغ مافي معدتك، وتأن بنفسك" فانكر الوزير كلامه من بين الخدم، فصرف رأسه إليه، وإذا به الخليفة، فما تمالك أن خر على قدميه يقبلهما، ويقول "ياابن الخلائف، إلى هنا انتهيت من بري" وجعل يدعو له ويعظم شكره(٢).

---

١ - المغرب في حلى المغرب ٢٠٧/١، هذه هي شخصية المنصور، طغيان وتجبر، تهون عليها الدماء المحرمة في سبيل أطماعه، فهو لايرى على وجه الأرض سواه، ثم إن مجلساً لايحوي إلا قينة وشراباً، إذاً لا تستغرب النتيجة.

٢ - البيان المغرب، ٢٢٥/٢-٢٢٦.

كذلك كان الخليفة عبدالرحمن الناصر كثيراً مايمازح وزرائه، ففي أحد مجالسه الخاصة طلب من أبي القاسم لب، أن يهجو الوزير عبدالملك بن جهور، فقال: أخافه، فقال لابن جهور أهجه: فقال أخاف على عرضي منه، فقال: أهجوه أنا وأنت، ثم قال:

لبٌّ أبو القاسم ذو لحية   طويلة في طولها ميل

فقال ابن جهور:-

وعرضها ميلان إن كُسِّرت   والعقلُ مأفون ومدخولُ[1]

لو أنه احتاج إلى غسلها   لم يكفه في غسلها النيلُ[2]

فقال الناصر للبِّ : اهجه فقد هجاك، فقال بديهاً:-

قال أمين الله في عصرنا   لي لحية أزرى بها الطول

وابن جهيرٍ قال قول الذي   مأكوله القرضيل والفولُ

لولا حيائي من إمام الهدى   نخست بالمنخس شو...

ثم سكت، فقال الناصر: هات تمام البيت، فامتنع، فقال له: "قولو" يعني تمام البيت، فقال لب يامولانا أنت هجوته، ففطن الناصر والحاضرون، وضحكوا، وأمر له بجائزة[3]. وأما الخليفة المستنصر بالله، فقد كان بعيداً كل البعد عن عقد المجالس التي يتم فيها الاستماع للقيان،

---

١ - ورد "مخبول" لدى الأزدي، بدائع البدائه، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠م) ص١٩٥.

٢ - البيان المغرب، ٢/٢٢٧.

٣ - انظر هذا الأبيات وشرحها في: بدائع البدائه، ص ١٩٥-١٩٦.

لما عُرف عنه من شدة التديّن، والاهتمام بمطالعة كتب العلم ومجالسة العلماء، لأنه فضل كل ذلك على كل لذة، ولكنه في مقابل ذلك كان يمازح رجال دولته في جلسات خاصة بهم[1].

ومازال خلفاء بني أمية يعقدون مثل هذه المجالس إلى أن زالت دولتهم[2] والملاحظ أن تلك المجالس قد تكون فرصة للتخلص من بعض المناوئين، أو ممن يخشى جانبهم من رجال الدولة.

فالحاجب المنصور بن أبي عامر عندما عزم على الفتك بجعفر بن علي بن حمدون أقام جلسة خاصة، أعلن أنها تكريماً لجعفر، وذلك ليلة الأحد لثلاث خلون من شعبان سنة ٣٧٣هـ (يناير ٩٨٤) وفي تلك الجلسة أمر المنصور الوصفاء والخدم أن يكثروا لجعفر من الشراب، فما زالوا به حتى ثقل من شدة السكر، فانصرف مع غلمانه، فخرج إليه معن وأصحابه، فلم يكن به امتناع فقتلوه[3].

وعندما أراد الحاجب عبدالملك المظفر بن المنصور الفتك بوزيره عيسى بن سعيد عقد مجلساً للشراب ليلة العاشر من ربيع الأول سنة ٣٩٧هـ[4] (٤ ديسمبر ١٠٠٦) واستدعى وزيره عيسى للمجلس وأمر

---

١ – مطمح الأنفس، ص ٢٥٥-٢٥٧.

٢ – الذخيرة، ق٣ م١ ص ٥٢٤-٥٢٥ البيان المغرب، ٣/٨٠، ٩٩، ١٤١، ١٤٩.

٣ – المصدر السابق، ٢/٢٨٠-٢٨١.

٤ – الذخيرة، ق١ م١ ص١٢٥.

السقاة أن يكثروا عليه، وبعدها عاتبه عبدالملك وسبه وأفحش عليه ثم ضربه بسيفه وأجهز عليه من حوله من رجاله[١].

ومن آداب المجالس الخاصة لأمراء وخلفاء بني أمية أن لاأحد ينصرف من المجلس إلا عندما تظهر علامة تدل على رغبة الأمير أو الخليفة بانصراف جلسائه. فمن ذلك مثلاً أن الخليفة عبدالرحمن الناصر كانت علامة رغبته في انصراف ندمائه أن يميل برأسه إلى حجره، أو ينشد:-

مازلت أشربها والليل معتكر حتى أكب الكرى رأسي على قدحي[٢]

ورغم كل ماعُرف عن الأمويين من تباسط مع الناس وحسن معاملة، والتقاء بالندماء وجهاً لوجه، إلا أن الحموديين الذي استولوا على الخلافة الأموية بقرطبة، منذ سنة ٤٠٧-٤١٤هـ (١٠١٦-١٠٢٣م) كانوا يتعاظمون، ويقلدون بني العباس، فإذا حضرهم من يحتاج إلى كلام سواء كان شاعراً أو غيره، خاطب الخليفة الحمودي من وراء حجاب، والحاجب واقف عند الستر يجاوب مايقول له الخليفة[٣].

وعلاقة الأمير أو الخليفة الأموي برجال دولته، علاقة متميزة، فالوزراء وأهل الخدمة ملزمون بالاختلاف إلى القصر كل يوم ليطالعوه بما

١ - المصدر السابق، ق١ م١ ص ١٢٥-١٢٧.

٢ - المغرب في حلى المغرب، ١/١٨٤.

٣ - نفح الطيب، ١/٢١٤.

استجد من الأمور، ويستمعوا لتوجيهاته، كما أنه إذا شفي من علة ألمت به، كان أول شيء يقوم به هو الجلوس لاستقبالهم[١].

وإذا أجرى الأمير أو الخليفة عملية فصد، تسابق الشعراء إلى إلقاء قصائدهم في هذه المناسبة، بين يديه، فالخليفة عبدالرحمن الناصر عندما أجرى أول فصاد له في الزهراء أنشد أبو عثمان عبيد الله بن يحيى بن إدريس[٢] قصيدته التي مطلعها:

اليوم تعترف القصور بأسرها لهلالها ولشمسها ولبدرها

إلى أن قال :-

فكأنما انفجر العبير بفصده فجرى على وجه البلاد بعطرها[٣]

كما أن زوجاته يحاولن أن يقدمن له كل طريف بهذه المناسبة، ومن أطرف ماورد في هذا، ماذكره المقري من أن الخليفة عبدالرحمن الناصر عندما جلس للفصد، وأخذ الطبيب يجس يده، أقبل طائر زرزور فأخذ يردد بعض الكلمات التي تم تدريبه عليها، فسر الخليفة بذلك، وعندما

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٧. المصدر نفسه، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٠٣-٢٠٤.

٢ - أبو عثمان عبيد الله بن يحيى بن إدريس قرطبي، كان متفننا في ضروب العلم، ثقة، شاعراً، جامعاً للسنن، حافظاً للغريب، متواضعاً شريفاً بنفسه وسلفه، تولى أحكام الشرطة ثم الوزارة، ورغم ذلك فقد كان يؤذن في مسجده وهو وزير توفي رحمه الله في انسلاخ ذي القعدة سنة ٣٥٢هـ. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٦٧.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٤-٤٥.

سأل عمن أرسل إليه هذا الزرزور علم أن زوجته مرجانة أم ولده الحكم هي التي صنعت هذا، فكافأها على هذا الصنع مكافأة سنية[١].

وهناك مناسبات خاصة يجلس فيها الأمير أو الخليفة الأموي لاستقبال كبار رجال دولته وحاشيته الخاصة، فمن أهم تلك المناسبات:-

جلوسه في العيد لتلقي التهاني، ولهذا الجلوس ترتيب خاص، فقد ذكر ابن حيان أنه في عيد الفطر من سنة ٣٦٠هـ (٢٨ يوليو ٩٧١م) "قعد الخليفة المستنصر بالله بعد انقضاء صلاة العيد، لتسليم الجند عليه، في محراب المجلس الشرقي من قصر الزهراء، المنيف على السطح العلي، والموفي على الروض البهي، قعوداً فخماً .. شهده طبقات الناس، فكان صدره الأخوة، وجنباته الوزراء وموسطته أهل المراتب من طبقات أهل الخدمة، وسائره لوجوه الموالي وبياض رجال قرطبة"[٢].

وبمناسبة الحديث عن الأعياد فقد عرف الأندلسيون بالإضافة إلى عيدي الفطر والأضحى، عدة أيام اعتبروها أعيادا، وكانوا

١ - نفح الطيّب، ١/٣٦٠-٣٦١.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٨-٢٩.

يقيمون الاحتفالات بها، كاحتفالهم برأس السنة الميلادية الذي كان يقام في ليلة يناير[١]، ويوم العنصرة[٢]،

---

١ – ليلة يناير هي رأس السنة الميلادية، وقد اعتاد الأندلسيون الاستعداد لتلك الليلة كل على قدره، يتهادون فيها بينهم صنوف الأطعمة وأنواع التحف والطرف، وفي صبيحتها يترك الرجال والنساء أعمالهم، تعظيماً لذلك اليوم. ورأس السنة الميلادية يوافق اليوم= =السابع من ولادة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، انظر: الونشريسي، المعيار المعرب، (بعناية: د.محمد حجي، بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ١١/١٥٠.

Fernado Dela Granja, Del "Kitab Al-durr Al-Munazzam Fimawlid Al-Nabi Al-muazzam" De Al- azafi, AL- Andalus, Madrid - Granda, 1969, Vol, XXXIV,p.19-20.

ومن عادهم في هذا العيد شراء أنواع معينة من الفواكه كالأترج والجلوز وصنع تماثيل مختلفة من الحلوى، وإلى هذا تشير أمثالهم: "من ماع ترنخ، لينيرٍّ يرفعها". انظر:- الزجالي، أمثال العوام في الأندلس ٢/٣٢٧، مثال رقم ١٤١٢. والاحتفال برأس السنة الميلادية هو المعروف بالمشرق باسم "النيروز" انظر: التاج في أخلاق الملوك، ص ١٤٦.

٢ – هذا العيد هو مايعرف بالمشرق باسم "المهرجان" وهو بداية دخول فصل الشتاء، انظر المصدر السابق، ص ١٤٦. وعيد العنصره "**ANSARA**" هو عيد سان أخوان "**SANJUAN**" الذي تحتفل به اسبانيا يوم ٢٤ يونيو من كل عام. انظر د.أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، (المختار من عالم الفكر، العدد الأول، وزارة الأعلام، الكويت ١٩٨٤م)، ص١٤١. وفي هذا اليوم يقوم المحتفلون فيه بالسباق على الخيل، وأما النساء فيقمن بإخراج ثيابهن للندا بالليل، كما يقمن برش بيوهن في ذلك اليوم، ويتركن العمل، ويغتسلن بالماء، وهذا اليوم يوافق ميلاد النبي يحيى بن زكريا على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. انظر: المعيار المعرب، ١١/١٥١-١٥٢ **Fernado Dela Granja, Op Cit.p, 19-20**. وقد اشتهر عيد المهرجان بالنار التي يتم إشعالها=

وليلة العجوز[١]، وخميس العهد[٢].

=في الأحياء بحيث يجتمع صبيان كل حي حول نارهم ويتبارون في القفز فوقها، وقد جاء في أمثالهم: "الكبش المصوَّف مايكفز العنصره" و"كفزها بحل عنصَرَ". انظر: الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، ٢/٢٦٧،٨٥. المثالان رقم ١١٤٨،٣٧٣. وفي عيد المهرجان يقول الوزير أبو عبدة حسان بن مالك بن أبي عبدة:-

أرى المهرجان قد استبشرا غداة بكى المزن واستعبرا

إلى أن قال:-

تهادى به الناس ألطافه وسام المقل به المكثرا

انظر: مطمح الأنفس، ص٢١٤.

١ - ليلة العجوز، هي احدى المناسبات الاجتماعية التي اعتاد بعض مسلمي الأندلس مشاركة النصارى الاحتفال بها. انظر **Fernando De ALGranja, Op, Cit, P:25.**

٢ - خميس العهد هو الخميس الذي يسبق عيد الفصح لدى النصارى بثلاثة أيام. انظر: العبادي، المرجع السابق، ص١٤١، وقد كان لفقهاء الأندلس موقف جاد من احتفال بعض مسلمي الأندلس بتلك الأيام. انظر: المعيار المغرب، ١١/١٥٠-١٥٢. وعن تلك الأيام واحتفال الأندلسيين بها، انظر: الطرطوشي، كتاب الحوادث والبدع (تحقيق: د.محمد الطالبي، تونس، المطبعة الرسمية، ١٩٥٩) ص١٤٠-١٤١، قارن نفس المصدر، (تحقيق: عبدالمجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص ٣٠٠ حاشية رقم ٦. ولقد كان المحقق الأخير على صواب فيما ذهب إليه، من أن الحديث عن تلك الأيام قد أقحم في النسخة التي اعتمد عليها الطالبي، ومما يؤيد ذلك أن نص الحديث عنها في نسخة الطالبي قد وقع بين قولين للإمام مالك رحمه الله تعالى، لاعلاقة لهما البتة فيما أثبته المحقق. وعلى العموم فإن احتفال المسلمين بتلك الأيام المذكورة أمر مخالف للشرع، وهو من قبيل التقليد الأعمى للأخرين، ولاشك أن تمادي=

وهناك أعمال خيرية يعقد الخليفة المجلس لأجلها، فالخليفة الحكم المستنصر بالله، عندما أراد إعتاق بعض مماليكه وإمائه، عقد عقب شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٤هـ (ديسمبر ٩٧٥م) مجلساً لهذا الشأن، أنفذ فيه "إعتاق جمع كثير من عبيد له وإماء تنيف عدهم على مائة رقبة، انعقد لكثير منهم عتق بتل، وبعضهم عتق مؤجل، ولبعضهم تدبير[١]، خلص به جميعهم من الرق، عقدت الوثائق المحكمة العقد لجمعهم، فكان أول من أوقع شهادته فيها الأمير أبو الوليد هشام المرشح لولاية العهد، بخط يده، وتلاه أعمامه الأخوة، ثم الوزراء على مراتبهم، ثم قاضي الجماعة محمد ابن إسحاق[٢]، ووليه الحكام والفقهاء وأهل الشورى ثم العدول"[٣].

=المسلم في هذا الأمر يذيب شخصيته التي ميزه الله تعالى بها، وهو على خطر من موالاة من حاد الله ورسوله، والتشبه بأعداء الدين.

١ – عن العتق المؤجل وعتق التدبير، انظر: إبراهيم بن حسن بن عبدالرفيع، معين الحكام على القضايا والأحكام، تحقيق: د. محمد قاسم بن عياد، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٩م) ج٢ ص٨٤٠-٨٤١، ٨٤٤-٨٤٧.

٢ – أبو بكر محمد بن إسحاق بن منذر بن السليم، قرطبي، فقيه، عالم بالحديث، كان فصيحاً بليغاً، متواضعاً، ولي أحكام المظالم بقرطبة، وعندما توفي منذر بن سعيد البلوطي في شهر المحرم سنة ٣٥٦هـ ولي ابن السليم قضاء الجماعة، وظل في منصبه إلى أن توفي يوم الخميس لسبع بقين من شهر جمادى الأولى سنة ٣٦٧هـ. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣١٩. النباهي ص٧٥-٧٧.

٣ – المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ٢٠٦.

وعندما أراد الخليفة تحبيس بعض الحوانيت من أجل تعليم أولاد الضعفاء، تم عقد المجلس، فقد ذكر ابن حيان أنه في صدر جمادى الأولى من سنة ٣٦٤هـ (ديسمبر ٩٧٥م) أنفذ الخليفة الحكم المستنصر بالله "تحبيس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين كان قد اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة، وأشهد القاضي محمد بن إسحاق في هذا التحبيس يوم الجمعة لسبع خلون منه، وجلت المنقبة، وورث الله به القرآن أمة لم يكن أباؤهم يعرضوهم لوراثته"[١].

واحتفل الخليفة المستنصر بالله بإسماع ولده هشام من الفقيه يحيى بن عبدالله بن يحيى الليثي[٢]، فقد جرى ترتيب في هذا الشأن قال عنه ابن حيان:-

"فلما تم مجلس السماع، وحان انقلاب الشيخ يحيى بن عبدالله نفذ عهد الخليفة بأن يكون ركوبه ونزوله في الفصيل المعروف بفصيل المسجد، تشريفاً وترفيهاً عنه، فجرى أمره على ذلك مدة احتفاله، وعاود

١ - المصدر السابق ص ٢٠٧.

٢ - أبو عيسى يحيى بن عبدالله بن يحيى الليثي، فقيه قرطبي، كان قاضياً ببجانة وإلبيرة كما تولى أحكام الرد بقرطبة، سمع منه الكثير من طلاب العلم في الأندلس، توفي ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء، ودفن يوم الثلاثاء بعد صلاة العصر، لثمان خلت من رجب سنة ٣٦٧هـ. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٥٩٧.

الحضور يوم الأربعاء لأربع خلون من شعبان، فأسمع الأمير على رسومه بمشاهدة الوزير الكاتب جعفر بن عثمان، أثير الخليفة والده"[١].

وكان الخليفة الأموي لايأنف من قبول هدايا رجال دولته، فالخليفة عبدالرحمن الناصر قبل هدية سنية من الوزير أحمد بن عبدالملك بن شهيد، وذلك لثمان خلون من شهر جمادى الأولى سنة ٣٢٧هـ (مارس ٩٣٩م[٢]).

كما تلقى الخليفة الحكم المستنصر بالله هدايا كبار رجال دولته، ومن أعظم تلك الهدايا هدية الفتى الكبير دري الأصغر الخازن الصقلبي، فقد أهداه منيته الغراء بوادي الرمان المنسوبة إليه، بجميع ماكان له فيها داخلها وخارجها من البساتين المسقية والأراضين المزروعة، وماكان له فيها من عبد وأمة وثور ودابة، وذلك في النصف من شهر شهبان سنة ٣٦٢هـ (مايو ٩٧٣م) [٣].

والملاحظ أن الهدايا المقدمة من رجال الدولة لولاة الأمر، لاتعود بالمنفعة إلا على صاحب الهدية وحده، إذ أن ولي الأمر ينعم عليه بمناصب جديدة في الدولة فكأن القضية هي شراء مناصب لاأكثر، فالخليفة عبدالرحمن الناصر مثلاً بعد أن قدم له ابن شهيد هديته الشهيرة، أنعم عليه الخليفة بأن زاد من تقريبه واختصاصه، "وأسمى مترلته على سائر الوزراء

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢١٧.

٢ – عن تفاصيل الهدية انظر: نفح الطيب، ١/٣٥٦-٣٥٩.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص١٠٦-١٠٧.

جميعاً، وأضعف له رزق الوزارة، وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية، وبلغ مصروفه إلى ألف دينار، وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه "ذو الوزارتين" لذلك ... أمر بتصدير فراشه في البيت وتقديم اسمه في دفتر الارتزاق لأول التسمية، فعظم مقداره في الدولة جداً"(١).

ومن هنا نرى أن المنفعة نالها الوزير فقط، فرزقه من الدولة تضاعف وأصبحت مرتبته مقدمة على الجميع، لأجل هذا، فقبول ولي الأمر لهدية أحد رجال دولته أمر فيه نظر.

رسوم عامة لبني أمية

لدينا رسوم عدة عرفها الأمويون في الأندلس، وساروا عليها، فهناك رسوم خاصة بالأولاد، فقد كان الرسم يقضي بأن لايسكن في القصر مع الأمير أو الخليفة إلا ولي العهد، أما بقية الأولاد فيتم إخراجهم من القصر إلى دورهم الخاصة بهم، فالأمير محمد بن عبدالرحمن عندما تولى الإمارة سنة ٢٣٨هـ (٨٥٢م) كان أول شيء اهتم به هو إخراج إخوته من القصر أسوة بإخوتهم الأكابر الذين خرجوا من القصر في حياة أبيهم، فقد ابتاع لهم الأمير محمد الدور الفخمة والضياع المغلة لهم بحسب مقاديرهم، ثم أخرجهم إليها بما يحتاجون إليه من العيال والإماء والعبيد والكراع والفرش والآلة والكسى والمراكب بالحلى الفخمة، فصير كلا منهم

---

١ - نفح الطيب، ٣٥٦/١.

بأكمل الجهاز وأتم العدة في داره، وضم إليهم ضياعهم وأجرى عليهم الأرزاق السنية الهلالية[١].

وأما الخليفة عبدالرحمن الناصر، فقد أخرج أولاده إلى دورهم في شهر شوال سنة ٣٣١هـ (يوليو ٩٤٣م) وكان آخرهم خروجاً أبو أيوب سليمان بن عبدالرحمن الناصر، وأما المغيرة فقد خرج من القصر في آخر حياة أبيه لأنه كان أصغر إخوته، ولم يبق معه إلا ولده الحكم ولي عهده[٢].

وطبيعي أن يهتم الأمويون بتربية أولادهم وتأديبهم وتثقيفهم، وهذا الأدب لايقتصر على فترة الصغر، بل يمتد إلى فترة الرشد إن لزم الأمر، وهذا مافعله الأمير عبدالرحمن الأوسط مع ابنه المنذر، الذي كان معروفاً بسوء الخلق في بداية شبابه، كثير الشك بمن حوله، معاقباً لمن يقدر عليه، مكثر التشكي لوالده لمن لايقدر عليه، فلما أكثر على أبيه، أمر وكيلاً خاصاً به أن يبني بيتاً منفرداً في أحد الجبال، فلما كمل البناء، أمر ولده المنذر أن يسكن فيه، وأوصى الوكيل أن يمنع عنه الزيارة سواء من أصحابه أو أصحاب غيره، فلما ضجر المنذر من الوحدة، طلب من الوكيل بأن يأذن لمن كان يأنس به بزيارته، فأبلغه الوكيل بأن والده أمر أن لايصل إليك أحد، لتبقى وحدك تستريح مما يرفع ضدك من وشايه، فعلم المنذر مراد والده، فكتب إليه يستعطفه، فلما وقف الأمير على رقعة

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٩٤-١٩٥.

٢ – المصدر السابق، تحقيق: شالميتا، ص١٦.

ولده، علم أن الأدب قد بلغ به حقه، فاستدعاه وأخبره بما قصد إليه من إفراده بهذا السكن، ونصحه ووجهه، فقبَّل المنذر يده وانصرف، ولم يزل المنذر يأخذ نفسه بما أوصاه والده حتى تخلّق بالخلق الجميل، وبلغ ماأوصاه به أبوه، ورفع قدره[1].

وهناك أوقات محددة يسمح فيها للأبناء بزيارة والدهم، يدل على ذلك أن الأمير عبدالرحمن الداخل عندما استأذن عليه ولده هشام بسبب قصة الكناني، انزعج، لأن الوقت لم يكن وقت زيارة[2].

والاحترام المتبادل بين أبناء البيت الأموي سمة بارزة في تاريخهم، فالأخ الأصغر يقبل يد أخيه الأكبر[3]، كما أنه لايناديه إن كان أميراً أو خليفة إلا بلفظ مولاي، فقد ذكر الحميدي أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الناصر وُلد له وَلد، فعاش إلى أن دخل الكتاب، فظهرت منه نجابة، فأول لوح كتبه، بعث به إلى أخيه المستنصر بالله، وكتب إليه بعدة أبيات من شعره، جاء في مطلعها قوله:-

هاك يامولاي خطاً مطه في اللوح مطا[4]

١ - نفح الطيب، ٥٧٥/٣-٥٧٧.

٢ - أخبار مجموعة، ص ١٢١-١٢٤. نفح الطيب، ٣٣٥/١-٣٣٦.

٣ - ابن القوطية، ص١١٦.

٤ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٦٤٨.

وكانت قصور بني أمية تشهد حفلات زواج، ولاتوجد لدينا معلومات عنها، ولكن يمكن تكوين صورة عنها من خلال معرفتنا لما كان يجري في حفلات زواج العامة أو بعض وجهاء الدولة.

فقد كانت الأسر الموسرة تتفاخر في تجهيز بناتها، حتى أن الأمر يكلف بعضهم ما لايطيق، فقد روى ابن حيان عن أبيه أن محمد بن أفلح غلام الخليفة الحكم المستنصر بالله، اضطر عند تجهيزه لابنته إلى بيع لجام مُحلّى ثقيل الوزن كان يستخدمه لزينته أيام المواكب[١].

وكانت حفلة الزواج تستمر أسبوعاً كاملاً[٢]، يمر فيه موكب الزفاف في أحد شوارع قرطبة، ومع موكب الحفل جماعة من الملهين ومعهم أحد المشهورين بالزمر، يكون في وسط الحفل، وعلى رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه[٣]، وتقام الولائم في مترل والد العروس، ويصاحب ذلك سماع ضرب البوق أو ضرب الكير أو المزهر أو الطنبور او العود، إلى جانب غناء المغنين والمغنيات والراقصات[٤].

---

١ - الذخيرة، ق٤ م١ ص ٦٣.

٢ - د.محمد عبدالوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري- الحياة الاقتصادية والاجتماعية، (تونس الدار التونسية ١٩٨٤) ص٢٨٢.

٣ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٢٤٤.

٤ - قرطبة الإسلامية ص ٢٨٤.

هذه صورة سريعة عن زواج بعض الأسر الموسرة في قرطبة، لعلها تعطي تصوراً عما كانت عليه حفلات زواج أمراء وخلفاء بني أمية أو أحد أولادهم، فلا شك أنها كانت على مستوى كبير يتناسب مع ما هم عليه من عزٍ وثراء، وقد ذكر ابن حيان أن أعظم حفلة عرس جرت في الأندلس، أقيمت بمناسبة زواج المنصور بن أبي عامر من أسماء بنت غالب بن عبدالرحمن الناصري سنة ٣٦٧هـ[١] (٩٧٧م).

ومن الحفلات التي كانت تقام في قصور بني أمية، حفلة "العقيقة" عندما يرزق أحدهم بمولود، ففي هذه المناسبة تقام وليمة عظيمة يدعى إليها كبار رجالات الدولة ووجهاء البلد، وتكون الأفراح متصلة عدة أيام[٢] وأما عملية الختان فقد كانت تتم بصورة جماعية لأبناء الأمويين، فالخليفة عبدالرحمن الناصر أقام سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) بقصره في قرطبة صنيعاً فخماً احتفل فيه لإعذار عدة من أولاده الأصاغر، أعد "فيه صنوف الأطعمة الرفيعة، والفواكه الغريبة، والطبوب المثمنة، وزانه بما أظهر فيه من الآلات السلطانية والأدوات البديعة وفاخر الآنية وبديع الزينة، ... فكان صنيعاً مشهوراً بقرطبة، عظُم شأنه، وكثر حمله، واعتلت عليه النفقة"[٣].

---

١ - الذخيرة، ق٤ م١ ص ٦٥.

٢ - البيان المغرب، ٣/٣١.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٢٠-٣٢١.

وفي بعض الأحيان يُختن مع أولادهم أولاد كبار رجالات الدولة، ومجموعة كبيرة من أولاد الضعفاء، ويقام احتفال كبير بهذه المناسبة، فالحاجب المنصور بن أبي عامر عندما ختن أولاده، ختن معهم من أولاد أهل دولته خمسمائة صبي، ومن أولاد الضعفاء عدد لاينحصر، وأقام احتفالاً كبيراً بلغت فيه النفقة خمسمائة ألف دينار[١].

وفي مثل هذه المناسبات، يدعى كبار رجالات الدولة والفقهاء والمشاورون من العدول ووجهاء البلد لحضور الاحتفال، ومن تخلف عن الحضور تتم مساءلته.

فالخليفة عبدالرحمن الناصر عندما أقام حفل ختان لأولاد ابنه عبيدالله، اتخذ لذلك صنيعاً عظيماً بقصر الزهراء، لم يتخلف عنه أحد من كبار المدعويين، إلا الفقيه العالم أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة[٢]، فافتقد

١ - نفح الطيب، ٥٩٦/١.

٢ - أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة التجيبي، من موالي بني هلال ولد سنة ٢٧٧هـ أصله من طليطلة، سكن قرطبة لطلب العلم، ثم استوطنها، كان خيراً فاضلاً ديناً ورعاً، مجتهداً عابداً، زاهداً وقوراً مهيباً، من أهل العلم والفهم والفضل، مشاوراً في الأحكام، صدراً في الفتيا، يناظر عليه في الفقه، كان رحمه الله صليباً في الحق، لاتأخذه في الله لومة لائم، وقد كان الخليفة الحكم المستنصر بالله معظماً لابن مسرة حتى أنه إذا دخل عليه مد رجليه أمامه ويعتذر بكبر سنه، فلا يعارضه الخليفة. توفي رحمه الله بطليطلة في رجب أو شعبان سنة ٣٥٢هـ وهو غازٍ مع الخليفة الحكم المستنصر بالله. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٣٥. ترتيب المدارك، ١٢٦/٦-١٣٤.

الخليفة مكانه، فبعث إليه ولده الحكم بكتاب يسأله فيه عن سبب تخلفه، فأجابه بعذر قبله منه الخليفة[١].

وهناك رسوم خاصة بجنائز بني أمية، فالكفن والحنوط والطيب، يبعث بهما الأمير أو الخليفة لأهل المتوفى، وهذا مافعله الأمير محمد بن عبدالرحمن عندما توفي عمه سعيد الخير بن الأمير الحكم الربضي، في صدر شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٠هـ (سبتمبر ٨٥٤م) فقد أرسل الأمير محمد "بكفنه وحنوطه وطيبه من عنده، وعهد إلى بنيه وإخوته وأهل بيته ووزرائه وأهل خدمته بشهوده والمشي بين يدي نعشه"[٢].

ثم طرأت عملية تضميخ النعش بالغالية، وهذا الرسم استُحدث أيضاً في عهد الأمير محمد فقد ذكر ابن حيان أن أبا القاسم الأصبغ بن محمد بن عبدالرحمن الأوسط توفي وعمره تسع وعشرين سنة وشهر، وذلك في حياة أبيه، فلما اتخذ النعش للأصبغ، أدخل على أمه، وكان وحيدها، فأمرت بتضميخ نعشه بالغالية، فهي التي استحدثت هذا الرسم[٣]، وأصبح معمولاً به إلى نهاية الدولة.

ومن مات من أبناء البيت الأموي، تقدم للصلاة عليه أحدهم، فالأمير عبدالرحمن الداخل كان قد كلف ولده هشام بالصلاة على جنائز

---

١ - ترتيب المدارك ١٣٣/٦.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٩١-٩٣.

٣ - المصدر السابق ص٢١٣-٢١٤.

أهل القصر، كما أن الأمير عبدالرحمن الأوسط قد قدم ولده بشراً لهذه المهمة[١].

وقد درج أمراء وخلفاء بني أمية على الاحتفاظ بنفيس الأعلاق والجواهر في موضع خاص لايهُتدى إليه، ويتم إثباتها في سجل خاص، ويتولى أحد الفتيان الأكابر الخلفاء، الإشراف على المكان والاحتفاظ بالسجل، ولايعلم أحد سواه خبر تلك المدخرات.

وقد ذكر ابن عذاري أن المهدي عندما استولى على قصر قرطبة سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) كان الفتى فاتن الكبير مريضاً، فلما حضرته الوفاة، كتب إلى المهدي يطلب منه الحضور لأمر ضروري، فلما جاءه المهدي "دفع إليه فاتن كتاباً فيه جميع ماتركه الخلفاء الأمويون، وذخائرهم مما لم يقف عليه ابن عبدالجبار ولا اهتدى إلى موضعه من بيوت الأموال، وغير ذلك من نفيس الأعلاق والجواهر والأمتعة العالية والآنية وماشبه ذلك فاحتوى ابن عبدالجبار على الجميع"[٢].

---

١ - الحلة السيراء: ١٢٦/١.

٢ - البيان المغرب ٧٦/٣.

الفصل الثاني

النظام الإداري والمالي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النظام الإداري

المبحث الثاني: النظام المالي



النظام الإداري

عندما حكم القوط اسبانيا لم يضعوا لها تقسيماً إدارياً، فقد أخذوا بالتقسيم الروماني الذي وجدوه في البلاد عند دخولهم، فهو يقسم اسبانيا إلى قسمين إداريين كبيرين، يحكم كل منـــهما موظـــف كـــبير يلقـــب بروكنسل "**Proconcul**" أولاً، ثم لقب برايتور "**Praetor**" فيما بعـــد، وهذان القسمان هما: اسبانيا الـــدنيا "**Hispania Citerior**" واســـبانيا القصوى "**Hispania Ulterior**" والتي انقسمت بـــدورها إلى ولايـــتي "بيطي **Betica**" و "لشدانية **Lusitania**" وذلـــك ســـنة ٢٧ ق.م. ثم ظهرت ولاية اسبانيا الـــدنيا الجديـــدة الأنطونيـــة " **Hispania Nova Citerior Antoniana**" وتضم إقليمي جليقية وأشتريش، بعد ذلـــك ظهرت ولايتـــا اســـبانيا الطركونيـــة "**Hispania Tarraconensis**" واسبانيا القرطاجنية "**Hispania Cartaginensis**".

وهذا التقسيم يصل بنا إلى تقسيم دقلديانوس الأخير الذي ينســـب إلى قسطنطين، الذي بمقتضاه أصبحت اسبانيا ديوقنية "**Diocesis**" -أي عملا كبيرا بالمصطلح العربي- تابعة لمديريـــة الغـــالتين " **Pracfectura Galliarum**" داخلة في القسم الغربي من الدولة الرومانيـــة، وبمقتضـــاه أصبحت اسبانيا تضم ست ولايـــات "**Provinciae**" وهـــي: باطقـــة ولشدانية، وجليقية، والولاية الطركونية، والولاية القرطاجنية، ثم أضفيت

إليها مرطانية الطنجية "**Mauretania Tingitana**" والجزائر الشـــرقية "**Prpvincia Balearica**"[(١)].

وقد أورد أبو عبيد البكري في جغرافيته نصاً أكثر تفصيلاً وأهميـــة للتقسيم الإداري أيام الرومان، بل أيام المسلمين، وهـــذا الـــنص يقســـم الأندلس إلى ست مناطق، جعل الجزء الأول من مدينة نربونه وهو حـــد مابين غاليوش وبين الأندلس، وأضاف إليها سبع مدن مما حواليها، وهي: بَطرِّش "**Beziers**" وطليوشـــة "**Tolose**" ومقلونـــة "**Maguelonna**" ونومشو "**Nemauso**" وقرقشونة "**Carcassonne**".

وجعل الجزء الثاني: من مدينة براقرة "**Bracara**" وهو حوز جليقية وشلطانية "**Saldana**" وهو بلد ابن غُومِس. وجعل لها اثني عشر مدينـــة مما حواليها، منها: مدينة برطقال "بورتو **Porto**" ومدينة توذى "**Tude**" ومدينة أوريـــة "**Auria**" ومدينـــة لكُّـــه "**Lugo**" ومدينـــة برطانيـــة "**Britonia**" ومدينـــة اشـــترقة "**Astorga**" ومدينـــة شـــانت يـــاقو "**Santiago**" ومدينة إيرية "**Iria**" ومدينة بطقة ومدينة شارّة "**Sarria**".

وجعل الجزء الثالث: من مدينة طَرَّكُونَة "**Tarrgona**"وأضـــاف إليها مدينة سرقسطة "**Zaragoza**" وأشقة "**Huesca**" ولاردة "**Lerida**" وطرطوشة "**Tortosa**" وتطيلة "**Tudela**" وأعمال بلد ابن شانجو كلها وبلد بَلْيارش "**Pallars**" وبرشلونة "**Barcelona**" وجُرُندة "**Gerona**"

---

١ - انظر: د.حسين مؤنس، فجر الأندلس ص٥٣٥-٥٣٨.

ومدينة أَنْبور [يش] "Ampurlas" ومدينة بنبلونة "Pamplona" ومدينة أُوقـة "Oca" ومدينـة قَلَهُـرَّة "Calahorra" ومدينـة طرَسَـونة "Tarazona" ومدينـة أمايـة "Amaya".

وجعل الجزء الرابع: عشرين مدينة، قاعدتها مدينة طليطلـة "Toledo"، وأضاف إليها مدينة أوريط "Oreto" ومدينة شَغُوبَية "Segovia"ومدينة أَرْكَبيقة "Ercavica" ومدينـة وادي [الحجـارة] "Guadalajara" ومدينة شِغُونْسَة "Siguenza" ومدينة أكشُمة "Oxuma" ومدينة بلنسية "Valencia" ومدينة بلازيا ومدينة أوريولة "Orihuela" ومدينة ألـش "Elche" ومدينة شاطبة "Jativa" ومدينة دانية "Denia" ومدينة بياسة "Baeza" ومدينة قسطلونة "Gazlona" ومدينة منتيشـه "Mentesa" ومدينة وادي آش "Guadix" ومدينة بسـطة "Baza" ومدينـة أرش "Urci" وهي بجانة "Pechina".

وجعل الجزء الخامس: قاعدته مدينة ماردة "Merida"، وأضـاف إليها اثنتي عشرة مدينـة وهـي: باجـة "Beja"، ومدينـة أكشـونبة "Ocsonoba" [ومدينة صيوتلة؟] ويابرة "Evora" وشنترة "Cintra" وشنترين "Santarem"والأشبونة "Lisbona " وقلنبرية "Coimbra" وقورية "Coria" وشلمنقة "Salamanca"وصمورة "Zamora"، وهي محدثة بَرًا إلى شنت ياقوب "Santiago de Compostela."

وجعل الجزء السادس: قاعدته مدينة إشبيلية "Seville"، وأضـاف إليها لبلة "Niebla" وقرطبـة "Cordoba" وقرمونـة "Carmona"

ومورو "Moron" ومرشانة "Marchena" والجزيـــرة "Algeciras" وتاكرنا "Takurunna" وريه "Rejio" وأشونة "Osuna" وإســـتجة "Ecija" وقبرة "Cabra" وأعمالهـــا إلى بجانـــة "Pechina" وإلـــبيرة "Elvira" وجيان "Jaen" ومنتيتة "Mentesa" وباركتة "Bakartah" وأبدة "Ubeda"وبياسة "Baeza"[1].

وبناء على ماسبق فيمكن القول بكل اطمئنان بأن المســـلمين قـــد وجدوا عند دخولهم شبه الجزيرة الأيبرية، تقسيماً إدارياً ثابتـــاً للـــبلاد، فساروا عليه، مع إجراء بعض التعديلات الشكلية التي اقتضتها الأحـــوال الجديدة، واستبدلوا ماوجدوا من التسميات والمصطلحات بما حملوه معهم من المشرق[2]، ومما يؤيد هذا الرأي هو ذلك الاتفاق العجيب بين المصادر الجغرافية الأندلسية عند حديثها عن التقسيم الإداري في الأندلس[3].

ومن الواضح أن هناك تشابهاً في الأسس التي سار عليها كل مـــن الرومان والمسلمين في تقسيماتهم الإدارية، فقد كانت المدينة هي الأساس الذي قام عليه التنظيم الإداري الروماني، وكانت المدن هي المراكز الـــتي اعتمد عليها المسلمون في الحكم والإدارة [4].

---

١ - جغرافية الأندلس وأوربا، ص ٥٩-٦٤.

٢ - فجر الأندلس، ص ٥٣٦.

٣ - المصدر السابق، ص ٥٣٥.

٤ - نفسه ص ٥٤٦.

ولقد كان الإتجاه الإداري في الأندلس يميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيراً لضبط الأمن وربط المال، واكتفى المسلمون بالكور، كل كورة تتبعها مدن وكل مدينة تتبعها أقاليمها أو زماماتها، وهذا النظام أدى بدوره إلى تبسيط السلم الإداري، فالإدارة المركزية يتبعها عمال الكور، وعمال الكور يتبعهم عمال المدن، وهم المسئولون عن زمامات المدن وأقاليمها، وجرت العادة أن يعين عامل المدينة عاملاً خاصاً بالمدينة نفسها يسمى صاحب المدينة[١].

وفي ظل المسلمين عرفت الأندلس نظام الأجناد أو الكور المجندة، وهو النظام الذي أخذه المسلمون عن البيزنطيين[٢]، والمراد به ولايات عسكرية يترلها جند، ويسميها العرب بند والجمع بنود، وهي تقابل الثغور ويحكمها قائد عسكري.

ولم يعرف نظام الأجناد إلا في الشام، ومنها انتقل إلى الأندلس، وذلك على أيام أبي الخطار الكلبي[٣] سنة ١٢٥هـ (٧٤٣م) مع اختلاف

---

١ - نفسه ص ٥٥٤-٥٥٥.

٢ - عبدالعزيز عبدالله السلومي، ديوان الجند، نشاته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون. (مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ط الأولى ١٤٠٦هـ)ص٣٢٨-٣٣٦.

٣ - أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي، دمشقي من خيار أهل الشام، شاعر فارس، ولي إمارة الأندلس سنة ١٢٥هـ، وعلى يديه خمدت فتنة كانت قد اندلعت بين المسلمين هناك، وهو الذي فرق العرب الشاميين على الكوز، ورغم أن=

واحد أن الجند في الشام كان يضم كوراً كثيرة، أما في الأندلس فكـــان يقابل كورة واحدة[١].

وقد ذكر العذري أن الكورة أو المدينة في الأندلس قد قسمت إلى مدن أو نواح لكل منها حوز يسمى إقليماً، وإلى جانب الأقاليم أقســـام إدارية أخرى تسمى الأجزاء، وهو يورد هذه الأجـــزاء بعـــد الأقـــاليم مباشرة[٢].

وبذلك نرى أن المسلمين حين قسموا الأندلس تقسيماً إدارياً ساروا على ماوجدوه مع تكييفه على نحو يتفق مع ظروفهم في شـــبه جزيـــرة ايبيريا، دون أن يغيروا أساسه، فقد ظلت المدينة هـــي الأســـاس تتبعهـــا الأرض، وحينما حولوا بعض المدن إلى كور ظلت المدينة أساس الكورة ، و لم تكن الكورة هي الأساس تتبعها المدينة[٣].

=أبا الخطار كان موضع رضى الشاميين والبلديين، إلا أنه في سنة ١٢٨هـــ انحـــرف في سياسته، فتعصب لليمانية، فآل به الأمر إلى الخلع والفرار إلى جهـــة باجـــة في غـــرب الأندلس، ثم حاول العودة لاستلام الإمارة، إلا أنه هُزم ومن معه في معركة عُرفت بأنها قاطعة الأرحام وقعت بشقندة، وتم القبض عليه، وقتل صبراً أواخر سنة ١٣٠هـــ.انظر: ابن القوطية، ص ١٩-٢١. أخبار مجموعة، ص ٤٥-٤٦، ٥٦-٦٠. جذوة المقتـــبس، ترجمة رقم ٤٠٢، الحلة السيراء، ١/٦١-٦٦.

١ - فجر الأندلس، ص ٥٥٥.

٢ - نصوص عن الأندلس، ص٢٠.

٣ - فجر الأندلس ص ٥٨٧.

والمدينة في الأندلس تتبع المعنى الروماني، فهي نواة لإقليم أو أقاليم كل أهلها يعتبرون من أهل المدينة، وهي بذلك تختلف عن معناها في المشرق الذي تعتبر فيه المدينة عبارة عن مجموعة من الأبنية يحيط بها سور.

وقد اقتضى الأمر اعتبار الكثير من مدن الجنوب في الأندلس وحدات مستقلة، فجعلوها كورا، ذلك لأن مركز الثقل في الأندلس كان في الجنوب، من أجل هذا صغرت مساحات الكور في الجنوب بينما اتسعت في الشرق والغرب، وأما في الوسط ونواحي الشمال فقد ظلت مدناً بالمعنى الروماني القديم، لها أحواز وفي أحوازها تقع مدناً أخرى ذات أحواز[1].

كما جرت العادة أن تسمى المدينة الرئيسة بالأم والجمع أمهات، والمدن الفرعية بالبنات، مفردها بنت، وقد تتحول الأم إلى بنت إذا زادت عليها في العمارة احدى بناتها، قال الحميري في كلامه عن طرسونه "…. ثم عادت طرسونة من بنات تطيلة عند تكاثر الناس بتطيلة، وإيثارهم إياها لفضل بقعتها واتساع خطتها"[2].

ومن غير الميسور الآن تقدير حوز كل كورة ومدينة، أو رسم خريطة دقيقة للأندلس وتقسيماتها الإدارية، لأن مالدينا من معلومات في المصادر الجغرافية التي وصلت إلينا لاتعين على ذلك[3].

---

١ - المرجع السابق ص ٥٨٨.

٢ - الروض المعطار، ص ٣٨٩.

٣ - فجر الأندلس، ص ٥٩٠.

وقد ذهب بروفنسال إلى أنه من الممكن رسم صورة كاملة للتقسيم الأداري للأندلس بالاستعانة بكتب التاريخ، وهذا صحيح، ولكن مابين أيدينا من أصول تاريخ الأندلس مبتور من مواضع شتى كما هو الحال في جغرافية العذري[1]، وقد أحصى بروفنسال سبعاً وعشرون كورة غير الثغور، وهذه الكور هي قرطبة، فحص البلوط، قبرة، استجة، إشبيليه، قرمونة، لبله، اكشونبه (شلب) باجه،مورور، شذونه (قلسانه) الجزيرة الخضراء، تاكرنا، ريه، إلبيرة، جيان، بجانة، تدمير، شاطبة، بلنسية، طليطلة، طلبيرة، ماردة، بطليوس، شنترين، لشبونة، قلمرية[2].

وقد علق الدكتور حسين مؤنس على هذه القائمة بقوله: قد تكون هذه هي كور الأندلس في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلا أنه نظراً لعدم وقوفنا على إحصاء كامل لما في كتب التاريخ من معلومات، فإننا لانستطيع مناقشة ماذكره بروفنسال[3].

وإذا أتينا إلى تعريف الكورة، نجد ياقوت يعرفها بقوله "الكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة، كقولهم: دار بجرد، مدينة بفارس لها عمل واسع يسمى ذلك العمل بجملته كورة دار بجرد، ونحو نهر الملك، فإنه نهر

---

١ – المصدر السابق، ص ٥٩٠.

٢ – L.Prorencal OP. Cit. V,III,P: 49-51.

٣ – فجر الأندلس، ص٥٩١.

عظيم مخرجه من الفرات ويصب في دجلة، عليه نحو ثلاثمائة قرية، ويقال لذلك جميعه نهر الملك"[١].

وإذا أتينا إلى الأندلس نجد أن التعريف الذي أدلى به ياقوت ينطبق على الكورة، إذ نجد أن لكل كورة عملاً واسعاً ولها قصبة أو حاضرة.

فكورة إشبيلية -مثلا- تنسب إلى حاضرتها[٢]، بينما نجد كوراً أخرى لاتنسب إلى حواضرها، فكورة شذونة حاضرتها مدينة شريش[٣]، وكورة ريُّه حاضرتها أرشذونة[٤]، وكورة موروور حاضرتها مدينة شَلْب[٥].

وكل قسم إداري سواء كان مدينة أو كورة ينقسم إلى أقاليم، والإقليم عند أهل الأندلس هو "كل قرية كبيرة جامعة فإذا قال الأندلسي: أنا من إقليم كذا، فإنما يعني بلدة، أو رستاقا بعينه"[٦].

فكورة إشبيلية يتبعها من الأقاليم: إقليم المدينة، إقليم ألية، إقليم السهل، إقليم الشعراء، إقليم البصل، إقليم طالقة، إقليم الشرف، إقليم الوادي، إقليم طشانة، إقليم الفحص، إقليم قرطشانة، إقليم المنستير[١].

---

١ - معجم البلدان، ١/٣٦-٣٧.

٢ - تعليق منتقى، ص٢٩٢-٢٩٣.

٣ - المصدر السابق ص٢٩٤.

٤ - نفسه، ص ٢٩٤.

٥ - نفسه ص ٢٩٥.

٦ - معجم البلدان، ١/٢٦.

وكل إقليم يكون متبوعاً بعدد كبير من القرى، فقرطبة كان يتبعها خمسة عشر إقليميا، إقليم المدور: عدد قراه تسعون قرية، إقليم القصب: عدد قراه سبعة وثمانون قرية، إقليم لوره: عدد قراه أربعة وستون قرية، إقليم الصدف: عدد قراه ثمانية وعشرون قرية، إقليم بني مسرة، عدد قراه سبع عشرة قرية، إقليم منيانة: عدد قراه ست وعشرون قرية، إقليم كرتش: عدد قراه ستون قرية، إقليم القتل: عدد قراه ثمان وأربعون قرية، إقليم الهزهاز: عدد قراه ثلاث وسبعون قرية، إقليم وابة الملاحة: عدد قراه أربعة وثمانون قرية، إقليم وابُه الشعراء: عدد قراه أربع وتسعون قرية، إقليم أولية السهلة: القرى مائة قرية وقريتان[٢].

من هنا يتضح أن الأقاليم كانت محددة تحديداً دقيقاً لمعرفة مايترتب على كل منها من الناحية المالية، وعلى هذا فالإقليم كانت الدولة تنظر إليه على أنه وحدة مالية، كما أن أسماء معظم الأقاليم ليس عربياً، مما يدل على أن الإقليم بحدوده واسمه كان موجوداً قبلهم[٣].

وهكذا يتضح مما مضى أن كل قسم إداري ينقسم إلى عدة أقاليم، وكل إقليم يكون متبوعاً بعدد من القرى، ويطلق على كل

---

١ - جغرافية الأندلس وأوربا، ص ١١٥.

٢ - نصوص عن الأندلس ص ١٢٤-١٢٧.

٣ - فجر الأندلس، ص٥٨٣.

مايدخل في حوز القسم الإداري اسم عمل[١]، أو حوز[٢]، أو نظر[٣]، أو ولاية[٤].

خطة عمالة الكور

قبل وصول الأمير عبدالرحمن الداخل للأندلس، لم تورد المصادر الأندلسية أي ذكر لعمال الكور هناك، وإنما هناك زعامات قبلية تتولى السيطرة على مساحة شاسعة من الأراضي.

لأجل هذا، نجد الأمير عبدالرحمن الداخل قد عمل جاهداً على إحلال سلطة الدولة مكان سلطة القبيلة، وبدأ بهذه الخطوة الهامة عقب انتصاره في معركة المصارة مباشرة، إذ لم ينكل بمعارضيه من القيسية، كما أنه منع أنصاره اليمانية من السلب والنهب[٥].

وبعد أن استتب الأمر في الأندلس للأمير عبدالرحمن الداخل، عمد إلى تعيين الولاة على الكور، واختار في البداية الزعماء القبليين ليكونوا

---

١ – الروض المعطار، ص٤٦٩،١١٥.

٢ – تعليق منتقى، ص٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٠.

٣ – الروض المعطار، ص ٣٥٠.

٤ – المصدر السابق، ص ٤٦٩.

٥ – أخبار مجموعة، ص ٩٠.

ولاة في مناطق سيادهم، فجعل أبا الصباح حي بن يحيى اليحصبي[١] والياً على إشبيلية[٢]، وسليمان بن يقظان[٣] على برشلونة[٤].

---

١ - أبو الصباح حي بن يحيى اليحصبي، زعيم العرب اليمانية في إشبيلية فارس شجاع، لبى دعوة الأمير عبدالرحمن الداخل وبايعه، واشترك معه في معركة المصارة، ومن ثم تغيرت عليه نفس الأمير عبدالرحمن الداخل بسبب مؤامرة كان أبو الصباح يدبرها ضده. انظر: ابن القوطية، ص٢١-٢٢، ٢٥،٣٠. أخبار مجموعة ص ١٠٥، ١٠٦ ، ١٠٧. الكامل في التاريخ، ١٢٣/٥، ١٨٩. الحلة السيراء، ٥٩/١-٦٠. البيان المغرب، ٥٢/٢، ٥٣.

٢ -أخبار مجموعه، ص١٠٥.

٣ - سليمان بن يقظان الكلبي أحد وجوه العرب في منطقة الثغر الأعلى، كان أحد الزعماء ذوي الطموح، أعلن تمرده ضد الأمير عبدالرحمن الداخل سنة ١٥٧هـ وهزم جيشه وأسر قائده سنة ١٥٨هـ ومن ثم تواطأ مع شارلمان، وأرسل إليه بخطة مع ثقاته، مقابل تسليمه بعض المواقع في شمالي اسبانيا، ورغم الحملة الكبيرة التي قادها شارلمان ضد الأندلس، إلا أنه هزم وسحقت مؤخرة جيشه، وعاد سليمان إلى سرقسطه بعد إنقاذه من أسر شارلمان، وأعلن التمرد مرة أخرى ضد الأمير عبدالرحمن الداخل، إلا أن الأخير دبر عملية اغتياله فتخلص منه وذلك سنة ١٦٤هـ. انظر: أخبار مجموعة، ص ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤. العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٦،٢٥. البيان المغرب ٥٨/٢. أرسلان، غزوات العرب، ص ١١٧-١٢٠، ١٢١. د.إبراهيم طرخان، المسلمون في أوربا، ص١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧- ١٧٨، ١٨٣. كارلس ديفز، شارلمان، ص ١٠٢، ١٠٠. السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٢٣٤.

٤ - أخبار مجموعه، ص ١١٠.

ويبدو أن الأمير الداخل قد قام بهذه الخطوة، رغبة منه في استمالة القوى القبلية حتى يقوى أمره، ومن ثم يفرض رؤيته الخاصة عن نظام الحكم والإدارة، فهو رغم إدراكه لما كان قد أضمره له أبو الصباح بعد معركة المصارة[1]، إلا أنه ولاه إشبيلية إلى حين تأتي الفرصة المناسبة للقضاء عليه بهدوء، وهو ماحصل، فقد أصدر الأمير أمراً بعزل أبي الصباح عن منصبه إضعافاً لأنصاره الذين كثرت حركات تمردهم على إمارة قرطبة، ولأن أبا الصباح رفض تنفيذ الأمر، فقد أعلن عن عصيانه وتمرده، فأرسل له الأمير كتاب أمان استدرجه به إلى قصر قرطبة، وهناك قضى عليه وذلك سنة ١٤٩هـ[2] (٧٦٦م) ثم عزل جميع الزعماء القبيليين الذين لم يرق لهم الانصياع لنظام الحكم الجديد، وعين بدلاً منهم أمراء من البيت الأموي، أو الموالي أبناء البيوتات المساندة، فقد جعل حبيب بن عبدالملك[3] والياً على طليطلة[4]، وعبدالملك بن عمر بن

---

١ – المصدر السابق، ص ٩١.

٢ – نفسه ص ١٠٥-١٠٧. الحلة السيراء، ٥٩/١-٦٠. البيان المغرب، ٥٣/٢.

٣ – أبو سليمان حبيب بن عبدالملك بن عمر بن الوليد بن عبدالملك بن مروان، هو جد الحبيبيين الذين بقرطبة ورية، كانت له منزلة خاصة لدى الأمير عبدالرحمن الداخل لم تكن لأحد سواه، ولاه طليطلة وأعمالها، وكان دائم الاستشارة له، توفي حبيب في أيام الأمير عبدالرحمن الداخل، فشهد جنازته ومعه ستة من ولده. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٨٩-٩٠. الحلة السيراء، ٥٩/١-٦٠.

٤ – الحلة السيراء ٥٩/١-٦٠.

مروان[١] والياً على اشبيلية وولده عبدالله[٢] على مورور[٣]، كما جعل عبدالسلام بن بسيل مولى هشام بن عبدالملك على عدة كور[٤].

ووجود والٍ أو عامل في كورة، الغرض منه القيام بإدارة هذه الكورة وتصريف شئونها الإدارية والعسكرية والمالية وغيرها، نيابة عن الأمير أو الخليفة، وتمثيله في جميع المناسبات التي تجري في تلك الكورة.

ويمكن القول بأن تعيين العمال في الكور والثغور يخضع لاعتبارات خاصة، فلا يمكن اعتبار عمالة كورة داخلية مثل أهمية عمالة أحد الثغور

١ - أبو مروان عبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم، قعيد الأمويين في وقته وفارسهم، دخل الأندلس سنة ١٤٠هـ ومعه عشرة من بنيه كل منهم فارس، وقد كان له الأثر الكبير في تثبيت حكم الأمير عبدالرحمن الداخل وبالذات في بداياته، ولذا فقد كافأة الأمير بأن استوزر بنيه، وزوج ابنته كنزه من ابنه هشام. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٧-١٠٨. الحلة السيراء، ١/٥٦-٥٧، أخبار مجموعة، ص ٩٥-٩٩.

٢ - عبدالله بن عبدالملك بن عمر، قدم مع أبيه من مصر، ودخل الأندلس سنة ١٤٠هـ، كان فارساً قاد الجيوش ضد يوسف الفهري وأبلى في حربه وقد قتل عبدالله على يد أبيه وذلك بسبب فراره من إحدى المعارك . انظر: الحلة السيراء، ١/٥٦.

٣ - الحلة السيراء ١/٥٦. مورور، تقع على سفح جبل يحمل نفس الاسم Sierra de Moron، كانت في بداية الأمر كورة قاعدتها تحمل نفس الاسم، إلا أن المعتمد بن عباد ضمها إلى إشبيلية سنة ٤٣٨هـ ومنذ ذلك الحين أصبحت مورور وأقليمها من توابع إشبيلية، وقد سقطت مورور في يد فرناندو الثالث سنة ٦٤٦هـ. وهي اليوم مركز إدري تسمى Moron. انظر: الحلة السيراء، ٢/٣٧١، حاشية رقم (١).

٤ - الحلة السيراء، ٢/٣٧١.

البرية أو البحرية، فقد حرص الأمويون على أن يكون ولاة الثغور من رجال الحرب، الذين يتميزون بالكفاية الإدارية والحربية، فالأمير عبدالرحمن الداخل على سبيل المثال أسند ولاية وشقة وطرطوشة وطرسونة لأحد نقباء دولته تمام بن عامر الثقفي[١]. الذي أظهر براعة فائقة في القدرة على مواجهة حركات التمرد والعصيان والقضاء عليها[٢].

ونظراً لأهمية وجود الخبير بشئون البحر، نجد الأمويين يسندون أمر عمالة أو إدارة الثغور البحرية لرجال لهم الدراية الكافية في هذا المجال، فقد عمد الأمير عبدالرحمن الداخل إلى تولية الرماحس بن عبدالعزيز[٣]

---

١ - الحلة السيراء ١٤٣/١. أبو غالب تمام بن علقمة الثقفي، دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر، وكان أبو غالب أحد النقباء القائمين بدولة الأمير عبدالرحمن الداخل، تقلب في المناصب الوزارية والولايات كما قاد الجيوش وعُمِّر طويلاً وتوفي في آخر دولة الأمير الحكم الربضي. انظر: الحلة السيراء ١٤٣/١.

٢ - البيان المغرب ٥٣/٢.

٣ - الرماحس بن عبدالعزيز بن الرماحس بن الرُّسارس الكناني، كان على شرطة الخليفة الأموي مروان بن محمد، وبعد سقوط الدولة الأموية، هرب الرماحس إلى الأندلس، فولاه الأمير عبدالرحمن الداخل على الجزيرة، إلا أنه لم يلبث أن أعلن التمرد، فلم تمض مدة عشرة أيام على تمرده إلا والأمير عبدالرحمن على رأس قواته يهاجم الجزيرة، فلم يجد الرماحس بداً من أخذ أهله والهرب إلى سبته ومنها إلى المشرق، وذلك سنة ١٦٤هـ، انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ١٨٩. أخبار مجموعة، ص ١١٢. نصوص عن الأندلس، ص ١١٧-١١٨. إلا أنه جعل الحركة سنة ١٥٥هـ .البيان المغرب ٥٦/٢.

ثغر الجزيرة الخضراء[١]، ويعتبر الرماحس باني مجد بيت بني الرماحس في الأندلس، وقد اشتهر أبناء هذه الأسرة فيما بعد بالمهارة الفائقة في قيادة الأساطيل الحربية الأندلسية، ولعل عبدالرحمن بن محمد بن رماحس كان أشهر أبناء أسرته في تاريخ الدولة الأموية[٢].

ونجد في عصر الإمارة، أن العديد من أبناء البيت الأموي كانوا عمالاً للكور، وغالباً مايتم إسناد الولايات المهمة لهم، فبالإضافة إلى من تولوا العمالة من الأمويين في عهد الأمير الداخل، كان الأمير عبدالرحمن الأوسط قد جعل ولاية كورة إلبيرة مداولة بين ولديه الحكم وعبدالله[٣]،

---

١ - نصوص عن الأندلس ص ١١٧-١١٨. البيان المغرب ٢/٥٦. الجزيرة الخضراء: كورة تشتمل على عدة مدن قاعدتها مدينة الجزيرة الخضراء، تقع في الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الأيبيرية في مواجهة سبتة، وبجوارها جبل طارق. وقد سقطت بأيدي النصارى سنة ٧٤٧هـ ثم استردها محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة وذلك سنة ٧٧١هـ إلا انه دمرها تدميرا كاملاً لئلا يستفيد منها النصارى أو بني مرين في المغرب وهي اليوم مركز إداري في مديرية قادس ويكتب اسمها Algeciras. انظر: نصوص عن الأندلس، ص ١٢٠. الحلة السيراء، ٢/١٩٩ حاشية رقم (٣). الروض المعطار، ص ٢٢٣-٢٢٤. الحلل السندسية، ١/٨١ ومابعدها.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٤، ٢٨، ٥٨، ٨٠، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ٩٨، ١٠٥، ١١٦، ٢١٦.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٧.

بينما كان أخوهما محمد والياً على مارده[١]، وأما مسلمة بن الأمير محمد بن عبدالرحمن فقد كان والياً على كورة شذونة[٢].

وفي عصر الخلافة لم نعد نسمع بذكر ولاة للكور من أبناء البيت الأموي، إلا أنه كان هناك ولاة من القرشيين[٣].

وهناك من يتم الإسجال له على نصف مدينة فقط، فالأمير محمد بن عبدالرحمن عندما كان في إحدى غزواته حل بطليطلة وأصلح شأنها، وبسبب اختلاف أهواء أهلها في عمالهم، فقد قسمها الأمير بين مطرّف بن عبدالرحمن ومنافسه طربيشة بحيث يلي كل واحد منهما جانباً، وذلك سنة ٢٥٩هـ (٨٧٣م)[٤].

وأحياناً يتم الإسجال لأحدهم على ولاية إحدى النواحي، مكافأة له، وهذا مافعله الأمير محمد بن عبدالرحمن، فقد مر أثناء عودته من إحدى مغازيه بأرض شنت برية، فاعتل له خصي من أكابر خصيانه الخلفاء، فتركه عند ذي النون بن سليمان[٥]، فمرَّضه وعالجه إلى أن برئ

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٧٣.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢١١.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٥٦،٣٧٧.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٢٩-٣٣٠، وما ورد في التعليقين رقم: ٥٤٠،٥٤١.

٥ - ذو النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح (الداخل منهم إلى الأندلس) بن وردحيقن الهواري، واسم ذو النون اسم شائع في البربر بـ"زنون" ولكن=

من علته، ثم جاء به بنفسه إلى قرطبة، فكافأة الأمير محمد بأن أسجل له على ناحيته وقدمه على قومه وذلك سنة ٢٦٠هـ[1] (٨٧٤م).

وهناك كور بقيت مدة دون عمال، ففي سنة ٢٧٧هـ (٨٩٠م) غدر عمر بن حفصون بخير بن شاكر[2] القائم بدعوة المولدين والعجم ضد العرب بشوذر ونواحيها من كورة جيان، فقتله وبعث برأسه إلى

=مع استقرار هذه العائلة في الأندلس تصحف الاسم إلى ذي النون وقد كان لهذه العائلة الزعامة منذ أن حل السمح باني مجدها في شنت برية. والأمير محمد بن عبدالرحمن هو الذي نوه بذكر هذه الأسرة ورفع شأنها بسبب عناية ذو النون بخصي الأمير، وقد ظل ذو النون معترفاً بفضل الأمير مستمسكاً بالطاعة إلى أن توفي سنة ٢٧٤هـ. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٤١-٣٤٢. والمقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٧-١٨. البيان المغرب، ٢٧٦/٣.

١ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٣٤١.

٢ - خير بن شاكر، أحد المولدين الذين أعلنوا التمرد ضد الدولة الأموية، كان شديد البغض للعرب ولأجل ذلك قام بدعوة المولدين والعجم سن ٢٧٦هـ، هاجم أماكن تجمع العرب حول غرناطة فأوقع بهم وأباد خلقاً منهم، ولأنه كان حليفاً لعمر بن حفصون وديسم بن إسحاق، فقد تمكن الأمير عبدالله بن محمد من إفساد ضمير ابن حفصون على خير بن شاكر، فكانت النتيجة أن ذهب الأخير ضحية ذلك، حيث قتله غدراً أحد رجال ابن حفصون وبعث الأخير برأس خير إلى الأمير عبدالله وذلك سنة ٢٧٧هـ. انظر: المقتبس، تحقيق أنطونيه ص ٢٤. البيان المغرب، ١٢٢/٢، ١٢٣.

الأمير عبدالله بن محمد، وبسبب ذلك أقامت جيان وإلبيرة مدة دون عامل من الأمير[1].

وإذا اتفقت كلمة أهل بلد على تقديم أحدهم ليكون والياً عليهم، نجد أن حكومة قرطبة لا تعارض فعندما اتفق أهل بجانة والمرية سنة ٣٠٣هـ (٩١٦م) على تقديم مسعود بن علي مكان أخيه قاسم بن علي وافقهم الأمير على ذلك، وعينه والياً عليهم.[2]

ويتم أحياناً الإسجال لإحدهم على نصف كورة، فقد أسجل الخليفة الحكم المستنصر بالله لأصبغ بن محمد بن فطيس على نصف كورة ريَّة، وذلك في يوم الاثنين لخمس خلون من رمضان سنة ٣٦١هـ[3] (يونيو ٩٧٢م).

كما يتم أحياناً عقد ولاية لأحدهم على إحدى الكور إتقاء لشره، وهذا النمط برز بوضوح في عهد الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥-٣٠٠هـ (٨٨٨-٩١٢م) فقد أسجل للب بن محمد بن لب بن موسى القسوي[4] على

---

١ - المقتبس، تحقيق: أنطونية ص ٢٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ١١١.

٣ - المصدر السابق، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٧٧.

٤ - لُبّ بن محمد بن لُبّ بن موسى بن موسى بن فرتون بن قسي، وكان ولاء أسرته للخليفة الوليد بن عبدالملك وهي إحدى الأسر المتنفذة في الثغر الأعلى الأندلسي، ومنذ سنة ١٩٤هـ بدأت هذه الأسرة تمردها ضد الإمارة الأموية، إلا أن العلاقة بين=

تطيله[١] وطرسونة[٢] وأعمالها إتقاء لشره وكفاً لأذاه[٣].

=الطرفين تحسنت منذ سنة ٢٣٥هـ، وبعد اغتيال محمد بن لب سنة ٢٨٥هـ، سار ابنه لب على خطاه ثم أظهر الطاعة للأمير عبدالله بن محمد، فأسجل له على بعض أراضيه، واستمر لب في زعامته إلى أن قتل في إحدى المعارك ضد نصارى نافار سنة ٢٩٤. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ١٦١، ٣٠٧، ٣١٨- ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٣٨، والتعليق رقم ٣٣١. المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١٧، ١١٨. نصوص عن الأندلس، ص ٢٩، ٣٦، ٣٧-٣٨. البيان المغرب، ٢/ ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣. السامرائي، الثغر الأعلى، ص٢٨٩-٢٩٠، ٢٩٢، ٣٠٠-٣١٢، ٣١٦-٣٢١، ٣٢٢-٣٣٢. أبا الخيل، المرجع السابق، ص ١٨١-١٨٨.

١ - تطيلة Tudela مدينة تقع على بعد ٧٨ كيلو متر إلى الشمال الغربي من سرقسطة، امتازت بطيب المناخ وخصوبة التربة وغزارة المياه، ومن أشهر أنهارها إبره، وتطيلة أقصى ثغور المسلمين، وقد اختطت في عهد الأمير الحكم الربضي بواسطة عمروس بن يوسف، والبلدة لاتزال تحتفظ بطابعها العربي المميز، وحتى القرى والأرياف المحيطة بها لها نفس الصفة، وتطيلة وتوابعها كلها الآن ضمن مقاطعة نبارة Navarra. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص ٧٦. ابن غالب، تعليق منتقى، ص ٢٨٧. ذكر بلاد الأندلس ٧٤/١. الروض المعطار، ص ١٣٣. رحلة الأندلس، ص٢٨٨. تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص ٦٩-٧٠.

٢ - طرسونة Tarazona كانت مستقر العمال والقوّاد بالثغر. وبعد أن اتسعت تطيلة أصبحت طرسونة تابعة لها، والمسافة بينهما أثنا عشر ميلا. انظر: الروض المعطار، ص٣٨٩.

٣ - المقتبس، تحقيق: أنطونية ص ١٧.

وبعد أن تمكن محمد بن عبدالرحمن التجيبي من قتل والي سرقسطة أحمد بن البراء في شهر رمضان سنة ٢٩٦هـ (يونيو ٩٠٩م) كتب التجيبي للأمير عبدالله بن محمد يذم عنده أحمد ابن البراء ويقدح فيه، ويسأله الإسجال له على سرقسطة وماحولها، فلبى الأمير طلبه لعجزه عن مواجهته أو مواجهة غيره[١].

كما أن الأمير عبدالله أسجل لمحمد بن عبدالكريم بن الياس[٢] على بلده "ورد" من كورة شذونه، كفاً لشره[٣].

وإذا كانت حكومة قرطبة غير متأكدة من صدق ولاء من يريد الإسجال له على بلده، وفي الوقت نفسه لاتستطيع رده خائباً، ففي هذه الحالة يتم أخذ أحد أولاد صاحب الطلب ليبقى رهينة بقرطبة مكرماً معززاً، فالأمير محمد بن عبدالرحمن بعد أن أسجل لذي النون بن سليمان

---

١ - المصدر السابق ص ٢١.

٢ - محمد بن عبدالكريم بن الياس، ينتسب إلى قبيلة مغيلة من بربر البتر، كان والده من أنصار الدولة الأموية لكن بعد وفاة الأمير المنذر بن محمد أعلن عبدالكريم تمرده في محلته ورد، وقد أقره الأمير عبدالله بن محمد على محلته مكتفياً منه: إعلان الطاعة، وبعد وفاة عبدالكريم نهج ولده محمد على خطاه، وسعى للفتنة، فراسله الأمير عبدالله وداراه، فأعلن الطاعه وأسجل له الأمير على بلده، وظل على حاله إلى أن استنزله عبدالرحمن الناصر وأسكنه قرطبة وأكرم منزلته وشرف فيها عقبه. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩. المقتبس، تحقيق أنطونية، ص٢٤. نصوص عن الأندلس ص ١١٣.

٣ -المقتبس، تحقيق أنطونيه، ص ٢٤.

على بلده "شنت بريه"[١] وقدمه على قومه، ارتهن منه بعض ولده وذلك سنة ٢٦٠هـ (٨٧٤م)[٢].

وعندما يتم تعيين أحد الولاة عاملاً في إحدى الكور، لابد من إصدار ظهير له في هذه المناسبة من قرطبة، وقد حفظت لنا المصادر ظهيراً أصدره الخليفة الحكم المستنصر بالله لأصبغ بن محمد بن فطيس في رمضان سنة ٣٦١هـ (يونيو ٩٧٢م) عندما ولاه على نصف كورة ريّة جاء فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنما تستدام النعمة بشكرها، وتعرف النصيحة باستعمالها، وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها، وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة، فاسْعَ للمحافظة عليها بمقدار عقلك وكفايتك، أو بحسب نقصك وتدبيرك، فاستعن بالله وخذ بالرفق في أمرك، وقلة الرغبة في شأنك، واجتنب التحامل على رعيتك فإنها من حفي عناية أمير المؤمنين بموضع لايترك معه البحث عن أحوالها والكشف عن سيرتك فيها إن شاء الله، ورأى تقليدك شطر كورة

١ - شنت بريه Santaver مدينة قديمة البناء، تقع شرقي قرطبة، مع الميل إلى الشمال، بينها وبين طليطلة سبعون ميلاً، امتازات بخصوبة الأرض، وهي قاعدة كورة سميت باسمها، وهي اليوم تعرف باسم Albarracin الواقعة في مديرية ترويل، انظر: ذكر بلاد الأندلس، ٥٨/١، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص ١٠٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٤١-٣٤٢.

ريّه، وهي من أهم كور الأندلس عليه، براً وبحراً، وجباياتها وضـــياعها، فانظر أي خادم تكون، وشاكراً للنعمة تظهر، إن شاء الله"[١].

وكان عمال الكور وقادة الثغور، يقيمون في عاصمة الكـــورة أو الثغر، وهذه العاصمة تعرف باسم القاعدة[٢] أو الحاضرة[٣] أو القصبة[٤].

وبطبيعة الحال فإن قرطبة ومن ثم الزهراء والزاهرة، كانت تحـــوي وزارات إدارية ووزارات خدمات، وكل كورة في الأندلس هـــي مثـــل قرطبة ولكن على شكل مصغر، ففيها القاضـــي وصـــاحب الشـــرطة، وصاحب الصلاة، وصاحب السوق وغير ذلك من وظائف، والكـــورة ترتبط ببيت الوزراء الملحق بقصر الإمارة أوالخلافة، فهو الذي يعيِّن الولاة والعمال، وإليه ترد مكاتبات عمال الكور وقادة الثغور، والوزراء بدورهم يرفعون الأخبار بواسطة الحاجب للأمير أو الخليفة.

وعندما تكون هناك غزوة ويتطلب الأمر حشد قوات من الكـــور، يتولى عمالها إخراج العدد المطلوب من المقاتلين[٥]، كما أن هناك مكتب في حاضرة الكورة يتولى عملية تقدير الضرائب وجمعها وإرسالها لقرطبة، وكان يطلق على متولي شئون المال في الكورة اسم "الأمين" يســـاعده في

---

١ – المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص٧٧.

٢ – الروض المعطار، ص٢٥.

٣ – تعليق منتقى، ص ٢٩١.

٤ – معجم البلدان، ٥١٨/١.

٥ – البيان المغرب، ١٧٦/٢.

ذلك المحصلون ومثمن المحصول، ومن هذه الأموال المجموعة يتم صرف أرزاق موظفي الكورة وجنودها، بينما يرسل الباقي والمسمى الفائض أو المستفاض إلى العاصمة قرطبة[١].

ويبدو أن منصب عمالة الكور، كان فرصة للثراء العريض، وذلك من جراء سطو بعضهم على الأموال الواجب إرسالها إلى قرطبة، ولذا فأحيانا يتم إغرام بعض العمال عند عزلهم، فالأمير عبدالله بن محمد عندما عزل جهور بن عبدالملك البختي[٢] من عمل كورة إلبيرة، أغرمه ثلاثة آلاف دينار[٣].

كما كانت أحياناً تتم مقاسمة العمال أموالهم. وهذا ماكان يفعله الخليفة عبدالرحمن الناصر مع عماله[٤].

---

١ - الحلة السيراء، ١/٢٤١ والحاشية رقم ١.

٢ - جهور بن عبدالملك بن جهور بن يوسف بن بخت الفارسي، جده الأعلى يوسف بن بخت هو أول من ولي الحجابة للأمير عبدالرحمن الداخل، ومنذ ذلك الحين استمر أبناء هذه الأسرة في المناصب ولذا فهي من الأسر الأندلسية الموالية للأسرة الأموية، وقد كان جهور عاملاً على إلبيرة لكن الأمير عبدالله بن محمد عزله عنها لتظلم الرعية منه وعندما عمد الأمير إلى مشاورة الوزراء من أجل إغرام جهور، دافعوا عنه إلا الوزير سليمان بن وانسوس، فإنه هجاه بثلاثة أبيات نالت إعجاب الأمير، فأمر بإغرام جهور ثلاثة آلاف دينار وقال "ياسليمان لو زدتنا في الأبيات لزدنا الحمار في الغرم" انظر: المقتبس، تحقيق د. محمود مكي ص ١٩٢-١٩٣. الحلة السيراء ١/١٦٠-١٦١.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ١٩٢-١٩٣.

٤ - البيان المغرب ٢/٢٢٥-٢٢٦.

ويظهر أن حكومة قرطبة على علم تام بمايختلسه العمال في الكور من الأموال، وأن وظيفة العمالة هي فرصة للإثراء، لأجل هذا نجد أن منصب العمالة يسند إلى أحدهم تعويضاً له عن هدية قدمها للأمير أو الخليفة[١].

وقد عرف عن بني أمية حرصهم الشديد على رعيتهم، ولذا فقد كان يتم إرسال بعض الثقات للثغور والكور لسؤال الناس هناك عن سيرة عمالهم وقادتهم فيهم، ومن ثبت عليه شيء يتم عزله ومعاقبته.

فالأمير هشام الرضا كان يبعث بقوم يثق بهم من أهل العدل إلى كافة الكور والثغور سراً يسألون الناس عن سير عمالهم[٢]، وفعل مثل ذلك الخليفة الحكم المستنصر بالله، فقد أمر صاحب الرد عبد الملك بن منذر بن سعيد بالخروج إلى الكور الغربية شريش ولقنت وأشبيلية ولبله ومورور واستجة وشذونة لمطالعة رعايها والتعرف على أحوالهم والكشف عن سير عمالهم فيهم[٣].

١ - المصدر السابق ٢/٢٢٦.

٢ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١٢٢.

٣ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص ١٠٠.

وإذا قُدمت شكاوى ضد أحد العمال، جرى التحقيق في القضية، فإذا ثبتت الدعوى اقتص من العامل سواء استوجب الأمر عقوبة جسدية أو مالية إضافة إلى العزل عن المنصب[1].

وخطة العمالة من الخطط الهامة في الدولة، فكلما كان العامل حليماً، عاقلاً، عادلاً، كلما عاد ذلك على الدولة بالاستقرار والأمان، إذ أن الرعية لاتتمرد غالباً إلا بسبب جور العمال. ولأجل هذا فقد كان بيت الوزراء في قرطبة لايختار للعمالة إلا الأكفاء ذوي المروءة، لكن الأمر تغير عندما أصبح الوزير هاشم بن عبدالعزيز هو المدبر لدولة الأمير محمد بن عبدالرحمن فقد عدل عن اختيار "العمال من الكهول والشيوخ ومال إلى الأحداث وشاطرهم أرباحهم فكان العمال بذلك يسمون المناصفين ففسد بذلك الأمر[2]" إذ أصبحت المسألة قائمة على مايمكن أن نسميه بيع المناصب، فالعامل بدوره يشتط على الرعية في جمع الأموال لتعويض مادفعه للوزير هاشم بن عبدالعزيز وكل هذا على حساب الرعية، التي تضيق بالأمر، مما يؤدي بالنهاية إلى اندلاع حركات التمرد والعصيان، وهو ماشهدته الدولة الأموية ابتداء من منتصف القرن الثالث الهجري

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٣٤١-٣٤٢. المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص١٠٥. ترتيب المدارك، ٤٦٧/٤. البيان المغرب، ٢٨٣/٢. ذكر بلاد الأندلس، ١٢٢/١.

٢ - ابن القوطية، ص ٧١.

(التاسع الميلادي) واستمر الوضع حتى مطلع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

خطة الكتابة

حرص الأمويون في الأندلس على إيجاد إدارة حازمة تعمل على تسيير شئون دولتهم الإدارية والمالية، وقد عُرفت هذه الإدارة باسم "الكتابة"[١].

وهذه الإدارة هي أعلى أجهزة الدولة، وتقع عند الباب الرئيسي للقصر بقرطبة، والمعروف بباب السدة[٢].

وعندما تحدث ابن سعيد الأندلسي عن الخطط الأندلسية، ذكر أن خطة الكتابة تنقسم إلى قسمين، كاتب الرسائل، وكاتب الزمام[٣].

وقد عرف المكان الذي يعمل فيه كاتب الرسائل باسم ديوان الرسائل[٤]، وكانت مهمة هذا الديوان هي إعداد وصياغة المكاتبات الرسمية التي تصدر عن الأمير أو الخليفة.

---

١ - نفح الطيب، ٢١٧/١.

٢ - الحلة السيراء، ٢٥٣/١. ونظراً لبناء الناصر والمنصور لمدينتي الزهراء والزاهرة، فقد انتقلت هذه الإدارة إليهما تباعاً، مثلها في ذلك مثل بقية أجهزة الدولة، ولكن منذ مطلع القرن الرابع الهجري عاد ديوان الرسائل مع بقية أجهزة الدولة إلى قرطبة وذلك بعد خراب الزاهراء والزاهرة.

٣ - نفح الطيب، ٢١٧/١.

٤ - مقدمة ابن خلدون، ص ٦٨٠.

وصاحب ديوان الرسائل يُعد من أبرز موظفي الدولة ويعرف بكاتب الرسائل، ومن تولى هذا المنصب عند الأمويين أصبح له حظ في قلوب وعيون الأندلسيين، ومن أراد منهم تعظيمه وتكريمه فلا يخاطبه إلا باسم الكاتب[١].

لأجل هذا فقد كانت هناك شروط لابد من توافرها فيمن يلي هذه الخطة الشريفة، وهي أن يكون مسلماً حسن الديانة سليم العقل، عالماً بفنون الكتابة، حافظاً للقرآن الكريم والسيرة النبوية وأخبار العرب القدماء، حافظاً للأشعار، بليغاً، فصيحاً، وقوراً، مهيباً، له معرفة عامة بعلوم النحو، محباً للعلم، قادراً على كتمان السر[٢].

فكاتب الرسائل يحتل أرفع المناصب، وربما يكون هو أقرب الناس للأمير أو الخليفة الأموي، مقدماً على من سواه، مطالعاً له بأسراره التي يظن بها على أخص الأخصاء من الأقارب والوزراء، فهو الذي يتولى الإشراف على فض الرقاع والمراسلات الخاصة بشؤون الإدارة وترتيبها ليعرضها على الأمير أو الخليفة لأخذ رأيه فيها، وكتابة الردود التي استقر الرأي عليها مع إثبات تاريخ وصول الرسالة وتاريخ الرد عليها في سجل خاص[٣]، وعليه فالكاتب هو "لسان الملك عند الخاص والعام"[١].

---

١ – نفح الطيب، ٢١٧/١.

٢ – ابن منجب الصيرفي، ديوان الرسائل، ص ١٠٨، ٩٤.

٣ – المصدر السابق، ص ١١٢، ١٠٨.

من أجل هذا نجد أن الأندلسيين لايكادون يغفلون عن عثرات كاتب الرسائل لحظة، فإن كان نقاصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولامكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه[٢].

وكان يعمل في ديوان الرسائل عدد من الكتَّاب والموظفين، الذين يشترط فيهم أن يكونوا من ذوي الكفاية العالية في فنون الكتابة، إضافة إلى إجادة كل منهم لعمل معيَّن في الديوان.

فهناك كاتب مهمته ترتيب الكتب التي ستعرض على الأمير أو الخليفة وتلخيصها[٣]، وكاتب مختص بكتابة مراسيم التعيين والأحداث الهامة التي تتلى على المنابر[٤]، وكاتب مختص بمكاتبة الملوك[٥]، وآخر لمكاتبة رجالات الدولة وولاتها[٦].

---

١ - ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، (طبع حجر بشكل جداول أو شجيرات، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف، القاهرة ١٢٨٦هـ) ص١٢٦.

٢ - نفح الطيب، ٢١٧/١.

٣ - ابن منجب، ديوان الرسائل، ص١١٦، ١١٧.

٤ - المصدر السابق، ص ١١٩.

٥ - نفسه، ص ١٧٢، ١٧٩.

٦ - نفسه، ص ١٣٠.

ولابد أن يوجد في الديوان مكان خاص بحفظ السجلات والأوامر الصادرة عن ديوان الرسائل[١]، وهذا المكان هو مايعرف بالوقت الحالي باسم "الإرشيف".

ومع التطور الكبير الذي شهدته الدولة الأموية في عصر الخلافة، واتساع المهام الواجب على كل جهاز من أجهزة الدولة القيام بها، نجد الخليفة عبدالرحمن الناصر يصدر أوامره سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) بتوزيع أمور الخدمة السلطانية بين وزرائه، فقلّد الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة، وقلّد الوزير عيسى بن فطيس النظر في كتب أهل الثغور والسواحل والأطراف وغير ذلك، وقلّد الوزير الكاتب عبدالرحمن الزجالي النظر في تنفيذ كل مايخرجه من العهود والتوقيعات، وينفذ به الأمر أو الرأي وغير ذلك، وقلّد الوزير محمد بن حدير النظر في مطالب الناس وحوائجهم، وتنجيز التوقيعات لهم[٢]. ولايصل أحد إلى خطة الكتابة إلا بعد اجتيازه لاختبار يمر به، فإن أثبت كفاءته نال المنصب، فالأمير محمد بن عبدالرحمن عندما أراد تقديم حامد الزجالي[٣]

---

١ - نفسه، ص ١٣٩،١٣٨.

٢ - البيان المغرب، ٢/٢٢٠.

٣ - هو حامد بن محمد بن سعيد الزجالي، ورث مكان والده في الأدب والمعرفة والكتابة والبلاغة، كان كاتباً، وزيراً، أديباً، حليماً، عفا، جميل الخصال، إلا أنه كان يعاب بالبخل، مما عرضه للهجاء، وقد مكث حامد في خطته حتى توفي سنة ٢٦٨هـ. انظر: ابن القوطية، ص ٨٣-٨٥. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٢، ٣٦-٣٨.

لخطة الكتابة، أمر بإدخاله إلى المكان المخصص للكتّاب، ثم أمره بأن يكتب كتاباً على لسانه لأحد رجاله في الثغر يحذره من أحد المناوئين، فلما استحسن الأمير مارفعه إليه حامد، أمر ان يوضع له فراش مع الوزراء[١].

من هذه الحادثة يتضح لنا أيضاً أن الكاتب يحمل لقب "وزير" فيقال له "الكاتب الوزير" وبطبيعة الحال له من المميزات مثل ماللوزير إضافة إلى طبيعة عمله وهو الكتابة.

و لم يتخذ الأمويون كاتباً خاصاً لهم في بداية أمرهم، فالكاتب الموجود في بيت الوزراء يكتب للأمير الأموي متى مادعت الحاجة إلى ذلك، لكن هذا الرسم تغير منذ عهد الأمير عبدلرحمن الأوسط، فقد اتخذ كاتباً خاصاً به لايكتب لأحد غيره، وأول من نال هذا المنصب محمد بن سعيد الزجالي[٢]، وبذلك ظهر رسم جديد في الدولة أن للأمير أو الخليفة الأموي كاتب خاص، وللوزراء كاتب خاص بهم.

والكاتب الخاص هو المعروف في الدولة الأموية بالأندلس بصاحب القلم الأعلى، أو "صاحب قلم بني أمية الأعلى وكاتبهم العظيم[٣]"

---

١ - ابن القوطية، ص٨٤-٨٥.

٢ - محمد بن سعيد بن أبي سليمان الزجالي وصف بأنه كان ذكيا، مشهوراً بالحفظ، ولذا فقد لُقّب بالأصمعي، ويعتبر محمد هو باني مجد الزجاجلة في الأندلس توفي سنة ٢٣٢هـ. انظر: المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي ص ٣١-٣٦.

٣ - ابن القوطية، ص ٨٣.

ولايمكن أن يصل إليه إلا من كان مسلماً، ولأجل هذا فعندما أصيب عبدالله بن محمد بن أمية بن يزيد[١] بعلة اقعدته عن ممارسة مهام صاحب القلم الأعلى، وذلك في سنة ٢٤٠هـ (٨٥٤م) تقريباً، قام قومس بن أنتنيان بأعمال عبدالله بن أمية، فلما توفي ابن أمية، قال الأمير محمد "لو أن قومساً كان مسلماً ماستبدلناه" ولأجل هذا بادر قومس إلى إعلان إسلامه والإشهاد على ذلك، فولاه الأمير خطة الكتابة[٢].

وماكان الأمويون يتسامحون في أمر من أمور الكتابة، فهناك رسوم على الجميع التقيد بها، وهي أن يُحكِمْ الكاتب "الخط، فيقيم حروفه، ويراعي المداد فيجيد صنعته، ويميز الرقَّ فيحسن اختياره، وعجزه الحزم النافذ والحُكم الصَّادع، بأن تكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والأعداد في رؤوس رسومها"[٣].

---

١ - عبدالله بن محمد بن أمية بن يزيد بن عبدالرحمن ابن أبي جوثرة، مولى معاوية بن مروان بن الحكم، جده أمية دخل الأندلس في طالعة بلج، وتولى مهمة الكتابة للأمير عبدالرحمن الداخل، وفي عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط كان عبدالله بن محمد بن أمية يتولى منصب ولاية العرض، ثم تولى الوزارة والكتابة للأميرين عبدالرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد. وأسرة امية بن يزيد هي من الأسر التي وصفت بالنجابة واستحوذ أبناؤها على خطة من خطط الدولة. انظر: المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٣١، والتعليق رقم ١٠٠. الحلة السيراء ٢/٣٧٣.

٢ - ابن القوطية، ص٨٢.

٣ - الذخيرة، ق١ م١ ص ١٠٦.

ولايعفى أحد من ولاة الكور وقادة الثغور من اتباع هذه الرسوم، فمن أرسل كتاباً إلى بيت الوزراء بقرطبة في رقٍ رديٍّ، أو مداد دنيٍّ، أو كان خطه غير جيد، أو في عبارته لحن، وماشاكل ذلك، فـلا ينظـر في طلبه، بل سيعاقب بالعزل وإغرام المال[1].

وقد كانت هناك أنواعاً عدة من الكتب تصدر عن حكومة قرطبة، تباينت أغراضها مابين أمان[2]، وتولية[3]، وفتح[4]، وهدم[5]، واستنزال عصاة[6]، وتنديد بأهل البدع[7]، وكتب استسقاء[8]، وإسقاط بعض المغارم[9]، واستنفار للجهاد[10]، ومنح ألقاب[11] واتخاذها[12]، وكتب

---

١ - المصدر السابق، ص ١٠٧.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا. ص٤٠٥.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٧٧، ١١١-١١٤.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٢٦-٢٣١.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٣٢-٢٣٧.

٦ - نفسه، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص ١٧٨-١٨١.

٧ - نفسه، تحقيق: شالميتا، ص ٢٥-٢٩.

٨ - نفسه، ص ٢٥١-٢٥٢.

٩ - نفسه، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٢٠٧.

١٠ - نفسه، تحقيق: شالميتا، ص ٤٣٣.

١١ - نفسه، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي ص٦٩.

١٢ - الحلل الموشية، ص٣١-٣٢.

صلح[١]، وهذه الكتب بمجرد صدورها تُحمَلْ للوزير الكاتب ليثبتها في السجلات[٢].

وخطة الكتابة متوارثة في الدولة الأموية شأنها في ذلك شأن بقية الخطط، فالأمويون يحرصون على وضع خطط دولتهم بأيدي أبناء أسر معينة، فإذا توفي صاحب الخطة، نظروا في ذريته، واستقدموا أحدهم ليليها مكان أبيه، حتى وإن كان ذلك الولد لايملك مايؤهله لتوليها، وهذا مافعله الأمير محمد بن عبدالرحمن، فبعد وفاة كاتبه عبدالله بن أمية استدعى ولده عبدالملك بن عبدالله[٣]، وولاه الكتابة ورغم إقرر عبدالملك للأمير بالعجز عن الكتابة، إلا أن الأمير أمره بتقلدها ونصحه بالاستعانة بمن يثق به، لقاء رزق يجرى له، حتى يتقن عبدالملك الكتابة[٤].

ويُعد أمية بن يزيد بن عبدالرحمن بن أبي حوثرة، مولى معاوية بن مروان بن الحكم باني مجد بيت آل أبي حوثرة في الأندلس، فقد دخل أمية الأندلس مع طالعة بلج بن بشر القشيري، ثم تولى الكتابة للأمير

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١١٤-١١٥.

٢ - البيان المغرب، ٣/٤١.

٣ - لقد حاول الوزير هاشم بن عبدالعزيز الحيلولة دون تولي عبدالملك هذا المنصب الرفيع إلا أن الأمير محمد أعرض عنه، مما عُدَّ من كريم أفعاله. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٤٣-١٤٤. الحلة السيراء، ٢/٣٧٣-٣٧٤.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٤٤-١٤٥.

عبدالرحمن الداخل منذ وقت مبكر[١]، واستمر في منصبه حتى توفي سنة ١٥٤هـ[٢] (٧٧١م)، وتولى ولده محمد بن أمية الكتابة للأمير هشام الرضا حتى وفاته، وكذلك السنوات الأربع الأولى من عهد الأمير الحكم الربضي، لكنه عزله لاتهامه إياه بالوقوف ضده مع عمه سليمان بن الأمير عبدالرحمن الداخل[٣]، فمات محمد بن أمية خاملاً سنة ٢٢٦هـ[٤] (٨٤١م) وتولى ابنه عبدالله الكتابة للأميرين عبدالرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد[٥]، وظل في منصبه إلى سنة ٢٤٠هـ (٨٥٤م) ثم أصيب بمرض أقعده حتى وفاته سنة ٢٤٦هـ[٦] (٨٦٠م).

ثم تولى الكتابة ابنه عبدالملك للأمير محمد، وذلك سنة ٢٦٨هـ (٨٨١م) وأقره عليها الأمير المنذر وفي عهد الأمير عبدالله جمعت لعبدالملك القيادة مع الكتابة والوزارة، وظل في منصبه حتى قتله غدراً المطرف بن الأمير عبدالله بالقرب من اشبيلية، وذلك سنة ٢٨٢هـ[٧] (٨٩٥-٨٩٦م) وكان مروان بن عبدالملك يخلف أباه على الكتابة عند

---

١ - الحلة السيراء، ٣٧٣/٢.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣١.

٣ - الحلة السيراء، ٣٧٣/٢.

٤ - المقتبس، تحقيق د.محمود مكي، ص ٣١.

٥ - الحلة السيراء، ٣٧٣/٢.

٦ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣١.

٧ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١١٠-١١١. الحلة السيراء، ٣٧٣/٢-٣٧٤.

غيابه، إلا أنه اتهم بالقدح بالأمير عبدالله، فحبس بالمطبق ثم قتل ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٢٨٤هـ[1] (سبتمبر ٨٩٧م).

ومثل بيت ابن أبي حوثرة، لدينا بيت الزجاجلة[2]، فقد توارثوا خطة الكتابة في الدولة الأموية منذ عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط حتى أواخر عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، باستثناء عدة سنوات ابتداءً من سنة ٣٠٢هـ (٩١٤-٩١٥م) وهي السنة التي توفي فيها الكاتب الوزير عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن سعيد الزجالي، حيث لم يبرز أحد

---

١ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١٢٢. الحلة السيراء، ٢/٣٧٤.

٢ - بيت الزجاجلة، من بني يطفت من نفزة، دخل أولهم الأندلس أيام الفتح، واستقروا مع البرابر النازلين بمدينة تاكرنا من كورة رندة، بدأت نباهة هذا البيت على يد محمد بن سعيد بن أبي سليمان وارشكين المعروف بحمدون والشهير بالأصمعي لذكائه وقوة حفظه، وذلك عندما استكتبه الأمير عبدالرحمن الأوسط واستخصه. وقد توارثت ذرية الأصمعي خطة الكتابة فقد تولى حامد بن محمد بن سعيد الزجالي الكتابة ثم الوزارة للأمير محمد بن عبدالرحمن. ومن ثم جاء عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن سعيد الزجالي، فتولى خطتي الكتابة والوزارة للأمير عبدالله بن محمد ولحفيده عبدالرحمن الناصر، وأما محمد بن عبدالله الزجالي فقد تولى الوزارة لعبدالرحمن الناصر، وفي ٣١٩هـ قدم الخليفة عبدالرحمن الناصر عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد الزجالي لعدة مهام إلى أن ولاه منصبي الوزارة والكتابة. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٢-٣٨، والتعليقات أرقام ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣. المغرب في حلى المغرب، ١/٣٣٠-٣٣١. أمثال العوام في الأندلس، مقدمة المحقق ص٧-١٢.

من بيت الزجالي، حتى عادت إليهم الكتابة بعبد الرحمن بن عبدالله بن محمد الزجالي سنة ٣٢٩هـ (٩٤١م) وكان عبدالرحمن هذا هو أخر من ورد ذكره من أفراد أسرته، ومن بعده لانسمع لهذه العائلة أي ذكر في خطة الكتابة في الدولة الأموية[1].

ولعل أشهر من تولى الكتابة في الدولة الأموية على الإطلاق هو الخليفة عبدالرحمن الناصر، فقد اختبره جده الأمير عبدالله بن محمد عندما أمره أن يكتب كتاباً لأحد عماله بأمر هام، ويبدو أن عبدالرحمن قد أصاب بغية جده، الذي لم يخف سروره بنبوغ حفيده، فاتخذه كاتباً لسره[2].

ونظراً لأن الفتنة التي اندلعت في مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) قد عصفت بالدولة الأموية، وأثرت على كافة أجهزتها، فقد كانت الكتابة من بين تلك الأجهزة التي تأثرت بها، إذ أصبح يرتقي إليها من لايفقه فيها شيئاً، وقد وصف ابن حيان أحد أولئك الكتبة فقال فيه "ونعي إلينا فلان الدغل، غازله السِّل، كالأفعوان الصِّل، وكان أحد أعاجيب الدنيا في الفجور والخبث، والزهو والكبر، والعقوق

---

١ – انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٣١-٣٣.

٢ – المقتبس، تحقيق: انطونيه، ص ٣٩،٤٠ وكان عبدالرحمن في ذلك الوقت دون العشرين من عمره.

والجرأة، .... وكان إذا كتب مضطراً يضحك من تأمله، لـــه في ذلـــك نوادر محفوظة، أمسى بها من حُجج الله تعالى في الرزق المقسوم"[١].

وقال في وصف كاتب أخر "وفلان ساذج الكتابة، بـــيِّن الجهـــل والتخلف، طلق اللسان بالخنا والهجر، أحد الأفسال مـــن أولي النباهـــة، عظيم البطالة والباطل، ومن كل حلية جميلة عاطل، من رجل عيّ اللسان، مثلوم الجنان، فدم الخلقة، طويل اللحيـــة متـــهافت ، لم يُرهـــف الأدب طباعه، ولااستخرج من كلمة حكمة[٢]".

كاتب الزمام

وبعد أن عرفنا كاتب الرسائل فإن الكاتب الأخر هو كاتب الزمام، هكذا يعرفون كاتب الجهبذة[٣]، وهذه الوظيفة من الوظائف المهمـــة في أي دولة، إذ أن متوليها يشرف على أعمال الجبايات وحفـــظ حقـــوق الدولة في الدخل والخرج، ويقوم بإحصاء العساكر بأسمـــائهم، وتقـــدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في أوقاتها[٤].

---

١ – الذخيرة، ق١م٢ ص ٥٩٣.

٢ – المصدر السابق ق١م٢ ص ٥٩٥.

٣ – نفح الطيب ٢١٧/١، والجهبذ هو الشخص المتخصص في الشئون المالية النقديـــة، وقد عرفه ابن مماتي بأنه كاتب مهمته استخراج الأموال وقبضها وكتب الوصولات بها. انظر: الأسعد بن مماتي، قوانين الدواوين، (جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية. القـــاهرة، الجمعية الزراعية الملكية، ط الأولى، ١٩٤٣م) ص٣٠٤.

٤ – مقدمة ابن خلدون، ص ٦٧٥.

ويتضح من ذلك أن كاتب الزمام يعتمد في عمله على الاحتفاظ بسجلات من كافة إدارات الدولة، تحتوي على بيانات دقيقة عن الواردات والمصروفات، ليتمكن بالتالي من تقييم الموازنة بينهما.

ويعمل مع كاتب الزمام عدد من الموظفين المهرة في الأمور الحسابية، ويعرف المكان الذي يباشرون فيه أعمالهم، تحت إشراف رئيسهم كاتب الزمام باسم الديوان[١]، كما أن رئيس الديوان يعرف أحيناً باسم "صاحب الأعمال الخراجية"[٢].

وقد تبوأ كاتب الزمام مكانة سامية في الدولة الأموية في الأندلس، حتى أنه كان يعد أعظم من الوزير، ولأجل هذا فقد حرص الأمويون على ألاَّ يلي هذا المنصب نصرانياً ولايهودياً البتة، ذلك أن متوليه "إليه تميل الأعناق، ونحوه تمد الأكف، والأعمال مضبوطة بالشهود والنظار، ومع هذا إن تأثلت حالته، واغتر بكثرة البناء والاكتساب نُكب وصودر. وهذا راجع إلى تقلب الأحوال وكيفية السلطان"[٣].

خطة البريد

رغم شح المصادر الأندلسية، التي تمكنت من الاطلاع عليها، فيما يتعلق بالبريد وتنظيمه في الدولة الأموية بالأندلس، إلا أن هذا لايمنع من القول بأن البريد عند الأمويين في الأندلس، كان منظماً تنظيماً دقيقاً،

---

١ - المصدر السابق، ص ٦٧٥.

٢ - نفح الطيب، ٢١٧/١.

٣ - المصدر السابق، ٢١٧/١.

يكفل ضمان تسيير الأمور والمعاملات، ويجعل ولاة الأمر على اطلاع تام بأحوال دولتهم ورعاياهم. وبناءً على التشابه المتوقع في نظام البريد لدى الأمويين في الأندلس، والعباسيين ببغداد، لأجل هذا فسأستعين بنظام البريد هناك لتكوين صورة تقريبية عما كان عليه عند أمويي الأندلس.

فالبريد هو أن تكون هناك خيل مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها، وقد تعب فرسه، ركب غيره فرساً مستريحاً حتى يصل مسرعاً[١].

وهذا مافسره أحدهم بقوله "إن كلمة بريد مأخوذة من الكلمة اللاتينية "**Veredus**" أي الدابة التي يركبها العامل في نقل مكاتبة من مكان لأخر، فالبريد في الأصل اسم الدابة التي يركبها العامل، ثم نقلت مجازاً إلى المسافة المقطوعة، فهو عندهم كذلك واستعملت للنظام كلمة كمصلحة البريد"[٢].

---

١ - د. حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) ص٢٥٤.

٢ - د. نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، (القاهرة، مكتبة مصر بالفجالة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م) ص١٩.

وعلى ذلك، فإن كلمة بريد تعني مسافة معلومة بين مركزي بريد، قدرها الفقهاء وعلماء المسالك والممالك بانها أربعة فراسخ أو أثنى عشر ميلا[١]، وهذه مسافة البريد المعمول بها في المغرب[٢].

وكان البريد قد انقطع في الأندلس أواخر عصر الولاة[٣]، وذلك بسبب القحط الذي تعرضت له البلاد عدة سنوات والتي عرفت بسني برباط[٤]، ولم يتم إعادة تنظيم البريد في الأندلس مرة أخرى إلا بعد أن تمكن الأمير عبدالرحمن بن معاوية من إقامة الدولة الأموية في الأندلس، فقد بنى داراً خاصة بالبريد، كانت تقع في صدر السوق على الجانب الغربي لقصر الإمارة بقرطبة[٥].

---

١ – الشيخ عبدالحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية، المعروف بالتراتيب الإدارية، (بيروت، دار الكتاب العربي. د.ت) ١٩١/١.

٢ – نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص ٢١.

٣ – أخبار مجموعة ص ٦٩.

٤ – أبتليت الأندلس في عهد واليها يوسف الفهري بقحط شديد استمر من سنة ١٣١-١٣٦هـ، فهرب الكثير من الأندلسيين إلى طنجة وأصيلا وريف البربر، وجاء مرورهم إلى هذه الديار من خلال وادي برباط الذي انعكس اسمه على تلك السنين. انظر: أخبار مجموعة ص ٦١-٦٢، البيان المغرب ٣٧/٢-٣٨، ١١٨. ونهر برباط "Rio Barbate" ينبع من البحيرة الواقعة بالقرب من الجزيرة الخضراء والبحيرة تعرف اليوم باسم LAG Una De La Janda انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي تعليق رقم ٥١١.

٥ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٦٦.

ولنا أن نتوقع اهتماماً جاداً من الأمير عبدالرحمن الداخل بالبريد بعد أن أوجد داراً خاصة به، الأمر الذي كفل له سرعة وصول الأخبار إليـــه من كافة أرجاء دولته، ويكفي للدلالة على نجاحه في هذه الخطـــوة، أن والي الجزيرة الخضراء الرماحس بن عبدالعزيز عندما أعلن عصيانه علـــى الأمير عبدالرحمن الداخل سنة ١٦٤هـــ (٧٨٠م) وصل الخـــبر بســـرعة كبيرة لقرطبة، فقد أعلن الرماحس عصيانة يوم الاثنين وبلغ خبره الأمـــير عبدالرحمن يوم الجمعة[١]، وطبيعي أن في سرعة وصول الخبر لقرطبة دليل على التنظيم الجيد للبريد.

وقد أفاد الأمير الحكم الربضي من البريد المنظم في الدولة الأمويـــة، وتجلى ذلك في سرعة تصديه لحركات التمرد ووأدها وهي في المهد[٢].

ويبدو أن الدولة الأموية قد أولت البريد عناية فائقة، بالذات بعد أن تعرضت دولتهم لهجمات الغزاة النورمانـــديين في ســـنة ٢٢٩هـــــ[٣] (٨٤٤م)، حتى إذا عادوا مرة أخرى لغزو الأنـــدلس ســـنة ٢٤٧هــــــ (٨٦١م) لم يجدوا غرة ليفعلوا بالمسلمين كمـــا فعلـــوا بهـــم في المـــرة السابقة[٤]، وذلك لما عُرف عن الأمير محمد بن عبدالرحمن مـــن اهتمـــام

---

١ – نصوص عن الأندلس، ص ١١٧–١١٨، أخبار مجموعة ص ١١٢.

٢ – انظر: أخبار مجموعة، ص١٢٩، ١٣٠، ١٣١–١٣٢.

٣ – البيان المغرب، ٢/٧٨. غارات النورمانديين على الأندلس، ص٣١.

٤ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣١١.

شديد بأخبار السواحل، حتى أن خشبة ظهرت بالقرب من ساحل بجانة بلغ الأمير محمد خبرها وطولها وعرضها[١].

وقد ظلت دار البريد التي بناها الأمير عبدالرحمن الداخل في مكانها، و لم يجدد مبناها، إلا في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، فقد تعرضت لحريق أتى عليها وعلى ماجاورها من السوق وذلك في العشرين من شهر رمضان سنة ٣٢٤هـ[٢] (١٢ أغسطس ٩٣٦م) فأعاد الخليفة بناءها وفق رسم أعده بنفسه، وأمر أن ترفع فوقها علية، لتقيها من الأضرار من مطر وغيره[٣].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله جرى نقل دار البريد من موقعها فقد أصدر أوامره في يوم الأحد ٢٠ من شهر المحرم سنة ٣٦١هـ (نوفمبر ٩٧١م) بنقل دار البريد من موقعها بجانب القصر، إلى دار الزوامل الواقعة بالمصارة في طرف قرطبة[٤].

والبريد لم يكن آنذاك لخدمة الجمهور، يحمل رسائلهم ووصاياهم، وإنما كان خاصاً بأعمال الدولة، كما أن صاحب البريد كان يراقب العمال ويتجسس على الأعداء، وهو بذلك أشبه مايكون بقلم المخابرات في الوقت الحالي، وقد كانت مهمة صاحب البريد أول الأمر توصيل

---

١ - المصدر السابق، ص ٢٦٤-٢٦٥.

٢ - نفسه، تحقيق: شالميتا، ص ٣٨٣.

٣ -المصدر السابق والصفحة.

٤ - نفسه، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٩٦.

الأخبار إلى ولي الأمر من عماله في الأقاليم، ثم توسعت مهامه حتى أصبح عيناً لولي الأمر، ينقل أمره إلى ولاته، كما ينقل أخبارهم إليه[١].

وهذا ماكان مطبقاً لدى الأمويين في الأندلس، فالأمير الحكم الربضي وصل إليه خبر وفاة قاضي الجماعة المصعب بن عمران، بنفس الليلة التي توفي بها، حتى أن بعض من كان معه في القصر لم يعرف بخبر وفاة القاضي[٢].

وعندما حاول عباس بن عبدالله المرواني التشكيك في نزاهة قاضي الجماعة محمد بن بشير لدى الحكم الربضي، طلب الأمير من ذلك المرواني الذهاب للقاضي في داره فإن أذن له فسيعزله عن منصبه، وبعث خلفه بأحد ثقاته ليأتيه بما يجري بين القاضي والمرواني[٣].

وكان من بين عيون الأمير محمد بن عبدالرحمن شرحبيل الزامر يأتيه بأخبار المجالس التي يتواجد فيها[٤]، في حين أن الخليفة عبدالرحمن الناصر كان على علم بكل مايدور في المجالس والأسواق، بسبب كثرة ثقاته الذين بثهم بين الناس لهذه المهمة[٥].

---

١ – النظم الإسلامية، ص ٢٥٥.

٢ – أخبار مجموعة، ص ١٢٦.

٣ – المصدر السابق، ص ١٢٨.

٤ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٤٩-١٥١.

٥ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٣-٢٤.

وعندما أوصل البريد للخليفة الحكم المستنصر بالله خبر تجـاوزات بعض عماله، أرسل إليهم كتاباً عنفهم فيه على جرأهم وحـذرهم مـن مغبة جورهم[١].

وفي الدولة الأموية لم يكن صاحب البريد يعنى فقط بالأخبار الـتي تمس سياسة الدولة، بل كان يبلِّغ ماعدا ذلك من النوادر، مثـل قصـة الخشبة التي رُفع خبرها للأمير محمد بن عبدالرحمن، وكذلك ماحدث في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، عندما رُفع إليه خبر الصبي المتفـاوت الخلق، فقد أحضره فائق صاحب البرد والطراز عنده بالزهراء، ثم أوصله إلى الخليفة الذي استقبله مرتين، كانت الثانية منهما بحضور ولي العهـد وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٦٠هـ[٢] (أكتوبر ٩٧١م).

والخبران الأخيران، سواء عن الخشبة أو الصبي، يدلان علـى دقـة عمال البريد في استقصاء الأخبار ورفعها بتفصيلاتها لولي الأمر، ليصدر في شأنها مايراه مناسباً، ولكن هذا لايعني قبول كل الأخبـار المرفوعـة إلى الحاكم الأموي بدون تمحيص، فالأمير محمد بن عبدالرحمن كانت ترفـع إليه كتب كثيرة عن بعض رجال دولته، حتى لقد رفع إليه ضد وزيـره هاشم بن عبدالعزيز مائة كتاب، كل واحد منها يكفـي لقتلـه، إلا أن الأمير لم يأخذ بها، وفي الوقت نفسه لم يعاقب من رفعها إليه، أو حـتى

---

١ - البيان المغرب، ٢/٢٣٩.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٦٢-٦٣.

يقطع مكافأته، لأنه إن فعل ذلك، أحجم الباقون عن رفع الأخبار إليـــه، فتعمى عليه أحوال الناس[١].

ولعل من الضروري أن يكون لعمال البريد علامة تميِّـــزهم عمـــن سواهم، وذلك تيسيراً لهم في أداء مهامهم، فقد كانت علامة عمال البريد عند العباسيين وجود قطعة فضة بقدر الكف، يعلقها العامل على كتفـــه، ويكتب على احدى صفحتي هذه القطعة "البسملة واسم الخليفة وعلـــى الصفحة الأخر {**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**}[٢].

ويستخدم عمال البريد الخيول، ويجعـــل في أعناقهـــا جلاجـــل أو سلاسل إذا تحركت سمعت لها قرقعة، تعرف عندهم بقرقعـــة البريـــد[٣]، وتجعل المراسلات في أكياس من الجلد توضع على ظهور الدواب[٤].

وبطبيعة الحال فإن ديوان البريد وصاحبه، ومن يعمل معـــه مـــن العمال والموظفين، سواء في قرطبة او بقية الكور والثغور، هم بحاجـــة إلى نفقات تقوم بشؤوهم، فبالإضافة إلى رزق كل منهم، والذي يجـــب أن يكون مغنياً لهم عن التطلع لما في أيدي الأخرين، هناك نفقات المحطـــات

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٤٧-١٤٨.لأجل ذلك فإن على ولي الأمر عدم التسرّع في قبول الأخبار المرفوعة إليه، كما يجب عليه استعمال الثقات الأمناء.

٢ – من الآية رقم ٤٥، سورة الأحزاب. التراتيب الإدارية، ١/١٩٣-١٩٤.

٣ – جرجي زيـــدان، تـــاريخ التمـــدن الإســـلامي (القـــاهرة، مطبعـــة الهـــلال، ١٩٠٢م).١/١٨٢.

٤ – سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص ٧٩.

البريدية المقامة بين قرطبة وبقية نواحي الدولة الأموية، وكذلك نفقـات شراء الدواب ومايلزمها من علوفة ونحوها، ورغـم صـمت المصـادر الأندلسية عن ذكر أي ميزانية للبريد، إلا أننا نتوقع أنها لم تكن بالشـيء اليسير، خاصة إذا عرفنا أن الدولة الأموية أصبحت متسـعة الأطـراف بالذات في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إذ أصبح بـر العـدوة المغربية ضمن سلطة الخلفاء الأمويين في ذلك القرن، ففي أواخر شهر ذي القعدة سنة ٣٦٢هـ (سبتمبر ٩٧٣م) أمر الخليفة الحكم المستنصر بالله في رسالة بعث بها إلى الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن الناصـري، المتواجد مع الجيوش الأموية في المغرب رسالة ضمنها أمره للقائد بأن ينظم البريد، ويتخذ الدواب ، وأن يأمر الخازن قبله بإجراء العلوفة على الدواب والنفقات على الفرانقيين والخدمة[1]، الأمر الذي يكفل سرعة وصـول الأخبار إلى الخليفة.

وقد كانت مكاتبات الدولة الرسمية المرسلة إلى قرطبة، تصل كلـها إلى ديوان البريد في حين أن التقارير المرفوعة من أصحاب البريـد، فإنـه نظراً لسريتها، فإنها تصل إلى الأمير أو الخليفة مباشرة، وقد كان ديـوان البريد في قرطبة ومايتبعه من مراكز بريديه في الكور والثغور وطرق البريد، تضم عدداً كبيراً من الموظفين والعمال على رأسهم صـاحب البريـد،

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٣٦.

والذي يشغل أحياناً خطة أخرى مع خطته، ولعل الفتى فائق الصقلبي صاحب البرد والطراز كان أشهرهم[١].

ونظراً لأهمية منصب "صاحب البريد" فقد كان يُشترط في متوليه أن يكون أهلاً للثقة، كتوماً للسر، إذ أنه يطلع على أخبار ليس من اليسير أن يطلع عليها غيره.

وصاحب البريد يشرف على استلام كل مايرد إلى ديوان البريد من مكاتبات تأتي من الكور والثغور، والديوان بدوره يوزعها على بقية دواوين الدولة، كما أن صاحب البريد يقوم بمراقبة عمال البريد وموظفيه، سواء منهم من كان يعمل في قرطبة أو بقية النواحي، كما أن عليه دفع أرزاقهم.

ولابد أن هناك أوقاتاً محددة لسير البريد في الأوقات العادية، لأجل هذا فعلى صاحب البريد مراعاة ذلك، فالأمير أو الخليفة الأموي كان شديد الحرص على معرفة أخبار الثغور والكور والسواحل في دولته، وقد بلغ الأمر بالأمير محمد بن عبدالرحمن أنه عندما تأخر عليه خبر الثغر، استدعى أحد رجاله ويدعى مطرف بن نصير[٢]، وأمره أن يذهب إلى الثغر ويأتيه بالخبر اليقين عما أهمه، وضرب له أجلاً لأداء مهمته، مدته أربعة عشر يوماً وتوعده بسفك دمه إن هو تجاوزها[٣].

---

١ - المصدر السابق، ص ٦٦.

٢ - عن مطرف بن نصير: انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، التعليق: رقم ٣٣.

٣ - المقتبس تحقيق: د.محمود مكي ص ١٣٢-١٣٣.

كما أن على صاحب البريد التفقد الدائم لطرق البريد وحفظها من اللصوص، ومناقشة احتياجات محطات البريد المنتشرة على تلك الطرق.

وعندما يقع اختيار الأمير أو الخليفة على أحد ثقاته ليلـي خطـة البريد، فإنه يكتب له ظهيراً لاستلام هذه الخطة يوصيه فيـه بتقـوى الله تعالى في السر والعلانية، وألا يرفع إليه إلا الصدق، وألا يستعين بأحد في أداء عمله إلا بمن يثق بصناعته، وورعه، ونزاهته.

ثم يتطرق الظهير إلى صلاحيات صاحب البريد، فهو مراقب لعمال الخراج والضياع، مستقصياً لأخبارهم، منهيا لها على الحـق والصـدق، ويتعرف على حال عمارة البلاد، ومايجري في أمور الرعية من الإنصاف والجور، كما أن عليه أن يتعرف على أحوال الحكام في أحكامهم، وحال دار الضرب ومايجري عليه مما يُضرب فيها من العين والورق، وأن يبـث العيون في المجالس لمعرفة مايجري فيها، وأن يحصي أسماء المرتبين لديه لحمل خرائط البريد، مبينا رزق كل منهم، وعدد السكك في جميع عمله وأمياها ومواضعها، وأن يحث رجاله بضرورة الإسراع بوصول البريد، وإثبـات وقت مروره بكل موقع، على أن يُكتب كل غرض من هذه الأغراض في سجل خاص، فأخبار القضاة في سجل، وعمال المعاون والأحـداث في سجل، وأخبار الخراج في سجل، وهكذا كل غرض في كتـاب، لكـي لايكون هناك تداخلاً في الأعمال.

وفي نهاية الظهير وصية لصاحب البريد بالتمسك بالعهد الذي أخذه عليه ولي أمره، الذي يدعو لعامله بالتوفيق[١].

بقي أن أشير إلى ان بعض المصادر الأندلسية قد تعرضت لذكر بعض من كان يعمل في البريد لدى الأمويين في الأندلس، فقد ذكرت "الرقاص" والرقاص عند الأندلسيين والمغاربة هو ساعي البريد[٢]، ويبدو أنه اكتسب هذا اللقب من سيره على قدميه، كما ورد مصطلح "عرفاء أصحاب الرسائل[٣]" ومن هذا المصطلح يتضح لنا أن لكل مجموعة من العاملين في خطة البريد "عريف" يكون مسئولاً عن مجموعته، كما ورد مصطلح "كتاب الفُرانقين[٤]" والفرانقيون[٥] هم الذين يقومون بملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات، فهم أشبه بالمفتشين، وعلى جميع الفرانقيين تقديم تقارير مفصلة عن كل مايحدث في خطوط البريد ومحطاته إلى ديوان البريد بقرطبة، كما أن من واجبهم إصدار الرسائل إلى الكور

---

١ - قدامه بن جعفر، الخراج وصناعة الكتاب، (شرح وتحقيق: د.محمد حسين الزبيدي، بغداد، وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٨١م) ص ٥٠-٥٢.

٢ - نفح الطيب، ١٤٦/٢.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٩١.

٤ - المصدر السابق ص ٩١.

٥ - فرونق كلمة محرفة من برونك الفارسية ومعناها منذر أو دليل. انظر: نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص ٧٠ حاشية رقم ٢.

والثغور، ويجمعوا تقارير الموظفين الموزعين على أنحاء الدولـــة، لمراقبتـــها وتنظيمها وإرسالها إلى ديوان البريد[1].

١ - المرجع السابق، ص ٧٠.

النظام المالي

عرفت الدولة الأموية في الأندلس، ثلاث أنواع من خزائن المـــال، هي خزانة بيت مال المسلمين، والخزانة الخاصة بالأسرة الأموية، والخزانة العامة للدولة، ولكل نوع من هذه الأنواع الثلاث، واردات ومصروفات، ونظام دقيق تسير عليه، وسنتعرف على كل نوع منها على حده.

أولاً: خزانة بيت مال المسلمين.

عرفت الدولة الأموية في الأندلس هذا النوع من الخزائن، في عهـــد الأمير المنذر بن محمد ٢٧٣-٢٧٥هــ (٨٨٦-٨٨٨م) فهو الذي أمـــر بإنشائه لاستلام أموال الأوقاف، وأطلق عليه لقب "بيت المال[١]" ورغم أنه أقيم في داخل جامع قرطبة، إلا أن ذلك لم يجعلـــه في منـــأى عـــن اللصوص، فقد تعرض للسرقة وذلك في شهر شوال ســـنة ٣٥٣هــــــ[٢] (اكتوبر ٩٦٤م).

وقد أُسندت مهمة الإشراف على بيت مال المســـلمين، لقاضـــي الجماعة، وهو بدوره لايمكّن أحداً من العمل فيه، إلا من كـــان غنيـــاً، عدلاً، ثقة، ومع ذلك يكون القاضي دائم التفقد لهـــم، والســـؤال عـــن أحوالهم في كل شهر إن أمكن، كما أن على القاضي أن يجتهد في إنمـــاء تلك الأموال، مستعيناً على ذلك بآراء الفقهاء، ليكون بعضهم على بعض

---

١ - البيان المغرب،٢/٢٣٠.

٢ - المصدر السابق، ٢/٢٣٦.

شهيدا، ويكونوا جميعاً على علم بما يُدخل إلى بيت المال ومايُخرج منـــه، وفي أي شيء صُرف، وبذلك لاتكون هناك فرصة للتلاعب بالأموال[١].

وقد تنوعت موارد بيت مال المسلمين، مابين أحباس، ومال غيبـــة، وزكاة. فأما الأحباس، فقد كان أمراء وخلفاء بني أميـــة في الأنـــدلس، يتنافسون مع الأثرياء من رعاياهم في التحبيس لوجه الله تعـــالى، طلبـــاً لمرضاته، وطمعاً في ثوابه، ومواساة لضعفاء المسلمين[٢].

كما أن من غاب عن املاكه ولم يكن له ورثة، أُدخلت أمواله إلى بيت مال المسلمين، ومن مات وليس له وارث إلا أحد الزوجين، فـــإن الفاضل من ميراثه يذهب لبيت مال المسلمين[٣]. كما ان أي ذمي مـــات وترك مالاً منقولاً أو غير منقول، ولم يكن له وارث، ذهبت أموالـــه إلى بيت مال المسلمين[٤]. وكذلك المرتد إذا لم يتب، فإن أمواله تـــدخل إلى بيت مال المسلمين[٥].

---

١ - ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاث رســائل في الحســبة تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٥٥م) . ص ١٠.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٠٧. الإحاطة ٥٤٩/٣. الونشريسي، المعيار المعرب ٤١٦/٧-٤١٧.

٣ - عبدالقديم زلّوم، الأموال في دولة الخلافة، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ص ١٢٩.

٤ - المرجع السابق، ص ١٢٩-١٣٠.

٥ - نفسه، ص ١٣١-١٣٢.

وأما الزكاة فهي حق مقدَّر يجب في أموال معينة، وهي عبادة من العبادات وركنا من أركان الإسلام الخمسة، وبذلك فهي فرض عين على كل مسلم يملك النصاب فاضلاً عن ديونه، ويمضي عليه الحول، ومتى وجبت في مال المسلم لاتسقط عنه، وقد حرص الأمويون في الأندلس على إرشاد ولاتهم في الكور والثغور وبر العدوة المغربية، على أخذ الزكاة من مستحقيها بشروطها الشرعية، ويتضح هذا جلياً في الكتاب الذي أرسله الخليفة الحكم المستنصر بالله لأبي العيش بن أيوب عندما ولاه النظر على جماعته من قبيلة كتامة، وذلك في يوم الثلاثاء لست خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ (يونيو ٩٧٣م) [١].

وكان هناك أُناس قد تخصصوا بجمع الزكاة من الذين وجبت عليهم، ويطلق على من يقوم بجمعها اسم "مصدق"[٢].

وقد تعددت وجوه انفاق أموال بيت مال المسلمين، فهناك الصدقات التي يتم توزيعها على مستحقيها، ومن أجل تنظيم هذه الناحية بصورة أكثر مما كانت عليه، أنشأ الخليفة الحكم المستنصر بالله داراً للصدقة غربي المسجد الجامع بقرطبة وذلك سنة ٣٦٠هـ (٩٧١م) [٣].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١١١-١١٤.

٢ - المصدر السابق، ص١١٣.

٣ - نفسه، ص ١٩. البيان المغرب، ٢/٢٤٠.

كما يتم بناء المساجد من بيت مال المسلمين، فالأمير عبدالرحمن الداخل قام ببناء جامع قرطبة من مال الأحباس[١]، وبيت مال المسلمين هو ساعد قوي للدولة عند تعرضها لأزمة اقتصادية[٢]، وإذا أراد الأمير أو الخليفة الأموي القيام بوجه من أوجه الخير، مثل غزاة، أو إصلاح موضع من الثغور، أو مدافعة عدو عن المسلمين، دفع إليه القاضي من بيت مال المسلمين مايراه على طريق المعونة، وصلاح أمور المسلمين[٣]. وفي الفتنة البربرية، أثناء محاصرة البربر لقرطبة سنة ٤٠١هـ (١٠١٠م) وافق قاضي الجماعة أحمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان[٤] على إعطاء المدافعين

---

١ – محمد بن عبدالوهاب الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، (بعناية: الفريد البستاني، نشر مؤسسة الجنرال فرانكو ١٩٣٩م) ص ١٩.

٢ – قضاة قرطبة، ص ٩٣-٩٤.

٣ – ابن عبدون، ص ١١.

٤ – أبو العباس أحمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان بن عبدالله بن عبدوس بن ذكوان، أصله من جيان، كان من شيوخ أهل العلم، مذكوراً بالفضل، من أهل بيت فهم وعلم ورياسة، كان ملازماً للمنصور بن أبي عامر، لايفارقه في حضر ولاسفر، والمنصور دائم الاستشارة له، ولاه خطة الرد، ثم قضاء الجماعة، ثم جمع له الصلاة والخطبة، وفي عهد المظفر استمرت مكانة ابن ذكوان بازدياد لديه، رغم تعرضه للعزل عن مناصبه مدة تسعة أشهر، وقد كان المظفر مايجري شيئا من أمور الدولة إلا عن مشورة ابن ذكوان، وفي عهد عبدالرحمن بن المنصور أصبح ابن ذكوان قاضي القضاة، فهو أول من تسمى بهذا الاسم في الأندلس، كما ولاه عبدالرحمن الوزارة، وبذلك فهو أول من جمع بين المنصبين في الأندلس، فلما تولى المهدي الخلافة، وكان حاقداً على ابن ذكوان، نزع عنه

خمسمائة فرس من مال الأحباس يحمل عليها مرتجلة العبيد[١]، ويبدو أن موقفه هذا كان نتيجة تأثره بموقف أهل قرطبة منه عندما طلبوا منه أن يمكنهم من الأموال المخزونة بالجامع ليدفعوها للنصارى حلفاء الخليفة المهدي وذلك سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م) فقد رفض القاضي طلبهم، إلا أن عامة أهل قرطبة هجموا على المسجد الجامع وكسروا باب المقصورة وأخذوا الأموال ودفعوها، مع ماقد جمعوه من قبل للنصارى[٢].

مسمى قاضي القضاة، وأبقاه على قضاء الجماعة، و لم يجرؤ على مساسه بالأذى لجلالة= =مكانته في قلوب الخاصة والعامة، وفي سنة ٤٠١هـ تم طرد بني ذكوان من الأندلس إلى العدوة المغربية، بسبب مكائد واضح الصقلبي، لأن ابن ذكوان كان يدعو للسلم والصلح مع البربر، وبعد أن قُتل واضح، عاد ابن ذكوان وأسرته إلى الأندلس، إلا أنه رفض المناصب رغم الإلحاح عليه، ومازال ابن ذكوان عظيم أهل الأندلس قاطبة، واعلاهم محلاً، وأوفرهم جاهاً، هيبته في مرتبة هيبة الخليفة، إلى أن توفي رحمه الله، حيث دفن بعد صلاة العصر من يوم الأحد لتسع بقين من رجب سنة ٤١٣هـ، بمقبرة بني العباس، عن احدى وسبعين سنة، و لم يتخلف عن شهود جنازته كبير أحد من الخاصة أو العامة، وشهد الصلاة عليه الخليفة يحيى بن علي بن حمود، فقدم للصلاة عليه أخاه أبا حاتم محمد بن عبدالله بن ذكوان صاحب المظالم. انظر: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٢٢٣. ترتيب المدارك ٧/١٦٦-١٧٥. الصلة، ترجمة رقم ٦٥. المرقبة العليا، ص ٨٤-٨٧.

١ - البيان المغرب، ٣/١٠٤.

٢ - المصدر السابق، ٣/٩٨.

ثانياً : الخزانة الخاصة

وهذه عُرفت باسم "بيت مال الخاصة[١]" ويُحمل إلى هذه الخزانة، الأموال التي تركها الأمراء والخلفاء الأمويين لأبنائهم، ولعل الأخماس التي لبني أمية في الأندلس، كانت من أهم موارد الخزانة الخاصة، فقد كانت من ضخامتها لايحصيها ديوان[٢] يضاف إليها مايحصله القائمون على الأسواق من جراء أخذهم الضريبة من بائعي الخضر والفواكه وغيرها، وهو مايسمى بالمستخلص، وهذا المستخلص يبدو أنه كان ضخماً جداً، فقد كان مقدار مايصل منه لبيت مال الخاصة سنوياً في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ٧٦٥ألف دينار[٣] .

وهناك الأموال التي كانت تدرها ضياع الأمراء والخلفاء الأمويين، والمنتشرة في أرجاء الأندلس، وهذه تعتبر مورداً هاماً من موارد الخزانة الخاصة، ولنا أن نتصور ضخامة تلك الضياع ومقدار ماتدره من الأموال، إذا عرفنا أن الخليفة الحكم المستنصر بالله قد حبَّس ربع ماورثه عن والده في جميع كور الأندلس وأقاليمها من الضياع، ليفرِّق على ضعفاء الدولة الأموية ومساكينها عاماً بعد عام، إلا أذا حلَّت بمجاعة بأهل قرطبة، فإنها تصرف إليهم إلى أن يجبرهم الله تعالى[٤]. فإذا كان ربع الدخل يغطي

١ - الذخيرة، ق٤ م١ ص ٧٢.
٢ - نفح الطيب، ٣٣٠/١. ٣٠/٣، ٣٧٩.
٣ - البيان المغرب، ٢٣٢/٢.
٤ - البيان المغرب، ٢٣٤/٢.

احتياجات فقراء الدولة ومساكينها، إذاً كم كان مقدار مايصل إلى الخزانة الخاصة كل عام؟.

وطبيعي أن هذه الضياع الشاسعة والمتناثرة في أرجاء الدولة بحاجة لأيدي عاملة تقوم بخدمتها ومراعاة احتياجاتها، وهذه العمالة بحاجة لإدارة كاملة تتولى شئونها، وقد عُرفت هذه الإدارة بخطة الضياع، يتولاها أحد كبار موظفي الدولة، ويعرف باسم "صاحب الضياع"[1].

و"خطة الضياع" لانجد لها أي ذكر، إلا ابتداءاً من عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، ولعل هذا يدفعنا إلى القول بأن هذه الضياع، لم تكن بالاتساع الذي شهدته في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، خاصة أن الدولة الأموية مرت بأزمات وفتن كادت أن تعصف بها، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وبذلك فهي وإن كانت موجودة من قبل، إلا أنه لم يعد لها ذكر إبان تلك الفترة الحرجة، وذلك لانعدام سيطرة الإمارة الأموية على كافة أرجاء الأندلس، وعندما تمكن الخليفة عبدالرحمن الناصر من إخضاع البلاد لسيطرته، إستعاد تلك الضياع وزاد عليها، ونظراً لضخامتها فقد أنشأ لها إدارة خاصة للعناية بها.

وممن تولى "خطة الضياع" في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، غالب بن محمد بن عبدالرؤوف، وعندما عُزل عنها في نهاية جمادى الأخرة سنة

---

١ - المصدر السابق، ١٩٩/٢.

٣١٦هـ (أغسطس٩٢٨م) تولاها محمد بن عبدالله بن مضر، ثم عُزل عنها ووليها خلف بن أيوب بن فرج الكاتب[١].

وقد كانت "خطة الضياع" تُسند أحياناً لاثنين مشتركين، ففي سنة ٣١٩هـ (٩٣١م) تولاها كل من: محمد بن عبدالله بن مضر وعبدالله بن معاذ بن بزيل[٢].

ومن الموارد المهمة للخزانة الخاصة مايسمى بـ"المستغلات"[٣] وهي المصادرات المالية التي كان يتعرض لها بعض رجال الدولة، فالأمير المنذر بن محمد، نكب الوزير هاشم بن عبدالعزيز ثم قتله، وسجن أولاده وحاشيته، وانتهب ماله، وألزم أولاده غُرم مائتي ألف دينار[٤].

وهناك الهدايا التي يتلقاها أمراء وخلفاء بني أمية، وهذه تعتبر من الموارد الهامة للخزانة الخاصة، كهدية ابن شُهيد للخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣٢٧هـ[٥] (٩٣٩م) والهدية التي تلقاها الخليفة الحكم المستنصر بالله يوم مبايعته بالخلافة، فقد قدم له الحاجب جعفر المصحفي هدية سنية[٦]،

---

١ - نفسه، ، ١٩٩/٢.

٢ - نفسه، ٢٠٥/٢.

٣ - النباهي، ص ١١٤.

٤ - البيان المغرب، ٢ /١١٦.

٥ - نفح الطيب، ٣٥٦/١-٣٥٩.

٦ - المصدر السابق، ص٣٨٢.

كما تلقى الخليفة الحكم هدية فتاه دريّ الأصغر الخازن وذلـك سـنة ٣٦٢هـ[1] (٩٧٣م).

ويقوم الخليفة الأموي أحياناً باستقطاع جزء من ثروات عمالـه، ليضعها في الخزينة الخاصة، وهم بدورهم يقدموها عن طيـب خـاطر، وذلك كما فعل ابن السليم عندما دفع للخليفة عبدالرحمن الناصر مائـة ألف دينار دراهم[2].

والوفود والسفارات التي تصل قرطبة، تقدم هدايا خاصة للأمير أو الخليفة، وهذه بدورها تذهب إلى الخزانة الخاصة[3].

ولقد كانت الخزانة الخاصة تغص بالأموال، لكن ليس لدينا تحديد دقيق لمقدار تلك الأموال في أي سنة من عمر الدولة الأموية، إلا أن لدينا بعض الأرقام التي تساعد على تصور مدى ضخامة تلك الخزانة، فقد ذكر ابن حيان أن "صبح" أم الخليفة هشام المؤيد بالله، قد أخرجت جزءاً مـن مدخرات الخزانة الخاصة، فبلغ ثمانين ألف دينار[4].

وعندما قام عبدالملك بن المنصور بن أبي عامر بنقل بيت مال الخاصة من قصر قرطبة إلى الزاهرة، تنفيذاً لأوامر والده، وذلك يوم الثلاثاء الثالث

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٠٦-١٠٧.

٢ - البيان المغرب،٢/٢٢٦.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٣٢، ١١٠. نفح الطيـب، ١/٣٨٥. أزهار الرياض، ٢/٢٦٠-٢٦١.

٤ - الذخيرة، ق٤ م١ ص ٧١.

من جمادى الأولى سنة ٣٨٦هـ[١] (مايو ٩٩٦م) تمكن عبدالملك خلال ثلاثة أيام من حمل ماقدره: من الورق خمسة آلاف ألف دينار دراهم قاسمية، ومن الذهب سبعمائة ألف جعفرية[٢]، ومع ذلك لم يتمكن من أخذ كل مافي بيت مال الخالصة لوقوف السيدة "صبح" ومن معها من أهل القصر دونه[٣].

وعندما سيطر المهدي على الخلافة، استصفى ماكان في حوزة العامريين في الزاهرة من أموال، فقد تمكن خلال ثلاثة أيام من نقل خمسة آلاف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، ومن الذهب ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، ثم وجد فيها بعد ذلك خوابي مملوءة من الورق، مدفونة في الأرض، فيها مقدار مائتي ألف دينار[٤].

ويمكن أن نلحق بالخزانة الخاصة، تلك الأموال السريَّة التي كان أمراء وخلفاء بني أمية يحتفظون بها بطريقة سريَّة، فقد كانوا يعمدون إلى نفيس جواهرهم وذخائرهم ويحتفظون بها في مكان سري بقصر قرطبة، ولايعلم أحد عن تلك المدخرات، إلا واحد من كبار فتيان القصر، وتكون تلك المدخرات مسجلة في سجل خاص يحتفظ به ذلك الفتى[٥].

---

١ - المصدر السابق، ص ٧٢.

٢ - نفسه، ص٧٣.

٣ - نفسه، ص ٧٢.

٤ - البيان المغرب،٣/٦١.

٥ - المصدر السابق،٣/٧٦.

ورغم صمت المصادر عن ذكر أي مسئول يتولى إدارة الخزانة الخاصة، إلا أننا نتوقع أن هناك عددا من الموظفين الماهرين في العمليات الحسابية يعملون في تلك الخزانة، تحت إشراف أحد رجال القصر، الذي يعمل تحت مسمى وظيفة سرية.

وأموال الخزانة الخاصة ينفق منها أمراء وخلفاء بني أمية على لوازم قصورهم وضياعهم والمنى التي يتروحون فيها، وكذلك الإنفاق على الخدم والحشم والحرس الذين يعملون معهم.

وقد كان عدد الفتيان الصقالبة بقصر الزهراء في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون، ومن النساء الكبار والصغار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة إمرأة، ولذا فقد كان القصر الخلافي يستهلك يومياً من اللحم فقط ثلاثة عشر ألف رطل، هذا بخلاف الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان[١]. في حين أن جاري قصر الزاهرة في عهد المنصور بن أبي عامر تسعة آلاف رطل من اللحم على نسائه في قصره على طبقاتهن، وأما وظيفة مطبخة الخاصة المقامة كل يوم، فلم يوقف عليه لضخامته[٢].

كما ينفق أمراء وخلفاء بني أمية من الخزانة الخاصة على مايقومون ببنائه من منى وضياع، سواء كان لأنفسهم أو لأولادهم عندما يتم

---

١ - نفسه، ٢/٢٣٢.

٢ - أعمال الأعلام، ٢/١٠٢.

إخراجهم من القصر -باستثناء ولي العهد- وإجــراء الأرزاق الشــهرية والحولية[١]، بالإضافة إلى الإنفاق على بعض الأقارب[٢].

وهناك الوفود والسفارات التي تصل إلى قرطبة، فالأمير أو الخليفة، يُعوِّض الوفد عن هديته، كما أنه يقوم بالإنفاق على أعضاء الوفد طيلــة مكوثهم بقرطبة[٣].

ومن لجأ إلى الدولة الأموية فله الصلة والرزق والجرايــات إكرامــاً له[٤]، كما يتم إكرام بعض رجال الدولة في بعض المناسبات[٥]، والإنفاق على العلماء[٦] ومكافأة الشعراء[٧]، وتكريم قادة الجيوش بمنحهم السيوف المذهبة وإغداق الأموال عليهم[٨]، بالإضافة إلى ماتكلفه الحفلات الخاصة والمنح التي تعطى للمغنيين[٩].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٣٧. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٩٢. نفح الطيب، ٣٨/٣.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٦٦، ٢٦٧.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٥٣.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٧٠-١٧١.

٦ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٣٣-١٣٤.

٧ - المقتبس، تحقيق د.محمود مكي، ص ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦.

٨ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٨٠.

٩ - ابن القوطية، ص ٦٠، ٦٨-٦٩.

ثالثاً: الخزانة العامة للدولة

عُرفت هذه الخزانة باسم "خزانة المال[١]" أو "الخزانة[٢]" أو "الخزانة الكبرى[٣]" وكان موقعها داخل قصر الإمارة بقرطبة، ثم انتقلت إلى قصر الخلافة بالزهراء، ومن ثم إلى الزاهره، وأخيراً عادت إلى قصر قرطبة ابتداءاً من مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ووجود الخزانة داخل القصر، يعني أنها في مكان حصين، وتحت حراسة مشـــددة، إذ لم نسمع أنه قد تم السطو عليها، كما حصل لبيت مال المسلمين الموجود في المسجد الجامع[٤].

ويبدو أن خزانة الدولة، لم تكن ضخمة في بداية امرها، مما جعـــل أمر إدارتها يسيراً، لذا فقد تأخر إنشاء خطة خاصة بهذا الجهاز الذي يعد أهم وأضخم أجهزة الدولة الأموية، فالأمير الحكم الربضي هو الذي أنشأ خطة الخزانة، وجعلها جهازاً قائماً بذاته، وسفيان بن عبد ربه[٥] "هو أول

---

١ – البيان المغرب، ١٦٤/٢.

٢ – المصدر السابق، ١٥٨/٢.

٣ – المقتبس، تحقيق د.محمود مكي، ص ٢٥.

٤ – البيان المغرب، ٢٣٦/٢.

٥ – سفيان بن عبدربه المصمودي، لم يكن من أسرة عريقة في خطط الدولة الأمويـــة تولى خدمة الخزانة الكبرى، وتنقل في عدة مناصب، حتى نال منصب الحجابـــة للأمـــير عبدالرحمن بن الحكم، و لم يزل في منصبه هذا حتى توفى سنة ٢١١هـــ، وقد كان سفيان موصوفاً بالغناء والكفاية والعفة والأمانة، وعندما ذكره ابن حزم في جمهرته أشار إلى أن سلالة سفيان قد بادت ولا يعلم لهم خبرا. انظر: ابن القوطية، ص٦٢، إلا أنـــه ذكـــره

من استُخزن بالأندلس[١]" وذلك في أواخر القرن الثاني الهجري (الثـــامن الميلادي).

وطبيعي أن ابن عبدربه لم يكن يقوم بأداء مهام خطته لوحده فقـــد كان لديه مجموعة من الموظفين ذوي المهارة في الأعمال الحسابية، كما أن هناك العديد من المكاتب المالية المتناثرة في كور وثغور الدولة الأمويـــة، كلها تتبع خطة الخزانة، فقد كانت تلك المكاتب تقوم بإرسال مـــاتنجزه من مهام مالية إلى الخزانة العامة للدولة ويرأس كل مكتـــب مـــن تلـــك المكاتب موظف يعرف باسم الأمين أو الخازن[٢]، يقوم بجباية الضـــرائب بأنواعها، وبعد أن يصرف منها رواتب الموظفين والجند وبعض النفقـــات يرسل الفائض إلى الادارة المالية بالعاصمة.

ولاتسند هذه الخطة إلا لمن كان ثقـــة أمينـــاً، ذا درايـــة واســـعة بالحسبان، ويسمى صاحب هذه الخطة "الخازن" ويطلق على معاونيه اسم "الخُزّان" وكان عددهم يصل أحياناً إلى ثلاثة[٣]، يرأسهم الخازن الـــذي يعرف بـــ"شيخ الخُزّان[٤]" وعندما تعرض ابن خلدون لذكر هذه الخطـــة

باسم "مهران". جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٠، المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٥-٢٦.

١ – المصدر السابق، ص٢٥.

٢ – الحلة السيراء ١/٢٤١.

٣ – ابن القوطية، ص ٦٢.

٤ – المصدر السابق، ص٦٢.

عند أموي الأندلس، ذكر أن متوليها له جزء من رئاسة الدولة[١]. لأجل هذا فقد كانت الدولة الأموية لاتسندها إلا لمن كان من ثقاهما، ويخرج بمناسبة التعيين ظهير للخازن الجديد تحدد له فيه الصلاحيات، ويرشد إلى بعض الأمور، بعد أخذ العهد عليه، ويدعى له بالتوفيق.

ولقد كانت شخصيات رجال الدولة الأموية، شخصيات فذة، سمتها الإخلاص، وظهر هذا جلياً في موقف شيخ الخزَّان موسى بن حدير الذي رفض تنفيذ أمر الأمير عبدالرحمن الأوسط بصرف مبلغ ثلاثين ألف دينار للمغني زرياب، فقد قال موسى بن حدير لصاحب الرسائل الذي حمل الأمر "نحن وأن كنَّا خُزَّان الأمير أبقاه الله، فنحن خُزَّان المسلمين، نجبي أموالهم وننفقها في مصالحهم، ولا والله ماينفذ هذا، ولامنا من يرضى أن يرى هذا في صحيفته غدا، أن نأخذ ثلاثين ألفا من أموال المسلمين وندفعها إلى مغن في صوت غناه، يدفع إليه الأمير أبقاه الله ذلك مما عنده"[٢].

والبيانات الحسابية التي يقدمها الخُزَّان وشيخهم لايصادق عليها مباشرة، وإنما تتم عملية مراجعتها من قبل الأمير أو الخليفة، ومناقشتهم فيها، ويتم التغاضي عن الخطأ إن كان يسيرا[٣]، لكنه ربما أدى ذلك إلى عزل الخزّان وشيخهم، وهذا مافعله الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٦٧٨.

٢ - ابن القوطية، ص٦٨-٦٩. إن من توفيق الله لولي الأمر أن تكون بطانته صالحة.

٣ - المقتبس، تحقيق د.محمود مكي، ص ١٣٦.

٣١٦هـ (٩٢٨م) عندما أمر بعزل جميع خُزَّان المال، وكانوا خمسة، وولى مكانهم أربعة خُزَّان[١].

وقد كان الخليفة الحكم المستنصر بالله لايكتفي بالعزل، بل يصحب ذلك الإهانة والإذلال، وهذا ماتعرض له الفتى دري الكبير الصقلبي، المعروف بالخازن، فقد غضب عليه الخليفة الحكم لتقصيره في عمله، فأقصاه وأهانه وولى إذلاله صاحب المدينة بالزهراء زياد بن أفلح، وذلك في شهر رجب سنة ٣٦٢هـ[٢] (إبريل ٩٧٣م).

وكانت الخزانة العامة تتلقى مواردها من عدة طرق، منها الجزية والخراج والصدقات والعشور والغنائم والمصادرات وغيرها.

فالجزية هي "الوظيفة المأخوذة من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام"[٣] وبذلك فهي ضريبة على الرؤوس، فالذمي يلتزم بأداء مقدار من المال للدولة الإسلامية في موعد محدد، متى ماتوافرات شروطها، وذلك مقابل حمايته وحماية أملاكه، وفي هذا يقول الماوردي إن الجزية "موضوعة على الرؤوس، واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارا، وإما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقا"[٤] والأصل

---

١ - البيان المغرب، ١٩٧/٢. لكن العزل الذي أجراه الناصر هنا ربما كان جرياً على عادته في التغيير المستمر لرجال دولته، ونقلهم من خطة لأخرى.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٠٣.

٣ - ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، المغني (القاهرة ١٣٦٧هـ) ج٥ ص٤٩٥.

٤ - الأحكام السلطانية، ص ١٢٧.

فيها قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1] وهي بذلك تسقط عند الدخول في الإسلام.

ورغم أننا نفتقر لنصوص تبين لنا الكيفية التي كانت تُجبى عليها الجزية في الأندلس، إلا أننا لانشك في أن التعامل مع أهل الذمة هناك في هذه المسألة، كان يسير وفق هدي الشريعة السمحة، فكل ذمي يدفع الجزية وفق طاقته، ويعفى منها المسكين[2]، والأعمى[3]، والمقعد[4]، والمريض الذي لايرجى شفاؤه[5]، كما أعفي منها المملوك، والمجنون، والصبيان، والنساء، والقسس والرهبان[6].

وكانت الجزية تؤخذ من فئات ثلاث من فئات أهل الذمة، فمن الموسر يؤخذ ثمانية وأربعون درهماً، ومن الوسط أربعة وعشرون درهماً،

١ - سورة التوبة آية رقم ٢٩.

٢ - أبو يوسف، كتاب الخراج ، (القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط الثانية ١٣٥٢هـ) ص١٢٢.

٣ - المصدر السابق،ص ١٢٢.

٤ - نفسه، ص ١٢٢.

٥ - نفسه، ص ١٢٣. الأحكام السلطانية ص ١٣٠.

٦ - كتاب الخراج، ص١٢٢. الأحكام السلطانية، ص ١٢٨.

ومن الذي يعمل بيده كالخياط والصباغ والاسكافي والخراز ومن أشبههم، أثنا عشر درهماً[١].

لكن في الأندلس كان الدينار بسبعة عشر درهما[٢]، وعليه فإن الموسر يدفع واحد وخمسين درهما، والوسط أربعة وثلاثين درهما، والعامل بيده سبعة عشر درهماً، تؤخذ منهم كل سنة[٣].

ويتولى قبض الجزية من أهل الذمة في كل كورة ومدينة، موظف من موظفي الدولة ممن يوثق بدينه وأمانته، ويكون معه أعوان لمساعدته، فيقومون بجمعها بدون ظلم وتعسف[٤]، فإذا اجتمعت لديه الأموال حملها إلى بيت المال[٥].

وأما الخراج فهو "ماوضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها"[٦] وهي الأرض التي صولح عليها المشركون من أرضهم، وهي على نوعين: أحدهما ماهرب عنه أصحابه، فخلص للمسلمين بغير قتال، فتصبح وقفاً على مصالح المسلمين، ويضرب عليها الخراج ويكون أجرة تقر على الأبد وإن لم يقدر بمدة، والأخر مأقام فيه أهله وصولحوا على

---

١ – كتاب الخراج، ص ١٢٢، ١٢٣–١٢٤. الأحكام السلطانية، ص ١٢٨.

٢ – صورة الأرض، ص ١٠٨.

٣ – أبو رميله، نظم الحكم في الأندلس، ص ٢١٩.

٤ – كتاب الخراج، ص ١٢٤.

٥ – المصدر السابق، ص ١٢٤.

٦ – الأحكام السلطانية، ص ١٣١.

إقراره في أيديهم بخراج يضرب عليهم، وهذا بدوره ينقسم إلى قسمين، أحدهما: أن يتزلوا عن ملك الأرض فتصبح وقفاً على المسلمين، ويكون الخراج المضروب عليهم أجرة لاتسقط إلا بإسلامهم، والأخر: أن يستبقوها على أملاكهم ولايتزلوا عن رقابها ويصالحوا عليها بخراج[١].

والحديث عن الخراج في الأندلس يتطلب تتبع عملية الفتح، والإجراء الذي قام به موسى بن نصير ومن أتى بعده من الولاة، وعندما تعرض الدكتور حسين مؤنس للحديث عن الخراج في الأندلس، ذكر بأن عقدة العقد في تاريخ عصر الولاة هي ناحية الخراج[٢]. ثم ناقش هذه القضية باستفاضة، وخلص إلى أن موسى بن نصير قد قام بتخميس الأراضي الواقعة جنوب الوادي الكبير، فجعل أربعة أخماس تلك الأراضي بأيدي القبائل المشتركة في عملية الفتح، والخمس ملكاً للدولة، وانسحب هذا الحكم على الأراضي الواقعة بين الوادي الكبير ووادي آنه، ومابين هذا النهر والمحيط الأطلسي، فيما عدا ثلاثة مدن، وهي التي استسلم أهلها للمسلمين، وبذلك لم يجر عليها حكم العنوة.

وبذلك أصبحت أراضي الجنوب والغرب، التي تقاسمها العرب إقطاعات، ملكاً لأصحابها، يتوارثها الأبناء عن الآباء، وهو مأيده الخليفة الوليد بن عبدالملك، حيث منح زعماء تلك القبائل سجلات بذلك،

---

١ - المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢.

٢ - فجر الأندلس، ص ٦١٤.

وعندما جاء الخليفة عمر بن عبدالعزيز أيد فعل الخليفة الوليد، واعتبر مافتحه المسلمون من الأرضين إقطاعات[١].

وعلى ضوء الدراسة الوافية التي قام بها الدكتور حسين مؤنس للناحية المالية ومسائل أراضي الخراج في الأندلس، يمكن القول بأن نصيب خزانة الدولة كانت ثلث خراج أراضي الخمس[٢]، وطيلة عهد الدولة الأموية كان ذلك الثلث معلوم المقدار، ولم يختل إلا بعد أن اندلعت الفتن، وانتزى كل زعيم بجزء من أراضي الدولة الأموية، مشكلاً دولة من دول الطوائف[٣]. في حين أن العرب والبربر الذين دخلوا الأندلس في أوائل الفتح واستقروا في إقطاعاتهم، كانوا يدفعون العشر فقط[٤]، إضافة إلى قيامهم بتلبية نداء حكومة قرطبة عند الغزو، واستمر الوضع بهذه الصورة إلى أن أعفاهم الحاجب المنصور بن أبي عامر من الغزو، شريطة دفعهم لمبالغ إضافية زيادة على العشر[٥].

---

١ - انظر: الرسالة الشريفية في الأقطار الأندلسية "منشورة في آخر كتاب: افتتاح الأندلس لابن القوطية" ص ١٩٨-٢٠٧. رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص ١١٢-١١٦. فجر الأندلس ص٦١٥-٦٢٩.

٢ - انظر:الرسالة الشريفية، ص١١٢-١١٦.الإحاطة١/١٠٦. رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص١١٢.

٣ - الرسالة الشريفية، ص٢٠٣، رحلة الوزير في افتكاك الأسير ص١١٤.

٤ - الإحاطة، ١/١١٠.

٥ - مذكرات الأمير عبدالله ص ١٧. أعمال الأعلام ٢/٦٨.

وأما أراضي الصلح، فإن أهلها كانوا يقومون بدفع جزية عن رؤوسهم وخراجاً عن أراضيهم، وهذا الخراج جُعلت قيمته تبعاً لطيب الأرض وغلتها[١].

ويتولى جباية خراج أراضي الصلح، أحد موظفي الدولة، يساعده في ذلك رؤساء أهل الذمة، وهم "أشياخ من أهل دينهم، أولو حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم[٢]" ولعل أرطباس القومس زعيم أهل الذمة في الأندلس، كان أشهر مستخرجي خراج الذميين للمسلمين[٣]. بينما نجد القبائل العربية صاحبة الإقطاعات، يتولى زعيم كل قبيلة جمع خراج قبيلته، فإن كانت القبيلة شامية اكتفى زعيمها بإرسال ماتمت المقاطعة به على أموال أهل الذمة التي في أيديهم لحكومة قرطبة، وذلك دون العشر، لأنهم معفيين منه، إذ أن قبائلهم معدة للغزو[٤]، إضافة إلى تقديم الدولة الأموية في الأندلس لهم على من سواهم، واما إن كانت القبيلة بلدية، أدت ضريبة العشر إضافة إلى ماتمت المقاطعة عليه[٥].

١ - رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ١١٦، فجر الأندلس ص ٦٢٦.

٢ - الإحاطة، ١/١٠٧.

٣ - المصدر السابق،١/١٠٣.

٤ - نفسه، ١/١٠٤.

٥ - نفسه، ١/١٠٤-١٠٥.

ومن الموارد التي كانت تستفيد منها الخزانة العامة، الأموال التي كان يبعث بها القادة المرابطين في بعض الكور والثغور، وهذه الأموال أو الضرائب برزت بصورة قوية في عهد الأمير عبدالله بن محمد ٢٧٥-٣٠٠هـ (٨٨٨-٩١٢م) وذلك بسبب اندلاع الفتن في أرجاء الدولة الأموية، وحصول قادة تلك الفتن على مايشبه الحكم الذاتي مقابل دفعهم لمبالغ مادية سنوية لحكومة قرطبة. ويبدو أن الأموال التي كانت تحصل عليها الدولة من هذا الجانب، ضخمة جداً، يدل على ذلك أنه قد أنشئ ديوان خاص بها، يتولى استقبال تلك الأموال، وكان ذلك الديوان ضخماً، بحيث أطلق عليه مصطلح "خطة القُطُع"[١] ويرأس هذه الخطة أحد كبار رجال الدولة وكان موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير من بين الذين تولوا هذه الخطة للأمير عبدالله بن محمد[٢].

وهناك مورد آخر للخزانة، فقد كانت حكومة قرطبة تتحفظ على أموال المتوفين أو الغائبين أو من تطالبهم الدولة بأموال حتى يتم الفصل في أمرها، وقد أنشأت خطة خاصة بهذه الأموال تسمى "خطة العقل"[٣].

وتعد الضرائب من الموارد الهامة لخزانة الدولة، منها: ضريبة القطيع، ويبدو أنها فرضت عند آخر عهد الدولة الأموية، عندما أصبح خلفاء الفتنة لايجدون مورداً مالياً يغطي نفقات أطماعهم، وعن ضريبة القطيع

---

١ - الحلة السيراء ١/٢٣٠.

٢ - المصدر السابق، ١/٢٣٣.

٣ - نفسه، ١/٢٤٣، الحاشية رقم ٣.

يقول ابن حزم "واما في زماننا هذا وبلدنا هذه ... فإنما هي جزية على رؤوس الناس يسموها القطيع ويؤدوها مشاهرة[١]" ومن هنا يتضح أنها لاتفرق بين ذمي أو مسلم[٢].

وهناك ضريبة تجنيها الدولة تسمى "القبالة" وهي "أن يدفع السلطان أو نائبه صقعاً أو بلدة أو قرية إلى رجل مدة سنة مقاطعة بمال معلوم يؤديه إليه عن خراج أرضها وجزية رؤوس أهلها إن كانوا أهل ذمة فيقبل ذلك ويكتب عليه بذلك كتاب[٣]".

والقبالة مفيدة لولي الأمر إذ أنه يحصل على الأموال مباشرة، كما أنها مفيدة للمتقبل إذ أنه سيجني أكثر مما دفعه، والضحية في ذلك الرعية، فهم يتعرضون لظلم ذلك المتقبل وعسفه الذي لايعنيه من الأمر سوى الربح، ولذا نجد الخليفة الحكم المستنصر بالله يحذر المتقبلين لديه من التعرض في شيء لعابري السبيل[٤]. ولكن يبدو ان أمر القبالة والمتقبلين

---

١ – د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص ٨٤-٨٥.

٢ – هذه الحالة ربما تكون هي أخر مرحلة تعيشها الدولة عند السقوط، إذ يصبح هم صاحب الدولة منحصراً في كيفية الحصول على الأموال دونما أي اعتبار لمصدرها أو تأثيرها على الأخرين.

٣ – عبدالعزيز بن محمد الرحبي الحنفي، فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج، (تحقيق: د.أحمد عبيد الكبيسي، نشر رئاسة ديوان الأوقاف الجمهورية العراقية ١٩٧٥م) ٣/٢.

٤ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ١١٣-١١٤.

أصبح شراً على الأندلسيين، من جراء الظلم الذي كانوا يتعرضون لــه، ولذا نجد ابن عبدون يحمل على المتقبل، ويعتبره شر خلــق الله، ويصــفه بالزنبور الذي خلق للضرر، لا للنفع لأنه لايسعى إلا بمضرة المســلمين، فهو "ملعون من الله ومن الناس أجمعين، فيجب على القاضي أن يستحلفه ويحد له مايصنع في تصرفه، ولايتركه يتحكم في أموال الناس باختيــاره وعلى مايراه أنه صواب لنفعه، ويغلظ له في القول والتوبيخ، وأن يرتب له الوزير بحضرة القاضي مايأخذ من الأشياء التي يتقبلــها ولايزيــد فيهــا ولاينقص، ومتى تعدى على أكثر من ذلك أُدِّب وسُجن ونُكِّل"[١].

ومن قبل ابن عبدون، كان القاضي أبو يوسف قد هاجم المتقــبلين وطراءقهم في جمع الخراج فقال "والمتقبل لايبالي بهلاكهم بصلاح أمره في قبالته، ولعله يستفضل بعد مايتقبل به فضلا كثيرا، وليس يمكنه ذلــك إلا بشدة منه على الرعية، وضرب لهم شديد، وإقامته لهم في الشمس، وتعليق الحجارة في الأعناق، وعذاب عظيم ينال أهل الخراج مما ليس يجب عليهم من الفساد الذي نهى الله عنه"[٢].

وعرفت الخزانة عدة ضرائب أخرى منها: العشور، وهي رســوم تؤخذ من الرعية بلا استثناء فعلى المسلم ربع العشر، والــذمي نصــف العشر، والحربي العشر[٣]، وهذه الضريبة تؤخذ من التجار، فهي بالنســبة

---

١ – رسالة ابن عبدون في آداب الحسبة والمحتسب، ص ٣٠.

٢ – كتاب الخراج، ص ١٠٥.

٣ – كتاب الخراج، ص ١٣٢. المغني، ٥١٨/٨.

للمسلم زكاة، ولأهل الذمة تنفيذاً لعقود الصلح المبرمة معهم، وتؤخذ من الحربي الذي يمر بتجارته في أراضي المسلمين لقاء حمايته، وطبيعي أنها لاتؤخذ إلا بعد بلوغ النصاب[١].

ومنصب متولي آخذ العشور، باب للثراء على حساب الآخرين، ولذا يجب أن لايليه إلا من يوثق بدينه وأمانته، ويقف عند الحدود التي حدها له القاضي، ويعمل بوصيته، فيرفق بأصحاب التجارة والمزارعين ولايشطط عليهم، وإذا أتى بالزمام الذي دَّون فيه ماقبضه من عشور، فلابد أن يريه القاضي ليمضي عليه، وصاحب العشور يستلم أجرته من عند رئيسه، ولايستلمها ظلماً وجوراً من أصحاب الأموال المعشَّرة[٢].

ويبدو أن متولي مهمة قبض العشور كانوا لايلزمون النهج الشرعي في عملهم، ولذا نرى ابن عبدون يندد بهم، ويصفهم بالظلمه الفسقة، ويعتبرهم "أكلة سحتٍ، أشراراً، سفلة، لاخوف ولاحياء ولادين ولاصلاة لهم، ... باعو أديانهم بدنيا غيرهم"[٣].

ولنا أن نتوقع أن المبالغ التي يتم تحصيلها من العشور كانت ضخمة للغاية، وهذه متوقفة على الحالة الاقتصادية للدولة، والأندلس بلغت في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله الغاية في المستوى الاقتصادي، وفي عهده تم إجراء حصر لما يتم بيعه من السمك المملح فقط، بقرطبة خلال

---

١ - كتاب الخراج، ص١٣٣. المغني، ٥١٩/٨.

٢ - رسالة ابن عبدون، ص ٦.

٣ - المصدر السابق، ص٦-٧.

يوم واحد، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار دراهم[١]. وأما المنصور بن أبي عامر فقد أمر بإحصاء أحمال الحطب التي تصل إلى قرطبة في اليوم الواحد، فبلغ ذلك ستة آلاف وستمائة حمل على اختلافها[٢].

وكانت هناك ضريبة تؤخذ من المواريث تسمى رسوم المواريث، وكانت تجري بقرطبة وسائر كور الأندلس على الأمانة[٣].

ومن الضرائب التي كانت تدر دخلاً على الخزانة العامة، ضريبة تدفعها الرعية لمعاونة الدولة تسمى "المعاون"[٤] ومن اسمها يتضح أنها تُفرض وقت الحاجة، كذلك لدينا ضرائب المراصد[٥]، والجزاء[٦]، والبيزرة[٧]، والطبل العام وهي لقاء الإعفاء من الاشتراك في الغزوات[٨].

وهناك ضريبة تعرف باسم "المغارم" وهي عقوبة يفرضها الأمير أو الخليفة الأموي على أهل كورة من الكور عقاباً لهم، ولذا نجد الأمويين

---

١ – أعمال الأعلام، ١٠٤/٢.

٢ – المصدر السابق، ص١٠٤.

٣ – نفسه، ٩٨/٢.

٤ – نفسه، ٩٨/٢.

٥ – أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص٢٣٣.

٦ – المرجع الصابق، ص ٢٣٣.

٧ – هي كل ماله صلة بأمور الصيد .

٨ – أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص ٢٣٣.

يتحببون إلى رعاياهم بإسقاط المغارم عنهم كلها أو بعضها[١]، كما كانوا يتحببون إليهم بإسقاط جزء من ضريبة البقية، وهي ماتبقى من الضرائب التي لم تدفعها الرعية، أو إعفائهم منها كلية مراعاة لظروفهم[٢].

ومن الضرائب كذلك ضريبة تلتزم بها الرعية للجيش وتسمى النازلة أو إنزال أو التقوية[٣]، وهي التي تبرأ منها الخليفة القاسم بن حمود[٤].

ومن موارد الخزانة العامة، الأموال التي يدفعها العمال للدولة عند عزلهم عن مناصبهم نتيجة إساءتهم السيرة[٥].

وهناك ضريبة يمكن أن نسميها ضريبة استخدام المرافق، وهي ماتحصله الدولة من الرعية لقاء استخدامهم لمنشأة من المنشآت الهامة، وهذا نوع من أنواع المكس، ولاندري هل طبقت هذه الضريبة في الأندلس أم لا. فقد ورد خبر لدى ابن سعيد، أن أحد رجال الخراج رفع للأمير عبدالرحمن الأوسط كتاباً يقترح فيه أن يتم تحصيل ضريبة على

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٠٧. البيان المغرب، ٢/١٠١، ١٠٩، ١١٤، ٢٤٩، ٢٥٩. ٣/٣.

٢ – أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص ٢٣٤.

٣ – L-Provencal, Op. Cit. T.III, p.40.

٤ – البيان المغرب، ٣/١٣٠.

٥ – الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص ١٤١. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٩٢-١٩٣. البيان المغرب، ٢/١١٦.

الدواب والأحمال التي تعبر قنطرة قرطبة، لكن الأمير اعتبر ذلك مكساً قبيحاً ووبخ الرجل على اقتراحه[١].

ومن خلال قيام الجيوش الأموية بحملات الصوائف والشواتي، ضد الممالك والامارات النصرانية في الشمال الأسباني، أصبحت الغنائم التي تنتج عن تلك الغزوات أحد الموارد الهامة للخزانة العامة، حتى قال فيها أحد الشعراء يمتدح أحد القادة المشهورين بالغزو:

ففي كلِّ صيف وفي كلِّ مشتى غزاتان منك على كل حال
فتلك تبيدُ العدو وهذي تفيد الإمام بها بيت مال[٢]

ففي عهد الأمير هشام الرضا بلغ خمس الغنائم خمسة وأربعين ألف من الذهب العين وذلك سنة ١٧٧هـ (٧٩٣-٧٩٤م)[٣] وبلغت الغنائم أوجها في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر حتى أنه كان يعرف بالجلاّب[٤]. ولكي تتجنب تلك الممالك والإمارات ضربات الجيوش الأموية، كانت تلتزم بدفع الجزية، ومن تأخر عن موعده تولت الجيوش

١ - المغرب في حلى المغرب، ٥١/١.
٢ - البيان المغرب،١٣٩/٢.
٣ - المصدر السابق،٦٤/٢.
٤ - نفسه، ١٣/٣.

الأندلسية إرغامه على دفعها[١]. بالإضافة إلى ماكانت الجيوش الأندلسية تحصل عليه جراء تصديها للمناوئين في بر العدوة المغربية[٢].

بقي أن أشير إلى أنه كانت هناك ضريبة عينية، تسمى وظائف مخزنية، إذ يتم فيها استلام الحبوب ممن فُرض عليهم دفعها، وتخزينها في مستودعات خاصة تسمى "أهراء" وهذه الأهراء يجب أن تبقى ملأى بالحبوب، إما لمواجهة سنوات القحط، أو لتكون عونا للجيوش الغازية، أو لبيعها أحياناً في الأسواق عندما تقل الحاجة إليها[٣]، وقد تغيرت هذه الضريبة فيما بعد، إذ أصدر الخليفة علي بن حمود قراراً يقضي بتحصيلها نقداً لاعيناً، على أساس ستة دنانير لكل مدي قمح، وثلاثة دنانير لكل مدي شعير[٤].

ومن كل هذه الأنواع العديدة من الضرائب، لاعجب ان تكون الخزانة العامة غاصة بالأموال. وطبيعي أن المقدار الذي كانت الدولة

---

١ - المقتبس، تحقيق د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٢٤-٢٢٥.

٢ - المصدر السابق،ص ١٣٤-١٣٥.

٣ - أعمال الأعلام، ٩٩/٢.

٤ - أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص٢٤٣. ومن الملاحظ أن المصادر الأندلسية شحيحة المعلومات عند الحديث عن المكاييل والموازين في الأندلس، فلم تعرف بالإضافة للمدي سوى القفيز، والمدي القرطبي يزن ثمانية قناطير والستة أقفزة هي نصف مدي، وتزن أربعة قناطير.انظر: نصوص عن الأندلس، ص ١٢٤، ١٢٥. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٠٩. المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٥٣. تعليق منتقى، ص٣٢.

الأموية في الأندلس تحصل عليه من الجباية سار بالتدريج من القلة إلى الكثرة. وهذا الأمر لايقتصر على الدولة الأموية بل ينسحب على جميع الدول، وهو ماتعرض ابن خلدون لمناقشته، حيث أشار إلى أن الدولة في بداية عهدها تكون قليلة الجباية، لتمسكها بأمور الشرع من جهة، ولتخلقها بأخلاق البداوة إن كانت ذات عصبية، وهي بذلك تعمد إلى المسامحة والغفلة عن التحصيل إلا ماندر، وإذا وصلت الدولة إلى مرحلة الحضارة وجاء الملك العضوض احتاج ولاة الأمر إلى أموال تغطي حياة الترف التي يعيشونها، فيعمدون عندها إلى فرض الضرائب والمكوس، ويكثرون منها، فتكثر الجباية، ثم تتدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار، والرعية لاتشعر بثقل تلك المغارم، فيهضموها كانها عادة مفروضة[١].

وإذا أتينا إلى الدولة الأموية في الأندلس، نجد أن كلام ابن خلدون قد طُبق هناك تماماً، ففي عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، بلغت جملة الجباية ٣٠٠٠٠٠دينار[٢]، وارتفع هذا الرقم إلى الضعف في عهد الأمير الحكم الربضي ١٨٠-٢٠٦هـ (٧٩٦-٨٢٢م) حيث بلغ ٦٠٠٠٠٠دينار[٣]، وفي عهد ابنه الأمير عبدالرحمن الأوسط ٢٠٦-٢٣٨هـ (٨٢٢-٨٥٢م) كان دخل الدولة من الجباية مليون دينار[٤].

---

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٧٢٩-٧٣١.

٢ - نفح الطيب، ١/١٤٦.

٣ - المصدر السابق،١/١٤٦.

٤ - المغرب في حلى المغرب، ١/٤٦.

والحالة الاقتصادية لأي دولة ذات ارتباط وثيق بالاستقرار السياسي، فأي اهتزاز في الوضع السياسي، يعني إنعكاساً سلبياً على الناحية الاقتصادية.

وهذا ماجرى في الأندلس، فقد تعرضت منذ منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى هزات سياسية عنيفة، واندلعت الفتن في أرجاء الدولة، الأمر الذي قصر سيطرتها على قرطبة وبعض النواحي، مما أدى إلى حرمان الدولة من مصادر مالية عديدة، وبالتالي فإن مقدار الجباية قل كثيراً عما كان عليه سابقاً.

لكن مع بسط الخليفة عبدالرحمن الناصر نفوذه على أرجاء الدولة ككل، تحسن الوضع الاقتصادي كثيراً، فارتفعت المبالغ المحصلة من الجباية فقط إلى ٥٤٨٠٠٠٠دينار[١]" خمسة ملايين وأربعمائة وثمانون ألف دينار" ويبدو أن الثراء الاقتصادي الذي كانت تعيشه الأندلس، قد بهر الرحالة ابن حوقل، مما دفعه إلى التصريح بذلك، فقد اعتبر أن الخزانة العامة في الأندلس لامثيل لها في العالم الإسلامي إلا ماكان عند الغضنفر أبي تغلب بن الحسن بن عبدالله بن حمدان[٢].

---

١ - انظر الحلة السيراء، ١/٢٣٣، حاشية رقم ١.

٢ - صورة الأرض، ص ١٠٧. أبو تغلب الغضنفر بن الحسن بن عبدالله بن حمدان التغلبي، تولى إمارة الموصل عوضا عن أبيه الذي أصيب بعقله، وذلك سنة ٣٥٦هـ، كان الغضنفر بطلاً سائساً، خاض معارك عديدة في جهات متفرقة، وبسببها هرب إلى دمشق ونزل بظاهرها، ثم انتقل إلى الرملة بفلسطين في شهر محرم سنة ٣٦٩هـ وهناك=

ويذكر ابن حوقل اعتماداً على ماسمعه من أحد محصلي الجبايات في الأندلس على عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، أن الأموال التي دخلت خزانة الدولة منذ سنة ٣٢٠-٣٤٠هـ (٩٣٢-٩٥١م) كانت قريباً من عشرين ألف ألف دينار[١]، وعندما توفي كان في خزائنه من الأموال خمسة آلاف ألف ألف ثلاث مرات[٢]، ولكن لعل هذا المبلغ دراهم لادنانير[٣].

ويعد عهد الخليفة الحكم المستنصر امتداداً طبيعياً لعهد والده، ولذا فمن المتوقع أن الدخل قد زاد عن سابقه، ثم بلغ في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر أربعة آلاف ألف دينار، عدا رسوم المواريث والمصادرات ونحوها[٤]، ونظراً للغزوات العديدة التي اشتهر بها المنصور، وحرصه الشديد على تحصيل الأموال وتنميتها، فقد وجد في بيوت الأموال بعد وفاته من الأموال النقدية أربعة وخمسين بيتا[٥].

=أسر وقتل صبراً بين يدي الأمير مفرج الطائي وبعث برأسه إلى العزيز بالله الحاكم العبيدي في مصر. انظر: الكامل في التاريخ، ٣٨٤/٧-٣٨٥. سير أعلام النبلاء، ٣٠٦/١٦-٣٠٧.، النجوم الزاهرة، ١٣٦/٤.

١ - المصدر السابق،ص ١٠٧.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ص ٥٦٤.

٣ - أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص٢٤٦.

٤ - أعمال الأعلام، ٩٨/٢.

٥ - البيان المغرب،٣٠١/٢.

وهذه الدخول الضخمة، كان لها في المقابل وجوه إنفاق متعددة، لخصها أحد المؤرخين بقوله أن الأمويين كانوا يقسمون مال الخزانة لديهم إلى ثلاثة أقسام: ثلث للجيش، وثلث للصرف العام، وثلث يدخر[١].

وقد ذكر ابن سعيد عند حديثه عن الخليفة عبدالرحمن الناصر أنه كان يقسم أموال الجباية إلى ثلاثة أقسام: قسم للجند والحرب، وقسم للبنيان[٢]، وقسم ينفق منه في غير هذين من المصالح، ويخزن باقية ذخيرة[٣]. والظاهر من النص أن الجباية تقسم أربعة أقسام، لكن لعل الأصح أنها ثلاثة إذ ان المال المدخر هو المتبقي من الثالث المعد للصرف في غير الجند والبنيان.

وقد ذكر ابن الخطيب نقلاً عن ابن حيان معلومات أكثر تفصيلاً عن الإنفاق الذي كان يسير عليه الأمويون، فقد ذكر أن الأموال توضع في أربع بيوت تؤخذ النفقات السلطانية منها على المشاهرة بالزيادة والنقصان، مابين الشهر والشهر مائتي ألف دينار إلى مائة وخمسين ألفا، وعند دخول شهر يونيو يتضاعف الإنفاق فيه استعداداً للغزو، حيث يصل

---

١ - نفح الطيب، ١٤٦/١.

٢ - عن البناء في الأندلس، واهتمام الدولة الأموية به، انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٢٢٤. المغرب في حلى المغرب، ١٧٩/١. ذكر بلاد الأندلس، ٤٦/١، ٥٠، ٧٦، ٧٧، ١٧٩. نفح الطيب، ١، ١٦٢، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٧٩.

٣ - المغرب في حلى المغرب ١٨٣/١.

إلى خمسمائة ألف دينار وأكثر، والفائض من الدخل بعد كل المصاريف يتم ادخاره[١].

خطة السكة

تتألف السكة في نظر ابن خلدون من الدرهم والدينار فقط، ويكونان بوزن معلوم، ومقدار معين تجري عليهما أحكام الشرع الخاصة بالزكاة والأنكحة والحدود، ثم ذكر أن الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه أربعين درهما وبذلك فهو يساوي سبعة أعشار الدينار، والمثقال من الذهب يزن ثنتين وسبعين حبة من الشعير، والدرهم خمسة وخمسين حبة من الشعير[٢].

وفي الأندلس، كان ضرب العملة من الأعمال السيادية للدولة الأموية، لكن يجب أن نشير إلى أنه كان للخاصة أيضاً مطلق الحرية في أن يجلبوا لدار السكة مالديهم من ذهب وفضة، لكي تضرب لهم بقيمتها دنانير ذهبية ودراهم فضية[٣].

---

١ – أعمال الأعلام، ٢/٩٨.

٢ – مقدمة ابن خلدون، ص ٧٠٣.

٣ – ذكر ابن حيان رواية عن أمية، مافعله محمد بن أبي عامر عندما كان صاحب السكة في زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله، فقد قبل ابن أبي عامر أن يأخذ من محمد بن أفلح غلام الخليفة الحكم، لجاماً محلى ثقيل الوزن ردئ العيار، فوزن له اللجام بحدائده وسيوره، وأعطاه قدر ذلك الوزن دراهم، تقديراً من ابن أبي عامر للضائقة المالية التي كان يمر بها محمد بن أفلح. انظر: الذخيرة، ق٤ م١ ص ٦٣.

وحق سك النقود محدد بعمولة نسبية، تتراوح ما بين ١,٧٥% للذهب، وأقل بقليل من ٣% للفضة[١]، وهذه العمولة تعود على الخزانة العامة للدولة بدخل ضخم، بلغ في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر مائتي ألف دينار أو ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف درهم سنوياً، إذ أن الدينار في الأندلس، يصرف بسبعة عشر درهماً[٢].

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الأندلس لم تعرف ضرب العملة منذ أن فتحها العرب، وأن أول من نظم السك الرسمي للنقود، هو الأمير عبدالرحمن الأوسط، إذ أنه قام بإحداث دار السكة بقرطبة وضرب الدراهم باسمه[٣].

ولعل هذا ناتج عن أن العرب كانوا في الأندلس يتعاملون بالقطع القوطية، أو بالعملة الذهبية والفضية التي اعتاد بعض المسافرين جلبها معهم من المشرق، بقصد الاتجار بها في الأندلس[٤]، وأن الوضع استمر على هذه الصورة حتى عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط، الذي امتثل لنصيحة أحد رجاله المخلصين، فقام بسك العملة. ولكن رغم ذلك لم تكن عملية السك تتم باستمرار، أو حتى بصورة تغطي الاحتيجات،

---

١ - .Live Provencal, op. cit, ovl, III, P.42

٢ - صورة الأرض ص ١٠٤.

٣ - ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤٦/١. ابن عذاري، البيان المغرب، ٩١/٢. ذكر بلاد الأندلس، ١٤٠/١-١٤١.

٤ - ذكر بلاد الأندلس، ١٤١/١.

لأجل هذا استمر التعامل بالقطع النقدية القادمة من المشرق حتى أواخر عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط[١].

ولكن القول بأن الأندلس لم تشهد ضرباً للسكة إلا في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط ٢٠٦-٢٣٨هـ (٨٢٢-٨٥٢م) لايمكن التسليم به فقد ثبت أن العملة كانت تضرب في الأندلس، منذ عصر الولاة[٢]، ٩٥-١٣٨هـ (٧١٤-٧٥٥م) فقد وُجد دينار ضرب بالأندلس سنة ٩٨هـ (٧١٦-٧١٧م) في عهد الوالي الحر بن عبدالرحمن الثقفي، ٩٧-١٠٠هـ (٧١٦-٧١٩م) كتب في مركزه عبارة "محمد رسول الله" وعلى الطوق "ضرب هذا الدينر بالأندلس سنة ثمان وتسعين" وكان وزن ذلك الدينار "٤,٢٩غم"[٣] واستمر ضرب العملة في

---

١ - L.provencal, op. cit. Vol. III, p:42-43

٢ - لقد شهدت الأندلس ضرب العملة في مرحلة الفتح، إلا أن تلك العملة كانت الكتابات اللاتينية تغطي منطقتي الوجه والظهر، انظر: كتاب معرض المسكوكات (اصدار مكتبة الملك عبدالعزيز العامة الرياض ١٤١٤هـ) ص ١٣.

٣ - Al-Andalus, The Art Islamic Spain. p.386 . وهناك دينار ذهب ضرب في نفس السنة، وزنه ٤,١٢غم وقطره ٢٤مم وفي الوجه كتابة بالعربية "محمد رسول الله، ضرب هذا الدينر بالأندلس سنة ثمان وتسعين" وعلى الظهر كتابة لاتينية . انظر: كتاب معرض المسكوكات، ص ١٤.

الأندلس خلال السنوات ١٠٢هـ[1] (٧٢١م) وسنة ١٠٤هـ[2] (٧٢٢-٧٢٣م) وسنة ١٠٥هـ[3] (٧٢٣م)

---

١ - كان على هذا الشكل في المركز

وجه القطعة	ظهر القطعة
بسم الله	لا إله
الرحمن	إلا الله
الرحيم	وحده

الطوق: ضرب هذا الدينر بالأندلس سنة ثنتين ومائة .

G.C. Miles: TheCoinage ofTheUmayyads of spain New york, 1950. p:113-114 انظر: كتاب معرض المسكوكات، ص ١٤.

٢ - هذا درهم ضرب على عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي الذي استمرت ولايته من ١٠٣-١٠٧هـ وكان شكل الدرهم بهذه الصورة:

المركز

وجه القطعة	ظهر القطعة
الله احد الله	لاإله إلا
الصمد لم يلد	الله وحده
ولم يولد ولم يكن	لاشريك له
له كفوا أحد	

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة أربع ومائة.

Miles, Op. Cit. p: 115-116.

٣ - هذا درهم صفته مثل سابقة إلا ان الكتابة عكست فما كان في الوجه جعل في الظهر، وزيد عليه في الهامش عبارة "محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون". انظر د. عبدالرحمن فهمي، فجر السكة العربية، (القاهرة، دار الكتب، ١٩٦٥م)ص ٨٤.

وسنة ١٠٦هـ[١] (٧٢٤م) وسنة ١١٠هـ[٢] (٧٢٨م) وسنة ١١٦هـ[٣] (٧٣٤م) .

---

١ - ضرب هذا الدينار بالأندلس في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي وجاء على هذه الصورة:

	وجه القطعة	ظهر القطعة
المركز	بسم الله	لاإله
	الرحمن	إلا الله
	الرحيم	وحده
	ضرب هذا الدينر	محمد رسول الله
الطوق	بالأندلس سنة ست	أرسله بالهدى
	ومائة	ودين الحق

الوزن: ٤,٢٤ غم

انظر **AL-Andalus, op. cit. p: 386.**

٢ - هذا فلس ضرب بالأندلس إما في عهد حذيفة بن الأحوص القيسي أو في عهد خلفه عثمان بن أبي نسعة الخثعمي. وقد جاء بسيطاً على هذه الصورة:

	وجه القطعة	ظهر القطعة
المركز	محمد	لا إله
	رسول الله	إلا الله
الطوق:	ضرب هذا الفلس بالأندلس	
	سنة عشر ومائة	

انظر: **Miles, op. cit p:118.**

٣ - هذا درهم ضرب في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي، ١١٦-١٢٣هـ وقد جاء الدرهم على هذه الصورة:=

وسنة ١٣٥هـ[1] (٧٥٤م).

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، بدأ ضرب السكة. وهذا يدل على أنه هو الذي أحدث داراً لضرب السكة لا الأمير عبد الرحمن الأوسط، وربما يكون دور الأخير مقتصر على تجديد الدار وتوسعتها.

=

	وجه القطعة	ظهر القطعة
المركز	لاإله	الله أحد الله
	الله وحده	الصمد لم يلد و
	لاشريك له	لم يولد، ولم يكن
		له كفوا أحد

الطوق: "الوجه" بسم الله ضرب هذا الدرهم بالأندلس سنة ست عشرة ومية، "الظهر" محمد رسول الله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون". الوزن، ٢,٩٠٠غم، القطر ٢٧مم، انظر: ناصر النقشبندي، نقود أندلسية من أسبانية، (مجلة سومر، الجزء الأول، المجلد السابع، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، ١٩٥١م) ص٨١.

١ - درهم ضرب في عهد الوالي يوسف الفهري، ١٢٩-١٣٨هـ وهو مثل سابقه، إلا أن وزنه وقطره أصبحا أقل، فقد بلغ وزنه ٢,٦٠٠غم، وقطره ٢٦مم. انظر: ناصر النقشبندي، المرجع السابق ص٨١-٨٢.

ففي سنة ١٥٠هـ (٧٦٧م) ضُرب درهم بالأندلس في العاصمة قرطبة[١]. ودرهم أخر سنة ١٥٣هـ[٢] (٧٧٠م) وسنة ١٥٦هـ[٣] (٧٧٣م) وسنة ١٧٠هـ[٤] (٧٨٦م).

وفي عهد الأمير الحكم الربضي ضُربت العملة وذلك سنتي ١٨٧هـ (٨٠٢م)[٥] وسنة ١٩٦هـ[٦] (٨١١م)

وفي عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، ضُربت الدراهم في أعوام ٢٢٩هـ[٧] (٨٤٣م) و٢٣٧هـ[٨] (٨٥١م)

---

١ - جاء هذا الدرهم على صورة سابقه تماما. انظر: **Miles, op, cit . p: 117-119**.

٢ - كان هذا الدرهم على صورة سابقة. انظر: ناصر النقشبندي، المرجع السابق، ص ٨٢.

٣ - على الهيئة السابقة، انظر: **AL-Andalus, op, cit, p:387** .

٤ - مثل سابقه، إلا أنه توجد زخرفة في الأعلى وذلك في مركز الظهر، أما الوزن فكان ٢,٧٠٠غم، والقطر ٣٢مم، انظر: النقشبندي، المرجع السابق، ص ٨٣.

٥ - هذا الدرهم مثل سابقه، إلا أن وزنه أصبح ٢,٤٥٠غم وقطره ٢٧مم. انظر: النقشبندي، المرجع السابق، ص٨٣.

٦ -مثل سابقه، إلا أنه يوجد هلال صغير في مركز الوجه، الوزن ٢,٧٠٠غم، القطر ٢٦مم.انظر:النقشبندي، المرجع السابق، ص٨٣.

٧ - مثل سابقه، الوزن ٢,٥٠٠غم، القطر ٢٥مم. انظر: النقشبندي، المرجع السابق، ص ٨٣.

٨ - مثل سابقه، الوزن ٢,٢٠٠غم، القطر ٢٦مم. انظر: النقشبندي، المرجع السابق، ص ٨٣.

و٢٣٨هـ[١] (٨٥٢م) وضربت العملة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وذلك في سنتي ٢٥٥هـ[٢] (٨٦٨م) وسنة ٢٦٠هـ[٣] (٨٧٣م) وضرب فلس في عهد الأمير عبدالله بن محمد وذلك سنة ٢٨٢هـ[٤] (٨٩٥م).

ونظراً للاضطراب السياسي الذي تعرضت له الدولة الأموية في الأندلس في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فقد أصبحت العملة قليلة التداول لعدم وفرتها، إذ يبدو ان دار الضرب قد أُغلقت، مما تسبب في فقدان العملة من أيدي الناس[٥]، واستمر انقطاع العملة مدة طويلة حتى أمر الخليفة عبدالرحمن الناصر بإنشاء دار السكة داخل قرطبة وذلك سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) وأمر أن تضرب فيها الدنانير الذهبية والدراهم الفضية[٦].

---

١ – مثل سابقه، الوزن ٢,٦٥غم، القطر ٢٧مم. انظر: النقشبندي، المرجع السابق، ص ٨٤.

٢ – مثل سابقه، الوزن ٢,٧٠٠غم، القطر ٣٠مم. انظر النقشبندي المرجع السابق ص ٨٤.

٣ – مثل سابقه، الوزن ٢,٤٥٠غم، القطر ٢٥مم. انظر: النقشبندي، المرجع السابق، ص ٨٤.

٤ – **Miles, op. cit p. 121** .

٥ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٤٣.

٦ – المصدر السابق، ص ٢٤٣. كانت دار العملة في عصر الولاة موجودة في طليطلة وإشبيلية، ثم نقلت إلى قرطبة. انظر: فجر السكة العربية، ص٨٠، ٨٥-٨٦، وكان=

ويمكن القول بأن دار السكة في الأندلس، أصبحت لها شخصيتها القائمة بذاتها منذ عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، فطيلة العهود التي سبقته لم نسمع بذكر لمتولي السكة، لكن في عهده أصبح هناك مسئول عن دار السكة، وغدت هذه الإدارة خطة من الخطط الهامة في الدولة، يعمل فيها مجموعة من الموظفين والسكاكين المهرة، تحت إشراف مسئول من كبار مسئولي الدولة يعرف باسم صاحب خطة السكة[١]، أو صاحب السكة[٢]، الذي ينبغي أن يكون أميناً صاحب علم ومعرفة بهذه الصنعة، مع دراية بأنواع خطوط الطوابع، نزيهاً، ديناً[٣].

كما يجب أن يكون الرجل الذي يضع الرسم الذي تُسك عليه العملة ويكتب نصفها بارع الخط[٤]، وأن تكون آلاته وأقلامه محفوظة في

=موقعها بقرطبة في مكان يسمى باب العطارين. انظر: الهمداني، مختصر كتاب البلدان، (مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ) ص٨٨.

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٤٣.

٢ - المقتبس، تحقق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٤١.

٣ - أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة (تحقيق: د.حسين مؤنس، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ط الأولى، ١٣٧٩هـ /١٩٦٠م) ص٥٢.

٤ - المصدر السابق،ص٥٥.

حرز لاتخرج منه إلا عند الحاجة[١]، وكل مايجري في دار السكة لايتم إلا تحت شاهدي العدل المتواجدين دائماً في هذه الدار[٢].

وأول من تولى خطة السكة في الأندلس أحمد بن محمد بن حـــدير، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان سنة ٣١٦هـــــ (نوفمبر ٩٢٨م) ومنذ ذلك اليوم بدأت عملية ضرب العملة من خـــالص الذهب والفضة[٣].

وعندما نقلت دار السكة إلى الزهراء كان عبدالرحمن بن يحيى هـــو أول من تولاها[٤]، وذلك سنة ٣٣٦هـــ[٥] (٩٤٧م) .

---

١ – نفسه، ص٥٦.

٢ – نفسه، ص ٥٣–٥٤.

٣ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٣٤٣. والملاحظ أنه لم نسمع بضرب العملة الذهبية في الأندلس إلا في عصر الولاة، بينما اختفى ذلك تماماً في عصر الإمارة، انظـــر: **Miles, op, cit p:24,40,96** .

٤ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٤٤.

٥ – البيان المغرب،٢/٢١٥.

كما يتم أحياناً ضرب اسم صاحب خطة السكة على العملة مع اسم ولقب الخليفة[١]، وفي بعض الأحيان يضرب اسم الحاجب[٢]،

---

١ - ضرب الدينار في الأندلس سنة ٣٣١هـ، فجاء على هذه الصفة:

	وجه القطعة	ظهر القطعة
المركز	لاإله إلا	الإمام الناصر
	الله وحده	لدين الله عبدالرحمن
	لاشريك له	أمير المؤمنين
	قاسم	
الطوق:	محمد رسول الله أرسله	بسم الله ضرب هذا
	بالهدى ودين الحق ليظهره	الدينر سنة احدى
	على الدين كله ولو كره	وثلاثين وثلاثمائة
	المشركون	

انظر، أبو رميله، نظم الحكم في الأندلس، ص٢٥٨، وقاسم المذكور في هذه العملة هو قاسم بن خالد، الذي تولى خطة السكة سنة ٣٣٠هـ وهو صاحب العيار الجيد المضروب به المثل، فإلى وقت ابن حيان كان يقال: الدينار أو الدراهم القاسمية لجودها، وقد قتل قاسم بأيدي عبيده في ذي القعدة سنة ٣٣٢هـ، انظر المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٤٣-٢٤٤، ٤٨٦-٤٨٧.

٢ - ضرب في الأندلس سنة ٣٩٨هـ:

	وجه القطعة	ظهر القطعة
المركز	"هلال صغير في أعلاه	الحاجب
	لاشريك له	الإمام هشام
		أمير المؤمنين
		المؤيد بالله
		عبدالملك=

وكذلك اسم ولي العهد، ولدينا من هذه نموذجاً ضرب في عهد الخليفة المستعين بالله سنة ٤٠٠ [١] (١٠٠٩م).

وقد قام خلفاء الفتنة، ٣٩٩-٤٢٢هـ (١٠٠٨-١٠٣١م) بضرب نقود تحمل أسماءهم، ولعلها لاتختلف عما كان شائعاً لدى الأمويين من قبل[٢]، والتدليس في العملة أمر خطير جداً، فهو من العوامل الرئيسة في ضرب الاقتصاد لأي دولة، وهو مايعرف حالياً بالتزوير، كما أنه عُدُّ من الإفساد بالأرض[٣]، وقد بينَّ الفقهاء عقوبة المدلِّس، فمنهم من اكتفى بالجلد[٤]، لكن هناك من يرى الضرب والحلق والتجريس[٥]، والبعض يرى قطع يده[٦]، وهناك من يرى سجنه حتى الموت[٧]، بل إن بعض الفقهاء جعل السلطان مخيراً في عقوبة من يقوم بالتدليس[٨].

=الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، الوزن ٣,٢٥٠غم، القطر ٢٤سم.انظر النقشبندي المرجع السابق ص ٨٤-٨٥.

١ - النقشبندي، المرجع السابق ص٨٥.

٢ - انظر: قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري، ص١٧٢-١٧٦.

٣ - الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة، ص ١٢٢.

٤ - المصدر السابق،ص ١٢٢-١٢٣.

٥ - نفسه، ص ١٢٢-١٢٣.

٦ - نفسه، ص ١٢٣.

٧ - المعيار المعرب، ٢/٤١٤.

٨ - الدوحة المشتبكة، ص١٢٢.

وقد كان البعض يقوم بإضافة بعض القطع المعدنية الصغيرة للدرهم أو الدينار لكي يصل إلى الوزن المطلوب، وقد عُثر في مدينة شلب بالبرتغال، على دفينة تحوي دراهم ضُربت بالأندلس سنة ١٥٣هـ (٧٧٠م) وسنة ٢٦١هـ (٨٧٥م) فيها عدة دراهم قد ثقبت بآلة حادة وأضيفت إليها قطع صغيرة من الدراهم طويت عند حافتها[١].

وإذا جاء التدليس من رجل غير مسئول، فربما ينظر إليه نظرة تختلف كثيراً عن النظرة لصاحب خطة السكة الذي يقوم هو نفسه بالتدليس، وقد اشتهر الوزير صاحب السكة سعيد بن حسان بالتدليس وعندما وقف الخليفة عبدالرحمن الناصر على فعلته سخط عليه وحبسه مهانا[٢].

---

١ – د. أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، (ليبيا –تونس، نشر: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م) ص ٣٣١.

٢ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٤٣.



الفصل الثالث

الخطط السياسية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: خطة الحجابة

المبحث الثاني: خطة الوزارة



خطة الحجابة

لم تعرف الأندلس تنظيماً إداريا واضح المعالم، إلا بعد وصول الأمير عبدالرحمن الداخل إلى سدة الحكم هناك، واقامته الدولة الأموية فيها، فقد وضع الركائز الأساسية للنظام السياسي والإداري، عندما أنشأ عدة مناصب سياسية منها "خطة الحجابة" فبعد أن أعلن عن قيام إمارته، اتخذ عدداً من المشاورين والأعوان إختصهم بمجالسته، واختار من بينهم شخصاً لقبه بالحاجب[١].

ويوضح لنا ابن خلدون الفرق بين منصب الحاجب لدى الأمويين بالأندلس عنه لدى العباسيين ببغداد، فهو لدى العباسيين خاص "بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته، وكانت هذه مُنَزَّلة عن الخطط مرؤوسة لها، إذ الوزير متصرف بما يراه ... وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم"[٢].

١ - نفح الطيب، ٢١٦/١. وقد ذكر ابن الآبار أن عيسى بن أحمد بن محمد الرازي قد ألّف كتاباً خاصاً بمن تولى الحجابة لبني أمية في الأندلس، أسماه "الحجاب للخلفاء بالأندلس" انظر: الحلة السيراء، ١٣٨/١. ولاشك أنه لو وصل إلينا هذا الكتاب لسد فراغاً أكيداً في المعلومات المتعلقة سواءاً بخطة الحجابة أو نظام الحكم في الأندلس.

٢ - ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٧١.

وطيلة عهد الإمارة والخلافة الأموية بالأندلس تولى منصب الحجابة عدة شخصيات نالت ثناء المؤرخين، من أشهر أولئك الحجاب:-

عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث ت ٢٠٩هـ (٨٢٤م) الذي تولى الحجابة معظم إمارة الحكم بن هشام وثلاث سنوات من إمارة ابنه عبدالرحمن الأوسط فقد قال عنه ابن القوطية "لم يختلف مختلف من شيوخ الأندلس أنه لم يخدم بني أمية بالأندلس أكرم منه عناية وأكثر طاعة... إلا أنه كان يقبل الهدية والمكافأة على قضاء الحاجة[١]" ووصفه الرازي بأنه "أكمل من حمل هذا الاسم وأجمعهم لكل حسنة[٢]" ويرى ليفي بروفينسال أنه "أعظم رجال دولة الحكم على الإطلاق[٣]"، فقد كان يجمع خصالاً لم تكن تتوفر للكثيرين من رجال الدولة في عصره، فقد كان عسكرياً ممتازا، وسياسياً محنكاً، وكاتباً أديباً عالماً[٤].

كما برز اسم حاجب آخر تولى الحجابة للأمويين عبدالرحمن الأوسط وابنه الأمير محمد هو الحاجب عيسى بن شُهيد ت٢٤٣هـ (٨٥٧م) الذي تولى الحجابة بعد سفيان بن عبد ربه وذلك سنة ٢١٨هـ (٨٢٢م) [٥] فآثره الأمير عبدالرحمن الأوسط على أصحابه "وكان أهلاً

---

١ - ابن القوطية، ص ٧٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٥.

٣ - l. provencal: op, cit , l p:166 .

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق: رقم ٨٢.

٥ - البيان المغرب، ٢/٨٤.

لإيثاره إذ كان من أعيان رجال الموالي في الدولة ... ومن أشهرهم بالحلم والوقار والحصافة والعلم والمعرفة والحزم والجزالة، وقد قاد بالصوائف فأحمدت سياسته وكانت له في التدبير آراء صائبة، وفي الحروب مقاومة كريمة[١]" ويفضل على نظيره عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث بأنه لم يكن يقبل الهدية أو المكافأة على قضاء الحاجة[٢] بل كان يهجر من عرضها عليه[٣].

وعندما نقلب صفحات تاريخ حجاب بني أمية بالأندلس، نجد أن أياً منهم لم يصل إلى هذا المنصب إلا إن كان من صنائعهم، بالإضافة إلى أنه لابد من المرور بعدة مناصب هي أشبه مايكون بالتدرج الوظيفي، فإذا ظهرت كفاءته فيها، رقي إلى منصب الحجابة.

فالحاجب سفيان بن عبد ربه "كان من أكابر رجال أهل الخدمة الكفاة المستقلين بأعبائها، ... تولى خدمة الخزانة الكبرى أيام الأمير الحكم ... ولم يزل ينتقل في مراتب الخدمة إلى أن نال الحجابة"[٤]، وهذا التدرج الذي مر به الحاجب سفيان بن عبد ربه سلكه خلفه الحاجب عيسى بن شُهيد، فقد ولاه الأمير عبدالرحمن الأوسط "خطة الخيل، ثم

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٦.

٢ – ابن القوطية، ص ٧٤.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٠.

٤ – المصدر السابق، ص٢٥.

استوزره، وولاه النظر في المظالم وتنفيذ الأحكام على طبقات أهل المملكة، ثم استحجبه[١]".

وورد في المقتبس أن سعيد بن محمد بن السليم كان من صناع الأمير عبدالله بن محمد قبل أن يصبح أميراً، فلما تولى الإمارة ولى ابن السليم خطة السوق، فظهرت منه صرامة وقوة، وتمكن من ضبط أمور العامة، وبلغ من قوة بأسه أنه سجن خصياً للمطرف ابن الأمير عبدالله بن محمد بعد أن شقق أثوابه وضربه مائتي سوط، نتيجة قلة أدب ذلك الخصي، وإساءته لابن السليم في مجلس نظره وسط السوق، وبعد ذلك أبلغ ابن السليم الأمير عبدالله بما جرى، فصوَّب الأمير فعله واستحسنه، وأدرك مدى استقلاله بعمله وكفاءته، ولذا فبعد مدة وجيزة من تلك الحادثة ولاه الوزارة ثم الحجابة[٢].

وهذا موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير تدرج في عدة مناصب حتى وصل إلى الحجابة، فقد تولى للأمير عبدالله بن محمد خطة القُطُع، ثم ولي خطة المدينة، ثم تولى الوزارة في أول عهد عبدالرحمن الناصر وظل بها إلى أن توفي الحاجب بدر بن أحمد[٣] سنة ٣٠٩هـ

---

١ - نفسه، ص ٢٦.

٢ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه ص ٤-٥.

٣ - هو أبو الغصن بدر بن أحمد الصقلبي، كان وصيفاً للأمير عبدالله بن محمد، فأعتقه وصرَّفه في الخطط وأصبح في مقام الحاجب، وفي عهد عبدالرحمن الناصر تولى بدر عدة خطط ثم رقاه للحجابة، امتاز بآرائه الصائبة، ومازال بدر في سؤدد حتى توفي ليلة=

(٩٢١م)، فاستحجبه الناصر وظل في هذا المنصب إلى وفاته سنة ٣٢٠هـ[١] (٩٣٢م)، ولقد كانت لهذا الحاجب شخصية نفاذة تستقطب الأنظار نحوها، حتى أن الوزير عبدالملك بن جهور يقول عنه: "مارأيت مثل موسى: لم يجمعه أمير المؤمنين مع أحدٍ إلا كان المستحوذ على المجلس في الجد والهزل"[٢].

مهام الحاجب

وللحاجب مهام ومسؤليات أنيطت به، عليه الالتزام بها وتأديتها على الوجه الأكمل، فعن طريقه يتم الوصول للأمير أو الخليفة[٣] كما أنه هو المتحدث معهما نيابة عن الوزراء[٤]. فـ"هو صاحب الكلام وقيِّمُ البيت[٥]" كما أنه يفصل فيما يجري بين الوزراء من اختلاف[٦] وعليه اتخاذ التدابير اللازمة لنزهة الأمير أو الخليفة[٧]، وإذا كونت لجنة للإشراف

=الجمعة لست خلون من رجب سنة ٣٠٩هـ. وقد أطلق عليه ابن حيان لفظ "الخصي" رغم أنه كان له أولاد .انظر: المقتبس، تحقيق: أنطونيه ص ٤ ،١٣٠-١٣٢. المصدر السابق، تحقيق: شالميتا، ص١٧٣. الحلة السيراء ٢٥٢/١-٢٥٣.

١ - الحلة السيراء، ٢٣٢/١-٢٣٣.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٣٣.

٣ - ابن القوطية، ص٣٧.

٤ - انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٧-١٥٢.

٥ - المصدر السابق ص ١٥٤ ويعني البيت بيت الوزراء.

٦ - انظر: نفح الطيب، ٥٤٠/٣.

٧ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢١.

على بناء ورفع تقرير مفصل عن هذه المهمة للأمير أو الخليفة فالحاجب يتولى رئاسة تلك اللجنة(١)، كما أن من وظائفه النظر في أحباس الخليفة(٢)، وأخذ البيعة لولي العهد(٣)، وفي بعض الأحيان يتولى الحاجب أمر إدارة الدولة وتسيير شئونها(٤).

والحاجب يجمع إلى جانب خطته، خططاً أخرى، فالحاجب بدر بن أحمد حاجب الخليفة عبدالرحمن الناصر كان يتولى مع الحجابة خطة الوزارة وخطة الخيل والبُرُد، بالإضافة إلى قيادة الجيوش والإشراف على الولاة(٥)، ومن قبله الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث فقد كان يتولى للأمير الحكم الربضي الحجابة والكتابة وقيادة الجيوش(٦). ومن هنا ندرك أن منصب الحجابة لايتولاه إلا أشهر رجال الدولة، فإما أن يكون من أهل السيف مثل بدر بن أحمد أو من رجال القلم مثل عيسى بن

---

١ – نفسه ص ٢٢١. البيان المغرب، ٢/٢٣٣.

٢ – المصدر السابق، ٢/٢٣٤.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٦٦. البيان المغرب، ٢/١٥٨، ٢٦٢.

٤ – ابن القوطية، ص٤٥. مطمح الأنفس، ١٤٥. البيان المغرب، ٢/٢٥٩. دولة الإسلام في الأندلس، ع١ ق٢ص٤٦٠.

٥ – الحلة السيراء، ١/٢٥٣.

٦ – المصدر السابق، ١/١٣٥-١٣٦. البيان المغرب، ٢/٦٩ ، ٧٥، ٨١،٨٢.

شُهيد وجعفر المصحفي، او من رجال السيف والقلم معاً مثل عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث وهاشم بن عبدالعزيز[١].

وللحاجب فراش أرفع من بقية فرش الوزراء ويختلف عنهم، إذ أن فراشه من الديباج بينما فرشهم من الكتان، إلا أنه ابتداءً من عهد الخليفة هشام المؤيد أصبح فراش الحاجب مثل فرش الوزراء، والسبب في ذلك ماذكره ابن حيان من أن جعفر المصحفي عندما تقلد حجابة الخليفة هشام المؤيد، ورفع فراشه فوق فرش الوزراء كما هي العادة، وكان فراشه من الديباج، خاطب جعفر هشاماً قائلاً "إني أستحي من أصحابي أن أتمهد أفضل من فرشهم، مع عجزي عن درك شأوهم، غير أنا نسلم لأمير المؤمنين اختياره، فإما يساوي بيننا في فرش كرامته، وإما أقرنا على الأمر الأول ولاكفران لنعمته، فأفرش للجميع فرش الكتان، فجرى عليه الرسم إلى آخر الزمان"[٢].

وكان الحاجب يتقاضى راتباً على وظيفته مقداره ثمانون ديناراً في الشهر[٣].ولايسير إلا في موكب ضخم، فقد كان الحاجب جعفر المصحفي –بسبب ضخامة موكبه- يعمد إلى وضع عدد من الكتاب على

---

١ – الحلة السيراء، ١/٢٥٧-٢٥٨. البيان المغرب، ٢/١١٥. دولة الإسلام في الأندلس ع١ق٢،ص٦٨٤.

٢ – الذخيرة، ق٤م١،ص ٥٩.

٣ – البيان المغرب، ٢/٢٦٧.

جانبي موكبه لأخذ القصص المرفوعة من الناس إليه[١]، وعندما تقام الاحتفالات الرسمية سواءً بمناسبة الأعياد أو الاستقبالات التي تجري للوفود الزائرة أو غير ذلك، فإن الحاجب يكون عن يمين الخليفة[٢].

من كل مامضى ندرك أهمية منصب الحجابة، ورفعة شأن متوليه، ولذا فقد كان التنافس شديداً بين الوزراء للوصول إلى هذا المنصب، فقد ذكر ابن القوطية أنه بعد وفاة الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث سنة ٢٠٩هـ (٩٢١م) أكثر الوزراء من الكتابة للأمير عبدالرحمن الأوسط كل واحد منهم يخطب منصب الحجابة لنفسه، فلما أكثروا عليه ضجر، وجعلها معطلة مدة يسيرة، ثم ولاها أحد الخزان[٣]. فهذا التنافس أبلغ دليل على سمو منصب الحجابة، كما أن تعطيلها وتوليتها لواحد من غيرهم فيه مصالح عدة، من أهمها أن الأمير لم يكسب عداوة أحد منهم، وفي الوقت نفسه لم يترك للضغينة والحقد مجالاً بينهم، بالإضافة إلى أن في حرمانهم منها لفترة فيه تأديب لهم وتهديد بخروج هذا المنصب عنهم دائماً وأبداً.

ومنصب الحجابة عرضة لأن يتم تعطيله، فالأمير محمد بن عبدالرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ (٨٥٢- ٨٨٦م) لم يتخذ سوى حاجبين

---

١ - الذخيرة، ق٤م١، ص٦٧. البيان المغرب، ٢/٢٧٠-٢٧١.

٢ - المقتبس، تحقيق:د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٨-٣٠، ٥٠.

٣ - ابن القوطية، ص٦٢. المقتبس، تحقيق:محمود مكي، ص٢٧-٢٨.

طيلة فترة حكمه[١]، كان آخرهما عيسى بن الحسن بن أبي عبدة الذي تولى الحجابة عام ٢٤٧[٢] (٨٥٧م) ثم إن الوزير هاشم بن عبدالعزيز أصبح هو المدبر لدولة الأمير محمد بن عبدالرحمن، رغم أنه لم يطلق عليه لقب حاجب، لأجل هذا فمن المتوقع أن يكون منصب الحجابة معطلاً طيلة المدة التي أعقبت وفاة ابن أبي عبده التي لم يدَّون تاريخها، خاصة وأن سنة وفاة الحاجب ابن أبي عبدة غير معروفة.

ثم تكررت عملية تعطيل منصب الحجابة مرتين، ففي عهد الأمير عبدالله بن محمد بقي منصب الحجابة شاغراً عدة سنوات وذلك بعد عزل الحاجب سعيد بن محمد بن السليم عنها[٣]، وفي عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ظل منصب الحجابة معطلاً طيلة ثلاثين سنة، فبعد وفاة حاجبه موسى بن محمد بن سعيد بن موسى في منتصف شهر صفر سنة ٣٢٠هـ (فبراير ٩٣٢م)، لم يستحجب من بعده أحداً حتى وفاته سنة ٣٥٠هـ[٤] (٩٦١م).

---

١ - البيان المغرب، ٩٣/٢، ذكر بلاد الأندلس، ١٤٦/١.

٢ - تولى ابن أبي عبدة الحجابة بعد وفاة الحاجب عيسى بن شهيد سنة ٢٤٣هـ.

٣ - البيان المغرب، ١٥١/٢. كان ابن السليم قد تولى الحجابة سنة ٢٧٦هـ.

٤ - الحلة السيراء: ٢٣٢/١-٢٣٣. الحق أن المرء يقف عاجزاً عندما يريد تعليل ترك منصب الحجابة شاغراً، فإذا كان بفضل ابن القوطية وقفنا على السبب في تعطيل الأمير عبد الرحمن الأوسط لهذا المنصب، فنحن نجهل علة تكرار حدوثه في عهد الأمير عبدالله وحفيده الخليفة عبدالرحمن الناصر فربما رأى الأمير عبدالله أن يكون بابه مفتوحاً أمام=

ولقد كان متولي الحجابة عرضة لحسد الآخرين ومكائدهم، والمصادر الأندلسية فيها من النصوص مايكفي للتدليل على ذلك، من هذه النصوص:-

ماذكره ابن حيان عن الرازي أن نصر الخصي الغالب على دولة الأمير عبدالرحمن الأوسط كان في قلبه غصة على الحاجب عيسى بن شُهيد بسبب مساندة الأخير لمحمد بن الأمير عبدالرحمن ليصبح ولياً للعهد، مخالفاً بذلك رغبة نصر وسيدته طروب حظية الأمير عبدالرحمن في تقديم ولدها عبدالله، ولذا فقد استغل نصر الخصي احتجاب الأمير عبدالرحمن بسبب إصابته بمرض ألم به، فسارع إلى تزوير مرسوم على لسان الأمير بصرف ابن شُهيد عن الحجابة إلى الوزارة وترقية الوزير عبدالرحمن بن رستم[1] ليكون حاجباً، وتم تنفيذ الأمر، فلما شفي الأمير

=وزرائه لكي يكون قريباً منهم وليعمل الوزراء على سرعة تنفيذ تعليماته خاصة في ظل الظروف السياسية الصعبة التي كانت تمر بها الإمارة آنذاك، وأما الخليفة عبدالرحمن الناصر فلعله قد عمد إلى تعطيل منصب الحجابة بعد وفاة حاجبه موسى، بدافع من إغراقه في الأخذ بالسياسة المركزية المتشددة.

١ - ينتمي عبدالرحمن هذا إلى عبدالرحمن بن رستم بن بهرام، مؤسس الدولة الرستمية في تاهرت في المغرب الأوسط، ويرى بروفنسال أن عبدالرحمن الذي قدمه نصر الخصي للحجابة، ربما يكون إما إبناً او أخاً لمحمد بن سعيد بن رستم الذي تصرف في الوزارة والقيادة للأمير عبدالرحمن الأوسط، انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، تعليق رقم ٨٧ والمصادر الوارده في التعليق. ولكني أستبعد أن يكون ابنا لمحمد بن سعيد، المتوفي سنة ٢٣٥هـ، إذ كيف يصبح رئيساً لأبيه؟

من علته "قعد لأهل خططه فدخلوا عليه يتقدمهم الوزراء، وعيسى في عرضهم، فتقدم عبدالرحمن بن رستم جماعتهم في التسليم على الأمير، ثم قعد فوق ابن شُهيد فاستنكر الأمير ذلك، فلما استقر بهم المجلس، قال لعيسى بن شُهيد فيما يخاطبه به: ماشأن كذا؟ -لأمر سأله عنه- فقال له: يامولاي لست بحاجب، وهذا هو الحاجب وأشار إلى ابن رستم. فَعلت الأمير عبدالرحمن كبرة، وعرف من حيث أُتي فكظم غيظه واصطبر، فلما خرج الوزراء دعا بنصر، فسأله عن عزل ابن شُهيد وولاية ابن رستم، فم يمكنه إنكاره، وادعى أن وصية خرجت إليه من لدنه صدر علته فكذبه الأمير، وعلم أنها من تحامله وجسراته، فسبَّه وأغلظ له، وهم به، ثم عفا عنه وأعاد عيسى بن شُهيد إلى الحجابة وعزل عنها عبدالرحمن بن رستم وتركه على الوزارة"[١].

من هذا النص تتضح لنا رسوم دولة بني أمية في الأندلس فالأمير بعد أن يبرأ من علته يجلس لاستقبال أصحاب الخطط، وأن الحاجب يتقدم الجميع عند السلام على الأمير ويجلس على فراش أرفع من فرش الوزراء وهو الذي يتولى الرد على أسئلة الأمير واستفساراته.

وهذا الحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبده، حاجب الأمير محمد بن عبدالرحمن، تعرض لمكيدة من الوزراء هاشم بن عبدالعزيز وتمام بن

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٧.

عامر بن تمام[1] ومحمد بن موسى وغيرهم، فقد كانوا "لا يألونه ختــالاً، ولايدعون استطراده عثاراً" من ذلك أنهم أجمعوا على توريطه عند الأمير محمد في أمر دفعوه لكي يكون أول المتكلمين به -أي الحاجــب- لأنــه حسب الرسم هو المتكلم بلسانهم، وضمنوا له إتمام الحديث بعد أن يفتتح هو القول[2]، ويبدو أنه كان من رسوم بني أمية بالأندلس أن الأمــير إذا سكت عن الحديث فإن هذا يعني ضرورة انصراف الحضور، يدل علــى ذلك أن أولئك الوزراء اشترطوا على ابن أبي عبــده أن يفــاتح الأمــير بالموضوع المتفق عليه في آخر المجلس، وتم لهم ماأرادوا، فبعد أن تحــدث معهم الأمير فيما يريد سكت ووجب القيام، فأشار هاشم إلى عيسى لكي يخاطب الأمير فيما اتفق عليه جميعهم، فتقدم عيسى إلى الأمــير وطلــب الإذن منه ليفاتحه بذلك الموضوع فلما أقبل عليه الأمير، وإذا بهاشم بــن عبدالعزيز وبقية الوزراء قد نهضوا وغادروا المجلــس ففطــن الحاجــب

---

١ - هو الوزير الأديب أبو غالب تمام بن عامر بن أحمد بن تمام بن علقمة الثقفي، ينتمي لإحدى الأسر المساندة للأسرة الأموية، تولى خطة الوزارة للأمير محمد ولولديه الأميرين المنذر وعبدالله، وكان عالماً أديباً، نظم أرجوزة مشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها وأمرائها ووصف حروبها منذ دخول طارق بن زياد إلى آخر أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وقد طال عمر تمام بن عامر حيث توفي سنة ٢٨٣هـــ. انظــر: المقتــبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٧٩-١٨٤، والتعليق رقم ٣٥١، والمصادر الواردة فيــه. الحلة السيراء، ١/١٤٣-١٤٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٥٢.

لمكيدهم، فغير الحديث مع الأمير فخاطبه بأمر من أمور المصلحة العامة، مما جعل الأمير يسعفه في طلبه هذا ويثني عليه، ثم خرج الحاجب من عند الأمير فلما وصل إلى بيت الوزراء وإذا هاشم وأصحابه في قهقهة ولجب مما أورطوه فيه، وعندما سأله هاشم ساخراً، أجابه الحاجب بقوله "... فطنت لكم لما أردتموني، فأفردت رغبتي فيما أعناني من طاعة ربي، فهداني قصد سبيلي" قال الرازي "فرفعوا الطمع في استغفاله، وعجبوا من حسن تخلصه بعد تورطه"[١].

وأما الحاجب جعفر المصحفي فلم يقف أمره مع الوزراء على حد الحسد والمكيدة، بل إن العداوة كانت سمة لعلاقتهم به، فقد كون جمعهم قوة ضخمة وقفت إلى جانب المنصور محمد بن أبي عامر ضد المصحفي، وقد بين لنا الفتح بن خاقان[٢] سبب نصرهم لابن أبي عامر فقال:-

"وكان مما أعين به ابن أبي عامر على جعفر المصحفي ميل الوزراء إليه، وإيثارهم له عليه، وسعيهم في ترقيه، وأخذهم بالعصبية فيه، فإنها وإن تكن حمية أعرابية، فقد كانت سلفية سلطانية، يقتفي القوم فيها سلفهم، ويمنعون

---

١ - المصدر السابق، ص ١٥٢-١٥٣.

٢ - عن الفتح بن خاقان ونسبه وأسرته وحياته، انظر: كتاب مطمح الأنفس، مقدمة المحقق ١٨-٦١، والمصادر الواردة في التحقيق.

بها ابتذال شرفهم، غادروها سيرة، وخلفوها عادة أثيره، تشاح الخلف فيها تشاح أهل الديانة وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة، ورأوا أن أحداً لايلحق فيها غاية، ولايتلقى لها راية، فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من أثرته حيث وضعه وهو نزيع بينهم، ونابغ فيهم، حسدوه وذموه وخصّوه بالمطالبة وعمّوه، وكان أسرع هذه الطائفة من أعالي الوزراء وأعاظم الدولة إلى مهاودة المنصور عليه، والانحراف عنه إليه، آل أبي عبده[1]،

---

١ - أسرة آل أبي عبدة من أكبر أسر موالي بني أمية في الأندلس، والعلاقة بين الأسرتين تعود إلى أيام مروان بن الحكم بالشام، فقد كان عبدالله بن جابر رأس أسرة آل أبي عبده من أشد الناس إخلاصاً لمروان بن الحكم في معركة مرج راهط التي وقعت سنة ٦٤هـ وقد انتقل حسان بن مالك بن عبدالله بن جابر إلى الأندلس سنة ١١٣هـ فهو رأس أسرة آل أبي عبدة في الأندلس، وترك أولاده في المشرق فقتلوا جميعاً إلا عبدالغافر فقد كتبت له الحياة لصغر سنه، فنشأ عبدالغافر مع عبدالرحمن بن معاوية وتربى معه، ثم إن عبدالغافر ترك المشرق وذهب لأبيه في الأندلس قبل وصول ابن معاوية، ولذا فما أن سمع أبو عبده حسان بن مالك بمقدم بدر داعية لابن معاوية، حتى سارع وأرسل إليه ولده عبدالغافر، وعمل على مناصرته، فلما توطد الحكم للأمير عبدالرحمن الداخل استوزر أبا عبده وقدمه على جيوشه ومازال يكلفه بالمهام حتى توفي بأشبيلية. وبعد وفاة أبي عبدة حرص الأمير الداخل على ضمان ولاء هذه الأسرة، فسارع إلى استخدام عبدالغافر=

وآل شُهيد[1]،

=ابن حسان في الوزارة، ليضع قانوناً سار عليه الأمويون من بعده، وهو حفظ مناصب الدولة بأيدي أبناء أسر معينة.

لذا نجد أسرة آل أبي عبده يلي رجالها المناصب الإدارية العليا في الدولة الأموية، ويرتفع شأنها بقوة حتى أنها ورثتها بعد سقوطها سنة ٤٢٢هـ، فقد أقام أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الذي ينتهي نسبه إلى عبده، دولة بني جهور بقرطبة إبان عصر دويلات= =الطوائف. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٥-٢٩، ١٣٧، ١٥٢-١٥٣ ، ١٩٦-١٩٨، ٣١٢، وكذلك التعليق رقم ٩٧ وماورد به من مصادر . المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٠٣،٩٧، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢٤٢. أخبار مجموعة، ص٥١، ٥٢، ٥٥، ٦٨، ٧٦، ٨٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢. الحلة السيراء١/١٢٠-١٢١، ٢٤٥-٢٥٢، ٢/٣٠-٣٤. البيان المغرب، ٢/١٦٠،١٥٨،١٤٥،٩٣،٨٤،٦٣،٦١، ١٦٤، ١٦٧، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٨. المصدر السابق ٣/١٥٢ ، ١٨٥-١٨٧، ٢٣٢-٢٣٥.

١ - يعتبر شهيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح، رأس هذه الأسرة في الأندلس، وقد ذكر ابن الأبار أن هذه الأسرة عربية تنتمي لأشجع، إلا أن الرازي ذكر أن جدهم كان مولى لمعاوية بن مروان بن الحكم، وهذا هو الصواب، إذ أن ابن حزم لم يذكرهم أثناء حديثه عمن استقر في الأندلس من قبيلة أشجع، والاتصال بين أسرتي آل شهيد والأسرة الأموية يعود إلى أيام معركة مرج راهط، فقد كان الوضاح الجد الأعلى لآل شهيد مع الضحاك بن قيس، وشهيد بن عيسى هو الداخل إلى الأندلس في أيام عبدالرحمن بن معاوية، وقد كان موضع ثقته،فاستخلفه على قصره عندما خرج لإخماد حركة عبدالغفار اليحصبي سنة ١٥٤هـ، كما قدمه على الجيوش في مهام عسكرية متعددة، أثبت فيها شهيد كفاءته وإخلاصه. وبعد وفاة الأمير عبدالرحمن الداخل استمر شهيد في القيادة العسكرية للأمير هشام الرضا، وهكذا أصبح آل شهيد ركن رئيسي في الدولة الأموية،=

وآل فطيس[1] من الخلفاء وأصحاب الردافة وأولي الشرف والأنافة وكانوا في الوقت أزمَّة الملك، وقوام الخدمة، ومصابيح الأمة،

=فقد تعاقب آل شهيد على المناصب الهامة في الدولة من حجابة ووزارة وكتابة وقيادة جيوش، حتى أن أول من سمي في الأندلس بذي الوزارتين كان أحد أبناء أسرة آل شهيد. انظر: ابن القوطية، ص١٠٣،٩٤،٧٥،٧٤،٦٢،٣١. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٠، ٢١، ٢٥-٢٧،٢٦، ٢٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٤١، ١٥٢، ١٧١، ٣٢١، ٣٢٠. والتعليق رقم ٨٦ وماورد فيه من مصادر . المقتبس، طبعة أنطونية، ٤، ٤٩، ٥٣، ١١٩، ١٤٢. الحلة السيراء، ٢٣٧/١-٢٤٠. البيان المغرب، ٢ / ٦٣، ٨٠، ٨٤، ٨٧ ، ٩٣، ١٠٥، ١١٣، ١٢٠، ١٢٤، ١٤٢، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٥٩.

١ - يعتبر أبو سليمان فطيس بن سليمان بن عبدالملك بن زيان، عميد أسرة آل فطيس في الأندلس، فقد دخلها في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، فضمه لابنه هشام، فأصبح كاتباً له، وعندما تولى الإمارة ولاه السوق، ثم أسند إليه ولاية قبره، وأخيراً رقاه إلى الوزارة، وعندما تولى الإمارة الحكم الربضي، أقره على وزارته واستكتبه، وهو الذي أشار عليه بهدم الربض وتحريم بنائه، وتشريد أهله، وذلك في الهيج المشهور الذي حدث سنة ٢٠٢هـ. وقد ذكر الرازي أنه رأى اسم فطيس بن سليمان في ديوان الأمير الحكم الربضي أول اسم، وكان راتبه خمسمائة دينار، وفي أواخر أيام الحكم الربضي توفي فطيس، فاستمر أبناؤه وأحفاده في المناصب القيادية في الدولة الأموية، كالكتابة العليا، والخزانة والولاية والوزارة وخطة المدينة. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٨٢،٨٠،٧٦، والتعليق رقم ١٨٧،١٨٦. الحلة السيراء، ٣٦٥/٢. البيان المغرب، ٦١/٢، ٦٨، ١٤٤، ١٤٨، ١٦٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٨. المغرب في حلى المغرب، ٤٤/١. ابن سماك المالقي، الزهرات المنثورة ص٣٨-٤٢.

وأغير الخلق على جاه وحرمة"[١].

وإذا أضفنا إلى مقولة الفتح بن خاقان القول بأن رجالات الدولة الأموية بالأندلس من حجاب فما دونهم من الوزراء والقادة والكتاب منذ نشوء الدولة إلى عهد المستنصر بالله كانوا جميعاً ينتمون إلى بيوتات معدودة أشهرها على الإطلاق أسر آل أبي عبده وآل شُهيد وآل فطيس، أدركنا سبب وقوف أولئك الوزراء في وجه الحاجب المصحفي ومساندتهم لابن أبي عامر ضده، إذ أن تلك البيوتات كانت حريصة كل الحرص على عدم خروج الأمر عنها، وإنها ستقف بكل قوة في وجه من يحاول سلبها مكانتها.

ولكن يبدو أن الحاجب المصحفي لم يدرك هذه الحقيقة، فجلب على نفسه عداوة أبناء تلك الأسر بعمله الذي أثار ضغائن نفوسهم وجعلهم يتوجسون خيفة من مقاصده، إذ عندما بويع هشام المؤيد بالخلافة وأصبح المصحفي حاجباً له، عمل على السيطرة على وزارات الدولة، فقد تمكن من تعيين ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان في خطة الخيل ثم أصبح وزيراً. وولى بنيه محمد وعثمان وعبدالرحمن وأخاه سعيد وابن أخيه محمد الشرطة العليا والوسطى وجعل على المدينة ابنه محمدا[٢]،

---

١ - مطمح الأنفس، ص ١٦١-١٦٣.

٢ - الحلة السيراء ٢٥٨/١.

فلا عجب إذاً والحالة هذه أن يعمل أولئك الوزراء على إسقاطه بأي صورة.

وإذا تتبعنا حال الحجابة في الدولة الأموية بالأندلس، نجد أن متوليها حتى نهاية خلافة الحكم المستنصر لايختلف عن الوزارء بشيء، اللهم إلا ببعض الرسوم التي عرفناها، فهو لايعدو كونه منفذ للأوامر الصادرة إليه من الأمير أو الخليفة، حتى أن عزله واعادة تنصيبه تتم بمنتهى السهولة[1]، ولذا فهو أشبه مايكون بوزير التنفيذ، إلا أن الأمر تبدل منذ وصول المنصور محمد بن أبي عامر إلى الحجابة في عصر الخليفة هشام المؤيد، إذ أصبح بحق رئيساً للوزراء، فهو يعزل منهم من شاء ويبقي من أراد، وبذلك تحول منصب الحاجب من وزير تنفيذ إلى وزير تفويض.

ولقد جرت في منصب الحجابة حادثة فريدة لم تحدث إلا مرة واحدة خلال تاريخ دولة بني أمية بالأندلس، فقد وجد حاجبان اشتركا معاً في تولي الحجابة، وذلك أن الخليفة هشام المؤيد أصدر أوامره بإشراك الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن الناصري في منصب الحجابة مع جعفر المصحفي، فأصبح فراش غالب في الصدر وعن يمينه جعفر المصحفي وعن يساره ابن أبي عامر، واستمر الاشتراك بالحجابة قرابة أربعة أشهر تقريباً وكان ذلك راجعاً لدهاء ومكر المنصور وحيلته ليضرب أهم شخصيتين في الدولة بعضهما ببعض، ثم أصدر الخليفة أمره في يوم

---

١ - المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص ٢٨.

الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٦٧هـ (مارس ٩٨٧م) بإعفاء المصحفي من منصبه[١].

تسلط الحجابة على الخلافة

بعد أن صدر أمر الخليفة هشام المؤيد بعزل جعفر المصحفي عن الحجابة، وتنصيب ابن أبي عامر مكانه[٢]، أمر الخليفة بإلقاء القبض على المصحفي وعلى ولده وأنسابه وابن أخيه هشام وسائر طبقته وأوكل أمر محاسبتهم إلى ابن أبي عامر، فصادرهم ونكل بهم وأول ما بدأ بهشام ابن أخي جعفر فقتله بالمطبق بالزهراء[٣]، ثم اخذ يحاسب جعفراً وصادره حتى اضطره إلى بيع داره التي بالرصافة، وهي من أعظم قصور قرطبة وقد تفنن ابن أبي عامر وصهره غالب في تعذيب جعفر وإعناته وإلحاق الإهانة به، حتى خبت نار حقدهما عليه، فأودعاه في المطبق بالزهراء إلى أن مات وأسلمت جثته لأهله سنة ٣٧٢هـ[٤](٩٨٢م).

١ - البيان المغرب، ٢٦٧/٢.

٢ - ورد في ذكر بلاد الأندلس، ١٧٩/١ أن المنصور تولى الحجابة في أواخر ربيع الآخر سنة ٣٦٧هـ.

٣ ـ كان المنصور يحمل ضغينة على هشام هذا بوجه خاص، والسبب في ذلك يعود إلى ان المنصور عندما عاد من غزوته الثالثة احضر معه رؤوس القتلى، فما كان من هشام إلا أن أمر بسرقة تلك الرؤوس وألقاها بالنهر. انظر: الذخيرة، ق٤م١ص٦٦.

٤ - الذخيرة ق٤م١، ص٦٦-٦٧. البيان المغرب، ٢٦٧/٢-٢٦٨.

وبعد هلاك المصحفي رسم المنصور بن أبي عامر لنفسه سياسة توصله إلى الاستبداد التام بالخلافة، فأسقط رجال دولة الخليفة الحكم المستنصر بالله من سائر الطبقات، ومزقهم، واتخذ عوضا عنهم رجالاً اطمأن إلى مدى إخلاصهم له، فسدوا مكان أسلافهم، ومحوا ذكرهم وأعانوا المنصور على مراده[1].

ولم ينس المنصور موقف الصقالبة بعد وفاة الحكم المستنصر وعملهم على تنصيب المغيرة[2] بن عبدالرحمن الناصر بدلاً من هشام المؤيد[3]، ولذا

١ - الذخيرة ق٤م١ ص٦٦.

٢ - كان المغيرة بن عبدالرحمن الناصر فتى القوم كرماً ورجلة، وكانت الأنظار معلقة به بعد أخيه الحكم المستنصر بالله، وبأمر جعفر المصحفي وتنفيذ ابن عامر، تم قتل المغيرة خنقاً في مجلسه ثم علقت جثته على هيئة المنتحر، ثم دفن في مجلسه، وذلك ليلة الاثنين لأربع خلون من شهر صفر سنة ٣٦٦هـ، وكان عمره آنذاك سبعة وعشرون عاماً، كل هذا تم أمام أهله، رغم أنه كان قد بادر إلى إعلان بيعته لابن أخيه هشام المؤيد عندما أخبره ابن أبي عامر بوفاة أخيه الحكم المستنصر بالله. انظر: الذخيرة، ق٤م١ ص٥٨-٥٩. البيان المغرب، ٢/٢٦٠-٢٦٣.

٣ - عندما توفي الخليفة الحكم المستنصر بالله، لم يعلم أحد بموته إلا الفتى فائق المعروف بالنظامي صاحب البرد والطراز، وزميله جؤذر صاحب الصاغة والبيازرة، فعقدا العزم على أن يمكنا المغيرة بن عبدالرحمن الناصر من تولى الخلافة، على أن يجعل هشاماً ابن أخيه الحكم ولياً لعهده، وبذلك يضمن الصقالبة استمرارية مكانتهم في القصر، وفي الوقت نفسه يفون لمولاهم الخليفة الحكم بما أوصى به. واما مجلس الوصاية المكون من المصحفي وابن أبي عامر وصبح والدة هشام فهم حريصون على تولية هشام الخلافة،=

فقد كان على حذر منهم، فما أن ثبت قدمه بالسلطة حتى ابتدأ بهم فصادر أموالهم وحاسب كتابهم ومن يسير في ركابهم، وشتت شملهم نفياً وقتلاً حتى هلكوا عن آخرهم[١].

وبعد أن استفحل أمر المنصور وعظم شأنه وكثر حساده، قرر أن يتخذ لنفسه قصراً ينزل فيه اتقاء لشر مكيدة يدبرها حساده، من جراء كثرة تردده على قصر الخليفة[٢]، إضافة إلى حرصه على استكمال مظاهر الملوك[٣]، ولذا فقد بدأ في سنة ٣٦٨هـ[٤] (٩٧٩م) ببناء مدينة الزاهرة حيث أقام فيها قصره، وبعد سنتين من ابتداء البناء "انتقل إليها واتخذ فيها الدواوين للأعمال، والحجر للغلمان، والسقائف للحراس، والقصور للولد والخاصة والاصطبلات للظهر والكراع، وعمل داخلها الأهراء الواسعة والخزائن الوثيقة، وانتقل إليها، ورتب فيها مقاعد الوزراء وسقائف العمال، وكتب بأن تجلب إليها الوظائف والجبايات والأموال"[٥].

=وكلا الطرفين الصقالبة وأعضاء مجلس الوصاية انطلق في موقفه من حساب دقيق للمصالح الخاصة، ولكن كما قال ابن عذاري عن موقف الصقالبة "وكان رأيا حسنا لو أراد الله به". انظر: البيان المغرب، ٢/٢٥٩-٢٦٠.

١ - الذخيرة، ق٤ م١، ص٦١.

٢ - البيان المغرب، ٢/٢٧٥.

٣ - أعمال الأعلام، ٢/٦٢.

٤ - البيان المغرب، ٢/٢٧٥.

٥ - أعمال الأعلام، ٢/٦٢.

وبعد أن انتقل المنصور إلى الزاهرة وانتقلت بانتقاله الدولة بأسرها، أصبح قصر الخلافة معطلاً، إذ سد المنصور بابه، وأحكم قبضته عليه، وأقام حوله خندقاً وسوراً منيعاً، ورتب الحراس والبوابين والسمار والمتنابين يلازمونه ليلاً ونهاراً ويراقبون حركات من فيه سراً وجهاراً، وجعل في القصر أحد ثقاته لضبطه وبسط الأمر والنهي فيه وبذلك حجر المنصور على الخليفة الذي لم يبق له من وظائف الخلافة إلا نقش اسمه في السكة، والطرز والدعوة له في الخطبة[1].

وكان المنصور يصدر أوامره باسم الخليفة، فكان يدخل إلى القصر ويخرج ويقول: "أمرني أمير المؤمنين بكذا ونهى عن كذا[2]" ثم أراد أن

---

١ - انظر: ذكر الأندلس، ١٨٠/١. البيان المغرب، ٢٧٦/٢.

٢ - ذكر بلاد الأندلس، ١٧٩/١. وفي هذه الأثناء ساءت العلاقة بين الصهرين المنصور وغالب إذ أن الأخير غضب بسبب استبداد المنصور بأمور الدولة وحجره على الخليفة، والمنصور بدوره لايحتمل أن يرى له معارضاً، ولذا أخذ كل منهما يستعد للقضاء على الآخر، ولكن نظراً لأن غالب كان يتفوق بالفروسية والشجاعة على المنصور، لذا فقد استنجد المنصور بجعفر بن علي بن حمدون المعروف بالأندلسي فقدم إليه من العدوة واستورزه المنصور، وجرت صدامات قوية بين غالب والمنصور انتهت بوفاة غالب في أوائل شهر المحرم سنة ٣٧١هـ، ثم تخلص المنصور من جعفر بأن سلط عليه أبا الأحوص معن بن عبدالعزيز التجيبي فارس العرب فقتله، ثم قتل المنصور أبا الأحوص وبذلك انفرد بملك الأندلس وأصبح الشخصية التي لاتقاوم. انظر: نقط العروس، ص٨١-٨٢. أعمال الأعلام، ٦٢/٢-٦٥. البيان المغرب، ٢٧٨/٢-٢٧٩. مفاخر البربر، ص١٥.

يستريح من كثرة الدخول على الخليفة ويستبد بالأمر فأشاع بين الناس بأن الخليفة، قد فوضه في تولي شئون الحكم لأنه يريد التفرغ للعبادة[١].

ولقد كان المنصور يدرك بأن تصرفاته هذه لاترضى بني أمية، ولذا فقد أخذ حذره منهم فأصدر أوامره إليهم بلزومهم منازلهم و لم يسمح لهم بالركوب والخروج إلا لضرورة، وبث العيون من حولهم، وفرق الناس عنهم وأجبرهم على ملازمة أناس من ثقاته، ومنع أحداً من الدخول عليهم، إلا أن يكون غلاماً أو وكيلاً أو معلماً او طبيباً، و لم يكتفي بذلك بل أخذ يصحبهم معه في غزاوته حتى أرهقهم وأهمتهم أنفسهم[٢].

ولكي يسيطر على الدواوين ومايجري فيها، عين من عنده كاتباً يدور في الدواوين وينقل إليه مايقع فيها[٣]، وبالجملة فلم "يبق يداً يحذر بطشها إلا شلها، ولاعينا بريبة نظرها إلا فقأها[٤]".

وبعد مضي سنة على سكنى ابن أبي عامر مدينة الزاهرة، قرر اتخاذ ألقاب الخلفاء "استيفاءً لرسوم الملوك[٥]" ففي سنة ٣٧١هـ (٩٨١م) اتخذ لقب "المنصور" وأصبحت الكتب تنفذ عنه على الصورة التالية: "من

---

١ – أعمال الأعلام، ٢/٦٢.

٢ – المصدر السابق، ص٢/٧٧.

٣ – نفسه ٢/٧٧.

٤ – نفسه ٢/٦٥.

٥ – البيان المغرب، ٢/٢٧٩.

الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر إلى فلان[1]" وأصدر أمره بأن يدعى له بهذا اللقب على كافة المنابر بالأندلس بعد ذكر الخليفة المؤيد والدعاء له[2] ومنذ ذلك الوقت أصبح الرسم يقضي بضرورة تقبيل يده، فأخذ الوزراء وكذا وجوه بني أمية ومن دونهم يمتثلون هذا الرسم[3]، بل فرض على الكل بأن تكون مخاطبته بلفظ "مولاي[4]"، ويصور لنا ابن عذاري شدة وطأة المنصور على رجال دولته وغيرهم بأنهم "إذا بدا لأبصارهم طفل من ولده قاموا إليه، فاستبقوا ليده تقبيلاً وعموا طرفه لثما[5]".

بهذه الرسوم أصبح الحاجب المنصور مساوياً للخليفة بكل شيء ولافرق بينهما إلا في الاسم عند تصدير الكتب أو نقشه على السكة والطراز، بل إنه فيما بعد أمر بنقش اسمه على السكة وطرزه على القباب[6].

ويبدو أن المنصور كان إحساسه بالعظمة يزداد يوماً بعد يوم، فأصبح ينظر إلى الحجابة نظرة ازدراء، وشعر بأنها لاتليق بمكانته وهو

---

١ - نفس المصدر والصفحة.

٢ - ذكر بلاد الأندلس ١٨١/١.

٣ - البيان المغرب، ٢٧٩/٢.

٤ - المصدر السابق، ٢٧٩/٢.

٥ - نفس المصدر والصفحة .

٦ - تاريخ ابن خلدون، ١٤٨/٤.

الحاكم المطلق بالأندلس، ولذا فقد قرر التنازل عن هذا المنصب تمهيداً للاستيلاء على منصب الخلافة، فأصدر أمره سنة ٣٨١هـ (٩٩١) بترك اسم الحاجب واقتصر على لقب "المنصور" فأصحبت الكتب تنفذ منه بهذه الصورة: "من المنصور أبي عامر وفقه الله إلى فلان[١]" بحذف اسم الحجابة، ورشح ولده عبدالملك لتولي الحجابة بالإضافة إلى القيادة العليا وكافة الخطط التي كان يشغلها [٢]، كما قدم ولده الآخر عبدالرحمن للوزارة[٣].

حقق المنصور كل مايصبو إليه، وبسط نفوذه على سائر السلطات السياسية والعسكرية بالأندلس، ولم يبق إلا الخطوة الأخيرة ليكمل مراده، وذلك عندما يعلن نفسه خليفة بدلاً من هشام المؤيد، ويدفعه إلى فعل ذلك نجاحه في تجاوز العقبات التي اعترضته، ويؤيده في ذلك جيش هو عماد دولته، وفي الوقت نفسه يدين له بتكوينه وتنظيمه، إذ أنه أسس جيشاً كما يريد، وفي هذا الخصوص يقول ابن عذاري: "استبدل المنصور جند الأندلس بالبربر فأقام لنفسه جنداً اختصهم باستصناعه واسترقهم بإحسانه[٤]" إلا أن العقبة الحقيقية التي كان المنصور يخشاها تتمثل بالرعية، فهو يخشى ثورتها في وجهه عندما يعلن نفسه خليفة بدلاً من خليفتهم

---

١ - البيان المغرب، ٢/٢٩٣.

٢ - المصدر السابق ٢/٢٩٣.

٣ - نفس المصدر والصفحة.

٤ - البيان المغرب، ٢/٢٩٤.

المؤيد لتعلقهم به من جهة، وللطرق الملتوية التي أوصلت ابن أبي عامر إلى ماوصل إليه من جهة أخرى، ولذا عمد المنصور إلى استشارة خواصه في هذا الموضوع.

وقد ذكر ابن حزم أن المنصور عقد اجتماعاً مع كبار أهل قرطبة ليري موقفهم مما عزم عليه، وكان من بين المدعوين لحضور هذا الاجتماع ابن عياش وابن فطيس بالإضافة إلى والد ابن حزم ومن الفقهاء محمد بن يقى بن زرب وأبو عمر بن المكوي[١] والأصيلي[٢]، يقول ابن حزم: "فأما ابن عياش وابن فطيس فصوبا ذلك له، وأما أبي رحمه الله فقال له: إني أخاف من هذا تحريك ساكن، والأمور كلها بيدك، ومثلك لاينافس في هذا المعنى، وأما محمد بن يبقى بن زرب فإنه قال له: وصاحب الأمر

---

١ – أبو عمر أحمد بن عبدالملك بن هاشم الإشبيلي، المعروف بابن المكوي، مولى بني أمية، انتهت إليه رياسة العلم بقرطبة، كان فقيهاً معظماً، ومفتيا مقدماً، رفض مرتين أن يلي قضاء الجماعة، لكنه تولى الشورى، ولم يزل معظماً عند الناس، رفيع الذكر بينهم، حتى توفي فجأة ليلة السبت، ودفن يوم السبت بعد صلاة العصر لسبع خلون من جمادى الأولى سنة ٤٠١هـ. انظر: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٢٣١. ترتيب المدارك، ٧/١٢٣–١٣٥. الصلة، ترجمة رقم ٣٨.

٢ – أبو محمد عبدالله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي، من أهل أصيلة، من كبار أصحاب الحديث والفقه، تولى الشورى في آخر أيام الحكم المستنصر بالله، وكان الأصيلي حرج الصدر، ضيق الخلق، عالماً بالكلام والنظر، توفي ليلة الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ٣٩٢هـ. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٦٠. جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٥٤٢. ترتيب المدارك، ٧/١٣٥–١٤٥.

ماشأنه؟ فقال له: لايصلح لهذا، فقال له: يرى ويجرب، فقال له: أفي مسائل الفقه؟ يريد أن يسأله، قال: لا، ولكن في مسائل السياسة وتدبير المملكة، قال: فإن لم يقم، قال: ينظر في قريش، فأعرض عنه مغضباً ونظر إلى الأصيلي وإلى ابن المكوى، فقال له الأصيلي: يامولاي عربي ضابط خير من قرشي مضيع، قال: فنظر إلى ابن المكوى: فجعل يضحك له ويقول: يامولاي ومثلك يفكر في هذا وأنت الكل وكل شيء بيدك، وإنما يرغب في الأسماء من لايحقق، والمدار على الحقيقة، وهي بيدك، فسكت ابن أبي عامر، وقاموا واحداً واحداً[1]" وبهذه المشورة وقف المنصور على حقيقة الأمر فعدل عن رأيه، لأنه خشي من هيجان شعبي يودي به وبدولته.

وتمهيداً للوصول إلى الخلافة أصدر المنصور أوامره سنة ٣٨٢هـ (٩٢٢م) تقريباً بإلغاء خاتم الخليفة هشام المؤيد من الكتب واقتصاره على خاتمه الخاص[2]، لطمس أي ذكر للخليفة.

بعد هذه الخطوات اتخذ المنصور خطوة هامة، فقد أصدر أوامره سنة ٣٨٦هـ (٩٩٦م) بأن يخص وحده بلفظ "السيد" دون سائر الناس بالأندلس، فتليت الكتب بهذا الخصوص على منابر الأندلس، واستمر هذا

---

١ - نقط العروس ص ٧٧، ومن المؤكد أن هذه القصة وقعت أحداثها في سنة ٣٨١هـ إذ أن القاضي محمد بن يبقى بن زرب توفي في شهر رمضان سنة ٣٨١هـ. انظر: ابن الفرضي: ترجمة رقم ١٣٦٣.

٢ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١٨٤.

الرسم بقية حياته، وطيلة تلك الفترة كان يخاطب: بـ"الملك الكريم" وبولغ في تعظيمه وتكريمه[١].

وبعد هذه الأحداث، ساءت العلاقة بين الخليفة المؤيد والمنصور، وشاع بين الناس أنه يريد أن يسطو على منصب الخلافة[٢]، وكان لصبح والدة الخليفة دورها في نشر تلك الشائعات بواسطة دعاتها وأعوانها[٣]، واشتدت العداوة بين أهل قصر الخليفة ومن في قصر المنصور، وحاول المنصور أن يقضي على تلك العداوة، فطرد العديد من الخدم المتواجدين في قصر الخليفة، ولم يترك إلا ثقاته، ومع ذلك فقد شدد عليهم في الحراسة وبث العيون التي عملت على إحصاء أنفاسهم[٤].

ولمواجهة المنصور استنجدت صبح والدة الخليفة بزيري بن عطية[٥]، وبعثت إليه بثمانين ألف دينار سراً[١]، وعندما علم المنصور بذلك، جمع

---

١ -البيان المغرب، ٢/٢٩٤.

٢ - الذخيرة، ق٤ م١ ص٧٠-٧١.

٣ - دولة الإسلام في الأندلس، ع١ق٢ ص٥٥٥.

٤ - الذخيرة، ق٤م١،ص٧١.

٥ - زيري بن عطية، زعيم زناته، وفد على المنصور قادما من العدوة حوالي عام ٣٨٠هـ، فاحتفل المنصور بقدومه، ثم غادر زيري إلى العدوة، وساءت علاقته بالمنصور بسبب تسلط الأخير على الخليفة المؤيد، وجرت حروب شديدة في العدوة المغربية بين زيري وقادة المنصور، كان آخرها المعركة التي جرت يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ٣٩١هـ والتي على أثرها مات زيري بن عطية متأثراً بجراحه التي أصيب بها في تلك المعركة. انظر: مفاخر البربر، ص٢٢-٣٢.

كل رجاله فاتفقت كلمتهم على ضرورة بقاء كل الأموال عند المنصور لأنه على حفظها أقدر، إلا أن علة ألمت به اضطرته إلى تأخير نقل بيت المال إلى الزاهرة واستغل أعداء المنصور هذا الوضع الطارئ، "فراسلوا حاشية الخليفة سراً، وجهزوا للقيام عليه، فلم يكن فيهم فضل لذهاب أعيانهم[٢]" وبالنهاية تمكن المنصور بواسطة قوة عسكرية جهزها بقيادة ولده عبدالملك من نقل بيت المال إلى الزاهرة وذلك في جمادى الأولى سنة ٣٨٦هـ (يونيو ٩٩٦م) في حين تعذر عليهم الوصول لبيت مال الخاصة لوقوف السيدة صبح أم هشام دونه[٣].

وبعد أن عوفي المنصور من علته، ركب إلى الخليفة هشام المؤيد، ووصل إلى مجلسه وبصحبته كبار رجال دولته، ولأنه أدرك مافي نفوس الناس وحبهم لرؤية هشام[٤]، عمل على استغلال هذه النقطة لصالحه، فأبرزه للناس في أحد أيام الجمع من سنة ٣٨٧هـ (٩٩٧م) فصلى بجامع قرطبة ولم يكن لهشام عهد بشهود صلاة الجمعة -بسبب الحجر المفروض عليه من المنصور- وبعد الصلاة توجه الجميع إلى الزاهرة وهناك جددت

---

١ - مفاخر البربر، ص٢٧ . دولة الإسلام في الأندلس، ع١ ق٢ ص٥٥٥.

٢ - الذخيرة، ق١م٤ ص٧٢.

٣ - المصدر السابق، ق٤م١ ص٧٢. وانظر: ذكر بلاد الأندلس، ١/١٨٤.

٤ - الذخيرة، ق٤م١ ص٧٣.

البيعة للخليفة هشام المؤيد[١]، وبالمقابل تبرأ الخليفة من الملك لبني عـــامر وولى المنصور الإشراف التام على شئون الدولة[٢].

وأظهر المنصور الإشفاق على الخليفة من بني أمية، ولذا عمـــد إلى الفتك بهم "حتى أفنى من يصلح منهم للولاية، ثم فرق باقيهم في الـــبلاد، وأدخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد[٣]".

وأخيراً فرغم مابلغه المنصور بن أبي عامر من رفعة وسؤدد، حـــتى أضحى الرجل الأول بالأندلس قاطبة، إلا أنه في الواقع كان يحتمي باسم الخليفة هشام المؤيد ليضمن عدم المعارضة وتسيير أموره كما يريد، ولولا هذا لما وصل إلى ما وصل إليه. فمن ذلك أنه هو القائل مادحاً ذاته:-

تلاد أمير المؤمنين وعبده وناصحه المشهور يوم المفاخر[٤]

وقد تناول قضية احتماء المنصور باسم المؤيد الخليفة، الأمير عبدالله في مذكراته، فقال: "كان المنصور بن أبي عامر على دقة شأنه، ولأنـــه لم يكن من أهل بيت المملكة فيستحقها عن الآباء ولا كانت به قدرة علـــى الدنيا، فقد حصل على عظائم الأمور بدهائه، ومخرقته على العامة، مـــع ماهيأت السعادة له، وكانت أقوى الأسباب في سلطانه، ولـــولا قيامـــه بدعوة الخليفة، وإظهاره الإنخضاع له في جميع مايأتي ويـــذر إلى طاعتـــه

١ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١٨٤-١٨٥.

٢ - انظر: الذخيرة، ق٤م١، ص٧٣. ذكر بلاد الأندلس، ١/١٨٥.

٣ - نفح الطيب، ١/٥٩١.

٤ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١٧٨.

وإقامة أوده، وتوليته الحجابة والوزارة وإخماله لأهل الدولة الحكمية، وتقصيهم بالقتل، متأولاً في ذلك أن دولته تصفو به ويقوى سلطانه، وأن بقاءهم في كثرة الخلاف، وإيثار الفتن وهلاك المسلمين، حتى اتسق له مأأمل، وبلغ من ذلك الغاية القصوى، ولو أن أحداً اشتهر ببعض مأأتى هو به دون تعلق بسبب، أو إظهار طاعة لكان قتل من ساعته، ولو كان من أهل بيت الخلافة[١]".

والحق أن المنصور لم يكن يحتمي باسم الخليفة فقط، بل كان يخشى أن يظهر من الخليفة مايقضي على مالديه من الآمال والتطلعات، وينتزع سلطانه منه، ولقد كانت هذه القضية تسبب له أرقاً يفقده لذيذ النوم، ولذا فقد كان يفرط في السهر، وعندما عاتبه فتاه شعله على ذلك محذراً إياه من مغبته، أفصح المنصور عما في نفسه حيث قال: "ياشعلة، حارس الدنيا لاينام إذا نامت الرعية، لو استوفيت نومي، لما كان في دور هذا البلد عين نائمة، ولو كنت من صاحب القصر [وأشار ناحية الخليفة] على مثل مسافة بسطة لأحرمت النوم، فكيف وإنما بيننا مدى صيحة[٢]".

وبعد وفاة المنصور بن أبي عامر قام بأمر الدولة من بعده ابنه عبدالملك، حيث زار الخليفة المؤيد، ونعى إليه والده المنصور، فلاطفه

---

١ - عبدالله بن بُلقين، كتاب التبيان "مذكرات الأمير عبدالله" (نشر وتحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥) ص١٥.

٢ - أعمال الأعلام، ٧٦/٢.

الخليفة ثم أصدر أوامره بأن يتولى عبدالملك الحجابة مكان أبيه[١]، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر رمضان المبارك سنة ٣٩٢هـ[٢] (أغسطس ١٠٠٢م) وخلع عليه[٣]، وأخرجت الكتب بهذا الخصوص وتليت على منابر الأندلس والمغرب[٤] وبعد أن أحكم عبدالملك قبضته على البلاد سار على نهج والده تجاه الخليفة المؤيد، فقد حجر عليه طوال أيامه حتى أنه لم يشهد صلاة قط[٥]، إلا أنه كان يكثر من إخراجه للنزهة ولكن وفق ماكان المنصور يفعل معه من قبل[٦].

وقد سلك عبدالملك بن المنصور سبيل التدرج في طلب الألقاب الملوكية، والرتب السلطانية، وهو النهج الذي سار عليه والده من قبل[٧]، فبعد أن مضى على توليه الحجابة خمس سنين وثلاثة أشهر، أثبت خلالها جدارته في هذا المنصب، ووقرت محبته في قلوب الناس، بدأ يطلب منحه ماكان يخطط له، ففي شهر ذي الحجة من سنة ٣٩٧هـ (أغسطس

---

١ - الذخيرة، ق٤م١ ص٧٨.

٢ - البيان المغرب، ٣/٣.

٣ - نفح الطيب، ٣/٩٤.

٤ - أعمال الأعلام، ٢/٨٤.

٥ - الذخيرة، ق٤م١ ص٨٢.

٦ - المصدر السابق، ص٨٢-٨٣.

٧ - البيان المغرب، ٣/١٥.

١٠٠٧م) وصل إلى قرطبة بعد أن قاد المسلمين في غزوة قلونية[١]، وبعد أن استشار خاصته فيما سوف يلتمسه من الخليفة من الألقـــاب، وجـــه الحاجب إلى الخليفة دعوة للترهة في الزاهرة، وذلك في أوائل الشهر المحرم من سنة ٣٩٨هـــ[٢] (سبتمبر ١٠٠٧م) فوصل الخليفة إلى الزاهرة علـــى السبيل المعهود منذ أيام المنصور[٣]، ثم انفرد به عبدالملك، وطلب منه أن يصدر مرسوماً ينعم به عليه بلقب "المظفر" وأن يكنى في جميع مايجري به ذكره بأبي مروان ... وأن يثني وزارة ابنه محمد فيصيره بها ذا الـــوزارتين ويعلي بذلك مرتبته على سائر الوزراء[٤]، فما كان من الخليفة إلا الموافقة على طلب الحاجب، بل زاد على مراده بأن كنى ابنه محمدا بـــأبي عـــامر كنية جده، حرصاً من الخليفة على إدخال المسرة على حاجبه[٥].

وفي النصف من شهر المحرم سنة ٣٩٨هـــــ (أغســـطس ١٠٠٧م) ركب الخليفة -وفق الطريقة المعهودة- متجهـــاً نحـــو قصـــر ناصـــح بالزاهرة[٦]، وبعد أن قر به المقام بالقصر، استدعى حاجبـــه عبـــدالملك

---

١ - المصدر السابق، ١٤/٣.

٢ - نفسه ١٦/٣.

٣ - اعمال الأعلام، ٨٨/٢ أي أنه كان مستخفياً عن عيون النـــاس لابســـاً للـــبرنس والحاجب قد طرد الناس من أمامه.

٤ - البيان المغرب، ١٦/٣.

٥ - المصدر السابق ١٦/٣.

٦ - نفس المصدر والصفحة.

وناقشه في بعض الأمور، وبعد أن غادر عبدالملك المجلس صدر من الخليفة المرسوم التالي، يقال أنه كان بخط يده:-

"بسم الله الرحمن الرحيم، من هشام المؤيد، أتم الله عليك نعمته وهنأك قسمه وألبسك عفوه وعنايته، لما رأيناك -سلمك الله- من صنع الله الجسيم، وفضله العظيم، لنا عليك ماشفى الصدور، وأقر العيون، استخرنا الله في أن سميناك المظفر .. كذلك أبحناك التكني في مجالسنا ومحافلنا، وفي الكتب الجارية منك وإليك في أعمال سلطاننا، وسائر مايجري فيه اسمك معنا ودوننا، .. كذلك شرفنا فتاك أبا عامر محمد بن المظفر تلادنا أسعده الله بالإنهاض إلى خطة الوزارتين، وجمعناه بها في التكني على المشيخة، والترتيب إثرك في الدولة لأنك تربيتنا، وسيف دولتنا... [(١)]".

١ - أعمال الأعلام، ٨٨/٢ وانظر: البيان المغرب، ١٦/٣، هذا هو أسلوب العامريين مع الخليفة المؤيد، فأي واحد منهم، عندما يريد من الخليفة استصدار أمر فيه رفعة له، فإنه يجتمع به على انفراد، ويملي رغبته عليه، وبعد عدة أيام يستدعي الخليفة حاجبة صاحب الطلب، ومن ثم ينعم عليه بمراده، مظهراً للناس أن هذا تم بإنعام منه، وأنه هو الذي يدبر الدولة، والحاجب لا شك حريص على هذا الأسلوب لأن في صدور مرسوم من الخليفة بالإنعام عليه في شيء ما، مهم بالنسبة لوضعه بين الناس فضلاً عن إضفائه الصفة الشرعية على ماحظي به الحاجب.

وبهذه المناسبة أظهر الحاجب المظفر السرور بما أصدره الخليفة، فاحتفل لذلك احتفالاً خاصاً وزعت فيه الصلات على جميع الأجناد[١].

وبعد هذا المرسوم أصبحت الكتب التي تصدر من عبدالملك بن المنصور وفق الصورة التالية: "من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبدالملك بن المنصور[٢]" وبذلك يكون عبدالملك أول من اجتمع له لقبان من حجاب الأندلس وسار على إثره في اتخاذ لقبين من جاء بعده من ملوك الفتنة[٣].

وهكذا ظل الحاجب المظفر يمارس سلطاته بالأندلس حتى وافته المنية يوم الجمعة لإثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر صفر سنة ٣٩٩هـ[٤] (أكتوبر ١٠٠٩) وقيل بأنه قد دُسَّ له السم من قبل أخيه عبدالرحمن[٥].

وبعد وفاة المظفر قام بالأمر أخوه عبدالرحمن، حيث ضبط المدينة الزاهرة، وجلس مجلس أخيه المظفر، واستقبل المهنئين، ثم توجه إلى الخليفة ونعى إليه أخاه، فعزاه الخليفة وقلده الحجابة بعد أن خلع عليه[٦]، وعندما وصل إلى الزاهرة جلس لاستقبال المهنئين، وبعد عشرة أيام من استلامه

١ - البيان المغرب، ١٧/٣.

٢ - أعمال الأعلام، ٨٩/٢.

٣ - المصدر السابق، ١٧/٣.

٤ - أعمال الأعلام، ٨٩/٢.

٥ - البيان المغرب، ٣٧/٣.

٦ - أعمال الأعلام، ٩٠/٢.

الحجابة منحه الخليفة لقب المأمون مضافاً إلى اسمه الأول ناصر الدولة كما شرفه بالتكنية، وأصدر الخليفة في ذلك مرسوماً بخط يده، جاء في العنوان "الحاجب المأمون ناصر الدولة أبو المطرف، حفظه الله، بسم الله الرحمن الرحيم أدام الله حفظك، وأحسن على الصلاح عونك، ... تسميتك في كتبنا إليك وتحليتك بالمأمون في مخاطبتك زائداً على أول أسمائك ... فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك وإليك على عنوان كتابنا هذا إليك[١]" وأمر الخليفة بإنفاذ هذه الرقعة إلى الوزير الكاتب جهور بن محمد، ليثبت هذه التسمية في الأزمة، وتكون معتمدة رسمياً في المخاطبة، وتنفذ في ذلك الكتب لتتلى على منابر الأندلس كافة[٢].

وفي يوم الثلاثاء ١٤ من ربيع الأول سنة ٣٩٩هـ (١٧ نوفمبر ١٠٠٨م) توصل عبدالرحمن بن المنصور إلى استصدرا مرسوم من الخليفة يقضي بتعيينه ولياً للعهد، بعد أن أقنع الخليفة بضرورة ترقيته إلى هذا المنصب، محتجاً بالقرابة التي تربطهما من جهة الأم[٣]. وفي الوقت نفسه

١ - البيان المغرب، ٤١/٣.

٢ - المصدر السابق، ٤١/٣.

٣ - نفسه ص ٤٢/٣، وأما عن القرابة التي بين المؤيد وعبدالرحمن فهي كما يلي:- شاع في الأندلس زواج المسلمين من نصرانيات، وكانت هناك مصاهرات بين حكام الأندلس والشمال الأندلسي ومن ذلك أن الخليفة الحكم المستنصر تزوج بامرأة بشكنسية تدعى "صبح" **Aurora** فولدت هشام المؤيد، كما أن المنصور بن أبي عامر قد تزوج من ابنة شانجة بن غرسيه "**Sancho Gures II**" ملك بلاد النافار التي=

دس إليه من خوفه بأنه ينوي الفتك به إن لم يجعله ولياً للعهد[١]. فأصبح عبدالرحمن بن المنصور يدعى له بولاية العهد على المنابر في الخطبة بعد الدعاء للخليفة مع بقية الألقاب التي منحه[٢]. وبذلك تخلى عبدالرحمن عن الحجابة إذ قلدها ولده عبدالعزيز مجموعة له بسيف الدولة لقب عمه المظفر، حيث ظل في هذا المنصب طيلة حياة والده[٣].

ولم تقف طموحات عبدالرحمن بن المنصور الشهير بشنجول السريعة الخطى عند الوصول إلى منصب ولاية العهد، بل كان يريد الوثوب على الخلافة بأقصر وقت، وبأي وسيلة ففي شتاء سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) خرج على رأس جيشه متجهاً إلى الشمال الأسباني[٤]، وكان على شرطته أحد سفال قرطبة يقال له: ابن الرسان[٥]، فإذا سكر شنجول أمر صاحب شرطته بأن ينادي في الجيش: يأمركم أمير المؤمنين بكذا

=عاصمتها بمبلونه **Pamplona** وتعرف بالمصادر الأندلسية باسم "عبده" أثنت عليها المصادر وهي أم عبدالرحمن وهي التي أطلقت عليه اسم "شنجول" تصغيراً لاسم أبيها وتدليلاً لابنها. انظر: اعمال الأعلام، ٢/٧٣،٦٦،٤٢. البيان المغرب، ٢/٢٥٣، ٣/٨٣، الحلة السيراء، ١/٢٧٢ حاشية رقم ١. محمد عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية. (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط الأولى، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م) ص ١٩٩-٢١١.

١ - البيان المغرب، ٣/٣٩.

٢ - أعمال الأعلام، ٢/٩٣.

٣ - المصدر السابق، ٢/٩٤.

٤ - نفسه، ٢/٩٦.

٥ - البيان المغرب، ٣/٤٩.

وكذا، فإذا عاد سأله عن رد فعل الناس فيخبره أهم غير مبالين، فيأمره عندها بتكرار النداء مرات ومرات[١] متلذذاً بسماع ذلك، إلا أن هذه اللذة لم يكتب لها الاستمرار، إذ هبت نيران الفتنة بقرطبة بقيادة محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمهدي، فعاد شنجول نحو قرطبة، وعندما بلغ قلعة رباح تبرأ من ولاية العهد وأعلن اقتصاره على الحجابة وأرسل كتاباً بذلك لكن أحداً لم يأبه به[٢]، فعزم على دخول قرطبة، وأصر على ذلك، رغم نصيحة البعض له بالفرار[٣]، فكان في إصراره حتفه، إذ قتل بمنزل هانئ عند دير أرملاط، وذلك عقب صلاة المغرب يوم الجمعة لأربع خلون من رجب سنة ٣٩٩هـ (٤مارس سنة ١٠٠٩م)[٤].

الحجابة في عصر الفتنة

مرت الحجابة في ذلك الوقت بفترات اتضحت خلالها قوتها، وعانت من الضعف أكثر وقتها، والملاحظ على الحجابة آنذاك، هو كثرة من تولاها، مع قصر مدهم، بسبب مايتعرضون له من مفاجآت غير سارة، من قتل وعزل وهروب.

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/٩٧.

٢ - البيان المغرب، ٣/٦٩.

٣ - المصدر السابق، ٣/٦٩-٧٠.

٤ - نفسه، ٣/٧٢.

ففي بداية عهد الفتنة سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) تولى الحجابة الأمير عبدالجبار بن المغيرة لابن عمه الخليفة محمد المهدي[١] وهذه هي المرة الأولى التي تولى فيها الحجابة أحد أبناء البيت الأموي، وذلك في الخلافة الأولى للمهدي، وأما في الخلافة الثانية فإنه استحجب الفتى "واضح الحكمي العامري[٢]" بسبب مساعدته له عندما لجأ إلى طليطلة، وبالتالي وقوفه إلى جانبه إلى أن تولى الخلافة للمرة الثانية[٣]، ويمكن القول بأن الحاجب واضح كان شريكاً للمهدي في تدبير الدولة[٤] إلا أن طموحه كان أكبر من ذلك بكثير، فهو يتطلع إلى تكرار سيرة مواليه العامريين المنصور وبنيه، وذلك من خلال اعادة الخلافة لهشام المؤيد، ومن ثم السيطرة عليه -بالإضافة إلى الأخذ بثأرهم من المهدي[٥]- لأجل ذلك تآمر مع بعض زملائه الصقالبة، فقتلوا المهدي يوم الأحد الثامن من ذي الحجة سنة ٤٠٠[٦] (٢٤ يوليو ١٠١٠م) وبعد قتل المهدي تولى الخلافة

---

١ - أعمال الأعلام، ١١٠/٢. البيان المغرب، ٩٥/٣.

٢ - المصدر السابق، ١٠٠/٣. وأما صاحب ذكر بلاد الأندلس، ١٩٩/١ فقد ذكر أن اسمه "عامر الفتى".

٣ - أعمال الأعلام، ١١٣/٢-١١٤.

٤ - انظر: المصدر السابق، ١١٥/٢-١١٦. البيان المغرب، ٩٥/٣-٩٩.

٥ - البيان المغرب، ٩٩/٣.

٦ - الحلة السيراء، ٧/٢. أعمال الأعلام، ١١٦/٢.

هشام المؤيد، فتولى واضح الحجابة له، وكما يريد فقد استبد بالسلطة[١]، إلا أنه شعر بعدم قدرته على ضبط الأمور بصورة قوية، بل أصبح عرضة للسخرية والسب من قبل الجند، ولذا فقد عزم على الهرب طلباً للنجـــاة، إلا أن أمره انكشف، فأسرع إليه ابن وداعة بطائفة من الجند، فأخرجوه من داره وعاتبوه على تفريطه ثم قتلوه[٢]، فأصبح منصب الحجابة شاغراً، إذ أن الخليفة هشام المؤيد أظهر الاستغناء عن الحاجب وأخذ يباشر الأمور بنفسه[٣]، لكنه لم يلبث أن ولى عبدالرحمن بن متيوه مهام الحجابـــة[٤]، وسماه بذي الوزارتين[٥]، إلا أن أمره لم يستمر إذ ما إن شـــعر بخطـــورة الموقف وتدهور الأوضاع حتى هرب إلى بطليوس بعد أن سرق كل نفيس من قصر الخليفة هشام المؤيد[٦] وبهرب ابن متيوه، ظل منصب الحجابـــة شاغراً حتى دخل سليمان المستعين مدينة قرطبة في شـــهر شـــوال ســـنة ٤٠٣هـــ (إبريل ١٠١٣م)[٧] فتقلد المناصب في دولته بما فيها الحجابـــة

١ – الذخيرة، ق١م١ ص٢٥.

٢ – انظر: أعمال الأعلام، ١١٨/٢. البيان المغرب، ١٠٣/٣–١٠٥.

٣ – أعمال الأعلام، ١١٨/٢.

٤ – الذخيرة، ق١م١ ص٤٦. وأما ابن عذاري فقد أسماه بابن منـــاو. انظـــر: البيـــان المغرب، ١٠٧/٣.

٥ – البيان المغرب، ١٠٧/٣ .

٦ – المصدر السابق، ص ١٠٩/٣.

٧ – الحلة السيراء ٧/٢.

أنصاره البرابر[١] وأصبحت دولة المستعين -كما يقول ابن عذاري- "دولة البرابر"[٢].

ونظراً لأن كل من آنس في نفسه قوة انتزى في ناحية من نواحي الأندلس وبسط نفوذه عليها، لأجل ذلك وجد أكثر من حاجب إذ أصبح لكل خليفة من الخلفاء المتنافسين على عرش قرطبة حاجب خاص[٣].

ولدينا بالإضافة إلى هؤلاء الخلفاء المتنافسين بعض أصحاب الطموح الذين يريدون أن يلوا منصب الحجابة في ظل خليفة ضعيف تبرز فيها شخصياقم فمن هؤلاء:-

خيران العامري، فبعد أن غادر قرطبة عقب تولي علي بن حمود الخلافة بها في شهر المحرم سنة ٤٠٧هـ (يوليو ١٠١٦م) توجه إلى جيان[٤] وهناك وجد عبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن

---

١ - ذكر بلاد الأندلس ٢٠٣/١.

٢ - البيان المغرب، ١١٤/٣.

٣ - الذخيرة، ق١م١ ص٤١.

٤ - جيان **Jaen** مدينة أندلسية قديمة تقع في قلب الأندلس، على بعد مائة كيلو متر شرقي قرطبة وبمثلها من ناحية الشمال، وقد امتازت جيان بأراضيها الخصبة ولذا فقد كثرت القرى التابعة لها، وقد كانت في أيام الدولة الإسلامية من أعظم قواعد الأندلس، إلى أن سقطت بأيدي النصارى سنة ٦٤٤هـ، وقد بقي من آثار المسلمين بها الحصن أو القصبة الأندلسية والمعروفة اليوم باسم: حصن سانتا كاتالينا **Castillo de sta catalina**. انظر: فرحة الأنفس، ص٢٨٤. الحلل السندسية ١٢٧/١-١٢٨. الآثار الأندلسية الباقية، ص٢١٩-٢٢٧.

الناصر الملقب بالمرتضى، فبايعه بالخلافة في شهر ذي الحجة سنة ٤٠٨هـ (إبريل ١٠١٨م) على أمل أن يلي الحجابة له ويسيطر على الدولة باسمه، إلا أنه لم يلبث أن غدر به وأسلمه للقتل حول غرناطة سنة ٤٠٩هـ (١٠١٨م) [١].

وقبل خيران العامري، وجد مجاهد العامري المتوفى سنة ٤٣٦هـ (١٠٤٤م) الذي سبق الجميع إلى استغلال عواطف الأندلسيين تجاه الخلافة الأموية، فقد عمد في خلافة المستعين سليمان بن حكم إلى مبايعة رجل من بني أمية، عرف "بالنبل والذكاء والشرف[٢]" هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي، وذلك في أول سنة ٤٠٥هـ (١٠١٤م) [٣] مستغلاً فرصة عبور علي بن حمود على رأس قواته من سبتة بالمغرب إلى مالقة بالأندلس[٤]، فأخذ مجاهد البيعة للمعيطي في جميع أعماله، وتولى مجاهد منصب الحجابة للمعيطي، إلا أن الود بينهما لم يستمر، فاضطر مجاهد إلى طرد المعيطي بعد خلعه[٥].

---

١ - الذخيرة، ق١م١ ص٤٥٣-٤٥٥، البيان المغرب، ٣/١٢٥-١٢٧.

٢ - الصلة، رقم ٥٩٣.

٣ - أعمال الأعلام، ٢/٢٢٠.

٤ - الذخيرة، ق١م١ ص ٤١.

٥ - انظر: ترتيب المدارك، ٨/٢٦. الصلة، رقم ٥٩٣. أعمال الأعلام، ٢/٢٢٠، تاريخ ابن خلدون، ٤/١٦٤. كيليا سار فللي، مجاهد العامري، ص ١٥٥.

وبوجه عام، فقد استمر وجود الأدعياء الذين بويعوا بالخلافة لهدف أراده من نصبهم وبايعهم، ويكفي للدلالة على سوء الوضع المتعلق بهذه الأمور قول ابن حزم :"أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها، كلهم تسمى بأمرة أمير المؤمنين ويخطب لهم بها في زمن واحد، وهم خلف الحصري[1] بإشبيلية على أنه هشام بن حكم، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة، ومحمد بن إدريس بن علي بن حمود بمالقة، وإدريس بن يحيى بن علي ابن حمود ببشتر[2]".

وكما تولى الحجابة أصحاب السيف والقلم في عهد قوة الدولة الأموية، فكذلك تولاها بعض العلماء أصحاب الشخصيات الدينية

---

١ - بعد أن استقر يحيى بن علي بن حمود الملقب بالمعتلي، في مالقة، وبسط حكمه على معظم قواعد الأندلس الغربية الجنوبية، بدأ بالتطلع إلى إشبيلية وأرهق صاحبها ابن عباد بالغارات المتوالية، فما كان من الآخر، بعد أن شعر بخطورة الموقف، إلا أن أتى برجل فقير يعمل مؤذناً في مسجد بإحدى قرى إشبيلية مستغلاً غيبة هشام المؤيد والأراجيف التي كانت تقول بوجوده، وبقرب ظهوره، وبالشبه الشديد بينه وبين ذلك الرجل المؤذن المدعو خلف الحصري، فألبسه الكسوة الخلافية ومشى بين يديه وصائح يصيح بأن هذا هو أمير المؤمنين هشام، وأجلسه في القصر وأخذ له البيعة وطالب الأهالي بمبايعته ومن أبى حل به البلاء. كل هذا حرصاً من ابن عباد على الدنيا ودفعاً لابن حمود عن الخلافة. انظر: البيان المغرب، ٣/١٩٧-٢٠٠.

٢ - نقط العروس، ص ٨٣-٨٤. وعن أولئك الحموديين: انظر: البيان المغرب، ٣/٢١٧. لويس سيكودي لوثينا، الحموديين سادة مالقة والجزيرة الخضراء، ص ٤٢-٤٧.

والأدبية، فقد تولى أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، تدبير دولة الخليفة عبدالرحمن المستظهر[١]، الذي بويع بالخلافة يوم ٤ رمضان سنة ٤١٤هـ (٤١ نوفمبر ١٠٢٣م) إلا أنه لم يمكث في هذا المنصب سوى سبعة أسابيع بسبب مقتل المستظهر وبذلك فقد ابن حزم منصبه وكلما أقبلت الدولة على الوصول إلى نقطة النهاية، كلما أصبحت المناصب متاحة لأي كان، فمنصب الحجابة ارتقى إليه أصحاب المهن الوضيعة، فهذا أحمد بن خالد رجل حائك كان هو المدبر لدولة الخليفة المستكفي بالله ٤١٤-٤١٦هـ (١٠٢٤-١٠٢٥م) وكما يقول المراكشي: "فقل في دولة يدبرها حائك"[٢].

وكانت نهاية هذا الحائك سيئة، إذ اقتحم عليه عوام قرطبة داره وضربوه بالحديد حتى مات[٣].

ومايقال عن دولة المستكفي فإنه يقال عن دولة المعتد بالله ٤١٨-٤٢٢هـ (١٠٢٧-١٠٣١م) الخليفة الأموي الأخير بالأندلس، فقد تولى أمر تدبير دولته حائك يدعى حكم بن سعيد القزاز، فأساء التصرف وأثار حفيظة الناس، فلما عيل صبرهم وثبوا عليه وقتلوه وحزوا رأسه وطافوا به بالبلد[٤].

---

١ - المعجب، ص ٩٣.

٢ - المصدر السابق، ص ١٠٧.

٣ - نفس المصدر والصفحة.

٤ - البيان المغرب، ٣/١٤٦-١٥٠.

الوزارة

إن نظام الوزارة[١] في دولة بني أمية بالأندلس يدين في وجوده وتنظيمه للأمير عبدالرحمن الأوسط ٢٠٦-٢٣٨هـ (٨٢٢-٨٥٢م)، أما قبل ذلك فلم يكن هناك تنظيم حقيقي لهذا الجهاز، فالأمير عبدالرحمن الداخل أنف من اتخاذ الوزراء[٢]، ولكنه اتخذ مجموعة من المعاونين والمستشارين الذين توسم فيهم الإخلاص والوفاء والكفاءة، واختصهم بمجالسته وبذل المشورة له عندما يطلب منهم ذلك[٣]، واختار أحدهم

١ - أُختلف كثيراً في اشتقاق لفظ الوزارة، فقيل أنه مأخوذ من "الوزر" بكسر الواو وسكون الزاي، وهو الثقل، لأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله، انظر: الأحكام السلطانية ص ٢٠. فالوزير هو الذي يتولى أعباء إدارة الدولة. وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته، ص ٦٦٣ "إن السلطان نفسه ضعيف يحمل أمراً ثقيلاً، فلابد له من الاستعانة بأبناء جنسه، وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده" وقيل إنه مأخوز من "الوَزَر" وهو الملجأ والمعتصم. الأحكام السلطانية ص ٢٠. قال تعالى **{كَلَّا لا وَزَرَ- إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ}** سورة القيامة الآيتان رقم ١١-١٢. وقيل أنه مأخوذ من "الأَزْر" وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر. الأحكام السلطانية ص ٢٠. قال تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام **{واجعل لي وزيراً من أهلي - هارون أخي - أشدد به أزري - وأشركه في أمري}** سورة طه الآيات من ٢٩-٣٢. ولعل الرأي الثالث هو أقرب الآراء لمفهوم الوزارة في الأندلس، فهي المؤازرة والمعاونة.

٢ - مقدمة ابن خلدون. ص ٦٧٠. ربما لأنه كان متأثراً بأسلافه بالمشرق.

٣ - نفح الطيب، ٣/٤٥.

وجعله رئيساً عليهم، ويتردد بينه وبينهم وقد عُرف متولي هذا المنصب بـ "الحاجب"[١].

ورغم أن الأمير عبدالرحمن الداخل لم يسم أولئك المعاونين والمستشارين بالوزراء، إلا أن معنى الوزارة كان واضحاً في ذهنه، يدل على ذلك مقولته لعبدالملك بن عمر بن مروان بن الحكم، بعد إحدى المعارك التي حسم أمرها شجاعة عبدالملك وصرامته[٢]، فقد قال له: "يا ابن عم، قد أنكحت ابني وولي عهدي هشاماً ابنتك فلانة، وأعطيتها كذا وكذا، وأعطيتك كذا، ولأولادك كذا، وأقطعتك وإياهم، ووليتكم الوزارة"[٣].

وذكر ابن الأبار أن الأمير عبدالرحمن الداخل قد استوزر ولديه سليمان وهشام[٤]، بالإضافة إلى كل من عبدالله وإبراهيم وحكم أبناء

---

١ - المصدر السابق، ١/٢١٦.

٢ - هذه المعركة جرت سنة ١٥٦هـ عندما ثار أهل الأندلس بقيادة حيوة بن ملامس الحضرمي وعبدالغفار اليحصبي بن طالوت. انظر: اخبار مجموعة، ص ١٠٧. تاريخ ابن خلدون، ٤/١٢٣. نفح الطيب، ٣/٥٩،٤٨.

٣ - نفح الطيب، ٣/٥٩.

٤ - الحلة السيراء، ١/٤٢.

عبدالملك بن عمر بن مروان[١]، كما أن بعض المؤرخين قد أطلق على معاوني الأمير الداخل ومستشاريه لقب "وزراء"[٢].

ومن كل مامضى نستطيع القول بأن الأمير عبدالرحمن الداخل كان متأثراً بشدة بنظام الحكم الذي كان قائماً في دولة أسلافه الأمويين بالشام، إذ أن الخلفاء الأمويين اتخذوا كتّاباً أسندوا إليهم بعض المهام، فقربوهم واتخذوهم مستشارين خاصين يساعدوهم في إدارة دولتهم الشاسعة، وعلى ذلك فقد كانوا يقومون بعمل الوزراء دون أن يتلقبوا بهذا اللقب[٣].

وذكر ابن عذاري أن عدد وزراء الأمير هشام الرضا كانوا ثمانية[٤]، بينما كان عددهم لدى ابنه الحكم خمسة وزراء[٥].

وقد تولى إدارة دولة الأمير عبدالرحمن الأوسط عدد من الشخصيات القوية أمثال: عبدالكريم ابن عبدالواحد بن مغيث، وعيسى بن شُهيد وغيرهما، وفيهم قال ابن حيان نقلاً عن ابن مفرج:-

---

١ - المصدر السابق، ٥٦/١.

٢ - أخبار مجموعة، ص١٠٦. البيان المغرب، ٤٨/٢.

٣ - أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري، كتاب الوزراء والكتّاب، (تحقيق: مصطفى السقا وغيره، القاهرة، مكتبة مصطفى الحلبي، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م) ص ٢٧، ٢٤.

٤ - البيان المغرب، ٦١/٢.

٥ - المصدر السابق، ٦٨/٢.

"وكان قد اجتمع للأمير عبدالرحمن من سراة الوزراء أولي الحلوم والنهى والمعرفة والذكاء عصابة لم يجتمع مثلها عند أحد من الخلفاء قبلهم ولابعدهم[١]" فوجود مثل هؤلاء في وقت واحد جعل من الضروري إختصاص كل واحد منهم بأعمال محددة وألقاب معينة. وبذلك برزت المناصب بقوة منذ ذلك الوقت، وبالتالي أصبح التنظيم الإداري لأجهزة الدولة أمراً ضرورياً.

وبعد أن تمت عملية التنظيم برزت الوزارة، فوزعت الإختصاصات، وأصبح لكل وزير عملاً معيناً يقوم به وفي ذلك يقول ابن خلدون:-

"وأما دولة بني أمية بالأندلس، فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة، ثم قسموا خطته أصنافاً، وأفردوا لكل صنف وزيراً، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً"[٢].

ولم يكن لأولئك الوزراء في البداية مجلس خاص بهم يجتمعون فيه فقد كان الأمير يستدعيهم متى شاء، إلا أن الأمير عبدالرحمن الأوسط نظم تواجدهم، وأصبح تنظيمه هذا معمولاً به إلى نهاية الدولة، فقد "ألزم هؤلاء الوزراء الاختلاف إلى القصر كل يوم، والتكلم معهم في الرأي،

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٩.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ص٦٧٠. والوزارة بهذا التصنيف تكون شديدة الشبه بالتقسيمات الوزارية الحاصلة في الوقت الراهن.

والمشورة لهم في النوازل، وأفردهم ببيت رفيع داخل قصره مخصوص بهم، يقصدون إليه ويجلسون فيه فوق أرائك، قد نضدت لهم، يستدعيهم إذا شاء إلى مجلسه جماعة وأشتاتاً، يخوض معهم فيما يطالع به من أمور مملكته، ويفحص معهم الرأي فيما يبرمه من أحكامه، وإذا قعدوا في بيتهم أخرج رقاعه ورسائله إليهم بأمره ونهيه، فينظرون فيما يصدر إليهم من عزائمه، جرى على ذلك من تلاهم إلى اليوم"[1].

وعلى هذا، فالوزراء أصبح لديهم عمل رسمي يزاولونه بشكل يومي، ومجلس خاص بهم، يمارسون فيه أعمالهم كل حسب اختصاصه، وفي بيت الوزارة يجلسون بشكل دائري على فرش الكتان[2] والحاجب في صدر المجلس على فراش الديباج أرفع من فرشهم، وحسب التوجيهات العامة التي تصدر إليهم من الأمير تدور المناقشات بينهم في أمور الدولة،

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٩. وأما النص الذي ورد لدى ابن القوطية في "افتتاح الأندلس" ص٦١ فقد جاء فيه: "وعبدالرحمن أول من رتب اختلاف الوزراء إلى القصر والتكلم في الرأي على ماهو جار إلى اليوم".

٢ - الذخيرة، ق٤م١ ص٥٩. الوزراء كانوا يجلسون على فرش لم تكن ترتفع عن الأرض كثيراً، يدل على ذلك ماورد لدى الخشني عند ذكره لاجتماع عمرو بن عبدالله وسليمان بن أسود عند الوزراء في بيتهم، وبعد أن انتهت المناقشة وأراد عمرو بن عبدالله أن ينهض وضع يديه جميعاً في الأرض ليقوم. [انظر:قضاة قرطبة ص ٨٦] ولايمكن أن يضع يديه جميعاً في الأرض إلا إذا كان الفراش المعد للجلوس لايرتفع عن الأرض إلا يسيراً.

وما يصدر عنهم من قرارات يتولى الحاجب حملها إلى الأمير فيعرضها عليه، فالذي يوافق عليه الأمير يحول إلى ديوانه الخاص، لكي يصاغ صياغة ديوانية ملائمة، ثم يتولى الوزير صاحب العرض حملها إلى الأمير ليختمها بالختم الرسمي للدولة، ومن ثم يصدر المرسوم.

وقد شهدت الوزارة في الأندلس تقسيمات متعددة، فقد كانت تضم عدة خطط تعتبر من أخطر مناصب الدولة على الإطلاق[1].

وهناك خطط يتقلدها أكثر من واحد في نفس الوقت، من ذلك أن خزانة بيت المال في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط كانت تحت إشراف أربعة يعرفون بالخزّان[2]، كما أن خطة العرض كان يتولاها أربعة من كبار رجالات الدولة،

وذلك في بداية عهد عبدالرحمن الناصر[3]. ومن الملاحظ هنا أنه عندما تسند عملية الإشراف على خطة من الخطط لأكثر من شخص واحد، فإن اختصاص كل منهم لابد أن يكون واضحاً لديه لكي لاتكون هناك ازدواجية في الأداء.

وكما يتم اشتراك أكثر من واحد في خطة واحدة، فمن الممكن أن يتولى رجل واحد، ممن لايحملون لقب وزير، مسئولية عدة خطط، فمثلاً

---

١ - دولة الإسلام في الأندلس، ع١ق١ ص٦٨٥.

٢ - هم : ابن بسيل الملقب بالغماز، وطاهر بن هارون، وسفيان بن عبدربه، وشيخهم موسى بن حدير. انظر: ابن القوطية، ص٦٢.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٩٧.

محمد بن أبي عامر "المنصور" كان في عهد الحكم المستنصر يتولى خطة المواريث وقضاء إشبيلية ولبله[1] وأعمالها وكذا الأمانات بالعدوة وخطة الشرطة الوسطى بالإضافة إلى وكالة هشام بن الحكم المستنصر[2].

وفي الوقت نفسه، من الممكن أن يتولى من يحمل لقب "وزير" الإشراف -بالإضافة إلى وزارته -على عدة خطط، فهذا: الوزير أحمد بن عبدالملك بن شُهيد كان يتولى بالإضافة إلى الوزارة خطتي الشرطة العليا والمظالم والإشراف على دار السكة[3].

وعلى هذا يمكن القول بأن من يترقى أو يُنقل من خطة إلى أخرى ليس بالضرورة أن يتخلى عن خطته أو خططه السابقة، بل بإمكانه الجمع بين أكثر من خطة، لكن إذا رقي إلى رتبة وزير فلا شك أنه سيتخلى عن خططه السابقة، ويقتصر على حمل لقب وزير مضافاً إليه ذكر الخطة الجديدة التي أسندت إليه، فعبد الحميد بن بسيل كان على خزانة المال، ثم

---

١ - لبلة "**Niebla**" كورة في غربي الأندلس، سهلية جبلية برية بحرية، تكثر بها المزارع والمياه، وهذا الإقليم معد لتربية الحيوانات، وأحواز لبلة مختلطة بأحواز كورة أكشونبة على نهر آنة وبأحواز كورة باجه، ومدينة لبله هي المعروفة بالحمراء من أعمال ولبه، وهي تقع على الطريق بين اشبيلية وولبه. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص ٩٢. جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ١٢٧،٦٤. ابن الشباط، صلة السمط وسمة المرط، (تحقيق: د.أحمد العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٧١م) ص١٤٥.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٧٢.

٣ - المصدر السابق، تحقيق: شالميتا، ص ٤٨٦.

استوزره عبدالرحمن الناصر وجعله مع منصب الوزارة قائداً للجيش، فأصبح يعرف بـ"الوزير القائد"[١].

كيفية الوصول إلى منصب الوزارة

من الطبيعي أنه لايمكن وضع أي فرد في هذا المنصب الخطير إلا بعد اختبار وتجربة يثبت من خلالها أنه كفؤ لما سيصل إليه، وهذه التجربة تكون من خلال إسناد بعض المهام الإدارية إليه، ومن خلال التدرج في المناصب يرقى إلى مرتبة "وزير" فالوزير فطيس بن سليمان بن عبدالملك بن زيان، كان يتولى الكتابة لهشام الرضا عندما كان ولياً للعهد، فلما تولى هشام الإمارة ولاه السوق وكورة قبره[٢] وأخيراً جعله وزيراً[٣]. ولكن من الممكن أن يصل أحدهم إلى منصب الوزارة دون تدرج وظيفي، فقد ذكر ابن القوطية أن الأمير محمد بن عبدالرحمن في صبيحة

١ - البيان المغرب، ٢/١٨٥.

٢ - قبرة "Cabra" بلدة صغيرة من أعمال قرطبة، وهي تقع منها على بعد نحو سبعين كيلو مترا إلى الجنوب الشرقي، وهي مدينة حصينة جداً، وبها العديد من الحصون، كما اشتهرت بوفرة المياه وكثرة الأشجار. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص٨٩. الروض المعطار، ص ١٥٣.

٣ - الحلة السيراء، ٢/٣٦٥.

اليوم الذي تولى فيه الإمارة رقى محمد بن موسى الإشبيلي إلى خطة الوزارة مباشرة[١].

كذلك من أساليب الوصول إلى الوزارة تقديم طلب للأمير بهذا الخصوص، فهذا الوليد بن عبدالرحمن بن غانم[٢] قدم طلباً للأمير محمد بن عبدالرحمن لاتخاذه وزيراً، وقد استجاب الأمير لطلبه، ولكن يشترط لذلك أن تكون كفاءته قد ثبتت مسبقاً من خلال تجارب وظيفية إضافة إلى شيء مهم وهو أن تكون له سابقة في الدولة[٣]. وإذا أراد الأمير أو الخليفة تقليد أحد رجاله منصب الوزارة فإنه يرسل إليه صاحب الرسائل ويحضره ويجلسه في بيت الوزراء مباشرة[٤].

---

١ - إن الأمير محمدا لم يول محمد بن موسى الإشبيلي الوزارة اعتباطا، وإنما تم ذلك بعد طول صحبة واختبار في مواقف عديدة، لعل آخرها موقفه ليلة وصول الأمير محمد للإمارة، ولذا فقد حظيت أسرة محمد بن موسى بلقب بني الوزير، انفردت به من بين أسر جميع الوزراء في قرطبة. انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٣٩-١٤١.

٢ - وليد بن عبدالرحمن بن عبدالحميد بن غانم، تولى خطتي الوزارة والمدينة بالإضافة لقيادة الجيوش، في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن ، كان كاتباً، أديباً مرسِّلاً، بليغاً، عرف بالنزاهة في أدائه لمهام منصبه، توفي في شعبان سنة ٣٩٢هـ . انظر: ابن القوطية، ص٨٥، ٨٧، ٨٨. الحلة السيراء، ٣٧٤/٢. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٤١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ٢٥٢، ٢٧١، ٣٨٨-٣٩٠.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٧٧.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ٤٨٧/٥.

وللوزير اختصاصات يعمل على عدم تجاوزها، فهو ينفذ الأوامر الصادرة إليه، وإذا أصبح منصب من مناصب الدولة شاغراً فإن الوزير وزملاءه يقترحون على الأمير أحد الأسماء. فإذا رضي الأمير عن الاقتراح أرسل في طلب المرشح لاستلام وظيفته[١]. ومن اختصاصات الوزير التحقيق في الشكاوى المقدمة ضد أحد أصحاب المناصب الهامة في الدولة[٢] والاجتماع بالفقهاء في بيت الوزارة للإفتاء في بعض المسائل[٣]، وكذلك الإشراف على بناء يشاد[٤]، واستقبال رؤساء الوفود الزائرة في بيت الوزارة[٥]، كما يتولى بعض الوزراء الإشراف على أحباس الخليفة[٦] في حين أن الوزير صاحب المدينة يتولى في بعض الأحيان مسئولية استنفار الناس للخروج إلى الجهاد[٧] وعندما يغادر الأمير أو الخليفة قرطبة ويجعل ولي عهده في القصر فإنه يبقي إلى جانبه أحد الوزراء وغالباً مايكون صاحب المدينة[٨]، كما أن على كل وزير تولي قيادة الجيش[١] ومن لم

---

١ - النباهي، ص ١٧.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٦٥-٦٦.

٣ - قضاة قرطبة، ص٨٣-٨٥.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٢٣. البيان المغرب، ٢٠٣/٢.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١١٠.

٦ - البيان المغرب، ٢٣٤/٢.

٧ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٤٤،١٤٠.

٨ - انظر: ابن القوطية، ص ٨٦، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٦٥، ٣١٧.

يفعل ذلك يكون عرضة للاتهام من قبل السلطة الحاكمة، وأخيراً فإن الوزير قد يتولى الصلاة على الجنائز أحياناً[٢].

مرتب الوزير الشهري

للوزراء ديوان خاص تسجل فيه مرتباهم الشهرية وأرزاقهم السنوية[٣]، إلا أننا لم نجد ذكراً صريحاً لمقدار مرتب الوزير في الشهر. لكننا عرفنا عند الحديث عن الحجابة أن مرتب الحاجب ثمانون ديناراً في الشهر، وبما أن الحاجب أعلى مرتبة من الوزير، إذاً لابد أن يكون راتب الوزير أقل من ثمانين ديناراً.

لكن الوزير يمنح أحياناً ألقاباً تضاف إليه حسب طبيعة عمله، فيمكن أن يكون الوزير القائد مثل يحيى بن محمد بن هاشم[٤]، أو الوزير القائد الأعلى مثل غالب بن عبدالرحمن[٥] وغير ذلك، بالإضافة إلى أن الوزير يكلف أحياناً بالإشراف على خطط أخرى بجانب العمل في وزارته[٦]. هذه الألقاب التي تمنح للوزير والخطط التي يتولى مسئولية

---

١ – انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ١٤٠، ٢٧١، ٣٢١. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص١٥٦، ٤٥١.

٢ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٤١٧.

٣ – الحلة السيراء، ٢/٣٦٥.

٤ – المقتبس، تحقيق: عبدالرحمن الحجي، ص ١٤٢.

٥ – المصدر السابق، ص ٦٩.

٦ – نفسه، تحقيق: شالميتا، ص ٤٨٦.

الإشراف عليها، يترتب عليها بالمقابل زيادة المرتب. أما ماذكره ابن عذاري من أن رزق كل وزير من وزراء الأمير عبدالرحمن الأوسط يبلغ ثلاثمائة دينار[١]، فإن ابن حيان قد فسر هذه النقطة، فعند حديثه عن وزراء الأمير عبدالرحمن الأوسط، ذكر أن الوزير محمد بن السليم "كانت له مع الوزارة خطط يرتزق عليها في كل شهر ثلاثمائة دينار[٢]" ولا شك أن ابن حيان مقدم على ابن عذاري في هذا المجال وإلا فما معنى أن يكون رزق الوزير فطيس بن سليمان خمسمائة دينار في ديوان الأمير الحكم الربضي؟ [٣].

وهذه المرتبات والأرزاق الواسعة، فيها دلالة على ثراء الدولة كما أنها تدل على حرص بني أمية على إكرام رجال دولتهم، والتوسيع عليهم، حتى لايتطلعوا إلى مابأيدي الآخرين، مما يحول دون إغرائهم بأي مقابل، مادي الأمر الذي يكفل بالتالي تسيير الأمور بصورة طيبة.

رسوم الوزارة

الوزارة في الأندلس لها رسوم ميزتها عما سواها، ولعل أبرز مايميزها أن حكام دولة بني أمية بالأندلس حرصوا على تكريس الوزارات بأيدي أبناء أسر معينة، مثل أسرة آل بني عبده وبني فطيس وآل بسيل وآل شهيد

---

١ - البيان المغرب، ٢/٨٠

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٨-٢٩. الحلة السيراء، ٢/٣٧١-٣٧٢.

٣ - الحلة السيراء ٢/٣٦٥.

والزجالي وغيرها، بل حدث في عهد الأمير عبدالله بن محمد نادرة -كما يقول ابن حيان- إذ اجتمع لديه أربعة وزراء كلهم من آل بني عبده دفعة واحدة، هم: أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبده، وأبو العباس أحمد بن عيسى بن أبي عبده، وسليم بن علي بن أبي عبده، وعبـــدالرحمن بـــن حمدون بن أبي عبده المعروف بـــ"دُحيم"[١].

ولاتقتصر عناية بني أمية بوزرائهم فقط، بل تمتد هذه العنايـــة إلى أولادهم، فإذا حدث أن غاب أحد الوزراء كأن وقع بالأسر أو قتل، فإن ولده يحل محله[٢]، وإن كان هذا الولد غير كفء لتحمل المسؤولية لهـــذا المنصب الخطير، تم تكليف أحد ذوي الخبرة بالوقوف إلى جانبه وتدريبه حتى يتقن عمله[٣] وإذا توفي أحد الوزراء، ذهب الخليفة بنفسه إلى والـــد الوزير ليقدم له التعزية، وحفظاً لود ذلك الوزير يأمر الخليفة بتقديم أحد أبناء المتوفي أو أحد إخوته إلى منصب عالٍ في الدولة[٤]، وعلى هذا يمكن القول بأن أشد الجوانب الإيجابية وضوحاً في هذه السياسة أن بني أميـــة لايفرطون برجالهم.

وقد شهدت الوزارة في عهد الأمير محمد بن عبـــدالرحمن تنظيمـــاً جديداً بسبب مشادة جرت بين إثنين من خزان المال، هما: عبـــدالله بـــن

---

١ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ٥-٦.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٧٨-١٧٩. الحلة السيراء، ١٤٢/١.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٧٨-١٧٩.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٠٧.

عثمان بن بسيل ومحمد بن وليد بن غانم على من يكتب اسمه أولاً، واحتج ابن بسيل على صاحبه ابن غانم بأنه شامي فهو أولى بالتقديم، وعندما رفع الخبر إلى الأمير محمد أقر ابن بسيل على حجته وقدمه على ابن غـــانم[١]، وعن هذا التنظيم الذي أحدثه الأمير محمد يقول الوزير عبدالحميـــد بـــن بسيل أن "الأمير محمد هو الذي قسم مراتب الخدمة، وفصل خططهـــم النبيهة، وأناف على جميعهم من متقدمة خطة الوزارة، وأشعرهم التعظيم والجلة، وأرجح أهل الشام من الوزراء على أصحابهم الأندلسيين، فقدمهم في الإذن عليه، وأعلاهم في الجلوس على أرائكهـــم ببيـــت الـــوزارة[٢]" وبذلك فإن الأمير محمد يعتبر مجدداً في رسوم الدولة مثل والــــده الأمـــير عبدالرحمن الأوسط لكن مسألة تقديم الشامي على البلدي "الأندلســـي" بصفة عامة قد أخذت بها الدولة الأموية بالأندلس منذ قيامها، يدل على ذلك ماذكره الرازي عن التنظيم الذي أجراه الأمير عبدالرحمن الـــداخل على الجيش ومايترتب على أعضائه الشاميين والبلديين مـــن حقـــوق أو واجبات[٣]. ولعلنا نستأنس بفعل الأمير عبدالرحمن الـــداخل علـــى أن الشاميين كانوا مقدمين على البلديين منذ البداية وفي كافة المناصب، وإلا كيف يحتج ابن بسيل على ابن غانم؟ وفضلاً عن ذلك فقد كانت الدولة

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٣٧–١٣٨.

٢ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٣٧.

٣ – انظر: الإحاطة، ١٠٤/١.

الأموية بالأندلس شامية بكل شيء، فلا غرابة إذاً أن يقدم الشامي على من سواه.

وعلى أية حال فقد ظلت مسألة تقديم الشامي على البلدي في الوزارة معمولاً بها حتى بعد إمارة الأمير محمد، فعندما أراد الوزير عيسى بن أحمد بن أبي عبده أن يجلس أعلى من الوزير موسى بن حدير أصدر الأمير عبدالله بن محمد أمره بأن يبقى الوزير ابن حدير مقدماً على الوزير ابن أبي عبده وفقاً لما رسمه والده الأمير محمد من قبل[١].

وللوزير بالأندلس حاجب ينظم عملية دخول الناس عليه، فإذا زاره وزير مثله، فإن الرسم يقتضي ألا يحجبه ولالحظة، بل يبادر بالقيام إليه، إذ أن الوزير لايقوم إلا لوزير مثله[٢]، وكما أن له حاجب فكذلك لديه كاتب خاص[٣]، وعدد من المعاونين أشبه مايكون بالسكرتارية في الوقت الحالي، وأما الوزراء فإن لديهم كاتب خاص مقره بيت الوزارة [٤].

---

١ – الحلة السيراء، ١/١٢٠–١٢١، وكذلك حاشية رقم ٣ من نفس الصفحة. قارن: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٣٧ حاشية رقم ٢.

٢ – الحلة السيراء، ١/١٢٤.

٣ – المغرب، ١/١٤٤.

٤ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٥.

كذلك جرت العادة لدى بني أمية بالأندلس أن يقدَّم الوزير على القاضي[١] كما اتصفوا بكثرة استشارتهم لوزرائهم[٢]، ولذا فإن الآراء التي تقدم من الوزراء لابد أن تكون مكتوبة في بطائق خاصة[٣].

ورغم المكانة العالية للوزراء، فإن للأمير عيون تنقل إليه كل مايجري لديهم إذا جلسوا في بيتهم[٤] الذي جرت العادة أن تفوح منه رائحة المسك دائماً[٥].

والوزير يمنح ألقاباً تضاف إليه حسب طبيعة عمله -كما ذكرنا سابقاً- فالخليفة الحكم المستنصر منح وزيره غالب بن عبدالرحمن لقب "القائد الأعلى" وأصدر في ذلك مرسوماً ثبت في الديوان الخاص وفي بيت الوزارة أمر فيه ألا ينادى ولايخاطب غالب بن عبدالرحمن إلا بـ"الوزير القائد الأعلى[٦]". هذا اللقب الذي منحه الخليفة المستنصر للوزير غالب

---

١ - النباهي، ص ٨٨.

٢ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١٣٠، ٧٢.

٣ - ذكر بلاد الأندلس، ١٥٤/١. نفح الطيب ٣٥٣/١.

٤ - ابن القوطية، ص١١٣. المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٨٦. ومما يدل على شدة الرقابة المفروضة على الوزراء في بيتهم ماذكره الرازي من أن الوزير هاشم بن عبدالعزيز تنفس بطريقة تدل على التذمر عندما أخرج الأمير المنذر إلى الوزراء رقعة بتوقيعه فرفع أمره مباشرة إلى الأمير المنذر. انظر: الحلة السيراء، ١٣٨/١-١٣٩.

٥ - جذوة المقتبس، ص ٤٠٧ ترجمة رقم ٩٧٥.

٦ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٦٩.

بن عبدالرحمن ترتبت عليه حقوق ميزته عن نظرائه من الوزراء، إذ أمـــر الخليفة بتصدير فراش الوزير القائد الأعلى غالب فوق فرش الوزراء جميعاً تشريفا له[١]، ثم خلع عليه خلعاً متميزة، وقلده سيفين مذهبين من أنفس مافي خزانته وسماه "ذا السيفين" وأمر أن تثبت هذه التسمية مع ماسبق له من الألقاب[٢].

لكن إطلاق لقب "ذا الوزارتين" على أحدٍ من الوزراء هو في الواقع لقب تشريفي ليس إلا، يدل على ذلك أن الخليفة عبدالرحمن الناصر هـــو أول من أطلقه على أحد وزراء دولته، وكان أول من حظي بهذا اللقـــب الوزير أحمد بن عبدالملك بن شُهيد، والذي تجدر الإشارة إليه أنه لم ينـــل هذا اللقب إلا بعد هديته المشهورة للخليفة عبدالرحمن الناصر[٣].

وعلى الرغم من الواجبات العديدة التي اضطلع بها الوزراء، إلا أنـــه وجد وزراء بدون وزارات، وهو مايعرف حالياً بـــ"وزراء دولة" فعليهم التواجد مع الوزراء ليكلفهم الأمير بما شاء ومتى شاء، ومن هؤلاء: بـــدر الصقلبي مولى الأمير عبدالله بن محمد والسبب في منحه لقب "وزير" أنـــه أشار على الأمير عبدالله في مسألة ثبت فيها نصـــحه ونجحـــت رؤيتـــه، فأعجب الأمير به وأمر بوضع فراش له للشورى مع الوزراء[٤].

---

١ – المصدر السابق، ص ٢١٩.

٢ – نفسه، ص ٢٢٠.

٣ – الحلة السيراء، ٢٣٨/١. نفح الطيب، ٣٥٦/١-٣٦٠.

٤ – ابن القوطية، ص ١١٢-١١٣. المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٣-١٣١.

وإذا أتينا إلى مسألة عدد الوزراء، نجد أن العدد يختلف من عهد أمير إلى آخر ومن خليفة إلى غيره، بل إن العدد يختلف بين سنة وأخرى، فنجد أن الأمير عبدالله بن محمد هو أول من استكثر من الوزراء حتى بلغ عددهم ثلاثة عشر وزيراً، لكنه عندما توفي لم يكن في بيت الوزارة لدية إلا أربعة وزراء فقط[١].

وأكبر عدد من الوزراء وجد في دولة بني أمية بالأندلس كان على عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر ففي سنة ٣٣٠هـ (٩٤٢) كان عدد الوزراء لديه ستة عشر وزيراً[٢]. وفي الوقت نفسه شهد عصره أقل عدد من الوزراء في الدولة الأموية، إذ أنه أصدر أمره سنة ٣٣٩هـ (٩٤١م) بعزل جميع الوزراء البالغ عددهم تسعة وزراء ولم يبق منهم سوى وزيرين[٣].

ولبني أمية أسلوبهم الخاص في التعامل مع وزرائهم، من ذلك أن الأمير إذا أحس من أحد وزرائه إعجابا بنفسه، نصب إزائه من يكون مبرزاً في نواحٍ عدة، ويعلي من شأنه ليكسر من حدة ذلك الوزير المعجب

---

١ – هم: العباس بن عبدالعزيز القرشي المرواني، وأحمد بن محمد بن أبي عبده، ومحمد بن وليد بن غانم وعبدالله بن محمد الزجالي الكاتب. انظر: المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ٦.

٢ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٨٧.

٣ – المصدر السابق ص ٤٧٠.

بنفسه، وهذا مافعله الأمير محمد عندما نصب محمد بن عبـــدالملك بـــن جهور إزاء الوزير هاشم بن عبدالعزيز[١].

وعندما يرغب الأمير بإعادة وزير سبق أن عزله فإنه يكلف أحـــد الوزراء بالذهاب إلى الوزير المعزول ويعمل علـــى إقناعـــه بـــالعودة إلى الوزارة، شريطة أن يظهر الأمر وكأن الوزير المعزول هو الذي يستجدي الأمير إعادته إلى مترلته السابقة حتى يبقى الأمير هو صاحب الفضل، وفي الوقت نفسه لاتكون لذلك الوزير دالة عليه، لكن إذا حدث أن رفـــض الوزير المعزول العودة إلى الوزارة عنـــدها يضـــطر الأمـــير إلى مخاطبتـــه والإرسال إليه مباشرة لكي يعود إلى مرتبته السابقة.

وهذا ماجرى للوزير سليمان بن وانسوس البربري[٢] عندما أغضبه الأمير عبدالله بن محمد فأغلظ الوزير في الرد عليه وخرج مغضباً، فـــأمر

---

١ - انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٥٥-١٥٧. الحلة السيراء ٢/٣٧٥.

٢ - أبو أيوب سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبدالله بن وانسوس المكناســـي، مـــولى سليمان بن عبدالملك، أصله من البربر، وله فيهم بيت شرف بالأندلس، كان أديباً مفتناً وشاعراً مطبوعاً، حسن البيان، بليغاً، حصيفاً، داهياً، تصرف في الأعمال حتى أصـــبح وزيراً في عهد الأمير عبدالله بن محمد وقد توفي سليمان سنة ٢٩٢هـــ. انظر: المقتـــبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٠٤، ١٠٩، ١٨٩-١٩٣، والتعليق رقم ٣٦٣، والمصادر الواردة فيه. الحلة السيراء، ١/١٦٠-١٦١.

الأمير بعزله عن الوزارة لكنه عندما احتاج إليه وعرف سداده لم يقبل ابن وانسوس العودة إلى الوزارة إلا بعد أن أرسل إليه الأمير مباشرة(١).

وفي قصة الوزير ابن وانسوس دلالة أكيدة على عظم وزراء بني أمية، وفي الوقت نفسه تدل على أن بني أمية رجال أفذاذ يحرصون بشدة على الاستعانة بعظماء الرجال ذوي المروءة والرأي.

ولعل هذا مادلت عليه مقولة الطرطوشي، أن "أول مايظهر من نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في استنخاب الوزراء"(٢).

وهناك حالات يُعزل فيها الوزير عن منصبه، ومن عُزل يرفع فراشه، وحيث أن بني أمية يحرصون على الوزير المشهود له بالمروءة وحسن الرأي فإن نقصها يكون سبباً في عزل الوزير عن الوزارة، وهذا مافعله الأمير الحكم الربضي عندما أصدر أمره بطرد الوزير أبي البسام من منصبه بعد غدره بالفقيه طالوت بن عبدالجبار المعافري(٣).

ومن الحالات أيضاً التي يتم فيها عزل الوزير عن الوزارة إذا صدر من الوزير لفظ زائد يجعله موضعاً للشك والريبة، وهذا ماجرى للوزير البراء بن مالك فقد عُرف عنه أنه في منطقه فضل، وحدث أن كان في

---

١ - انظر: جذوة المقتبس، رقم ٤٥٩. الحلة السيراء، ١/١٢٤.

٢ - سراج الملوك ص ١٣١.

٣ - طالوت بن عبدالجبار المعافري، أحد تلاميذ الإمام مالك بن أنس، اشتهر طالوت بالصلاح والفضل، وكان ممن اتهم في الهيج ضد الأمير الحكم الربضي. انظر: ابن القوطية، ص٥٣-٥٥. ترتيب المدارك، ٣/٣٤٠-٣٤٢.

بيت الوزراة فصدرت منه كلمة نقلت إلى الأمير عبدالله بن محمد فأثارت غيظه وجعلته يتهم وزيره البراء، ولذا أصدر أمراً بعزله عن الـــوزارة[١]، كذلك يعزل الوزير ويسخط عليه إذا ظهر تقصيره وغشه في العمل الذي أسند إليه، من ذلك أن الخليفة عبدالرحمن الناصر أصدر أمره بعزل سعيد بن جساس عن خطتي الوزارة والسكة معاً، بل إنه أمر بحبسه وإهانته[٢].

الوزارة في عهد تسلط الحجابة على الدولة

أصبح الوزراء في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر لايصـــلون إلى الخليفة المغلوب على أمره هشام المؤيد إلا نادراً، ومع ندرة وصولهم إليه، فإن عليهم الإنصراف مباشرة بعد أن يسلموا عليه[٣]، وهذا يدل علـــى الضعف الذي أصبحت تعاني منه الوزارة بسبب تسلط المنصور بـــن أبي عامر على الخليفة ودولته، ومما يؤكد أن الوزارة في ذلك الوقت كانـــت ضعيفة لابهاء لها، أن زيري بن عطية المغراوي، زعيم زناته، عندما وصل إلى قرطبة زائراً للمنصور بن أبي عامر وقدم له هدية عظيمة، احتفل لـــه المنصور وتوسع له بالعطاء ودفع له قيمة هديته وولاه خطـــة الـــوزارة[٤] وذلك في شهر رجب سنة ٣٨٢هـــ (سبتمبر ٩٩٢م)[٥] فاستقبح زيري

---

١ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ٨٦.

٢ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٨٦.

٣ – تاريخ ابن خلدون، ١٤٧/٤.

٤ – مفاخر البربر، ص ٣٣. وانظر: الإستقصاء ٢١١/١.

٥ – أعمال الأعلام، القسم الخاص بالمغرب ١٥٧/٣.

لقب "الوزارة" واعتبرها إهانة له، وعندما خاطبه بها أحد رجاله نهاه عن ذلك ثم قال له:-

"وزير من يالكع؟ لا والله إلا الأمير بن أمير، واعجباً لابن أبي عامر ومخرقته! لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، والله لو كان بالأندلس رجل ماتركه على حاله وأن له منا ليوماً[١]. والله لقد تاجرني فيما أهديت إليه حظاً للقيم، ثم غالطني بما بدله تبتيتا للكرم إلا أن يحتسب بثمن الوزارة التي حطني بها عن رتبتي[٢]".

ومن عرف المنصور بن أبي عامر ومنهجه السياسي القائم على الهيمنة المطلقة على الخلافة، يدرك تماماً أنه لايمكن أن يرتفع لأحد شأن في عهده أياً كان منصبه، فهل يتوقع الوزير والحالة هذه أن تكون له ولوزارته مكانة لديه؟ أو يحسب لهما أي حساب؟ .

وعندما تولى الحجابة عبدالملك المظفر، تغيرت أحوال الوزارة، فهذا عيسى بن سعيد المعروف بابن القطاع رغم علو مترلته عند المنصور إلا أنه لم يتنفس الصعداء إلا بعد موت المنصور وتولي ابنه عبدالملك الحجابة. يقول ابن بسام:-

"وتبجح عيسى بعد مهلك المنصور بن أبي عامر في دولة ابنه عبدالملك، فتناهى عن الاكتساب بالحضرة وجميع أقطار الأندلس ضياعاً

١ - الإستقصاء، ١/٢١١.

٢ - مفاخر البربر، ص ٢٢.

ودوراً، فات الناس إحصاؤها واشتمل على الملك هو وولده وصنائعه[١]"وذلك لأن عبدالملك المظفر فوض وزيره عيسى بن سعيد في أمر تدبير الدولة[٢].

وقد استغل عيسى بن سعيد منصبه الوزاري وتفويض عبدالملك له في إدارة الدولة فأخذ يبيع المناصب الإدارية[٣] مما عاد عليه وعلى صنائعه بالثروة الطائلة، وأصبح لايسير إلا في موكب ضخم، كما أن الوصول إليه أصبح أمراً عسيراً[٤]. كل ذلك لم يقنع الوزير ابن القطاع، ولذا فقد أخذ يدبر مؤامرة خطيرة للإطاحة بعبدالملك المظفر، وتسليم الدولة لهشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر، وكاد أمره أن يتم لولا أن كشفت خيوط المؤامرة في مراحلها الأخيرة، فذهب ابن القطاع ضحية لها[٥].

وبعد مقتل ابن القطاع لحق الأذى كل فرد من حاشيته، إذ صودرت أملاكه وأملاكهم[٦]، ثم صدر كتاب من عبدالملك بين فيه للناس سبب قتله لابن القطاع[٧].

١ - الذخيرة، ق١ م١، ص١٢٤.

٢ - المصدر السابق، ق٤م١ ص٥٠.

٣ - نفسه ق١م١، ص١٢٤.

٤ - البيان المغرب، ٢٨/٣.

٥ - الذخيرة، ق١م١ ص١٢٥-١٢٧.

٦ - البيان المغرب، ٣٤/٣.

٧ - الذخيرة، ق١م١ ص ١٢١.

الوزارة في عهد الفتنة

عاشت الوزارة مرحلة مضطربة بسبب الفوضى التي كانت تمر بها الدولة في تلك الفترة، وبالرغم من أن المصادر تناولت تلك الفترة بشيء من التفصيل إلا أنها لم تكن تلقي الضوء على الوزارة والوزراء إلا لماماً، ومن خلال اللقطات السريعة لأحوال وزراء الفتنة نجد أنه لايمكن مقارنتهم بأي حال من الأحوال بوزراء بني أمية سواءً في عصر الإمارة أو في عصر الخلافة الذي سبق الفتنة.

فقد وُصف وزراء الخليفة المهدي بأن العين تقتحمهم هجنة وقماءة[١]، وأما الخليفة المستعين فقد كانت دولته دولة برابرة[٢]، وعندما تولى الخلافة القاسم بن حمود وكان رجاله من عوام البربر[٣]، في حين أن ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود اتخذ السفلة عماداً لدولته[٤]، واتخذ الخليفة المستظهر رجال وزارته من أهل البطالة والترف[٥] وأما الخليفة المستكفي الذي أجمع أهل المعرفة على أنه "لم يجلس في الإمارة مدة تلك الفتنة

---

١ – البيان المغرب، ٧٤/٣.

٢ – المصدر السابق، ١١٤/٣. والمقصود بدولة برابرة أي أن المناصب الإدارية في الدولة كانت بأيدي البربر.

٣ – الذخيرة، ق١م١ ص ٤٨٥.

٤ – انظر: الذخيرة ق١ م١ ص ٤٨٣ . ونفح الطيب ٤٨٦/١.

٥ – نفح الطيب، ٤٨٩/١.

أسقط منه ولاأنقص[١]" فقد شهد عصره تهافتاً عجيباً من النـــاس علـــى خطط الوزارة، فقد كان يقول لهم "ارتعوا كيف شئتم وتسموا بما أحببتم من الخطط[٢]" ولكن سرعان ماتبرأوا منها عندما اكتشفوا زيف مـــاهم فيه[٣].

وعندما وصل إلى قرطبة الخليفة الأموي الأخير هشام المعتد بـــالله، اتخذ له مدبر دولته حكم القزاز وزراء مافيهم إلا "كل نغلٍ دغلٍ أو ماجن فاسق أو سوقي رذل، سقطت به عليهم المشـــاكلة .. مـــافيهم حـــازم ولافصيح[٤]".

ومهما قيل عن وزراء تلك الفترة، فليس هناك أبلغ من ابن حيـــان عندما قدم لنا بأسلوب ساحر لاذع وصفاً لهم فقد قال:-

"ومات فلان الغني العبام، حجة الله في الرزق وغيظ الأنام، فنهض بريئاً من كل خلة جميلة تدل على فضيلة إلى عيٍ غالب عليه، وكان أخوه مثله في الأفن والجهالة، وكلاهما ممن استهينت به خطة الوزارة بحملـــهما اسمها الخطير الأثير من غير تعلق بفضيلة في حديث ولاقـــديم ولامعرفـــة بشيء من التعاليم[٥]".

---

١ - الذخيرة، ق١م١،ص٤٨٩.

٢ - المصدر السابق، ص٤٣٤-٤٣٥.

٣ - نفسه، ص ٤٣٥.

٤ - البيان المغرب، ١٤٨/٣..

٥ - الذخيرة، ق١م٢ ص٥٩١.

هذه هي صفات الوزارة والوزراء في تلك الفترة، مناصب بلا نفوذ، ولذا فكثير ما كانت قرطبة تعيش تحت إدارة "العبيد وسفّال الناس[١]" لأجل ذلك فلاعجب إذا رفض أهل المروءة والشمم العمل في هذا الوسط العجيب، فالوزير حسان بن مالك بن أبي عبده، استوزره الخليفة المستظهر لكنه لم يلبث في بيت الوزارة إلا يسيراً ثم لم يعد يحضر، ثم كتب للمستظهر رقعة بينَّ فيها سبب غيابه فقال:-

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل فسيان مني مشهد ومغيبُ
فأصبحت تيمياً وما كنت قبلها لتيم ولكن الشبيه نسيبُ[٢]

من هذه الصورة العجيبة ندرك أن الوزراء لم يعد لهم مكانة حتى أنهم هجروا بيتهم، الذي كان مجلساً لأعلام دولة بني أمية، واتخذوا من الديدبان[٣] مكاناً لهم. وتميزت اجتماعاتهم بأن القرار الذي يتخذونه اليوم ينقضونه غداً[٤]، وأصبح عملهم مقتصراً على التشاور فيمن يولونه الخلافة من بني أمية بعد كل خليفة ينتهي دوره[٥].

---

١ - البيان المغرب، ١٩٠/٣.

٢ - انظر: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٣٨٠. مطمح الأنفس، ص ٢١١-٢١٥. بغية الملتمس، ترجمة رقم ٦٦٢.

٣ - الديدبان/ مجلس يشرف على الخندق الذي حفره أهل قرطبة للدفاع عنها ضد البربر والمجلس من إنشاء الفتى واضح الصقلبي. انظر: البيان المغرب، ١٠٥/٣.

٤ - البيان المغرب، ١٠٥/٣.

٥ - المعجب، ص ١٠٩.

ولم يظهر للوزراء القدامى وأهل الرأي من اتفاق قوي على أمر إلا عندما اجتمعت كلمتهم على إزالة الخلافة الأموية وإسقاط رسمها وطرد الأمويين من قرطبة واستلام السلطة فيها عوضاً عنهم[1].

---

١ - أعمال الأعلام، ١٣٩/٢.



الفصل الرابع

الخطط الحربية

وفيه مبحثان:-

المبحث الأول: خطة الجيش

المبحث الثاني: خطة الأسطول



خطة الجيش

بعد أن أتم المسلمون فتح الأندلس، عُرف العرب الداخلون مع القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد "بالبلديين"، وأما من وصل فيما بعد مع بلج بن بشر القشيري[1] سنة ١٢٣هـ (٧٤١م) فقد عرفوا "بالشاميين"[2]، ومن أجل ضمان استقرار البلديين والشاميين بالأندلس، وللحيلولة ماأمكن دون حدوث اصطدام بينهما، قام أبو الخطار الكلبي ١٢٥ـ ١٢٧هـ (٧٤٢-٧٤٤م) والي الأندلس، بإبعاد الشاميين عن قرطبة التي استقر بها البلديون، ففرق الشاميين على عدة كور[3]، وقد راعى عند إنزاله لهم بالكور، أن يكون كل جند[4] في منطقة شبيهة

---

١ - بلج بن بشر القشيري كان مع عمه كلثوم بن عياض القشيري، وقد قتل الأخير في معركة الأشراف، ونجا بلج بن بشر من المعركة ولجأ إلى سبته، فتحصن بها من البربر، وعندما تمكن من دخول الأندلس، استطاع الإستيلاء على الزعامة فيها، فتولى ولاية الأندلس سنة ١٢٤هـ وتمادى في الولاية مدة أحد عشر شهراً أو أقل. انظر: ابن القوطية، ص١٤-١٨. البيان المغرب، ٣١/٢.

٢ - ابن القوطية، ص١٦، لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، (تصحيح، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤٧هـ) ص ١٦-١٧.

٣ - الحلة السيراء، ٦١/١-٦٢. الإحاطة، ١٠٣/١.

٤ - كلمة جند: تعني جماعة مسلحة، وهذا المصطلح يطلق على الحاميات العسكرية التي استقر فيها المحاربون العرب، الذين بالإمكان تعبئتهم وتحريكهم في العمليات العسكرية.=

بأراضيه الأولى بالشام، فأنزل جند دمشق في إلبيره، وجند الأردن في ريه، وجند فلسطين في شذونه، وجند حمص في إشبيليه، وجند قنسرين في جيان، وأما جند مصر فأنزل جزء منهم ببجانه وجزء في تدمير "مرسيه[١]" وبذلك عُرفت هذه الكور باسم "الكور المجنَّدة[٢]".

هذه القبائل العربية أنزلها أبو الخطار على "أموال العجم من أرض ونَعمَ[٣]" وجعل لها "ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة[٤]" وبذلك أصبح العرب هم أسياد المناطق التي نزلوها، وبمقابل عدم تدخل الإدارة المحلية في قرطبة بشئوهم، فإن على زعماء تلك الكور المجندة تقديم ثلثي

=انظر: د.يونس شنوان، جند الشام في الأندلس والتأثيرات الشامية "زمن الأمير عبدالرحمن الداخل". (مجلة المؤرخ العربي، العددان ٤١، ٤٢، السنة ١٦، بغداد ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص١٦٩.

١ - ابن القوطية، ص٢٠. البيان المغرب، ٣٣/٢. تدمير "**Tudmir**" الاسم القديم لكورة مُرسيه، كانت قاعدها بلدة أوريولة **Orihuela** وعندما اختطت مرسيه سنة ٢١٦هـ على يد جابر بن مالك بن لبيد عامل تدمير، انتقلت القاعدة إليها وعرفت الكورة باسم كورة مرسية "**Murcie**" انظر: وصف الأندلس للرازي، ص١١. الحلة السيراء، ٦٣/١، حاشية رقم ١. الروض المعطار ص ١٣١-١٣٢.

٢ - الروض المعطار ص ٢١.

٣ - البيان المغرب، ٣٣/٢.

٤ - الإحاطة، ١٠٣/١.

خراج كورهم لقرطبة، في حين أن الثلث الباقي لهم حق التصرف فيه نظير مايؤدونه من خدمة عسكرية لقرطبة[١].

وقد اعتمد أبو الخطار على العنصر القبلي، عند توزيعه للقبائل، سواء منها العربية أو البربرية، إذ أن جيوش تلك القبائل عندما دخلت الأندلس، كانت عبارة عن مجموعات قبلية تسير تحت ألوية زعمائها وبذلك أصبح لكل قبيلة مكاناً خاصاً يسمى باسمها، مثل جزء البكريين، جزء اللخميين، جزء البربر وغيرها[٢].

عناصر الجيش الأموي بالأندلس

أولاً :- العرب

كان الجيش الأموي بالأندلس، يتكون من الجندين: الشامي والبلدي[٣]، وكانت الألوية الغازية تعقد منهما، فللشاميين لواءان، أحدهما يغزو والآخر يقيم، ويُستبدلان كل ثلاثة أشهر، ومثلهم البلديون، إلا أن اللواء الغازي منهم يُستبدل كل ستة أشهر، والسبب في هذا التمايز بين الجندين عائد إلى أن الجند الشامي مقدم على الجند البلدي[٤]، إذ أن الديوان والكتبة في الشاميين، كما أنهم أحرار من العشر، لكونهم مُعدَين

---

١ - فجر الأندلس، ص ٢٢١.

٢ - د.عبدالواحد ذنون طه، الفتح الاستقرار، ص ٢٠٣-٢١٠.

٣ - ذكر ابن الخطيب أن هناك طائفة ثالثة تتكون من الشاميين والبلديين معاً، يسمون النظراء، يشتركون في الغزو كما يغزو أهل البلد من الفريقين. انظر: الإحاطة، ١٠٥/١.

٤ - هذه سياسة الدولة ككل فهي شامية الأصل.

للغزو، فكل الذي يترتب عليهم هو المقاطعة على أموال أهل الذمة التي في أيديهم[١].

واللواء الغازي من الجند الشامي له الحق في العطاء دون اللواء المقيم، فأصحاب المعاقد يعطى كل واحد منهم مائتي دينار، في حين أن أقاربه الذين يغزون معه مثل إخوته وبنيه أو بني عمه يعطي لكل منهم عشرة دنانير إكراماً له، ومن كان غازياً معه من غير بيوتات العقد يعطى خمسة دنانير، وأما اللواء الغازي من البلديين فيعطى دون اللواء المقيم، ومقدار عطائه مائة دينار، أما غير المعقود لهم فلا يعطون شيئاً، كما أن عليهم أن يؤدوا ضريبة العشر[٢].

ولم تنحصر عملية تفضيل الجند الشامي على البلدي في هذا فقط، بل إن الجند الشامي مقدم على البلدي في الدخول على أمراء وخلفاء بني أمية بقرطبة، فمنذ بداية الدولة الأموية بالأندلس كان جند دمشق أهل كورة إلبيرة مقدمين على من سواهم في الترتيب، ولواؤهم يأتي في أول الألوية بالميمنة[٣]، يليهم جند حمص وهم أهل كورة إشبيلية ولواؤهم في

---

١ - الإحاطة، ١/١٠٤.

٢ - المصدر السابق،والصفحة.

٣ - لاغرابة عندما يقدم بنو أمية بالأندلس الجند الشامي على من سواه، إذ أنهم أقرب المجموع إليهم، وهم موطن ثقتهم حتى أن الأمير عبدالرحمن الداخل عندما أسس مدينة إلبيرة، أسكنها بالإضافة إلى جند دمشق الكثير من مواليه، كما امتاز جند دمشق بصدق الولاء لبني أمية، إذ بمجرد استلام عبدالرحمن الناصر مقاليد الإمارة بقرطبة بادر أهل=

الميمنة بعد لواء جند دمشق، ثم جند قنسرين وهم أهل كورة جيان، وبعدهم يأتي دور جند فلسطين وهم أهل كورة شذونة ولواؤهم في الميسرة وأخيراً جند مصر في باجه ولواؤهم في الميسرة بعد جند فلسطين وكذلك جند الأردن أهل كورة رية[1].

ثانياً:- المماليك "الصقالبة"

منذ الأيام الأولى لقيام الإمارة الأموية بالأندلس، بدأ الأمير عبدالرحمن الداخل يفكر جدياً في إجراء تعديلات على التنظيم العسكري القائم بالأندلس، مدفوعاً إلى ذلك برغبته الشديدة في إحلال نظام الدولة بدلاً من النظام القبلي، بالإضافة إلى استرابته بالعرب من جراء تعرضه لمحاولة الاغتيال التي دبرت ضده في الساعات الأولى بعد انتصاره على يوسف الفهري في معركة المصارة[2]، وكذلك بسبب كثرة حركات التمرد والعصيان التي هبت في وجهه بعد إعلانه قيام دولته[3].

=جند دمشق للاستجابة لأمره، وتقديم فروض الطاعة له، فتخلوا عن حصوهم، وجاءوا إلى باب قصره براياهم. انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٥٨. الروض المعطار، ص ٢٨.

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٥٧. الروض المعطار، ص ٢٧٩-٢٨٠.

٢ - انظر: أخبار مجموعة، ص٩١.

٣ - المصدر السابق، ص ٩١-١٠٨. البيان المغرب، ٢/٤٨-٥٥.

ولذا فبعد أن أسقط لواء جند باجه بسبب تمرد زعيمه العلاء بن مغيث اليحصبي[١] قام الأمير عبدالرحمن الداخل بشراء المماليك ليستعين بهم على العرب[٢].

ويبدو أن الأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل قد سار على خطى والده في استخدام الحرس الخاص المكونّ من المماليك العجم وهم الخرس أو الصقالبة، يدل على ذلك ما ذكره ابن حيان من أن الأمير الحكم الربضي كانت لديه "فرقة من الحرس الخاص معظمهم من فيء أربونة ورثهم عن والده هشام[٣]" وبذلك أرسى تقليداً جديداً في الأندلس سار عليه من أتى بعده[٤].

و لم يكتف الأمير الحكم الربضي بما ورثه عن والده من أولئك المماليك، فقد أخذ يستكثر منهم ويعمل جاهداً على ضم أكبر عدد ممكن منهم إليه، حتى بلغ عددهم لديه نحو خمسة آلاف رجل، منهم ثلاثة

---

١ - الروض المعطار، ص ٣٦. العلاء بن مغيث اليحصبي الجذامي، زعيم عربي، ثار باسم الخليفة أبي جعفر المنصور ضد عبدالرحمن الداخل، وتمكن من فرض حصار عسكري على الأمير الأموي في قرمونة، لكن الأمر انتهى بقتل العلاء وتمزيق قواته، انظر: ابن القوطية، ص ٣٢-٣٣. أخبار مجموعة، ص ١٠١-١٠٣. البيان المغرب، ٢/٥١-٥٢.

٢ - المغرب في حلى المغرب، ١/٦٠.

٣ - دولة الإسلام في الأندلس ع١ق١، ص٢٥٠.

٤ - L-Provencal: Op. Cit. III. P: 73 .

آلاف فارس وألفا راجل، وكان يطلق على أولئك المماليك لقب "الخرس" لعدم معرفتهم بالعربية[١].

وكل هذه الجموع الغفيرة من المماليك كانت تحرس قصر الأمير الربضي، وتقف على أهبة الاستعداد للطوارئ، ولذا، فبعد أن فعلوا ماسرةً في يوم هيج الربض سنة ٢٠٢هـ (٨١٨م) كافأهم بالعتق وأغدق عليهم صلاته[٢].

وفضلاً عن هذه المجموعة، فقد كان لدى الأمير الحكم الربضي ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر تجاه القصر "يجمعها داران على كل دار عشرة عرفاء تحت يد كل عريف مائة فرس[٣]" ودائماً تقف هذه القوة على أهبة الاستعداد لإخماد أي حركة تهب بصورة مفاجئة ضد صاحب السلطة السياسية في البلاد[٤].

وقد ذكر ابن حيان أن الأمير عبدالرحمن الأوسط سار على خطى والده في الاحتفاظ بأولئك المماليك الخرس، ولأجل ذلك قام بشراء أنصبة إخوانه منهم، واستخدم تلك القوة في حراسة القصر[٥].

---

١ - المغرب، ٣٩/١. الكامل، ٤٦٦/٥.

٢ - دولة الإسلام في الأندلس، ع١ق١ ص٢٥٠.

٣ - أخبار مجموعة، ص ١٢٩.

٤ - المصدر السابق، ص ١٣٠.

٥ - انظر: دولة الإسلام في الأندلس، ع١ق١ ص٢٧٧.

وهؤلاء المماليك "الخرس" هم الذين يطلق عليه "الصقالبة" القادمون من الأراضي الممتدة من بحر قزوين إلى البحر الأدريائي"[١]. ثم توسع لفظ الصقالبة فأصبح يطلق على كل رقيق جلب من الممالك النصرانية وعمل في قصر الخلافة[٢].

ولم يقتصر عمل الصقالبة على الحراسة، بل كانت توكل إليهم مهام عديدة مثل إرسالهم للاشتراك مع قوات الحكومة لمواجهة الاضطرابات التي قد تحدث خارج العاصمة[٣].

وعندما تعيِّن حكومة قرطبة أحد الولاة في إحدى الكور، فإنها ترسل معه مجموعة من أولئك الصقالبة لمساعدته في إستلام منصبه[٤]، وكان لدى الأمير عبدالله بن محمد مجموعة منهم عرفت باسم "رماة المماليك" مهمتها الذود عن سرادق الأمير عبدالله برشق النبال[٥]، وبمقابل ذلك وجد من الصقالبة من يعمل في الخفاء مع المتمردين ضد حكومة قرطبة[٦].

---

١ – صورة الأرض، ص١٠٦، الصقالبة في إسبانيا، ص٨.

٢ – المرجع السابق ص٩.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٦.

٤ – العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٠.

٥ – المقتبس، تحقيق: أنطونية، ص ٩٤.

٦ – نصوص عن الأندلس، ٣٠.

وقد نظر أمراء وخلفاء بني أمية إلى أولئك الصقالبة نظرة ود وثقة، فكان أكابرهم يعرفون بالخلفاء[١] أو الفتيان الأكابر[٢]، كما فتحوا المجال أمامهم للوصول إلى مناصب عسكرية عليا في الدولة، فمثلاً كان أفلح صاحب الخيل[٣]، وتولى دري بن عبدالرحمن منصب صاحب الشرطة[٤]، كما كان نجده بن حسين الحيري يتولى أمر العلافة بالجيش[٥]، ثم أصبح قائداً للجيش[٦]، وعندما توفي الخليفة عبدالرحمن الناصر كان لديه منهم بالزهراء ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين رجلاً[٧].

وقد سار الخليفة المستنصر على سياسة والده في الاستكثار من الصقالبة وتوليتهم المناصب الرفيعة[٨]، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه طالب الناس بالتغاضي عن التجاوزات التي تحدث من الصقالبة محتجاً بأنهم مؤتمنون على من في القصر، وأنه لأجل ذلك لايمكن معاتبتهم أو معاقبتهم في كل وقت خشية إثارة ما كمن في نفوسهم[٩].

---

١ – المقتبس تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٤١.

٢ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص١١٩.

٣ – البيان المغرب، ٢/١٩١.

٤ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢١٣.

٥ – المصدر السابق، ص٣٤٣.

٦ – نفسه، ص٤٢٠.

٧ – أعمال الأعلام، ٢/٤٠-٤١.

٨ – البيان المغرب، ٢/٢٥٩.

٩ – المصدر السابق، ٢/٢٥٩.

وعندما توفي الخليفة الحكم المستنصر كان لصقالبة قصره قوة يحسب حسابها، إذ أن عددهم بلغ أكثر من ألف مجبوب دون من يتبعهم، يتولى رئاستهم فائق صاحب البرد والطراز ويليه في القيادة جؤذر صاحب الصاغة والبيازرة، وقد بلغ من قوة أولئك الصقالبة أنهم كادوا يحولون الخلافة من هشام المؤيد إلى عمه المغيرة بن عبدالرحمن الناصر(١).

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد تمكن الحاجب المنصور بن أبي عامر من السيطرة على صقالبة القصر بطرقه الملتوية،(٢) وفي الوقت نفسه تمكن من كسب ود كثير منهم فولى بعضهم قيادة الجيوش(٣) وعلى نهجه سار ابنه عبدالملك المظفر(٤).

ويرى بعض الباحثين أن الأمويين قد اعتمدوا على الصقالبة في الإدارة والجيش من أجل الحد من نفوذ العرب في الحكم بالإضافة إلى إضعاف الجنود العرب والبربر(٥)، ولعل من أنصع الأمثلة على ذلك أن الخليفة عبدالرحمن الناصر جعل مملوكه نجدة بن حسين قائداً عاماً للحملة التي سار بها الخليفة لقتال راميرو الثاني Ramiro ملك ليون Leon فقرر بعض كبار قادة العرب أن يتركوا القائد الصقلبي نجدة ومن معه يواجهون

١ - نفسه، ٢/٢٥٩-٢٦٠.

٢ - نفسه، ٢٦٢-٢٦٣.

٣ - نفسه، ٢/٢٨٢.

٤ - نفسه، ٣/١١.

٥ - الصقالبة في أسبانيا، ص١٢.

مصيرهم في تلك المعركة التي عرفت باسم شنت مانكش Simoncas أو الخندق سنة ٣٢٧هـ (٩٣٩م) فذهب ضحية ذلك القائد الصقلبي وآلاف المسلمين حتى أن الخليفة عبدالرحمن الناصر لم ينج إلا بأعجوبة حيث لم يعد بعدها إلى الخروج للغزو[١].

ثالثاً:- البربر

ضم الجيش الأموي بالأندلس بالإضافة إلى العرب والصقالبة عناصر من البربر، حيث عملوا مرتزقة منذ الفترة الأولى لقيام الدولة الأموية هناك، إذ أن الأمير عبدالرحمن الداخل استقدم الكثير منهم إلى الأندلس بعد أن استراب بالعرب امتثالاً لنصيحة ابن عمه ومستشاره بشر بن عبدالملك بن مروان[٢]، فأحسن معاملتهم[٣]، فتوافدوا عليه، حتى أصبح لديه منهم أعداد كبيرة[٤]، لكن يبدو أن من أتى بعده من الأمراء لم يسلكوا منهجه تجاه البربر، إذ أننا لانجد ذكراً واضحاً لهم إلا في عهد الأمير عبدالله بن محمد[٥]، فقد كان يبعث برجاله إلى طنجة لإقناع من يمكن إقناعه من البربر للإنخراط في جيش الإمارة لديه مقابل أجر

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٣٢-٤٤٧. أعمال الأعلام، ٣٦/٢-٣٧. د.رجب محمد عبدالحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص٢٢١-٢٢٥.

٢ - المغرب في حلى المغرب، ٦٠/١٠

٣ - أخبار مجموعة، ص ١٠٨.

٤ - نفح الطيب ٣٧/٣.

٥ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٢٤، ٣١-٣٢. نصوص عن الأندلس، ص ١١٣.

مادي[١]، ورغم ذلك فإن الإمارة الأموية جوبهت بثورات متعددة قام بها البربر[٢]، مما جعلها تحد من عملية نزوح البربر من العدوة إلى الأندلس، واستمر الخليفة عبدالرحمن الناصر في نهج الموقف الحذر تجاه البربر، فكان لايستنجد بهم ولايستخدم إلا أراذلهم، مطلقاً عليهم اسم الطنجيين، ويكلفهم بأدنى أنواع الخدمة وأشقها مقابل أجور زهيدة[٣].

وأما الخليفة الحكم المستنصر فقد اتخذ موقفاً متناقضاً تجاه البربر، ففي بداية حكمه كان متشدداً تجاههم، بل إن الأمر بلغ به إصدار أمر بمعاقبة أحد العبيد لأنه كان راكباً على فرس بسرج عدوي الصنعة وتم إحراق السرج بدار الجند أمام الحضور[٤].

ومواقف الخليفة الحكم المستنصر انتقلت بطبيعة الحال إلى أهل قرطبة إذ ما إن حصل نزاع بين بعض طوائف الجند وبين الطنجيين عند اجتماعهم بباب السدة من قصر قرطبة حتى هب سواد أهل قرطبة ووقفوا مع الجند ضد الطنجيين[٥].

---

١ - L-Provenca: OP. Cit.III, p: 76-77 .

٢ - المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي ص ٣٤٢،٣٣٠. المقتبس تحقيق: أنطونيه ١٨، ٢٥، ٣١-٣٢، ٦٩، ١١٧، ١٢٧، ١٢٩. المقتبس، تحقيق:شالميتا ٢٣٩. البيان المغرب ١١٦/٢، ١٣٨، ٢٣٧.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٩٠.

٤ - المصدر السابق،، ص ١٩٠-١٩١.

٥ - نفسه، ص ٨٧.

وبعد أن عانى الخليفة الحكم المستنصر وقواته كثيراً بسبب شدة صمود البربر ضد جيوشه في العدوة، بدأت نظرته لهم تتغير، فأخذ يرسل الأموال لاستمالتهم فنجح في ذلك[١]، واستخدم كثيراً من الوافدين إليه في جيشه[٢]. ولم يتوقف الأمر على ذلك، بل إن كراهيته السابقة لهم تحولت إلى إعجاب فقد صار يستمتع بالنظر إلى فرساهم وهم يستعرضون مهاراتهم في ركوب الخيل، ويكيل المديح لهم أمام سامعيه[٣].

هذه الحالة استغلها المنصور بن أبي عامر، حيث أدرك أنه بهم سيحقق أهدافه الخاصة، إذ أنه متى مافرضهم على بقية الطوائف في الجيش الأموي بالأندلس فإن ذلك سيحدث شحناء بين تلك الطوائف وبين البربر، والبربر بدورهم يرون في المنصور الملاذ الذي يحميهم من سطوة الآخرين، وبذلك ضمن المنصور الولاء الدائم من البربر، من أجل ذلك عمد إلى زيادة أعدادهم في جيشه من خلال استدعائهم من العدوة، فأرسل إلى رؤسائهم وشجعان فرسانهم، فأقبلت عليه قبائل زناتة ومغراوة وإزداجة وصنهاجة، وبنوبرزال وبنو يفرن وغيرهم، فكان ينتقي من تلك الجموع الهائلة من تثبت كفاءته لديه ويلحقه بديوان الجند عنده[٤].

---

١ - نفسه، ص ١٩١-١٩٢.

٢ - نفسه، ٩٦، ١١٥، ١٢٣-١٢٤، ١٧١-١٧٣، مفاخر البربر، ص٤٤.

٣ - المقتبس، تحقيق:د.عبدالرحمن الحجي ص ١٩٣.

٤ - أعمال الأعلام، ٢/٦٦. مفاخر البربر، ص ٤٤-٤٥.

وقد استخدم المنصور مع هؤلاء سياسة حكيمة تعزز وتقوي محبته عندهم، فقد كان الرجل منهم يأتيه على فرس أعجف بلباس خلق، فيبدل الأعجف بالجواد العتيق، والخز الطرازي عوضاً عن اللباس الخلق، ويسكنه في قصر لايدور في خياله أن يدخل مثله لا أن يسكنه، ورفعهم على من سواهم من طوائف الجند[١]، و"اختصهم باستصناعه واسترقهم بإحسانه"[٢].

وبسبب إكرام المنصور للبربر أخذت أعداد هائلة تترح من العدوة إلى الأندلس، فغدت أعدادهم كبيرة في الجيش الأندلسي ولايمكن تقدير عددهم الكلي خاصة إذا أخذنا بالاعتبار أن قبائل عديدة بأكملها نزحت إلى الأندلس وانخرط الكثير من أبنائها في الجيش تحت قيادة المنصور بن أبي عامر[٣].

رابعاً:- الحشم

كان للحشم مسئول يتولى الإشراف عليهم يعرف باسم "الناظر في الحشم[٤]" أو "صاحب الحشم[٥]" ويكون برتبة وزير[٦]، ومن بين الذين

---

١ - البيان المغرب، ٢/٢٧٩.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٩٣.

٣ - البيان المغرب، ٢/٢٩٤.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٤٧.

٥ - المصدر السابق، ص ٢٢.

٦ - نفسه، ص ٣٠.

تولوا هذا المنصب محمد بن قاسم بن طملس[١] وتولى من بعده ولده قاسم هذا المنصب مضافاً إليه الشرطة العليا[٢] ثم تولاها زياد بن أفلح بالإضافة إلى خطة الخيل[٣].

ويبدو أن هؤلاء الحشم لايقتصر تواجدهم على قرطبة فحسب، إذ تذكر المصادر تواجد الكثير منهم في العديد من المدن الأندلسية[٤]، ومهام الحشم بصفة عامة تختلف عن المهام المنوطة بالخرس، ففي الوقت الذي كانت فيه مهمة الخرس هي حراسة أمراء وخلفاء بني أمية وقصورهم، كان الحشم بالمقابل يتولون مهام عديدة في الجيش، فمثلاً في المعارك كان قسم منهم مسئولاً عن تعبئة العساكر[٥]، بينما في أوقات السلم كانوا يقومون بالإشراف على ترتيب الجند، وتحديد مراتبهم وذلك عند الاستعراضات العسكرية عندما يكون هناك وفد رسمي زائر[٦]، وبالإضافة إلى مشاركتهم الفعالة في المعارك[٧] فإن لهم مهمة خاصة أهلتهم لها

---

١ - نفسه، ص ٣٠.

٢ - نفسه، ص ١١٩.

٣ - نفسه، ص ١٩٦.

٤ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه ص٥٣-٥٤. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٥/٩١. البيان المغرب، ٢/١٤٢.

٥ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه ص ١٦٥.

٦ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص١٩٥-١٩٦.

٧ - انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٨١، ٣٢٢، ٤٦٨، ٤٨٦. البيان المغرب،٢/٢٠٥، ٢١٠، ٢٣٢.

الكفاءة العسكرية التي كانوا يتمتعون بها، إذ كانوا دائماً يشكلون طلائع رئيسة للجيش تعمل على تمهيد السبيل أمامه وتقوم بضبط الحصون بعد افتتاحها[١].

وفي بعض الأحيان تسند للحشم مهمة تقصي الحقائق في مسألة معينة ومن ثم رفع الخبر على وجه الصحة للأمير في قرطبة[٢]، كما أن صاحب الحشم يقوم أحياناً بمهمة إجراء المفاوضات[٣].

ومن خلال المعلومات التي وردت في بعض المصادر ندرك أن أعداد الحشم لم تكن قليلة، يدل على ذلك ماذكره ابن حيان من أن الأمير محمد بن عبدالرحمن أرسل أخاه الحكم بن عبدالرحمن على رأس صائفة، فوصل إلى قلعة رباح فأعاد إعمارها وأتقنها واسترجع أهلها إليها، وجعل عندهم جيشاً كثيفاً من الحشم[٤]، كما أن الخليفة عبدالرحمن الناصر شحن مدن الأندلس وحصونها وقصابها وفروج ثغورها بالحشم[٥]، وهناك نص لابن حيان أكد فيه كثرة أعداد أولئك الحشم، فقد ذكر أن صاحب الشرطة محمد بن قاسم بن طملس خرج من قرطبة قائداً ومدداً للوزير القائد

---

١ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٧١، ٧٢، ٨٦، ١٥٥، ٢٣٢، ٢٤٧.

٢ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١١١.

٣ – البيان المغرب، ٢/١٣٠.

٤ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٩٤.

٥ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٥٥-٤٥٦.

غالب بن عبدالرحمن "فكان خروجه فخماً ظاهراً في عسكر لجب من طبقات الحشم الذين استجاز حملاهم"[١].

وإلى جانب هذه العناصر التي ذكرناها والتي تشكل في مجملها القوات النظامية في الجيش الأموي بالأندلس، وجد المتطوعه الذين يخرجون للجهاد في سبيل الله تعالى بأموالهم وأنفسهم طلباً لما عند الله تعالى وإعلاءً لكلمته، فقد كان هؤلاء المتطوعة بمجرد أن يسمعوا نداء الأمير أو الخليفة للجهاد يسارعون بتلبية النداء بلاد تردد، وكانت العدوة المغربية مصدراً من مصادر المتطوعة الذين يرون في الأندلس "دار جهاد وموطن رباط[٢]".

وقد كان المتطوعة موضع ثناء أمراء وخلفاء بني أمية لسرعة استجابتهم وصالح بلائهم[٣] ورغم أنه كان يسمح لهم بالعودة إلى ديارهم ومنازلهم بعد الغزو، إلا أن بعضهم يرفض العودة إلى أهله، مفضلاً المرابطة في سبيل الله تعالى وحراسة الثغور على كل شيء، فأقاموا الربط[٤] التي

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٢٨.

٢ – جغرافية الأندلس وأوربا، ص١٣٠. وانظر ابن الزبير، صلة الصلة، (تحقيق: ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط ١٩٣٧م). ترجمة رقم ٣٣٢.

٣ – المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص٢٢٦.

٤ – عن الربط انظر: المالكي، رياض النفوس، (تحقيق:د.حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ط الأولى ١٩٥١م) ج١ ص٢٥-٢٧ من مقدمة المحقق.

كان لها بالليل دوي كدوي النحل من تلاوة القرآن وترديـــد ذكـــر الله تعالى، وفي النهار كان المرابطون فرساناً أشاوس يرهب جانبهم[١].

ورغم أننا لانجد بياناً خاصاً برواتب الجند النظاميين، فإننا لانشـــك بأنه كانت هناك مرتبات شهرية تدفع لهم، فقد كان الأمويون لا "يزيدون فارساً على خمسة دنانير للشهر شيئاً، مع نفقته وعلف فرسه[٢]".

وهذا المرتب كان يتأثر بالحالة السياســية للدولـــة، فإنـــه نظـــراً للإضطراب السياسي الذي كانت تعاني منه الدولة الأموية إبـــان إمـــارة الأمير عبدالله بن محمد بسبب كثرة الفتن، نجد أنه ضيَّق على جنوده وقلل أعطياهم[٣]. وكما أن المرتبات تتأثر بالوضع السياسي للدولة، فكـــذلك يتأثر عطاء كل جندي وفق بسالته وشجاعته، "فمن ظهرت نجدته وإعانته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده[٤]"، والأمير عبـــدالرحمن الداخل عندما كان في إحدى معاركه في الثغر الأعلى نظـــر إلى أحـــد فرسانه وقد أظهر كفاءة وشجاعة نادرتين، فأمر أحد فتيانه أن يسأل عن الرجل، فإن كان من أشراف الناس أعطاه ألف دينار، وإن كان من أفناء

١ – دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٦–٣٠٠.

٢ – الحلل الموشية، ص٨٢.

٣ – أخبار مجموعة، ص ١٥٠–١٥١.

٤ – الحلل الموشية، ص ٨٢.

الناس فيعطيه نصفها[1]، وأما من استشهد من جند الجيش الأموي فإن عطاؤه وأرزاقه تنتقل إلى ذريته[2].

وأما المتطوعة الذين لاذكر لهم في الديوان، فهم بالإضافة إلى مايغنمونه من المعارك فإن لهم صلات من الأمراء والخلفاء[3].

بقي أن نقول إن المنصور بن أبي عامر كان يدرك تماماً أن الكثير من أبناء الشعب الأندلسي غير راضٍ عن السياسة القهرية التي ينهجها، ولذا فقد كان يخشى من حركة تهب في وجهه أو عصيان يدبر ضده فيطيح به، وهو مدرك في الوقت نفسه أن الجيش له الكلمة الفاصلة في هذا الموضوع، لأجل ذلك عمل على إجراء تغييرات جذرية في تركيبة الجيش، فنسخ تنظيمه الداخلي الذي كان سائدا طيلة عهد أمراء وخلفاء بني أمية إلى عصر الخليفة هشام المؤيد[4]،وذلك عندما جعل كل تشكيل من

---

١ – أخبار مجموعة ص١١٩، والمكافأة على الشجاعة والاستبسال أول من أقرها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بأن يفرض لخارجة بن حذافة رضي الله عنه في شرف العطاء لشجاعته. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، (بعناية: رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، ط الأولى ١٣٥٠هـ)، ص٤٤٢ .

٢ – أخبار مجموعة، ص١٢٠. وهو في هذا متبع لفعل الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه، انظر: فتوح البلدان، ص ٤٤٧.

٣ – البيان المغرب ٣/٤.

٤ – كان الجيش الأموي قبل عهد المنصور يعتمد في أساسه على تجميع الفئات والقبائل من مختلف الرتب، كل صنف على حدة مع إيجاد عملية التآلف بين الجميع.

تشكيلات الجيش يشتمل على كافة العناصر والفئات، فقد وزع الجند في مجموعات ضمن سرايا دون النظر إلى العصبية القبلية التي ينتمي إليها كل جندي، وكل مجموعة أو سرية لها قائد يرعى شؤونها، كما قرر أرزاقاً شهرية تصرف لكل جندي، وبذلك ضمن المنصور سهولة تجميع القوات في أي وقت، بالإضافة إلى الانضباط الذي أصبح سمة الجيش آنذاك[١] وكما ضمن عدم حدوث عملية التفاف ضده.

تعداد الجيش

إن من العسير إعطاء رقم صحيح لعدد أفراد الجيش الأموي بالأندلس بكافة فئاته وطوائفه، إذ أن المصادر تعنى بالتشكيلات العسكرية المختلفة للجيش المتجه للغزو.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك جيش خاص بالثغور وآخر خاص بالعاصمة، وقد عرف الأخير باسم "جيش الحضرة" الذي أمدنا ابن حيان ببيان تفصيلي عن تقسماته في عهد الخليفة الحكم المستنصر، فذكر منها[٢] "طبقات الجند من القرطبيين والزهراويين" "وبياض الجند الأندلسيون والطنجيون" و "طبقات العبيد الخمسيون" و "الصيديون" و "أكابر الخمس" و "فرسان الرياضة" و "رجالة الأرباض" و "العبيد الجعفريين".

---

١ - سراج الملوك، ص ٢٢٩، أعمال الأعلام، ١٠١/٢.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٣٠، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٧٨، ٩١، ١٢٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٦، ١٧٤، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٢٣.

وقد كانت الكور المجندة تشكل ركيزة أساسية من ركائز القوة العسكرية بالأندلس، ولدينا بيان أورده ابن حيان[١] وضح فيه العدد الذي تؤمنه كور الموسطة للصائفة المتجهة إلى الشمال النصراني، فذكر أن:-

كورة إلبيرة قدمت ٢٩٠٠ فارس، جيان ٢٢٠٠ فارس، قبرة ١٨٠٠ فارس، باغة٩٠٠ فارس، تاكرنا ٢٦٩ فارس، الجزيرة ٢٩٠ فارس، إستجه ١٢٠٠ فارس، قرمونة ١٨٥ فارس، شذونه ٦٧٩٠ فارس، رية ٢٦٠٧ فارس، فريش ٣٤٢ فارس، فحص البلوط ٤٠٠ فارس، موروز ١٤٠٣ فارس، تدمير ٢٥٦ فارس، ربينة ١٠٦ فارس، قلعة رباح وأوريط ٣٨٧ فارس، حصن شندلة ١١٣ فارس، وأما قرطبة التي تركت لهمة أهلها فقد كانت تنفر منها أعداد هائلة[٢].

ورغم حرص حكومة قرطبة على أن تلتزم كل كورة بما تقدمه من فرسان، إلا أن الوضع السياسي العام للدولة له أكبر الأثر في أعداد أولئك الفرسان، ففي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن كان عدد الجيش مائة ألف فارس منهم عشرون ألفاً بدروع الفضة[٣]، وأما في عهد الأمير عبدالله بن محمد فقد كانت الدولة تعيش فترة مضطربة، بسبب كثرة حركات التمرد والعصيان التي اندلعت في أرجاء الأندلس، مما قلص نفوذ الإمارة كثيراً بحيث لم يعد يتجاوز قرطبة وما جاورها، حتى أن الأمير عبدالله عندما

---

١ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٢٧١-٢٧٢.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٧٣.

٣ - ابن الكردبوس، ص ٥٧. ابن أبي دينار، ص٩٩.

خرج سنة ٢٧٨هـ (٨٩١م) لمواجهة ابن حفصون كان تعداد القوة التي رافقته أربعة عشر ألف رجل بمن فيهم جنده والحشم والموالي والمطوعة والمرتزقة[١]. بل إن قائده الشهير أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبده كان يخوض معاركه بثلاثمائة فارس انتخبهم من خيرة المدونة[٢].

وعلى العكس من عصر الأمير عبدالله نجد أن الجيش أصبح تعداده هائلاً في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، إذ أدرك منذ وصوله للحكم معنى توفر قوة عسكرية ضاربة لدى حكومته، فعمل على إصلاح الجيش وحشد الجند، حتى أنه كان ينفق ثلث خزينة الدولة على جيشه[٣]، حتى أصبح لديه أفضل جيش في العالم[٤] ولنا أن نتصور ضخامة الجيش الذي خاض معركة "الخندق" بعد أن حُشر له الناس حشرا[٥]، وإذا كان عدد قتلى المسلمين في المعركة بلغ أربعين أو خمسين ألف [٦]، فكم سيكون العدد الكلي للجيش إذن؟

---

١ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٠٤. العرب في إسبانيا، ص٨٩.

٢ – المقتبس، تحقيق:أنطونيه، ص ١٢٩.

٣ – البيان المغرب، ٢/٢٣١.

٤ – مختصر تاريخ العرب، ص ٤٢٠.

٥ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٣٣.

٦ – العرب في إسبانيا، ص١٠٨. دولة الإسلام في الأندلس، ع١ق٢ ص ٤١٤.

ونظراً لاهتمام المنصور بن أبي عامر بجلب المرتزقة من كافة الطوائف، فقد ازداد عدد الجيش في عهده، حتى أن عدد الفرسان في بعض صوائفه بلغ ستة وأربعين ألف فارس[1].

وقد كان على أهل قرطبة وأقاليمها ضريبة تعرف بـ"ضريبة الحشود والبعوث" عليهم إخراجها كل سنة للصوائف الغازية للممالك النصرانية في الشمال، ويتولى الوزير صاحب المدينة مسئولية إخراج الناس لتلك البعوث، ولايمكن أن يتخلف أحد قادر على حمل السلاح إلا إذا كان لديه عذر شرعي أو أغلق عليه داره، بعلم الوزير صاحب المدينة، شريطة ألا يغادر مترله إلا بعد عودة الجيش من الغزو[2]، كما يتولى صاحب المدينة مسئولية حشد فتيان قرطبة القادرين على حمل السلاح، وذلك في المناسبات التي تقام فيها استعراضات عسكرية[3].

و لم تلغ ضريبة الحشود والبعوث عن أهل قرطبة إلا في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الذي ترك الأمر عائداً لهمة أهلها، إلا في حالة تعرض البلاد لهجوم مفاجئ من أي جهة كانت، ثم أعيدت هذه الضريبة في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر[4]، وأصبح المتطوعة يشكلون قوة رئيسة في الجيش لديه، وقد كثرت أعدادهم في جيشه، حتى أن "جموعهم إذا

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/٩٩.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٤٤-٤٥.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٤٧-٤٨.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٧١.

توافت، وأعدادهم إذا تكاملت تضيق عنهم بلاد العدو ولاتسعهم غلاتها، ولاترويهم مياهها[١]"، وقد توقف العمل بتلك الضـريبة بعـد معركـة الخندق[٢]، ففي سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) اقتصر الخليفة عبدالرحمن الناصر

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٤٩.

٢ - وذلك لأن القتلى والأسرى في تلك المعركة كان جلهم من المتطوعة انظر: المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٤٣٦. اهتم الأندلسيون بأمر التطوع، ووصل الأمر ببعضهم أن وضع أقوالاً نسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كلها تحض على الجهاد في الأندلس، كما أن المرابطة في الثغر إلى نيل الشهادة كانت اولى الحلول لدى الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى بوصفها كفارة للقاتل إذا أبى أهل القتيل القصاص أو الدية . انظر: بغية الملتمس، ص ١٤. النباهي، تاريخ قضاة الندلس، ص ٦٢. ومن هنا لانستغرب كثرة المتطوعـة الذين يخرجون للجهاد في سبيل الله تعالى. وقد ذكر ليفي بروفنسال **L.Provencal: Op. Cit. 3, P: 68** وتابعه هشام أبو رميلـة في رسـالته عـن "نظـم الحكـم في الأندلس،ص٣٠٧" أن الحشاد الذين يتم تكليفهم من قبل حكومة قرطبة، لأجل حشـد المتطوعة واستنفارهم، كانوا يلجأون إلى طرق ملتوية في الحشد، و لم يفسر بروفنسال ولا من تابعه تلك الطرق الملتوية. وأود أن أذكر هنا أنه إذا كانت كلمات الحشاد التي تعتمد على إثارة الناس من خلال تذكيرهم بعظيم الأجر والمثوبة لمن جاهد حتى تكون كلمـة الله هي العليا وما ادخر للشهيد من ثواب، وكذلك إلهاب حماس المخاطبين بالأشـعار والأقوال المؤثرة، إذا كان هذا هو التحايل فقول بروفنسال مردود عليه. وبمقابل جهـود الحشاد في استنفار الناس للجهاد، نجد أن الرهبان مع ألفونس الثاني "٢٢٧هـ /٨٤٢م" ملك جليقية "وليون" قد اخترعوا "سنة ١٩٧هـ/٨١٣م" قصة القديس يعقوب وذلك لإثارة النصارى ودفعهم للاستماتة في القتال ضد المسلمين. انظر العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص ١١٩.

على غلمانه وحشمه وجنده المدونين المدربين عند تجهيز الجـيش لغـزو جليقية[١].

وفي سنة "٣٨٨هـ (٩٩٨م) أصدر المنصور بن أبي عامر قراراً عاماً بإعفاء أهل قرطبة وغيرهم من الإشتراك الإلزامي في الصوائف، بعـد أن أصبح ديوان الجند لديه غاصاً بالأعداد الغفيرة منهم، فجعل "من تطـوع خيراً فهو خير، ومن خف إليه، فمبرور ومأجور، ومن تثاقل فمعذور[٢]".

التنظيمات والمناصب العسكرية

أ- القيادة

منذ قيام دولة الأمويين في الأنـدلس وقيـادة الجيـوش موضـع اهتمامهم، فهي أهم المناصب العسكرية على الإطلاق، ولذا فقد كـان أمراء بني أمية يقودون الجيوش بأنفسهم[٣]، وفي حالة تعـذر خـروجهم كانوا يكلفون أحد اولادهم بالخروج بالجيش شريطة أن يكون معه أحد القادة العسكريين من ذوي الخبرة والمهارة ليتولى إدارة المعركة[٤].

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٤٩.

٢ - أعمال الأعلام، ٦٨/٢.

٣ - انظر: البيان المغـرب، ٤٨/٢، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٨٤، ٨٦، ٩٤، ١٠٠، ١١٦، ١٢٢، ١٢٣.

٤ - انظر: المصدر الســابق، ٦٣/٢، ٨٦، ٩٨، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩.

وفي عصر الخلافة كان الخليفة عبدالرحمن الناصر يقـود الجيـوش بنفسه، ولانجد ذكراً لأولاده، ولم يترك القيادة إلا بعد هزيمته في معركـة الخندق، وعندما تولى الخلافة الحكم المستنصر خرج على رأس جيش إلى الشمال النصراني سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) ففتح عدة حصون وغنم وعاد سالماً[١]. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الخليفة المستنصر لم يكـرر الخـروج للغزو مرة أخرى، ويبدو أن خروجه على رأس الجـيش عنـدما تـولى الخلافة كان رسماً جرى عليه أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس، إذ يكـون الغزو في سبيل الله تعالى أول أعمال من يستلم الحكم منهم.

ونظراً لأهمية منصب قيادة الجيش، ولسعي المنصور بن أبي عـامر للسيطرة على الجيش، -بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله-، نجد أن ابن أبي عامر يتحين الفرص لتحقيق مراده، وجاءته الفرصة عندما وصلت الأخبار بأن الملك ردمـير الثالـث رامـيرو(٩٦٦-٩٨٥م)[٢] ٣٥٥-٣٧٥هـ ملك ليون، قد أغار على الثغر الأوسط[٣]، ولما لم يبد أحد من الوزراء إستعداده لرد المعتدين، سارع ابن أبي عامر إلى الخروج على رأس الجيش، وذلك لثلاث خلون من شهر رجب سنة ٣٦٦هـ (٢٦ فبرايـر

---

١ - نفسه، ٢/٢٣٤.

٢ - أندلسيات، ٢/٥١.

٣ - تطلق بعض المصادر مسمى الثغر الأدنى على منطقة الثغر الأوسط، وهـذا الثغـر مواجه لمملكة ليون، وكانت مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط، ثم استبدلت بمدينة طليطلة الواقعة على نهر التاجه. انظر: خليل إبراهيم السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٠.

٩٧٧م) وعاد إلى قرطبة بعد ثلاثة وخمسين يوماً من خروجه وهو محمل بالسبي والغنائم[١].

والشيء المهم في هذه الغزوة، أن ابن أبي عامر تمكن من كسب محبة الجند وتفانيهم في خدمته، وذلك لما رأوه من كرمه وجوده وحسن عشرته وسعة مائدته[٢]، وهذا هو الذي كان يهم ابن أبي عامر فقد أدى ذلك إلى أن أصدر الخليفة المؤيد أمره بتولية ابن أبي عامر قيادة جيش الحضرة[٣].

ولدينا أسماء عديدة لقادة عسكريين أداروا المعارك العسكرية بكل كفاءة واقتدار، منهم: بدر مولى الأمير عبدالرحمن الداخل وتمام بن علقمة الثقفي وعبيدالله بن عبدالله بن عبدالرحمن الداخل الشهير بصاحب الصوائف[٤] وعبدالواحد بن يزيد الأسكندراني[١]، وهاشم بن عبدالعزيز[٢]

---

١ - نصوص عن الأندلس، ص ٧٤. البيان المغرب، ٢/٦٤.

٢ - أعمال الأعلام ٢/٦٠، وقد ذكر ابن عذاري أن ابن أبي عامر عندما رأى إحجام الوزراء عن الخروج بالجيش لصد النصارى، بادر إلى القيام بهذه المهمة، لكنه اشترط أن يختار الرجال الذين سيخرجون معه، وأن يأخذ من بيت المال مبلغ مائة ألف دينار، وعندما استكثر بعض الوزراء المبلغ، قال له ابن أبي عامر "خذ ضعفها وامضي وليحسن غناؤك". انظر: البيان المغرب، ٢/٢٦٤. وبواسطة هذا المبلغ، ملك ابن أبي عامر قلوب الجند، إذ بذل لهم منه ماجعلهم يفتدونه بأرواحهم، الأمر الذي سهل له السبيل أمام تحقيق هدفه .

٣ - البيان المغرب، ٢/٢٦٥.

٤ - المصدر السابق، ٢/٥٣.

عبدالعزيز[٢] وغالب بن عبدالرحمن الناصري الذي برز ذكره لأول مـرة سنة ٣٣٥هـ (٩٤٦م) عندما كلفه الخليفة عبدالرحمن الناصر بالخروج على رأس جيش كبير لإعادة بناء مدينة سالم[٣] كما قاد العديد من الحملات العسكرية الناجحة[٤]، وعندما هاجم النورمانديون السواحل الغربية للأندلس في أوائل رمضان سنة ٣٦٠هـ (يونيو ٩٧١م) عهد الخليفة المستنصر إلى قائده غالب الناصري بالإشراف العام على القوات البرية والبحرية "لضلاعته وغنائه وعلمه بثقوب نظره ومحمود اكتفائه[٥]".

ويلاحظ أن القيادة العسكرية للجيش الأموي في الأندلس كانت تسند إلى أبناء أسر معينة سطروا صفحات ناصعة البياض ليس في المجال العسكري فحسب، بل في كافة المجالات الإدارية في الدولة، من أشهر تلك الأسر، أسرة آل أبي عبده الذين برز دورهم القوي في عهد الأمير عبدالله بن محمد وذلك في قمع الفتن الداخلية التي اندلعت في كافة أنحاء الأندلس، وقد لمعت أسماء عدة وزراء من هذه الأسرة كلهم تولى القيادة العسكرية واجتمع منهم أربعة في وقت واحد عند الأمير عبدالله ابن

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢.

٢ – المصدر السابق، ص ٣٩٥.

٣ – البيان المغرب، ٢/٢١٣-٢١٤.

٤ – المصدر السابق، ص ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤٠.

٥ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ٢٣-٢٤.

محمد[1]. كذلك اشتهرت أسرة مغيث الرومي، فقد برز اسم عبدالواحد بن مغيث بالإضافة إلى ولديه عبدالكريم وعبد الملك، وعبدالوهاب بن أحمد بن عبد الواحد بن مغيث[2].

---

١ - الوزراء الأربعة الذين كانوا من بين وزراء الأمير عبدالله بن محمد هم: أبو عثمان عبيد الله بن محمد وسلمة بن أبي عبده وعبدالرحمن بن حمدون بن أبي عبده والوزير القائد الشهير أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبده، عن هؤلاء وأدوارهم البطولية، انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٣١٩-٣٢٠. المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ٢٥/٣-٢٩ ، ٥٣،٩٤-٩٧، ٩٩-١٠٥، ١١٧-١١٨، ١٢٨-١٣١، ١٣٩-١٤٣، ١٤٥-١٤٧. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٥٣، ٨٢، ٩٢، ١٠٧، ١٢٧ ، ١٣٥-١٣٦، ١٩٩. البيان المغرب، ١٢٩/٢، ١٣٢-١٣٣، ١٣٨-١٣٩، ١٤٢، ١٤٨-١٤٩، ١٥٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩-١٧١.

٢ - عن جهودهم العسكرية، انظر: المقتبس: تحقيق:د.محمود مكي ص ٢٥. وماورد في التعليقات أرقام ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٧٧، ٣٢٥، ٣٢٦ وما ورد في التعليق رقم ٨٢. نصوص عن الأندلس، ص٣١-٣٢، ٦١-٦٢. الحلة السيراء ١٣٥/١. البيان المغرب ٤٨/٢، ٦١، ٦٥، ٧٥، ٨٢، ١٠٠، ١٠١. المغرب في حلى المغرب ٤٤/١. وأسرة بني مغيث تنتمي لمغيث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، مولى الوليد بن عبدالملك، عربي أزدي، شارك مغيث في فتح الأندلس مع طارق بن زياد، وتولى فتح قرطبة، وإليه ينسب "بلاط مغيث" وبعد حياة حافلة بالأحداث قتل مغيث في معركة بقدوره بالمغرب، ويعتبر مغيث باني بيت آل مغيث بالأندلس، فقد ترك أولاداً أشهرهم عبدالواحد الذي تولى الحجابة للأميرين الداخل والرضا وتوفي في عهد الأمير الربضي سنة ١٩٨هـ وخلفه أولاده الثلاث عبدالكريم وعبدالملك وعبدالحميد الذين كانوا من كبار رجال الدولة الأموية سياسة وقيادة وكياسة وعلماً، واستمرت هذه الأسرة عالية المقام=

وهؤلاء القادة الوزراء مكانة سامية لدى أمراء وخلفاء بني أمية، ففي الاحتفالات الرسمية التي تقام سواء في الأعياد أو عند استقبال السفراء والوفود الرسمية الزائرة تكون مجالس أولئك القادة الوزراء بالقرب من الأمير أو الخليفة ففي الاحتفال الذي أقامه الخليفة الحكم المستنصر بالله في الزهراء يوم السبت لأربع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٠هـ (١ يوليو ٩٧١م) عند استقباله للسفير "بون فليو Enneco Bonfill" المبعوث من قبل حاكم برشلونة بريل بن شنير Borrell Sunier، جلس الخليفة في محراب المجلس الشرقي، وأحاط به رجال دولته كل وفق مرتبته، فقد جلس الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن عن يمين الخليفة وتحته الوزير صاحب الحشم قاسم بن محمد بن طلمس، وعن يسار الخليفة جلس الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان وتحته صاحب المدينة بالزهراء محمد ابن أفلح[1].

=مهيبة الجانب إلى أن تم إسقاطها نهائياً في القرن الرابع الهجري تقريباً (العاشر الميلادي) والسبب في ذلك هو إقدام أحمد بن مغيث على التغزل بإحدى بنات الأسرة الأموية، فقد صدر الأمر باستئصال آل مغيث والتسجيل عليهم ألا يستخدم أي منهم أبداً، حتى كان سبباً في هلاكهم وانقراض بيتهم، فلم يبق منهم في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلا الشريد الضال. انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧٢ .طوق الحمامه، ص٣٨. أخبار مجموعة، ص١٠، ١١، ١٢، ١٩، البيان المغرب ٢/٩-١٠.

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٠-٢١ والحاشية رقم ١.

ولم يقتصر إكرام الدولة لأولئك القادة على تشريفهم في الاحتفالات، بل إنها كانت تضع الثقة الكاملة بهم، فعند تعرض البلاد لأي خطر عسكري فإن أمراء وخلفاء بني أمية يضعون موارد الدولة وإمكاناتها تحت تصرف أولئك القادة[١]، كما يتم إرسال المنح السنية والمكافآت المالية إليهم وهم في مواقعهم العسكرية من أجل شد عزائهم، وبث الحماسة في جنودهم، وبالذات عندما تصل من القائد أخبار تسر الأمير أو الخليفة[٢].

وعند عودة القائد مع قواته منتصراً، كانت الاحتفالات تقام بقرطبة ابتهاجاً بهذه المناسبة، وتكريماً له ولمن معه، فالوزير القائد غالب بن عبدالرحمن عندما عاد من أرض العدوة المغربية محققاً انتصاراً قوياً على مناوئي الدولة، أمر الخليفة الحكم المستنصر بإقامة احتفال كبير بهذه المناسبة واستُقبل القائد استقبالاً رسمياً كان الخليفة في مقدمة الحضور وذلك في شهر المحرم سنة ٣٦٤هـ (سبتمبر ٩٧٤م)[٣].

ونظراً إلى انقسام الجيش إلى فرسان "خيالة" ورجالة "مشاة" فإن لكل قسم منهما قائد خاص[٤]، وعندما تريد حكومة قرطبة تكريم أحد القادة العسكريين يتم منحه مظلاً يستظل به عن الشمس، ويقف تحته عند

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٩١.

٢ -المصدر السابق، ص١٣٥. البيان المغرب، ٢/٢٤٧.

٣ - انظر: المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٩٤-٢٠٢.

٤ - أخبار مجموعة، ص ٨٧.

إدارته للمعركة[١]، وقبل أن يغادر القائد العاصمة بقواته، تصدر إليه الأوامر من قبل الأمير أو الخليفة، بتحديد المنطقة التي عليه مهاجمتها[٢] وإن قصر في عمله كتب إليه الأمير رسالة يعنفه فيها على تقصيره.

فعندما ثار هاشم الضراب بطليطلة في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم سنة ٢١٤هـ (٨٢٩م) تم تكليف القائد محمد بن رستم عامل الثغر بالقضاء على ثورة الضراب، ويبدو أن القائد ابن رستم لم يحسم المسألة بسرعة، فأرسل إليه الأمير مدداً عسكرياً وكتب إليه كتاباً يعنفه فيه على تقصيره وذلك سنة ٢١٦هـ[٣] (٨٣١م).

وكما أن القائد إذا قصر في عمله يتعرض للمساءلة الرسمية، فكذلك نجد أن هناك مواقف على المستوى الشعبي العام – ربما كانت أشد إيلاماً من المواقف الرسمية، هذه المواقف الشعبية يتعرض لها القائد العسكري إذا حدث أن فر من أرض المعركة، إذ يقابل القائد بالسخرية ويشنع عليه فراره حتى من أقرب الناس إليه، وهذا ماحدث في شوال سنة ٢٣٩هـ (مارس٨٥٤م) عندما أخرج الأمير محمد ابن عبدالرحمن قائديه قاسم بن العباس وتمام بن أبي العطاف على رأس قوة عسكرية من الحشم، لتأديب أهل طليطلة، وعندما التحم جيش الإمارة بأهل طليطلة، تمكن الطليطليون من تحقيق نصر قوي فر على إثره القائدان ابن العباس وابن أبي العطاف،

---

١ – المصدر السابق،ص١١٢. المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١١٥.

٢ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٣١٨. المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٨١.

٣ – البيان المغرب ٢/٨٣.

تاركين مافي المعسكر لأهالي طليطلة فانهالت قصائد الشماتة على ذينـــك القائدين[١].

والعامة دوماً لاتنظر إلا إلى مصالحها الآنية، ولاتلتمس عذراً لمن يمنع عنها تلك المصالح، فقد اعتاد العامة في قرطبة على كثرة السبي الذي كان يحضره المنصور بن أبي عامر من الإمارات والممالك النصرانية الشـــمالية، وبعد وفاته تولى قيادة العمليات الحربية من بعده ابنه عبدالملك المظفر، وفي غزوته الرابعة التي خرج بها إلى بنبلونة سنة ٣٩٦هـــ (١٠٠٦م) لم يحضر معه إلى قرطبة السبي المعتاد، فأخذ نخاس الرقيق يرددون عبـــارة "مـــات الجلاب، مات الجلاب[٢]"

ب- خطة الخيل

يتضح لنا من اسم هذه الخطة أن الأمر متعلق بالخيول ومايتصل بها، ونظراً لضخامة الجيش الأموي بالأندلس، فإنه لابد من وجـــود أمـــاكن معدة لرعاية هذه الخيول والعناية بها وقد عرفت هذه الأماكن باسم "دار الخيل[٣]"، وهي دار تمتاز بالسعة والضخامة، لذا فالأمر يتطلب وجـــود جهاز إداري متكامل يتولى عملية الإشراف عليها، وهذا الجهاز الإداري له مشرف مسئول عنه وعن الدار ومحتوياتها أمام الأمير أو الخليفة الأموي،

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٩٤. البيان المغرب ٢/٩٤.

٢ – البيان المغرب، ٣/١٣.

٣ – أخبار مجموعة، ص ١٤٤.

ويعرف هذا المشرف باسم "صاحب الخيل[١]"، وعلى هذا فإن صاحب الخيل هو المشرف على شئون الخيل اللازمة للجيش ومايلزم كل جواد من سرج ونحوه[٢]، وأحيانا نرى أنه يجمع مع خطة الخيل الحشم[٣].

ومن واجبات صاحب هذه الخطة ترتيب الجند، وفض المنازعات التي تحدث بينهم[٤]، وقيادة الحملات العسكرية[٥]، في حين تناط بمساعديه مهمة حمل الأموال والمنح المرسلة لمن يثبت حسن صنيعه وغناه في الحروب[٦].

وقد شهدت "خطة الخيل" بعض التغيرات شأنها في ذلك شأن بعض الخطط، فبعد أن كانت مرتبطة بالقيادة كما هو الحال في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن[٧] نجدها في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر تصبح منفصلة تماماً عن القيادة[٨]، رغم أنها جمعت معها في بعض الفترات[٩].

---

١ – البيان المغرب، ٢/٩٤.

٢ – الحلة السيراء، ١/٢٢٣.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٥.

٤ – المصدر السابق، ص ٧٨.

٥ – نفس المصدر والصفحة . البيان المغرب، ٢/٩٤، ١٥٣.

٦ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٤، ١٥١.

٧ – انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٩٤. البيان المغرب ٢/٩٤.

٨ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٨٦،١٧٢، ٢٠٤.

٩ – المصدر السابق، ص ٣٣٠.

جـ- خطة العرض

العرض وظيفة من وظائف التنظيم العسكري، وهي خاصة باستعراض الجنود المدونين في أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم وسلامة استعدادهم[١] ويسمى من يتولى هذه الخطة بـ"العارض[٢]"، وإذا حان موعد استعراض الجند، جلس الأمير أو الخليفة على سطح باب السدة وبجواره ولي عهده، فإذا أعطى إشارة البدء للقائد، تبدأ عملية الاستعراض التي تقوم بها طائفة من الجند، قد تم اختيارها مسبقاً، وفي الاستعراض يعمل أفراد تلك الطائفة، على إبراز مهاراتهم الحربية ، فتكون هناك عملية مبارزة ومطاردة بين المتبارزين، شريطة أن يكون كل منهما حريصاً على عدم إلحاق الأذى بزميله، ومن خالف ذلك تعرض للعقوبة والسجن، في حين أن المصاب يؤمر له بجائزة، وقبيل الظهر تنتهي عملية الاستعراض[٣].

وبالنظر لأهمية هذه الخطة، والازدياد في أعداد الجنود المدونين، فإننا نجدها تسند أحياناً إلى شخص واحد[٤]، وفي بعض الأحيان تسند إلى أربعة[٥] يتولون معاً مهمة الإشراف على هذه الخطة النبيلة، على أن تكون الاختصاصات مقسمة فيما بينهم.

---

١ – الحلة السيراء، ١/١٤٥، حاشية رقم ٣.

٢ – المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٩٧. البيان المغرب، ٢/١٥٨.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٢٣.

٤ – البيان المغرب، ٢/١٥٩.

٥ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٩٧.

د- خطة خازن السفر

إن الإعلان عن قيام الخلافة الأموية بالأندلس، وازدهار البلاد بعد أن فرض الخليفة عبدالرحمن الناصر نفوذه على معظم شبه الجزيرة الأيبرية وبعض أراضي العدوة بالمغرب، كل هذا، أوجد تعقيداً إدارياً في كافة أجهزة الدولة، وذلك بسبب الحال التي أصبحت عليها الدولة الأموية من قوة وثراء ومكانة عالمية بين الدول آنذاك.

وللدلالة على التعقيد الإداري نشوء هذه الوظيفة رغم أنها لم تكن معروفة في عهد الإمارة، ولم تكن لتوجد فيما بعد لولا الضخامة التي أصبح عليها الجيش الأموي هناك، والمهام العديدة التي عليه تأديتها.

وخازن السفر هو الذي يأخذ الأموال من بيوت المال ويذهب بها إلى الجيش ويوصلها بنفسه، سواء كان شمالاً في جهة الممالك النصرانية أو جنوباً ناحية العدوة المغربية[١] وإذا لزم الأمر إرسال مزيداً من الأموال فيما بعد إلى الجيش، فإن الخليفة يكلف شخصاً آخر لأخذ الأموال اللازمة ويتوجه بها إلى الجيش ويوصلها إلى قائد الجيش والخازن المتواجد معه[٢].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص ١٤٩.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢١٠.

هـ- خطة خزانة السلاح

الجيش الأموي بالأندلس لايعرف الهدوء والسكينة، فهو إن لم يكن في صائفة في جهاد ضد نصارى الشمال، نجده يتولى قمع اضطراب في إحدى أرجاء البلاد، كما أصبحت أراضي العدوة المغربية مسرحاً لعملياته في عصر الخلافة.

لأجل ذلك، كان لزاماً على القائمين على الجيش توفير الأسلحة لأفراده، ونظراً لضخامة الأسلحة المعدة فهي تودع في مخازن خاصة عرفت بـ"خزانة السلاح" ومتوليها يشغل منصباً عالياً في الدولة[1].

والأسلحة لأي جيش تكون على نوعين، أسلحة هجومية، واخرى دفاعية، وكل نوع من هذين النوعين ينقسم إلى قسمين آخرين، فالهجومية منها تكون خفيفة وثقيلة، وكذلك الدفاعية وهذه الأسلحة بأنواعها تكون أيضاً على قسمين: فردية وجماعية. أي أن منها مايكون صالحاً للاستخدام الفردي وآخر للاستخدام الجماعي.

وليس بدعاً أن يكون الجيش الأموي بالأندلس قد استخدم كافة أنواع الأسلحة المعروفة آنذاك، الهجومية منها والدفاعية الفردية والجماعية، فالأسلحة الفردية كالسيوف والرماح والقسي والسهام والطبرزينات[2] كلها أسلحة هجومية فردية. في حين أن هناك عدة

---

١ - المصدر السابق، ص٩٧. البيان المغرب، ٢/١٥٩، ١٦٤، ١٦٩.

٢ - الطبرزينات: جمع طبرزينة وهي عبارة عن نصل حديد مركب في قائم من الخشب كالفأس بحيث يكون النصل مدبباً من ناحية، ومن الناحية الأخرى رقيقاً مشحوذاً=

أسلحة دفاعية خفيفة، منها: الترس وهي آلة يتقي بها المقاتل ضربات خصمه، ويأتي على أنواع وأصناف شتى كل منها صالح لشيء معين[١] وكذلك الدرق التي هي من أنواع التروس[٢]، والبيضة أو الخوذة التي يلبسها المقاتل على رأسه[٣]، والمغفر[٤] والدرع[٥].

هذه هي الأسلحة الهجومية والدفاعية الخفيفة الفردية، فالجنود المشهود لهم بشدة البأس والرجولة في الجيش الأموي بالأندلس، تميزوا بتقلد السيوف الأفرنجية وبحمل التراس والرماح المستوية الأسنه، ومن كان

=كالسكين، وتستخدم في القتال مع السيوف. انظر: المعجم الوسيط، مادة "طبر". الفن الحربي في صدر الإسلام ص١٢٩-١٥٥. وعن الأسلحة الفردية الهجومية واستخداماتها انظر: كتاب السلاح، ص ١٧-٢٨.

١ - انظر: كتاب السلاح، ص ٣٠. تبصرة أرباب الألباب، ص ١٢-١٣. نهاية الآرب، ٢٣٩/٦-٢٤٠. تاريخ التمدن الإسلامي، ١٣٩/١-١٤٠. الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ١٨٦-١٨٩.

٢ - انظر: لسان العرب، مادة "درق". كتاب السلاح ، ص ٣٠.

٣ - البيضة أو الخوذة: تصنع من الحديد أو الفولاذ ومبطنة ببعض المواد اللينة كالقطن وغيره يلبسها المقاتل على رأسه يتقي بها ضربات خصومه. انظر: عبدالرحمن زكي، السلاح في الإسلام، ص٢٣. الفن الحربي في صدر الإسلام، ص ١٨٤.

٤ - كتاب السلاح، ص ٢٩. تبصرة أرباب الألباب، ص ١٤. السلاح في الإسلام، ص ٢٧.

٥ - نهاية الأرب، ٢٤١/٦-٢٤٦. الفن الحربي في صدر الإسلام، ص١٧٥-١٨٣ ومصادره.

منهم على فرس ارتدى الدرع وحمل القناة ولبس الجوشن الذي يغطي به الصدر، ووضع على فرسه تجفاف يحميه أثناء القتال[١]، في حين أن المشاة كانوا يتنكبون القسي الكبار وبأيدهم الطبرزينات والدماغات والأعمدة[٢].

أما الأسلحة الهجومية والدفاعية الثقيلة التي تستخدم بشكل جماعي، فيأتي المنجنيق[٣] في مقدمتها، وتليه في الأهمية "العرادة" وهي آلة شديدة الشبه بالمنجنيق ولكنها أصغر منه[٤]، والمنجنيق والعرادة يصلحان في الاستخدامات الدفاعية الهجومية، وتستعمل العرادة في رمي السهام الكبيرة والحجارة، وتستعمل لهدم الأسوار والحصون أو ضرب المعسكرات أو الجند المهاجمين[٥].

---

١ - المقتبس: تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٤٩.

٢ - المصدر السابق، ص٥٠. وعن العمود، انظر: الطرطوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص ١٥-١٦.

٣ - عن المنجنيق وأنواعه واستخداماته، انظر: أربنغا الزردكاش، الأنيق في المناجيق، (تحقيق: د.إحسان هندي، منشورات معهد التراث العلمي العربي، حلب ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ص١٦-٣٠، ٣٩-٤٦، ١٦٩-٢٢١. الفن الحربي في الإسلام ص١٥٦-١٦٧ ومصادره. الجيش والقتال في صدر الإسلام، ص ٣٩٦-٤٠٦.

٤ - عبدالرحمن زكي، السلاح في الإسلام، ص ٤٠.

٥ - الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، (تحقيق: عبدالرؤوف عون، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م)، ص٥٨. الجيش والقتال في صدر الإسلام، ص ٤٠١-٤٠٢.

ومن الأسلحة المهمة المستخدمة في الحصار "الدبابة" وهي آلة حربية يدخل فيها الرجال، فيدبون إلى الأسوار لنقبها، وهي تسبق المشاة حتى تقترب من حصون الأعداء بصورة كبيرة، وكذلك استخدموا "البرج" الذي هو شديد الشبه بـ"الدبابة" إذ كان يستعمل للإقتراب من حصون الأعداء لاقتحامها ولقذف السهام ونحوها على المدافعين. والبرج يُجر على عجلات خشبية أو حديدية وله عدة أدوار يعلو بعضها بعضا يوصل إليها بدرج أو سلم داخلي، وفي أعلى البرج توجد قنطرة خشبية يمكن إلقاؤها على سور الحصن ليعبر عليها المقاتلون لاقتحام الحصن[١].

وقد كانت معظم الأسلحة التي يستخدمها الجيش الأموي بالأندلس تصنع محلياً، وبالذات التروس والرماح والمغافر[٢]، ولنا أن نتوقع أنواعاً أخرى من الأسلحة تصنع في إشبيلية وذلك لوفرة الفولاذ الجيد فيها[٣]، كما أن طليطلة اشتهرت بصناعة السيوف المشهورة بالصلابة واشتهرت المرية وإشبيلية ومرسية وغرناطة بصناعة الدروع وآلات الحرب عامة[٤].

---

١ - الحسن بن عبدالله العباسي، أثار الأول في تدبير الدول، (مطبوع على هامش تاريخ الخلفاء للسيوطي، القاهرة ١٣٠٥هـ). ص ٢١٤. تاريخ التمدن الإسلامي، ١/١٤٣-١٤٤. الفن الحربي في صدر الإسلام. ص ١٦٨-١٦٩.

٢ - نفح الطيب ١/٢٠٢.

٣ - المصدر السابق، ص ١/٢٠٢.

٤ - قصة العرب في إسبانيا، ص ١٢٩.

ويورد لنا ابن حيان[١] معلومات دقيقة عن صناعة الأسلحة بالأندلس بصفة عامة، فقد ذكر أن كل عام يصنع من الأخبية على أجناسها للجند ثلاثة آلاف خباء، وهذا غير الأخبية الخاصة بالأمير أو الخليفة وكبار رجالات دولته وغلمانه، ونظراً للتوسع في صناعة التراس فقد كان لصناعها شيخ في ذلك الوقت هو يحيى التراس، وكان يحيى يدير مصنعاً للتراس ينتج كل سنة ثلاثة عشر ألف ترس على أنواعها، وأما القسي فعلى نوعين تركية وعربية فالمصنع الذي بقرطبة خاص بانتاج القسي العربية ويشرف عليه أبو العباس البغدادي وينتج ستة آلاف قوس في السنة، ومثلها ينتج من القسي التركية في مصنع الزهراء ويشرف على تصنيعها طلحة الصقلبي،واما النبل فيصنع منه عشرون ألفاً في الشهر[٢].

يضاف إلى ماسبق أن خزائن الأسلحة بالزاهرة كانت ملأى بصنوف الأسلحة خاصة التراس والدروع والجواشن التي يوزع الكثير منها أيام الحشود وأيام البروز والزينة[٣] ومما يدل على ضخامة مخازن الأسلحة لدى الدولة الأموية أن الحاجب عبدالملك المظفر عندما أراد أن يخرج في أول غزوة له في شهر شعبان سنة ٣٩٢هـ (يونيو ١٠٠٢م) أمر

---

١ – أعمال الأعلام، ١٠٢/٢.

٢ – المصدر السابق، ١٠١/٢.

٣ – نفسه، ١٠٢/٢.

خُزَّان الأسلحة بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد الدارعين في جيشه[١].

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن خزائن الأسلحة لم يقتصر وجودها على قرطبة والزهراء والزاهرة بل إن مدينة سالم، على سبيل المثال كانت مستودع أسلحة تمد المنصور بن أبي عامر بما يحتاج إليه من الأسلحة أثناء غزواته نحو الشمال الأسباني، ففي إحدى هذه الغزوات زودته مخازن الأسلحة بمدينة سالم بستة منجنيقات ومائتي ألف سهم وخمسة آلاف ترس[٢].

ومخازن الأسلحة سواء في قرطبة أو غيرها كان لها خُزَّان، وللخُزَّان رئيس هو خازن الأسلحة، وكل موجودات المخازن مقيدة لديه في سجلات خاصة يحتفظ بها في حرز أمين، ومنها نسخة عند جهة إدارية أخرى، حتى إذا أُعفي خازن الأسلحة من منصبه، وُعيِّن آخر بدلاً عنه، يتم تكوين لجنة تقوم بإحصاء مافي المخازن وتطابقها على السجلات الموجودة لديها، وذلك لكي تكون عملية التخزين متقنة لامجال للتلاعب فيها[٣].

---

١ - البيان المغرب، ٤/٣

٢ - أعمال الأعلام، ١٠١/٢.

٣ - المصدر السابق، ١٠٢/٢.

و- صاحب العسكر

المراد به هو قائد جيش الحضرة، وقد أطلق عليه لقب: "صاحب العسكر" للتفريق بينه وبين القائد الذي يخرج على رأس الجيش لإخضاع العصاة وللجهاد في الثغور.

ومنصب صاحب العسكر، منصب أمني بحت، ينصبُّ اهتمامه على الحراسة المستمرة للجيش عند خروجه للغزو، وكذلك اختيار الأماكن المناسبة لنزوله، بالإضافة إلى تولي أمر العلافة، ولايكلها إلى غيره، إحتياطاً منه على من معه من المسلمين، وقبضاً لأيدي المتلصصين من العدو عليهم، وبذلك تكون العلفات متوفرة، والسرايا مثقلة بالغنائم[1].

ز- اللواء

اللواء رمز الإمارة والقيادة، ولذا فلا عجب أن تهتم به الجيوش أيا كانت، بل إن عدم وجوده يعد غيباً ونقصاً في الجيش وقائده، فهذا الأمير عبدالرحمن بن معاوية -عندما كان في بداية أمره- بعد مغادرته إشبيلية في طريقه إلى قرطبة، لم تكن له راية، بل إن أنصاره كان كل جند منهم يسير تحت راية خاصة[2]، هذا الوضع المضطرب دفع بعض رؤساء الأجناد إلى انتقاد هذا الوضع، وعرضوا على الأمير عبدالرحمن اتخاذ راية خاصة له يجتمع الجيش كله تحتها، فوافق الأمير على ذلك، وبمجرد وصول الجيش

١ - المقتبس،تحقيق: شالميتا، ص ٣٤٣-٣٤٤.

٢ - أخبار مجموعة، ص ٨٤.

إلى قرية "بلة نوبة البحرين[١] **Villa Nueva**" وقيل قرية قلنبيرة[٢] من إقليم طشانة "**Tocina**" جيء بقناتين إحداهما لأبي الصباح اليحصبي والأخرى لأبي عكرمة جعفر بن يزيد جد بني سليم الشذونيين، فعقد له في إحداهما[٣]، وتولى عقد الراية رجل تفاءلوا باسمه بعد أن أقاموا القناة بين شجرتي زيتون لأنهم كرهوا إمالتها[٤].

وقد ظل هذا اللواء دون تجديد طيلة عهد الأمراء الداخل والرضا والربضي إذ كلما خلقت العمامة المعقودة على القناة، تم ستر فضولها وعقد على العقدة، ولم يتم تجديده إلا في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط حيث طرحت الأسمال البالية وجددت العمامة[٥].

وكان اللواء القديم بأسماله البالية محل تقدير وتفاؤل بني أمية والأندلسيين كافة، وبلغ من تفاؤلهم أن الهزائم التي حلت بالجيش الأموي فيما بعد نسبت إلى الخطأ الذي ارتكبه الوزراء عندما طرحوا الأخلاق البالية التي كانت تكوِّن اللواء القديم، وفي ذلك يقول ابن حيان "لم يزل الوهن في ملك بني أمية بالأندلس من ذلك اليوم[٦]".

---

١ - ابن القوطية، ص٢٦.

٢ - أخبار مجموعة، ص ٨٤.

٣ - ابن القوطية، ص٢٦. قارن: أخبار مجموعة، ص ٨٤.

٤ - أخبار مجموعة، ص ٨٤-٨٥. نفح الطيب، ٣/٥٠.

٥ - أخبار مجموعة، ص ٨٥.

٦ - نفح الطيب، ٣/٥١.

ولاشك أن هذا الاعتقاد أمر لايقره الشرع ولا المنطق، إذ العزة الحقة مقرونة بالتمسك الصحيح بالأحكام الشرعية، إضافة إلى اتخاذ الأسباب الكفيلة بالنصر.

واللواء عادة لايحمله إلا من كان أهلاً لحمله، وموضعاً لثقة السلطان، ولذا فإن لواء بني أمية بالأندلس حمله منذ البداية أبو عثمان عبيدالله بن عثمان[١] ثم أخذ بتعاقب على حمله مع عبدالله بن خالد بن أبان بن أسلم[٢]، وإذا كانت معظم الخطط الهامة في دولة بني أمية بتوارثها الأبناء عن الآباء فليس بدعاً أن يكون حمل اللواء قد استمر في ذرية أبي عثمان وعبدالله بن خالد .

ولعقد الراية عند خروج الجيش للغزو رسوم لايمكن تجاوزها، فعندما أمر الخليفة الحكم المستنصر بالله بعقد الراية للوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن قام إثنان من كبار الوزراء بإحضار الراية ذات القطع الثلاث -العقدة والعلم والشطرنج[٣]- ثم تولى عريف الخياطين عقد هذه الأعلام، واستدعى محمد بن يوسف القبري إمام قصر الخليفة[٤] بالإضافة إلى بعض أئمة النافلة ومن معهم من المؤذنين، وبمجرد استلام عريف الخياطين للراية اندفع القاضي يقرأ سورة

---

١ - أخبار مجموعة، ص ٨٧.

٢ - البيان المغرب، ٤٢/٢.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٥.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣٣٧.

الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ وكان انتهاؤه منها مع انتهاء عريف الخياطين من عقد الأعلام، وصحب ذلك التكبير والتهليل بصوت مرتفع من كافة الحضور، وهكذا حتى اكتملت المهمة، بعد ذلك خرج عريف الخياطين ومن معه من الوصفاء والمؤذنين ومعهم الرايات الثلاث إلى باب السدة وهم يكبرون ويهللون وسط كوكبة من الفرسان مكتملي الزينة وكان في استقبالهم هناك الوزير صاحب الخيل والحشم ومعه أحد الوزراء ثم واصلوا مسيرهم إلى باب الوزير الأعلى غالب بن عبدالرحمن الذي كانت بانتظار وصولهم ومعهم اللواء فلما وصلوا امتطى صهوة جواده وخرج للغزو من حينه[١].

ح- العرفاء

هناك نصوص عدة وردت في بعض المصادر الأندلسية، تحدثت عن العرفاء، وأشارت إلى وجود إختصاصات متعددة لهم، فقد كان للأمير الحكم الربضي ألفا فرس في دارين على شاطئ الوادي الكبير مقابل قصر الإمارة بقرطبة معدة للطوارئ، وكل عشرة عرفاء يتولون مسئولية الإشراف على إحدى الدارين[٢]، وعلى هذا فالعريف مسئول عن مائة فارس، لكن في عهد الأمير المنذر بن محمد نجد نصاً يفيد بأن كل عشرة من العرفاء مسئولين عن مائة وخمسين -أي أن العريف مسئول عن خمسة

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٥-٢٦.

٢ - أخبار مجموعة، ص ١٢٩-١٣٠.

عشر فارس- أرسلهم الأمير ومعهم مائة بغل شرط صلح مع الثائر عمر بن حفصون[١]، مما يفيد بأن العرفاء مسئولين كذلك عن الجنود، وذكر ابن حيان أن الخليفة عبدالرحمن الناصر عيَّن عبدالملك بن العاصي والياً على مارده سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م) فوصل إليها "في ألف من العرفاء ومثلهم من الطنجيين وخمسمائة من الرماة وخمسمائة من الملحقين[٢]" وهذا النص يفيد بأن العرفاء يقاتلون كمجموعة مستقلة وذلك لخبرتهم في القتال[٣]. فقد وجد منهم فرقة على عهد الخليفة الحكم المستنصر عرفت بـ"العرفاء المدرعين[٤]" وهناك مجموعة من العرفاء مهمتهم تذليل الصعاب والعقبات التي تعترض طريق الجيش الأندلسي من توسيع طرق، أو توسعة شعاب وما إلى ذلك، وقد ورد في حوادث سنة ٢٤٤هـ (٨٥٨م) أن الأمير محمد بن عبدالرحمن عندما حاصر طليطلة أمر عرفاء البنائين والمهندسين بنسف القنطرة الموصلة إلى باب المدينة فتم لهم ذلك[٥] فغرق من كان عليها من أهل طليطلة، كما أن عرفاء البنائين كانوا يعقدون الجسور لتمكين الجيش الأموي من عبور المجاري المائية التي

---

١ - البيان المغرب، ١١٨/٢.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٤٠-٢٤١.

٣ - البيان المغرب، ١٩٤/٢.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٤٩.

٥ - انظر: المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٠٥-٣٠٦. البيان المغرب، ٩٦/٢.

تعترض سبيله[١] وبذلك يمكن القول بأن هؤلاء العرفاء أشبه مايكون في العصر الحاضر بسلاح المهندسين الذي لاتستغني عنه الجيوش.

ونختتم الحديث عن أولئك العرفاء بالإشارة إلى أن لهم في بعض الأحيان مهام خاصة كأن يكلف الأمير أو الخليفة مجموعة منهم سراً للكشف عن مسألة معينة ورفع الأمر إليه على حقيقته[٢].

وهنك فئات مساندة للجيش ليس بوسعه الاستغناء عن خدماتها، وتعتبر الأدوار التي تؤديها تلك الفئات على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لمسيرة الجيش وكذلك سير الأحداث العسكرية.

من هذه الفئات، فئة اختصت بحمل الرسائل بين القيادة المركزيةفي العاصمة وبين قيادة الجيش المتجه إلى الأعداء، وقد جرت العادة أن يتولى حمل هذه الرسائل مجموعة من الخصيان الذين يتم تكليفهم في بعض الأحيان بنقل الأموال إلى الجيش، ولهم عرفاء يتولون عملية الإشراف عليهم[٣].

كما أن هناك فئة تقوم بنقل المعلومات عن الأعداء إلى القيادة العسكرية للجيش الأموي، هذه الفئة هي فئة العيون والجواسيس[٤]، والتي تبدأ عملها عندما يقترب الجيش من أراضي العدو، وأحياناً يتم تكليف

---

١ – البيان المغرب، ٢/٢٩٥.

٢ – انظر: المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١١١.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٩١.

٤ – انظر: سراج الملوك، ص ٣٢٨. البيان المغرب، ٢/٢٩٥.

بعض الجواسيس بنقل المعلومات إلى العاصمة مباشرة، من ذلـــك مـــثلاً ماذكره ابن حيان[١] من أنه في أوائل شهر ذي القعدة وصل إلى الزهـــراء الجواسيس الذين ذهبوا إلى سنتياجو "شـــنت ياقـــب **Santiago De Campostela**" لتقصي أخبار النورمانديين وذلك حسب أوامر الخليفة المستنصر. ولدينا فئة تسمى فئة "الطبالين" تقوم بقرع الطبول في أوقـــات معينة، ولايقرع الطبل إلا بإذن من قائد الجيش، واعتاد الجيش الأموي إذا قرب من جبهات القتال أن يقوم الطبالون فيه بقـــرع طبـــولهم بشـــدة، يصاحب ذلك رفع الأصوات بالتكبير لإدخال الهلع في قلوب المناوئين[٢]، وقد بلغ عدد الطبالين في جيش المنصور بن أبي عـــامر مائـــة وثلاثـــون فارساً[٣].

التعبئة والأساليب القتالية

"التعبئة" تعني التهيؤ وأخذ كافة الاستعدادات اللازمة للحرب، من وضع خطط قتالية متقنة، وترتيب الجيش، وتوزيع الأسلحة[٤] وبصفة عامة تعني الاستفاد القصوى من كافة الإمكانات المتاحة، مما يكفـــل بالتـــالي تحقيق النصر.

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٩٢-٩٣.

٢ - البيان المغرب، ٦/٣.

٣ - أعمال الأعلام، ٩٩/٢.

٤ - انظر: لسان العرب، مادة "عبأ". وعن التعبئة وأنواعها، انظر: الجيش والقتـــال في صدر الإسلام، ص٢١٥-٢٣٥ ومصادره.

وقد كان للمعالم الجغرافية في الأندلس الأثر القوي في وضع نظام تعبئة واضح، فقد شكلت أنهار وأودية الأندلس الممتدة بالعرض بين الشرق والغرب، خطوطاً دفاعية، فقد جعل المسلمون وادي إبرة خطاً دفاعياً أول وأطلقوا عليه مسمى : الثغر الأعلى، وأما الخط الدفاعي الثاني فقد شكله وادي نهر التاجه وأسموه: الثغر الأوسط، في حين اتخذوا من الأراضي الغربية الواقعة بين نهري دويره وتاجه خطاً دفاعياً ثالثاً، مطلقين عليه مسمى: الثغر الأدنى.

والمتبع في تعبئة الجيش الأموي وترتيبه هو ماكان سائداً لدى الجيوش الإسلامية عامة، وذلك من حيث تقسيم الجيش إلى مقدمة وساقة وميمنة وميسرة وقلب[١] وقد وردت عدة نصوص لدى العذري[٢] وابن الخطيب[٣] كلها تفيد استخدام أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس لهذا الترتيب عند تعبئتهم لجيوشهم.

وعرفنا مما سبق أن الكور الأندلسية تشترك في عملية تأمين المقاتلين للجيش، وقد ورد نص لدى الخشني ذكر فيه أن الفرج بن كنانة الكناني "غزا معقوداً له على جند شذونة من الغرب مع عبدالكريم بن عبدالواحد إلى جليقية ... "[٤] وعليه فإن الجيش الأموي في الأندلس، كان قائماً على

١ – ابن خلدون، المقدمة، ص ٧١٧.

٢ – نصوص عن الأندلس، ص ٦٨، ١٠١.

٣ – أعمال الأعلام، ٦٣/٢.

٤ – قضاة قرطبة، ص ٤١.

مايمكن أن يسمى بالقوى القبلية، بحيث أن كل مجموعة في الجيش تكون تحت إمرة أحد زعمائها، والقائد العام مسئول عن الكل، فكانت كل قبيلة تحرص على أن لايأتي الوهَنُ من قبلها، لكن المنصور بن أبي عامر قضى على هذا الترتيب، فأدخل على الجيش الأموي عناصر عدة، أهمها العنصر البربري، وعمل على إعلاء هذا العنصر، مما سبب التنافر بينهم وبين الأندلسيين[١]، فأصبح القائد يقود جيشاً مكوناً من عناصر شتى، كل هذا لكي يأمن المنصور عدم اضطراب الجيش عليه.

وقد كان شعار الجيش الأموي طيلة عصري الإمارة والخلافة ذكر اسم الأمير أو الخليفة وإتباعه بكلمة "يامنصور"[٢] لكن هذا الشعار تغير بعد سيطرة المنصور بن أبي عامر على الدولة، إذ أصبح الشعار فقط "يامنصور[٣]".

ويتعين على قائد الجيش أن تكون قواته دائماً على تعبئة مستمرة سواء أثناء المسير أو عند النزول[٤] حتى وإن كان العدو غير قريب وذلك خشية المفاجآت، إذ أن التهاون في هذا الأمر يترتب عليه في الغالب الفشل. وهذا ماحصل للوزير القائد هاشم بن عبدالعزيز عندما خرج في شعبان سنة ٢٦٢هـ (٨٧٦م) لمحاربة عبدالرحمن بن مروان الجليقي، فقد

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/٦٦.

٢ - مفاخر البربر، ص٢٩.

٣ - المصدر السابق،والصفحة.

٤ - مختصر سياسة الحروب، ص ٢٥-٣٢.

تهاون في الأمر فكانت النتيجة قتل عدد كبير من أفراد الجيش الأموي ووقوع الوزير القائد هاشم بن عبدالعزيز أسيراً بيد أعدائه[1].

ومن الأمور الواجب على القائد الإنتباه لها، توفير المياه وحفظها[2]، إذ أن إغفال هذا الأمر يترتب عليه تعرض الجند والدواب للعطش، فتذهب أعداد كبيرة منهما ضحية الإهمال، وهذا ماجرى للقائد أحمد بن أبي عبده عندما رحل بقواته في غرة رجب سنة ٢٨٣هـ (أغسطس ٨٩٦م) إلى حصن البط -بعد أن دوَّخ عدة حصون- فعدم الماء في الطريق فهلك بسبب ذلك أكثر من ثلاثين رجلاً كما نفقت دواب كثيرة[3].

هذه العثرات التي يتعرض لها ولأمثالها الجيش الأموي بالأندلس، سيعمد إلى تجاوزها، بل لانعدو الحقيقة عندما نقول إنه سيوظفها لصالحه من خلال العمل على سد الثغرات التي يمكن أن يأتي منها الخلل، ولذا فإننا نجد الجيش الأندلسي يصل إلى مرتبة متقدمة من التعبئة عند المعارك وذلك في عصر الطوائف -وما كان له أن يصل إليها لولا أنه ورث ذلك التنظيم عن الجيش الأموي- فقد أورد الطرطوشي نصاً تحدث فيه عن ترتيب الجيش عند لقاء العدو، فقال:

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٦٠-٣٧٣.

٢ - مختصر سياسة الحروب، ص ٣١.

٣ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١١٧.

"فأما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا، وهو أرجى تدبير نفعله في لقاء عدونا، أن نقدم الرجالة بالدرق الكاملة، والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة، فيصفوا صفوفهم، ويركزوا مراكزهم، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض، وصدورهم شارعة إلى عدوهم، وهم جاثمون في الأرض، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض ركبته اليسرى، وترسه قائم بين يديه، وخلفهم الرماة المختارون التي تمرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة، فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيآتها ولا يقوم رجل منهم على قدميه، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق، وصدور الرماح تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرة فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ماشاء الله"[1].

وأما مايتعلق بأساليب القتال فقد عرف الجيش الأموي بالأندلس عدداً منها، فهناك أسلوب الزحف، حيث يقاتل الجنود بصفوف منتظمة طويلة متراصة، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2] وقبل أن تتم عملية الالتحام المباشر بين الجيشين تكون هناك مبارزة بين بعض الأقران من الطرفين[3].

---

١ - سراج الملوك ص ٣٣٧.

٢ - سورة الصف آية رقم ٤. وعن أنواع الصفوف في اللقاء انظر: مختصر سياسة الحروب، ص ٣٤-٣٥.

٣ - سراج الملوك، ص ٣٣١-٣٣٢. أعمال الأعلام، ٢/٧٢.

وهناك أسلوب الكمائن الذي يعتمد على وضع فئة من الجند في مكان مستتر لاقتناص غفلة الأعداء، ومهاجمتهم لإلحاق أكبر قدر من الخسائر بهم[1]، وهذا الأسلوب يستخدم لإستخراج القوة المعادية وبالذات عند مهاجمة المدن إذ تتوجه مجموعات من الجيش ذات عدد قليل نسبياً فتهاجم المدينة، وعندما يرى المدافعون قلة عدد المهاجمين يغريهم ذلك بتتبعهم للقضاء عليهم، فيخرجون من مدينتهم، ويلاحقون المهاجمين، وهنا يظهر الكمناء من مكامنهم فيطبقون عليهم ويشتتون شملهم[2].

واستخدم الجيش الأموي كذلك أسلوب الحصار للمدن أو الحصون أو القلاع، فعند وصول الجيش إلى المنطقة التي يريد فرض الحصار عليها، يقوم الطبالون بقرع طبولهم بشدة، يرافق ذلك صيحات التكبير والتهليل من المقاتلين، وذلك لبث الرعب والرهبة في نفوس المدافعين، فإذا وصل الجيش الأسوار وزع القائد قواته وكلف كل فئة بإنجاز مهمة معينة، وزيادة في الاحتياط يقوم القائد بإرسال جزء من الجيش لفرض السيطرة على الأماكن القريبة من المنطقة المحاصرة، وذلك لمنع وصول الإمدادات العسكرية والمادية، مثلما فعل الوزير القائد هاشم بن عبدالعزيز عند محاصرته لعبدالرحمن ابن مروان الجليقي[3]، وبعد ذلك تبدأ عملية انتساف

١ - عن الكمناء ومايشترط بهم، انظر: مختصر سياسة الحروب، ص٥٠-٥١.

٢ - البيان المغرب، ٢/٨٤.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٣٦٨.

الزروع المحيطة بالمنطقة وحرقها وقطع كافة سبل المعيشة عن المحاصرين لإجبارهم على الاستسلام[1].

وفي بعض الأحيان لا يكتفى بفرض الحصار فقط بل تجري محاولة نقب الأسوار[2]، أو قطع قنطرة إن وجدت[3].

كما يستخدم "المنجنيق" وذلك لرمي المقذوفات من حجارة أو كرات نفط حارقة سواء في حالة الهجوم أو الدفاع.

وقد استخدم الأمويون المنجيق في حروبهم منذ بداية دولتهم في الأندلس، فالأمير عبدالرحمن الداخل استخدم أثناء حصاره لمدينة سرقسطة ستاً وثلاثين منجنيقاً[4]، واستخدمها محمد بن الأمير عبدالرحمن الأوسط عندما غزا بالصائفة إلى جليقية وحاصر مدينة ليون سنة ٢٣١هـ (٨٤٦م)[5] كما استخدمت في صد هجوم النورمانديين سنة ٢٣٠هـ (٨٤٥م) على إشبيلية[6].

وأما أسلوب بناء المدن العسكرية إزاء المدن التي يراد إسقاطها، فإنه يعتبر من أشد الوسائل فعالية، نظراً لما يوفر للمهاجمين من مساندة مادية

---

١ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٨٣، البيان المغرب، ٢/٨٤-٨٥.

٢ – البيان المغرب، ٣/٢١-٢٢.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٠٥-٣٠٦.

٤ – أخبار مجموعة، ص ١١٥.

٥ – البيان المغرب ٢/٨٨.

٦ – المصدر السابق،والصفحة.

ومعنوية مما يساعدهم على مواصلة الحصار حتى النهاية، وفي الوقت نفسه فإنه يدخل في نفوس المدافعين اليأس مما يرونه من توطين المهاجمين لأنفسهم على طول الحصار.

وقد أدرك الخليفة عبدالرحمن الناصر أهمية المدن العسكرية أو الحصون التي يقيمها لأجل محاصرة مناوئيه، ولذا نراها تنتشر في عهده ويستخدمها بكثرة، من ذلك أنه بنى في سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) مدينة عسكرية بالقرب من طليطلة سماها "مدينة الفتح" بجبل حرنكس[١] وفي سنة ٣٢٣هـ (٩٣٤م) حاصر مدينة سرقسطة فلم تستسلم، ولذا أقام بإزائها مدينة ارتفع بناؤها أعلى من بناء سرقسطة ذاتها فأصبح مابداخلها مكشوفاً للمهاجمين[٢]. وهذه المدن العسكرية كانت تشحن بالرجال والقواد والعساكر ويتولى أمرها أحد الوزراء[٣].

الحملات العسكرية

جرت العادة أن تخرج الحملات العسكرية ضد الشمال الأسباني في فصل الصيف[٤]، ولكن يحدث أن تصبح الصائفة شاتية، وذلك إذا اضطر الجيش للبقاء في جبهة القتال مثلما حدث للقائد أحمد بن محمد بن أبي عبده عندما شتى مضطرا سنة ٢٩٧هـ (٩١٠م) بأحد جبال كورة

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٢٨٣.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٦٤.

٣ - المقتبس ، تحقيق:شالميتا ص٢٨٣.

٤ - انظر: البيان المغرب ٢/٦٤.

قبره[١]، كما يمكن أن تكون الصائفة متجولة من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار[٢].

ولكن يحدث أن تكون هناك شاتية تخرج للشمال، فهذا الحاجب عبدالملك المظفر بن المنصور خرج في شتاء سنة ٣٩٨هـ (١٠٠٨م) على "رأس حملة نحو الشمال، وهي الغزوة السادسة من غزواته"[٣].

وعندما عزم شنجول على مواصلة المسيرة العسكرية لأبيه وأخيه خرج في أشد أوقات السنة برودة[٤]، متجهاً إلى جليقية.

والأمر هنا لايقتصر على صوائف وشواتي، فقد كانت هناك حملات ربيعية وأخرى خريفية[٥]، ومع توالي الحملات العسكرية ضد الشمال الأسباني، بدأت عملية إعمار الثغور الفاصلة بين الطرفين الإسلامي والنصراني، وذلك في أواخر عهد المنصور بن أبي عامر، ويبدو أن عملية الاستيطان هذه كانت من الضخامة والاتساع إلى الحد الذي جعل

---

١ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه ص ١٤٦. البيان المغرب ١٤٦/٢.

٢ – البيان المغرب، ١٣٩/٢.

٣ – المصدر السابق،٢١/٣.

٤ – نفسه، ص ٦٦.

٥ – العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٧٧-٨٠.

المنصور يندم على فعلته، ويتمنى لو تمكن من هدم كل ماعَمّره في منطقة الثغور[1].

وقد سار عبدالملك المظفر بن المنصور على نهج أبيه في إعمار الثغور[2]، حتى أنه جعل لكل من له رغبة في استيطان الثغور، إثبات اسمه في الديوان، ويتم صرف راتب له مقداره ديناران في الشهر، وله مع ذلك المترل والمحرث[3].

---

١ - عندما حضرت المنصور الوفاة، أخذ يبكي ولما سأله حاجبه كوثر الفتى عن سبب هذا البكاء أجابه قائلاً: "مما جنيت على المسلمين، فلو قتلوني وحرقوني ماانتصفوا مني،... لما فتحت بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالأقوات من كل مكان وسجنتها بها حتى عادت في غاية الإمكان، ووصلتها ببلاد المسلمين، وحصنتها غاية التحصين، فاتصلت العمارة، وها أنا هالك وليس في بني من يخلفني، وسيشتغلون باللهو والطرب والشرب، فيجيء العدو فيجد بلاداً عامرة وأقواتاً حاضرة فيتقوى بها على محاصرتها، ويستعين بوجدالها على منازلتها، فلا يزال يتغلبها شيئاً فشيئاً ويطويها طياً فطياً حتى يملك أكثر هذه الجزيرة، فلو ألهمني الله إلى تخريب ماتغلبت عليه وإخلاء ماتملكت.." انظر: ابن الكردبوس، ص٦٤-٦٥.

٢ - ذكر ابن عذاري أن الحاجب عبدالملك المظفر في غزوته الأولى سنة ٣٩٣هـ عهد إلى جنده ألا يحرقوا مترلاً ولايهدموا بناءاً، وذلك لما ذهب إليه من إسكان المسلمين في المناطق المفتوحة. انظر: البيان المغرب، ٣/٧.

٣ - المصدر السابق، ٣/٧.

وقد كان بنو أمية شديدي الإهتمام بأخبار الثغور ولهم عيون تأتيهم بأنبائها تباعاً، وإذا حدث أن أبطأت الأخبار عنهم فإنه يتم إرسال أحد الثقات ليقف على حقيقة الأمر.

فالأمير محمد بن عبدالرحمن عندما خفيت عليه أخبار الثغر استدعى رجلاً يدعى مطرف بن نصير فأمره باستطلاع الخبر، وضرب له أجلاً مقداره أربعة عشرة يوماً لايتجاوزها وإلا ضرب عنقه[١].

وإذا حدث أن هجم العدو على الأراضي الإسلامية، تولى أحد الوزراء مهمة استنفار الناس[٢] كما أن صاحب المدينة يقوم بحشدهم[٣] ولايؤذن لأحد بالتخلف إلا إن كان صاحب عذر شرعي، أو أغلق عليه باب داره شريطة ألا يغادرها إلا بعد عودة الجيش[٤].

وقد جرت العادة أن تخرج الصوائف في أواخر الربيع وأوائل الصيف، فالخليفة عبدالرحمن الناصر خرج إلى بنبلونه في يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر المحرم سنة ٣١٢هـ (مايو ٩٢٤م) وذلك بسبب إعتداء البشكنس على بني لب وبني ذي النون بحصن بقبره[٥].

---

١ - المقتبس: تحقيق:د.محمود مكي ص١٣٢-١٣٣.

٢ - المصدر السابق،ص١٤٠.

٣ - نفسه، ٤٤.

٤ - نفسه، ٤٥.

٥ - المقتبس، تحقيق:شالميتا ص١٨٩.

وبصفة عامة فإن الحملات العسكرية الضخمة لاتخرج إلا بعد إعداد مسبق لها، فالصوائف يبدأ التجهيز لها في شهر يونيه[1]، بعد أن تدرس الحالة الإقتصادية في الأقاليم التي سوف يمر عليها الجيش، وبالذات المحصولات، إذ أن الجيش كان يعتمد عليها في تمويله، يدل على ذلك أن السنوات التي يعم فيها القحط لاتكون فيها صائفة[2].

ويبدو أن المنصور بن أبي عامر قد فطن لهذا الوضع، فعمل على تجاوز تلك الحالات الطارئة التي سيحول وقوعها دون قيامه بغزواته، لأجل ذلك قام بإنشاء مستودعات ضخمة خزّن فيها المحاصيل، و لم يكتف بذلك بل كان يستغل سنوات الخصب فيشتري كميات ضخمة منها، ويدخلها في تلك المستودعات بالإضافة إلى مايأمر بزراعته من الشعير[3].

---

١ - أعمال الأعلام، ٩٨/٢.

٢ - البيان المغرب، ١٦٨/٢.

٣ - انظر: أعمال الأعلام، ٩٩/٢، ١٠٢، ويبدو أن المنصور كان يخزن في مستودعاته محاصيل ضخمة جداً، حتى داخله العجب بنفسه، ويذكر ابن الخطيب "أعمال الأعلام، ٩٩/٢. أن المنصور بعد أن علم أن مستودعاته تحوي أكثر من مائتي ألف مدي من الحبوب داخله العجب وقال: "أنا أكثر طعاماً من يوسف صاحب الخزائن" فتوالت بسبب هذه الكلمة سني القحط حتى أتت على جميع مدخراته بل كاد أهل الأندلس أن يذهبوا إلى العدوة المغربية بسببها. وهذا مؤشر على شخصية المنصور الطاغية المغرورة، وصدق الله العظيم، "كلا إن الإنسان ليطغى، آن رآه استغنى".

وبعد أن تؤخذ كافة الاستعدادات، ترسل الوفود إلى جميع كـور الأندلس للإستنفار وارتباط الخيل وتهيئتها للمشـاركة، وتقـرأ كتـب الاستنفار على المنابر جمعاً متتالية حتى تثوب نفـوس النـاس وتتحـرك للجهاد[١]، وهناك اهتمام خاص بأهل الثغر الأعلى وذلك لقربهم من بلاد الحرب وتعودهم على مصادمة رجالهم، وللطبيعة الجبلية الـتي خبروهـا، ولذا، فإن الأمير أو الخليفة يبعث إلى عمال الثغر بضـرورة الاسـتعداد للخروج والاشتراك مع الجيش القادم من قرطبة بمجرد اقترابه من جبهـة القتال[٢].

ورغم كل هذه الاستعدادات التي دأب الجيش الأموي بالأنـدلس على الأخذ بها عند تحركه للصائفة، نجد المنصور بن أبي عامر يقوم بجهد خاص لتوفير الخيول لرجاله، ففي الصائفة الأخيرة الـتي قادهـا سـنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م) أنفذ كتبه إلى سائر النواحي استدعى فيهـا جميـع المترجلين من فرسان الجند وأمرهم بالوصول إلى بابه ليشرف على إركابهم بنفسه. وبعد أمن لهم مايلزم من الخيل، خرج بالصائفة وقاد معه سبعمائة رأس من الخيل للطوارئ، واتخذ من عتاق الخيل خمسين رأسـاً لركابـه، وترك في قرطبة ألف رأس من الخيل، ورغم ذلك استمر في عملية ابتياع

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٥٦.

٢ - الثغر الأعلى الأندلسي، ص ١٥٨.

الخيل، فوصل مدينة سالم ومعه ألف رأس من الخيل زائدة عن حاجة الجيش[١].

مراسم وداع الحملات

وبعد أن يقرر الأمير أو الخليفة الخروج بالصائفة، يبرز لها في مكان محدد يعرف بفحص شقنده "Seconda" أو صحراء الربض بفج المائدة المطل على باب قرطبة الجنوبي[٢]، لكن الخليفة عبدالرحمن الناصر ترك البروز في هذا المكان[٣]، واتخذ عوضاً عنه مكاناً آخر يقع إلى الشمال من نهر الوادي الكبير بالطرف الشرقي من قرطبة، يعرف بمضرب أو مضطرب فحص السرادق[٤].

وهذا البروز هو بمثابة الإعلان الرسمي عن الحملة، وقد وصف ابن حيان فترة البروز هذه بالطول[٥]، فقد تستغرق مدة شهر[٦]، أو أكثر[٧]، يقوم الأمير أو الخليفة خلالها باستعراض الجند المتوافدين على الفحص من

---

١ – انظر التفاصيل في :أعمال الأعلام، ٢/١٠٠.

٢ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه ٩٤.

٣ – حدث أن برز الخليفة عبدالرحمن الناصر إلى فحص شقنده سنة ٣٢٨هـ انظر، المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٤٤٩.

٤ – المصدر السابق،ص ٢٨٧. نفسه، تحقيق:د.عبدالرحمن الحجي ص ٤٣.

٥ – المقتبس، تحقيق:شالميتا ص١٥٩.

٦ – المصدر السابق، ص ٤٣٣.

٧ – نفسه، ص ١٨٩.

كافة أنحاء الأندلس، حتى وإن كان لن يقود الحملة حرصاً منه للوقوف على مدى استعداد الجند للحملة.

وعندما وصف ابن حيان بروز الخليفة عبدالرحمن الناصر، ذكر أنه برز "دارعاً مستلثماً متقلداً سيفه، راكباً لأشقر معروف بالعتق، من جياد المقرنات، قد حفَّته قواده وكتائبه معبأة أحسن تعبئة"[١].

وإن تعذر خروج الخليفة مع الجيش، اكتفى بالجلوس على السطح فوق باب السدة في قصر قرطبة، لمشاهدة مسيرة الجيش، فإذا مر الجيش من أمام الخليفة، رفع يديه إلى السماء يدعو الله تعالى أن ينصرهم ويمنحهم السلامة، ولايترل يديه إلا بعد أن يغيب الجيش عن بيوت قرطبة، ويكون إلى جانبه ولي عهده يفعل مثل فعله[٢].

وأما الحاجب عبدالملك المظفر فقد برز وهو "شاكي السلاح في درع جديدة سابغة وعلى رأسه بيضة حديد مثمنة الشكل مذهبة شديدة الشعاع وقد اصطفت القواد والموالي والغلمان الخاصة في أحسن تعبئة فساروا أمامه وقد تكنفه الوزراء الغازون معه[٣]"، وقد جرت العادة أن يتجمع أهل قرطبة كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم لمشاهدة بروز الخليفة أو غيره حيث يصبح ذلك البروز مجال حديثهم أياماً عديدة[٤].

---

١ – نفسه ص٣٣٣-٣٣٤.

٢ – نفسه، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٢١.

٣ – البيان المغرب، ٥/٣.

٤ – المصدر السابق،٢٢٢/٢.

وبعد أن تكتمل الاستعدادات، ويتم عقد الألوية وفق الرسوم المتعارف عليها، ينطلق الجيش بقيادة الأمير أو الخليفة أو من ينوب عنهما إلى الجهة المتفق عليها، ويكون موعد الخروج بالحملة سراً لايعرفه إلا كبار المسئولين فقط، وحتى الجهة التي سيتوجه الجيش إليها لايعرفها إلا القادة، ففي أول غزوة للخليفة عبدالرحمن الناصر وهي مُونش سنة ٣٠٨هـ (٩٢٠م) والتي كانت بالأصل موجهة إلى ألبة والقلاع، خرج من قرطبة ومر بمدينة الفرج "وادي الحجارة Guadalajara" وبعدها وصل مدينة سالم، وتظاهر بأنه يريد الثغر الأعلى، لكنه فجأة عرَّج على طريق ألبة والقلاع وواصل سيره حتى بلغ هدفه[١].

والصائفة تخرج من قرطبة وتسلك الطريق المارة بطليطلة، ومنها إلى وادي الحجارة ثم إلى مدينة سالم ومنها إلى منطقة الثغر الأعلى، وبعدها تسير إلى محاربة النافار وقاعدهم ببنبلونه أو تسير إلى ألبة والقلاع ومنها لمحاربة مملكة ليون[٢].

ورغم أن هذه الطريق أصبحت المسار المعتاد للصوائف المتجهة إلى الشمال النصراني، إلا أن القائد البراء بن مالك سار سنة ٢٦٤هـ (٨٧٧م) إلى جليقية من ناحية الغرب أي من باب قلمريه "Golimbra" وقد حالفه التوفيق في حملته هذه[٣]، وفي سنة ٢٦٦هـ (٨٧٩م) جرت

---

١ - المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص ١٦١-١٦٣.

٢ - الثغر الأعلى الأندلسي، ص ١٥٧.

٣ - المقتبس، تحقيق:د. محمود مكي ص ٣٨٥. البيان المغرب ١٠٣/٢.

محاولة غزو جليقيه من ناحية المحيط الأطلسي، وكان القائد عبدالملك بن عبدالله بن محمد بن عبدالحميد بن مغيث، ورغم الأموال الطائلة التي صرفت على هذه الحملة والبروز الفخم الذي ظهر به القائد إلا أن الحملة فشلت نتيجة لغرق الكثير من المراكب بمن فيها بالمحيط[1].

وفي سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م) نجد الخليفة عبدالرحمن الناصر عندما خرج بالحملة ضد بنبلونه نراه يسلك طريقاً شرقياً، فقد اتجه أولاً إلى تدمير ومن ثم بلنسيه وبعدهما وصل إلى تطلية، فسيطر على حصن قَلهرة، ثم أمر بهدمه وتوغل في مملكة النافار[2].

وفي المعركة يكون مكان القائد العام للجيش القلب[3]، ويكون أثناء المعركة تحت المظل الخاص به، ومعه وجوه أهل الدولة[4]، ويكون موقع المظل على تل أو ربوة مرتفعة، حتى يتمكن من الإشراف على المعركة أثناء سيرها، ويوجه قواته وفق مجريات أحداثها[5].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٩٨. البيان المغرب ١٠٣/٢-١٠٤، ولكنه يسمي القائد بـ"عبدالحميد الرعيطي".

٢ - المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص ١٩٠-١٩١. البيان المغرب، ١٨٥/٢-١٨٦.

٣ - أعمال الأعلام، ٦٣/٢.

٤ - البيان المغرب، ١٠/٣.

٥ - أعمال الأعلام، ٧٠/٢-٧١.

وقد اعتاد بنو أمية ألا يحاربوا مناوئيهم إلا بعد إنذارهم، وذلك بإخراج الرسل والأمناء إليهم، علهم يفلحوا في إعادهم إلى الطاعة[١]، ولم يكن الأمر يقف عند هذا الحد، بل إن الأوامر تصدر إلى قادة الجيش الأموي بضرورة ملاينة بعض المناوئين وملاطفتهم، والعمل على استمالتهم إلى الطاعة وبذل الوعود الجميلة لهم[٢]، وذلك على الرغم من قدرة الجيش على الفتك بهم.

وبالمقابل نجد أنه بعد انتهاء المعركة التي تجري بين الجيش الأموي والقوات النصرانية، يتم تجميع رؤوس القتلى من النصارى، والتي تبلغ أحياناً حوالي عشرين أو ثلاثين ألف رأس[٣] وبعد أن تجمع تلك الرؤوس عند باب المظل، يصعد المؤذن فوقها ويرفع الأذان[٤]، ويتم بعث جزء من تلك الرؤوس إلى السواحل والثغور ومدينة قرطبة[٥]، ثم يبعث القائد بخطاب الفتح إلى قرطبة، ويكون الخطاب على نظيرين، أحدهما يرسل إلى

---

١ - المقتبس، تحقيق:شالميتا ص ٢٨٠.

٢ - المصدر السابق،ص ٧٠.

٣ - ابن القوطية، ص ٩٧. البيان المغرب، ٢/٩٥، ٩٩.

٤ - ابن القوطية، ص ٩٧. المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص ٢٩٨.

٥ - ابن القوطية، ص ٩٧. المقتبس، تحقيق:شالميتا ص ١٢٤، ١٩٣. البيان المغرب ٢/٩٥، ٢٠٠.

الأمير أو الخليفة، والآخر يتلى على المنابر[١] كما تبعث عدة نسخ إلى كافة الكور ليتلى نبأ الانتصار على منابرها.

وتكون كتب الفتوح موشحة توشيحاً خاصاً بها، حيث تتحدث عن قدرة المسلمين وسطوهم بأعداء الدين، واستباحتهم لهم وقدرهم عليهم[٢].

وبعد أن يعود الأمير أو الخليفة من الغزو، تعلق الألوية على جدران المحراب بالمسجد الجامع[٣]، ويجلس الخليفة للتهنئة، ويتبارى الشعراء في إلقاء قصائدهم بين يديه، وكلها تثني على حسن بلائه، وتبارك له بالنصر، وتدعوا له بدوام العز وطول البقاء[٤].

وإن كان الجيش بقيادة أحد القادة، جرى له احتفال كبير عند عودته مظفراً، وأشهر احتفال جرى لقائد، هو الاحتفال الذي أقامه الحكم المستنصر بالله للوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن بعد أن عاد من العدوة المغربية ومعه حسن بن قنون وأنصاره وذلك في أوائل شهر المحرم سنة ٣٦٤هـ[٥] (سبتمبر ٩٧٤م).

---

١ - المصدر السابق، ٢٣/٣.

٢ - الذخيرة ق١م١ ص٣٧.

٣ - أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص ٣٦٨.

٤ - المقتبس، تحقيق:شالميتا ص ٤٢٣.

٥ - المقتبس، تحقيق:د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٩٤-٢٠٢.

وهناك موظف خاص يتولى تلاوة كتب الفتح، وخطته تعتبر من أدنى الخطط، ومن الذين تولوها أبو محمد عبدالله بن محمد الجهني، ت ٣٩٥هـ[١] (١٠٠٥م).

وبمقابل كتب الفتوح نجد أن كتب استنزال العصاة تبعث إلى كافة نواحي الدولة لتتلى على المنابر[٢].

والجيش الأموي امتاز بالانضباط التام، ووصل ذروة ذلك الانضباط في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، فقد ذكر ابن سماك المالقي[٣] أنه بلغ من شدة المنصور في هذا الأمر أنه إذا استعرض جنده أطرقوا، بل إن خيولهم تمتثلهم، فلا تكثر الصهيل والحمحمه، وحدث في أحد استعراضاته لجنوده، أن أقدم أحد الجنود الذين يقفون في الصفوف الخلفية على سل طرف سيفه عبثاً منه، ظاناً منه ان المنصور لايراه، فشاء الله تعالى أن وقعت عين المنصور على بريق السيف، فأمر بإحضار الجندي، وبعد أن

---

١ - ترتيب المدارك، ٢٠٩/٧-٢١٠، ومتولي هذه الخطة ليس له رزق ولا صلة. انظر: الصلة، رقم ٥٥٧.

٢ - المقتبس تحقيق:شالميتا ص ٥٥.

٣ - عن ابن سماك انظر: الزهرات المنثورة، مقدمة المحقق ص ٥-١٨. ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، (تحقيق:د.احسان عباس، دار الثقافة بيروت بدون تاريخ) ص٢٩٩-٣٠١، قارن نفح الطيب، ٤١٧/١ حاشية رقم ١.

عاتبه قليلاً مذكراً إياه بأنه لايجوز لأحد في مثل هذه المواقف أن يشهر سيفاً إلا بإذنه أمر بضرب عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه[١].

وإذا حل العيد والجيش في جبهة القتال، فإن القائد يقيم لجنده مأدبة في صبيحة يوم العيد، وهذا ماكان يفعله الخليفة عبدالرحمن الناصر سواء حل عليه العيد وهو بقرطبة أو في الغزو[٢]، كما أن الأطعمة الزائدة في الجيش والتي يتم الاستيلاء عليها من جراء اكتساح أراضي الأعداء، تجمع ومن ثم تحرق[٣] وذلك لئلا تعيق حركة الجيش، ولمنع الأعداء من الإستفادة منها تحت أي ظرف طارئ.

كذلك يشهد معسكر الجيش في بعض الأحيان إستقبالات رسمية لوفود تطلب الأمان، فالخليفة عبدالرحمن الناصر خرج سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) في غزوة "وخشمة" ناحية سرقسطة، ثم رأى أن يقتحم أراضي بنبلونة لمجاورتها لأراضي الثغر الأعلى الأندلسي، فلما علمت الملكة طوطه "تيودا" ابنة شنير ملكة النافار بما عزم عليه الخليفة أرسلت إليه رسلها طالبة الأمان، فاشترط عليها أن تأتي إليه وتظهر خضوعها له، فامتثلت

---

١ - الزهرات المنثورة: الزهرة الثامنة والأربعون، ولعل هذه الحادثة أبلغ دليل على النهج التسلطي الذي كان المنصور يسير عليه، فقد كان يكفي لتأديب الرجل أي نوع من أنواع العقاب، بحيث لايصل إلى إيذائه جسدياً فضلاً عن إزهاق روحه.

٢ - المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص ٤٠١.

٣ - المصدر السابق،ص١٧٦. البيان المغرب ٢/١٨٠.

لأمره وحضرت لمعسكره، فجرى لها استقبال فاخر، وحقق لها الخليفة مرادها[١].

ولاشك أن الحملات العسكرية بأنواعها، والتي كان الجيش الأموي يقوم بها، كانت تكلف خزينة الدولة الشيء الكثير، ويكفي للدلالة على ذلك أن الخليفة عبدالرحمن الناصر كان يخصص ثلث دخل دولته للصرف على جيشه[٢].

وذكرت بعض المصادر دخلاً آخر مخصص للصرف على الجيش مثل "الناض للحشد" وهي ضريبة لايستثنى منها أحد من الرعية، ويقدم لنا العذري عند حديثه عن قرطبة وأقاليمها معلومات إقتصادية دقيقة، وبالذات مايتعلق منها بتلك الضرائب، فإقليم المدَّور " Almodovar Del Rio" الذي يقدم من الناض ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون مثقالاً، ومن الطبل للعام أربعة آلاف ومائة وأربعون دينار[٣]، وأما إقليم "الهزهاز، فكان يقدم للطبل العام أربعة آلاف وأربعمائة وتسعة وثمانون ديناراً[٤].

وهذه الضرائب -لاشك- بأنها كانت تشكل عبئاً إقتصادياً على الرعية، ولذا، فإن من الأساليب التي اتبعها خلفاء وأمراء بني أمية في التحبب إلى رعاياهم هي إسقاط جزء من تلك الضرائب عنهم، فهذا

١ - انظر: تفاصيل الاستقبال في المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص ٣٣٥-٣٣٦.

٢ - المغرب في حلى المغرب، ١٨٣/١.

٣ - نصوص عن الأندلس، ص١٢٤-١٢٥.

٤ - المصدر السابق،ص ١٢٦.

الأمير المنذر بن محمد عندما تولى الإمارة أسقط عشر المغارم عن الرعية[١]، كما أن الخليفة الحكم المستنصر اغتنم فرصة شفائه من مرض ألم به سنة ٣٦٤هـ (٩٧٥م) فأسقط عن رعيته سدس جميع مغرم الحشد[٢]. وفي عهد المنصور بن أبي عامر ازدادت الحملات العسكرية كثافة، وتبع ذلك زيادة هائلة في النفقات اللازمة لاعداد تلك الحملات، فكان الإنفاق يصل أحياناً إلى خمسمائة ألف دينار[٣].

ونختم الحديث عن الجيش بإلقاء الضوء على أهم النتائج، والذي يهمنا في هذه الدراسة الغنائم، فبعد أن تقسم الغنيمة وفق نصوص الشريعة الإسلامية، يقسم الباقي على المقاتلين بطريقة متفاوتة تخضع للرتبة العسكرية والحالة الإجتماعية، وفي سبيل الحصول على سيولة نقدية يسارع الباقي من المقاتلين إلى بيع نصيبه من الغنيمة[٤].

ومن الغنائم: السبي الذي يؤتي به من الإمارات والممالك النصرانية الشمالية، وكان قسم من هذا السبي يوزع على أهل الرباط والفرسان والوفود[٥].

---

١ - أعمال الأعلام، ٢/٢٥. البيان المغرب، ٢/١١٤.

٢ - المقتبس، تحقيق:د.عبدالرحمن الحجي، ٢٠٧.

٣ - أعمال الأعلام، ٢/٩٨.

٤ - أبو رميلة، نظام الحكم في الأندلس، ص ٣٨٠.

٥ - البيان المغرب، ٢/٢٣.

أما الأسرى من النصارى فيحدث أحياناً أن يدعوهم الخليفة للإسلام فإذا أسلموا صيرهم في جملة غلمانه[١]، وفي أحيان أخرى يتم قتل الأسرى في المعسكر أمام الخليفة[٢]، كما يتم إعطاء بعضهم لبعض الأسر المسلمة ليفادوا بهم أسراهم الذين وقعوا في أيدي النصارى[٣].

وأما الأسرى من المسلمين فهناك عدة أساليب لإطلاق سراحهم فبالإضافة إلى مبادلتهم بالأسرى النصارى، نجد الدولة تعطي أهل الأسير المسلم مبلغاً من المال لفدائه[٤]، وإن كان الواقع في الأسر أحد الشخصيات المهمة في الدولة، تولت حكومة قرطبة دفع فدائه، فالوزير القائد هاشم بن عبدالعزيز عندما وقع أسيراً لدى ألفونسو الثالث بن أردون الأول ملك اشتوريس سنة ٢٦٢هـ[٥] (٧٨٧م) مكث سنتين في أسره، دفع الأمير محمد مبلغ مائة وخمسين ألف ديناراً فداءاً له[٦]، ويبدوا أن فداء الأسير المسلم إذا كان من ذوي الفئة الاجتماعية المتوسطة لايتجاوز خمسة آلاف دينار، يدل على ذلك ماورد لدى ابن الفرضي في ترجمته للقاضي عمر بن يوسف الأموى قاضي تطيلة "من سنة ٣٢٥-

---

١ - المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص ٤٨٢-٤٨٣.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٩٨.

٣ - البيان المغرب ٧٣/٢.

٤ - المصدر السابق والصفحة.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٧٨.

٦ - ابن القوطية، ص٨٩. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٨٦-٣٨٧.

٣٣٧هـ (٩٣٧-٩٤٨م) "أنه وقع بالأسر هو وابنه وأخوه فتم دفع خمسة عشر ألف دينار نظير إطلاق سراحهم[1].

وفضلا عما سبق، فإن الأساليب التي يتم بموجبها إطلاق سراح الأسرى المسلمين، أن أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس عرف عنهم أن أعظم هدية يقدمها لهم ملوك نصارى الشمال هي إطلاق مجموعة من الأسرى المسلمين، من ذلك أن القومس بون فلي بن سندريط Sinderedo وصل إلى قرطبة سفيراً من قبل بريل بن شنير حاكم برشلونة، وذلك في نهاية شعبان سنة ٣٦٠هـ (٩٧١م) وتقرب إلى الخليفة الحكم المستنصر بتقديم هديته التي هي عبارة عن ثلاثين أسيراً مسلماً مابين ذكر وأنثى وذلك لعلمه أن هذه الهدية هي أفضل مايبتهج به الخليفة ويكافئ عليه[2].

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٩٥٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٢٠-٢١.

خطة الأسطول[1]

إن المتأمل في جغرافية الأندلس، يدرك أن لامناص لأهلها من توجيه العناية التامة بالبحر وما يتعلق به، سواء تم ذلك بتنظيم رسمي أو شعبي. ورغم وجود كافة الدوافع الضرورية الكفيلة بقيام بحرية قوية في الأندلس إلا أن الدولة الأموية في بداية عهدها لم تلق بالاً لهذه المسألة، فلا نجد أثراً لأسطول بحري منظم، يكون مكملاً للقوة البرية الدولية[2].

إلا أن ذلك لايعني أن الأندلس كانت في عهد الولاة خالية من مراكب بحرية تجري بين العدوتين، يدل على ذلك أن بلج بن بشر القشيري عندما أراد دخول الأندلس، أنشأ قوارب واستعان ببعض مراكب البحاره وبذلك تمكن من دخول الأندلس[3]. كما أن المركب الذي أوصل الأمير عبدالرحمن الداخل الأندلس، كانت تحت قيادة رجل يدعى أبا فريعة، كان له بصر في ركوب البحر[4]، وهذا مما يدل على وجود رجال ذوي خبرة في المجال البحري.

---

١ – عن مصطلح كلمة "الأسطول" ومدلولاتها وأصلها. انظر: د.علي محمود فهمي: التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط، من القرن ٧ حتى القرن ١٠م، (ترجمة: د.محمود عبده قاسم، دار الوحدة، بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨١م) ص ١٣٧-١٤٠.

٢ – د.حسين مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط ص ١٢.

٣ – ابن القوطية ص ١٦.

٤ – المصدر السابق ص٢٤.

ويبدو أن هناك أسباباً حالت دون قيام أمراء قرطبة بإنشاء قوة بحرية تحمي سواحل إماراهم، فالمتصفح لعهد الأمير عبدالرحمن الداخل، على سبيل المثال، يجد أنه مليء بالفتن الداخلية والحروب الخارجية، وهذه المشاكل استمرت طيلة عهده، ولايخفى مالمثل هذه المشاكل من أثر سيء على التنمية الداخلية لأي دولة كانت.

يضاف إلى ذلك أن الممالك والأمارات النصرانية الشمالية المجاورة للدولة الأموية بالأندلس، لم تكن لها سمعة في المجال البحري، حتى يحسب الأمويون حسابها، في حين أن السواحل الجنوبية كانت تطل على بلاد إسلامية، لذا أمن الأمويون من المخاطر التي تأتيهم عن طريق السواحل. هذه الأسباب تضافرت فيما بينها، لتقف حائلاً دون التبكير في قيام قوة أموية بحرية.

لكن هناك خبر أورده شكيب أرسلان ذكر فيه: أن الأمير عبدالرحمن الداخل قد بث الحركة والحيوية في مراسي طركونة[1] وطرطوشة وقرطاجنة وإشبيلية والمريه وغيرها[2].

---

١ - طركونة "Tarragona" مدينة ساحلية قديمة، على البحر المتوسط، اشتهرت بانتاج الرخام المحكم الصبغة، ولها أحواز كثيرة وحصون منيعة تتصل بنواحي برشلونة وتبعد عنها بنحو مائة كيلو متر، وقد خرجت طركونة من أيدي المسلمين سنة ٤٧٢هـ، انظر، وصف الأندلس للرازي، ص ٧٣. تعليق منتقى، ص٢٨٦، ذكر بلاد الأندلس، ٧٢،١ الروض المعطار، ص٣٩٢، الآثار الأندلسية الباقية، ص١١٧-١١٨.

٢ - تاريخ غزوات العرب ص ١٣٩.

ومهما يكن من ملاحظات على هذا الخبر[1]، إلا أنه يفيد أن بني أمية بقرطبة كانوا مدركين لأهمية التكامل بين القوتين البرية والبحرية، وأنهم كانوا بانتظار الفرصة المناسبة لايجاد التوازن بينهما من خلال إنشاء أسطول بحري يحمية سواحل بلادهم.

وأما ما ذهب إليه بعض المختصين بالدراسات الأندلسية، من أن التقارب بين أمراء قرطبة وأباطرة بيزنطة، واشتراكهم في معاداة العباسيين، قد طمأن بني أمية بأن سواحلهم في مأمن من أي هجوم طارئ[2]، فهي وجهة نظر لايمكن الأخذ بها، إذ لم تورد المصادر التاريخية مايدل على قيام أي من الأمويين أو البزنطيين بعمل عسكري ضد العباسيين لصالح الطرف الآخر.

وإذا كانت دولة بني أمية بالأندلس قد تأخرت في إنشاء أسطول بحري منظم، فإن ذلك لم يحل دون قيام جماعات بحرية، كان لها حضوراً مميزاً في المجال البحري، أثبتت فيه كفاءتها القتالية، وأصبحت حامية

١ - ذكر أرسلان في المرجع السابق ص ١٣٩، أن الأمير الداخل قام بهذه الأعمال سنة ٧٩٣م (١٧٦-١٧٧هـ) وهذا كما يتضح من التاريخ بعد عهد الأمير الداخل.

٢ - د. السيد عبدالعزيز: د.أحمد العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ١٤٨/٢.

للسواحل الشرقية للأندلس، بل إنها كانت تقوم بمهاجمة موانئ الإمبراطورية الفرنجية[١].

وبقدر ماكان الساحل الشرقي للأندلس يعج بالحركة وتحميه المراكب، إلا أن الساحل الغربي كان مكشوفاً لاحماية له، بل إن وضع البحرية الأموية في الأندلس ككل انكشف عند هجوم سفن النورمانديين على الأندلس.

ففي يوم الأربعاء أول ذي الحجة سنة ٢٢٩هـ[٢] (٢٠ أغسطس ٨٤٤م) ظهرت أمام سواحل اشبونة، مراكب الغزاة النورمانديين، فسارع عاملها وهب الله بن حزم بإرسال كتاب إلى الأمير عبدالرحمن الأوسط ذكر فيه أنه حل بالساحل قبلة أربعة وخمسون مركباً من مراكب المجوس[٣]، معها أربعة وخمسون قارباً[٤]، فكتب إليه الأمير عبدالرحمن الأوسط وإلى كافة عمال السواحل يأمرهم بالتحفظ وأخذ الحيطة اتقاء

---

١ - انظر: تاريخ العرب العام، ص ٣١١، القوى البحرية، ص١٦٢-١٦٤، ٢٢٩-٢٣٠، تاريخ غزوات العرب، ص١٤٠-١٥٠،١٤٢. أثر ظهور الإسلام في البحر المتوسط، ص١٢١. بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، ص٦١٤. جزر الأندلس المنسية، ص٧٠،٦٦،٦٤.

٢ - غارات النورمانديين على الأندلس ص ٣١.

٣ - المقصود به هم النورمانديين، فقد كان المسلمون يطلقون عليهم اسم المجوس، لأنهم كانوا يشعلون النيران في كل موضع يمرون فيه، لأجل ذلك حسبهم المسلمون مجوساً، انظر المرجع السابق ص٢٤.

٤ - البيان المغرب، ٢/٨٧.

شر المفاجآت، إلا أن النورمنديين هاجموا إشبونه لكنهم اضطروا لمغادرتها نتيجة المقاومة العنيفة من أهلها[1] فسارت مراكب النورمانديين إلى الجنوب بمحاذاة الساحل، فدخل بعضها قادش وبعضها شذونه[2]، ولكن معظم المراكب تجمعت عند مدخل الوادي الكبير، حيث تقدمت نحو إشبيلية، فاحتلوا جزيرة قبطيل[3] "Cabtel" في اليوم الثامن من شهر محرم سنة ٢٣٠هـ (سبتمبر ٨٤٤م) ونظراً لما تمتاز به هذه الجزيرة من وفرة الخيرات[4] فقد تحصن بها النورمانديين، واتخذوا منها مركزاً لانطلاق هجماتهم على إشبيلية، وبعد ثلاثة أيام دخلوا قرية قورية " Coria Del Rio" الواقعة على بعد اثنى عشر ميلاً من إشبيلية، وذلك في يوم الاثنين الثاني عشر من محرم، وفي اليوم الثالث عشر دخلوا قرية طلياطه[5]

---

١ - نصوص عن الأندلس ص٩٨.

٢ - البيان المغرب ٢/٨٧.

٣ - نصوص عن الأندلس ص٩٨. قبطيل، تكتب باللاتينية **Capirale** وكلمة قبطيل تعني القناة، والقبطيل بالأندلس هو مفرغ وادي طرطوشة في البحر، ويعرف أيضاً بالعسكر لأنه موضع عسكر بن النورمانديون واحتفروا حوله خندقاً. انظر، الروض المعطار، ص١٥٤ والحاشية رقم ٢ ص ٩٨.

٤ - غارات النورمانديين ص٣٢.

٥ - نصوص عن الأندلس، ص ٩٩، الروض المعطار ص ٣٩٥. غارات النورمانديين، ص٣٧ حاشية رقم ١ طلياطه، قرية كانت على سبع مراحل شمال اشبيلية، وتسمى اليوم **Tejada** وهي اليوم خرائب مهجورة **Despolado** على بعد ٣٠ كيلو متراً شمال غربي اشبيلية. انظر الحلة السيراء ٢/١٨٣، حاشية رقم ٢. الروض المعطار، ص ٣٩٥.

"Tliata" فارتج أهلها وأخلوها إلى جبالها وإلى قرمونـــة[١]، وفي يـــوم الأربعاء الرابع عشر من محرم سنة ٢٣٠هـــ[٢] (سبتمبر ٨٤٤م) وصـــل النورمانديون إشبيلية في مراكبهم ذات الأشرعة السود التي "كأنما ملأت البحر طيراً جوناً كما ملأت القلوب شجواً وشجوناً[٣]" فدخلوا إشبيلية وقتلوا من المسلمين أعداداً كبيرة، وأقاموا فيها بقية يومهم ثم غادروها من الغد[٤].

بعد هذه الأحداث وصلت القوات الأموية، قادمة من قرطبة وعلى رأسعها أربعة قادة من كبار رجالات الأمير عبدالرحمن الأوسط[٥]، فنزلوا بمن معهم في موضع يقال له مشدوم، يقع شرقي إشبيلية وجرت معركـــة بينهم وبين النورمان قتل فيها منهم نحو سبعين رجلاً، ثم انهزموا ولجأوا إلى مراكبهم، فأحجم قادة الجيش الأموي عن مطاردتهم مكتفين بما ألحقـــوه بهم من هزيمة سريعة[٦]، فغضب الأمير عبدالرحمن من تصرفهم وأمـــرهم بالعودة إلى قرطبة وأرسل قوة عسكرية بقيادة محمد بن سعيد بن رســـتم

---

١ – ابن القوطية ص ٦٣.

٢ – المغرب في حلى المغرب: ٤٩/١.

٣ – البيان المغرب ٨٧/٢.

٤ – نصوص عن الأندلس، ص ٩٩، المغرب في حلى المغرب ٤٩/١.

٥ – هم: عبدالله بن المنذر وعيسى بن شهيد وعبدالواحد بـــن يزيـــد الأســـكندراني وعبدالرحمن بن كليب بن ثعلبه.

٦ – نصوص عن الأندلس، ص ٩٩.

ومعه بعض الوزراء ومن توافد على قرطبة من رجال الكور، فنزل الجميع في قرمونة[1]، وقدم موسى بن موسى القسوي بمن معه من رجال الثغر الأعلى[2] بعد أن استنجد به الأمير عبدالرحمن للمساهمة في دفع أولئك النورمانيين، وقد ذكر ابن القوطية، الذي انفرد بذكر مشاركة موسى في قتال النورمانيين، أن موسى عندما وصل إلى قرمونة لم يختلط بقوات الإمارة، بل انعزل جانباً[3]، رغبة منه في عدم الوقوف تحت راية نصر الفني كبير رجال قصر الأمير عبدالرحمن الأوسط[4].

واجتمع موسى بالوزراء قادة الجيش الأموي وعلى ضوء المعلومات المتوفرة وضع خطة عسكرية محكمة، فتمكن المسلمون من طرد النورمانديين من إشبيلية[5]، وفرضوا عليهم حصاراً قوياً في طلياطه التي لجأوا إليها، وتم نصب المناجيق على جانبي الوادي الكبير، فقتل من الغزاة نحو خمسمائة[6]، بما فيهم قائدهم[7]، فلاذ باقيهم بالفرار بعد أن وصلت

---

١ - ابن القوطية ص ٦٣.

٢ - ذكر ابن سماك العاملي أن قائد الجند بسرقسطة قاعدة الثغر الأعلى كان أحد الثلاثة الذين يعمد الأمير أو الخليفة الأموي بالأندلس إلى استشارتهم في معضلات الأمور التي تهم الدولة. انظر: الزهرات المنثورة: الزهرة الثالثة والثمانون.

٣ - تاريخ افتتاح الأندلس ص٦٣.

٤ - غارات النورمانديين على الأندلس ص ٣٦.

٥ - المطرب، ص١٣٠. تاريخ البحرية الإسلامية: ١٥٧/٢.

٦ - نصوص عن الأندلس ص ١٠٠.

٧ - المطرب ص ١٣٠، تاريخ البحرية الإسلامية ١٥٧/٢.

قوات إضافية حكومية، حيث واصل من نجا من النورمانديين فرارهم نحو أشبونه، ومنها عادوا أدراجهم إلى مواطنهم الأولى[١].

وهناك مجموعة من الغزاة لم تتمكن من الرحيل إلى بلادها، ولـــذا فقد تحصنوا في جزيرة قبطيل، فحاصرهم القائد ابن رستم فاستســـلموا، ودعاهم إلى الدخول في الإسلام فاستجابوا، واستقروا في جنوب مدينـــة إشبيلية، واشتغلوا بتربية الماشية، وذاعت شهرتهم بصناعة اللبان وأجـــود أنواع الجبن[٢].

ولقد استوعب الأمير عبدالرحمن الأوسط الدرس الذي لقنه إيـــاه النورمانديون، فأصدر أوامره بتسوير إشبيلية، وكان صدور هذا القـــرار بمشورة من الفقيه عبدالملك بن حبيب الذي كتب للأمـــير عبـــدالرحمن، وكان في ذلك الوقت مشتغلاً بزيارة جامع قرطبة .." إن بنيـــان ســـور إشبيليه وتحصينها أوكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجـــامع[٣]" ثم أصدر قراراً آخر يقضي بتحصين السواحل الغربيـــة والجنوبيـــة الغربيـــة للأندلس فأنشأت الرباطات والمحارس من اشبونة إلى إلى أرقش، وتسابق

---

١ - نصوص عن الأندلس ص ١٠٠.

٢ - تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ص ٢٣٧. L.provoncal Op. Cit v.I p: 244 .

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٢٤٤.

المجاهدون في سبيل الله إلى سكني تلك الأربطه والمحارس حفاظـاً علـى أرواح المسلمين[١].

وذكر ابن القوطية أن الأمير عبدالرحمن الأوسط قد أصدر أوامـره بإنشاء دار صناعة بإشبيلية[٢] وبالرغم من أهمية هذا الخبر، إلا أنه يجب أن نأخذه بحذر، إذ أنه يتعارض مع خبر سابق أورده ابن القوطيـة نفسـه، وذلك عندما ذكر أن سارة القوطية بنت المند قد أنشأت مركباً بإشبيلية، وذهبت به إلى الشام، حيث قابلت الخليفة هشام بن عبدالملك بدمشـق ورفعت إليه ظلامتها بسبب اعتداء عمها ارطباس عليها[٣]، ومن خـلال هذا الخبر يمكن القول بأن داراً للصناعة بإشبيلية كانت قائمة قبل بني أمية إلا أنها تعطلت لسبب من الأسباب وظلت كذلك حـتى أعـاد الأمـير عبدالرحمن الأوسط تشغيلها مرة ثانية فنسبت إليه[٤]. كما وجه الأمـير عبدالرحمن الأوسط عنايته لثغر طرطوشة، واتخذ منها قاعدة من قواعـد الأسطول التابع لإمارته، ومن أجل ترغيب رجال البحـر الأندلسـيين المتواجدين بالقرب من ذلك الثغر، فقد أمد عامله على طرطوشة عبيد الله بن يحيى بن خالد بالأموال والجند، وبتشجيع من الأمير قام العامل بإجراء القطائع على المرابطين بالساحل لديه، كما صرف لهم الرواتب والنفقات

---

١ – غارات النورمانديين على الأندلس ص ٤١.

٢ – تاريخ افتتاح الأندلس ص ٦٧.

٣ – المصدر السابق ص ٥.

٤ – تاريخ البحرية الإسلامية ٢/١٦١.

والعلوفات مما في يده من مال إمارة قرطبة[١]، كل هذا ترغيباً من الأمير عبدالرحمن الأوسط لرجال البحر الأندلسيين للعمل بقواته واستعانة منه بخبرتهم البحرية لإدارة أسطوله الناشئ.

ومما يدل على وعي الأمير عبدالرحمن الأوسط في كيفية انتقاء الرجال، أنه استفاد من تجربة أسلافه بالمشرق عند إنشائهم للبحرية هناك[٢]. فكما أن الأمويين في الشام اعتمدوا على القبائل اليمنية في هذا المجال، نجد الأمير عبدالرحمن الأوسط يعمد إلى جماعة من بني سراج القضاعين نزلوا في بسيط ساحل يعرف ببجانة Pichina يقع بالقرب من مصب وادي أندرش Rio Andarax شرقي المرية فيكلفهم بالمرابطة على الساحل وحراسته ضد أي اعتداء خارجي[٣]، وقد عُرفت المنطقة التي أصبحت تحت حماية بني سراج بـ"أرش اليمن أي أعطيتهم ونحلتهم[٤]" فهم يستثمرون المنطقة ويتمتعون بخراجها مقابل حمايتهم للساحل.

وقد شهدت البحرية الأموية في الأندلس تطوراً كبيراً في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط مما مكنها من تحقيق حضور قوي في عدة ميادين

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٦.

٢ – عن نشأة البحرية لدى الأمويين في الشام، انظر، تاريخ البحرية الإسلامية ١/١٥-٢٨.

٣ – مؤنس المسلمون في حوض البحر المتوسط ص ١٢٣.

٤ – العذري، ترصيع الأخبار ص ٩٢، الروض المعطار ص ٧٩.

حربية لعل من أهمها ماوقع سنة ٢٣٤هـ (٨٤٨م) عندما توجه الأسطول البحري الأموي المكون من ثلاثمائة سفينة لتأديب أهل جزيرتي ميورقة ومنورقة وفي ذلك يقول ابن حيان عند حديثه عن أحداث هذه السنة "وفيها أغزى الأمير عبدالرحمن أسطولاً من ثلاثمائة مركب إلى أهل جزيرتي ميورقة ومنورقه لنقضهم العهد وإضرارهم بمن يمر إليهم من مراكب المسلمين ففتح الله للمسلمين عليهم وأظفرهم بهم فأصابوا سباياهم وفتحوا أكبر جزائرهم[١]".

وعندما تولى الإمارة الأمير محمد بن عبدالرحمن سار على نهج والده في ضرورة الاستعداد البحري الدائم فأخذ يقوي أساطيله حتى أنه أنشأ سبعمائة غراب[٢] فأصبحت القطع البحرية تقوم بما يمكن تسميته بوحدات دورية تقوم بمهام خفر السواحل إذ أنها تمسح السواحل المطلة على البحر المتوسط والمحيط إلى سواحل جليقية جيئة وذهاباً ترقباً لوصول أي غزاة.

ولذا عندما قام النورمانديون بهجومهم الثاني على السواحل الأندلسية سنة ٢٤٥هـ (٨٥٩م) وجدوا البحر محروساً ومراكب الأمير محمد فيه جارية مابين حائط أفرنجية في الشرق إلى أقصى حائط غليسية في الغرب[٣] وجرت صدامات عسكرية حاول فيها الغزاة تكرار فعلتهم

---

١ - المقتبس تحقيق د.محمود مكي ص ٢-٣.

٢ - ابن الكردبوس ص ٥٧. المؤنس ص٩٩.

٣ - المقتبس تحقيق د.محمود مكي ص ٣٠٨.

الأولى، لكنهم لم ينجحوا رغم استشهاد بعض المسلمين بسببهم[١]، فعاد الغزاة أدراجهم من حيث قدموا بعد أن خسروا بعض مراكبهم وعدد من مقاتليهم[٢].

وقد ورد لدى ابن حيان[٣] والعذري[٤] أن مراكب النورمانــديين ظهرت في سنة ٢٤٧هـــ (٨٦١م) قبالة الساحل الأندلسي وبالتحديــد بالقرب من الجزيرة الخضراء لكنهم وجدوا السواحل تخضــع لحراســة مشددة كما أن أمواج البحر حطمت لهم أربعة عشر مركباً، فآيسوا من غزوهم هذه ولذا سارعوا بالعودة من حيث أتوا.

وبصفة عامة، فقد اشتدت الرقابة على السواحل الأندلسية بحيــث يتم رفع كل خبر عنها صغير أو كبير إلى الأمير محمد بن عبدالرحمن، بل لقد بلغ الأمر بعامل بجانه عمر بن أسود الغساني أن رجاله وجدوا بالقرب من الساحل خشبة فأخذوها، فكتب العامل كتاباً بخبرها وطولها وعرضها ورفعه للأمير محمد، الذي شكر لعامله مدى استقصائه في ضــبط ثغــره

---

١ - انظر نصوص عن الأندلس ص ١١٩ ابن القوطية ص٦٨. المقتبس تحقيق د.محمود مكي ص ٣٠٨-٣٠٩. الروض المعطار، ص٢٢٣، تاريخ البحرية الإسلامية ٢/١٧٠.

٢ - انظر التفاصيل في المقتبس، تحقيق د.محمود مكي ص ٣٠٩، دولــة الإســلام في الأندلسن ع١ق١ص٢٩٧. غارات النورمانديين على الأندلس ص٧٢.

٣ - المقتبس تحقيق: د.محمود مكي ص٣١١.

٤ - نصوص عن الأندلس ص ١١٩.

والاهتمام بما يوكل إليه[١]، وأورد الحميري في روضه[٢] تفصيلات مهمة في هذا المجال فقد ذكر أن حكومة بني أمية بقرطبة ماكانت تسمح لأحد بمغادرة الأندلس إلا بسراح أي تصريح رسمي ولاتأذن لأحد بالدخول إلى البلاد إلا بعد أن يعرف من هو ولماذا هو قادم ومن أين أتى وإذا وجـد قارب يزيد طوله على اثني عشر ذراعاً ممسوح العجـز نقـض ورد إلى الطول المسموح به وهو اثني عشر ذراعاً مما يدل على أن هناك شكل مميز للقارب الأندلسي.

هذه الصرامة في ضبط السواحل ضمنت للأندلس الأمان مـن أي طارق يأتي عن طريق البحر من أي جهة كانت ولم يركن الأمير محمد بن عبدالرحمن الذي امتاز باليقظة وترك الدعه إلى هذه الإحتياطات فقد أقام داراً للصناعة في قرطبة وعقد لواءاً لقائده عبدالملك بن عبدالله بن محمد بن عبدالحميد بن مغيث سنة ٢٦٦هـ (٨٧٩م) وذلك لغزو جليقيـة مـن ناحية المحيط الأطلسي، ورغم الأموال التي بُذلت على هذه الحملة والبروز الفخم الذي برز فيه القائد ابن مغيث والذي يصفه ابن حيان بأنه أفخـم

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ١٣٣-١٣٤، حاشية رقم ٤ .

٢ - الروض المعطار ص ٨٠.

خروج خرج به قائد من قرطبة[1] إلا أن الحملة فشلت نتيجة لغرق الكثير من المراكب بمن فيها في المحيط ونجا القائد ابن مغيث مع بعض رجاله[2].

ومن الدلائل الأكيدة على قوة البحرية الأموية في الأندلس في عهد الأمير عبدالله بن محمد يقامها باخضاع جزر البليار لسيطرة حكومة قرطبة، إذ يبدو أن أهل تلك الجزر قد نقضوا عهداً سبق إبرامه بينهم وبين المسلمين[3] ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن فتح جزر البليار على عهد الأمير عبدالله جاء نتيجة دراسة دقيقة قام بها عصام الخولاني[4] الذي نجح بعد عودته إلى الأندلس في إقناع الأمير عبدالله بضرورة فتحها فاقتنع بكلامه "وبعث معه القطائع في البحر ونفَّر الناس معه إلى الجهاد[5] "فاتجه عصام سنة "٢٩٠هـ (٩٠٢م)" على رأس أسطول معظم أفراده من المتطوعين

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٩٨.

٢ - المصدر السابق ص ٣٩٨-٣٩٩، البيان المغرب ١٠٣/٢-١٠٤ إلا أنه جعل اسم القائد: عبدالحميد الرعيطي.

٣ - جزر الأندلس المنسية ص ٨٨.

٤ - يذكر ابن خلدون أن عصام الخولاني خرج في مركب يريد الحج، فعصفت الريح بمركبه، فنزل هو ومن معه في جزيرة ميورقه، فطال مقامهم فيها، واطلعوا خلال هذه المدة على أحوال الجزيرة وخيراها، مما أطمعهم في فتحها، انظر: تاريخ ابن خلدون ١٦٤/٤.

٥ - تاريخ ابن خلدون ١٦٤/٤.

والمرابطين على السواحل الشرقية للأندلس، فحاصرتها هذه القوات عدة أيام وأتمت فتحها حصناً حصناً[١].

ويجدر بنا قبل أن ننهي الحديث عن البحرية في الأندلس في عهد الإمارة أن نشير بصورة سريعة إلى النشاط البحري في بجانة فقد شهدت المدة الأخيرة من عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن قيام قوة بحرية في بجانة شرقي وادي أرش اليمن[٢] فخططوا مدينة بجانه على مثال قرطبة وطردوا منها مشاهير العرب[٣]، بعد أن استمالوا العناصر المحلية مستغلين في ذلك سوء التفاهم الذي جرى بين أولئك العرب والمحليين[٤] ويذكر الحميري أن هؤلاء البحريين استأذنوا الأمير محمد بن عبدالرحمن في أن يعقد لرجل منهم يتولى رئاسة بجانة وذلك سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) [٥] فوافق على اقتراحهم والشيء الملاحظ أن التاريخ الذي ورد جاء بعد وفاة الأمير محمد إذ أنه توفي سنة ٢٧٣هـ لكن لعل الصواب أن الحادثة جرت سنة

---

١ – نفس المصدر والصفحة.

٢ – عن أصول هؤلاء البحريين وكيف استقروا في بجانة انظر: إحسان عباس اتحاد البحرين في بجانة بالأندلس، (مجلة الأبحاث عدد كانون الأول السنة ٢٣ ج١-٢ بيروت ١٩٧٠م) ص٧-٨،.

٣ – الروض المعطار ص ٨٠.

٤ – اتحاد البحرين في بجانة ص ٨.

٥ – الروض المعطار ص ٨٠.

٢٧١هـ[١] وأما الموافقة على الاقتراح الذي تقدم به بحريو بجانه والذي يعني تمتعهم بحكم ذاتي يكفل لهم تقدير خضوع اسمي فقط لحكومة قرطبة، فقد جاء نتيجة وقوع حكومة قرطبة تحت ظروف طائلة لايتتيح لها فرصة الاختيار[٢]، وقد ظلت بجانة متمتعة في ظل رجالها البحريين بحكم ذاتي وتعاقب على رئاستها عدة ولاة لادور لحكومة قرطبة في تعيينهم سوى العقد لهم[٣] إلى أن تمكن الخليفة عبدالرحمن الناصر من إخضاعها لسيطرة قرطبة وإنها الحكم الذاتي وذلك عندما عين محمد بن رماحس والياً عليها من قبله دونما اقتراح من أهل بجانة وذلك سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م)[٤].

١ - المصدر السابق والصفحة حاشية رقم ١.

٢ - عن هذه الظروف والأحداث انظر: ابن القوطية، ص٨٨-٩٣، ٩٨-١٠٠. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٣٠٧-٣٠٩، ٣١٩-٣٢٠، ٣٢١،٣٢٤-٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤١-٣٤٢، ٣٤٩-٣٥٥، ٣٥٨، ٣٩٣-٣٩٦. نصوص عن الأندلس، ص٣٢، ٣٤-٣٥، ٣٦، ١١٨-١١٩. الكامل: ١٩٦/٦، ٢٧٣، ٣٤٣. البيان المغرب ٩٩/٢، ١٠٠-١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦. نهاية الأرب ٣٨٩/٢٣، ٣٩١.

٣ - قام بحريو بجانه بدور كبير في صد الهجوم الذي شنه الكونت سنتير **Sunier** صاحب برشلونة سنة ٢٩٩هـ عندما قام بمهاجمة السفن الإسلامية الراسية في خليج المرية وأحرق عدداً كبيراً منها، ثم حاول دخول بجانه بكن تصدي المسلمين له أجبره على الانسحاب بعد أن وقع الصلح مع عبدالرحمن بن مطرف الحاج أحد القادة البحريين في بجانه. انظر المقتبس نسخة انطونيه ص ٨٩.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٤٦٢، اتحاد البحريين في بجانة ص٩.

البحرية الأموية في عصر الخلافة

عندما بويع الأمير عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بالإمارة سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) كانت الأندلس تعج بالفتن والاضطرابات في كافة أرجائها، ومما جعل الأمر يزداد سوءاً بالنسبة له، هو قيام الدولة العبيدية في إفريقية على انقاض الدولة الأغلبية سنة ٢٩٦هـ[١] (٩٠٩م)، ومكمن الخطورة هنا يتمثل في أن العبيديين ورثوا الأسطول البحري للأغالبة، وهو أسطول كان له مجده وحضوره المميز في البحر الأبيض المتوسط وجزائره إبان عهد الأغالبة[٢].

وقد جرى اتصال بين ابن حفصون المتمرد في الجنوب الأندلسي، وبين عبيدالله المهدي الخليفة العبيدي، تأصلت على إثر ذلك العلاقات بين الطرفين[٣]، وأصبحت مراكب ابن حفصون تصل إليه قادمة بالميرة من العدوة المغربية، حتى أن الأمير عبدالرحمن بن محمد عندما دخل الجزيرة الخضراء يوم الخميس لأربع خلون من ذي القعدة سنة ٣٠١هـ (يونيو ٩١٤م) وافق دخوله الجزيرة وصول عدة مراكب لعمر بن حفصون قادمة من العدوة المغربية وهي تحمل الميرة إليه، فلما عرفوا بخبر الناصر هربوا

---

١ - المقريزي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، (تحقيق: د.جمال الدين الشيال، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م) ٦٣/١.

٢ ـ د.محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، (ترجمة د.المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٨٥م). ص٤٢٥-٥٨٠. والمصادر المذكورة لديه.

٣ - أعمال الأعلام ٣٢/٢.

بمراكبهم إلى عرض البحر، فأدركهم رجال الناصر وأعادوهم إلى الجزيرة الخضراء، حيث تم إحراق تلك المراكب جميعاً أمامه[١].

هذه الحادثة جعلت الأمير الأموي يدرك أهمية البحر، فاستعد للأمر، وأخذ يعمل بجد على ضبط سواحل دولته وفرض كلمته على المياه المحيطة بها، لأجل ذلك قام باستقدام الكثير من قطع الأسطول الأموي المرابطة بمالقة واشبيلية وغيرهما، فحضرت إليه فجعل بعضها ترابط قبالة ساحل الجزيرة الخضراء وهي مستعدة بالرجال وقوارير النفط والآلات الحربية الخاصة بالبحر، كما أمر القسم الباقي من رجال الأسطول الأموي من عرفاء بحريين ونواتيه بالدخول إلى مراكبهم، والقيام برحلات دورية على طول الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس، وذلك من ساحل الجزيرة الخضراء وحتى ساحل تدمير[٢]، وبهذا الإجراء أصبحت المراكب لاتستطيع أن تسخدم المرافئ البحرية الأندلسية إلا إن كانت تدين بالطاعة لحكومة قرطبة[٣].

وقد ذكر الحميري أنه كان في الجزيرة الخضراء "دار صناعة بناها عبدالرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل، وأتقن بناءها وعالى

---

١ - المقتبس تحقيق: شالميتا ص ٨٧.

٢ - المصدر السابق، ص٨٧-٨٨. قارن تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٤. د.السيد عبدالعزيز سالم، المغرب الكبير، ٦١٠/٢.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٨٨.

أسوارها"[١]، ويبدو أن السبب في إقامة هذه الدار في الجزيرة راجع إلى أن مرساها أيسر المراسي للجواز وأقربها من بر العدوة[٢]، ولتقف بقوة أمام دار الصناعة الضخمة التي أقامها عبيدالله المهدي في المهدية[٣].

واجتهد الأمير الأموي بتقوية أساطيله، وبلغ به الأمر أنه كان لايترك لعمال دور الصناعة فرصة للراحة[٤] كما اهتم ببجانة وأسطولها البحري[٥]، وبواسطة القوة البحرية التي طورها سواء في الجزيرة الخضراء أو غيرها، تمكن من الاستيلاء على بعض ثغور ساحل العدوة المغربية المقابل للسواحل الأندلسية، فبسط نفوذه على مليله سنة ٣١٤هـ[٦] (٩٢٦م) وعلى سبته في يوم الجمعة صدر ربيع الأول سنة ٣١٩هـ (مارس ٩٣١م) .

وعندا استنجد موسى بن أبي الغفافية بالخليفة عبدالرحمن الناصر، ليمده بقوة عسكرية تمكنه من القبض على الحسن بن عيسى بن أبي العيش، بعث إليه الخليفة بقوة عسكرية غادرت إلى مياه العدوة المغربية بواسطة الأسطول الأندلسي، وذلك في يوم السبت لليلتين خلتا من

---

١ - الروض المعطار ص ٢٢٣.

٢ - المصدر السابق والصفحة .

٣ - اتعاظ الحنفا، ١/٧٠.

٤ - في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٩-٢٠٠.

٥ - الروض المعطار ص ٨٠.

٦ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٨٩.

جمادي الأولى سنة ٣١٩هـ [1] (مايو ٩٣١م) وقد وصف ذلك الأسطول بأنه أفخم أسطول أجراه ملك من قبل، فقطعه متكاملة وعدده متواترة، انتهى عدد قطعه إلى مائة وعشرين قطعة، مع الحمالة والفتاشة وقوارب الخدمة، وكان عدة من ركبه نحو سبعة آلاف رجل، خمسة آلاف من البحريين، وألف من الحشم، وغزا فيه من وجوه أهل بجانة والمرية تطوعاً في مراكبهم تسعة رجال[2] وتولى قيادة الأسطول أحمد بن محمد بن إلياس، وسعيد بن يونس بن سعديل[3].

وبعد ذلك أخذت مرافئ العدوة المغربية تخضع تباعاً لكلمة الخليفة عبدالرحمن الناصر، وذلك بفضل وجود أساطيل قوية تحت سيطرته وقادة أكفاء ورجال بحر مدربين، ففي سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) اتجه عبدالملك بن سعيد بن حمامة على رأس الأسطول الأموي فأخضع أصيلة[4]، وفي العاشر من شهر رمضان من العام التالي صدر أمر الخليفة الناصر للقائد ابن أبي حمامة بالتوجه إلى سبتة وطنجه، فسارع بتنفيذ الأوامر رغم أنه كان عند صدور الأمر إليه في سواحل برشلونة يؤدي مهمة عسكرية كان قد

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٢٨٩. المغرب في ذكر بلاد إفريقة والمغرب ص١٠٤.

٢ - منهم، محمد بن رماحس، وإبراهيم بن يزيد الرداد، وقاسم بن عبدالرحمن، ومحمد بن سهل آخو هارون .... وغيرهم ، انظر المقتبس تحقيق شالميتا ص ٣١٣.

٣ - المصدر السابق ص ٣١٢-٣١٣.

٤ - نفسه ص ٣٤٧.

بدأ بها منذ شهر رجب من تلك السنة[1]، فتمكن القائد ابن أبي حمامة من إخضاع طنجه، وظل متردداً بين المرافئ الساحلية للمغربين الأقصر والأوسط إلى أن ضمن خضوعها لحكومة قرطبة ثم عاد إلى الأندلس في شهر صفر سنة ٣٢٤هـ (يناير ٩٣٦م)[2].

هذه المهام الحربية التي كان الأسطول الأموي يقوم بها في الثغور الساحلية للمغربين الأوسط والأقصى، هي في حقيقتها مجابهة حربية مع الأسطول العبيدي، وسيتواصل الاصطدام بين الأسطولين مرات عديدة أفضل إيرادها وفق التسلسل التاريخي لها.

والأحداث التي شهدتها السنوات الأول من عصر الخليفة الناصر لم تجعله يغفل عن حقيقة البحريين في بجانة، وأنهم يعيشون أشبه مايكون في ظل حكم ذاتي، ولذا قرر الخليفة إزالة هذه الصفة عنهم، ففي سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) أصدر أوامره بتعيين محمد بن رماحس والياً على بجانة[3]، وفي العام التالي ضمت إلبيرة والمرية إلى نظر محمد بن رماحس بجانب إشرافه على بجانة[4]، وأصبحت منطلقاً للهجمات البحرية التي كان يشنها محمد بن رماحس، ففي سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) كانت له

---

١ - نفسه ص ٣٦٦-٣٦٨.

٢ - نفسه ص ٣٦٨-٣٦٩.

٣ - نفسه ص ٤٦٢.

٤ - نصوص عن الأندلس ص٨١.

حملة بحرية وصل بها إلى أتيورياس[١]، وفي يوم الاثنين ١٢ شوال من سنة ٣٣١هـ (٢٠ يوليو من سنة ٩٤٣م) غادر المرية في ثلاثين مركباً وستة شواني غزا بها بلاد الفرنجة[٢]، ثم في سنة ٣٣٢هـ (٩٤٥م) قاد حملة بحرية مكونة من خمس عشرة قطعة حربية وشينين وفتاش ضد بني محمد بالمغرب[٣] وفي يوم السبت للنصف من ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ (١٦ أكتوبر سنة ٩٤٥م) توجه -أيضاً- ابن رماحس على رأس أسطوله فهاجم أسطول العبيديين المتواجد على السواحل الإفريقية[٤].

وبالنظر إلى هذا الحضور المميز للأسطول الأموي، يمكن القول بأنه قد أصبح لدى الخليفة عبدالرحمن الناصر قوة بحرية مرهوبة الجانب، فقد وصل عدد قطع الأسطول الأموي في عهده نحو مائتي قطعة، يتولى قيادتها محمد بن رماحس[٥] ومن هنا ذهب بعض الباحثين إلى اعتباره المؤسس الحقيقي للبحرية في الأندلس[٦].

وماكان للبحرية الأندلسية أن تصل إلى ماوصلت إليه في عهد الخليفة الناصر لولا توفر عامل معم في هذا المجال، وأعني به إنشاء دور

---

١ - المصدر السابق والصفحة.

٢ - نفسه والصفحة.

٣ - نفسه ص ٨٢.

٤ - نفسه والصفحة.

٥ - ابن خلدون المقدمة ٦٩١.

٦ - انظر، تاريخ البحرية الإسلامية ١٧٥/٢.

"للصناعة[١]" ومن الطبيعي ألا تقام دور الصناعة إلا على شواطئ البحار وضفاف الأنهار، إذ أن هذا يكفل للقطع البحرية ميزة استراتيجية تتمثل بسرعة الحركة، مما يعني وفرة في الوقت والجهد، وقد رأينا أهمية موقع دار الصناعة عند حديثنا عن المرية وكيف أنها قد تغلبت على بجانة بسبب نزوح الأخيرة عن الساحل. وقد نشأت بالأندلس عدة دور للصناعة اعتنى أمراء وخلفاء بني أمية بتنظيمها وإقامتها وفق أسس تكفل لهم الغرض من وجودها . من هذه الدور :-

دار صناعة "الجزيرة الخضراء" و "مالقة[٢]" و"لقنت[٣]"

---

١ - دور: جمع دار، ودار الصناعة يطلق على المكان الذي أعد لصناعة السفن، وقد أخذ الأوربيون اللفظ عن العرب وذلك عن طريق اتصالهم بالأندلس، فعرفت بالاسبانية "**Darcinah**" فطرأ على هذا اللفظ عدة تغيرات حتى أصبحت تعرف بالأسبانية "**Arsenal**" "**Arsenale**" ثم عاد العرب وأخذوها عن الإسبان بلفظ "**Tarsanah**" معتقدين أنها تركية فعربوها إلى ترس خانة أو ترسانه، وتجدر الإشارة إلى أن لفظ أدميرال "**Admiral**" مأخوذ عن أمير البحار، انظر جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦١/١.

٢ - ابن الخطيب:معيار الإختيار.(تحقيق د.محمد كمال شبانه،) بدون تاريخ،الإمارات-المغرب ص٨٩..

٣ - يذكر الإدريسي أن لقنت مع صغرها فإنها كانت تصنع بها المراكب السفرية والحراريق، انظر: نزهة المشتاق، ص٥٥٨.

و"شلب[١]" و"قصر أبي دانس[٢]" و"دانية[٣]" و"شنتمريه بالبرتغال[٤]" و"شلطيش[٥]" و "المنكب[٦]".

وأما "طرطوشة" فقد أنشأ فيها الخليفة عبدالرحمن الناصر داراً للصناعة، ومن الملاحظ أنه رغم صمت المصادر الإسلامية عن تدوين

---

١ - انظر، نزهة المشتاق، ص٥٤٢. الروض المعطار، ص٣٤٢.

٢ - البيان المغرب، ٢/٢٩٥ قصر أبي دانس، حصن في ناحية الجوف في الأندلس، ينسب لبانيه دانس بن عوسجة المصمودي، ويسمى الموضع حالياً "**Alcacer de sal**" أي قصر الملح، وهو اليوم مركز إداري في مديرية يابرة في البرتغال، وفي منتصف المسافة بين باجه والاشبونة، ولازالت بقية الحصن العربي قائمة فيه. انظر، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١، المقتبس، نشرة أنطونيه، ص٢٥٤، تعليق منتقى، ص٢٩٠، الحلة السيراء، ٢/٢٧٢ حاشية رقم ١. الروض المعطار ص٤٧٥.

٣ - دانيه دار إنشاء والسفن واردة عليها وصادرة منها، كما أنها مركز من المراكز الرئيسية التي ينطلق منها الأسطول في حملاته. انظر: نزهة المشتاق ص ٥٥٧. الروض المعطار، ص٢٣٢.

٤ - وهذه أحد المواقع المهمة التي تنشأ بها السفن، ومما ساعد على ذلك أن بالقرب منها توجد عدة جزر تنبت شجر الصنوبر. انظر الروض المعطار، ص٣٤٧.

٥ - شلطيش "**Saltes**" هي أكبر الجزر الواقعة على مصب النهر الأحمر **Rio Tinto** ونهر آخر يسمى الأوديل "**Odiel**" وشلطيش تقع إلى الغرب من إشبيلية، وتبعد عن جزيرة فارس بمائة ميل اشتهرت بصناعة مراسي السفن، ومما ساعد على ذلك وفرة الحديد بها، وقد خرجت من أيدي المسلمين سنة ٦٤٦هـ. انظر، نزهة المشتاق. ص٥٤٢ الحلة السيراء، ٢/١٨٠ حاشية رقم ٤. الروض المعطار، ص٣٤٣-٣٤٤.

٦ - انظر: معيار الاختيار، ص٩٤-٩٦. الروض المعطار، ص٥٤٨.

تاريخ إنشائها، إلا أن لوحة تذكارية وجدت مثبتة في الجادر الخلفي للكنيسة العظمى في طرطوشة احتوت على معلومات عن دار الصناعة تلك، فاللوحة المذكورة جاءت مربعة الشكل تقريباً، طول ضلعها خمسين سنتيمتر تقريباً، كتب فيها عشرة أسطر جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذه الدار عدة الصناعة والمراكب عبدالله عبدالرحمن أمير المؤمنين أيده الله، فتم بناؤها على يد قائده وعبده عبدالرحمن بن محمد بعون الله ونصره في سنة ثلث وثلثين وثلاثمائة وكتب عبدالله بن كليب[1]".

ومما ساعد على قيام دار الصناعة بطرطوشة وفرة أخشاب الصنوبر بغاباتها وهي أخشاب وصفت بأنها من أنسب الأخشاب لصناعة السفن وذلك لطولها وغلظها وعدم تأثير السوس فيها[2] وبالإضافة إلى هذه الإنشاءات الوفيرة أنشأ الناصر أيضاً دار صناعة ضخمة في المرية إذ ثبت أهمية المرية كمنطلق رسمي لحركة الأساطيل منها ومع توالي الأيام أخذت

١ - الحلل السندسية، ٣/١٠ حاشية رقم ١. الآثار الأندلسية الباقية ص ١٢١-١٢٢.

٢ - نزهة المشتاق ص٥٥٥، الروض المعطار ص٣٩١. وقد اتبع الأندلسيون في نقل هذه الأخشاب المهمة في صناعة السفن طريقة فريدة، فقد ذكر الإدريسي أن هناك حصن "قلصة" تتصل به جبال كثيرة ينبت فيها شجر الصنوبر على نطاق واسع، فيتم قطع هذه الأشجار، ويتم إلقاء الأغصان الصالحة للصناعة في النهر حيث يحملها بدوره إلى جزيرة شقر ومنها إلى حصن قلبيره، ثم تحملها المراكب إلى دانية فتصنع منها السفن الكبار والمراكب الصغار، انظر: نزهة المشتاق ص٥٦٠.

تسحب البساط رويداً رويداً من بجانة التي لاتقع على الساحل مباشرة[١] وهذا مما يحرم الأساطيل سرعة الحركة فتنبه لهذا الأمر الخليفة عبدالرحمن الناصر، فأمر بإنشاء مدينة المرية سنة ٣٤٣هـ (٩٥٤م)[٢]، وأنشأ بها داراً لصناعة السفن جاءت على قسمين قسم خاص بالمراكب الحربية وآخر بالمراكب التجارية وأحاطها بسور ضخم منيع[٣] وبذلك أخذت المرية تزدهر تدريجياً فاتسعت رقعتها ونما عمرانها وأصبحت هي وبجانة كفرسي رهان حيث وصفتا بأنهما "بابي المشرق، منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب[٤]".

وبعد أن أصبحت المرية قاعدة رئيسة للأساطيل الأموية أصدر الخليفة عبدالرحمن الناصر أومره سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) للهيئة المشرفة على دار الصناعة بالمرية بأن ينشأ مركب بحري لم يُصنع مثله من قبل ثم شحنه بالأمتعة ووجهه للمشرق وفي أثناء رحلته تلك صادف المركب بطريقه مركب بحري فيه رسول موفد من قبل الحسين بن علي حاكم صقلية متجه إلى زعيم العبيديين المعز لدين الله فأوقفه أصحاب المركب الأندلسي وصادروا مافيه من أمتعة وكتب كانت مرسلة للمعز لدين الله

---

١ – تاريخ مدينة المرية ص ٢٠.

٢ – نصوص عن الأندلس ص٨٦، وورد في الروض المعطار ص٥٣٧ أنها بنيت سنة ٣٤٤هـ.

٣ – نصوص عن الأندلس ٨٦.

٤ – معجم البلدان: ١١٩/٥.

الذي ماأن علم بهذه الحادثة حتى جهَّز أسطولاً كاملاً وولى عليه الحسين بن علي ووجهه إلى الأندلس فهاجم المرية وتمكن رجاله من التوغل في مرسى المرية فوجدوا عدداً من السفن راسية فيه فأحرقوها ووافق هجومهم قدوم المركب الكبير من المشرق محملاً بمختلف أنواع الأمتعة للخليفة عبدالرحمن الناصر بالإضافة إلى الجواري والمغنيات وغيرهن فاستولى عليه المهاجمون و لم يكتفوا بذلك بل دخلو المرية وقتلوا ونهبوا ثم غادروا إلى المهدية بسلام[1]، فجاء رد فعل الخليفة الأموي سريعاً فقد هاجم الأسطول الأندلسي بقيادة أمير البحر غالب بن عبدالرحمن سواحل إفريقية سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦م) في ستين قطعة حربية ركزت هجومها على مرسى الخرز وساحل سوسه[2].

وهكذا أصبح للأسطول الأندلسي الكلمة النهائية في المياه المحيطة بالأندلس من الناحيتين الشرقية والغربية، فالقطع الحربية البحرية المرابطة في قاعدة المرية تقف في مواجهة أي اعتداء قد يأتي من قبل العبيديين في حين أن قاعدة إشبيلة البحرية تذود عن الساحل الغربي ضد أي هجوم يقوم به النورمانديون[3].

---

١ - انظر الكامل ٢٥٣/٧-٢٥٤.

٢ - البيان المغرب، ٢٢١/٢. تاريخ مدينة المرية ص ٣٩.

٣ - تجدر الإشارة هنا إلى أن خطر الاعتداءات النورماندية على الأندلس بدأ يأخذ نمطاً آخر غير نمط الهجمات السريعة التي اعتادوا شنها كما في عهد الإمارة والشيء الذي طرأ على وضع النورمانيين يعود سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م وذلك عندما استقروا في ولاية

وعندما تولى الخلافة الحكم المستنصر ازداد اهتمامه بالأساطيل البحرية وأخذت دور الصناعة تنتج المزيد من القطع البحرية فوصل عددها في عهده إلى ستمائة جفن بين غزوي وغيره[١]، والسبب في ذلك هو حرصه على استمرارية السيطرة على مضيق جبل طارق[٢] لخشيته من أي هجوم مفاجئ قد يشنه الأسطول العبيدي ولذا نراه يقوم بزيارة تفقدية لقاعدة المرية، وذلك في شهر رجب من سنة ٣٥٣هـ (٩٦٤م) فوقف على ماتم إنجازه من أعمال التحصينات وشاهد حصن القبطة ونظر في الأسطول المرابط هناك وجدده وكانت عدد قطعه في ذلك الوقت ثلاثمائة قطعة[٣].

نورماندیا "**Normandia**" في غرب فرنسا نتيجة إقطاع ملك فرنسا شارل الثالث الملقب بالساذج **Le-Simple** زعيم النورماندية رولون **Rollon** هذه المقاطعة التي عرفت باسم نورماندیا وقد مكنهم في هذه المقاطعة من شن هجمات برية على الثغر الأعلى للأندلس من ذلك أنهم أسروا يحيى بن محمد بن عبدالملك عامل الخليفة عبدالرحمن الناصر على بربشتر والقصر **Alquezar**، وذلك يوم السبت لثمان مضين من شوال سنة ٣٣٠هـ/٦٤٢م ففداه رجل من التجار بألف مثقال وقدم يحيى إلى بلاط الخليفة الناصر فأمر للذي فداه بتضعيف ماأداه وصرفه إلى بربشتر فدخلها سنة ٣٣١هـ. انظر، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٧٤-٢٧٦.

١ - أعمال الأعلام: ٤٢/٢.

٢ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٧٨.

٣ - البيان المغرب ٢٣٦/٢، الإحاطة ٤٧٨/١-٤٧٩.

وقبل ذلك بعدة أشهر كتب الخليفة الأموي لأهل سبتة سجلاً أسقط فيه عنهم الوظائف المخزنية والمغارم السلطانية، وذلك في شهر صفر من سنة ٣٥٣هـ[1] (٩٦٤م)، كما أنه اتبع سياسة أبيه في التعامل مع أمراء المغرب ورؤساء قبائله، إذ استخدم معهم أسلوبي الترغيب والترهيب، فاستجاب له أولئك الزعماء وبعثوا إليه بوفودهم[2].

وكان الخليفة الأموي يخشى من تكرار هجوم النورمانديين على سواحل بلاده، ولعل أول هجوم نورماندي على السواحل الأندلسية في عهد المستنصر بالله تم في أول رجب سنة ٣٥٥هـ (يونيو ٩٦٦م) فقد هاجموا الساحل الغربي وركزوا هجومهم على قصر أبي دانس، في ثمانية وعشرين مركباً[3]، في كل مركب ثمانون محارباً[4]، ثم واصلوا تقدمهم في سهول لشبونة، حيث تصدى لهم المسلمون فسقط عدد من الشهداء والقتلى، وهنا تحرك الأسطول المرابط بإشبيلية المتخصص في الذود عن الساحل الغربي، فأدرك الغزاة النورمانديين بوادي شلب، فتمكن المسلمون من تحطيم معظم مراكب النورمانديين وقتلوا معظم مقاتلتهم واستنقذوا

---

١ – البيان المغرب ٢٢٧/١.

٢ – انظر، المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٧، ٣٩-٥٧، مفاخر البربر، ص٥-٦ البيان المغرب، ٢٣٩/٢-٢٤٤.

٣ – المصدر السابق ٢٣٨/٢-٢٣٩.

٤ – دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص٢٨٦.

مَنْ بأيديهم من أسرى المسلمين وهرب من بقي من النورمانديين وعادوا إلى ديارهم[1].

ويبدو أن الخليفة المستنصر لفت انتباهه من جراء التقارير التي ترفع إليه بشكل مفصل عن الهجوم النورماندي الأخير أن مراكبهم البحرية تمتاز بالسرعة الأمر الذي يكفل للمهاجمين سرعة الحركة والمناورة ولـذا فقد اتخذ خطوة تدل على متابعة دقيقة لمجريات الأحداث واستيعاب جيد لنتائجها فقد أصدر أوامره لوزير عيسى بن فطيس بإنشاء أسطول بنهر الوادي الكبير تكون المراكب فيه على هيئة مراكب النورمانديين[2] ليقاتلهم بنفس سلاحهم إذ أنه كان يتوقع عودتهم لمهاجمة السواحل الأندلسية، ولقد صدق ظنه إذ لم تمض خمس سنوات على هجومهم السابق حتى عاودوا الهجوم مرة أخرى فقد ذكر ابن حيان أنه في صدر شهر رمضان المبارك سنة ٣٦٠هـ (يوليو من سنة ٩٧٠م) وصلت الأخبار بظهور النورمانديين في مياه خليج الباسك في طريقهم إلى السواحل الغربية للأندلس فاستدعى الخليفة المستنصر قائد البحر عبدالرحمن بن رماحس وأمره بالتوجه إلى المرية ليقود أسطولها ويتجه إلى الغرب ثم استدعى الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن الذي يبدو أنه القائد العام للقوات المسلحة الأندلسية البرية والبحرية وناقش الوضع معه ثم اتفقا

---

١ - البيان المغرب ٢/٢٣٨-٢٣٩.

٢ - المصدر السابق، ص٢٣٩.

على خطة معينة يذهب بموجبها الوزير القائد غالب إلى الغـــرب ليتـــولى قيادة الجيش براً وبحراً[١] ورغم هذا الاستنفار الهائل للأساطيل الأندلسية إلا أنه لم يقع اصطدام بينها وبين المراكـــب النورمانديـــة وذلـــك لأن النورمانديين نزلوا بساحل جليقية في يوم الأحد الثاني عشر من رمضـــان سنة ٣٦٠هـــ (يوليو ٩٧١م) ثم إنهم دخلوا نهر دويره وتقدموا في غارتهم إلى مدينة شنت بريه "Santaver" لكنهم لم يفلحوا فانصرفوا خائبين[٢].

وقد وصل إلى قرطبة في يوم السبت ٢٥ رمضان سنة ٣٦٠هـــ (يوليـــو سنة ٩٧١م) رسول من القومس غند شلب[٣] يحمل للخليفـــة الأمـــوي المستنصر أخبار الغزاة النورمانديين ويخبره بعودتهم[٤] وتجد الإشار هنا إلى أن الخليفة المستنصر لم يعتمد في تحركاته على الأخبار التي تفد إليه مـــن

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٣-٢٤.

٢ - المصدر السابق، ص٢٧.

٣ - قد يكون أصل هذا الاســـم **Gundislavus** ثم أصـــبح بالأســـبانية جونثـــالو **Gonzalo** انظر: المقتبس،د.عبدالرحمن الحجي ص ٢٥٤.

٤ - المصدر السابق، ص٢٧. ولعل السبب في إرسال هذا الرسول إلى قرطبـــة لتنبيـــة حكومتها على تحركات النورمانديين، ويعود إلى رغبة "غند شلب" في كسب يد لـــدى الخليفة المستنصر ليضمن فيما بعد مساعدته إما ضد النورمانديين إذا كرروا غـــزواتهم أو ضد خصومه من رؤساء وممالك النصرانية. ويرى الدكتور أحمد العبـــادي أن إرســـال الرسول يدل على أن تحالفاً وقع بين الخليفة المستنصر وغندب شلب ليمده الأخير بأخبار النورمانديين الذين تفاقم خطرهم خاصة بعد إقامتهم لقاعدتهم في نورمانديا في فرنســـا. انظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٧٥.

غند شلب، فقد كان يعتمد على شبكة منظمة من العيون لها تحركات دقيقة تكفل وصول الأخبار إليه أولاً بأول ولذا فإن عيونه أوصلت إليه خبر النورمانديين قبل وصول رسول غند شلب.

ورغم كل ذلك نجد أن الخليفة المستنصر لم يركن للدعة بل واصل تحركاته فأصدر أوامره بتكليف الفَتَيين الجعفريين مباركاً ومبشراً بالذهاب إلى كورة رية وشذونه لشحن الأطعمة منها[1] وإرسالها للأسطول في إشبيلية المتأهب للذهاب إلى الغرب وعقب شهر رمضان تحرك قائد البحر عبدالرحمن بن رماحس بأسطول من بجانه إلى إشبيلية حيث تجتمع الأساطيل ويذهب بها جميعاً لمواجهة النورمانديين[2] ويبدو أن ابن رماحس قد مكث في إشبيلية عدة أيام ووصلت خلالها أخبار بعودة النورمانديين إلى ديارهم، ولذا فقد عاد بأسطوله إلى المرية وذلك يوم الاثنين ٢٦ ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ (٢٢سبتمبر ٩٧١م)[3]. وأما الوزير غالب بن عبدالرحمن الذي خرج للغرب لملاقاة النورمانديين فإنه عاد إلى قرطبة حيث وصل فحص السرادق في يوم الخميس ليلة الجمعة الأول من شهر صفر سنة ٣٦١هـ (٢٢ نوفمبر ٩٧١م)[4].

---

١ – هذا يدل على وجود مستودعات غذائية ضخمة في هذه الكورة.

٢ – انظر، المقتبس: تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٢٧-٢٨. البيان المغرب ٢٤١/٢.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٥٨.

٤ – المصدر السابق، ص٦٦.

وواصل الخليفة المستنصر جهوده في التصدي للنورمانديين، ففي يوم الخميس من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ (٢١يونيه ٩٧٢م) عقد الخليفة في مجلسه اجتماعاً خاصاً مع وزرائه تبودلت فيه الأراء بشأن النورمانديين واتفق الجميع على استدعاء صاحب الخيل الناظر في الحشم زياد بن أفلح وصاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان فأمرهما الخليفة بالتأهب للخروج على رأس الصائفة المتجهة للغرب، وبعد أن أتما استعدادهما قابلا الخليفة في يوم الأربعاء ١١ رمضان (٢٧ يونيه) فأوصاهما بما شاء وخلع عليهما ثم ودعهما[١]، فانطلقا مباشرة إلى غايتهما حيث وصلا إلى شنترين فتأكدا من عودة النورمانديين إلى ديارهم وزاد تأكدهما من ذلك بعد وصول العيون التي سبق وأن بعثها لها الغرض إلى أن شنت ياقب وبذلك لم يعد أمامهما سوى العودة إلى حاضرة الخلافة فوصلا مدينة الزهراء في الخامس من ذي القعدة سنة ٣٦١هـ (أغسطس ٩٧٢م)[٢] وتجدر الإشارة هنا إلى أن تحرشات النورمانديين بالأندلس كانت على عهد الخليفة المستنصر كلها تتم على الساحل الغربي باستثناء غارة واحدة أشار إليها ابن الخطيب فذكر أن حصن القبطة بالمرية على الساحل الشرقي للأندلس تعرض للهجوم من قبل المراكب النورماندية[٣].

---

١ - نفسه، ص٧٨-٧٩.

٢ - نفسه ص ٩٢-٩٣.

٣ - أعمال الأعلام، ٢/٤٠-٤١.

وبعد وفاة الخليفة المستنصر وتولي ولده هشام المؤيد الخلافة وتسلط المنصور بن أبي عامر عليه واستبداده بجميع أمور الدولة، واصل المنصور الاهتمام بالأساطيل وتطويرها ويبدو أنه حقق في هذا المجال الشيء الكثير وأنشأ من السفن أنواعاً عديدة فأصبح الأسطول بمراكبه حديث المجالس[1]، ونظراً لاتباع المنصور سياسة سلفه الناصر والمستنصر تجاه المغرب فقد اتخذ من سبتة قاعدة بحرية حربية تنطلق منها عمليات رجاله في المغرب ولقد اهتم بتحصينها اهتماماً كبيراً وتجلى كل هذا الاهتمام بصورة واضحة عندما زحف الأمير بلقين بن زيري صاحب أفريقية فهزم قبيلة زناتة وأجلاها عن أماكنها فاجتاز أمراؤها البحر إلى المنصور بن أبي عامر مستغيثين به، فشمر للأمر وانتقل بعساكره وأجناده إلى الجزيرة الخضراء، ثم أرسل جيشاً إلى سبتة بقيادة جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي، ثم أصبح المدد يأتي بانتظام من الجزيرة الخضراء إلى سبتة حتى أن البحر أصبح أبيضاً من كثرة المراكب الأندلسية التي تعبر المضيق جيئة وذهاباً[2] فلما أشرف الأمير بلقين بن زيري بقواته من أعلى جبل النور المطل على سبتة وشاهد عظم تحصينها وكثرة العساكر وتوالي المدد القادم من الجزيرة إلى سبته أدرك ألا طاقة له بها، فقال لمن معه قبل أن ينصرف "إنما سبته حية ولت ذنبها حذاءنا وفغرت فاها نحونا[3]" وتكررت

---

١ – نفح الطيب ٤/٨٧.

٢ – مفاخر البربر ص ١٧.

٣ – نفس المصدر والصفحة.

استعانة المنصور بالأسطول مرة أخرى وذلك عندما ثار الحسن بن جنون ضد الدولة الأموية بالمغرب فعسكر بالجزيرة الخضراء واتخـذها قاعـدة عسكرية له يدير منها المعارك ويشرف على سيرها ثم أرسل الأساطيل إلى العدوة المغربية تحمل الرجال والأموال والسلاح فتم القضاء على ثـورة الحسن وجيء برأسه إليه في جمادي الأولى سـنة ٣٧٥هـ (سـبتمبر ٩٨٥م)[١].

وبالإضافة إلى ماسبق نجد المنصور بن أبي عامر يستخدم الأساطيل لنقل قواته إلى العدوة المغربية وذلك للقضاء على حركة الزعيم المغـراوي زيري بن عطية عندما أعلن تمرده ضد المنصور سنة ٣٨٦هـ (٩٩٦م)[٢] وبعد معارك طاحنة جرت بين الطرفين تمكنت القوات الأندلسـية مـن إخضاع المتمرد وذلك سنة ٣٨٩هـ (٩٩٩م)[٣].

وكما استخدم المنصور الأسطول في نقل قواتـه ومسـتلزماتهم إلى العدوة المغربية فكذلك استخدم الأسطول في نقل الأطعمـة والأسـلحة والعدد في غزوته الثامنة والأربعين التي شنها ضد جليقية في صائفة سـنة ٣٨٧هـ (٩٨٨م) إذ أمر قائد الأسطول بأن يسبقه فيدخل من المحـيط

---

١ – انظر، مفاخر البربر ص١٩-٢٠، أعمال الأعلام: ٣/٢٢٢-٢٢٤. البيان المغـرب ٢/٢٨١. الاستقصاء: ١/٢٠٣-٢٠٤.

٢ – مفاخر البربر، ص٢٨. أعمال الأعلام، ٣/١٥٨، الاستقصاء، ١/٢١٣.

٣ – انظر، مفاخر البربر، ص٢٨-٣٤. أعمال الأعلام ٣/١٥٩، الاستقصاء ١/٢١٤-٢١٥.

الأطلسي ويستمر في مسيره إلى موضع حدده له على نهر دويره بحيث يتم الالتقاء عند هذه النقطة وقد قام الأسطول بنقل أفراد الجيش إلى الجانب الآخر من النهر حيث انطلق المنصور بقواته حتى بلغ شنت ياقب[١].

أنواع السفن في الأساطيل الأندلسية

"الشواني"، والشيني سفينة حربية كبيرة، تعتبر من أهم وأقدم قطع الأسطول الإسلامي بصفة عامة[٢] وهي تمتاز بضخامة الحجم، ولذا فهي تحمل مائة وخمسون مقاتلاً[٣] وتجدف بمائة وأربعين مجذافاً[٤] كما أنها مزودة بأهراء "مخازن" لحفظ الأطعمة، وصهاريج لخزن الماء العذب[٥].

ويبدو أن هذا النوع من السفن كانت تقام عليه الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم ورمي الأعداء بقوارير النفط، يدل على ذلك قول الشاعر ابن حمديس في مدحه لأبي يحيى الحسن بن علي ابن يحيى حيث قال:-

أنشأت شواني طائرة ... وبنيت على ماء مدنا

ببروج قتال تحسبها ... في شم شواهقها قننا

ترمي ببروج إن ظهرت ... لعدو محرقة بطنا

---

١ - البيان المغرب، ٢/٢٩٥-٢٩٦.

٢ - البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ص ٣٥٢.

٣ - جمال الدين محمد بن سالم، مفرج المكروب في أخبار بني أيوب، (تحقيق: د.جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية القاهرة، ١٩٧٥م)، ٢/١٣.

٤ - الأسعد بن مماتي، قوانين الدواوين، ص٣٤٠، عبدالرحمن زكي السلاح في الإسلام، ص٣٦.

٥ - د.عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص٧٤.

وبنفط أبيض تحسبه ماء وبه تذكي السكنا[١]

"الأغربة" جمع غراب وغربان وقد سمي بهذا الاسم لأن مقدمه يشبه رأس الغراب أو الطائر[٢]، ويبدو أن الشراع المستخدم فيه كان أبيض، يتضح ذلك من قول ابن حمديس:

سواد الغراب في بياض الحمامة تطير به سبحاً على الماء أو تجري[٣]

وقد عبَّر ابن الآبار عن ذلك التشابه القائم بين هذا النوع من المراكب وبين الغربان بقوله:

ياحبذا من بنات الماء سابحة تطفو لما شبَّ أهل النار تطفئهُ

تُطيرُها الريح غرباناً بأجنحة الـ حمائم البيض للإشراك تَرزَؤُه

من كلّ أدهم لايُلفى به جَربٌ فما لراكبه بالقار يهنئه

يدعى غراباً وللفتخاء سرعته وهو ابن ماء وللشاهين جُؤجُؤه[٤]

وعدد المجاديف في هذا النوع من المراكب مائة وثمانين مجدافاً، ويمتاز الغراب بأنه مزوَّد بجسر من الخشب يمكّن الجند من الوصول إلى مركب

---

١ - عبدالجبار بن حمديس، الديوان، (تصحيح، د. احسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٧٩هـ)، ص٥١٣.

٢ - السلاح في الإسلام ص ٤٢.

٣ - ديوان ابن حمديس، ص٢٢٦.

٤ - هذه الأبيات هي من قصيدة طويلة مدح فيها أبا زكريا الحفصي عند احتلاله تلمسان وفرار يغمراسن، وذلك سنة ٦٤٠هـ، انظر:- ديوان ابن الأبار القضاعي، (قراءة وتعليق د.عبدالسلام الهراس، تونس ، الدار التونسية للنشر ط. ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م). ص٤٢.

العدو[1]، ويبدو أنه كان مركباً حربياً قوياً بحيث أن له دور فعال في أي معركة يخوضها حتى شبه بأنه أشد فتكاً من الصقر وفيه يقول الشاعر:-

أساطيل ليست في أساطير من مضى فكل غراب راح أقنص من صقر[2]

"الحراريق" جمع حراقة، ويبدو أنها كانت في البداية من المراكب المعدة للنزهة والنقل[3] لكن يظهر أنها تعرضت لبعض التغييرات عليها فيما بعد فأصبحت تصلح للعمليات الحربية، وتتضح مهمتها الحربية من اسمها، إذ أنها تختص بقذف مراكب الأعداء بقوارير النفط ولذا فهي مزودة بالأسلحة النارية[4]، وتجدف بمائة مجداف[5]، وقد وصفها الشاعر الأندلسي أبو عبدالله بن الحداد بقوله:-

ذات هُدبٍ من المجاذيف حاكٍ هُدبَ باكٍ لدمعه إسعادُ

---

١ - السلاح في الإسلام ص ٤٢.

٢ - هذا البيت من قصيدة لبهاء الدين زهير بن محمد بن علي القوصي يمدح بها السلطان الملك الكامل، انظر، مفرج الكروب، (تحقيق: د. حسنين ربيع. مراجعة د.سعيد عاشور ط١، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٧٢م). ١٠٣/٤-١٠٤.

٣ - يدل على ذلك أن الخليفة العباسي الأمين كان له خمسة حراقات في نهر دجله صنعت كل واحدة منها على صورة حيوان، فكانت على صورة الأسد والعقاب والحية والفيل والفرس. انظر: تاريخ الطبري ٥٠٩/٨.

٤ - البحرية في مصر الإسلامية، ص ٣٣٩.

٥ - قوانين الدواوين، ص ٣٤٠. نفح الطيب، ٤ ،٥٨-٥٩.

حُمَمٌ فوقها من البيض نارٌ كل من أرسلت عليه رمادُ[١]

"الطريدة" مركب بحري يبدو من اسمه أنه سريع الحركة كأنه مخصص للمطاردة، ويظهر من خلال الاستعمالات المتعددة له أنه يكون على أنواع، فمنها مالايزيد طوله على سبعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف على هيئة برميل هائل بدون مسطح[٢]، وهناك نوع آخر كبير الحجم مخصص لحمل الخيل إذ باستطاعته أن يحمل أربعين فرساً[٣]، وهذا النوع له باب في الخلف يفتح ويغلق، ومنها مايكون معداً لحمل الرجال[٤].

"البَطْسَة" أو البُطْسة، والجمع بَطسات وبُطس، ويسميها المقريزي "البطشة[٥]"، والبطسة مركب هائل الحجم إذ يصل عدد أشرعته إلى أربعين شراعاً[٦] ويمتاز هذا المركب الحربي بأنه متعدد الطبقات، كل طبقة خاصة بفئة من الجيش[٧] ويتم شحنه بأنواع الأسلحة وسائر آلات الحرب

---

١ - نفح الطيب ٥٦/٤.

٢ - مفرج الكروب: ١٢/٢ حاشية رقم ٣.

٣ - قوانين الدواوين، ص ٣٤٠. مفرج الكروب: ١٢/٢-١٣.

٤ - البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٥٤.

٥ - الخطط المقرزية، (نشر، مكتبة المليجي الكتبي القاهرة ١٣٢٤هـ)، ٣٦٩.

٦ - السلام في الإسلام ص ١٣.

٧ - البحرية في مصر الإسلامية ص٣٣١.

والحصار حتى البروج والمنجنيقات فضلاً عن الأقوات والميرة[١]، ونظـــراً لضخامة حجم هذا المركب فهو يحمل أعداداً كبيرة من المقاتلين يصـــل عددهم إلى ستمائة وخمسين رجلاً[٢]، ولكن المقريزي ذكر أن بعضـــها يحمل ألف وخمسمائة رجلاً[٣] وألف وسبعمائة رجلاً[٤].

"الشلندي" مركب حربي كبير مسطح، كان مخصصاً لنقل المقاتلين والأسلحة، وهو يعادل في اهميته الشيني والحراقة[٥]، والشلندي "مركـــب مسقف تقاتل الغزاة على ظهره وجدّافون يجذّفون تحتهم[٦] "وله ساريتان او ثلاث يبلغ طولها حوالي "١٩٥" قدماً وعرضها "٣٢" قدماً، وحمولتـــه ستمائة رجلاً تقريباً[٧].

"المسطح" مركب بحري ضخم يشبه البطسة[٨]، ولعلنا ندرك مـــن اسمه أنه عبارة عن مركب كبير له سطح شاسع غالباً مـــايكون خلـــف

---

١ – ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين. (نشر مطبعـــة الآداب والمؤيد، القاهرة، ١٣١٧هـــ)، ص ١٢٣.

٢ – المصدر السابق ص ١٤٩.

٣ – الخطط، ٣٦٩/٢.

٤ – المقريزي، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، (تصحيح، محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م)، ج١ ق١ ص٧٧.

٥ – السلاح في الإسلام ص ٣٦.

٦ – قوانين الدواوين ص ٣٤٠.

٧ – أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس ص ٤٠١.

٨ – البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٦٨.

السفن الحربية لنقل الأطعمة والأموال والأسلحة[١]، وعلى هذا أشبه مايكون بناقلة متخصصة بالإمدادت العسكرية، ويمكن من خلال نصوص تاريخية وردت في بعض المصادر الوقوف على حقيقة هذا المركب، فقد ورد لدى ابن واصل أن المسطح يتسع لخمسمائة رجل[٢]، أما ابن مماتي فقد ذكره بعد أن عرف بالشلندي ثم قال "إن المسطح هو في معناه[٣]" وعلى هذا فالمسطح مركب مكون من طابقين يقاتل الغزاة على ظهره والمجذفون يجذفون تحتهم.

"العشاري" أو "العشيري" نوع من المراكب، يجر بعشرين مجدفاً[٤]، ويستعمل في الأنهار والبحار للرحلات القصيرة[٥]، وربما سار وراء السفن الكبيرة أشبه مايكون بقوارب النجاة المعروفة حالياً[٦] وقد تكون سميت بهذا الاسم لأنها تتسع لعشرة أشخاص[٧].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي، ص١٩١.

٢ - مفرج الكروب، ٣٧٤/٢.

٣ - قوانين الدواوين ص ٣٤٠.

٤ - السلاح في الإسلام ص ٤٢.

٥ - عن العشاري ووصفه واستخداماته. انظر، عبداللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار (تحقيق: أحمد غسان سابنو. دار قتيبة، دمشق، ط الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م دار قتيبة دمشق. ص ٧١-٧٢.

٦ - انظر، ابن جبير، الرحلة (تحقيق: د.حسين نصار، مكتبة مصر، ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م) ص٣١٢.

٧ - الحلة السيراء: ٢٩٧/١ حاشية رقم ١.

"أجفان" جمع "جفن" مركب نهري، يمتاز بأن الجدافين يجدفون فيه وهم قيام في وسط المركب، في حين أن الركاب يكونون في المقـــدم أو المؤخرة[١].

"القراق" أو "القرقور" والجمع قراقير، والقرقور سفينة كبيرة مـــن مهامها القيام بتموين الأساطيل بالمتاع والذخيرة [٢]، ويمتاز القرقور بتعدد الأشرعة والصواري، ولذا فهو لايتأثر كثيراً بالرياح العاصفة، إذ هو قادر على السير تحت كفاة الظروف[٣].

"الحمالة" والجمع "الحمالات" وهي كما عرفها ابن مماتي: نوع من السفن المخصصة لنقل مؤونة الجيش وكل مايحتاج إليه الأسطول[٤].

وبالإضافة إلى ماسبق ذكره من أنواع المراكب البحرية الحربية التي كان يستخدمها الأسطول الأموي بالأندلس، هناك قطع بحرية أخـــرى، ورغم صغر حجمها، إلا أنه لاغناء لأي أسطول كان عن خدمتها. منها :-

"الشباك" "Jabeque" مركب حربي صغير الحجم[٥]، لـــه ثلاثـــة أشرعة وأحياناً يسير بالتجديف[١].

---

١ - البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٣٦.

٢ - السلاح في الإسلام ص ٤٧.

٣ - البحرية في مصر الإسلامية ص ٣٦٣.

٤ - قوانين الدواوين، ص٣٣٩-٣٤٠.

٥ - السلاح في الإسلام ص٣٨.

"القارب" مركب صغير خفيف الحركة، ويكون دائماً تبعاً للأسطول ولخدمة أصحاب المراكب الكبيرة، ويمكن أن يستخدم لتنقلات عمال الدولة من أقليم لآخر لأداء ماكلفوا به من أعباء وظيفية[٢].

"الزورق" له ملامح القارب ومميزاته بالإضافة إلى قيامه بمهام الإنقاذ[٣].

وهناك أيضاً "القياسات" و"الفلايك" والملاحظ أن هذه المراكب الأربعة الأخيرة جميعها مراكب بحرية صغيرة سريعة الحركة لاتعتمد على الأشرعة، وهي مخصصة لنقل الأشخاص والأزواد[٤].

بقي أن أشير إلى أن قطع الأساطيل الأموية بالأندلس كانت تستخدم الأشرعة البيض، ويتضح ذلك من خلال عبارة وردت في أحد المصادر عند الحديث عن أساطيل حكومة قرطبة عندما عبرت البحر متجهة إلى العدوة المغربية، وذلك لحماية أراضي العدوة من هجوم بلقين بن زيري. إذ أن العبارة تنص على أن بلقين عندما أشرف من أعلى جبل النور المطل على سبتة عاين "اتصال مدد الأندلس وابيضاض بحرهم بانتظام الشرع من تلقائهم[٥]".

---

١ - تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص ٧٥.

٢ - قوانين الدواوين ص ٢٩٧.

٣ - رحلة ابن جبير ص ٣١٢.

٤ - تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص٧٥.

٥ - مفاخر البربر ص ١٧.

إدارة الأسطول

كل جهاز سواء كان بسيطاً أم معقداً، لابد له من إدارة تتولى شئونه، والأسطول جهاز مهم في أي دولة كانت، ومن البدهي أن تكون الإدارة التي تشرف عليه ذات مناصب متدرجة، وماينطبق على الأسطول ككل، ينطبق على أي سفينة من سفنه، إلا المراكب الصغيرة منها، فكل سفينة تحتاج إلى "نوتي" وهو "الملاح الذي يدير السفينة في البحر[١]" إذ تقع عليه مسئولية الإشراف على ماتحتاج إليه السفينة من أمور الحرب من السلاح والمقاتلة[٢]، واما الرئيس وهو قبطان السفينة فهو مسئول عن سير السفينة سواء بالريح أو بالمجاذيف واختيار المرسى المناسب[٣]، مستعيناً بكتاب يعرف بـ "الرهنامج" يعينه على اختيار المسالك البحرية الصحيحة[٤]. كما يقوم أيضاً الرئيس بعملية التوجيه للملاحين، ولذا فهو بحاجة لمنادي يمتاز بصوت جهوري يبلغ أوامره لهم[٥] ويذكر ابن خلدون أنه إذا صدرت الأوامر للأسطول بالغزو، يتم تجميع السفن المحاربة بأحد

---

١ - المعجم الوسيط، ص ٩٧٠.

٢ - مقدمة ابن خلدون ص٦٩١.

٣ - المصدر السابق ص٦٩١.

٤ - محمد ياسين الحموي، تاريخ الأسطول الإسلامي، (مطبعة الشرقي. دمشق ١٩٤٥م)، ص ٤٨. وللاستزادة عن كتاب والرهنامج انظر البحرية في مصر الإسلامية ص٢٧٤-٢٧٥.

٥ - تاريخ الأسطول الإسلامي ص ٤٩.

المرافئ، وبعد أن تشحن بالرجال والعتاد والمئونة، يتم تعيين أمير عليهم من بين رجالات الدولة المعدودين، بحيث يتولى الإشراف العام على الأسطول وبالتالي فهو المسئول الأول عنه أمام الخليفة، وله الحق وحده في إصدار أوامر الإبحار والرسو[1]، وهذا الأمير هو قائد البحر وقائد الأسطول[2]، ويكون مقامه في المرية القاعدة البحرية الرئيسية للأساطيل الأندلسية[3]، وكان عبدالرحمن بن محمد بن رماحس هو الذي يتولى قيادة البحرية في الأندلس[4] وبذلك فقد كان ابن رماحس يتمتع بمقام سامٍ في الدولة الأموية بالأندلس، يدل على ذلك ما ذكره ابن سماك المالقي في "الزهرات المنثورة" من أن أي قرار يهم الخليفة الأموي لايصدر إلا بعد استشارة شخصيات ثلاثة، منها: قائد الأسطول بالمرية، وذلك لأن المرية كانت تضم دار الصناعة الرئيسية في الأندلس، بل كان قائد أسطول المرية

---

١ – مقدمة ابن خلدون ص ٦٩١.

٢ – عرفت البحرية بالأندلس وبالذات في عصر الخلافة عدة أسماء لامعة كانت لها شهرتها في المجال البحري، من هذه الأسماء: عبدالرحمن بن محمد بن رماحس، غالب بن عبدالرحمن الناصري، سعيد الجزري، رشيق بن عبدالرحمن المعروف بالبرغواطي، وعبدالله بن شعيب، وابن الأزرق البحري، عبدالرحمن ابن أبي جوشن، عبدالله بن مروان المعروف بابن مسلمة، عبدالرحمن بن يوسف الأرمطيل، إسماعيل بن عبدالرحمن بن الشيخ، وعبدالله بن رابحين. انظر، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص٢١، ٢٤، ٨١، ٨٧، ١٠٥.

٣ – المصدر السابق، الحجي ص ٢٤.

٤ – مقدمة ابن خلدون، ص٦٩١.

في العصر الأموي يشارك الخليفة إلى حدّ مافي سلطاته، فإذا كان الخليفة يحكم في البر، فإن قائد الأسطول يحكم في البحر[١].

الأسلحة المستخدمة في المعارك البحرية

استخدم البحريون الأندلسيون في معاركهم البحرية عدة أنواع من الأسلحة، فبالإضافة إلى السيوف والرماح ونحوها والمنجنيقات والعرادات، عرفوا: اللت والعمود والدبوس: وهي بالجملة عمد حديد، منها مايكون بأكمله من الحديد، ومنها ماتكون خرزته فقط من الحديد ونصابه من الخشب، وتكون الخرزة إما مضرسة أو مسننة، في حين يكون رأس الدبوس مدوراً، وأما العمود فلا يكون إلا من الحديد[٢].

الأقواس والنشاب:- استخدم البحريون القسي بنوعيها العربي منها الذي يشد باليد، وكذلك القسي الفرنجية وهي التي توتر وتدفع بالرجل، وأجود أنواع القسي الفرنجية ماصنع من الخشب التخش وبعده خشب الزبّوج[٣]، وبهذه القسي يمكن رمي حتى قوارير النفط بدلاً من السهام[٤].

الكلاليب:- وهي نوع من الخطاطيف مربوطة في نهاية سلاسل قوية، كانت تلقى على مراكب العدو فتوقفها، ثم يشدونها إليهم،

---

١ - الزهرات المنثورة: الزهرة الثالث والثمانون.

٢ - تبصرة أرباب الألباب ص ١٥.

٣ - المصدر السابق ص ٨.

٤ - نفسه، ص٩.

ويقيمون عليها ألواحاً خشبية عريضة يمكن من خلال العبور عليها الوصول إلى المركب العدو، ليقاتلوهم وكأنهم على اليابسة(١).

الباسليقات: وهي سلاسل من حديد يكون في رؤوسها رمانة من حديد، حيث تستخدم في القتال على سطح السفن(٢).

كما عرفوا من الآلات الحربية "التوابيت" وهي صناديق مفتوحة من أعلى، توضع في أعلى السفن يصعد عليها المقاتلون ومعهم الحجارة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق، فيرمون بها الأعداء ويستترون منهم داخل تلك التوابيت(٣) وقد يجعلون بدلاً من الحجارة قوارير من النفط لاشعال النار في مراكبهم(٤)، ويرموهم بجرار مملوءة بالنورة المسحوقة غير المطفأة، فيعمى غبارها وقد تلتهب عليهم إذا تبددت، وقد يرموهم بقدور الصابون الليِّن، إذ أنها تمنع أقدام الأعداء من الثبات على ظهور سفنهم(٥)، وقد يرموهم بقدر مليئة بالعقارب والحيات(٦).

---

١ - أثار الأول في تدبير الدول، ص٢١٦. تاريخ الأسطول الإسلامي، ص٧٠. تاريخ التمدن الإسلامي ص١/١٦٢.

٢ - تاريخ التمدن الإسلامي: ١/١٦١. البحرية في مصر الإسلامية ص٢٠٣.

٣ - أثار الأول، ص٢١٥-٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي، ص ١/١٦٢، تاريخ الأسطول الإسلامي: ص٧٠. البحرية في مصر الإسلامية، ص ٢٠٣.

٤ - أثار الأول، ص٢١٥-٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي، ص ١/١٦٢، وعن النفط وأنواعه واستخداماته انظر: الطرطوسي تبصرة أرباب الألباب ص ٢٠-٢٣.

٥ - أثار الأول ص ٢١٥-٢١٦.

٦ - تاريخ التمدن الإسلامي: ١/١٦٢. البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٠٣.

"اللجام" وهي أداة حديدية طويلة ذات رأس حاد جداً، وأسفلها مجوَّف، تُجعل هذه الأداة في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها الاسطام، يستخدمها الجنود في طعن مراكب الأعداء بقوة فيخرقونها، مما يجعل المركب عرضة للغرق بسبب امتلائه بالماء، فيضطر أصحابه لطلب الأمان[١].

كما استخدم المقاتلون البحريون في معاركهم البحرية أدوات الحصار، مثل "الأبراج" و"الدبابات" و"الستائر" والأخيرة هي عبارة عن حائط خشبي يستخدمه المهاجمون للوقاية من قذائف العدو[٢]، و"الحبال[٣]" و"النار الإغريقية[٤]".

وكما أن هناك أسلحة للقتال، فهناك أدوات تقاوم تلك الأسلحة، فمثلاً "الكلاليب" يستخدم المدافعون ضدها فؤوساً حادة من الفولاذ بحيث يضرب بها الكلاب المتعلق بالسفينة فينقطع[٥]، ولعل النفط[٦] من

---

١ - أثار الأول ص ٢١٦. تاريخ التمدن الإسلامي: ١٦٢/١. تاريخ الأسطول الإسلامي، ص٧٠. البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٠٣-٢٠٤.

٢ - التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٧٢.

٣ - صبح الأعشى: ٤١٣/١٠.

٤ - البحرية في مصر الإسلامية ص ٢٣٢-٢٣٤.

٥ - أثار الأول، ص٢٣٦.

٦ - عن صفة النفط الذي يمشي على الماء لحرق المراكب انظر: تبصرة أرباب الألباب، ص٢١.

أشد الأسلحة فتكاً بالمراكب، ولذا كان المدافعون يطلون مفعوله بتعليق اللبود المبلل بالخل والماء حول سفنهم، أو يبلوها بالخل الممزوج بالنطرون والشب، وإما بطلاء سفنهم بالطين الممزوج بالنظرون[١]، كما أن المقاتلين يدهنون أجسادهم بدهن البلسان[٢].

ووسائل التمويه كانت معروفة آنذاك، فقد كان قائد السفينة يأمر بصنع أشرعة زرقاء لسفينته[٣] لكي تصبح مثل لون الماء او السماء، كما يأمر بعدم إشعال النار بالمركب[٤] مما يمكنه بالتالي من الاستفادة من عنصر المباغتة.

وقد اعتاد القائمون على الأساطيل الأموية في الأندلس، إجراء تمارين حربية، تجري خلالها اصطدامات أشبه ماتكون بمعارك بحرية حقيقية، والهدف منها رفع الطاقة الاستعدادية لرجال الأساطيل، وبذلك يكونون على أهبة الاستعداد لأي طارئ.

ومن أجل رفع الروح المعنوية، يتم حضور الأمير أو الخليفة وسائر رجالات الدولة لتلك التمارين، مما يمكنهم بالتالي من الوقوف على مدى كفاءة أولئك الرجال، وذلك وسط حضور جماهيري كثيف كما هو في الاستعراضات التي كان يقوم بها الجيش وعرفناها من قبل.

---

١ - أثار الأول ص ٢٣٦.

٢ - صبح الأعشى ١٠/٤١٣.

٣ - أصار الأول ص ٢١٦.

٤ - تاريخ التمدن الإسلامي ١/١٦٢.

ومن أجل إجراء تمارين مكثفة لأفراد الأساطيل الأموية دونما إشعارهم بالضغط والتكليف، كانت الأعياد والمناسبات الاجتماعية الكبرى فرصة تستغل لإجراء مثل هذه التمارين[1].

وأخيراً بقي أن نتحدث عن المرابطة فقد ورد في القرآن الكريم مايحث عليها ويرغب فيها قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]، والمراد بالمرابطة هنا - كما ورد في بعض المصادر- المداومة في مكان العبادة والثبات وانتظار الصلاة بعد

---

١ - من ذلك مثل: قول أبي بكر محمد بن عيسى الداني يصف لعب الأسطول في يوم المهرجان:

بشرى بيوم المهرجان فإنه	يوم عليه من احتفائك رونقُ
طارت بنات الماء فيه وريشها	ريش الغراب وغير ذلك شوذق
وعلى الخليج كتيبة جرارة	مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبنو الحروب على الجواريِّ التي	تجري كما تجري الجيادُ السُّبَّقُ
ملأ الكماة ظهورها وبطونها	فأتت كما يأتي السحابُ المغدق
خاضت غدير الماء سابحة به	فكأنما هي في سرابٍ أينق
عجبا لها ما خلت قبل عيانها	أن يحمل الأسد الضواري زورق
هزت مجاديفاً إليك كانها	أهداب عين للرقيب تحدِّق
وكأنها أقلام كاتب دولةٍ	في عرض قرطاس تخط وتمشق

المعجب، ص ٢١٥-٢١٦.

٢ - سورة آل عمران: الآية رقم ٢٠٠.

الصلاة، .. وقيل المراد بالمراطبة هاهنا مرابطة الغزو في نحو الأعداء وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة المسلمين[١]"، وعندما تعرض الطرطوشي لمعنى "المرابطة" اختار مايدل على أن المراد بها "الجهاد[٢]" وهو ماذهبت إليه المعاجم من أن المرابطة ملازمة الثغور والمخافة، وأن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة وكل معد لصاحبه، ولذلك يسمى المقام في الثغر رباطاً[٣].

ويقول الفقيه عبدالملك بن حبيب "وليس من سكن الثغر بأهله وولده مرابط، وإنما المرابط من خرج من مترله معتقداً الرباط في موضع الخوف[٤]".

وقد وردت عدة أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم كلها تحض على المرابطة في سبيل الله وترغب فيه، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله،

---

١ – تفسير ابن كثير ٤٤٤/١.

٢ – سراج الملوك، ص١٧٩.

٣ – انظر القاموس المحيط "مادة ربطة". أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: ٣٧٤/١. المعجم الوسيط "مادة ربط".

٤ – ابن رشد: المقدمات: (مطبعة السعادة، القاهرة) ٢٧٦/٢.

فإنه ينمّى له عمله، ويُجرى عليه رزقه إلى يوم الحساب[١]" وقوله صلى الله عليه وسلم "رباط يوم صيام شهرين، ومن مات مرابطاً أجير من فتنة القبر، وأُجرى له صالح عمله إلى يوم القيامة[٢]". وبذلك اتخذ المسلمون المرابطة نظاماً حربياً، فاجتهدوا في اتخاذ المحارس والقلاع على طول خطوط المواجهة الأمامية سواء السواحل منها او الداخلية.

ونظراً لأن السواحل الشمالية الإفريقية كانت عرضة للهجمات البحرية البيزنطية والصقلية أو تلك القادمة من جنوب إيطاليا[٣]، لأجل هذا اعتبرها ثغوراً لابدّ من القيام على التواجد فيها حماية للمسلمين، ومن هناك نشأت الأربطة بتلك المنطقة[٤]، فبنيت أربطة عدة كانت تعرف بالقصور والمحاريس[٥]، ثم انتقل نظام الأربطة إلى المغرب الأقصى، فبنى المغاربة رُبُطاً كثيرة لعل من أقدمها وأشهرها "رباط أصيلا" الذي تم بناؤه في زمن الأمير عبدالرحمن الأوسط وذلك بعد أن طرق النورمانيون أراضي

---

١ - اسناده حسن. انظر: الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن أبي عاصم الشيباني كتاب الجهاد، (تحقيق مساعد بن سليمان الحميد، دار القلم، دمشق ، ط الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ج٢ ص٦٨٠.

٢ - نفس المصدر، ص ٦٨٩-٦٩١.

٣ - أبو محمد عبدالله بن محمد التجاني، رحلة التجاني، (تقديم، حسن حسني عبدالوهاب. الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس ١٩٨١م)، ص٣٢.

٤ - نفس المصدر والصفحة .

٥ - نفسه ص ٣٣، ٦٨، ٦٩، ٨٥، ٣١٦، ٣٣٦.

تلك المنطقة[١] ومن خلال هـذا التـدرج في انتشـار الأربطـة، أدرك الأندلسيون أهميتها، وتسابق المجاهدون منهم إلى إعمارها والحرص علـى جعلها عقبة كئودا أمام الأعداء، لكي لا يروعوا المسـلمين الآمـنين في داخل البلاد، وقد سجل عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط البدايات الأولى للأربطة في الأندلس، إذ بعد أن عاني المسلمون هناك من شـدة وطـأة الغزوة الأولى للنورمانديين، أخذت الأربطة تظهر تباعـاً علـى طـول السواحل الشرقية والجنوبية الشرقية الأندلس، فعرفت في تلـك المنطقـة الشاسعة أربطة عدة، من أشهرها:-

"رباط المرية": وهو أشهر وأهم الأربطة التي عرفها الأندلسـيون، واسم هذا الرباط يوضح الهدف منه، إذ أن موقعه اتخذ مرأى لاكتشـاف مايمكن أن يأتي من البحر على حين غـرة[٢] وبالـذات بعـد الهجـوم النورماندي الأول الذي وقع في عصر الأمـير عبـدالرحمن الأوسـط، وبالإضافة إلى هذا فرباط المرية محرس بحري لمدينة بجانه التي هي على بعد ستة أميال شمالاً[٣].

---

١ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١١٢.

٢ - الروض المعطار: ٥٣٧. ويذكر الدكتور حسين مؤنس أن "المرية" لفـظ عـربي صرف، معناه، الناظور المرتفع الذي يقام على شاطئ البحر ليقيم فيه حـراس يراقبـون الشاطئ حذراً من غزاة البحر الذين نسميهم القرصان، وهو لغة في "المرئية" التي ترى من بعيد. انظر: رحلة الأندلس ص٢٧٠.

٣ - نزهة المشتاق، ص٥٦٣. صبح الأعشى: ٥/٢١٧.

"رابطة القابطة أو القبطة" ويقع إلى الشرق من المرية[١]، كما توجد عدة أربطة أخرى بالقرب من المرية، كانت مثوى عدد من المجاهـــدين - رحمهم الله تعالى- مثل رباط عمروس ورباط الخشني وغيرهما[٢].

وهناك "مدينة دانية" التي استفادت كثيراً من جبل يعـــرف باســـم "جبل قاعون" لكونه مشرفاً عليها، وفائدته تتمثل في أن المـــرابطين فيـــه يستطيعون اكتشاف العدو القادم عن طريق البحر من مسافة بعيـــدة[٣]، كما أن حصانته تتيح لمن حوله فرصة الاختباء به، ولذا نجد أن رباطاً قد أقيم فيه لاتزال أثاره قائمة إلى اليوم ويعرف ذلك الرباط باسم "الآمبروي Alambroy"[٤].

وعلى ساحل مدينة مالقة أقيم رباط على جبل "فارَّة[٥]" ولأهميـــة الموقع الذي كان يتميز به الجبل، فقد كان اهتمام المسلمين فيه كـــبيراً، ولذا أقاموا عليه عدة حصون استمر تواجدهم فيها إلى سنة ٨٩٢هـــــ

---

١ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغـــرب، ص٨٩. دراســـات في تـــاريخ المغـــرب والأندلس، ص٢٩٧. ويذكر بروفنسال "أنها تقابل اليوم المكان المعروف باسم "**Cabe de Gota**" انظر: **L.Provencal: Op.Cit T-3 P: III**.

٢ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٧-٢٩٨.

٣ - نزهة المشتاق ص ٥٥٧.

٤ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص٢٩٨.

٥ - نزهة المشتاق ص ٥٧٠.

(١٤٨٧م)[١] كما أن تسمية الجبل باسم "فارُه" لازالت قائمة إلى اليوم إذ لازال يعرف باسم جبل فارو[٢] Gibralfaro".

وتجدر الإشارة إلى أن الأربطة لم يقتصر تواجدها على السواحل الشرقية أو الجنوبية الشرقية للأندلس، فقد وجدت أربطة عدة متناثرة على الساحل الغربي للأندلس، فهناك -مثلاً- رباط "روطة[٣]" الذي لايزال حصنه قائماً عند مدخل ميناء قادس ويعرف باسم "Castillo De Rota" ويذكر ابن بشكوال أن أبا محمد الشنتجيالي ت ٤٣٦هـ (١٠٤٤م) قد رابط ببطليوس ومرجيق Monchique وشلب ورباط الريحانة من عمل شلب، وكان له فرس اسمه "مرزوق" وقد كان كثيراً مايجر يده على ناصيته ويقول له "يامرزوق رزقني الله الشهادة عليك[٤]".

صورة الرباط:

يتكون الرباط من عدة عناصر هي:- "الخندق": ويتم حفره حول السور ككل، أو في النقطة الضعيفة، وتكون الحراسة حوله مشددة، ومن

---

١ - نفح الطيب ٤/٥٢٠.

٢ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٩٩.

٣ - يذكر الحميري: أن هذا الحصن كان مقصداً للصالحين وتوجد فيه بئر عجيبة، إذا كثر المرابطون في الحصن زاد الماء حتى يستسقي من رأس البئر باليد، فإذا قل الناس وتفرقوا عنه نضب الماء. انظر: الروض المعطار ص ٣٤٠.

٤ - الصلة: ترجمة رقم ٥٩٧. وانظر الحاشية رقم ١ ص ٢٦٣.

الضروري وجود مايمكن تسميته بالجسر المتحرك يوضع على الخندق ويرفع عند اقتراب الأعداء منه لعدم تمكينهم من العبور[١].

"المدخل" عبارة عن سقيفة بعد سقيفة، ومن أجل زيادة التحصين يكون باب السقيفة من حديد متين، ويتم تثبيت الباب بطريقة قوية ومحكمة فيكون خلعه متعذراً بأي صورة كانت[٢].

"الحسك": باب فولاذي مكون من جرات كأنها السكاكين، وفيها يد وسلسلة ومتى ماقُبض على اليد وجُذبت السلسلة وانغلقت تلك الجرات على بعضها البعض فأنها تقطع ماوقع بين أجزائها، وهي على نوعين عامودي وأفقي يغرس على الأرض[٣].

"صحن الرباط" وهو الفناء الذي تربط فيه دواب المرابطين بالإضافة إلى أنه توجد فيه المرافق في حين أن غرف المرابطين والجامع الكبير المخصص للصلاة لإلقاء الدروس كلها توجد في الطابق الأول[٤].

ومن البديهي أن تكون الحراسة متواجدة في أعلى مكان في الرباط أو ملحقة به، وذلك لكشف الأعداء القادمين من مسافة بعيدة، بحيث تكون هناك فرصة جيدة لإعلان الإنذار فيأخذ المدافعون أهبتهم، ويعرف

---

١ – عثمان الكعاك: العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ، (الشركة التونسية للتوزيع، د.ت) ص٩٢.

٢ – نفس المرجع والصفحة .

٣ – نفس المرجع والصفحة.

٤ – نفس المرجع والصفحة.

الحراس الليليون باسم "السمَّار[١]" والرباط مزود بمنارة أو منار، فإذا كان الوقت ليلاً وأحس أولئك السمَّار باقتراب سفن الأعداء في البحر أو قدوا في تلك المنارة ناراً بكيفية معلومة، فيراها السمَّار والملازمون للمنار بالرباط المجاور فيشعلون النار مثل سابقيهم وهكذا يتم الإعلان عن الخطر القادم بصورة سريعة، وإن كان الوقت نهاراً تم إثارة الدخان[٢] أو استخدموا المرايا[٣] إلى جانب استخدام الطبل والنفير[٤] وهذه الصورة المنظمة في طرق الإنذار المبكر -إن صحت التسمية- نجدها واضحة بصورة جلية فيما بين الاسكندرية وطرابلس الغرب، فقد ذكر المراكشي أن "بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جداً، فإذا ظهر في البحر عدوٌّ نوّر كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية أو من الإسكندرية إلى طرابلس في ثلاث ساعات أو أربع ساعات من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم[٥]".

---

١ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٠١.

٢ - أحسن التقاسيم، ص١٧٧. التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٢٥٩.

٣ - L.Provencal: Op. Cit. T-3. P: III .

٤ - أحسن التقاسيم ص ١٧٧.

٥ - المعجب ص ٤٣٢.

حياة المرابطين

وقد كانت حياة المرابطين داخل الأربطة منظمة بدقة، فـالمرابطون وطدوا أنفسهم على الوقوف في وجه الأعداء، فكانت الأربطة تتعاون فيما بينها للدفاع عن المسلمين، فإذا لاح الخطر، وأعطيت الإشارات على اقترابه، آوى المرابطون إلى رباطهم يعتصمون به من العدو، وأغلقوا الأبواب في وجهه، وعملوا كل مافي وسعهم لدفعه واحلال الهزيمة به.

ونظراً للإقبال المتوقع من رجال الجهاد على تلك الأربطة، فمن المحتمل أن تخضع الفئة الجديدة لما يمكن تسميته بالإعداد العسكري، وعلى هذا فالتدريب والتجهيز العسكري سمة لدى المرابطين، ليكون الكل جاهز لصد عادية المعتدين، كما أن المرابطين يحيون حياة جماعية تعاونية، وهذا مطلب ضروري لبعدهم عن حواضر المدن.

ونظراً لوقوع هذه الأربطة على السواحل، فـالمرابطون لابد أن تشتغل فئة منهم باصطياد الأسماك، وإن كانت هناك مزارع فهم يفلحون أراضيهم بأنفسهم، فضلاً عن تعاونهم بإعداد احتياجاتهم من الطعام.

وبصفة عامة فإن حياة المرابطين يغلب عليها طابع التقشف، فهي بعيدة كل البعد عن الملذات، وأما اللهو والمجون فلا سبيل إلى تواجدهما بالقرب من الرباط فضلاً من أن يكون فيه شيء من ذلك[1].

---

١ - ورد لدى المالكي أن الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي، نزل يوماً في قصره بسوسه، فأظهر بعض من كان معه من الحشم وغيرهم شيئاً من اللهو والعزف بالات الطرب، فاحتج على ذلك أهل الرباط المجاور، وسار كبارهم إلى قصر الأمير مطالبين بإبطال=

كما حرص المرابطون على أن تكون قراءة القرآن من أبرز سماتهم، لأجل هذا، كانت تدوي بقراءة القرآن، وتعج بالحفاظ، ويقوم المرابطون بذكر الله تعالى بصوت مرتفع، فقد ذكر ابن أبي زمنين عن الفقيه عبدالملك بن حبيب: قوله: "ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والثغور والمرابطات دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات، و لم يزل ذلك من شأن الناس قديماً[1]".

=تلك الملاهي، ورفضوا مغادرة القصر حتى خرج الحاجب إليهم وأبلغهم على لسان الأمير بأنه لن يحدث شيئاً تكرهونه بعد اليوم. انظر، رياض النفوس، ص٣٩٣-٣٩٤.

١ - ابن أبي زمنين، كتاب قدوة الغازي: (دراسة وتحقيق د.عائشة السليماني، دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٩٨٦م)، ص ١٨٢-١٨٣.

الفصل الخامس

الخطط الدينية

وفيه ثمان مباحث:

المبحث الأول: خطة القضاء

المبحث الثاني: خطة الصلاة

المبحث الثالث: خطة الرد

المبحث الرابع: خطة المظالم

المبحث الخامس: خطة الشورى

المبحث السادس: خطة السوق أو الحسبة

المبحث السابع: خطة الشرطة.

المبحث الثامن: خطة المدينة

خطة القضاء

القضاء في اللغة يطلق على معان متعددة[١] يهمنا منها في هذه الدراسة مايفيد الحكم والحتم. قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢] أي حكم وحتم.

والقضاء يأتي على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ماأُحكم عمله، أو أُتم أو خُتم أو أُدي أداء أو أُوجب أو أُعلم أو أُنفذ أو أُمضي فقد قُضي[٣]، والحكم يأتي بمعنى العلم والفقه والقضاء العدل وهو مصدر حكم يحكم[٤].

وأما في الاصطلاح فالقضاء يعني فصل الخصومات وفض المنازعات عن طريق إلزام الخصوم بالأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجتهاد بطريقة معينة[٥] فهو "إخبار على حكم شرعي على طريقة الإلزام"[٦].

---

١ - انظر: إبراهيم نجيب محمود عوض، القضاء في الإسلام، تاريخه ونظامه، (مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)) ص٤-٥.

٢ - سورة الإسراء الآية رقم ٢٣.

٣ - ابن منظور، لسان العرب، مادة "قضي".

٤ - المصدر السابق، مادة قضى.

٥ - ابن الخصاف، كتاب أدب القاضي، شرح: أبو بكر أحمد بن علي الرازي، (تحقيق: فرحات زياده، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٧٩م)، ص٢٩.

٦ - كتاب لباب الألباب، ص٢٥٣.

وقد نظر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى اختصاصات القاضي نظرة واسعة، فذكر أن "القاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما، سواء كان خليفة أو سلطاناً أو نائباً، أو ولياً، أو كان منصوباً ليقضي بالشرع أو نائباً له حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط إذا تخايروا، هكذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وهو ظاهر[1]"، ونظراً لأن القضاء هو الوسيلة التي تتحقق فيها العدالة التي هي مطلب النفوس السوية، مما يكفل السعادة لأي مجتمع توجد فيه، لأجل هذا فقد اهتم الإسلام بالقضاء اهتماماً واسعاً، فلا عجب أن يتبوأ من يشغل منصب "القاضي" أسمى المراتب في المجتمع الإسلامي.

والله جل ثناؤه قد ترك للحكام تصريف أمور الناس فحكموا في الدماء والأبضاع والأموال والحلال والحرام، لأجل هذا فخطة القضاء أشرف الخطط بعد الخلافة[2].

وفي الأندلس كان القاضي يحتل مكانة بارزة، حتى أن لقب "القاضي" كان يطلق على البعض تشريفاً لهم، فهذا أحمد بن محمد

---

١ – ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، (دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م) ص،١٣-١٤.

٢ – النباهي، ص٢.

القيسي، المتوفى سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦م)، كان يلقب بالقاضي لوقاره[1]، رغم أنه لم يكن قاضياً.

وقد كان الولاة الأوائل في الأندلس هم القضاة أيضاً، ولم يتم الفصل بين منصبي الولاية والقضاء إلا في سنة ١١٦هـ (٧٣٤م) أي في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي حيث تم تعيين مهدي بن مسلم قاضياً في قرطبة[2].

وقد كان القضاة في الأندلس على مراتب ودرجات، فقضاة القرى الصغيرة يطلق على الواحد منهم لقب مسدَّد[3] أما في قرطبة فقد عرف في عهد الولاة بلقب قاضي الجند أو العسكر[4] وبعد أن قامت الدولة الأموية أخذ اللقب يتغير، إذ ظهر مسمى جديد هو "قاضي الجماعة" بدلاً

---

١ – هو أبو عمر أحمد بن محمد بن هاشم بن خلف بن عمرو القيسي، من أهل قرطبة، يُعرف بالأعرج، أتقن علم النحو، وأدب به، كان وقوراً مهيباً، ولأجل ذلك لقب بالقاضي. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣٨.

٢ – د.محمد عبدالوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح إلى نهاية القرن الخامس الهجري، ص ٢٥-٢٦، ومن المعلوم أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من فصل القضاء عن السلطة التنفيذية فقد أوفد قضاته إلى الأقاليم وضمن لهم الاستقلال الكامل عن الولاة. انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ٦٢٧.

٣ – نفح الطيب، ٢١٨/١.

٤ – النباهي، ص ٢١.

من "قاضي الجند" وأول من حمل هذا اللقب هو يحيى بن يزيد[١] الذي كان يشغل منصب "قاضي الجند" قبل وصول الأمير عبدالرحمن الداخل للحكم وبعد أن قامت الإمارة وتولى الأمير الداخل الحكم أقر القاضي يحيى بن يزيد على منصبه[٢] وأما من يلي القضاء في إحدى الكور، فقد كان يعرف بلقب "قاضي" منسوباً إلى الكورة التي هو فيها، فيقال قاضي كورة كذا[٣].

وتسمية يحيى بن يزيد بقاضي الجماعة ربما يكون السبب فيها عائد إلى كتابته للعهد الذي أبرم بين الأمير عبدالرحمن الداخل وبين آخر ولاة الأندلس الوالي يوسف الفهري الذي اشترط حضور قاضيه لكتابة العهد[٤] لمبايعة المسلمين للأمير عبدالرحمن الداخل بالإمارة لأجل ذلك أُطلق على يحيى ابن يزيد لقب "قاضي الجماعة" أي أنه أصبح هو قاضي الجماعة الجديد في الأندلس[٥].

---

١ – يحيى بن يزيد التجيبي، من عرب الشام الساكنين في إفريقية، قدم الأندلس مع أبي الخطار الكلبي، واستلم قضاء الجند بقرطبة، وكان رحمه الله رجلاً صالحاً، اعتزل الحرب عند دخول الأمير عبدالرحمن بن معاوية الأندلس. انظر: قضاة قرطبة، ص ١٤–١٥.

٢ – قضاة قرطبة، ص١٤.

٣ – ابن الفرضي: رقم ١٩٩. التكملة، (طبعة كوديرا) ترجمة رقم ١٧٧٣.

٤ – قضاة قرطبة، ص ١٤.

٥ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص١٦٢. قارن أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص٢٦٣.

وأما ماذهب إليه النباهي من أن لقب "قاضي الجماعة" المقصود منه جماعة القضاة[1]، فهو رأي لايمكن التسليم به وبالذات إذا عرفنا أن قاضي الجماعة لاسلطان له على القضاة خارج قرطبة.

وقد ذكر ابن القوطية أن الفقيه عمرو بن عبدالله[2] هو أول من تسمى بقرطبة بقاضي الجماعة، وهذا القول يوضحه ماجاء بعده، فقد قال ابن القوطية أن عمرو بن عبدالله "لم يكن من الجند فنسب إليهم، وكان القضاة من أجناد العرب[3]" وبذلك يتضح أن ابن القوطية أراد أن يقول أنه أول قاضٍ للجماعة من غير العرب[4]، وهذا ماصرح به ابن الفرضي بقوله "وهو أول من استُقضي بقرطبة من الموالي[5]".

---

١ - النباهي، ص٢١.

٢ - أبو عبدالله عمرو بن عبدالله بن ليث، قرطبي يعرف بالقُبْعَة، مولى إحدى بنات الأمير عبدالرحمن الداخل، ولاه الأمير محمد خطتي القضاء والصلاة سنة ٢٥٠هـ، إلا أنه سرعان ماصرفه عن خطة الصلاة بسبب معارضة العرب له. وكان عمرو بن عبدالله معروفاً بالفضل والعقل والأدب وقوراً حسن السمت مؤثراً للعدل صاحب هيبة شديدة ومروءة ظاهرة، لقب بالقبعه لأنه كان قصيراً دحداحاً إذا قعد يكاد يخف، ولي القضاء مرتين، الأخيرة كانت سنة ٢٦٠هـ وعزل عنه سنة ٢٦٣هـ وقد أصيب عمرو في عقله آخر عمره وتوفي سنة ٢٧٣هـ انظر: قضاة قرطبة، ص٦٧-٧٣، ٨٢-٨٣. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٩٣٨.

٣ - ابن القوطية، ٧٣.

٤ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص١٦٣.

٥ - ابن الفرضي، ٣٦٣/١. وانظر: الخشني قضاة قرطبة، ص ٦٧.

وظهر في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) لقب جديد، وهو "قاضي القضاة" وصاحب هذا اللقب لاشأن له بقرطبة، إذ أن دائرة اختصاصه محصورة في الثغور، وأول من أُطلق عليه هذا اللقب منذر بن سعيد البلوطي وذلك سنة ٣٣٠هـ (٩٣٧م) فقد ولاه الخليفة عبدالرحمن الناصر "القضاء في جميع الثغور، وصُير قاضي القضاة في جميعها، وجعل إليه الإشراف على جميع القضاة والعمال بها، والنظر في المختلفين من بلاد الإفرنج إليها"[1].

وبهذه الصورة أصبحت الدولة الأموية تضم أربعة أصناف من مراتب القضاة، فهناك "مسدد" وهو قاضي القرية الصغيرة، و"القاضي" وهو من تولى القضاء في الكورة، و"قاضي قضاة" الذي يشرف على عمال الثغور وقضاته، وأخيراً "قاضي الجماعة" بالعاصمة قرطبة.

وقد استمر لقب "قاضي الجماعة" طيلة القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) من عمر الدولة الأموية، إلا أنه في عهد الحاجب عبدالرحمن بن المنصور الشهير بشنجول، حل محله لقب "قاضي القضاة" وأول من حمل هذا اللقب أبو العباس أحمد بن عبدالله بن

---

١ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٨٨.

ذكوان[1]، ثم حمله من بعده أبو بكر يحيى بن عبدالرحمن بن وافد اليحصبي[2].

والملاحظ أن لقب "قاضي القضاة" عرفته الأندلس من المشرق وبالتحديد من الخلافة العباسية التي أقتبسته بدورها من النظم الفارسية الساسانية[3]، والدولة الأموية في الأندلس لم تسمح بهذا اللقب في حاضرها إلا بعد أن أخذت تسير سريعة نحو الانحلال.

وكما كان القاضي ابن ذكوان أول من لُقِّب بـ"قاضي القضاة" في الأندلس فكذلك هو أول من اجتمع له منصبي الوزارة والقضاء[4]، ولقب الوزارة هنا ليس لقباً شرفياً، وإنما للقيام بأعباء الوزارة كاملة إضافة إلى

---

١ - ترتيب المدارك، ١٧١/٧.

٢ - أبو بكر يحيى بن عبدالرحمن بن وافد اللخمي، قرطبي كان فقيهاً حافظاً ذاكراً للمسائل بصيراً بالأحكام، مع الورع والفضل والدين والتواضع، ولي القضاء مرتين في عهد الخليفة هشام المؤيد، فحمد الناس سيرته، وكان طيلة مدتي قضائه يؤذن في مسجده ويقيم الصلاة فيه، وصفه ابن حيان بأنه كان آخر كملاء القضاة بالأندلس، وعندما تغلب البرابر على قرطبة نالت ابن وافد منهم محنة شديدة وبلاء عظيم، وحبس بقصر قرطبة إلى أن توفي رحمه الله منتصف شهر ذي الحجة سنة ٤٠٤هـ. انظر: ترتيب المدارك، ١٧٦/٧-١٨١. الصلة، ترجمة رقم ١٤٥٧. النباهي، ص ٨٨-٨٩.

٣ - كان يطلق على قاضي القضاة في الدولة الساسانية "موبذان موبذ" وتعريبه: قاضي القضاة، وهو أعلى وظائف الدولة الدينية قدراً ورتبه. انظر: كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص١٥.

٤ - ترتيب المدارك، ١٧٠/٧-١٧١.

أعباء القضاء[١] وفي هذه الحالة كانت رسوم الدولة الأموية تقتضي تقديم لقب الوزارة على القضاء في المكاتبات فابن[٢] ذكوان "كان يكتب عنه من الوزير قاضي القضاة[٣]" إلى فلان.

وقبل أن ننهي الحديث عن الألقاب التي حصل عليها قضاة الأندلس، لابد من الإشارة إلى أهمية منصب قاضي الجماعة بقرطبة، ويكفي في هذا الخصوص أن أمراء وخلفاء بني أمية كانوا إذا احتاروا في أمر من الأمور لايقطعون فيه حتى يستشيروا ثلاثة من أصحاب المناصب العليا، أحدهم قاضي الجماعة بقرطبة[٤].

رسوم تعيين قاضي الجماعة

من الملاحظ أن عدد قضاة الجماعة بقرطبة طيلة العهد الأموي، بلغ واحد وثلاثون قاضياً، منهم سبعة من أهل قرطبة والباقي من خارجها[٥].

وإذا بحثنا عن السبب في هذا الوضع نجد أن ابن خلدون يذكر أن خطة القضاء لدى بني أمية بالأندلس لاتسند إلا لأهل العصبية[٦]، ورغم أنه لم يأت بما يؤيد رأيه، إلا أنه يمكن القول بأنه قد ذهب إلى هذا من

---

١ – تاريخ القضاة في الأندلس، ص١٦٤.

٢ – النباهي، ص ٨٨.

٣ – المغرب في حلى المغرب، ٢١٥/١.

٤ – الزهرات المنثورة، الزهرة الثالث والثمانون، ص٥٢-٥٣.

٥ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص ١٧٣-١٧٦ ومصادره.

٦ – مقدمة ابن خلدون، ص٦٢٣، ٦٣٠.

خلال اختيار الخليفة عبدالرحمن الناصر قضاة من أبناء البيوتـــات، ذات المكانة في الكورة نفسها أو غيرها من الكور، من ذلك أنه استقضى محمد بن عبدالخالق الغساني في النصف من ربيع الآخر سنة ٣٠٠هـــ (نـــوفمبر ٩١٢م) [١] كما أنه اختار الفقيه معن بن محمد بن معن الأنصاري علـــى قضاء سرقسطة سنة ٣٢٦هـــ (٩٣٨م) وظل على خطته بسرقسطه حتى وفاته سنة ٣٣٠هـــ (٩٤٣م) فقد كان الفقيه معن متولياً الأنصار مـــن أهل سرقسطة وأحد رجالاتها وقدوة جماعتها[٢].

وبعد أن يقع الاختيار على أحدهم ليتولى قضاء الجماعـــة، يـــتم استدعاؤه للأمير أو الخليفة، حيث يعهد إليه بالقضاء ويعظه ويحـــدد لـــه الحدود ويرسم له الرسوم، ومايقف عليه من أسباب القضـــاء ووجـــوه الأحكام.

ومما يلفت الانتباه في هذا الخصوص أن حكام بني أمية كانوا علـــى درجة عالية من الثقافة والإلمام الواسع بمقتضيات الأمور، مـــن ذلـــك أن الخليفة عبدالرحمن الناصر عندما استدعى الفقيه ابن أبي عيسى ليوليه قضاء الجماعة، خاطبه بما أراد ووعظه ووصاه، وعندما حدَّث ابن أبي عيسى أبا عمر أحمد بن عبادة الرعيني[٣] (ت٣٣٢هـــ) بما جاء في وصايا الخليفة له،

---

١ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٥٨.

٢ – التكملة، (طبعة كوديرا)، ترجمة رقم ١١٥٧.

٣ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٥ .

قال له الرعيني "لو أن أباك حياً، واجتهد في عظتك مابلغ من النصح لك هذا المبلغ[١]".

وبعد أن تنتهي المقابلة، يتم إصدار مرسوم في هذا الصدد[٢] وقد حفظت لنا المصادر ظهيراً أصدره الخليفة الحكم المستنصر يوم الإثنين للنصف من شهر شعبان سنة ٣٥٣هـ (أغسطس ٩٦٤م) يقضي بتعيين محمد بن السليم قاضياً للجماعة، جاء فيه: إن الخليفة يأمر قاضيه بالاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وأن يصلح سريرته، ويبرأ من الهوى ليكون الناس أمامه سواسية، كما نصحه بعدم الغرور بمنصبه، وأطلعه على خطورة مايتقلده، وأنه طريقه إلى الجنة أو النار، ثم تعرَّض للشهادات ومايجب عليه في قبولها، وأوصاه بضرورة التفقد الدائم لكاتبه وحاجبه وأهل خدمته، كما نصحه بالتريث في إصدار الأحكام، وأشار عليه بأنه متى ماواجهته معضلة لم يستطع تجاوزها فعليه رفعها إلى الخليفة ليصدر فيها مايراه[٣].

---

١ - قضاة قرطبة، ص ١١٨.

٢ - هناك ظهير أصدره والي الأندلس عقبة بن الحجاج لقاضيه مهدي بن مسلم حين ولاه القضاء بقرطبة، انظر: قضاة قرطبة، ص ٩-١٢. التكملة: (طبعة كوديرا) ترجمة رقم ١١٦٢.

٣ - النباهي، ص٧٥-٧٦.

والشروط الواجبة توفرها فيمن يلي القضاء عامة، هي أن يكون معروفاً بالخير والصلاح والفضل والورع[1]، أو سبق أن اشتهر أمره بالأمانة[2]، وكذلك معرفة الأمير أو الخليفة بأخلاق ذلك المرشح[3]، أو أن يكون ذو شخصية تميزه عن غيره من الفقهاء[4] أو أن تجتمع اراء الوزراء على تقديم فقيه بعينه[5].

وكان بعض أولئك المرشحين يشترط شروطاً لتولي ذلك المنصب، والقيام بمهامه الخطيرة، فمحمد بن بشير المعافري عندما استدعاه الأمير

---

١ – الأمير عبدالرحمن الداخل استدعى عبدالرحمن بن طريف اليحصبي من مارده وولاه قضاة الجماعة بعد أن سمع عن صلاحه. قضاة قرطبة، ص ٢٣.

٢ – كان سعيد بن محمد بن بشير المعافري، قد حفظ وديعة لربيع القومس، ورغم النداء الذي أصدره الأمير الحكم الربضي بأن من عنده وديعة لربيع و لم يسلمها خلال ثلاثة أيام فإن دمه يكون مسفوكاً، إلا أن سعيداً المعافري تجاهل هذا التحذير، محتجاً بأن الأمانة تؤدى للبر والفاجر، فلما وقف الأمير الحكم الربضي على ذلك أدرك مدى أمانة سعيد فأوصى الوزراء بتوليته قضاء الجماعة. انظر: قضاة قرطبة، ص٣٩.

٣ – الأمير محمد بن عبدالرحمن ولى سليمان بن أسود قضاء الجماعة، إذ أنه كان على معرفة مسبقة به عندما كان والياً على مارده وسليمان بن أسود قاضياً فيها. انظر: قضاة قرطبة، ص ٧٣.

٤ – قضاة قرطبة، ص ٦٧–٦٨.

٥ – الأمير عبدالله بن محمد جمع الوزراء بعد وفاة قاضي الجماعة محمد بن سلمة، واستشارهم فيمن يقدم للقضاء، فاتفقت كلمتهم على: الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي. انظر: قضاة قرطبة، ص١٠١.

الحكم الربضي ليتولى قضاء الجماعة وافق على الترشيح ولكنه اشترط "نفاذ حكمه على كل أحد من الأمير إلى حارس السوق، وأنه إذا ظهر له العجز من نفسه أُعفي وأن يكون رزقه كفافاً من المال الفيء[١]".

علاقة أمراء وخلفاء بني أمية بقضاهم

يقول القاضي الباجي: "على الملك أن يشرف مترلة القاضي، ويقوي سلطانه، وينفذ حكمه في نفسه وولده وأهله وفي جميع أهل مملكته، كما فعلت الخلفاء الراشدون والأئمة الهادية والسلف الصالح لأن سلطانه من سلطانه"[٢].

ومن هذا المنطلق حرص الأمويون على إيجاد القاضي العدل، ومساندة أحكامه، وإن كانت لاتتفق مع أهوائهم، فقاضي الجماعة عبدالرحمن بن طريف اليحصبي[٣]، لم يخش هيبة الأمير عبدالرحمن الداخل[٤]، ولم يجامله، فقد رفض تعليماته بضرورة التريث في قضية

---

١ – النباهي، ص ٤٧–٤٨.

٢ – أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، فصول الأحكام وبيان مامضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام تحقيق: الباتول بن علي، ص١٧٢.

٣ – عبدالرحمن بن طريف اليحصبي، استقدمه الأمير عبدالرحمن الداخل من ماردة عندما سمع بصلاحه وصلابته وورعه، فسار بالقضاء أجمل سيره، وقد بلغ من زهده وورعه أنه إذا شغل عن القضاء يوماً واحد لم يأخذ لذلك اليوم أجراً. انظر: قضاة قرطبة، ص ٢٣–٢٤. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٧٤. النباهي، ص ٤٤ إلا أنه سماه "نصر بن ظريف".

٤ – ابن الفرضي: ترجمة رقم ٤٦٩.

حبيب القرشي الذي اغتصب ضيعة أحدهم، و لم يكتف بذلك، بل سارع إلى التسجيل على حبيب وانفاذ الحكم عليه بمحضر الفقهاء والعدول، وعندما عاتبه الأمير على مخالفته أوامره، أجابه قائلاً "أيها الأمير، ماالذي يحملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض، وأنت تجد من ذلك وجهاً أن ترضي من تُعنى به من مالك[1]".

وأما الأمير هشام الرضا، فيكفي في إظهار موقفه من قضاته، أنه عندما استدعى المصعب بن عمران ليوليه قضاء الجماعة، قال له في معرض حديثه "ونفسي طيبة عليك لصلاح أمور المسلمين، ولو وضعت المنشار على رأسي لم أعترضك[2]".

وبطبيعة الحال لن يضع القاضي منشاره على رأس الأمير، ولكن هذه الجملة تعني الخضوع المطلق لأحكام القاضي الشرعية، وفي الوقت نفسه هي دليل على مدى ثقة الأمير بمن اختاره للقضاء.

ولقد كانت أفعال الأمير هشام مؤيدة لقاضيه، حتى أنه عندما اشتكى إليه أحد رجاله من أن القاضي سجل عليه في داره وأخرجه منها،

---

١ - قضاة قرطبة، ٢٣-٢٤، وقد ذكر الخشني أن حبيباً القرشي بعد أن اشترى الضيعة من أصحابها بالثمن الذي ارتضوه كان يقول: "جزى الله عني ابن طريف خيرا، كانت بيدي ضيعة حرام فجعلها ابن طريف حلالاً" المصدر السابق، ص ٢٤.

٢ - ابن القوطية، ٤٤.

رد عليه قائلاً: "وماذا تريد مني؟، والله لو سجل عليَّ القاضي في مقعدي هذا، لخرجت عنه[١]".

وأما الأمير الحكم الربضي، الذي اختلفت المصادر في الحديث عن شخصيته[٢] فقد ذكر الخشني، أنه عندما بلغه أن قاضي الجماعة محمد بن بشير، يحتضر، قام في جوف الليل يصلي في مكان منفـــرد في القصـــر، ويبتهل إلى الله تعالى أن يوفقه بقاضٍ يكون عوضاً لقاضيه ابن بشـــير[٣]، وذلك على الرغم من أن هذا القاضي كانت له مواقف من الأمير الحكم، فقد أصدر القاضي حكمه في قضية "أرحى القنطرة" ضد رغبـــة الأمـــير الحكم، الذي لم يخف استحسانه لفعله، حيث قال "رحم الله محمد ابـــن بشير فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره منا، كان في أيدينا شيء مشتبه فصححه لنا حلالاً طيباً فطاب لنا ملكه[٤]"، وكانت له كلمة مشـــهورة تدل على حرصه على العدل، فقد ذكر ابن عذاري أنـــه كـــان يقـــول "ماتحلى الخلفاء بمثل العدل"[٥].

---

١ – البيان المغرب، ٢/٦٦.

٢ – انظر: نقط العروس، ٧٣. جذوة المقتبس، ص ١٠. المعجـــب، ص٤٤. البيـــان المغرب، ٢/٧٨-٧٩. ذكر بلاد الأندلس، ص١٢٥، ١٢٧، ١٢٨. نفـــح الطيـــب، ١/٣٤٢.

٣ – قضاة قرطبة، ص ٣٧-٣٨.

٤ – قضاة قرطبة، ص ٢٩-٣٠.

٥ – البيان المغرب، ٢/٧٩.

وأما الأمير عبدالرحمن الأوسط، فقد كان يقال لأيامه أيام العروس[1]، وذلك لما امتازت به من العدل والهدوء، ومما يدل على حزمه في إقراره العدل قصة التاجر اليهودي الذي شكى لقاضي مارده سليمان بن أسود[2] من أن أحد أعوان الأمير محمد بن عبدالرحمن -حاكم كورة ماردة في ذلك الوقت- قد أخذ جاريته منه و لم يسدد ثمنها، أو يردها عليه، وعندما حاول القاضي إقناع الأمير محمد بضرورة إنصاف اليهودي، عمد الأمير إلى الإنكار، فهدده القاضي بأنه سوف يذهب بنفسه إلى والده بقرطبة ويعرض عليه القضية كاملة، فلم يكن أمام الأمير محمد إلا الرضوخ لحكم القاضي، حيث تم تسليم الجارية لليهودي[3].

---

١ - ذكر بلاد الأندلس، ١٣٩.

٢ - أبو أيوب سليمان بن أسود بن يعش ابن جشبيد الغافقي، من سكان مدينة غافق، ولي القضاء في كوره مارده، استدعاه الأمير محمد وولاه قضاة الجماعة بقرطبة، وصف بأنه كان رجلاً صالحاً، متقشفاً، مهيباً، صليباً في حكمه، فيه ذكرة وتحامل على كبار رجالات الدولة وقلة مداراة لهم، تولى القضاء بقرطبة مرتين عزل عن الأولى سنة ٢٦٠هـ، وفي سنة ٢٦٣هـ أعيد للقضاء وتمادى فيه حتى عزل عنه في عهد الأمير المنذر بن محمد، وقد توفي سليمان بن أسود وهو ابن تسع وتسعين سنة وعشرة أشهر. انظر: قضاة قرطبة، ص ٧٣-٨٢، ٨٣-٨٩. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٥٤٩. النباهي، المرقبة العليا، ص٥٦-٥٩.

٣ - النباهي، ص٥٦-٥٧، وانظر: قضاة قرطبة، ص٧٣. إلا أن الخشني ذكر أن أحد أعوان الأمير محمد انتزع من رجل ابنته، وهذا في الواقع بعيد الحصول لأنه لايمكن في=

وفي عصر الخلافة نجد الخليفة عبدالرحمن الناصر يرضخ لحكم قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي، فقد ذكر ابن غالب أن الخليفة أراد شراء دار أيتام زكريا أخي بخدة الحيري، لحظية من نسائه، وكان أولئك الأيتام في حجر القاضي، وكما هو معروف أنه لايجوز البيع في هذه الحالة إلا عن رأيه ومشورته، ولذا ماإن شعر القاضي أن الخليفة سوف يدفع ثمناً أقل مما يجب في الدار، حتى سارع وأمر الوصي بنقض الدار حيث بيعت الأنقاض بثمن أكثر مما كان الخليفة سيدفعه، وحين اتصل الخبر بالخليفة سأل القاضي عن هذا التصرف، فكان رده ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[١] فما كان من الخليفة إلا أن استحسن رد القاضي وتصرفه، وقال له : نحن أولى من انقاد إلى الحق، فجزاك الله عنا وعن أمانتك خيراً[٢]".

وهكذا يتضح مما سبق -والأمثلة كثيرة- أن سياسة بني أمية مع القضاة كانت تتسم بالاحترام والتأييد والمساندة في إنفاذ أحكامهم، وعدم نقضها، بالرغم من أن بعضها كان لايوافق رغباتهم. كل هذا حرص منهم

=الوسط الإسلامي انتزاع أي بنت كانت أياً كان والدها، فالنباهي كان دقيقاً عندما ذكر أنها جارية لأحد اليهود والجارية كما هو معروف تباع وتشترى.

١ - سورة الكهف الآية رقم ٧٩.

٢ - فرحة الأنفس، ص ٣٠٤.

على إتباع الحق، ونشر العدل إذ أن "الظلم مؤذن بخـــراب العمــــران[١]"
ولاننسى أهم كانوا شديدي الحرص على سلامة سمعتهم، ليس فقط بين رعاياهم أو الممالك النصرانية المجاورة، وإنما ألا يصل إلى مسامع العباسيين إلا كل جميل عنهم وعن قضاهم، يدل على ذلك قصة قاضي الجماعـــة عمرو بن عبدالله، المتوفى سنة ٢٧٣هـــ (٨٨٦م) الـــذي دارت حولـــه شكوك في قضية مال لأحد الأيتام، فقد أفتى الفقهاء بتحليـــف القاضـــي علناً، إلا أن الأمير محمد بن عبدالرحمن أخذ برأي الفقيه بقي بن مخلـــد، المتوفى سنة ٢٧٦هـــ (٨٨٩م) الذي قال للأمير: "إن اتصل ببني العبـــاس أنّا نحلف قضاتنا، كان ذلك أعظم ما نعاب به عندهم[٢]".

وبالمقابل لهذه المساندة التي يقدمها أمراء وخلفاء بني أمية لقضاهم، نجد الفقهاء يعملون دوماً على تحسين صورة أولئك الحكام أمام رعاياهم، من ذلك مثلاً: العلاقة الوطيدة التي كانت قائمة بين الأمير عبـــدالرحمن الأوسط والفقيه يحيى بن يحيى الليثي[٣] ت ٢٣٤هـــ (٨٤٨م) فقد عـــبر

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٧٤١.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٨٤.

٣ - أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملل بن منقايار قـــرطبي، بربـــري مصمودي، مولى بني ليث، ولد سنة ١٥٢هـــ سمع من فقهاء عصره في قرطبة ثم رحـــل إلى المشرق فسمع من الليث بن سعد ومالك بن أنس وتلاميذه في مصر، ولذلك جمـــع يحيى فقهه من مدرستي المدينة ومصر المالكيتين، فعاد إلى الأندلس بعلم وفير، وغدا إمام وقته، وعادت الفتيا في الأندلس إليه وتعتبر روايته للموطأ أوسع الروايات إنتشـــاراً في=

عنها ابن القوطية بقوله ".. وكان يلتزم من إعظام يحيى بن يحيى وبره مالايلتزم الابن البار للأب الحاني[١]" حتى أنه لم يعص له أمراً إلا مرة واحدة[٢] ومقابل هذا البر كان الفقيه يحيى صاحب مهارة وكياسة في كيفية تزيين اثار الأمير لدى الرعية وحضهم على طاعته واستنهاضهم لتكاليفه[٣].

=المغرب الإسلامي بوجه عام، كان رحمه الله رجلاً عاقلاً، عظيم القدر جليل الذكر، لم ينل أحد من أهل العلم بالأندلس مثل مانال يحيى من الرئاسة والحرمة، وعندما وقع هيج الربض، كان يحيى ممن اهم فيه، ففر بسبب ذلك إلى طليطلة، فكتب له الأمير الحكم الربضي كتاب أمان، فعاد إلى قرطبة، وعندما تولى الإمارة الأمير عبدالرحمن الأوسط، غدت منزلة يحيى أرفع منزلة رغم رفضه تولي منصب القضاء ومازال في سؤدد حتى وافته المنية، رحمه الله، انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٥٥٦. ترتيب المدارك، ٣/٣٧٩-٣٩٤. سير أعلام النبلاء، ١٠/٥١٩-٥٢٥. نفح الطيب، ٢/٩.

١ - ابن القوطية، ص ٥٨.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٤٠-٤١.

٣ - المصدر السابق، ص٤٢-٤٣، ولاشك أنه عندما تكون العلاقة بين الفقهاء وبين ولاة الأمر علاقة طيبة وكلمتهم واحدة للعمل بما فيه صالح الإسلام والمسلمين، فإن ذلك ينعكس بصورة إيجابية على المجتمع، فيتحقق الاستقرار والهدوء الأمر الذي يكفل النماء لكافة مقومات الحياة السعيدة والعكس لايجلب إلا فتنا لانهاية لها.

وكان الأمير محمد بن عبدالرحمن يجل الفقيهين بقي بن مخلد ومحمد بن عبدالسلام الخشني[1] ت٢٦٨هـ (٨٨٢م) وناصرهما ضد من وقف في وجهيهما من الفقهاء بعد عودتهما من المشرق[2]، وبمقابل ذلك كان الفقيه ابن مخلد دائم الدعاء للأمير محمد واصفاً لآثاره معجباً به[3]، كما

١ - أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام بن ثعلبة الخشني، من أهل قرطبة، إمام حافظ متقن علامة، طلب العلم على شيوخ عصره، ثم رحل إلى المشرق قبل سنة ٢٤٠هـ، فأدى فريضة الحج، وطلب علم الحديث وعلوم اللغة علىعلماء العراق ومكة ومصر، وأدخل الأندلس علماً كثيراً بعد أن مكث في المشرق خمساً وعشرين سنة. ولم يكن الخشني فقيهاً، بل كان لغوياً راوية للحديث كما كان رحمه الله ثقة مأموناً. وبسبب ادخاله كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد تعرض لإنكار بعض الفقهاء، بل ضيق عليه وسجن حتى أنقذه الله تعالى بسبب الأمير محمد بن عبدالرحمن، وقد وصف الخشني بفصاحة اللسان، وجزالة المنطق، كما كان صارماً أنوفاً منقبضاً عن الأمراء، وعندما أراده الأمير محمد على القضاء رفض بشدة، وقد خلط البعض بينه وبين محمد بن حارث الخشني صاحب كتاب قضاة قرطبة. توفي رحمه الله يوم السبت لأربع بقين من شهر رمضان سنة ٢٨٦هـ. انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٣٤. المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص ٢٥٠-٢٦١. جذوة المقتبس، ترجمة رقم ١٠٠. سير أعلام النبلاء، ١٣/٤٥٩-٤٦٠.

Francisco pons Boigues: Storiadores y Geografos Arabico - Espanoiles- Madrid, 1898, p: 48>

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٢٤٨-٢٥٢.

٣ - العقد الفريد، ٤/٤٩٤-٤٩٥.

أن الفقيه الخشني كان إذا قعد للإسماع ابتدأ القارئ عليه بالدعاء للأمير محمد، وإذا فرغ ختم به[١]".

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد كان الحاجب المنصور بن أبي عامر لا ينفذ بعض أحكام قضاته[٢]، فقد تدخل في حكم قضائي صدر ضد قاسم بن محمد المرواني المعروف بالشبانسي، الذي أودع السجن تمهيداً لقتله، إلا أنه أفرج عنه لقصيدة مدحه فيها [٣].

وقد اقتضت رسوم الدولة الأموية في الأندلس أن تكون مخاطبة القاضي للأمير أو الخليفة الأموي بـ"التسييد[٤]" وهذا ماكان يلتزمه الفقيه يحيى بن يحيى الليثي مع الأمير عبدالرحمن الأوسط[٥]، كما أن قاضي

---

١ - المقتبس، تحقيق: محمود مكي، ص ٢٥٢.

٢ - عندما وُضعت جنازة الخليفة الحكم المستنصر بالله تقدم ابنه هشام المؤيد للصلاة عليه، فقال القاضي ابن سليم، وماتغني صلاة أمير المؤمنين عنه، ثم برز عن الصف بنية الإمامة، وروى عنه أن قال: لولا إني نويت عقد الصلاة بمقامي هذا لدفن بغير صلاة، انظر: ترتيب المدارك: ٢٨٨/٦-٢٨٩. فلما علم المنصور بذلك أخذ يسعى في توهين أمر ابن السليم ويتعرض لأحكامه وينقض قضاياه.

٣ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٧٦٧. بغية الملتمس، ترجمة رقم ١٢٩٦. نفح الطيب، ٥٩٢/٣.

٤ - النباهي، ص ٧٨.

٥ - المقتبس، تحقيق: د.محمود علي مكي، ص ٤٤.

الجماعة محمد بن يبقى بن زرب[1]، المتوفي سنة ٣٨١هـ "٩٩١م" كان يخاطب الخليفة هشام المؤيد بـ"أصلح الله أمير المؤمنين سيدي وأبقاه وأيده بطاعته[2]".

ونظراً لأن الحاجب المنصور بن أبي عامر سبق وأن أصدر أوامره بأن تكون مخاطبته بلفظ "سيدي[3]" لأجل هذا فقد كان القاضي ابن زرب يخاطبه بـ"ياسيدي ومن وفقه الله لطاعته وعصمه بتقواه[4]".

---

١ - أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن يزيد بن مسلمة، قرطبي ولد يوم الجمعة التاسع من شهر رمضان سنة ٣١٧هـ، وطلب العلم على فقهاء قرطبة، برع في حفظ المسائل على المذهب المالكي حتى عد أحفظ أهل زمانه لها كان أحد المشاورين عند قاضي الجماعة محمد بن إسحاق بن السليم، وبعد وفاته تولى محمد بن يبقى قضاء الجماعة يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر جمادي الآخرة سنة ٣٦٧هـ فكان في أحكامه بعيداً عن الحيف، وكان لايجلس للقضاء حتى يأكل كما كان كثير الصلاة كثير التلاوة للقرآن، بصيراً بالعربية، فيه سلامة تجعله يقبل .... مواجهة، وقد ألف كتاباً في الفقه أجاد فيه، وكان المنصور بن أبي عامر يجله ويعظمه ويتحرك له ويجلسه على فراشه، ومع ذلك لم يقبل له ابن زرب يداً قط، وقد توفي رحمه الله ليلة الأحد الثاني عشر من شهر رمضان سنة ٣٨١هـ ودفن يوم الأحد بعد صلاة العصر في مقبرة قريش، ففقده الناس وأثنوا عليه ثناءً حسناً، وأظهر المنصور لموته غماً شديداً، انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣٦٣. بغية الملتمس، ترجمة رقم ٣٢٥، ابن فرحون الديباج المذهب (القاهرة، مكتبة عباس عبدالسلام شقرون، ط الأولى ١٣٥١هـ) ص ٢٦٨-٢٦٩.

٢ - النباهي، ص٧٨.

٣ - البيان المغرب، ٢/٢٩٤.

٤ - النباهي، ص ٧٨.

تعطل منصب قاضي الجماعة

بالرغم من الاهتمام الكبير الذي أولاه الأمويون في الأندلس للقضاء إلا أن المصادر أوردت ذكر تعطل منصب "قاضي الجماعة" ثلاث مرات طيلة تاريخ الدولة الأموية هناك.

ففي عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، وبعد أن توفي قاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني سنة ٢٠٩هـ (٨٢٤م) بقي الناس بغير قاضي مدة ستة أشهر[١].

وفي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن تعطل القضاء، فقد خرج قاضي الجماعة عمرو بن عبدالله للغزو مع وليد بن هاشم سنة ٢٦٣هـ (٨٧٧م) وعند عودته لم يؤمر بالنظر في القضايا، وعدم صدور الأمر للقاضي بالنظر بعد عودته من الغزو علامة على أنه قد عُزل عن منصبه، وبذلك ظل منصب قاضي الجماعة معطلاً طيلة ستة أشهر حتى أعيد إلى القضاء سليمان بن أسود للمرة الثانية[٢].

وأما الخليفة المستعين بالله سليمان بن الحكم، فقد عطل خطة القضاء ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر بحجة أنه لم يجد الكفء لهذه الخطة، بعد أن اعتذر عنها وليه أحمد بن ذكوان[٣].

---

١ - قضاة قرطبة، ٥١.

٢ - المصدر السابق، ص٨٣.

٣ - النباهي، ص ٨٩.

وتعطيل منصب القضاء في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط وابنه محمد أمر مثير للتساؤل، خاصة في وسط يعج بالفقهاء الأكفاء، كما هو حال المجتمع الأندلسي آنذاك، وقد كان بمقدور أي منهما تكليف أحد الفقهاء للقيام بهذه المهمة أو أن يدل على من هو أهل لها[١]، وبما أن بقاء الناس بدون قاضي مفسد لأحوالهم. إذاً ماهو العذر في تعطيل ذلك المنصب الهام؟

لعل حجة الأمير عبدالرحمن الأوسط وابنه في تعطيل منصب القضاء راجع إلى حرصهما على أن يكون القاضي الجديد لايقل كفاءة عن سلفه[٢]. وأما تعطله في عهد المستعين، فالناس كانوا في فتنة عظيمة لاينال فيها صاحب الحق حقه حتى وإن كان القاضي في مجلسه، بالإضافة إلى هرب معظم الفقهاء من قرطبة بسبب الفتنة.

وبالرغم من المكانة السامية التي يتمتع بها قاضي الجماعة بقرطبة، إلا أن سلطته تبدو محدودة مقارنة بمكانته، فسلطته لاتتجاوز قرطبة، وقضاؤه يتوقف عند حدودها، وليس له على قضاة كور الأندلس أي سلطة.

والسبب في ذلك يوضحه لنا ابن حيان، فقد ذكر أن بني أمية في الأندلس "لم يفوضوا أمر القضاة إلى قاضي في وقت من الأوقات[٣]" سواء

---

١ – من ذلك فعل الأمير عبدالرحمن الأوسط مع الفقيه يحيى بن يحيى الليثي. انظر: قضاة قرطبة، ص٥. المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص ٥٨-٥٩. النباهي، ص ١٤-١٥.

٢ – انظر: قضاة قرطبة، ص٥ . قارن: النباهي، ص ١٤-١٥.

٣ – المغرب في حلى المغرب، ٢١٥/١.

في الأحكام أو التعيين والعزل، لكننا نجد لدى الخشني نص يفيد بأن هذه القاعدة يمكن تجاوزها، شريطة أن يصدر تفويض من الأمير بذلك، يتمكن من خلاله قاضي الجماعة من بسط نفوذه حيث يصبح بإمكانه إصدار أوامره لأحد قضاة الكور وتفقد أحواله أو حتى عزله وتعيين سواه، من ذلك أن أهل كورة استجه رفعوا للأمير الحكم الربضي كتاباً يسألونه فيه تعيين قاضٍ يقضي بينهم، فأحال الأمير كتابهم إلى قاضي الجماعة سعيد بن محمد ابن بشير المعافري ليختار لهم من يراه[1].

ثقافة القاضي

جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، أنه قال له: "كيف تقضي إن عرض عليك القضاة؟ "قال: "أقضي فيما في كتاب الله" قال: "فإن لم يكن ذلك في كتاب الله؟ "قال: "أقضي بسنة رسول الله" قال: "فإن لم يكن ذلك في سنة رسول الله؟ "قال: "أجتهد رأيي ولا آلو" قال: فضرب رسول الله ﷺ على صدره

---

١ – قضاة قرطبة، ص ٣٨. لقد اختُلف كثيراً في جواز حكم القاضي في قضية وقعت خارج النظام الإقليمي المحدد لولايته، عن الأراء في هذه المسألة. انظر: أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبدالرفيع، معين الحكام على القضايا والأحكام، (تحقيق:د.محمد بن قاسم بن عياد: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٩٨٩م) ٢/٦١٣-٦١٤.

بيده،وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضـــي رســـول الله"[١].

هذا الحديث الشريف الذي أقر فيه النبي ﷺ قول معاذ رضي الله عنه قد جمع المصادر التي يمكن بواسطتها استنباط الأحكام. فعنـــدما يكـــون النص من الكتاب والسنة متعذراً لابد من الاجتهاد، والذي تجدر الإشارة إليه أن الاجتهاد الذي يلجأ إليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والنبي الكريم ﷺ على قيد الحياة، لايأخذون به إلا في حالة بعد الشـــقة بينـــهم وبينه، والأمر يتطلب البت حالاً، أما في حالة كونهم معه فإنهم يرجعـــون إليه في كل صغيرة وكبيرة ليمتثلوا أوامره عليه الصلاة والسلام[٢].

وكثيراً ما كان النبي ﷺ يزود من يوليهم القضاء بوصاياه وإرشاداته الكريمة[٣]، وعلى هذا المنوال سار من أتى بعده من الخلفـــاء الراشـــدين رضي الله عنهم وغيرهم، ولعل أشهر تلك الوصايا كتاب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما[٤].

---

١ – أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح "سنن الترمذي، (دار الفكـــر للنشر والتوزيع. القاهرة، ١٤٠٠هـــ ١٩٨٠م) ٢/٣٩٤.

٢ – محمود محمد عرونس، تاريخ القضاء في الإسلام، (المطبعة المصرية الأهلية الحديثـــة، القاهرة، ١٣٥٢هـــ ١٩٣٤م)ص١٩.

٣ – سنن الترمذي، ٢/٣٩٥.

٤ – أدب القاضي، ص ٤٥. العقد الفريد، ١/١٠١.

هذه الوصايا والإرشادات التي وصلت إلينا منذ عهد النبي ﷺ أو أصحابه رضي الله عنهم، جميعها تشكل القاعدة الرئيسية للثقافة التي يجب أن يتحلى بها من يلي القضاء.

ومن اجتمع فيه الدين والعلم وكان "مطلعاً على أقضية من مضى، غير مستكبر عن مشاورة من معه من أهل العلم، ورعاً، ذكياً فطناً، فهماً غير عجول، نزيهاً عما في أيدي الناس عاقلاً، مرضي الأحوال، غير هيَّاب للأئمة[١]" كان هو الأصلح للقضاء.

ولأن من النادر اجتماع هذه الخصال في رجل واحد -باستثناء السلف الصالح- لأجل هذا نجد الإمام مالك بن أنس، المتوفي سنة ١٧٩هـ (٧٩٥م) رحمه الله، يقول "ولاأرى خصال القضاء تجتمع اليوم في أحد، فإن اجتمع منهما خصلتان: العلم والورع، ولي[٢]" ، في حين يرى الفقيه عبدالملك بن حبيب[٣]، أن صفتي العقل والورع تؤهلان الرجل

---

١ - معين الحكام، ٦٠٨/٢.

٢ - لباب الألباب، ص ٢٥٤. معين الحكام، ٦٠٩/٢.

٣ - أبو مروان عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، أصله من قرية قورت، ولد بالبيرة سنة ١٧٤هـ، ونشأ بها، ثم تحول إلى قرطبة طلباً للعلم، ومن أجله رحل إلى المشرق سنة ٢٠٨هـ، ثم انصرف إلى الأندلس سنة ٢١٠هـ حاملاً معه علماً كثيراً، نشره في بلدته، وعندما ذاعت شهرته وعرفت مكانته أمر الأمير عبدالرحمن الأوسط بنقله إلى قرطبة، وجعله مشاوراً مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان، وقد ألف عبدالملك كتباً كثيرة تجاوزت الألف كتاب في فنون شتى كالفقه والحديث والسير=

للقضاء، لأنه بالعقل يسأل ويشير وبالورع يعف[١]، وورد لدى النباهي أن "كثير العقل مع قليل العلم أنفع من كثير العلم مع قليل العقل، وليس العلم بكثرة الرواية والحفظ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، وإنما العلم نور يضعه الله في القلب[٢]".

وقد ذكر ابن عبدون الصفات الخلقية التي يجب ان يكون عليها القاضي باعتباره قدوة الجميع فهو يرى أن القاضي يجب "أن يكون جزلاً

=والشمائل والتراجم والتاريخ والطب، ويعتبر كتابه "الواضحة" من أشهر مصنفاته. وصف بأنه عالم الأندلس، فقد كان نحوياً عروضياً شاعراً، حافظاً للأخبار والأنساب والأشعار، متصرفاً في فنون العلم، إلا أنه مع غزارة علمه لم يكن له علم بالحديث ولا كان يعرف صحيحه من سقيمه وبعد وفاة يحيى بن يحيى انفرد عبدالملك بن حبيب برئاسة العلم، ومازال رحمه الله، في سؤدد حتى وافته المنية يوم السبت الخامس من شهر رمضان سنة ٢٣٨هـ. انظر: قضاة قرطبة، ص٥٢، ٥٠-٥٣، ٥٩-٦٠. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨١٦. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٤٥-٤٨، ٥٥-٥٦،، ٥٩-٦٠. ترتيب المدارك ١٢٢/٤-١٤٢. الإحاطة في أخبار غرناطة، ٥٤٨/٣-٥٥٣. الديباج المذهب، ص ١٥٤-١٥٦.**Bolgues, op. cit- p: 29-37** محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، (دار الغرب الإسلامي بيروت. ط الأولى ١٩٨٨م)، ٨٥/١-٨٩.

١ - لباب الألباب، ص٢٥٤. النباهي، ص٢. معين الحكام، ٦٠٩/٢.

٢ - النباهي، ص ٢.

في قوله، صارماً في أمره، محقاً في حكمه، مصوناً عند الناس وعند الرئيس والجمهور عارفاً بحكم الله[1]".

وقد استقصت بعض المصادر[2] ذكر تلك الخصال وكلها تدور حول كون القاضي قدوة للخاصة والعامة ولذا فلابد أن تتوافر فيه الشروط التي تؤهله لذلك.

وعندما نقلب صفحات تراجم قضاة قرطبة، نجد أن معظمهم قد توفرت فيهم العديد من الصفات التي اشترطها الفقهاء فيمن يلي القضاء[3].

وبالمقابل لصور هؤلاء القضاة، نجد صوراً أخرى قاتمة لقضاة وجدوا في عصر الفتنة، من سنة ٣٩٩هـ-٤٢٢هـ (١٠٠٩-١٠٣١م) ويصور لنا ابن حيان حال أحدهم في تلك الفترة، فذكر أن رجلاً كان فلاحاً ثم ناسب أسرة ابن ذكوان، وتولى القضاء آنذاك، فكان ذلك الرجل، مع ثرائه "مضاع الجار، ممطول الغريم، عاتب الصديق، مكرها للأنام ... ضيق الباع في العلم والفضل، والاتساع في الجهل، فلا يحفظ في الفقه مسألة، ولايوثق من الشروط عقداً، ولايتخلص في التلاوة من سورة، ولا يفيض في الأدب ببيت شعر، ثم يأوي بجهله إلى حرج صدر، وغالب نزق، فلا

---

١ - رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ٧.

٢ - أدب القاضي، ص١٠٨. الأحكام السلطانية، ص ٥٣-٥٤، النباهي، ص٣-٥. المعيار المعرب، ص١٠/٧٦-٧٧.

٣ - قضاة قرطبة، ص١٤، ٦١، ٧٤-٧٥، ١١١. ترتيب المدارك، ١٦٨/٧.

تلقاه الخصوم أبداً إلا سريع الغضب، سيء التنـــاول، ينـــازق الــذباب شراسة[١]".

صلاحيات القاضي واختصاصاته

للقاضي صلاحيات وسلطات يمارسها دون غيره من أهل الخطـــط، فهو ينظر في عشر مسائل، هي: الفصل في المنازعات، والعمل على إيصال الحقوق لمستحقيها، وإلزام الولاية للسفهاء والمجانين والحجر على المفلـــس حفظاً للأموال، والنظر في الأحباس والوقوف والتفقد لأحوالها وأحـــوال الناظر فيها، كذلك له تنفيذ الوصايا على شروط الموصـــي إذا وافقـــت الشرع، ويتولى تزويج الأيامى من الأكفاء في حالة عدم وجود الأوليـــاء، وله إقامة الحقوق سواء كانت من حقوق الله تعـــالى أو مـــن حقـــوق الأدميين، بالإضافة إلى النظر إلى مصالح العامة مـــن كـــف التعـــدي في الطرقات والأفنية، وإخراج مالا يستحق من الأجنحة والأقنيـــة، وتفقـــد أحوال الشهود والأمناء واختبار من يرتضيه لذلك، وأخـــيراً، وجـــوب التسوية في الحكم بين القوي والضعيف وتوخي العدل بـــين الشـــريف والمشروف[٢].

وإذا نظرنا إلى قضاة قرطبة، نجد أهـــم كـــانوا يطبقـــون تلـــك الاختصاصات والصلاحيات تطبيقاً عملياً، فقـــد كـــانوا يتنـــاولون في

---

١ – الذخيرة ق١ م١ ص٥٩٢.

٢ – النباهي، ص٥-٦.

أحكامهم مسائل متنوعة، وتكون الأحكام الصادرة عنهم مرتكزة على آراء الفقهاء والمشاورين الذين تتم استشارهم في تلك القضايا، من ذلك "قضية وارث غائب في المشرق وله شرك في دار وطلب الورثة قسمة الدار، وأفتى الفقهاء ببيع الدار، وحفظ حق الوريث الغائب في قيمة ميراثه، وذلك لأن الدار لاتحتمل القسمة[١]".

وعندما تقدمت جارية مملوكة للقاضي وادعت أن سيدها غاب عنها ولم يترك لها نفقة، أمر القاضي ببيعها، وحفظ الثمن عند أحد الثقات إلى أن يرجع سيد الجارية فيسلم له[٢].

وقاضي الجماعة يركب لحيازة أرض محبسة[٣]، او للوقوف على أطوال أرض معينة، مثل ركوب قاضي الجماعة أحمد بن بقي[٤] بن مخلد

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٢٠٤.

٢ - معين الحكام، ص ٦٢٠/٢.

٣ - مطمح الأنفس، ص ٢٥٥.

٤ - أبو عبد الله أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد، ولد في شهر ذي الحجة سنة ٢٦٠هـ، فتربى ونشأ في حجر أبيه، وطلب العلم عليه، نبغ مبكراً، وارتفعت مترلته حتى أن الأمير عبدالله بن محمد شاوره وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، رزق هيبة عظيمة، وقد بلغ من عظم مكانته عند الناس، أن الحاجب موسى بن محمد بن حدير قال عنه: عافانا الله من أحمد بن بقي أنه مال إلى الآخرة وطريقها ولو مال إلى الدنيا لشغلنا بأنفسنا، وقد كان رحمه الله زاهداً، فاضلاً، حليماً، عاقلاً، حصيفاً، أديباً، بليغاً، أنيس المجلس، صادق اللهجة، متواضعاً، رقيق القلب، من رآه أحبه، شديد الحفظ للقرآن، كثير التلاوة له، عالم بتفسيره ومعانيه واختلاف العلماء فيه، تولى قضاء الجماعة مقروناً مع=

إلى مقبرة الربض لامتحان الحدود التي سبق وأن أثبتها قاضـي الجماعـة الأسوار بن عقبة[١]، وكذلك معاينة حائط فيها تنازع[٢]، ومنع الضـرر الحادث من دخان فرن ونحوه[٣]، والتحقيق في قضايا القتـل الخطـأ[٤]، والحكم بالعقلة[٥]، والإشراف على المساجد والميضأة ونظافة أفنيتها وفتح أي باب من أبواب المسجد أغلق منذ مدة طويلة[٦].

=الصلاة والخطبة سنة ٣١٤هـ. فحمدت سيرته، وظل في منصبه حتى وافته المنية ليلة الاثنين الأول من جمادي الأولى سنة ٣٦٤هـ. انظر: قضاة قرطبة، ص١١١-١١٧. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٣. ترتيب المدارك ٥/٢٠٠-٢٠٩. سير أعلام النبلاء ١٥/٨٣-٨٤.

١ - قضاة قرطبة، ص ٤٩. أبو عقبة الأسوار بن عقبة بن حسان بن عبدالله النصري، من أهل جيان، ولاه الأمير عبدالرحمن الأوسط القضاء بعد عزله للقاضي يحيى بن معمر الألهاني سنة ٢٦٠هـ، وقد وصف الأسوار بأنه كان من أهل التحري والخير والفضل والتواضع وحسن السيرة، عاقلاً له مسجد يعرف باسمه يقع في الزقاق الكبير بقرطبة، عزله الأمير عبدالرحمن عن القضاء سنة ٢١٣هـ ثم رأى بعد ذلك إعادته إلا أن الأسوار رفض بشدة. انظر: قضاة قرطبة، ص٤٨-٤٩. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٧٩. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٤٠، ٥٧-٥٨.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٢٠٥.

٣ - قضاة قرطبة ص٧٩.

٤ - د.محمد عبدالوهاب خلاف، وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، مستخرجه من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي ابن أبي الأصبع بن سهل ص٤٧.

٥ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٢٠٩.

٦ - المرجع السابق ص٢١٠.

كما أن له الإشراف على المقصورة المقامة في المسجد الجامع بقرطبة، ولايؤذن لأحد بالصلاة فيها إلا بأمره[١]، والنظر في المشاجرات سواء التي كانت تنشأ بين الزوجين أو بين أي اثنين من أفراد المجتمع بسبب رهن أو بيع فيه عيوب ونحو ذلك[٢]. ومن الأمور التي يبرز فيها دور القاضي في تهدئة الأحوال في مجتمعه أنه عقب هيج الربض الذي اندلع بقرطبة ضد الأمير الحكم الربضي، أُتهم أحد أقارب قاضي الجماعة الفرج بن كنانة[٣] بالاشتراك في ذلك الهيج، فتسور الأعوان عليه داره ليقتلوه، فعلت أصوات النساء، وعندما استفسر الفرج بن كنانة عن سبب ذلك الصراخ، وأخبر بحقيقة الأمر خرج مسرعاً إلى رئيس الأعوان وخاطبه في الأمر، فرد عليه رداً جافاً، فغضب الفرج وذهب للأمير الحكم وقال له: "أيها الأمير، أصلحك الله، إن قريشاً حاربت النبي ﷺ وناصحته

١ - قضاة قرطبة، ص ١٠٤.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٢١٣-٢١٤.

٣ - أبو القاسم فرج بن كنانة بن نزار بن غسان بن مالك بن كنانة الكناني، من أهل شذونة، كان من أهل العلم والعبادة، رحل إلى المشرق طلباً للعلم، وبعد عودته ولاه الأمير الحكم الربضي قضاء الجماعة بقرطبة وذلك سنة ١٩٨هـ. فمكث في منصبه إلى أن استعفى منه سنة ٢٠٠هـ، وكان له الأثر العظيم في الأمان الذي بذله الأمير الحكم الربضي لأهل الربض، وقد كان الفرج فارساً شجاعاً، ولذا فقد قاد الجيوش في أعمالها العسكرية في الثغور، كما تولى الحكم في سرقسطة فأصلح الله به أحوال أهلها. انظر: قضاة قرطبة، ص ٤٠-٤٤. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٣٠. ترتيب المدارك ٤/١٤٤-١٤٥.

العداوة، ثم أنه صفح عنهم وأحسن إليهم، وأنت أحق الناس بالاقتداء به لقرابتك منه، ثم حكى له القصة وماعرض له، فأمر بضرب الناظر في ذلك الشغب وعفا عن بقية أهل قرطبة، وبسط الأمان لجماعتهم، واستألفهم إلى أوطانهم[١].

ولقاضي الجماعة دور في محاربة الأهواء والبدع، فقاضي الجماعة أسلم بن عبدالعزيز[٢]، المتوفى في أواخر شهر رجب سنة ٣١٩هـ (أغسطس سنة ٩٣١م) أمر بضرب أحد النصارى لأنه ادعى لنفسه

---

١ - قضاة قرطبة، ٤١.

٢ - أبو الجعد أسلم بن عبدالعزيز بن هاشم بن خالد بن عبدالله، ولد سنة ٢٣١هـ، من ذرية أبان مولى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه أصله من لوشه بغرناطة، وأسرته معروفة هناك، وفيهم أعلام وفضلاء، كان من خيار أهل إلبيرة، طلب العلم بها، ثم أخذ عن أعلام قرطبة، وبالذات بقي بن مخلد فقد صحبه طويلاً وفي سنة ٢٦٠هـ رحل أسلم إلى المشرق، وأخذ العلم عن أعلامه وعاد إلى الأندلس بإسناد عالٍ وعلم جم، فنال الوجاهه العظيمة، وكان الخليفة عبدالرحمن الناصر عارفاً بمروءة أسلم وحسن طويته ولذا فقد ولاه قضاء الجماعة يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادي الآخرة سنة ٣٠٠هـ فحمدت سيرته، فقد كان قليل المداراة في الحق، وفي سنة ٣٠٩هـ عزل عنه، ثم أعيد إليه سنة ٣١٢هـ، ولم يزل إلى أن مل واستعفى وقد كان الخليفة الناصر يستخلفه في سطح القصر إذا خرج لمغازيه وتوفي أسلم رحمه الله لسبع بقين من رجب سنة ٣٦٩هـ. انظر: قضاة قرطبة، ص ١٠٦-١٠٩، ١١١. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٨٠، جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٣٢٢. ترتيب المدارك، ١٩٤/٥-٢٠٠. سير أعلام النبلاء، ٥٤٩/١٤. الإحاطة ٤١٩/١-٤٢٢.

الإتيان بمعجزات لم تكن إلا لعيسى عليه السلام[١]، كما أن قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي، المتوفى أواخر شهر ذي القعدة سنة ٣٥٥هـ (نوفمبر سنة ٩٦٦م) أفتى بكفر وإلحاد أبي الخير[٢] ووجوب قتله دون أن يستتاب لأنه كان يسب الصحابة ويطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويرمي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بالكذب، وكان مادحاً للخمر شارباً له زانياً لواطاً آكلاً للحم الخنزير هازلاً بكتاب الله طاعناً في السنن وأهلها، محتجاً على أهل السنة بالبدع، مؤولاً لحديث النبي ﷺ على غير مقصده، تاركاً للصلوات الخمس، وحضور الجمعة، مدعياً بأحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنبوة، وأن محاربة بني أمية أحق من محاربة الشرك، وكان يدعو لدعوة أبي تميم معد الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي[٣]، ويرى الخروج على

---

١ - قضاة قرطبة ص ١٠٨-١٠٩.

٢ - عن أبي الخير وحقيقة اسمه، انظر: د.محمد عبدالوهاب خلاف، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس. (القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، ط الأولى ١٩٨١م) ص٤٨-٤٩.

٣ - معد بن إسماعيل بن القائم بن المهدي أحد حكام العبيديين، ولد بالمهدية في المغرب سنة ٣١٩هـ، بويع بالحكم في المنصورية بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١هـ، ودخل القاهرة المسماة بـ"القاهرة المعزية" يوم الخامس من رمضان سنة ٣٦٢هـ. وقد كان معد عاقلاً لبيباً حازماً ذا أدب وعلم ومعرفة وجلالة وكرم، قال عنه الذهبي "ولولا بدعته ورفضه لكان من خيار الملوك، مات معد في ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ بالقاهرة، انظر: ابن سعيد، النجوم الزاهرة في حُلى حضرة القاهرة، تحقيق:د.حسين نصار، (القاهرة وزارة=

الخليفة، الحكم المستنصر بالله بالسلاح، ويطعن على أئمة المسلمين وخلفائهم وفقهائهم، وينكر الشفاعة، ويدعي تخليد المذنبين من الموحدين في النار[١].

وقد أيد الخليفة الحكم المستنصر بالله رأي القاضي ومن معه من الفقهاء، وأصدر في ذلك كتاباً قرئ على منابر الأندلس فيه الوعيد الشديد للزنادقة، ولمن أفتى بغير المذهب المالكي[٢].

وبالإضافة إلى ماسبق، فقد كان من مهام القاضي المحافظة على القيم الإسلامية في المجتمع الأندلسي، فقد ذكر أنه كان في تطيلة امرأة "لها لحية كاملة كلحى الرجال، وكانت تتصرف في الأسفار وسائر مايتصرف فيه الرجال فلا يؤبه لها حتى أمر قاضي الناحية نسوة من القوابل بالنظر إليها، فأخبرنه أنها امرأة فأمر القاضي بحلق لحيتها، وأن تتزيا بزي النساء، وألا تسافر إلا بذي محرم[٣]".

=الثقافة، ١٩٧٠م) ص ٤٦-٤٨. ابن تفري بردي، النجوم الزاهرة، (القاهرة دار الكتب المصرية، ط الأولى، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) ٤/٦٩-١٠٩. المقريزي، إتعاظ الحنفاء، ١/ ٩٣-١٥٠، ٢٠٨-٢٣٥.

١ - انظر: د.محمد عبدالوهاب خلاف: ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، ص٥٧-٨٢.

٢ - المعيار المعرب، ٢/٣٣٣.

٣ - فرحة الأنفس، ص ٢٨٧.

وللقاضي الإشراف على بيت المال، وعليه أن يتفقد أمر العاملين فيه كل عام وإن أمكن كل شهر، ولايأذن لأحد في التصرف فيه إلا عن رأيه، والقاضي والفقهاء يدبرون أمر بيت المال ويصلحون شأنه بحيث يكون بعضهم على بعض شهيداً[١].

ويتولى القاضي في بعض الأحيان مساءلة العمال إذا كثرت شكاوى الرعية منهم، فقاضي الجماعة سليمان بن أسود حكم على يوسف بن بسيل عامل شذونه، وذلك بسبب دعاوى رفعت ضده، كلها تتهمه باستغلال منصبه واغتصاب أموال بعض الأهالي في شذونه[٢].

والقاضي يتولى عملية الإشراف على الوثائق والتدقيق فيها، وإنزال العقوبة في من يثبت تدليسه فيها، فقد ذكر النباهي أن قاضي الجماعة محمد بن بشير المعافري[٣] قد ثبت لديه أن رجلاً كان يدلس في الوثائق

---

١ - رسالة ابن عبدون، ص ٢٢،١٠.

٢ - قضاة قرطبة، ٧٧-٧٨.

٣ - أبو عبدالله محمد بن بشير بن شراحيل المعافري، أصله من جند باجة من عرب مصر، طلب العلم عند شيوخ قرطبة، ثم رحل إلى المشرق فحج ولقي الإمام مالك بن أنس وجالسه وسمع منه، كما طلب العلم بمصر ثم انصرف إلى الأندلس، فعمل كاتباً للقاضي المصعب بن عمران إلى أن توفي فولاه الأمير الحكم منصب القضاء وفق شروط اشترطها ابن بشير، فظل في منصبه محمود السيرة إلى وفاته رحمه الله سنة ١٩٨هـ، وقد كان ابن بشير محل ثناء علماء الأندلس، وقد قال عنه الأمير الحكم "كنت مستريحاً من أخبار الناس وظلامتهم لما علمت من عدله وثقته" كما اعتبره ابن القوطية بأنه خير القضاة بالأندلس وأفضلهم وأعدلهم. انظر: قضاة قرطبة، ص٢٨-٣٨. ابن القوطية،=

وأنه قد عقد وثيقة مدلّسة على أحد التجار، فأمر القاضي ابن بشير بقطع يد ذلك الرجل فقطعت[١].

كذلك تعرض على القاضي مسائل الحبس الخطأ[٢]، ويقوم بتعيين إمام مسجد السجن وتكون أجرته من بيت المال[٣] كما يتولى مراقبة مايصرف من أجرة أو إنفاق أو إصلاح موضع من الثغور ومدافعة عدو[٤].

ومن مهام القاضي ارتقاب شهر رمضان المبارك لإبلاغ الخليفة بذلك، ونشر الخبر بين الناس[٥].

وفي أحداث الفتنة البربرية كان لقاضي الجماعة ابن ذكوان موقفاً معتدلاً، فقد كان يرى ضرورة الصلح وإيقاع السلم مع البربر وقائدهم سليمان بن الحكم[٦]، كما حذر هشام بن سليمان من الفتنة وسوء

=ص٤٤، ٤٥، ٥٧. ترتيب المدارك، ٣/٣٢٧-٣٣٩. بغية الملتمس، ترجمة رقم ٦٩. النباهي، ص٤٧-٥٣.

١ - النباهي، ص ٤٨.

٢ - وثائق في أحكام القضاء الجنائي، ص٥٤،٥٢.

٣ - ابن عبدون، ص ١٩.

٤ - المصدر السابق، ص ١١.

٥ - النباهي، ص ٧٨.

٦ - ترتيب المدارك: ص ٧/١٧٣.

العاقبة[١]، ونصح الخليفة هشام المؤيد بعدم الأخذ بآراء حاجبه واضح الصقلبي[٢].

هذه صورة مجملة، للمهام التي أنيطت بالقاضي، الذي هو بدوره ركيزة أساسية يقوم عليها أي مجتمع كان، فهو القدوة، وبيده تحقيق العدالة التي هي سر الاستقرار والأمان، ولذا فعندما عمت الفتنة البربرية وتوارى دور القضاة، نجد ابن عبدون يحملهم مسئولية ما وقع في قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، فبعد أن تحدث عن الفساد الذي أصاب قلوب الناس، وماتبع ذلك من وقوع الهرج، قال "لايصلح هذه الأمور إلا نبي بإذن الله، فإن لم يكن زمن نبي، فالقاضي مسئول عن ذلك كله، ومن كان في عون المسلمين كان الله في عونه، فعليه أن يصرح بالحق، ويجري إلى الصلاح والعدل والتخلص، وينظر لنفسه فعسى يتخلص، والله بعزته يسدّده ويوفقه للخير ويعينه عليه، إنه منعم بذلك، والقادر على كل شيء[٣]".

---

١ - البيان المغرب، ٧٩/٣.

٢ - ترتيب المدارك، ١٧٣/٧.

٣ - ابن عبدون ص ٦٠.

مجلس القاضي ورسومه

كان المسجد النبوي الشريف مكاناً للقضاء، وذلك طيلة عهد النبي ﷺ وصاحبيه الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه تم بناء أول دار للقضاء[1].

وبعد ذلك اتخذ قضاة الأمصار في الدولة الإسلامية الجامع مكاناً لانعقاد مجالس القضاء "لأنه أسهل المجالس، وأرفقه بالناس، وأحرى ألا يخفى على من أراد مجلس القاضي[2]" وفي هذا يقول الفقيه ابن العطار، المتوفى سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) "إن للقاضي أن يلتزم النظر في المسجد، فهو كان من فعل المتقدمين هم السالفين، ليصل إليهم القوي والضعيف، ولا ينبغي أن يحجب عنه أحداً، وهو أقرب إلى التواضع وأحوال النساك والصالحين[3]".

وكون المسجد الجامع، هو المكان الرئيسي للقضاء، لايعني بالضرورة عدم جواز عقده فيما سواه، فللقاضي أن يجلس للقضاء في

---

١ – محمد سلام مدكور، القضاء في الإسلام، ص٢٦.

٢ – أدب القاضي، ص ٨٥.

٣ – كتاب الوثائق والسجلات، ص٤٩٢. وانظر ماورد لدى السقطي عن موقف صاحب الحسبة ببغداد عندما وجد القاضي قد جلس للقضاء في الجامع، أبو عبدالله محمد بن أبي محمد السقطي، آداب الحسبة، (نشر: س. كولان. ليفي بروفنسال، باريس،١٩٣١م) ص٢-٣.

المساجد المجاورة لبيته[١]، بل ربما كان بيت القاضي مكاناً للقضاء، فقد كان قاضي الجماعة إبراهيم بن العباس القرشي في بعض الأحيان يجلس في بيته يقضي بين الناس وجاريته تنسج في ناحية من نواحيه[٢].

ويستحب للقاضي إذا دخل المسجد لعقد الجلسة القضائية، أن يركع ركعتين أو أربعاً، يدعو لنفسه فيهما أن يوفقه الله تعالى للصواب ويعصمه من الزلل[٣]، وعند جلوسه لابد أن يكون في حالة لاتكدرها أي منغصات من غضب أو جوع أو نحوهما[٤]، فقد نهى المصطفى الكريم ﷺ عن الحكم في حال الغضب، فقال "لايقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان"[٥]. ثم يجلس للحكم مستقبلاً القبلة بوجهه[٦]، ولاحرج عليه أن يكون متربعاً أو محتبياً أو متكئاً[٧].

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٣٠، ٦٩-٧٠.

٢ - المصدر السابق، ص ٥١.

٣ - أدب القاضي، ص٨٥-٨٦.

٤ - فصول الأحكام، ص ١٨٧.ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام، (راجعه وقدم له: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ١/٤٠.

٥ - سنن ابن ماجه، ٢/٧٧٦.

٦ - أدب القاضي، ص٨٦. تبصرة الحكام ١/٣٨.

٧ - تبصرة الحكام، ١/٤٠.

وكما ذكرت فإن جلوس القاضي في بيته للقضاء بين الناس لايكون دائماً، بل وفق ظروف معينة، كجلوسه للقضاء في رحبة المسجد مثلاً، مما يتيح له فرصة الفصل في القضايا التي يكون أحد أطرافها غير مسموح له بدخول المسجد مثل اليهودي والنصراني[1]، وأينما عقدت جلسة القضاء فإنها دائماً تكون علنية يشهدها من أحبّ، فذلك أبلغ مايكون في النزاهة[2].

وقد ورد لدى الخشني أن معظم قضاة قرطبة ماكانوا يقضون أثناء مسيرهم إلى مجلس القضاء أو عند عودهم إلى دورهم. فقد كان قاضي الجماعة أحمد بن زياد اللخمي لايقبل أن يخاطب في شيء من أمر الخصوم إلا في مجلس نظره، ومن ألح عليه أمر بسجنه[3]، كما أن قاضي الجماعة عمرو ابن عبدالله بن ليث كان يلازمه شيخ يسير دوماً إلى جانبه، فإذا

---

١ - أبو الوليد هشام عبدالله الأزدي القرطبي، مفيد الأحكام في نوازل الأحكام، ورقة ٦ مخطوط رقم ١٠٣، رقم الفهرست ٢١٧/٢. بتاريخ ١٢٧٧هـ مكتبة المسجد النبوي الشريف، المدينة المنورة.

٢ ـ ومما تجدر الإشارة إليه هنا ما ذكره قاضي الجماعة ابن عبد الرفيع من أن الذي يحضر مجلس القاضي ثلاث مرات من غير حاجة تسقط شهادته. انظر: معين الحكام، ٦٤٥/٢. وذكر ابن فرحون أن عدالته تكون مجروحة. انظر: تبصرة الحكام، ٣٨/١.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٦٥.

ذهب أحد ليدنو من القاضي أثناء مسيره إلى المسجد، دفعه ذلك الشيخ وقال له: "اذهب حتى يجلس القاضي في مجلس القضاء[1]".

وأما عن طريقة ذهاب القاضي إلى المسجد الجامع للقضاء، فإن الأمر متوقف على بعد أو قرب دار القاضي من المسجد الجامع، وإن كنا نتوقع أنه أثناء ذهابه إلى المسجد يكون ماشياً، بينما يكون عند عودته إلى دراه راكباً، ومما يقوي هذا الرأي أن القاضي عند توجهه لمجلس القضاء في المسجد، يجمع بين قيامه بمصلحة المسلمين وفضيلة جلوسه في المسجد، ولذا يفضل المشي على الركوب لكي تكثر خطاه إلى المسجد فتكثر حسناته، وجلسة القضاء لاتعقد إلا في طرفي النهار وهذا هو وقت النشاط فلا بأس من السير مشياً نحو مجلس القضاء، وقد ذكر الخشني أن قاضي الجماعة بقرطبة سعيد ابن سليمان وعمرو بن عبدالله كانا يذهبان إلى المسجد الجامع مشياً[2].

وقد جرى الرسم في ذهاب القاضي إلى مجلس الحكم وعودته منه أن لايماشيه ولا يراكبه أحد، فقاضي الجماعة عمرو بن عبدالله "كان إذا ركب لايصحبه صاحب ولايصير إلى جانبه راكب[3]".

---

١ - المصدر السابق، ص٦٩.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٦٤.

٣ - المصدر السابق، ص ٦٨.

ومما يزيد الأمر توضيحاً في رسم المسير مع القاضي ماذكره قاسم بن أحمد الجهني من أن قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي "ركب يوماً لحيازة أرض محبسة، في ركب فيهم أبو إبراهيم اللؤلؤي ونظراؤه، قال: فسرنا نقفوه وهو أمامنا وأمامه أمناؤه، ويحملون خرائطه، وذووه عليهم السكينة والوقار، وكانت القضاة حينئذ لاتراكب ولاتماشى[(١)]".

لكن هذه القاعدة تخرم أحياناً، فقد ذكر الفقيه محمد بن أحمد العتبي أنه كان يمشي مع بعض الفقهاء بصحبة قاضي الجماعة سعيد بن سليمان وهو منصرف من مجلس القضاء نحو داره، فمر القاضي بالفرن وأخذ خبزته ووضعها تحت عضده، ثم توجه نحو داره، يقول العتبي "ونحن نمشي معه، وقد أخرنا دوابنا إجلالاً له، حتى أديناه إلى مترله، فسلم علينا ودخل وانصرفنا عنه"[(٢)].

أما قاضي الجماعة، عمرو بن عبدالله فقد كان متساهلاً، بالذات وهو عائد من مجلس القضاء، فقد ذكر الخشني أنه إذا قام إلى داره قام الناس معه، فإذا بلغ القاضي باب داره "وقف وحول وجهه واتكأ على عصاه، ثم قال من كان له حاجة فليتكلم فيها"[(٣)].

---

١ - مطمح الأنفس، ص ٢٥٥.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٥٣.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٧٠.

وقد عرف القضاة بمشية خاصة، فهي أقرب ماتكون إلى البطء، فالقاضي يمشي وعليه السكينة والوقار، يدل على ذلك ماحُكي عن عالم المرية القاضي أبي الحسن مختار الرعيني، المتوفى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣-١٠٤٤م) أنه عندما استدعاه زهير العامري حاكم المرية المتوفى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٨م) أتاه وهو يمشي قليلاً قليلاً ووصفت تلك المشية بمشية القاضي[١].

مواعيد مجلس القضاء ولباس القاضي:

كان القاضي يعقد مجلس الحكم في أوقات متعارف عليها، وذلك ليتم الالتزام بتلك الأوقات من قبل الجميع، فالقاضي يجلس للقضاء في أول النهار وآخره، واختيار هذين الوقتين فيه مراعاة لنشاط الحركة بين الناس، إذ أن أغلب المعاملات وأكثر الخصومات تقع في هذين الوقتين، فانتشار الناس للعمل فيهما أكثر بكثير من وقتي الظهيرة والمساء، هذا من ناحية الخصوم، وأما من ناحية القاضي فجلوسه للقضاء في هذين الوقتين أنسب مايكون، لأن نشاطه الجسدي في قمة طاقته، إذ يسبق كلا منهما وقت كاف للراحة.

وقد تطرق ابن هشام الأزدي للأوقات التي تنعقد بها مجالس الحكم، فذكر أنه لابأس أن يقضي القاضي في شهر رمضان، ولكن لايقضي في أيام العيدين، ولا في يوم التروية، ولا في يوم عرفة، ولابين المغرب

١ - نفح الطيب، ٣/٣٨١.

والعشاء، ولا في الأسحار، إلا أن يكون الأمر يتطلب ذلك، فلا يمكنه عندها إلا الجلوس للنظر[١].

وزاد ابن فرحون أن القاضي لايجلس يوم سفر الحاج ويوم قدومه، وعند شهود المهرجان، وحدوث مايعم من سرور أو حزن، وكذلك إذا كثر الوحل والمطر[٢].

وقد كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن بشير يقعد لسماع الخصومة من غدوة إلى قبيل الظهر بساعة، ثم يقعد بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر لايكون نظره غير السماع من البينات ولايسمع من بينة في غير ذلك الوقت[٣] وكذلك كان قاضي الجماعة سعيد بن سليمان يجلس للقضاء في الغداة والعشي[٤].

ولم تكن هناك رسوم خاصة بالجلسة القضائية فيما يتعلق بلباس القاضي، كأن يلبس مايدل على الشعار الرسمي للدولة الأموية، فقد اعتاد قاضي الجماعة محمد بن بشير لبس قلنسوة خز[٥]، ورداء معصفراً ويفرق شعره إلى شحمة أذنيه[٦]، وعندما نوقش عن السبب في اتخاذه هذا الزي،

---

١ - مفيد الحكام، ورقة ٤.

٢ - تبصرة الحكام، ١/٤٠.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٣٠. ترتيب المدارك، ٣/٣٣١.

٤ - قضاة قرطبة، ص ٦٤.

٥ - المصدر السابق، ص ٣٠. ترتيب المدارك، ٣/٣٢٨.

٦ - المصدر السابق، ٣/٣٣٥.

أجاب بأنه متبع في إرسال لمته لسيد القراء محمد بن المنكدر، المتوفى سنة ١٣٠هـ (٧٤٨م) ولفقيه المدينة هشام بن عروة، المتوفى سنة ١٤٦هـ (٧٦٣م) وأما في لبس الخز فاتباع لمحمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١].

وكان قاضي الجماعة سعيد بن سليمان يجلس "للحكم وعليه جبة صوف بيضاء وفي رأسه أقروف أبيض وغفارة بيضاء من ذلك الجنس[٢]". كما كان قاضي الجماعة عمرو بن عبدالله يجلس للحكم في المسجد وعليه أحياناً ثوب شركاب[٣].

من هنا ندرك أن للقاضي في الأندلس لبس مايشاء عند حضوره لمجلس الحكم.

وبطبيعة الحال كانت اللغة المستخدمة في مجلس الحكم اللغة العربية، لكن يحدث أحياناً استخدام اللغةالعجمية، فقد ذكر الخشني أن امرأة تقدمت إلى قاضي الجماعة سليمان بن أسود وقالت له بالعجمية "ياقاضي، انظر لشقيتك هذه، فقال لها بالعجمية: لست أنت شقيتي، إنما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار[٤].

---

١ - نفسه، ٣/٣٣٦.

٢ - قضاة قرطبة، ص٦٢. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٥٢.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٧٠.

٤ - ابن عمار هذا كان أحد العدول، وكان ملازماً لمجلس القاضي لايغادره إلا بقيام القاضي وانصرافه إلى مترله، وبغلته التي أشار إليها القاضي، كانت هزيلة تلوك لجامها=

ويكون مجلس القضاء متصفاً بالوقار والهيبة، فلا صخب ولا تداخل أصوات، وإنما هدوء وسكينة، وعلى هذه الصورة كان مجلس القاضي ابن ذكوان، فقد كان "إذا قعد للحكم في المجلس، وهو غاص بأهله، لم يتكلم أحدٌ منهم بكلمة، ولم ينطق بلفظة غيره وغير الخصمين بين يديه، وإنما كان كلام الناس بينهم إيماءً ورمزاً، إلى أن يقوم[1]".

سير الخصومة في مجلس الحكم

كانت المساواة بين الخصوم هي أول الوصايا التي وردت في رسالة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما[2]، كما أنها كانت محل اهتمام من أرخ للقضاء وأحكامه[3].

ولذا فقد كانت جلسة القضاء في الأندلس علنية -كما سبق وأن ذكرنا- يحضرها من شاء، ويكون القاضي مقابلاً للحضور، ويجلس الخصوم أمامه، وبقية الخصوم بعيدين نوعاً ما بحيث لايمكن تلقين الخصوم[4]، وأمام القاضي يتساوى الخصوم[1]، وحرص القاضي على هذه

=طول النهار على باب المسجد حتى ظهر عليها الجهد والجوع. انظر: قضاة قرطبة، ص٨٠.

١ - النباهي، ص ٨٤.

٢ - أدب القاضي، ص ٤٥. العقد الفريد، ١٠١/١.

٣ - أدب القاضي، ص٩٦. الوثائق والسجلات، ص٤٩٥. مفيد الحكام، ورقة ٤. تبصرة الحكام، ٤٦/١.

٤ - أدب القاضي ص ٨٦.

المساواة تكون سبباً في رفعة مترلته عند أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، وقد وردت لدى الخشني عدة نصوص تدل على ذلك. منها أن قاضي الجماعة إبراهيم بن العباس القرشي ازداد رفعة لدى الأمير عبدالرحمن الأوسط عندما رفض استقبال أحد كبار القرشيين في مترله لسماع شكايته بصورة مفردة، وأخبر الرسول بأن عليه الذهاب إلى المسجد والانتظار لحين عقد مجلس الحكم فيه[٢]، كما أن القاضي عمرو بن عبدالله أمر أحد كبار رجال الدولة بالحضور إلى مجلس قضائه والمثول أمامه مع خصمه[٣].

وتتم مناقشة القضايا المعروضة على القاضي وفق ترتيب يعده فكل من كانت له خصومه عنده عليه أن يكتب اسمه في رقعة، وعندما تجتمع الرقاع عنده يخلطها بين يديه، ومن ثم يبدأ النداء على أصحاب القضايا على ضوء مايسفر عنه خلط تلك الرقاع[٤].

ومن الطبيعي أن القاضي لايستطيع دائماً إنهاء جميع القضايا التي تصل إليه في يومه، ولذا فقد جرى الرسم أن من تأخر دور رقعته وانتهى

---

١ - فقد ذكر أبو وليد الباجي أن القاضي يقدم خصومه بين يديه الأول فالأول دونما محاباة لأحد دون أحد. انظر: فصول الأحكام، ص ١٨٤.

٢ - قضاة قرطبة: ص٥٣-٥٤.

٣ - المصدر السابق ص ٧١-٧٢.

٤ - نفسه، ص ٦٩.

موعد الجلسة، يؤجل النظر في رقعته إلى اليوم التالي، على أن يكون ترتيبها متقدماً، لاعلاقة لها بالقضايا الجديدة[1].

وقد كانت هناك رسوم متبعة في استدعاء الخصم إذا كان غير موجود، وتحدثنا المصادر عن أن قاضي الجماعة محمد بن بشير هو الذي ابتكر هذا الرسم في الأندلس، إذ أنه عندما تولى قضاء الجماعة، قام بختم عشرة رقاع بخاتمه، وكل رقعة من هذه الرقاع تعرف باسم "طابع" فإذا جاء أحد يريد من القاضي طابعاً ليستدعي به خصمه، فالقاضي يسأل عن هذا الخصم، فإن كان قريباً بقرطبة، أعطى المدعي الطابع، وأمر كاتبه أن يثبت في السجل لديه اسمه ومسكنه، وفي من أخذ الطابع[2]، ومن ثم يخبره القاضي بأن عليه إعادة الطابع بمجرد حضور الخصم[3].

وأما إن كان الخصم غير متواجد بقرطبة ولابالقرب منها، فإن القاضي في هذه الحالة يؤجل له على مقدار بعده عن قرطبة[4].

وإذا أبلغ شخص بالحضور لخصومة لدى القاضي ورفض الامتثال، فإن القاضي يرسل أعوانه لإحضاره طوعاً أو كرهاً بغض النظر عن مترلته في الدولة[5]، وأما إذا تغيب المطلوب للخصومة عن حضور مجلس

---

١ - ترتيب المدارك، ١٧١/٤.

٢ - قضاة قرطبة ص ٣٠. وانظر فصول الأحكام ص ٢٠٠.

٣ - ترتيب المدارك، ٣٣٢/٣.

٤ - قضاة قرطبة، ص٣١. ترتيب المدارك ٣٣٢/٣.

٥ - قضاة قرطبة ص ٧٧.

الحكم رغم إبلاغه بأمر القاضي، فللقاضي في هذه الحالة أن يطبع على باب مسكنه، أو يسمره إن كان ذلك لايضر الباب، بعد أن يخرج ما فيه من بني آدم وغيرهم من المخلوقات[١].

فإذا حضر الخصمان بين يدي القاضي ظلا واقفين على أقدامهما[٢] فيسأل المدعي عن دعواه، فإن كان لايترتب فيها على المدعى عليه حق أخبره بذلك، دون أن يسأل المدعى عليه وأمرهما بالخروج عنه[٣]، وإن كانت الدعوى ناقصة أمر المدعي باستكمالها، فإذا استحقت الدعوى النظر أصدر حكمه بعد أن يتضح له الحق، وسجل الشهادات والحكم في السجل الخاص بالقضايا[٤].

وللقاضي إذا رأى أثناء سير الخصومة بين يديه أن أحد الخصمين لايحسن الإدلاء بحجته، فله أن ينصحه بما ينفعه دون أن يلقنه حجة وماشاكلها. ومن ذلك مافعله قاضي الجماعة أحمد بن بقي بن مخلد عندما اختصم عنده رجلان، فرأى أن أحدهما يحسن مايقول والآخر بعكسه، لكنه توسم فيه الخير وملازمة الحق، فقال له القاضي "ياهذا، لو قدمت

---

١ - الوثائق والسجلات، ص ٤٩٤ انظر: فصول الأحكام، ص ٢٠٠-٢٠١.

٢ - ترتيب المدارك ٣٣١/٣.

٣ - معين الحكام ٦١٦/٢.

٤ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٢٣٥.

من يتكلم عنك؟ وأرى صاحبك يدري مايتكلم، فقال له، أعزك الله إنما هو الحق أقوله كائناً، فقال: ماأكثر من قتله قول الحق[١]".

طرق الإثبات

روى الإمام مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعطى الناس دعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه[٢]".

وفي هذا الحديث الجليل بيان لقاعدة شرعية فيما يتعلق بالدعاوى والخصومات، إذ لو ترك الباب مفتوحاً لكل دعوى دونما حاجة إلى بينة تقطع الشك، لوصل الأمر ببعض مرضى النفوس المطالبة بدماء رجال وأموالهم دون وجه حق.

والبينة هي الحجة التي تظهر صدق الدعوى، سواء عقلية كانت أو محسوسة[٣]، وأما في الاصطلاح فالمراد بها الشهود[٤].

فإذا احتاج أحد الخصمين إلى أجل لإثبات بينته، منحه القاضي وقتاً محدداً لتحقيق ذلك، وهذا الوقت محكوم بأيام محدودة، ومقدارها متروك

---

١ – قضاة قرطبة، ص ١١٦.

٢ – صحيح مسلم، ١٣٣٦/٣.

٣ – المفردات في غريب القرآن، ص ٦٨.

٤ – أعلام الموقعين، ٦٦/١.

للقاضي والحكام واجتهادهم، لكن هذه المدة لاتخرج عن ثلاثين يوماً مجزأة[١].

وقد وضح القاضي ابن سهل الصيغة التي تكتب فيها الآجال المضروبة، فذكر أنه إن كان القاضي هو الذي كتب الأجل بيده، كتب "أجلنا فلان بن فلان في المدفع الذي ادعاه الشاهدان اللذان شهدا عليه بما ذكر في العقد الذي في أعلى الكتاب ... ثمانية أيام". فإذا انقضت كتب "وأجلاً ثانياً من ستة أيام" فإذا انقضت كتب "وأجلا ثالثاً من أربعة أيام" فإذا انقضت كتب "تلومنا عليه بعد انصرام الآجال المضروبة له فوق هذا ثلاثة أيام كذا وكذا[٢]".

أما إذا كتب عن القاضي كاتبه فإنه يكتب "أجل القاضي فلان بن فلان قاضي حاضرة كذا وفقه الله، فلان بن فلان فيما ذهب إليه من حمل ماثبت عنده عليه لفلان بن فلان في العقد الواقع في بطن هذا الكتاب بعد معرفته بما فيه وبما ثبت آجلاً جامعاً للتلوم وغيره من أحد وعشرين يوماً، أولها يوم كذا لعشرة خلون من شهر كذا من سنة كذا، ثم يكتب القاضي بخط يده: هذا صحيح، وإن شاء كتب، هذا الأجل صحيح، أو كتب، الأجل صحيح، وقد يكتب هذا على غير وجه سوى ماذكرنا[٣]".

١ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٢٤٦-٢٤٧.

٢ – المرجع السابق، ص ٣٤٧-٣٤٨.

٣ – نفسه، ص ٢٤٨.

وإذا انقضت الآجال والتلوم، وعجز المؤجل عن إحضار ما وعد به، فإن القاضي في هذه الحالة لايلتفت إلى ادعاء المؤجل بأن لديه حجة، فيصدر حكمه ويسجل عليه، ثم لا يلتفت بعد ذلك إلى مايدلي به من حجة[١]، واستثنى ابن سهل من ذلك: العتق والطلاق والنسب[٢].

شهادة الشهود

تعتبر الشهادة[٣] أهم الوسائل التي يعتمد عليها القضاء في معرفة صاحب الحق، ويكفي للدلالة على أهميتها أن الله تعالى قد نص عليها في كتابه العزيز في ستة مواضع، في الدين[٤]، والوصية[٥]، والطلاق[٦]، والرجعة[٧]، والزنا[٨]، وفيما يدفع الحد عن القاذف[٩].

---

١ - معين الحكام، ٦١٨/٢.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٢٤٨.

٣ - الشهادة لغة، خبر قاطع، تقول: شهد الرجل على كذا، وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين مايعلمه وأظهره. انظر: لسان العرب، مادة: شهد. وقيل: الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو البصيرة. انظر: المفردات في غريب القرآن، ص٢٦٧-٢٦٨.

٤ - سورة البقرة: الآية رقم ٨٢.

٥ - سورة المائدة: الآية رقم ١٠٦.

٦ - سورة الطلاق: الآية رقم ٢ .

٧ - سورة الطلاق: الآية رقم ٢.

٨ - سور النور: الآية رقم ١٣.

٩ - سورة النور: الآية رقم ٥.

ولأجل ذلك فلا غرابة أن تنال الشهادة الاهتمام الجاد من قبل القضاة، ففي الأندلس نجد أمر الشهادة والشهود يقلق ولاة الأمر هناك، حتى أن الخليفة الحكم المستنصر بالله عندما أصدر ظهيراً بمناسبة تعيينه محمد بن إسحاق بن السليم قاضياً للجماعة، وذلك في يوم الاثنين من شهر شعبان سنة ٣٥٣هـ (٢٨ أغسطس ٩٦٣م) أمره فيه بعدة أمور، منها "أن يتحفظ في حين وقوع الشهادات عنده، فلا يقضي بين المسلمين منها إلا بما اقامه به التحقيق على السنة العدول، ذوي القبول، وإن استراب في شهادة أحدهم وقتاً ما، أن يبحث عنها، فإن ثبت أنه ارتشى، أو شهد بالهوى، فعليه أن يسقط شهادته، ويخل عدالته، تنكيلاً له، وتشديداً لمن خلفه[١]".

فإذا حضر الشهود فعلى القاضي أن يبادر إلى ادخالهم عليه والاستماع لأقوالهم إذ أن التراخي في ذلك، ربما أدى إلى ضجر صاحب الحق فيتخلى عنه أو بعضه بالمصالحة خشية ظهور الملل على الشهود[٢].

فإذا شهد الشاهد لدى القاضي، فعليه أن يبادر إلى كتابة شهادته واسم قبيلته ونعته ومسكنه ومسجده[٣] الذي يصلي فيه، والشهر الذي

---

١ – النباهي، ص٧٦.

٢ – فصول الأحكام، ص١٨٠. تبصرة الحكام، ٥٤/١.

٣ – لأنه لايمكن أن يزكي الشاهد إلا أهل مسجده وسوقه وجيرانه، إلا أن يكون مشهوراً بالعدالة. انظر: معين الحكام، ٦٤٤/٢.

شهد فيه وكذلك السنة، ثم يوقع ذلك في صك عنده ويجعله في ديوانه، لئلا تسقط للمشهود له شهادته فيزيد فيها أو ينقص[١].

وقد ذكر ابن العطار في وثائقه أن قاضي الجماعة محمد بن عبدالله بن أبي عيسى قد استن سنة جيدة في كتابة الشهادات في السجل، وأصبحت سنة لمن جاء بعده[٢].

وعن قبول القاضي للشاهد ذكر الخشني أن قاضي الجماعة محمد بن بشير كان في بعض الأحيان يقبل الشاهد على التوسم والفراسة، وفي أحيان أخرى يكشف عنه في السر[٣]، وبعد نصيحة شيخ الفقهاء يحيى بن يحيى الليثي للقاضي ابن بشير بضرورة تعديل الشاهد بين الحين والآخر واتباعه لتلك النصيحة، بدأ الناس يأخذون حذرهم من القاضي[٤]. ذلك لأن الفراسة ربما لا تصدق دائماً، لسبب أو لآخر، كما ان الناس يمرون بظروف متقلبة تجعلهم عرضة أحياناً للوقوع في أمر فيه شيء من الغموض، مما يجعل قبول شهاداتهم أمر فيه نظر.

---

١ - أدب القاضي، ص ٩٨.

٢ - الوثائق والسجلات، ص٦٤٢. وقد كان القضاة لايسجلون شهادة الشهود، وأول من استن سنة تسجيل الشهادة قاضي مصر سليم بن عتر التجيبي، المتوفى سنة ٧٥هـ، انظر: الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص ٣٠٩-٣١٠.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٣٥.

٤ - المصدر السابق، ص ٣٥-٣٦.

وكان للخصوم آداب لابد من التزامهم بها وهم في مجلس القضاء، فإذا أخل أحدهم بما يجب عليه تجاه هذه الآداب، فإن للقاضي الحق في تأديبه، من ذلك ماذكره الخشني من أن الفقيه يحى الليثي شهد في قضية عند قاضي الجماعة إبراهيم بن العباس، فلما خرج من عند القاضي تناوله بعض الخصوم وأساء إليه بالكلام، فرجع الفقيه إلى القاضي وأخبره بما جرى وطلب منه تأديبه، وعندما سأله القاضي عن أدبه طلب أن يبعث به إلى السجن، فسجن القاضي ذلك الرجل، لكنه سرعان ماغادر السجن بطلب من الفقيه الليثي[١].

وإذا استخف أحد الخصوم بمن شهد عليه، فإنه يؤدب وربما يصل الأمر إلى ضربه بالمسجد عدة أسواط، وهذا ماحصل لرجل يدعى غراباً كان جاهلاً عاتياً، فقد شهد شاهد ضده، فقال غراب، ومن شهد عليّ لو كان الشاهد مثل الليث بن سعد. وذلك على سبيل الاستخفاف بالشاهد والشهادة، فأمر قاضي الجماعة محمد بن زياد اللخمي بقمع غراب في المسجد عدة أسواط تأديباً له[٢].

ويحدث أن يرجع الشاهد في إحدى القضايا عن شهادته، فإن كانت رجعته قبل إصدار الحكم، لم ينفذ الحكم بشهادته، ثم يتم التدقيق في حال هذا الشاهد، فإن كان عدلاً مأموناً، قُبل رجوعه ولاتسقط

---

١ – نفسه، ص ٥١-٥٢.

٢ – قضاة قرطبة، ص ٥٨. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ٧٢.

شهادته في المستقبل عند القضاة، وإن كان بغير تلك الصفة، يقبل رجوعه ولكن لاتقبل شهادته أبداً[١].

واختلف الفقهاء في تأديب من رجع عن شهادته، فابن القاسم وابن حبيب نصا على ضرورة تأديبه أدباً موجعاً، في حين اعترض على التأديب كل من ابن عبدالحكم وأشهب وسحنون محتجين بأنه إذا جرى تأديب أحد من الناس فإنه لايرجع عن شهادته. ويبدو أن الرأي الثاني أولى بالقبول من سابقه وبه جرى العمل[٢].

وأما إن كان رجوع الشاهد عن شهادته بعد إصدار الحكم، فإنه لايلتفت إلى كلامه ولاينتقض الحكم برجوعه[٣]. فقد حدث أن قاضي الجماعة محمد بن بشير نظر في إحدى القضايا، وأصدر الحكم على ضوء البينة، وبعد فترة استدعاه أحد الشاهدين، وكان ذلك الشاهد على فراش الموت، فلما حضر القاضي عنده، أخبره الشاهد أنه سبق وأن شهد عنده شهادة زور في تلك القضية، وطلب منه فسخ الحكم الذي أصدره بشأنها، يقول الخشني "فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه في ركبتيه ثم قام وجعل يقول: مضى الحكم وأنت إلى النار، مضى الحكم وأنت إلى النار، وخرج عنه[٤]".

---

١ – لباب الألباب، ص٢٦٥. معين الحكام، ٢/٦٦٢-٦٦٣.

٢ – معين الحكام، ٢/٦٦٣.

٣ – المصدر السابق والصفحة.

٤ – قضاة قرطبة، ص ٣٣-٣٤.

وشاهد الزور إذا أقر بتعمد الزور فإن على القاضي تغريمه ماأتلف بشهادته[١]، كما أن له تأديبه[٢]، وعن جزاء شاهد الزور هناك عدة أقوال للفقهاء، منها أنه يعزر على الملأ دون حلق رأسه أو لحيته، بينما رأى البعض ضرورة تسويد وجهه، وهناك من يرى الطواف به على المجالس والحَلَقْ في المسجد الجامع ويشهر أمره بين الناس ليحذروه، وزاد البعض على التشهير والضرب الموجع بالإضافة إلى كتابة وثيقة في ذلك تؤخذ منها عدة نسخ وتوضع عند الثقات ولاتقبل شهادته أبداً[٣].

وفي الأندلس نجد أن هذه العقوبات قد طبقت على شاهد الزور، فإبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل، المتوفى في شهر رمضان سنة ٢٤٩هـ (نوفمبر سنة ٨٦٣م) صاحب الشرطة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، أقام شاهد زور عند الباب الغربي الأوسط للمسجد الجامع "فضربه أربعين سوطاً وحلق لحيته وسخم وجهه وأطافه إحدى عشرة طوفة بين الصلاتين يصاح عليه هذا جزاء شاهد الزور[٤]".

وللقاضي عيونه التي يستطلع بها أحوال بعض الشهود في بعض القضايا، فقاضي الجماعة أسلم بن عبدالعزيز عندما بلغه أن بعض الشهود قد أخذ رشوة مقابل شهادته، وكانت الرشوة بساطا، فلما دخل عليه

---

١ - لباب اللباب، ص ٢٦٦.

٢ - أدب القاضي، ص ٧٧٦-٧٧٧.

٣ - لباب اللباب، ص ٢٦٦. المعيار المعرب، ٢/٢١٥.

٤ - المصدر السابق، ٢/٢١٥.

الشاهد ليؤدي شهادته وأخذ يخلع خفيه ليمشي على بساط القاضي، أخذ يناديه "أيا فلان البساط، البساط، تحفظ من البساط، الله الله"[١] ففطـن الشاهد لمراد القاضي و لم يجسر على الإدلاء بشهادته.

وإن حدث -وهو نادر- وكان الأمير أو الخليفة الأموي شاهد في قضية، فإن الرسم يقضي أن تُرسل الشهادة مع فقيهين يؤدياها للقاضي، وهذا ماجرى في قضية لسعيد الخير عم الأمير الحكم الربضي، فقد كانت لديه وثيقة شهودها عدول، ولكنهم توفوا جميعاً إلا واحد فقط، فاضطر إلى شاهد آخر، فمال إلى ابن أخيه الأمير الحكم، وأقنعه بأنه في حاجـة لشهادته، ورغم اعتراض الأمير على عمه إلا أنه اضطر أمام إلحاحه على موافقته، فأرسل شهادته لقاضي الجماعة محمد بن بشير الناظر في القضية، وتقدم فقيهان أرسلهما الأمير بشهادته فأدياها لدى القاضي[٢].

وهناك حالات تم فيها عدم قبول شهادة الشاهد رغم انتفاء مايقدح في شهادته شرعاً، فمن اشتهر بالهزل أصبح قبول شهادته لـدى بعـض القضاة أمراً عسيراً، وممن رُدت شهادته لهذا السبب محمد بـن عيسـى الأعشى المتوفى سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) فقد كان مشهوراً بالدعابـة[٣]، وحدث أن تقدم للشهادة لدى قاضي الجماعة الأسوار بن عقبة النصري،

---

١ - ترتيب المدارك، ١٩٧/٥.

٢ - المصدر السابق، ٣٣٨/٣.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٠٢.

فقال له القاضي "أنت رجل يُكثر الهزل، ولست أدري كانت شـــهادتك هذه من جدك أو هزلك[١]".

وكذلك حدث أن رفض بعض القضاة شهادة من عرف بأنه قـــد تابع هواه في يوم ما، حتى وإن كان صديقاً للقاضي، وهذا مافعله قاضي الجماعة محمد بن بشير عندما رد شهادة أحد أصدقائه وكان رفيقاً له في النشأة وطلب العلم وطريق الحج بسبب أنه اشترى جارية بمصر بيـــدها صنعة وهو لم يكن بحاجة لصناعتها[٢].

وإذا كان من حق المدعى عليه معرفة الشهود الذين شهدوا ضـــده، فإن القاضي يعمد أحياناً إلى عدم تعريفه بمن شهد ضده، وذلك إذا كان المدعي عليه صاحب سلطة وسطوة، وخشي القاضي على الشهود مـــن سطوته، وهذا مافعله قاضي الجماعة محمد بن بشير مع ابـــن فطـــيس[٣]. وعندما طلب الأمير الحكم الربضي القاضي بتعريف ابن فطيس بالشهود، أجابه القاضي بقوله "ليس ابن فطيس ممن يُعرَّف بمن شهد عليه لأنه إن لم

---

١ – قضاة قرطبة، ص ٤٩.

٢ – انظر: القصة كاملة لدى الخشني في قضاة قرطبة، ص ٣١.

٣ – لعله: حمدون بن فطيس المتوفى سنة ٢٢٠هـــ، ووالده أبو سليمان فطـــيس بـــن سليمان بن عبدالملك بن سليمان تولى الوزارة للأميرين هشام بن الداخل وابنه الحكـــم الربضي، ومما يقوي ماذهبت إليه من أن الذي رفض القاضي إخباره بالشهود أنه حمدون بن فطيس وورود قصة أخرى صرح فيها الخشني باسم حمدون بن فطيس عنـــدما تظلـــم حمدون من القاضي ابن بشير لدى الأمير الحكم الربضي. انظر: قضاة قرطبة، ص ٣٦.

يجد سبيلاً إلى تجريحهم طلب آذاهم في غير ذلك حتى يجليهم عن أموالهم[١]".

وأخيراً فإن للقاضي أن يصرف القضية عنه إلى قاضٍ آخر إذا لم يتبين له الحق، إذ أن رُبَّ حق لايثبت عند قاضٍ ويثبت عند غيره[٢].

وقد ذكر صاحب معين الحكام أن من حق القاضي الرجوع عما حكم به إذا تبين له فيه وهم مادام على قضائه، أما إذا عزل او مات فلا يحل لأحد من بعده فسخ حكمه، إلا أن كان فيه جور أو قضى بخطأ لا اختلاف بين أهل العلم فيه[٣]، ولكن لابد أن يوضح القاضي السبب الذي من أجله فسخ حكمه الأول، فإذا لم يوضح ذلك لايعتبر فسخه هذا فسخاً[٤].

ونختم الحديث عن هذه الخطة بذكر نصين لابن العطار بين فيهما تسجيل القاضي برجوعه عن قضاء قضى به له الخطأ فيه، جاء في النص:-

"أشهد القاضي فلان بن فلان قاضي موضع كذا، أن فلان بن فلان كان قد قام عنده في دار كذا بموضع كذا، وثبت له فيها كذا، أو في أملاك بقرية كذا من إقليم كذا من عمل موضع كذا، صفتها كذا، وحدودها كذا، وقضى له بكذا، وسجل بذلك في كتاب أشهد فيه على

---

١ - المصدر السابق، ص ٣٠.

٢ - تبصرة الحكام، ١/٥٨.

٣ - معين الحكام، ٢/٦٣٨.

٤ - المصدر السابق، ٢/٦٣٩-٦٤٠.

ماثبت عنده على نسختين أو نسخ تاريخ كذا، ثم تبين له الخطأ في قضائه والوهم في حكومته، وانكشف له من أمر الشهود الذي قضى بهم لــه أو من باطن قصة الطالب فلان وأمره فيما حكم له بــه ماأوجــب عليــه الرجوع عن حكمه والتسجيل بنقض ماتقدمه من حكمــه وانكشــف فسخه، لقول عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رحمه الله: لايمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع فيه، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل[1]".

ويواصل ابن العطار كلامه: وإن كان القاضي قضى بمذهب أهــل العلم في شيء من نظره ثم تبين له الصواب في غيره ورجع عنه، قلت:

"أنه كان قضى لفلان بن فلان بكذا وكذا على مذهب كــذا. أو على قول الشافعي أو فلان، ثم تبين له أن الحق فيما قالــه فــلان أو في مذهب كذا، وأن القول الذي تقدم قضاؤه فيه، والمذهب الذي حكم به باطل، فرجع عن قضيته وخرج عن حكومته، وقضى بفسخ ماتقدم مــن قضائه لفلان بن فلان في قصة كذا وأبطله، وأشهد على ذلك في تــاريخ كذا. لقول عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رحمه الله لايمنعــك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت في لرشدك أن ترجع فيه، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل أشهد علــى إشــهاد

---

١ - الوثائق والسجلات، ص ٦٣٥.

القاضي فلان بن فلان قاضي أهل موضوع كذا لما ذكره عنه في هذا الكتاب، وذلك في شهر كذا من سنة كذا، والكتاب نسختان"[١].

"العدالة"[٢]:-

يقول ابن خلدون عن طبيعة وظيفة العدالة أنها، القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم، تحملاً عند الإشهاد. وأداءً عند التنازع، كتباً في السجلات[٣] وذلك محافظة على حقوق الناس وسائر معاملاتهم، وعلى هذا فإن وظيفة العدالة داخلة ضمن ولاية القضاء، فلا يعمل بها إلا عن إذن القاضي، وتكون خاضعة لتصرفه[٤].

---

١ - المصدر السابق، ص ٦٣٦.

٢ - يقول ابن الحاجب: العدالة "صفة مظنة لمنع موصوفها البدعة ومايشينه عرفاً ومعصية غير قليل الصغائر" انظر: الشيخ قاضي الجماعة محمد الأنصاري، المشهور بالرصاع التونسي، كتاب شرح حدود الإمام أبي عبدالله بن عرفة، (المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص٦٣٨.

وذكر البكري أن العدالة "هيئة راسخة في النفس تحث على ملازمة التقوى باجتناب الكبائر وتوقي الصغائر والتحاشي عن الرذائل المباحة". انظر: لباب اللباب، ص ٢٦٠.

وأما أبو إسحاق الشاطبي فقال: العدالة لغة تعني الاستواء والاستقامة على الجملة وأما في الشرع فهي الاستقامة في الأحوال الدينية والدينوية . انظر: المعيار المعرب، ٢٠٢/١٠.

٣ - المقدمة، ص ٦٣٥.

٤ - المصدر السابق، والصفحة.

ولا يتصف بالعدالة إلا من كان مسلماً مكلفاً جارياً على مقتضى السنة، ذو تقوى ومروءة[1]، متنزهاً عن الكبائر، والخير أغلب عليه من الشر، متصفاً بالعدالة الشرعية والبراءة من الجروح، فقيهاً، عاقداً للشروط[2].

وللخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قول في تحديد السمات العامة للعدل، فقد جاء في رسالته الشهيرة التي بعث بها إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مانصه "المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة"[3].

---

١ - المعيار المعرب، ٢٠٢/١٠، والمروءة هي المحافظة على فعل ماتركه من مباح يوجب الذم عرفاً، كترك الانتعال في بلد يستقبح فيه مشي مثله حافياً، وعلى ترك مافعله من مباح يوجب ذمه عرفاً كالأكل في الأسواق أو في حانوت الطباخ لغير الغريب. انظر: كتاب شرح حدود ابن عرفه، ص ٦٤٢، ويقول البكري: المروءة هي التصون والسمت الحسن وحفظ اللسان وتجنب السخف والمجون والارتفاع عن كل خلق ردئ يرى أن من تخلق به لايحافظ معه على دينه وإن لم تكن في نفسه جرحه" انظر: لباب اللباب، ص٢٦٠.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ص ٦٣٥.

٣ - أدب القاضي، ص ٤٥.

وكل الأقوال التي أدلى بها العلماء للتعريف بالرجل العدل جميعها تتفق على ضرورة اتصاف ذلك الرجل بالتقوى والاستقامة في جميع أحواله الدينية والدينيوية، بمعنى أن يكون مأمونا في السر والعلن.

وينبغي للقاضي إن لم يكن من أهل البلد أن يبدأ بالتعرف على عدول وثقات البلد الذي كلف القيام بأعباء القضاء به، وإن استطاع ان يفعل ذلك قبل أن يصل البلد فهو الأفضل، فإذا عرفهم يكتب اسم كل واحد منهم في ثبت لديه، ثم لايكتفي بذلك، بل إن عليه أن يعمد إلى السؤال عنهم سراً كل منهم على حده، وذلك بعد استقراره في البلد[1].

وكل أهل بلد وبالذات القرى البعيدة عن الحواضر، إن لم يكن لديهم حكام يقيموا الحدود بينهم، تولى إقامتها فيهم من ارتضوهم عدولاً منهم، كالمؤذنين والأئمة والموسومين بالخير[2]. وهؤلاء العدول على القاضي قبول شهادتهم، وأن يداوم على السؤال عنهم سراً، فمن لم يثبت عليه اشتهار في كبيرة فهو عدل حتى يثبت عكس ذلك[3].

وفي الأندلس لايقدم لمرتبة العدالة إلا من طال اختباره، وتجاوز مجالس المذاكرة التي تعقد لاختباره، ويشهد له الفقهاء بالصلاح واعتدال الطريقة، وتثبت الشهادات لدى صاحب الشرطة الذي يتولى السؤال

---

١ - أدب القاضي، ص ٨٣-٨٤.

٢ - المعيار المعرب، ١٠/١٤٣، ١٤٥.

٣ - النباهي، ص ٧٤.

والكشف عن هذا الرجل المعدل وهو بدوره يرفعها إلى الأمير أو الخليفة فيصدر فيه أمره يجعله أحد العدول الذين لهم الحق في الفتيا وكتابة الوثائق وتزكية الشهود.

كما أن كون الرجل المرشح للعدالة صاحب مال، أمر ضروري، إذ يُخشى عليه من الفقر أن يطمع بما في أيدي الناس، وقد ورد في رسالة الشقندي في الدفاع عن الأندلس أن الأمير الحكم الربضي أراد تقديم بعض من يعني به إلى مرتبة العدالة، وطبيعي لابد من أخذ رأي الفقهاء في هذه المسألة. ولذا، فعندما عرض الأمير اقتراحه على الفقهاء، أجابوه بأنه أهل، إلا أنه فقير لامال له، فاضطر الأمير إلى أعطاء الرجل من المال مأغناه وبذلك أزال اعتراض الفقهاء[١].

ونظراً لأهمية مكانة العدول، فإن لهم أماكن خاصة بهم، اعتادوا الجلوس بها، فيأتي إليهم كل من كانت له قضية تحتاج للإشهاد والتقييد في الكتاب[٢].

وللقاضي التجريح والتعديل بعلمه سواء علم ذلك قبل استلامه القضاء أو بعده[٣]، وهو مافعله قاضي الجماعة محمد بن سلمة الكلابي

١ - نفح الطيب، ٣/٢١٤ـــ ٢١٥.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ص ٦٣٦.

٣ - معين الحكام، ٢/٦٤٣.

عندما حضر عنده الفقيهان ابن لبابه والحبيب بن زياد لتعديل ابن شراحيل المعروف بالعجيزه[١].

والقاضي ابن سلمه عندما رفض تعديل الفقيهين لابن شراحيل ذلك لمعرفته بباطنه أكثر منهما، ولذا قال ابن لبابه للقاضي "نحن قد عدلناه بمبلغ علمنا، ومن عرف الباطن فهو أحق ممن عرف الظاهر"[٢].

وكذلك الفقيه محمد بن خميس بن عبدالواحد المعروف بالأعشى رفض تعديل أحد أصدقائه عند القاضي عندما رد شهادته. بعد أن أدرك الفقيه أن صديقه جاهل لاالخير يدري ولا الشر يدري[٣]، لأجل هذا قال سحنون "لايقبل في التزكية إلا العدل المبرز الفطن الذي لايخدع في عقله، ولايستترل في رأيه"[٤].

وذكر الخشني أن لقاضي الجماعة محمد بن بشير طريقة خاصة في قبول تعديل من لايعرفه يقول قاسم بن هلال "دخلنا على محمد بن بشير لنعدل عنده رجلاً، فقال: احلفوا بالله الذي لاإله إلا هو أنه عدل رضا، فقالوا بيمين أصلحك الله، فقال: والله لاكتبتها حتى تحلفوا"[٥].

---

١ – قضاة قرطبة، ص ٩٧.

٢ – المصدر السابق والصفحة.

٣ – ترتيب المدارك، ١١٦/٤.

٤ – معين الحكام، ٦٤٣/٢-٦٤٤.

٥ – قضاة قرطبة، ص ٣٥.

ومن الملاحظ أن الأندلسيين لايغمضوا أعينهم ولايكفوا ألسنتهم عمن اتخذه القاضي عدلاً وهو غير أهل لذلك، فقد كان يتعرض لسخرية الناس، مما يضطر القاضي في النهاية إلى نزع العدالة عن ذلك الرجل[١].

وقد سبق وان عرفنا قصة العدل ابن عمار وبغلته مع قاضي الجماعة سليمان بن أسود ومنها ندرك أن على العدل ملازمة مجلس القاضي، إذ هو بحاجة مستمرة لأقواله طالما أن هناك قضايا تعرض.

ومن النادر أن نجد بعض العدول يدلي بأقواله مجاملة لأحد كبار رجالات الدولة، مثل من جامل الوزير هاشم بن عبدالعزيز في قضية قومس بن أنتينان[٢].

ومن الواجب على العدل عدم قبول الهدية لأن في ذلك إثارة للشبهات من حوله، ويقوى المنع إذا كانت الهدية مقدمة ممن له خصومة لدى القاضي، من ذلك أن أحد كبار عدول قرطبة قد أخذ هدية هي عبارة عن جبة خضراء، فشعر بأمرها خصم المهدي، فبلغ قاضي الجماعة سليمان بن أسود بحقيقة الوضع، فأراد القاضي تأديب ذلك العدل، الذي كان من سلامة قلبه يداوم على لبس تلك الجبة في المحافل، ولذا قال القاضي لخصم المهدي: "إذا رأيت الشيخ وعليه الجبة، وافق عليك فقل:

---

١ - انظر: ماقاله الشاعر يحيى بن حكم الغزال في عدلين اسم أحدهما أبو حفص والآخر يدعى يحيى بن مالك، كانا من عدول قاضي الجماعة معاذ بن عثمان الشعباني، المقتبس، تحقيق:مكي، ص ٧٠.

٢ - انظر: القصة في قضاة قرطبة، ص ٧٥-٧٧.

ياقاضي: ليس الشيخ يكلمك إنما تكلمك الجبة التي عليه ... ففعل الخصم ماأمره به القاضي، فاستحيا الشيخ وانقلب خجلاً[١]".

وللعدول مهام عدة، منها استلام ديوان القاضي عند عزله، ووضع الديوان في بيت الوزراء حتى يتم تعيين قاضي آخر[٢]، وإذا وضع القاضي مالاً موقوفاً لديه بيد أحد العدول به عليه، وإذا استرجعه القاضي منه، كتب له بذلك كتاباً، ثم أشهد العدل على القاضي بأنه قد استرد المال الذي كان في حوزته.

هذا وقد أورد الخشني قصة أنكر فيها القاضي عمرو بن عبدالله، البراءة والشهود الذين شهدوا عليه في استرجاع مال موقوف لدى أحد العدول يبلغ عشرة آلاف دينار هي عبارة عن ثلث أوصى تاجر يعرف بابن القصبي بتفرقته[٣].

والقاضي يعمل دائماً على الكشف عن عدوله، ويبدو أن له عيوناً تأتيه بأخبارهم، من ذلك أن رجلاً من أصحاب قاضي الجماعة محمد بن عبدالله بن أبي عيسى أتاه في الليل وأنهى إليه أن اثنين من الفقهاء العدول الملازمين له، قد اتفقا فيما بينهما على الإدلاء بشهادة مزوَّرة، وأنهما سيحضران عنده غداً لأجل هذا الغرض، فجلس القاضي في الغد وقد أخذ

---

١ - المصدر السابق، ص ٨٠-٨١.

٢ - انظر نفسه، ص ٨١-٨٢.

٣ - نفسه، ص ٨٣-٨٤.

حذره، فتقدم إليه أحدهما، فعبس القاضي في وجهه عله يفهم المراد، فينصرف من تلقاء نفسه، لكنه تمادى، فعندها ألقى القاضي في حجره - دون أن يشعر ذلك العدل- بطاقة مطوية، كتب فيها بيتين من الشعر هما:

اتتني عنك أخبار لها في القلب آثار

فدع ما قد أتيت له ففيه العار والنار

فعندما انتبه الرجل لها وقرأ مافيها، انطلق مسرعاً، ولقي صاحبه في الخارج وطلب منه الانصراف معه، وأخبره أن القاضي قد عرف بأمرهما[1].

ولما كانت كتابة الوثائق من بين المهام الرئيسية للعدول، وطبيعي أن يترتب عليها أحكام قاطعة، لأجل ذلك، فهي مجال واسع لأكل الأموال بالباطل من قبل ضعاف الإيمان، ولذا فقد كان جزاء من يدلس في الوثيقة صارماً، يعمل في بعض الأحيان إلى قطع يد ذلك المدلس، وهذا مافعله قاضي الجماعة محمد بن بشير برجل اشتهر أمره بالتدليس في الوثائق[2].

ويبدو أن قطع يد المدلس في الوثائق يتوقف على مدى الضرر الذي أحدثه تدليسه يدل على ذلك أن أبا محمد عبدالله بن محمد الأنصاري المعروف بابن واقزان، كان حافظاً للمسائل والرأي ومن المتقدمين في عقد

---

١ - ترتيب المدارك، ٦/١٠٠-١٠١.

٢ - النباهي، ص ٤٨. المعيار المعرب، ٢/٤١٤. وقد أُختلف في جواز أخذ كاتب الوثائق للأجرة، لكن الرأي الراجح أنه يأخذها بدون اشتراط لئلا يكون شبيهة بالحرفة. انظر: تبصرة الحكام، ١/٢٨٦-٢٨٧.

الوثائق، لكنه اشتهر بالتدليس في العقود، ورغم ذلك اكتفى قاضي الجماعة أسلم بن عبدالعزيز بأن أمر ابن واقزان بترك كتابة الوثائق، وعدم التعرض لما يتعلق بها والتزام بيته، فظل على هذه الحال إلى أن توفي سنة ٣٢٠هـ (٩٣٨-٩٣٩م)[١].

من هنا ندرك أن كتابة الوثائق ذات خطورة ملموسة، وعليه فقد حدد ابن عبدون من المؤهل لكتابتها؟ فقال: "لايجب أن يكتب الوثائق إلا من شهد له في ذلك بحسن الخط وترتيب اللفظ، واتساع في العلم، من رجل خير عالم ورع، ليكفي القاضي والحاكم عند رؤية خطه ولفظه البحث والتعب فيهما من براءة التدليس والتلبيس[٢].

من مامضى يتضح لنا أن وظيفة العدول قائمة على ركيزتين هما: كتابة العقود بين الناس وفق الشروط الشرعية، بالإضافة إلى تزكية الشهود الذين سيدلون بشهاداتهم عند القاضي.

وبصفة عامة لم يكن أولئك العدول يتمتعون بسمعة طيبة، حتى أن سفيان الثوري يقول "الناس عدول إلا العدول" ويقول عنهم عبدالله بن المبارك "هم السفلة" وأنشد بعضهم في العدول:-

قوم إذا غضبوا كانت رماحهم ... بثّ الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين إلا أن حكمهم ... على السجلات والأملاك والدور[٣]

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٦٧٥.

٢ - رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ١٣.

٣ - معيد النعم ومبيد النقم، ص ٦٣.

لكن لايمكن أن تكون هذه الصورة عامة لجميع العدول، لأن من التزم منهم بالحق وسار على نهجه ماعليه من سبيل، أما الذين يسارعون في تحمل الشهادات ويؤدونها مقابل أجرة معلومة يتقاسمونها فيما بينم في حوانيتهم، فهؤلاء الذين في خطر من أمرهم إن لم يقلعوا عنه ويتوبوا إلى الله تعالى منه.

هذا وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء عديدة اشتهرت بالعدالة من هؤلاء: محمد بن عيسى المعافري، الشهير بالأعشى[1]، ومحمد بن يوسف بن مطروح، المتوفى يوم عاشوراء سنة ٢٧١هـ (٨ يوليو سنة ٨٨٤م) وكان أحد الثلاثة الذين تدور عليهم الفتيا أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن[2].

أبو القاسم أصبغ بن خليل، قرطبي، كان حافظاً للرأي على مذهب مالك وأصحابه، فقيهاً في الشروط، بصيراً بالعقود، منسوباً للصلاح والورع، دارت عليه الفتيا بالأندلس طيلة خمسين عاماً، توفي سنة ٢٧٣هـ (٨٨٦م) [3].

---

١ - ترتيب المدارك، ١١٦/٤.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١١٣.

٣ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٢٤٧.

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن هانئ العطار، قرطبي، يعرف بـابن اللباد، كان أحد العدول القرطبيين، توفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٧٥هـ (ديسمبر ٩٨٥م) [١].

أبو عبدالله محمد بن أبي سليمان بن حارث المغيلي القسام، من أهل قرطبة، وهو أحد عدولها، كان حسن الخلق، كثير الدعابة، ذو مكانة سامية لدى حكومة قرطبة، توفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٣٧٧هـ (مارس ٩٨٨م) [٢].

أبو عبدالله محمد بن فتح اللحام، قرطبي كان أحد العدول عند قاضي الجماعة محمد بن يبقى ابن زرب توفي في شهر رجب سنة ٣٧٨هـ (٩٨٨م) [٣].

أبو الوليد محمد بن محمد بن عبدالمؤمن بن يحيى، من أهل قرطبة، وأحد عدولها، كان منسوباً للثقة، توفي يوم الأحد مطلع رجب سنة ٣٨٩هـ (١٨ يونيو ٩٩٨م[٤]).

وكان أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن أبي دليم، المتوفي سنة ٣٩٢هـ "١٠٠١م" وعبدالله بن المعيطي أشهر الناس عدالة بقرطبة في وقتهما[١].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٤٧.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٥٠.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٥٢.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٧٩.

أبو عبدالله محمد بن عبدالملك بن ضيفون بن مـــروان اللخمـــي، الحداد، قرطبي، صالح، عدل، حدث وكتب الناس عنه، توفي ليلة السبت لثمان بقين من شوال سنة ٣٩٤هـــ (سبتمبر سنة ١٠٠٤م)[٢].

أبو القاسم خلف بن سليمان بن خميس، قرطبي، كان أحد العدول، قتله البربر يوم دخولهم قرطبة في شهر شوال سنة ٤٠٣هـــ (إبريل ســـنة ١٠١٣م)[٣].

أبو بكر عبدالرحمن بن أحمد التجيبي، يعرف بابن حوبيل، من أهل قرطبة "كان فقيهاً مشاوراً، بصيراً بعقد الوثائق، مشهور العدالة المـــبرزة بقرطبة، وممن عُني بالعلم وشهر بالحفظ[٤]".

وفي عهد الفتنة البربرية، تأثرت العدالة مثل غيرها بأحداث تلـــك الفتنة، فقد أصبحت الثقة بالعدول مهزوزة بشكل كبير. حتى أن قاضـــي الجماعة عبدالرحمن بن بشر ٤٠٧-٤١٩هـــ (١٠١٦-١٠٢٨م) كـــان لايقبل شهادة بعضهم في الباطن، ولايقضي بها إذا انفردت عن غيرها[٥].

---

١ - ترتيب المدارك، ١٥١/٦.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣٩٣.

٣ - الصلة، ترجمة رقم ٣٦٣.

٤ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٦٨٧.

٥ - د.محمد عبدالوهاب خلاف: وثائق في شئون الحسبه في الأندلس، مستخرجه مـــن محفوظ الأحكام الكبرى، للقاضي ابن سهل الأندلسي، (القاهرة، المركز الدولي العـــربي للإعلام، ط الأولى ١٩٨٥م) ص٧٦.

ولم يقتصر اهتمام المصادر الأندلسية على ذكر أهل العدالة من المسلمين فقط، بل امتد اهتمامها لذكر من اشتهر بالعدالة من أهل الذمة، من هؤلاء مثلاً:- ينير الأعجمي فقد كان معروفاً بالخير وحسن المذهب، مقدماً عند القضاه، مقبول الشهادة لديهم، ولذا فقد كانت شهادته سبباً في عزل قاضي الجماعة يخامر بن عثمان الشعباني عن منصبه، وذلك في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط[١].

وكما أن الإنسان يبلغ العدالة وفق شروط متعارف عليها، فبالمقابل فإن الإخلال بتلك الشروط يعني إسقاط العدالة عن ذلك العدل، ففي عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط سجل قاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني بالسخطة على سبعة عشر فقيهاً، وهذا يعني أنه أزال صفة العدالة عنهم[٢].

كما أن قاضي الجماعة الحبيب أحمد بن زياد، قد سجل بالسخطة على الفقيه العدل محمد بن يحيى بن لبابه الشهير بالبوجون[٣]، فقد رفع القاضي للخليفة عبدالرحمن الناصر أشياء قبيحة عن ابن لبابه، فأمر الخليفة بإسقاط ابن لبابه عن مترلته عن العدالة والشورى وكلفه بلزوم بيته[٤].

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٥٥.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٤٧.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٣١.

٤ - ترتيب المدارك، ٦/٨٧-٩١.

من هنا يتضح أن رفع مترلة أحد الفقهاء للعدالة أو إسقاطه منها، لابد أن يصدر به ظهير من الأمير أو الخليفة .

ويبدو أن إزالة العدالة عن أحد العدول، أمر غير متوقف على إرتكاب ذلك العدل لما يقدح بسيرته من جهة الشرع، بل إن للأهواء دور في هذا أحياناً، من ذلك قصة إسقاط الفقيه الموثق ابن العطار عن الشورى والشهادة ثم إعادته إليها[١].

وتكرر نفس العمل مع قاضي الجماعة أبي بكر يحيى بن عبدالرحمن بن وافد اليحصبي، المتوفي سنة ٤٠٤هـ (١٠١٤م)، فقد كان مستبحراً في المذهب المالكي، حاذقاً بحفظ المسائل والأجوبة، ولذا فقد تقلد الشورى والشهادة في عهد الدولة العامرية، لكن المنصور بن أبي عامر سخط عليه لأنه خالف رغبته وأفتاه بعدم جواز التجميع في مسجد الزاهرة، ولذا فقد أصدر المنصور أمره بإسقاط ابن وافد عن مرتبتي الشورى والشهادة وفرض عليه الإقامة الجبرية في داره[٢]. وللسبب ذاته تعرض الفقيه أصبغ بن الفرج بن فارس الطائي، المتوفي سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧م) قاضي بطليوس وثغورها للأذى من المنصور بن أبي عامر فعزله عن القضاء والفتيا[٣].

---

١ - المصدر السابق ٧/١٤٨-١٥٨.

٢ - نفسه ٧/١٦٠.

٣ - المصدر السابق ٧/١٥٩-١٦١.

الوكالة[1]:-

الوكالة لها أوجه عدة[2]، يهمنا في هذا المقام مايتعلق بالخصومات أي التقاضي والمشهور في المذهب المالكي أن التوكيل حق مشروع للطالب والمطلوب، إلا أن سحنون رحمه الله لايقبل التوكيل من المدعي عليه إلا في حالات خاصة، مثل المرأة الشابة التي تخشى فتنتها[3]، أو مريض أو مريد سفر، أو صاحب عذر بيِّن، أو من كان في شغل الأمير، أو كونه يشغل خطة لايستطيع مفارقتها، كالحاجب مثلاً، وبالمقابل كان يقبل التوكيل من كل مدعي[4].

وحول هذا المعنى جاء رأي الفقيه الموثق ابن العطار، لكنه أضاف أن من دواعي التوكيل الرغبة في التتره عن التبذل في الخصومة، والجلوس في مجالس الحكام خشية سماع قول خشن أو اعتراض بما لايصلح[5].

---

١ - الوكالة جمعها الوكالات، والكالة اسم مصدر بمعنى التوكيل من وكل إليه الأمر وكلاً ووكولاً، سلمه وفوضه إليه واكتفى به. انظر: لسان العرب، مادة وكل. وأما اصطلاحاً فقد عرفها الشيخ ابن عرفه بقوله "هي نيابة ذي حق غير ذي إمرة ولاعبادة لغيره في غير مشروطة بموته" الحدود الكبرى، ص ٤٥٧.

٢ - انظر: الحدود الكبرى، ص٤٦١. معين الحكام، ٦٦٩/٢ ومابعدها.

٣ - ابن عبدون يرى ألا يكون هناك وكيل للمرأة، وذلك لأن بعض ضعاف النفوس ربما اتخذ هذه الوكالة سبيلاً للمساس بشرف موكلته. انظر: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ١٢-١٣.

٤ - معين الحكام، ٦٨٣/٢-٦٨٤.

٥ - الوثائق والسجلات، ص ٤٩٧.

ومن أراد أن يوكل وكيلاً فلابد أن يحضر جلسة لدى القاضـــي، ينعقد من خلالها مايكون من الخصمين من الدعوى والإقرار والإنكار، ثم له الحق في أن يوكل من شاء[١]، ولكن إذا جلس الخصمان لدى القاضي ثلاث جلسات فأزيد عندها لايجوز لأحدهما إقامة وكيـــل عنـــه، إلا أن يكون خصمه قد شاتمه فحلف أن لايخاصمه بنفسه أو اضطر للسفر[٢].

وعن اشتراط الإقرار أو الإنكار من قبل المدعي عليه قبل أن يوكل يذكر الخشني أن امرأة من جيران موسى بن حدير -تولى فيما بعد خطة الخزانة الكبرى للأمير عبدالرحمن الأوسط- رفعت عليه دعوى عند قاضي الجماعة إبراهيم بن العباس القرشي، فأرسل إليه القاضي فأحضره وأخبره بما تدعيه عليه المرأة، فطلب موسى من القاضي أن يأذن له في إقامة وكيلاً عنه، لكن القاضي رفض وأصر على موسى أن يقر أو ينكر ثم بعد ذلـــك يوكل، فلما رأى موسى إصرار القاضي قال له: "جميع ماتدعيه -المرأة- حق وهي المصدقة[٣]".

ولايجوز لأحد الخصمين إقامة أكثر من وكيل في قضية واحـــدة[٤]، ولايصح للوكيل أن يوكل غيره إلا بإذن موكله[٥]، وللموكل عزل الموكل

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٢٧٤-٢٧٥.

٢ - الوثائق والسجلات، ص٤٩٧.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٥٣.

٤ - معين الحكام، ٢/٦٨٥.

٥ - أدب القاضي، ص ٥١٣.

الموكل مالم تبدأ جلسات القاضي، فإذا كان الوكيل قد حضر ثلاث جلسات أو أكثر فليس للموكل عزله[١]، إلا إذا ظهر منه غش أو أصيب بمرض[٢].

والوكالة لابد أن تكون مكتوبة، ولها صيغة محددة، وقد زودنا الفقيه ابن العطار بنص الوكالة، فذكر تحت عنوان: وثيقة توكيل على الخصام، مانصه: "بسم الله الرحمن الرحيم وكل فلان بن فلان بن فلان عند القاضي فلان قاضي الجماعة بقرطبة، أو عند صاحب أحكام كذا، أو المدينة أو السوق بقرطبة، على المخاصمة عنه، وله الإقرار عليه والإنكار عنه، بوكالة التفويض التامة التي أقامه فيها مقام نفسه، وقبل فلان من توكيله. شهد".

وإن كانت وكالة جامعة، قلت بعد قولك: والإنكار عنه "وطلب حقوقه واستخراجها، وتقاضي الأيمان إن وجبت له، وقبض حقوقه، والبيع عليه والابتياع له، والمصالحة عنه" وله أن يزيد هذه الزيادة إذا كان توكيلاً جامعاً لغير خصم، إن شاء الله، ثم يقول: شهد على إشهاد الموكل فلان والموكل فلان نفسهما بما ذكر عنهما في هذا الكتاب من عرفهما وسمعه منهما وهما بحال الصحة وجواز الأمر، وذلك شهر كذا من سنة كذا، وإن شئت عقدت الإشهاد على التوكيل خاصة، وقلت قبل التاريخ:

---

١ – معين الحكام، ٢/٦٨٥.

٢ – المصدر السابق، ٢/٦٨٦.

ممن أشهده الخصم فلان على قبول التوكيل المذكور وذلك في شهر كذا من سنة كذا[١]".

وهناك نموذج آخر وضعه ابن العطار وهو عبارة عن توكيل يجعل للوكيل الحق في توكيل من يراه، جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، وكّل فلان فلاناً على المخاصمة عنه وله الإقرار عليه والإنكار عنه بوكالة التفويض التامة، أقامه بها مقام نفسه... وجعل إليه توكيل من رأى توكيله بمثل توكيل المذكور وقبل فلان ذلك من توكيله "ثم يذكر الشهود والتاريخ[٢].

هذا، وقد ذم ابن عبدون الوكلاء، وكان يرى أن منعهم أفضل، إذ أن عملهم يتيح لهم أكل أموال الناس بالباطل، ويتوصلون إلى ذلك بالقدرة على الجدال، وتزيين الكلام والملق والكذب، والتلبيس على من يخاصمون عنده، إذ أن خصال الخير غير موجودة فيهم، وإن كان لابد من وجودهم فقد اشترط ابن عبدون أن يكون عددهم قليلاً، ومع قلتهم فيجب أن يكون الوكيل ممن اشتهر أمره بالورع والعلم والعفاف والخير،

---

١ - الوثائق والسجلات، ص ٤٩٨.

٢ - المصدر السابق، ص ٥٠٠.

ولايكون شاباً ولاشريباً، ولا ممن يفجر أو يفسق[١]. وقال فيهم البعض: "هم أناس عليهم الفضول فباعوه لغيرهم"[٢].

ثم أنه بالرغم من عدم تمتع الوكلاء بنظرة احترام في مجال الخصومات إلا أن القاضي ربما نصح أحد الخصمين بإقامة وكيل يخاصم عنه، خاصة إذا توسم القاضي في أحد الخصمين الخير والصلاح مع عدم القدرة على الإدلاء بحجته، وذلك كما عرفنا من قبل قصة قاضي الجماعة، أحمد بن بقي بن مخلد عندما عمد إلى ذلك في إحدى القضايا[٣].

والوكيل يقبل الوكالة لقاء أجر مادي يتفق عليه مع موكله، ويبدو أن أمر الموكلين كان مشهوراً بقرطبة، إلى درجة أصبح معها عملهم شبه رسمي، أو بالأصح صار من يعمل التوكيل محترفاً له، يدل على ذلك مافعله قاضي الجماعة سعيد بن سليمان القاضي عندما أدب وكلاء أساءوا الأدب عنده ثم منعهم من الحضور عنده لمدة سنة فكاد أن يورثهم الفقر[٤].

---

١ – رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ١٢. قارن: أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص٢٧٤.

٢ – معيد النعم ومبيد النقم، ص ٦٣.

٣ – قضاة قرطبة، ص ١١٦.

٤ – المصدر السابق، ص٦٣.

تسجيل الأحكام

من بين الأعوان الذي يستعين بهم القاضي في مجلسه، الكاتب أو كاتب الجلسة، والعلة في اتخاذ القاضي للكاتب هو تسجيل الأحكام في ديوان القضاء، حفظاً للحقوق وقطعاً للإنكار من قبل البعض، بالإضافة إلى أنه لايمكن للقاضي أن يتولى تسجيل الأحكام بيده، إذ أن ذلك يشق عليه كثيراً، ولذا فلابد له من اتخاذ كاتب يتولى هذه المهمة عنه.

وقد كان كاتب القاضي محل اهتمام حكام بني أمية، حتى أن الخليفة الحكم المستنصر بالله كشف عن مدى اهتمامه بكاتب القاضي ونص على ذلك في الظهير الذي أصدره لمحمد بن إسحاق ابن السليم عندما ولاه قضاء الجماعة، فقد جاء فيه أنه "أمره أن يختبر كاتبه وحاجبه وخدمته، ويتفقد عليهم أحوالهم إذا غابوا عن بصره"[١].

ونظراً إلى أهمية العمل الذي يؤديه كاتب القاضي، فلابد أن يكون على دراية واسعة بمدلولات الألفاظ العرفية واللغوية[٢]، "ويكون فقيهاً عدلاً يقظاً[٣]" فهو بالفقه يتمكن من الحذف والاختصار من الكلام الزائد الذي يدلي به الخصمان، وهذا أمر لايتقنه إلا من كان لديه إلمام طيب بالفقه، وفي هذا يقول الوليد الباجي: "وينبغي لكاتب القاضي أن

---

١ – النباهي، ص ٧٦.

٢ – معيد النعم ومبيد النقم، ص٦٠.

٣ – الوثائق والسجلات، ص ٤٩٣.

يتولى عقد المقالات المتصرفة بين يدي القاضي، ويترك التطويل والإكثار ويقصد الإيجاز والاختصار في تقييد المقالات"[١]، كما أن العدالة تجعله من أهل المروءة والأمانة فلا يعبث بنصوص الأحكام، فضلاً عن أن عدالته تمكن القاضي من الاستعانة بشهادته إذا احتاج إليها، واليقظة تجعل التغرير به أمراً عسيراً.

وعندما نقلب صفحات تراجم كُتَّاب قضاة الجماعة بالأندلس في عهد الدولة الأموية، نجد أنهم قد توافرت فيهم الشروط التي نص عليها الفقيه ابن العطار وهي: الفقه والعدالة واليقظة، بل إن بعضهم وصل إلى منصب قاضي الجماعة، من هؤلاء محمد بن بشير فقد كان يكتب لقاضي الجماعة المصعب بن عمران، ثم رحل إلى المشرق فلقي الإمام مالك بن أنس، وجالسه وسمع منه، وطلب العلم بمصر، ثم انصرف إلى الأندلس، فلزم ضيعته بباجه، وبعد أن توفي المصعب بن عمران، تولى ابن بشير قضاء الجماعة[٢].

وكذلك الفقيه عمرو بن عبدالله بن ليث القبعه، تولى الكتابة لقاضي الجماعة أحمد بن زياد، وبعد استعفاء ابن زياد أصدر الأمير محمد بن

---

١ - فصول الأحكام، ص ١٩٥.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٢٨.

عبدالرحمن أمره بتولية عمرو بن عبدالله قضاء الجماعة سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤م)[١].

ومن هؤلاء الكُتَّاب من أصبح فيما بعد قاضياً في إحدى الكور، منهم الفقيه أحمد بن إسحاق ابن مروان الغافقي، قرطبي كتب لقاضي الجماعة محمد بن إسحاق بن السليم ثم تولى القضاء بطليطلة وتوفي سنة ٣٧٢هـ (٩٨٢م[٢]).

وهذا الفقيه عبدالملك بن الحسن المعروف بزونان، تولى الكتابة لقاضي الجماعة إبراهيم بن العباس القرشي وذلك بإشارة من الفقيه يحيى بن يحيى الليثي[٣]، ويذكر ابن حيان أن الفقيه القرطبي أبو بكر عبدالله بن محمد بن معدان كان كاتباً لقاضي الجماعة أبي الوليد يونس بن عبدالله بن مغيث ومن قبله، وكان أمينهم على تنفيذ الوصايا، وقد توفي الفقيه ابن معدان يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٤٢٦هـ (٢١أكتوبر سنة ١٠٣٥م) وصلى عليه القاضي يونس بن عبدالله[٤].

ومما استعرضنا ذكره ظهر لنا أن أغلب كتَّاب قضاة الجماعة بقرطبة كانوا من الفقهاء الذين عينوا فيما بعد قضاة في قرطبة أو غيرها من مدن الأندلس، وذلك نتيجة الماهم في الفقه، وملازمتهم للقضاة.

---

١ - المصدر السابق، ص ٦٧-٦٨.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٧٠.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٥١.

٤ - الصلة، ترجمة رقم ٥٨٨.

وننهي الحديث عن كاتب القاضي بأن تسجيل الأحكام القضائية قد شهد تطوراً تدريجياً، ورغم وقوفنا على مايوضح ذلك التطور بصورة تفصيلية، إلا أن نصاً أورده القاضي عياض يؤكد لنا حدوث عملية التطور تلك، فقد ذكر أن قاضي الجماعة أسلم بن عبدالعزيز يقول إن الفقيه بقي بن مخلد قال: إن سجلات القضاء لدى قاضي الجماعة محمد بن بشير كانت دقيقة ولطيفة، والسجل لايذكر فيه إلا لب القضية فقط في أسطر قليلة، بخلاف ماأصبحت عليه فيما بعد، إذ أخذت تمتاز بكثرة التفاصيل[1].

وعملية التطور هذا حدثت في فترة لاتتجاوز ثلاثة أرباع القرن وهي الفترة الفاصلة بين وفاة قاضي الجماعة بن بشير سنة ١٩٨هـ (٨١٤هـ) ووفاة الفقيه بقي بن مخلد سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) ولاشك أنها شهدت فيما بعد مزيداً من الإطالة والتفصيل، وكما يقول أحد المهتمين بدراسة القضاء في الأندلس عن تسجيلات الأحكام أنها "قد أصبحت في القرن الخامس مزيدة ومفصلة لكل جوانب القضية وأحكامها، ولعل نوازل ابن سهل خير مصداق لمنهج تحرير الأحكام وتسبيبها في تلك الفترة[2]".

---

١ - ترتيب المدارك، ٣/٣٣٢-٣٣٣.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٢٨٤.

تنفيذ الأحكام

بناء على مايثبت لدى القاضي من ظهور الحق في القضية المطروحة عنده، فإنه يصدر حكمه فيها، ومتى ماصدر الحكم أصبح من المتعذر إعادة النظر فيه[١] إلا ماكان منها ظاهر الجور أو مخالف للشرع أو تبين للقاضي الخطأ في قضائه والوهم في حكمه[٢].

وقد جاء في رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما "ولايمنعك قضاء قضيته فراجعت فيه نفسك أو هديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لايبطل ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[٣]".

كما ورد في العهد الذي أصدره والي الأندلس عقبة بن الحجاج للقاضي مهدي بن مسلم أن "لايعجل بإمضاء الحكم حتى يستقصي حجج الخصوم وبيناتهم ومزكيهم، ويضرب لهم الآجال ويوسع فيها عليهم، حتى تنجلي له حقائق أمورهم وتتكشف له أغطيتها[٤]".

ولذا فقد عُرف قاضي الجماعة أحمد بن بقي بن مخلد بلين الجانب والتطويل في الأحكام لأنه كان لاينفذ منها إلا الظاهر البين، أما ماكان

---

١ - من ذلك أن قاضي الجماعة محمد بن بشير رفض إعادة النظر في قضية الفتى المملوك الذي ادعى أن سيده أعتقه وأنكحه ابنته. انظر: قضاة قرطبة، ص ٣٣-٣٤.

٢ - الوثائق والسجلات، ص ٦٣٥-٦٣٦. معين الحكام، ٦٣٨/٢-٦٣٩.

٣ - أدب القاضي، ص ٤٥.

٤ - قضاة قرطبة، ص ١١.

ملتبساً عليه منها، أو لديه شك فيها فإنه كان يستعمل الأناة والتؤدة حتى تنجلي له الحقيقة أو يتصالح الخصمان، وعندما بلغه من يعيب عليه اللين التطويل، قال: "أعوذ بالله من لين يؤدي إلى ضعف، ومن شدة تبلغ إلى عنف ... واحتج بفساد أحوال بعض الناس ومايسببه هذا الفساد من التباس الأمور حتى لايكاد يستبين الحق منها، كما احتج بفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما اشتبه عليه الحكم في قضية، فأطال فيها، وكره أن يحكم على الاشتباه وأمر بابتداء الخصومة من أولها[١]".

أعوان القاضي

لابد للقاضي من أعوان يستعين بهم على ضبط هيبة مجلس القضاء، فهم الذين يحفظون نظامه ويدخلون الخصوم إلى القاضي بالترتيب الأول فالأول، كما أنهم يخرجون من يطلب القاضي إخراجه عند إساءته الأدب ونحوه.

وهؤلاء الأعوان يشترط فيهم الصلاح والأمانة، فيؤمن جانبهم بعدم قبول الرشوة، فلا يُقَدَّم أحد في الدخول إلى القاضي، كما أن صلاح الأعوان ضروري لكي يعاملوا أولئك الخصوم المتزاحمين على باب القاضي بالرفق واللين، فضلاً عن دورهم في إحضار الخصوم وتنفيذ الأحكام. وفي هذا يقول ابن العطار "يجب أن يكون أعوان القاضي في زي الصالحين

---

١ - المصدر السابق، ص ١١٦.

أحوال الناسكين مستمسكين بهديه وحاله، فإنه يستدل بأحوال المرء بصاحبه وغلامه[١]".

ويقول ابن عبدون "لايستعمل القاضي ... من الأعوان من كان غائظاً ولاشريباً ولا غضوباً ولامهذاراً كثير الكلام واللدد، فيهذب ذلك منهم[٢]" كما يجب أن يكون للقاضي رقبة عليهم وهيبة، يخوفهم لئلا يقدموا على أمر فيفعلونه، أو قول فيقولونه، أو أمر فيفسدونه، ولايمكّن من الدخول عليه أحد منهم حتى يدعى عند الحاجة إليه، فهو موضع رشوة وفساد[٣]" لأجل هذا نجد أن قاضي الجماعة أحمد بن بقي بن مخلد كان قد اتخذ أعواناً شيوخاً توسم بهم الخير والسداد[٤].

وعن عدد الأعوان لدى القاضي ذكر ابن عبدون -معاصر المرابطين- أن عددهم لدى القاضي في إشبيليه كان لايتجاوز العشرة، منهم أربعة سودان برابر لأجل المرابطين والبقية من أهل الأندلس[٥]. وعلل سبب بلوغ عددهم العشرة ماعرف عن أهل إشبيلية في ذلك الوقت من كثرة الخصومات بسبب اشتداد الخلاف بين أهلها[٦]، وعليه فمن

---

١ - الوثائق والسجلات، ص ٤٩٣.

٢ - رسالة ابن عبدون، ص ١٢.

٣ - المصدر السابق، ص ١٠.

٤ - النباهي ، ص ٦٤.

٥ - رسالة ابن عبدون، ص ٩.

٦ - المصدر السابق، ص ١١.

المتوقع ألا يكون عددهم في قرطبة إبان الدولة الأموية أقل من ذلك ويتم صرف أرزاق أولئك الأعوان من بيت مال المسلمين مثلهم في ذلك مثل القاضي الذي يأخذ رزقه من بيت المال[١]، يدل على ذلك أن قاضي الجماعة أحمد بن بقي بن مخلد عندما تولى القضاء سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) طلب من الأمير عبدالرحمن بن محمد أن يكون رزق أعوانه من بيت المال[٢]، ولكن ربما صرفت أرزاقهم من موارد أخرى، إما من رزق القاضي أو من المدعى أو المدعي عليه إذا عرف بالمماطلة[٣].

مرتب القاضي وموارد دخله

إن من الحقوق التي ضمنت للقاضي، تقديم الأرزاق له، وذلك مقابل تحمله عبء الجلوس لصالح الناس. وهذا الجلوس يستغرق جل وقته، مما يحول بينه وبين التكسب من طرق أخرى، لأجل هذا كان لابد من صرف مرتب له يغنيه عن الاحتياج للآخرين، ويجعله في مأمن عن التطلع لما في أيديهم.

ويكفي للدلالة على وجوب فرض مرتب للقاضي فعل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن ليتولى

---

١ - الوثائق والسجلات، ص ٤٩٣-٤٩٤.

٢ - النباهي، ص ٦٤.

٣ - معين الحكام، ٦١٤/٢.

القضاء فقد فرض له رزقاً مقابل ذلك وقال له "لعل الله يجبرك ويؤدي عنك دينك[١]".

كذلك فرض الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم لقضاتهم أرزاقاً فقد كتب عمر بن الخطاب إلى معاذ بن جبل وأبي عبيدة رضي الله عنهم عندما كانا في الشام "أن انظروا رجالاً من الصالحين قبلكم فاستعملوهم على القضاء ووسعوا عليهم في الرزق[٢]" كما فرض علي بن أبي طالب رضي الله عنه لشريح خمسمائة درهم في الشهر عندما ولاه القضاء[٣]، واستمرت عملية صرف المرتبات للقضاة طيلة عهد الدولة الأموية في الشام[٤].

وفي الأندلس سار القضاة هناك على مثل ماكان عليه نظرائهم في المشرق، فقد كانت لهم أرزاق تدفع من بيت المال. وقد حدد لنا أبو الوليد الأزدي فيما يرويه عن أصبغ بن الفرج موارد رزق القاضي، فقد قال "وحق على الإمام أن يوسع على القاضي في رزقه، ويجعل له خدمة

---

١ - صحيح البخاري، ٩/٦٧-٦٨.

٢ - أدب القاضي، ص ١١٠.

٣ - المصدر السابق، والصفحة.

٤ - انظر: محمد بن عبدالله الغنام، تاريخ القضاء في عهد الدولة الأموية من ٤١-١٣٢هـ، (رسالة ماجستير مقدمة لكلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ والحضارة جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض ١٤٠٧هـ. غير منشورة) ص ٩٨-١١٠. ومصادره.

يقومون بأمره، ويدفعون الناس عنه، ويجري له ثمناً لوقوف يدون أقضيته فيها، وشهادهم، وبمصابيح الليل ينظر منها في أمور النـــاس ويــدبرها، ولاينبغي له أن يأخذ رزقه إلا من الخمس أو من الجزية أو من عشر أهل الذمة[١]".

ويبدو أن الرزق المقدم للقاضي كان شهريا[٢]، وكان واسعاً نوعـــاً ما. بل إنه كان يمكن البعض من تدبير أموره بفائض من هذا الرزق طيلة العام المقبل حتى وإن كان معزولاً، مثلما حدث لمعاوية بن صالح عنـــدما كان الأمير عبدالرحمن الداخل يداول بينه وبين عمر بـــن شـــراحيل في القضاء[٣].

والذي تجدر الإشارة إليه أن القاضي معاوية بن صالح بما أنه يـــدبر شئونه طيلة العام المقبل من خلال الفائض من رزق العام الذي يتولى فيـــه القضاء بالرغم من أنه لايمارس أي عمل آخر طيلة العام الذي يتولى فيـــه صاحبه عمر بن شراحبيل القضاء، لهو دليل أكيد على حياة الزهد الـــتي كان يعيشها، وإن كنا لانستطيع التغاضي عن ضخامة الرزق الذي تقدمه الدولة للقاضي.

---

١ – مفيد الحكام، ورقه ٤.

٢ – قضاة قرطبة، ص ٢٢.

٣ – المصدر السابق، والصفحة.

والأمثلة على حياة الزهد التي كان يحياها قضاة الجماعة بقرطبة كثيرة، فبالإضافة إلى ماسبق كان قاضي الجماعة سعيد بن سليمان إذا انصرف من صلاة الجمعة، ذهب إلى الفران وأخذ خبزته ووضعها تحت عضده ودخل بيته[١]. وعندما عُزل قاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني عن منصبه، بعث إليه أحد خواصه من الوزراء أحد أبنائه ومعه بعض الأعوان والزوامل لحمل أمتعته، لكنهم فوجئوا عند دخولهم بيت القاضي بأنهم لم يجدوا من المتاع إلا حصير وخابية دقيق وصحفة وقلة للماء وقدح وسرير كان يرقد عليه[٢].

ومن شدة زهد أولئك القضاة أن أحدهم كان إذا شغل عن القضاء يوماً لايأخذ لذلك اليوم أجراً[٣]، بل إن أحدهم إذا كان له دخل من غير منصب القضاء، فإنه يتعفف عن رزق القضاء، وإن كان في الواقع بحاجة إليه، فقاضي الجماعة سعيد بن سليمان كانت له ضيعة في فحص البلوط، وكان وكيله على هذه الضيعة المدعو ناصر بن قيس يُحضر للقاضي نتاج ضيعته من القمح والشعير، وهذا النتاج يبلغ سبعة أمداد من شعير وثلاثة أمداد من قمح، وكان القاضي يقول لمن حوله عن هذا الطعام "وهذا

---

١ - نفسه، ص ٦٤.

٢ - نفسه، ص ٤٨.

٣ - نفسه، ص ٢٢، النباهي، ص ٤٤.

مقيتي ومقيت عيالي بحول الله[١]" كما كان قاضي الجماعة ابن السليم يتعيش على اصطياد الأسماك من نهر قرطبة ويتعفف عن رزق القضاء[٢].

وبمقابل من كان يعيش من قضاة قرطبة عيشة الزهد والتقشف كانت فئة منهم تعيش في سعة وبحبوحة، فمثلاً كان قاضي الجماعة الحبيب أحمد بن محمد بن زياد تاجراً قبل أن يتولى خطة القضاء سنة ٢٩١هـ (٩٠٤م)[٣]" .

وأما قاضي الجماعة أحمد بن بقي بن مخلد فيذكر عنه ابنه عبدالرحمن أنه إذا طرق أباه ضيف في الليل لم يذبح له شيئاً من الطير، لأنه يعتبره أماناً لها، ويكتفي بأن يقدم للضيف في ذلك المساء العسل والسمن والبيض وماشاكل ذلك[٤].

ويذكر ابن حيان أن قاضي الجماعة محمد بن يبقى بن زرب كان ذا سعة وثراء، فلما تولى القضاء في أوائل عهد الخليفة هشام المؤيد، جاءه أصحابه من الفقهاء والمشاورين لتهنئته بهذا المنصب، فما كان منه إلا أن احتبسهم عنده ثم أطلعهم على مالديه من الأموال وأخبرهم عما تحويه

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٦٣.

٢ - المغرب في حلى المغرب، ١/٢١٤.

٣ - قضاة قرطبة، ص ١٠٢.

٤ - قضاة قرطبة، ص ١١٤-١١٥.

مخازنه منها، وماقدر عليه تجارته من أرباح، وذلك لكي لايتعرض لتهمة الخيانة فيما بعد إذا ظهر ثراؤه بصورة كبيرة[١].

وكذلك كان قاضي الجماعة عبدالرحمن بن فطيس ميسور الحال، يدل على ذلك ماذكره ابن حيان من أن ولده محمد بن عبدالرحمن بن فطيس المتوفى سنة ٤٠٩هـ(١٠١٨م) كان سريا[٢].

كما كان عبدالرحمن بن بشر الذي تولى للحموديين بقرطبة خطتي القضاء والوزارة من أهل الثراء، يدل على ذلك ماذكره النباهي عن مجلس لابن بشر كان يقضي فيه أنسه وخلوته، فقد كان ذلك المجلس "عجيب الصفة حسن الآلة، ملبَّس كله بالخضرة، جدرانه وأبوابه، وسقفه وفرشه وستوره ونمارقه، وكل ذلك متشاكل الصفات، قد ملأه بدفاتر العلم ودواوين الكتب التي ينظر فيها ويخرج منها[٣]".

بعض المهام التي كان يتولاها القاضي أحيانا

من الملاحظ أن قاضي الجماعة بقرطبة كان في بعض الأحيان يقوم بأداء مهام وظيفية أخرى، وذلك إلى جانب منصبه، فهناك من كان

---

١ - النباهي، ص ٧٧.

٢ - الصلة، ترجمة رقم ١٠٨٨. تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٢٩٥.

٣ - النباهي، ص ٨٨.

يشترك في الغزوات التي كان يقوم بها جيش الدولة[١]، بل إن منهم من كان يتولى أحياناً قيادة الجيش[٢].

واشتراك القاضي في الغزو قد يكون رغبة منه في الجهاد والمرابطة، وأما إن كان الأمر نتيجة تكليف من ولي الأمر فالهدف من وجوده هو إمامة الجند في الصلاة وبث الحماس في نفوسهم من خلال الخطب التي يلقيها عليهم.

ومن المهام التي أسندت لقاضي الجماعة الإشراف على الثغور وإصلاح ما وهى من حصونها، وقد كان قاضي الجماعة محمد بن عبدالله بن أبي عيسى كثيراً مايخرج لأجل هذه المهمة، وفي آخر خرجاته إلى هناك، اعتل في قرية نحارس ومات هناك، فنقل جثمانه إلى طليطلة حيث دفن فيها في يوم السبت مستهل ربيع الأول سنة ٣٩٩هـ (نوفمبر ١٠٠٨م)[٣].

وأما لدينا العمالة على الكور، فقد ذكر الخشني أن الأمير الحكم الربضي استقدم الفرج بن كنانة من شذونة فولاه القضاء بقرطبة، وبعد أن أعفى الأمير ابنه عبدالرحمن من ولاية سرقسطة، وولاها عبدالرحمن بن أبي عبده، حدثت بعض الفتن هناك، فأرسل الأمير إليهم قاضي الجماعة

---

١ - قضاة قرطبة، ص ١٧-١٨،٨٣.

٢ - المصدر السابق، ص ٤١.

٣ - نفسه، ص ١٢٠. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٥٣.

الفرج ابن كنانة والياً على سرقسطة، فتمكن بحسن معالجته للأمور من إخماد الفتنة[١].

وقبل أن يصل محمد بن عبدالله بن أبي عيسى إلى منصب قاضي الجماعة في ذي الحجة سنة ٣٢٦هـ (أكتوبر ٩٣٨م) كان قد تقلد القضاء في عدة كور، فقد ولاه الخليفة عبدالرحمن الناصر القضاء ببجانة وطليطلة وجيان، وصرَّفه في عدة أمانات، فاضطلع بها، وكان آخر ما تولاه قضاء إلبيرة، وقلده مع القضاء أمانة الكور والنظر على عمالها، فكانوا لايصدرون إلا عن أمره، ولايظلم أحد في أي كورة تحت تصرفه إلا نصره[٢].

وبعد أن تولى ابن أبي عيسى قضاء الجماعة كلفه الخليفة عبدالرحمن الناصر في منتصف شهر رجب سنة ٣٢٨هـ (إبريل ٩٤٠م) بالخروج إلى الثغور الشرقية للنظر في مصالح أهلها، فخرج إليها وحسن أثره فيها[٣]، وازداد رفعة وقرباً من الخليفة حتى أنه أصبح المؤتمن على أسراره، كما خوله حضور جلسة مجلس الوزراء دون أن يطلق عليه لقب وزير[٤].

ومن المهام التي كان يتولاها قاضي الجماعة عرضاً الكتابة، فقد ذكر الخشني أن الأمير عبدالله ابن محمد كان في أحد أيام الجمعة في الساباط،

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٤١-٤٣.

٢ - ترتيب المدارك، ٦/٩٧.

٣ - المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص٤٥٣.

٤ - ترتيب المدارك، ٦/٩٦.

فورد عليه كتاب لابد من الإجابة عليه فوراً، فطلب كاتبه عبـــدالله بـــن محمد الزجالي فلم يجده، فأراد أن يرسل في استدعائه، لكن القاضي النضر بن سلمة عرض نفسه على الأمير للرد على هذا الكتـــاب، فـــأذن لـــه، فجاوب فأحسن وكتب فأبلغ، فأعجب الأمير به وشكر له فضله[١].

ومن المهام الجسيمة التي كان يضطلع بها قاضي الجماعـــة أحيانـــاً، الاستخلاف في سطح قصر الإمارة، وهذا لم يحدث إلا في عهد الخليفـــة عبدالرحمن الناصر قبل أن يكبر ولي عهده الحكم، فقـــد كـــان كـــثيراً مايستخلف قاضي الجماعة أسلم بن عبدالعزيز على سطح القصـــر عنـــد خروجه لمغازيه[٢].

والحق إن استخلاف القاضي على سطح القصر لهو أبلغ دلالة على مدى عظم منصب قاضي الجماعة، بالإضافة إلى الثقة القوية التي كانـــت متبادلة بين أمراء وخلفاء بني أمية وبين قضاهم.

كذلك كانت تناط بقاضي الجماعة مهمة الإشراف على البنيـــان، وفي هذا يذكر الخشني أن الخليفة عبدالرحمن الناصر كان كثيراً مـــايكلف القاضي ابن أبي عيسى بالإشراف على الثغور وتفقد مصـــالحها وبنيـــان

---

١ - قضاة قرطبة، ص٩٢.

٢ - المصدر السابق، ص ١٠٩.

حصونها، كما أنه هو الذي تولى للخليفة عبدالرحمن الناصر بناء مدينة سالم مع القائد غالب بن عبدالرحمن[١].

والقاضي يتولى الإشراف على أموال الوقف في المسجد الجامع[٢] كما كان يقوم بمهمام النظر في شئون الأيتام[٣]، وهو الذي يعيِّن الأوصياء عليهم لاستصلاح أموالهم[٤]. ولايتم بيع شيء من ممتلكات الأيتام إلا بإذن القاضي[٥] حتى وإن كان ذلك ضد رغبة الخليفة[٦].

كذلك كانت تسند للقاضي مهمة القيام بالسفارة لأجل الإصلاح، ففي شهر رمضان سنة ٣٢٨هـ (يونيو ٩٤٠م) انتدب الخليفة عبدالرحمن الناصر قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي للسفر إلى العدوة المغربية للتوسّط بين الزعيمين الخير بن محمد بن خزر وبين مدين بن موسى بن أبي

---

١ – ترتيب المدارك، ٦/٩٩.

٢ – قضاة قرطبة، ص ٨٣.

٣ – المصدر السابق، ص ٦٦.

٤ – يحدث أحياناً أن القاضي يعين للأيتام أوصياء سوء ومن أولئك الأوصياء الذين عينهم قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي وعندما عاتبه الخليفة عبدالرحمن الناصر على تعيين تلك المجموعة السيئة رد عليه القاضي بأنه لايجد سواهم فالذي يرجى منهم الصلاح لايقبلوا الوصاية على الأيتام، ثم طلب من الخليفة أن يحيله على أهل الصلاح وله أن يجبرهم بكل وسيلة وهو يضمن له ألا يسمع بعد ذلك إلا كل خير. انظر: مطمح الأنفس، ص ٢٥٧.

٥ – نفح الطيب، ٢/١٦.

٦ – مطمح الأنفس، ص٢٥٢–٢٥٤. نفح الطيب، ٢/١٦–١٧.

العافية المكناسي لإيقاف الحرب بينهما ومنع سفك الدماء، فنفذ منذر لما ندب له، وعالج الأمر برؤية فوفق في مهمته[١].

وفي عهد الفتنة أرسل الخليفة المهدي قاضي الجماعة أبا العباس بن ذكوان لإقناع هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر ومن معه من العبيد العامريين بالعدول عن إثارة الفتنة وترك الخروج ضد المهدي[٢].

وقاضي الجماعة يؤخذ العهد أمامه بالطاعة، فقد ذكر ابن ذكوان أنه في غزوة ربيع الأخر سنة ٣٢٨هـ (ديسمبر ٩٣٩م) قدم إلى قرطبة موسى بن محمد صاحب مدينة وشقه وحكم بن منذر صاحب قلعة أيوب مستأمنين للخليفة عبدالرحمن الناصر، فأخرج إليهما كتب الأمان، وعقد لهما على أعمالهما، وذلك بعد أن أحلف كل واحد منهما في المسجد الجامع بقرطبة خمسين يميناً على الالتزام بالطاعة والوفاء بشروطها والنصح للخليفة في السر والعلن، كل هذا تم بمحضر قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي ومن معه من الحكام والفقهاء والعدول[٣].

وأخيراً، إن القارئ ليقف موقف المتسائل من القدرة التي كان عليها قضاة الجماعة والتي أهلتهم للتصدي بكفاءة لكل ماوكل إليهم من المهام، وربما تسرب إلى الخاطر أن معظم تلك المهام لم تكن إلا تشريفية

---

١ - المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص ٤٦٠.

٢ - البيان المغرب، ٣/٧٩-٨٠.

٣ - المقتبس، تحقيق:شالميتا، ص ٤٥٣.

لأكثر[١]، لكن الصواب هو ماذهب إليه أحد المختصين بدراسة القضاء في الأندلس حيث يقول "إن مجال التشريف بألقاب القاضي لم يكن معمولاً به في الأندلس، وأن الخطط التي جمعت إلى قضاة الأندلس كان القاضي يمارسها بنفسه، فإذا لم يستطع فبالاستخلاف أو التفويض أو بمعونة مساعديه وتحت مراقبته ومسئوليته"[٢].

ويكفي لتأييد هذا الرأي وأن الألقاب لم تكن تشريفية ماورد على لسان الحاجب المنصور بن أبي عامر عند وصفه لأحد رجال دولته، المدعو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحضرمي الشهير بابن الشرفي، المتوفى في شهر شعبان سنة ٣٩٦هـ (مايو سنة ١٠٠٦م) فقد قال "في أصحابي رجل بصير بدنياه، يصلح لكل خطة، من مكاني في الحجابة، إلى مكان بوابي فلان، فمن بينهما من ذي مترله، ويستقل بكل أمر، ويصلح لكل خطة فإذا استفسر عنه، قال هو الشرفي[٣]".

ولتأكيد مقولة المنصور أورد القاضي عياض وصف ابن حيان لابن الشرفي، فذكر أنه قال "كان من أحد رجالات قرطبة المعدودين في الجزالة والرجولة، مع جودة المعرفة وغزارة العلم ومتانة الخطابة، والسداد في

---

١ - انظر: الدكتور محمود مكي في مقدمة تحقيقه لكتاب المقتبس، ص ٤٤.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٣٠٢.

٣ - ترتيب المدارك، ١٩٣/٧.

الحكومة مع الصلابة والنزاهة، ولي الشرطة والأحكام بقرطبة والصلاة والخطبة بجامعها مع المواريث[١]".

مستخلف القاضي

يقول الله تعالى {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**}[٢] فطاعة ولي الأمر واجبة -بغير معصية- والقاضي هو وكيل عن ولي الأمر، ولايجوز للوكيل إقامة وكيلاً له إلا بتفويض من الموكل، فكذلك لايجوز للقاضي أن يستخلف قاضياً آخر مكانه ما لم يأذن ولي الأمر بذلك[٣]. وعليه "فليس للقاضي أن يستخلف قاضياً مكانه ينظر بين الناس ويريح نفسه إذا كان حاضراً ولا إن عاقه شغل، إلا بعد استئذان الذي قدمه أو يكون تقديمه انعقد على ذلك[٤]".

وقد حدد الفقيه ابن العطار في وثائقه المجال العام الذي يمكن للقاضي المستخلف أن يعمل فيه، فقد ذكر أن القاضي إذا استخلف قاضياً آخر مكانه فللمستخلف الاستماع لشهادة الشهود، وقبول عدالة من

---

١ - المصدر السابق، ٧/١٩٢-١٩٣.

٢ - سورة النساء جزء من الآية ٥٩.

٣ - أدب القاضي، ص٣٥٧-٣٥٨، وقد ورد في تاريخ قضاة الأندلس أن القاضي محمد بن الحسن الجذامي النباهي عندما أمره يحيى المعتلي بتولي القضاء بمالقة، اشترط لقبول الولاية عدة شروط، منها: أن يستخلف عنه من يظهر له متى احتاج إلى ذلك وإن كان مقيماً في قصره. انظر: النباهي، ص ٩٠.

٤ - معين الحكام، ٢/٦١١.

عرف منهم بالعدالة، وأن يعدل من احتاج إلى تعديل. فبعد أن يثبت لديه حيازة ماشهد به الشهود، يرفع ذلك كله إلى القاضي الذي استخلفه، وذلك بحضرة شاهدي عدل، فيلزم القاضي حينئذ إقرار فعل مستخلفه، وتنفيذ ماثبت عنده من ذلك، ويسجل به للمحكوم وينعقد التسجيل في ذلك والإشهاد على القاضي[١]، ثم أضاف أنه إذا كان المخلف غائباً، فإنه يسجل القضية بشهادة الشهود والإثباتات ثم يطبع على الكتاب الذي سجل فيه القضية ويبعثه مع عدلين، يتوجهان به إلى القاضي ويسلمانه الكتاب، ويشهدان عنده أن مخلفه فلان بن فلان قد دفعه إليهما وأشهدهما على مافيه، وينفذ القاضي قولهما إذا قبلهما بمعرفته بهما أو بتعديل من عدلهما لديه[٢].

وقد استخدم بعض قضاة الجماعة بقرطبة حق الاستخلاف، من هؤلاء قاضي الجماعة محمد بن عبدالله بن أبي عيسى الذي كان يستخلف على قضائه عند خروجه من قرطبة قاسم بن محمد صاحب الوثائق، وفي بعض الأحيان يستخلف عبدالرحمن بن علي[٣].

وكان قاضي الجماعة ابن ذكوان ملازماً للحاجب المنصور بن أبي عامر لم يتخلف عنه في غزوة من غزواته ولافارقه في إقامة ولا سفر،

١ - الوثائق والسجلات، ص٦٤٢.

٢ - المصدر السابق، ص٦٤٢-٦٤٣.

٣ - ترتيب المدارك، ٦/٩٩.

وكذلك كانت حالته مع ولديه عبدالملك المظفر وعبدالرحمن شـــنجول[١] ولذا فقد كان القاضي ابن ذكوان يستخلف أخاه أبا حاتم صاحب المظالم طيلة غيابه عن قرطبة[٢].

والمستخلف ربما حاول أن يقنع ولي الأمر بأنه أولى بالمنصب ممـــن استخلفه، وأنه أقدر عليه منه، وقد حدث ذلك في قرطبة مرة واحدة، فقد استخلف قاضي الجماعة محمد بن عبدالله بن أبي عيسى في إحدى خرجاته عن قرطبة الفقيه ابن زونان، فصلى بهم الجمعة ثم استغل غيبة القاضـــي، فكتب للخليفة عبدالرحمن الناصر كتاباً ذكر فيه "أنه شيخ مـــن شـــيوخ المسلمين، ومن أهل العلم فيهم، وولاؤه أشرف الولاء، إذ كـــان مـــولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مع هذا مخالفـــاً لابـــن أبي عيسى؟ وهو صبي في عدد ولده، يسأل أمير المؤمنين أن يأنف من هذا[٣]" لكن الخليفة لم يلتفت إلى كتابة ابن زونان، ولم ير بديلاً لابن أبي عيسى الذي ماإن علم بالأمر حتى عاد مسرعاً وصرف ابن زونان ولم يستخلفه بعدها[٤].

والاستخلاف في القضاء لم يقتصر العمل به على قضـــاة الجماعـــة بقرطبة، فقد كان معمولاً به في الكور، فالفقيه الحافظ أبو الفرج عبدالله

---

١ – المصدر السابق، ٧/١٦٨-١٦٩.

٢ – نفسه، ٧/١٧٥.

٣ – النباهي، ص ٦٠.

٤ – المصدر السابق، والصفحة.

بن عبدالوارث[١] بن منتيل، المتوفي ليلة السبت لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة ٣٧٣هـ (فبراير ٩٨٤م) كان مستفتياً في الأحكام ببلدة طليطلة، ومن أهل الثقة والورع في جميع أموره، ولذا فقد كان محمد بن يحيى بن عبدالعزيز يستخلفه أيام قضائه بطليطلة[٢].

وقد نظر ابن عبدون إلى مسألة الاستخلاف نظرة حذرة، خشية ماقد يطرأ على الحقوق من ظلم بسبب هذا الاستخلاف، فبعد أن ذكر الشروط التي على القاضي التحلي بها، بدأ يعدد الأمور التي يجب عليه أن يأخذ حذره منها "ألا يستخلف في ذلك لأنه باب فساد لحاله، وباب من الهوان كبير قد فتحه على نفسه، فإن الناس يميلون إلى مستخلفه ويبقى هو مهوناً لايعبأ به، ويحدث المستخلف عليه خلافاً عظيماً، لاسيما إذا ارتشى أو كان ذا غفلة، ولم تكن له حنكة[٣]".

ثم حدد ابن عبدون السمات التي على القاضي أن يراعيها في مستخلفه، وحدد له الصلاحيات التي يمنحها المستخلف لكي يضمن السلامة، فقال "أن يجعل حاكماً عالماً خيراً غنياً يجعله للعوام في الأمر القريب من الأحكام لا في رقاب الأموال، ولاحكم على الأيتام، ولافيما فيه أمر من أمور السلطان والعمال[٤]".

---

١ - لدى ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٣٠: عبدالحارث.

٢ - لدى ابن الفرضي ترجمة رقم ٧٣٠. ترتيب المدارك، ٣٠/٧.

٣ - رسالة ابن عبدون، ص ٨-٩.

٤ - المصدر السابق، ص ٩.

العزوف عن القضاء

من الملاحظ أنه بالرغم من الأهمية البالغة، والمكانة السامية، للقاضي في المجتمع الإسلامي، إلا أن بعض الفقهاء يرفض بشدة تولي القضاء، ورفض هذا المنصب مدعاة للتساؤل. لكن إذا وضعنا في الاعتبار احتياط ذلك الفقيه لنفسه من الوقوع في المحذور، وخشيته من القضاء لشدة عقوبة من اتبع هواه فيه، فسوف نعذره، فقد وردت أحاديث عديدة كلها تحذر من القضاء، من ذلك ماروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من جعل قاضياً بين الناس فقد ذُبح بغير سكين[١]".

لكن العزوف عن القضاء لمجرد التحذير أمر فيه نظر، إذ أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أسوة حسنة، كما أن القاضي الذي يقضي بالحق ويجهد نفسه في مرضاة الله تعالى لاشك أن له من الله تعالى أجر عظيم، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يغلق الباب أمام تولي القضاء، فهو كما أنه حذر منه، تجده في أحاديث أخرى يرغب فيه فقد قال:"إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد وأخطأ فله أجر"[٢].

---

١ – سنن ابن ماجه،٧٧٤/٢. رقم الحديث ٢٣٠٨.

٢ – المصدر السابق. رقم الحديث ٢٣١٤.

ويرى الخشني أن قبول بعض الفقهاء للقضاء ناتج عن رغبة منهم في شرف الدنيا والاتكال على عفو الله تعالى ورحمته، وأما من نفر منه فذلك لخشيته من موقف يوم القيامة، وحذراً من وقوع حيف على يديه يستجلب به غضب الله تعالى[١]".

وفي الأندلس وجد الكثير من الفقهاء الذين رفضوا منصب القضاء، شأنهم في ذلك شأن من رفضه من المشارقة، وقد علل أحد المهتمين بدراسة القضاء في الأندلس هذا الرفض "بالخوف من عدم القدرة على إقامة العدل على الأقوياء، وتحرجاً من خدمة أمراء لايرضون عن تصرفاتهم، وخوف الفقهاء من الدسائس التي تحدث بين بعضهم ورجال السلطة وأصحاب النفوذ في الدولة، وخوفهم أيضاً من التنكيل بهم بيد أصحاب السلطة إذا عارضوا ووقفوا أمام ظلمهم[٢]".

وإذا طبقنا هذا الرأي على الواقع في الأندلس، نجد أنه بحاجة لإعادة نظر، فهو لاينطبق إلا على عهد الخليفة هشام المؤيد، وهذا أيضاً في حالات معدودة بالإضافة إلى مدة الفتنة وهي مدة لايمكن اعتبارها صورة لحالة الدولة بأي حال من الأحوال، أما منذ قيام الدولة سنة ١٣٨هـ وحتى وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ (٩٧٧م) فإن أغلب

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٢.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٣٠٨.

الصور عن القضاء ومن تولاه هي صور طيبة تبرز بجلاء موقف أمراء وخلفاء بني أمية من العدل.

هذا ولدينا شخصيات أندلسية كثيرة رفضت منصب القضاء، ولعل الفقيه يحيى بن يحيى الليثي هو خير مثال على ذلك، إذ يمكن اعتباره أبرز شخصية دينية أندلسية على الأقل في عصره.

وعندما نحاول الوصول إلى معرفة الأسباب الحقيقية التي حالت دون تولي الفقيه الليثي للقضاء، نضع في الاعتبار مسألة تأثير الإمام مالك بن أنس على أتباع مذهبه بصفة عامة وتلاميذه بصفة خاصة.

فالمذهب المالكي يمتاز عن بقية المذاهب بالتأثير السلوكي الذي يظهر جلياً على اتباعه، فهو غير مقتصر على كونه مذهباً فقهياً فحسب، بل هو مذهب سلوكي[1] وإذا حاولنا التعرف على الأسباب التي أدت إلى أخذ الأندلسيين بالمذهب المالكي، نجد أن من بينها "العامل التربوي" والذي أقصده هو القول بأن تأثيراً تربوياً تمت ممارسته بطريق غير مباشر من قبل الإمام مالك على تلاميذه الأندلسيين، فقد وجد هؤلاء التلاميذ إماماً مهيباً[2]، على درجة كبيرة من العلم والوقار وحسن الهيئة، لذا فليس

---

١ – د.حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٦م) ص ١٦.

٢ – عن هيبة الأندلسيين للإمام مالك يقول سعيد بن أبي هند: "ماهبت أحداً هيبتي لعبد الرحمن بن معاوية حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة حتى صغرت عندي هيبة عبدالرحمن لهيبته" انظر: ابن الفرضي، ترجمة رقم ٤٦٩.

من المستغرب أن يقتدوا به، ويتخلقوا بأخلاقه وحرصوا كل الحرص على أن يسلكوا السبيل الذي اختطه لنفسه[١].

ومن أجل محاولة الوصول إلى الأسباب التي حالت دون تولي الفقيه يحيى الليثي للقضاء يجب أن نتذكر أن رفض الإمام مالك للقضاء جعل العباسيين يرمقونه بنظرة اجلال واحترام، وهي صورة يسعى الكثير من الطلاب لنيلها، ولذا فلا عجب أن يرفض الفقيه يحيى الليثي منصب القضاء، وهو مدرك لمعنى هذا الرفض، إذ أنه نصب نفسه مشرفاً عاماً على القضاء، وذلك عندما قال لرسول الأمير عبدالرحمن بن الحكم عندما ألح عليه في القضاء: "المكان الذي أنا به لما تريدون خير لكم، إنه إذا تظلم الناس من قاض أجلستموني فنظرت عليه، وإن كنت القاضي فتظلم الناس مني، من تجلسون للنظر علي؟ من هو أعلم مني أو من هو دوني في العلم[٢]" وإذا علمنا أن أكبر عدد من القضاة في قرطبة وجد في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم ٢٠٦-٢٣٨هـ (٨٢٢-٨٥٢م) وأن ذلك كان بسبب الفقيه يحيى الليثي، إذ كان مستشاراً للأمير في تعيين القضاة وعزلهم، ولايولي الأمير أحداً إلا بمشورته[٣]، كما أن هو الذي يولي مكان القاضي المعزول[٤]، بل لقد بلغ من سلطانه في مجال تعيين القضاة وعزلهم

---

١ - سالم الخلف، المرجع السابق، ص ٢٨٥.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٥.

٣ - ابن القوطية، ص ٥٨.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٤٠-٤١.

أنه إذا أنكر من القاضي شيئاً قال له "استعف وإلا رفعت بعزلـــك[١]" إذا عرفنا هذا أدركنا لماذا امتنع الفقيه يحيى عن القضاء.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنه ماينطبق على الفقيه يحيى الليثي لايمكن تعميمه على كل من رفض القضاء في الأندلس، إذ أن المصادر لم تتطرق لذكر الأسباب الحقيقية وراء الرفض كما أن هناك من رفض القضاء وقبل بتولي خطة أخرى مثل خطة الشورى وخطة الصلاة والخطبة والتعليم في المسجد[٢].

وبمقابل الامتناع عن تولي القضاء، هناك من عمل بالقضاء ثم طلب الإعفاء منه، ولدينا أمثلة عدة، فمن هؤلاء: محمد بن إبراهيم بن مـــزين الأودي، من أهل أكشونبه غربي الأندلس، ولاه الأمير عبدالرحمن الداخل قضاء الجماعة بقرطبة، وذلك في شهر المحرم سنة ١٧٠هـــ (يوليو ٧٨٦م) فاستمر في منصبه عدة أشهر ثم طلب الاستعفاء فأعفي ورحـــل للحـــج وقابل الإمام مالكا ثم عاد إلى الأندلس ومات سنة ١٨٣هـــ (٧٩٩م)[٣].

العزل عن القضاء

من الملاحظ أن بالرغم من المكانة السامية لخطة القضاء إلا أنه كان عرضه للعزل، ورغم أن ذلك كان أمراً مألوفاً في المجتمع الأندلسي حـــتى

١ - البيان المغرب، ٢/٨٠.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٣٠٩. ربما أنهم وجدوا أن هذه الخطط أخف وطأة من مسئولية القضاء.

٣ - نفح الطيب، ٢/٥١٤ .

نهاية القرن الخامس الهجري[1] (الحادي عشر الميلادي)، إلا أن الأمر غير مرتبط برضى أو سخط حاكم الدولة الأموية، والمصادر الأندلسية تعج بالأمثلة المؤيدة لذلك، فكم من موقف خالف فيه القاضي رغبة الأمير أو الخليفة الأموي و لم يعزله عن منصبه[2].

ومادام الأمر على هذه الصورة، فلابد أن تكون هناك أسباب للعزل، إذ أن العزل بدون سبب مقنع هو نوع من التعسف في استعمال السلطة، وإخلال بالعدالة، فالقاضي متى ماشعر أنه عرضة لهوى الحاكم أصبح غير مطمئن، وبالتالي تأتي أحكامه بعيدة عن العدالة المنشودة[3].

وهناك هيئة من الفقهاء تتولى متابعة القاضي ومؤاخذته إذا دعت الضرورة لذلك، وفي الوقت نفسه تركت للقاضي حق الدفاع عن نفسه، والأمثلة على ذلك متوفرة، فقد ورد لدى الخشني أن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي ذكر أن حمدون بن فطيس تظلم من قاضي الجماعة محمد بن بشير في شيء حكم به عليه، ورفع الشكوى للأمير الحكم الربضي، الذي أصدر أوامره بتكوين مجلس من الفقهاء للنظر في حكم القاضي الذي سبب هذا التظلم[4].

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٣١٢.

٢ - انظر: قضاة قرطبة، ص ٢٥-٢٦، ٢٩. النباهي، ص ٦٩-٧٢.

٣ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٣١٢.

٤ - قضاة قرطبة، ص ٣٦.

وعندما تورط قاضي الجماعة عمرو بن عبدالله بالثلث الذي أوصى ابن القصيبي بتفرقته، وذلك بسبب تواطئ ولد القاضي مع أولاد العدل الذي عنده المال، فأراد الأمير محمد بن عبدالرحمن التثبت من براءة القاضي، فبعث إليه أحد فتيانه، وحلفه في بيته سراً وذلك بمشورة الفقيه بقي بن مخلد[١].

وإذا حاولنا التعرف على الأسباب التي كانت وراء عزل القضاة في الأندلس، نجد أنها متعددة، منها: انتهاء مدة ولاية القاضي، فهو إذا حددت مدته بسنة واحدة مثلاً، فإنه يعتبر معزولاً بانتهائها، ومثال ذلك ماعرفناه في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، فقد كان يداول بين معاوية بن صالح وعمر ابن شراحيل المعافري على قضاء الجماعة، فكان كل واحد منهما يتولى القضاء سنة واحدة ثم يلي صاحبه، وإذا تجاوز أحدهما السنة فإن الآخر ينبه الأمير على ذلك ليعزله[٢].

كذلك مايمكن اعتباره عداوة بين الفقهاء والقاضي، تكون سبباً في عزله، وهذا ماجرى لقاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني[٣] وبسبب اتباع قاضي الجماعة محمد بن سعيد لهواه، وحكمه برضى الناس، اضطر الفقيه يحيى الليثي إلى طلب الاستعفاء، بعد أن قال له "... فأما إذا صرت

١ - المصدر السابق، ص ٨٣-٨٥.ابن القوطية، ص٧٢.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٢٢.

٣ - المصدر السابق، ص ٤٦-٤٨.

تتبع الهوى وتقضي برضى مخلوق ضعيف فلا خير فيما تجيء به ولا في إن رضيته منك[١]".

ومن دواعي عزل القاضي اشتراكه مع الحاكم بالنسب، وقد ظهرت هذه الصورة جلية في حادثة عزل قاضي الجماعة إبراهيم بن عباس القرشي، فقد حدثت شحناء بين هذا القاضي وبين الحاجب موسى بن حدير في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، فأضمر الحاجب في نفسه الانتقام من القاضي، فدس عليه امرأة خاطبت القاضي بمجلس قضائه قائله له "ياابن الخلائف[٢]" فلم ينكر عليها القاضي ذلك فرفعت الكلمة للأمير، وصور الأمر له بأن هناك مؤامرة ضده يدبرها القاضي مع الفقيه يحيى الليثي، إلا أن الفقيه عبدالملك بن حبيب أقنع الأمير بأن ذلك غير صحيح، ثم أشار عليه بعزل القاضي حيث قال له "... وأما القاضي فلا ينبغي للأمير أن يشركه في عدله من يشركه في نسبه[٣]" فكان ذلك سبباً لعزل القاضي سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م).

وكذلك قد تكون الأخلاق الصعبة سبباً في العزل عن القضاء، فالقاضي يخامر بن عثمان الشعباني كان يعامل الناس "بخلق صعب، ومذهب وعر، وصلابة جاوزت المقدار[٤]" فلم يحتمل الناس من ذلك،

---

١ - المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص ٦٣.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٥٣. المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص٦١.

٣ - قضاة قرطبة،: ٥٢-٥٣.

٤ - المصدر السابق، ص ٥٤.

وتسلطت عليه الألسن، ورفع أمره للأمير عبدالرحمن، فكلف الوزراء بتولي السؤال عن القاضي وكشف أمره، وبعد أن ظهرت الحقيقة أمر الأمير بعزله[١].

ولقد كانت كثرة القضايا التي ينظرها القاضي في فترة وجيزة مدعاة لعزله، وهذا ما حدث للقاضي معاذ بن عثمان الشعباني، فقد مكث في منصبه مدة سبعة عشر شهراً، أحصى عليه خلالها تنفيذ سبعين قضية، فاستكثرت منه[٢] وخيف عليه الزلل، فرفع الفقهاء أمره للأمير عبدالرحمن الأوسط فأمر بعزله[٣].

وللخشني موقف من مسألة القاضي معاذ بن عثمان، فهو يرى أن القول بأن كثرة القضايا التي نظر بها، والأحكام التي أصدرها في فترة حكمه أنها هي السبب بعزله أمر غير مقبول، ويرى "أنها حكاية مدخولة لأنه لا تذكر تنفيذ الأقضية وكثرتها مع حضور الحق وانكشاف الصدق[٤]" فإذا صح رأيه فإنها لاتعدو أن تكون من تحامل بعض الفقهاء من مشاورين وعدول وأهل فتيا، إذ أن من مصلحتهم التريث في الأحكام لأنه كلما طالت الخصومات كان ذلك أنفع لهم مادياً[٥].

---

١ - نفسه، ص ٥٤-٥٥. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٦٣-٦٧.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٥٥.

٣ - النباهي، ص ٥٥.

٤ - قضاة قرطبة، ص ٥٦.

٥ - المصدر السابق، ص ٥٦.

وإذا جيء القاضي بمن عرَّض بسب الله تعالى و لم يأمر بقتله، كان مدعاة لعزله، وهذا ماحصل لقاضي الجماعة الحبيب محمد بن زياد، فقد جيء إليه بابن أخي عجب[١]، وقد شُهِدَ عليه بأنه عَرَّض بسب الله تعالى، وذلك أنه خرج يوماً فأخذه المطر، فقال: "بدأ الخرَّاز يرش جلوده[٢]" تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فأفتى القاضي حينئذ بتأديبه فقط، وبه أفتى بعض الفقهاء، في حين أفتى عبدالملك بن حبيب وأصبغ بن خليل بوجوب قتله، وعندما رفعت الآراء للأمير عبدالرحمن الأوسط، أمر بعزل القاضي وتأنيبه ومن تابعه من الفقهاء وعزلهم عن مناصبهم كما أمر بقتل ابن أخي عجب[٣].

وإذا أحدث أحد أولاد القاضي حدثاً يمس أمن الدولة، فإن ذلك يكون سبباً في عزله، فقاضي الجماعة أحمد بن زياد أحدث أحد أولاده بشذونه حدثاً أقلق الأمير محمد بن عبدالرحمن فأمر بعزل القاضي عن منصبه[٤]، وبوشاية الحاقدين أصدر الأمير محمد بن عبدالرحمن أوامره بعزل قاضي الجماعة سليمان بن أسود سنة ٢٦٠هـ (٨٧٤م) وهي نهاية ولايته الأولى[٥].

---

١ - عجب هي محظية الأمير الحكم الربضي.

٢ - المعيار المعرب، ٣٦٢/٢.

٣ - قضاة قرطبة، ص ٥٩-٦٠.

٤ - المصدر السابق، ص٦٦-٦٧.

٥ - نفسه، ص ٨١-٨٢.

ويحدث أن يكون فساد الولد مدعاة لعزل أبيه، وهذا ماينطبق على قاضي الجماعة عمرو بن عبدالله ففي ولايته الثانية سنة ٢٦٢هـ (٨٧٦م) تغيرت حالته، وأصبحت الهدايا تدخل بيته وذلك بسبب ولده المكنى بأبي عمرو، والذي نسب إليه التدليس في الديوان في مال قد أوصى به تاجر يدعى ابن القصيبي، فكثر الحديث وتناولته الألسن، وهجاه بعض الشعراء، فلما وصلت هذه الأخبار إلى الأمير قال: قد أكثر الناس في عمرو وفي ولده، فعزله حينئذ وذلك سنة ٢٦٣هـ (٨٧٧م)[١].

والقاضي يعتبر معزولاً إذا خرج للغزو ثم عاد ولم يُصدر الأمير أو الخليفة ظهيراً يجدد به ولايته، إذ أنه لايستطيع العودة إلى مجلس قضائه حتى يُعهد إليه بذلك، فقد "كان الرسم حينئذ إذا غزا القاضي ثم قدم لم ينظر حتى يعهد إليه بالنظر"[٢].

وبسبب الهرم وكبر السن أصدر الأمير المنذر بن محمد أوامره سنة ٢٧٣هـ (٨٨٦م) بعزل قاضي الجماعة سليمان بن أسود[٣].

وعزل قاضي الجماعة النضر بن سلمة لأنه رفض أن يحكم بصرف المال الموقف بالجامع إلى بيت المال إلا باجتماع آراء الفقهاء، فرفع موقفه

---

١ - نفسه، ص ٨٢-٨٣.

٢ - نفسه، ص ٨٣.

٣ - نفسه، ص ٨٨-٨٩.

ذلك إلى الأمير عبدالله بن محمد بعد أن حُرّف معناه، وصُرف القول إلى أسوأ الوجوه فعزله الأمير حينئذ[١].

كذلك يتم عزل القاضي مباشرة عن منصبه إذا علم فساد حاله، فبعد أن عزل الأمير عبدالله ابن محمد قاضي الجماعة النضر بن سلمة الكلابي عين بدلاً منه موسى بن محمد بن زياد الجذامي، إلا أنه لم يمكث في منصبه سوى أسبوعاً واحداً فقط، ثم عزله الأمير بعد أن وصلت إليه أخبار تفيد بأن ظاهره غير باطنه، كما لم يثن عليه زملاؤه من الفقهاء[٢].

ويعزل قاضي الجماعة عن منصبه في حالة استبداله بمن هو أفضل منه، فعندما تولى الأمير عبدالرحمن بن محمد الإمارة أقر قاضيه الحبيب أحمد بن زياد على منصبه فترة وجيزة ثم عزله وجعل مكانه أسلم بن عبدالعزيز بعد عودته من رحلته إلى المشرق وما سمعه عنه من اتصافه بالمذهب الحسن والمروءة الكاملة وذلك سنة ٣٠٠هـ (٩١٣م)[٣].

وقد يعزل القاضي عن منصبه نتيجة موقف سياسي، وهذا لم يحدث طيلة عصر الدولة الأموية إلا عندما تسلط العامريون على الخلافة الأموية، فقد أمر الحاجب المنصور بن أبي عامر بعزل القاضي أصبغ بن الفرج

١ - نفسه، ص ٩٣.

٢ - نفسه ص ٩٤. المغرب في حلى المغرب، ١/١٥٤.

٣ - قضاة قرطبة، ص ١٠٥-١٠٦.

الطائي قاضي بطليوس، المتوفي سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧م) عن منصبه لأنه عارضه في القول بالتجميع في مسجد الزاهرة[١].

وبسبب وشاية الوزير عيسى بن سعيد أصدر الحاجب عبدالملك المظفر أوامره بعزل قاضي الجماعة ابن ذكوان عن منصبه وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ٣٩٤هـ (٢١ سبتمبر ١٠٠٤م)[٢].

وفي الولاية الثانية لابن ذكوان صدرت أوامر الخليفة هشام المؤيد بطرد بني ذكوان من الأندلس قاطبة وذلك سنة ٤٠١هـ (١٠١١م) كل هذا بسبب تآمر الحاجب واضح الصقلبي ضد القاضي الذي سبق وأن أشار على الخليفة بضرورة مسالمة البربر وعدم الاستماع لآراء حاجبه واضح[٣].

وبسبب الموقف الذي اتخذه قاضي الجماعة ابن وافد من البربر وخليفتهم سليمان المستعين، فإنه تعرض بمجرد دخول المستعين لقرطبة في يوم الاثنين لثلاث بقين من شوال سنة ٤٠٣هـ (مايو ١٠١٣م) للعزل والتنكيل والإهانة وكاد أن يصلب لولا شفاعات الكثير من الفقهاء والصالحين، حتى أن والد الخليفة المستعين قد شفع به، فاكتفى المستعين

---

١ - ترتيب المدارك، ٧/١٥٩-١٦١.

٢ - المصدر السابق، ٧/١٦٩-١٧٠. الصلة، ترجمة رقم ٦٥.

٣ - ترتيب المدارك، ٧/١٧٣-١٧٤. النباهي، ص٨٦-٨٧.

بسجنه في المطبق وظل كذلك إلى أن مات في منتصف ذي الحجة سنة ٤٠٤هـ (يونيو ١٠١٤م)[١].

ونختتم أسباب العزل بقاضي الجماعة عبدالرحمن بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشر بن غرسيه المشهور بابن الحصّار، تولى القضاء سنة ٤٠٧هـ (١٠١٦م) في عهد علي بن حمود، وتمادى في منصبه إلى أن عزله الخليفة هشام المعتد بالله سنة ٤١٩هـ بسبب وشايات بعض الفقهاء وسعيهم ضده[٢].

والقاضي إذا عُزل عن منصبه فإن كتاباً يصدر بذلك وتصله نسخة منه[٣] وعلى القاضي المعزول أن يقوم بتسليم مالديه من سجلات وهو ماكان يعرف بالديوان، ويتولى مهمة الاستلام أربعة من عدول قرطبة يختارهم صاحب المدينة ويكلفهم باستلام الديوان من القاضي المعزول ووضعه في بيت الوزراء إلى حين يتم اختيار قاضٍ آخر ليستكمل فيه القضايا[٤].

لكن هذا الرسم كان يُخرق أحياناً، من ذلك أن قاضي الجماعة أحمد بن زياد عندما عزل عن منصبه وتم تعيين كاتبه عمرو بن عبدالله بدلاً منه، أصر الأخير على ألا يستلم الديوان إلا من يد القاضي ابن زياد

---

١ - النباهي، ص ٨٨-٨٩. البيان المغرب، ١١٣/٣. ترتيب المدارك، ١٧٨/٧-١٨١.

٢ - الصلة، ترجمة رقم ٦٩٨.

٣ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٦٨٦.

٤ - قضاة قرطبة، ص ٨٢.

شخصياً، فلم يكن أمام ابن زياد إلا أن حمل الديوان بنفسه وذهب به إلى المسجد الجامع حيث سلمه لعمرو بن عبدالله وقال له: "ياعمرو قد فتحت على القضاء باباً لايخطئك شره"[١].

بقي أن نشير أخيراً إلى المذهب الذي سار عليه القضاة في إصدار أحكامهم فالمذهب المالكي هو المذهب الرسمي للدولة، وعلى وفقه تصدر أحكام القضاة[٢]، ولايسمح للقاضي أن يتجاوز المذهب المالكي إلى ماعداه، حتى ولو كان القاضي غير مالكي، فقد كان قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي ظاهري المذهب، لكنه كان إذا جلس للقضاء سار على مذهب الإمام مالك وأصحابه رحمهم الله تعالى[٣].

وأخيراً أود أن أختم الحديث عن القضاء بذكر مايمكن تسميته بأوليات في القضاء بالأندلس، فأول قاض من الموالي تم تعيينه في منصب "قاضي الجماعة" هو عمرو بن عبدالله بن ليث القبعة، ويذكر الخشني أن العرب قد شق عليهم ذلك، وأخذوا يتحدثون في مجالسهم بما ينبئ عن عدم رضاهم، فلما بلغ الأمير محمد بن عبدالرحمن ذلك، قال: "وجدت فيه مالم أجد فيهم[٤]".

---

١ - المصدر السابق، ص٦٨.

٢ - عن المذهب المالكي ودخوله الأندلس وموقف الدولة الأموية منه، انظر: سالم الخلف، المرجع السابق، ص٢٧٦-٣٠٨.

٣ - النباهي، ص ٧٤-٧٥.

٤ - قضاة قرطبة، ص ٦٧.

وفي عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر عين مولداً يدعى عبدالله بن الحسن المعروف بابن السندي قاضياً على وشقة وما جاورها، وقد أفاد ابن السندي من ولايته أموالاً عظيمة ونعماً جسيمة، كما أنه كان شديد التعصب للمولدين، عظيم الكراهية للعرب، منتقصاً لهم، حافظاً لمثالبهم، ولأجل ذلك فقد استوزره عبدالملك بن محمد الطويل ومن بعده أخوه فرتون طيلة حياته، حتى أنهما كان لايصدران إلا عن رأيه[1].

وذكر ابن عبدالبر أن قاضي الجماعة موسى بن محمد بن زياد الجذامي الذي ولي القضاء بعد النضر بن سلمة الكلابي في عهد الأمير عبدالله بن محمد، هو أول من أفسد في خطة القضاء، إذ أن ظاهره كان خلاف باطنه، وكان صديقه أسلم بن عبدالعزيز يصفه بأشياء قبيحة[2] كما أن محمد بن عمر بن لبابه لايحسن الثناء عليه، ولذا فقد عُزل الجذامي عن منصبه بعد أسبوع من ولايته[3].

وركوب القاضي إلى السلاطين والدخول معهم في أمورهم يعتبر إهانة لخطة القضاء، وبسبب هذا الصنيع اعتبر ابن عبدالبر أن أبا القاسم أحمد بن محمد بن زياد اللخمي، الذي تولى قضاء الجماعة في عهد الأمير

---

١ – أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣٠٢. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٦٨٧.

٢ – المغرب في حلى المغرب، ١/١٥٤.

٣ – قضاة قرطبة، ص ٩٤.

عبدالله بن محمد وبعض السني الأولى من عهد الأمير عبدالرحمن بن محمد، أنه قد أهان خطة القضاء بكثرة دخوله على السلاطين وتبذله في ذلك[١].

ويعتبر أبو العباس أحمد بن عبدالله بن ذكوان قاضي الجماعة أول من تولى الوزارة والقضاء معاً، وذلك في عهد الحاجب عبدالرحمن بن المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م) وكان يكتب عنه "من الوزير قاضي القضاة" وهو أول من كتب عنه بذلك من قضاة الأندلس[٢].

---

١ – المغرب في حلى المغرب،: ١٥٥/١.

٢ – ترتيب المدارك، ١٧٠/٧-١٧١. المغرب في حلى المغرب، ٢٥١/١. النباهي، ص٨٨.

خطة الصلاة والخطبة

عندما عدد ابن خلدون الخطط الدينية، جعل خطة الصلاة في أولها، ثم قال: "فهي أرفع هذه الخطط كلها، وأرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة"[١].

وللدلالة على أهميتها نجد أن إمامتها كانت من الأدلة الأكيدة على استخلاف النبي الكريم ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه[٢].

لأجل هذا، كان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم لايقلدونها غيرهم، وسار الأمويون في الشام على نهجهم استئثاراً بها واستعظاماً لرتبتها، إلا أن الأمر لم يستمر على هذا المنوال، إذ أن الملك قد عظمت مظاهره، وبالذات لدى العباسيين الذين غلظ لديهم الحجاب، لذا نراهم يقيمون نواباً عنهم للإمامة في الصلاة، إلا أنهم تحملوا مهام الإمامة في بعض الأحيان، مثل صلاة العيدين والجمعة للإشادة بهم والتنويه بذكرهم[٣].

وامتداداً لاهتمام الخلفاء الأمويين في الشام بالإمامة في الصلاة، نجد أن حفيدهم الأمير عبدالرحمن الداخل كان واعياً لمعنى الإمامة في الصلاة، ولذا نراه منذ بداية الأمر يؤكد على أحقيته في هذا الجانب، فقبل أن يعبر

---

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٦٢٥.

٢ - المصدر السابق، ص ٦٢٥.

٣ - نفسه، ص ٦٢٦.

مع وفد الموالي الأندلسيين الذي أتى لاصطحابه من الشاطئ المغربي إلى الشاطئ الأندلسي، نجده عندما حان وقت صلاة العصر، يتقدم ويصلي بهم[١].

ثم إن الأمير عبدالرحمن الداخل ما أن استولى على قرطبة في يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ (١٦ مايو ٧٥٦م) حتى خرج إلى الجامع وصلى بالناس صلاة الجمعة[٢].

ولكن نظراً لاشتغاله بتثبيت قواعد ملك أسرته، فقد كان كثير الغياب عن قرطبة، ولذا فقد كان لزاماً عليه إقامة إمام يتولى الصلاة بالناس في المسجد الجامع بقرطبة، وممن كان يتولى هذه المهمة صعصعة بن سلام، المتوفى سنة ١٩٢هـ (٨٠٨م) وذلك معظم أيام الأمير عبدالرحمن الداخل وصدراً من أيام ابنه الأمير هشام الرضا[٣].

ولقد كان الأمير هشام الرضا بن عبدالرحمن الداخل يتولى مسئولية إمامة الناس بالصلاة والخطبة بهم أثناء مقامه بقرطبة، فإذا غاب عن عاصمته، تولى المهمة نيابة عنه قاضي الجماعة المصعب بن عمران الهمداني[٤].

---

١ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١١٢.

٢ - ابن القوطية، ٢٨-٢٩. أخبار مجموعة، ص ٩٠. البيان المغرب، ٢/٤٧.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٦١٠.

٤ - قضاة قرطبة، ص٢٥.

ويبدو أن من أتى بعد الأمير هشام الرضا من الأمراء والخلفاء قد تنازلوا عن الإمامة في الصلاة فضلاً عن الخطبة إذ لانسمع لهم ذكراً في المصادر فيما يتعلق بهذه المسألة .

والمساجد تأتي على صنفين، فالمساجد الكبيرة المعدة للصلوات العامة، والتي يغشاها خلق كثير، يكون أمرها راجع إلى الأمير أو الخليفة، أو من يفوض إليه الأمر من سلطان أو زير أو قاضٍ، فعن طريق أحد هؤلاء يتم تعيين إمام لها لأداء الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والاستقساء، وأما المساجد المختصة بقوم أو محلة فأمرها راجع إلى الجيران يقدمون من يتفقون عليه، دونما حاجة من نظر أمير أو خليفة أو من يفوضه[١].

هذا، وقد جُعل أمر الصلاة في المسجد الجامع بقرطبة أو الزهراء لقاضي الجماعة، فقد كان معاوية بن صالح يلي القضاء والصلاة في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، وكذلك كان المصعب بن عمران يلي القضاء والصلاة في عهد الأمير هشام الرضا وبعد أن تولى الإمارة ابنه الحكم الربضي أقره عليها[٢]، وبعد وفاته تولاهما محمد بن بشير المعافري[٣].

١ - مقدمة ابن خلدون، ص ٦٢٦.

٢ - قضاة قرطبة، ص٢٥.

٣ - المصدر السابق، ص ٢٩.

وعندما نستعرض تراجم قضاة الجماعة نجد أن معظمهم قد تـولى بالإضافة إلى القضاء مهام الصلاة والخطبة[1].

ويحدث في بعض الأحيان أن تسند مهمة القيام بشـئون الصـلاة والخطبة لأحد الفقهاء، دون أن يكون للقاضي علاقة بالأمر، فقد كـان أحمد بن بقي بن مخلد يتولى الصلاة، ثم ولاه الأمير عبدالرحمن بن محمـد قضاء الجماعة سنة ٣١٤هـ (٩٢٦) [2] وفي الوقت الذي كان فيه محمد بن عبدالله بن أبي عيسى يتولى قضاء الجماعة سنة ٣٢٦هـ (٩٣٨) كان الفقيه محمد بن أيمن هو صاحب الصلاة، فلما ضعف ابن أيمن اسـتعفى، فأعفاه الخليفة عبدالرحمن الناصر وأسـند الخطبـة والصـلاة لابـن أبي عيسى[3].

ورسوم الدولة الأموية في الأندلس، كانت تقتضي ألا يقدم للإمامة في الصلاة إلا العرب[4] ونظراً لتأصل العصبية في المجتمع الأندلسي، فقـد كان السبب في اندلاع الفتنة بين المولدين والعرب في استجه زمن الأمير عبدالرحمن الأوسط يعود إلى رفض المولدين الصلاة خلف إمـام عـربي،

---

١ - النباهي، ص ٥٤، ٦٠، ٦٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨.

٢ - قضاة قرطبة، ص١١١-١١٦. النباهي، ص٦٤.

٣ - قضاة قرطبة، ص١١٨-١٢٠. النباهي، ص٦٠.

٤ - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، (تحقيق محمد أبـو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف المصرية، ط الثانية ١٩٨٤م) ص٢٥٤ .

ولقد أطفئت تلك الفتنة بعد أن تراضى الطرفان على أن يتـــولى الفقيـــه عبدالرحمن بن موسى الهواري إمامة الصلاة[١].

وعندما أسند الأمير محمد بن عبدالرحمن القضاء والصلاة لعمرو بن عبدالله بن ليث القبعة، عارض العرب توليه الصلاة لأنـــه مـــن المـــوالي، وقالوا: "أما القضاء فإنا لانعترض عليه لأنه من سلطانه -أي من سلطان الأمير- وأما الصلاة فإنا لانصلي وراءه، فولى الأمير -رحمة الله عليـــه- الصلاة النميري عبدالله بن الفرج[٢]".

والملاحظ على هاتين الحادثتين، أنهما بقدر ماتدلان علـــى تغلغـــل العصبية في الوسط الأندلسي، بقدر ماتؤكدان على أن الإمامة في الصلاة هي زعامة ذات مستوى غير عادي، فهي تعبير حقيقي عـــن القيـــادة في أسمى الأعمال والأماكن.

وهناك قصة تكفي للدلالة على إحساس أفراد المجتمع الأندلسي عامة والفقهاء بصفة خاصة، بما للإمامة في الصلاة من مكانة يشـــعر متوليهـــا بالسؤدد والرفعة، ولذا ترى الحرص من بعض الفقهاء على توليها بأيـــة وسيلة.

والقصة التي نحن بصددها رواها محمد بن أيمن، فقد ذكر أن قاضي الجماعة وصاحب الصلاة سليمان بن أسود كان يدرك مـــدى حـــرص

---

١ – المصدر السابق، ص ٢٥٤.

٢ – قضاة قرطبة، ص ٦٧.

الفقيه إبراهيم بن قلزم على تولي الصلاة، فأراد أن يتلاعب به، ويكشف مافي نفسه للآخرين، وقد حانت الفرصة للقاضي لتنفيذ مراده عندما أراد الحضور إلى بيته إبراهيم بن قلزم وذلك في أحد أيام الجمعة وقت الضحى، فلما علم القاضي بمقدمه أمر غلامه أن يخرج إلى ابن قلزم وهو يبكي ويخبره أن القاضي يحتضر، واضطجع القاضي وسجى على نفسه، وأخذ يتنفس بطريقة توحي لمن عنده بأنه في سياق الموت، فدخل عليه ابن قلزم، فلما رآه استرجع واستعبر، ثم خرج مسرعاً إلى الوزير هاشم بن عبدالعزيز لأنه تربطه به علاقة خاصة، فذكر له أن القاضي يحشرج، وأنه لايحين وقت صلاة الجمعة إلا وقد مات، ونظراً لكون ابن قلزم مترشحاً للصلاة، فقد طلب من الوزير أن يرسل كتاباً بسرعة للأمير محمد بن عبدالرحمن يخبره فيها عن حالة القاضي، فلما وصل كتاب الوزير للأمير لم يستعجل في إصدار أوامره، بل إنه فكر في الأمر فعلم أن ابن قلزم شديد التطلع للإمامة بالإضافة إلى أن عيون الأمير لم تأتيه بأخبار مرض قاضيه، ولذا فقد أدرك أن في الأمر سراً، فأرسل أحد فتيانه، لينظر حالة القاضي، ويأتيه بالخبر اليقين فلما وصل الفتى إلى القاضي وجده جالساً جلوساً صحيحاً، وبعد أن ذكر له الفتى الغرض من مجيئه إليه، قام القاضي وتوضأ ولبس ثيابه وخرج مع الفتى راجلاً إلى الجامع، فلما رجع الفتى إلى الأمير

أخبره بما جرى، فتعجب الأمير من فعل القاضي وضحك على ذلك ضحكاً عظيماً[١].

ولقد كان قاضي الجماعة وصاحب الصلاة سليمان بن أسود شديد الحرص على أن تقام الصلاة في وقتها، ولذا فقد كان يقول لمؤذني جامع قرطبة "إذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها عن وقتها وإن أحسستم أني نزلت عند باب الصومعة فلا تنتظروني وأقيموا الصلاة وصلوا[٢]".

وخطبة الجمعة التي يلقيها صاحب الصلاة هي فرصة للتحدث عن بعض الأمور الهامة وذلك بصورة لالبس فيها ولاغموض حتى وإن كان في الأمر تقريع للأمير أو الخليفة، من ذلك، أن الخليفة عبدالرحمن الناصر اشتغل ببناء مدينة الزهراء، فأخذت جل وقته، حتى أنه لم يشهد الصلاة ثلاث جمع متتالية، وعندما حضر الجمعة الرابعة أراد قاضي الجماعة وصاحب الصلاة منذر بن سعيد البلوطي تذكير الخليفة وموعظته، فاختار كلمات مناسبة لهذا الموقف وأجاد في الموعظة، فرقت قلوب الحاضرين وضجوا بالبكاء، ورغم أن الخليفة كان على علم تام بأنه هو المقصود، فقد كان أكثرهم بكاءً وتأثراً، لكنه حمل في نفسه على القاضي وأقسم ألا يصلي خلفه، فكان يذهب ويصلي في جامع قرطبة خلف صاحب الصلاة فيها أحمد بن مطرف، وعندما زيَّن له ابنه وولي عهده الحكم المستنصر

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٨٧-٨٨. النباهي، ص ٥٨-٥٩.

٢ - قضاة قرطبة، ص ٨١.

عزل منذر بن سعيد عن الصلاة في الزهراء زجره وانتهره وقال له "أمثل منذر بن سعيد في فضله وعلمه وخيره؟ لا أم لك! يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الحق! هذا مما لا يكون، وإني لأستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه، ولكنه أحرجني فأقسمت، ولوددت أني أجد سبيلاً إلى كفارة يميني، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله[1]".

ولم يقتصر الأمر بالنسبة للخليفة عبدالرحمن الناصر أن يُقَرَّع فقط من قبل قاضي الجماعة منذر ابن سعيد، بل لقد كان على موعد لموقف آخر مع صاحب الصلاة بجامع قرطبة الفقيه أحمد بن مطرف الأزدي الشهير بابن المشاط، المتوفى سنة ٣٥٢هـ (٩٦٣م) فقد عُرف هذا الفقيه بأنه كان يطيل خطبة الجمعة نوعاً ما، وهذا ماكان على خلاف رغبة الخليفة عبدالرحمن الناصر، ولذا فقد أرسل في أحد أيام الجمعة وزيره عثمان بن إدريس إلى ابن المشاط لإقناعه بضرورة قصر الخطبة، فوعد الفقيه الوزير أنه سيفعل إن تمكن، لكن الذي حصل خلاف ذلك، إذ أن ابن المشاط ألقى خطبة تعمد فيها الإطالة، وركز فيها على الوعظ حتى بكى وأبكى الناس وتحول المسجد إلى شبه مأتم، فما كان من الخليفة بعد

---

١ - النباهي، ص ٧٠.

الصلاة إلا أن دعا ابن المشاط وأثنى عليه وجزاه خيراً، وأعطاء ألف دينار يتصدق بها عنه[١].

هذه القصص ومثيلاتها هي صورة رائعة عن حاكم مسلم، لايحتاج إلا إلى التذكير بالحسنى بكلام منتقى لايراد به إلا وجه الله تعالى فالخليفة رغم سلطانه وقدرته إلا أنه لم يمس أحداً من أولئك الفقهاء بسوء، بل الملاحظ أنهم كلما قسوا عليه بالموعظة ازداد لهم إكراماً.

وبالمقابل فإن ذلك العصر ضم نخبة من الفقهاء هم زينة الحياة لما يتوسم فيهم من الصلاح والتقى ولعدم خشيتهم في الله لائم، لايريدون من نصائحهم للخليفة إلا وجه الله تعالى وابتغاء رضوانه، ولذا كان التأييد لهم من الله تعالى مضموناً.

والمرء أمام هذه الشخصيات سواء الخليفة أو الفقهاء لايملك إلا أن ينظر إليها بعين الإكبار والتقدير، وباختصار فهي جديرة بالقيادة مؤهلة للنجاح في كل معترك، ومثلها من يبني وينهض بالأمة.

ويحدث أن يستمع الأمير لخطبة فيستحسنها، فيأمر صاحب الصلاة بالتزامها وعدم استبدالها، فالأمير عبدالله بن محمد استمع في بداية دولته لخطبة ألقاها قاضي الجماعة وصاحب الصلاة النضر بن سلمة فأعجب بها، فأمره بتكرارها في كل جمعة، فالتزم بها طيلة ولايته الأولى البالغة نحواً

---

١ - ترتيب المدارك، ١٣٧/٦-١٣٨.

من عشر سنوات حتى حفظت عنه، بل إن كل قاضٍ أتى بعده كان يعيد نفس الخطبة في مبتدأ ولايته[١].

وفي أوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حدث مايمكن أن نطلق عليه رسم جديد في الخطبة، وذلك تمشياً على طريقة قاضي الجماعة وصاحب الصلاة أحمد بن بقي بن مخلد في خطبة الجمعة، فقد استبحر في الدعاء في إحدى خطبة، فلما وصل إلى قوله "واخلصوا لله دعائكم" سكت ملياً إلى أن قدَّر أن الناس دعوا بدعائه، ثم وصل خطبته ودعاءه لهم، وأصبحت هذه الطريقة سنة لمن جاء بعده من الخطباء، وعُمل بها إلى منتصف القرن السادس الهجري وفي هذا يقول القاضي عياض "وامتثل كثير من الخطباء طريقته في هذه السكتة في آخر الخطبة الثانية أثناء الدعاء إلى يومنا هذا في بلاد الأندلس[٢]".

وبمناسبة الحديث عن خطبة الجمعة تجدر الإشارة إلى أنها كانت موضع اختبار من الفقهاء لصاحب الخطبة والصلاة، وبالذات صلاة العيد، من ذلك أن قاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني في ولايته الأولى ٢٠٩-٢١٠هـ (٨٢٤-٨٢٥م) عندما جاء إلى مصلى العيد فوجئ بأن كبار الفقهاء وكبار رجالات الدولة قد جلسوا بالقرب من سترة الإمام، ففطن أن السبب في تجمعهم هو حرصهم على اختبار خطبته، فبادر القاضي ابن

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٩٢.

٢ - ترتيب المدارك، ٢٠٩/٥.

معمر فأمر قوام المصلى بأن يقدموا السترة محتجاً بازدحام الناس، فلما قدمت السترة تثاقل الفقهاء ورجال الدولة عن القيام من أماكنهم في حين سارع سواد الناس فابتدروها وصار من كان بالأول متقدماً قد تأخر[١].

والصلاة على الجنائز من اختصاصات صاحب الصلاة، فعليه تقع مهمة القيام بها، وهو في الوقت نفسه لايأذن لأحد بالتقدم عليه في هذا المجال، بل إن الأمر يصل إلى حد تأديب من يتجاهل أحقيته بها، وهذا مافعله قاضي الجماعة وصاحب الصلاة ابن السليم، فقد حضر مرة جنازة رجل، فلما وضع النعش تقدم ابن الميت فصلى عن غير إذن، وبعد أن انتهت مراسم الدفن وتفرق الناس، أمر ابن السليم بحمل ابن الميت إلى الحبس، فلما سأله عن ذنبه، أجابه "جهلك إذ تقدمت بمحضري و لم تستأذني، ولارعيت حق الخليفة، إذ الصلاة له وأنا خليفته، فليس لأحد أن يتقدم إلا بإذننا، فلم تفعل فلابد من تأديبك لأشرد بك مثلك من خلفك[٢]" إلا أن ابن الميت لم يمكث في الحبس إلا الوقت الذي استغرقه القاضي في الوصول إلى داره، فقد أمر بإطلاق سراح الرجل واعتبر ذلك كافياً لتأديبه[٣].

وإذا انحبس المطر وعم الجدب، خرجت الكتب من الأمير أو الخليفة إلى جميع العمال بالكور بالأمر بالاستسقاء، والكتب تكون على نسخة

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٤٨. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٥٥.

٢ - ترتيب المدارك، ٦/٢٨٣-٢٨٤.

٣ - المصدر السابق، ٦/٢٨٤.

واحدة، وقد حفظ لنا ابن حيان نصاً احتوى على نسخة من كتاب الخليفة عبدالرحمن الناصر الذي بعثه إلى جميع عماله للاستسقاء وذلك في أواخر سنة ٣١٧هـ (٩٣٠م) ذكّرهم فيه بأن الله تعالى بيده مقاليد الأمور، وأنه يحتبس ما شاء عن عباده ليسألوه ويتضرعوا إليه، ويلحوا في المسألة ويصدقوا في التوبة، ثم ذكر الخليفة أن على صاحب الصلاة في كل جامع الدعاء بنزول الغيث في خطبة الجمعة والجمعة التي تليها إن لم ينزل المطر، ثم يخرج بجماعة المسلمين إلى مصلاهم لأداء صلاة الاستسقاء وذلك يوم الاثنين، وشدد على كل عامل من عماله أن يؤكد على الخطيب قبله بتنفيذ هذه الأوامر[1].

والأمير أو الخليفة إذا لم يخرج للمصلى مع الناس لأداء صلاة الاستسقاء، فإنه يصعد إلى مكان مرتفع في قصره، ويجلس فيه منفرداً بنفسه، لابساً أخشن ثيابه مفترشاً التراب، يبكي ويعترف بذنوبه، مناجياً ربه تعالى ألا يعذب الرعية بسببه[2]، وإن خرج معهم فإن لباسه يكون البياض[3]، وعلى رأسه أقرف وشيٍ أغبر، والخشوع ظاهر عليه، ودموعه تسيل على لحيته، فإذا وصل إلى جانب المحراب جلس عن يمين الإمام على

---

١ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٥١-٢٥٢.

٢ - مطمح الأنفس، ص٢٥١.

٣ - عرفنا من قبل أن البياض هو لباس الحزن عند الأندلسيين.

غير فراش، فإذا قضيت الصلاة أمر بتفريق الأموال والصدقات على الفقراء والمساكين تقرباً إلى الله تعالى[١].

وقد حفظت لنا المصادر هيئة قاضي الجماعة وصاحب الصلاة منذر بن سعيد البلوطي عند خروجه لأداء صلاة الاستسقاء، فقد ذكرت أنه عندما أجدبت الأرض من جراء احتباس المطر وذلك في أواخر عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، تأهب القاضي للخروج لأداء صلاة الاستسقاء بناء على أوامر الخليفة، فصام قبل اليوم المحدد ثلاثة أيام تقرباً لله تعالى، وفي مصلى الربض برز الناس في جمع عظيم، فلما غصَّ المصلى بالناس، أقبل القاضي نحوهم ماشياً متضرعاً مخبتاً متخشعاً ثم خطبهم ووعظهم فرقت قلوبهم فبكى الناس وضجوا بالدعاء، فما انقضى النهار حتى أرسل الله تعالى برحمته المطر وأزال القحط[٢].

وللعامة موقف من صاحب الصلاة إذا استسقى بهم و لم يمطروا، وهذا الموقف يأخذ طابع الشدة التدريجي بعد كل صلاة لايسقوا عقبها، فهذا قاضي الجماعة وصاحب الصلاة ابن زرب صلى بالناس عشر مرات متتاليات صلاة الاستسقاء ولكن دون أن يترل المطر، فسلّط العامة عليه ألسنتهم بالذم، وطعنوا بدينه، وعابوا عليه شدة التصاقه الحاجب المنصور بن أبي عامر وركونه إليه وقبوله لهداياه، ولما تكرر بروزه للاستسقاء و لم

---

١ - النباهي، ص ٧٩.

٢ - مطمح الأنفس، ص٢٤٩-٢٥١. النباهي، ص٧٠-٧١. أزهار الرياض، ٢/٢٧٩-٢٨٠.

يترل المطر، هاجت العامة وثارت ضده، وخاطبوه بعد الصلاة بقولهم "بئس الوسيلة أنت إلى الله تعالى والشفيع في إرسال الرحمة، إذ أصبحت إمام الدين، وقيم الشريعة، ثم لاتتورع عن قبول مايُرسل إليك من الهدية التي لاتليق إلا بالجبابرة[١]" ثم هموا أن يبسطوا إليه أيديهم، لكنه هرب من أمامهم ولاذ بالتربة المنسوبة إلى السيدة مرجانة بمقبرة الربض[٢] فتحصن بها، واستغاث بصاحب المدينة، فسارع إلى نجدته بالفرسان ورجال الشرطة، فتم تفريق العوام عنه وأوصلوه إلى داره سالماً، وفي البروز الأخر أرسل معه المنصور بن أبي عامر خيلاً كثيراً أحاطت بالمصلى، فلم يجسر أحد من العوام والسفهاء التعرض له بشيء[٣].

وأما عن مكان الاستسقاء فقد كان مداولة بين مصلى المصاره ومصلى الربض لكن في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط أصبحت الصلاة تؤدي في مصلى الربض بصورة أكثر، وذلك بتأثير نصر الفتى، كبير فتيان الأمير عبدالرحمن الأوسط ومدبر قصره والغالب على أمره، ذلك لأن مصلى الربض قريب من قصر نصر فلما هلك نصر وأمر الأمير عبدالرحمن الأوسط بأداء صلاة الاستسقاء وتم تحديد مصلى الربض لأدائها كما جرت العادة، اعترض الفقيه عبدالملك بن حبيب على أدائها في ذلك المكان، محتجاً بأن نصر الفتى هو الذي أعاق الناس عن مصلى المصارة،

---

١ – النباهي، ص ٧٩.

٢ – أي أنه اختبأ بالمقبرة المنسوبة لأم الخليفة الحكم المستنصر بالله.

٣ – النباهي، ص٧٩.

وذلك على الرغم من حوادث الغرق التي كانت تحصل لبعض الناس بسبب تزاحمهم في القنطرة القائمة على نهر قرطبة والمؤدية إلى مصلى الربض، فضلاً عن ارتكاب الأحداث لبعض الأفعال المشينة بوسط ذلك الازدحام، بينما مصلى المصارة أرفق بالناس وأقرب للبلد، بالإضافة إلى أن الفرصة متاحة لمن أراد أن يجدد طهارته لسهولة استخدام شط النهر وتناثر الأشجار الكثيفة من حوله لتستخدم سترة لصاحب الحاجة، فصوب الأمير رأي الفقيه وأمر بأداء الصلاة في مصلى المصارة[1].

ولكن يبدو أن أداء صلاة الاستسقاء لم يستمر بمصلى المصارة، إذ أن قرطبة اتسعت، وتم إنشاء مدينتي الزهراء والزاهرة، فأصبحت الصلاة تؤدي بمصلى الربض لقربه منهما.

بقى أن نشير إلى أنه كان لقصر الإمارة بقرطبة أو الخلافة بالزهراء إمام خاص، فقد كان الأمير الحكم الربضي يستدعي أبا عمر حفص بن عبدالسلام السلمي، من أهل سرقسطة، ليؤم به في الصلاة طيلة شهر رمضان من كل عام[2] كما كان أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدالله الشهير بابن الحذّاء يصلي بالأمير عبدالله بن محمد مدة أربعة عشر عاماً

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٤٦-٤٧. هنا سؤال يطرح نفسه، لماذا لم يحتج الفقيه ابن حبيب على موقع المصلى إلا بعد وفاة نصر الفتى؟ لعل هذا عائد إلى عظم مكانة نصر= =لدى الأمير عبدالرحمن الأوسط وسيطرته عليه بحيث لايسمع من غيره، وربما أيضاً خشية من سطوة نصر وانتقامه.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٦٥.

وذلك من سنة ٢٨٦-٣٠٠هـ (٨٩٩-٩١٣) ثم صلى بالأمير عبدالرحمن بن محمد من أول إمارته إلى أن توفي ابن الحذّاء يوم الاثنين لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٣٠٥هـ (يونيو ٩١٨م[١])".

وكان نمئ بن علي بن نمئ القاري، المتوفي سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) يصلي بالخليفة عبدالرحمن الناصر[٢]، ثم اتخذ من بعده محمد بن يوسف الجهني، المتوفى يوم السبت للنصف من شهر رمضان سنة ٣٧٢هـ (مارس ٩٨٢م) ليصلي به في قصره بالزهراء[٣] وكان أبو عثمان سعيد بن إدريس بن يحيى السلمي إماماً للخليفة هشام المؤيد بقصره في قرطبة، وظل على ذلك مدة طويلة فلما وقعت الفتنة سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩) خرج من قرطبة وتوجه إلى موطنه إشبيلية فسكنها إلى أن توفي بها سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٨م)[٤].

وهناك من عُرض عليه منصب "صاحب الصلاة" فرفضه وطلب الاستعفاء، فقد ذكر ابن الفرضي أن أبا الحسن عبدالرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد، المتوفى في شهر ربيع الأول سنة ٣٦٦هـ (نوفمبر ٩٧٦م)

---

١ - المصدر السابق، رقم ١٠٧.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١٥٠٤.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٣٧.

٤ - الصلة، ترجمة رقم ٤٩٩.

أُريد على الصلاة عند علة محمد بن يحيى فاستعفى من ذلك، فجمعت الصلاة والقضاء لمحمد بن إسحاق بن السليم[1].

وصاحب الصلاة إن لم يكن حائزاً على رضى أقارب الأمير ورجالات الدولة فما أسهل أن يعملوا على طرده عن منصبه بأي وسيلة كانت حتى وإن دعت الضرورة إلى الكذب عليه والتلفيق ضده، وهذا ماجرى لأبي الجودي بن محمد بن سلمة، فقد كان أبوه يتولى القضاء والصلاة للأمير عبدالله بن محمد، فحدث أن اعتل ابن سلمة في بعض الجمع فصلى بالناس بدلاً منه ابنه أبو الجودي وذلك بأمر الأمير، إلا أن رجالات الدولة لم يرتضوه، لصلابة أبيه فحاولوا تشويه صورة أبي الجودي لدى الأمير وذلك من خلال بطائق رفعوها إليه تشير بكل قبيحة لأبي الجودي، وبما أن سياسة بني أمية تقوم على عدم الأخذ بالوشايات، لذا فقد فشلت تلك البطائق في تحقيق مراد خصوم أبي الجودي، لأجل هذا فقد لجأوا إلى حيلة أخرى، فقد أرسل الحاجب ابن حدير إلى الفقيه محمد بن وليد بن محمد بن عبدالله، المتوفى في النصف من ذي القعدة سنة ٣٠٩هـ (١٨ مارس سنة ٩٢٢م) فلما حضر عنده أخبره بمراده فاستعد الفقيه لتأدية ماطلب منه، وكان الفقيه طويل اللسان كثير الملق يضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، بالإضافة إلى أنه كان

---

١ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٩٨.

٢ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٨٠.

يكره القاضي ابن سلمة وولده أبا الجودي، وكان الأمير معجباً بهذا الفقيه لأنه كان يخدعه بإظهار الزهد[١]، ولذا عندما أعاد الحاجب ابن حدير الحديث مع الأمير حول أبي الجودي ووجد الأمير على رأيه السابق فيه وأنه لن يتغير عن موقفه إلا بدليل لايقبل الشك، عندها أشار عليه الحاجب أن يستدعي الفقيه محمد بن وليد ويسأله عن رأيه بأبي الجودي، ففعل الأمير وسأل الفقيه عن مراده، فأجابه ذلك الفقيه بكل خبث، "إني -أكرم الله الأمير- ليست بيني وبين ولد القاضي خلطة، ولاأعرفه، غير أني رأيت الناس بعد صلاة الجمعة يعيدون الصلاة، فسألت عن ذلك، فقالوا: لما اعتل القاضي تقدم بالناس ابنه، فلم يرضوه فأعاد أكثر الناس الصلاة، فلما سمع الأمير هذا قال: لايعيد الناس إلا من أمر عرفوه منه، لايصلي بعد هذا"[٢].

---

١ - عن الطريقة التي اتبعها الفقيه محمد بن وليد في خداع الأمير عبدالله بن محمد، انظر: المغرب في حلى المغرب، ١/١٥٤-١٥٥.

٢ - المصدر السابق: ١/١٥٥. إن كل من اشترك ضد أبي الجودي يمكن اعتبارهم أصحاب دنيا تهمهم مناصبهم، ولكن الفقيه محمد ابن وليد يمتاز عنهم بانه ممن يخدع الدنيا بالدين والعياذ بالله، فالأمير عبدالله يرى من ذلك الفقيه مايدل على نزاهته وصدقه وزهده ولذا فقد ارتضى مقولته، وصنف هذا الفقيه هو صنف هدام لايرقب في مؤمن إلا ولاذمة، وكيف نستغرب منه افتراؤه على أبي الجودي وهو قد تجرأ بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.

هذا، وقد وجد في كور الأندلس وثغورها كما في قرطبة والزهراء صاحب الصلاة، ففي إلبيرة أحمد بن عبدالله الأنصاري، يلي الصلاة في أهلها طيلة السنوات الأخيرة من عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، وظل في منصبه حتى توفي في صدر أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن[١].

ومحمد بن أشعب بن قيس، من أهل رية، كان فاضلاً دينا، تولى الصلاة في بلده ريه حتى ضعف عنها، فعزله الأمير محمد بن عبدالرحمن[٢] وولى عوضاً عنه محمد بن عوف العكي الذي استمر في منصبه حتى وفاته[٣].

وفي باجه كان صاحب الصلاة بها أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن أصبغ، المتوفى سنة ٢٧٨هـ (٨٨٢م)[٤] وفي طليطلة كان حزم بن غالب الرعيني يلي القضاء والصلاة وذلك في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن[٥]، ثم تولاهما عيسى بن محمد بن دينار بن واقد، وذلك في عهد الأمير عبدالله

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٣.

٢ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١١١٢.

٣ - نفسه، ترجمة رقم١١١١،وقد ذكر الحميدي أنه توفي سنة٣٢٠هـ.انظر: جذوة المقتبس، ترجمة رقم١٢٠.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٥.

٥ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٣٦١.

بن محمد[1]، وأما في قبرة فكان زيد بن شريح هو صاحب الصلاة بها وذلك في عهد الأمير عبدالله بن محمد[2].

وفي لاردة كان عبدالملك بن نمير الفارسي، المتوفى قريباً من سنة ٢٩٠هـ (٩٠٢) يلي الصلاة بها[3]، بينما كان معاصره أبو زكريا يحيى بن قطام يتولى القضاء والصلاة معاً في بلده طليطلة، واستمر في منصبه حتى نقم عليه بعض ولاتها فقتله سنة ٢٩٣هـ (٩٠٦م)[4].

وفي سرقسطة كان صاحب الصلاة بها خطاب بن إسماعيل الغافقي، المتوفى سنة ٢٩٧هـ (٩١٠م)[5]، وكان محمد بن يوسف يلي الصلاة في بلدة شذونة وذلك على عهد الأمير عبدالله بن محمد[6].

وفي القرن الرابع الهجري كان أبو هاشم خالد بن زكريا صاحب الصلاة ببلدة وادي آش[7]، وأما في بطليوس فكان صاحب الصلاة بها أبو الحكم منذر بن حزم بن سليمان، المتوفى سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م)[8] في

١ - نفسه، ترجمة رقم ٩٧٨.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ٤٦٢.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ٨١٧.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ١٥٦٩.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ٤٠٣.

٦ - نفسه، ترجمة رقم ١١٥٤.

٧ - نفسه، ترجمة رقم ٣٩٦.

٨ - نفسه، ترجمة رقم ١٤٥١.

حين كان معاصره أبو عثمان عفان بن محمد، المتوفى سنة ٣٠٧هـ (٩١٩م) يلي الصلاة في بلدة وشقة[١].

وفي إلبيرة كان صاحب الصلاة بها أبو جعفر أحمد بن عمرو بن منصور، المتوفى سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م)[٢].

وفي رية تولى الصلاة بها سعدان بن إبراهيم الشهير بابن الجرز سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م)[٣]. يعاصره في سرقسطة أبو عبدالحميد إسحاق بن عبدالرحمن، المتوفى قريباً من سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م)[٤].

وفي طرطوشة كان صاحب الصلاة بها أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري، المتوفى سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م)[٥].

أما في الجزيرة فكان الفقيه يوسف بن خطار بن سليمان بن خالد هو صاحب الصلاة فيها، والملاحظ أنه استمر في منصبه أربعين سنة، فقد تولى الصلاة ببلده سنة ٢٨٢هـ (٨٩٥م) وذلك في عهد الأمير عبدالله بن محمد، وظل في منصبه إلى أن توفي سنة ٣٢٢هـ (٩٣٤م) في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر[٦].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ٩١٣.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ٧٦.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ٥٤٣.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ٢٣٣.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ٩٣.

٦ - نفسه، ترجمة رقم ١٦٢٦.

وكان أبو الحسن علي بن عبدالقادر بن أبي شيبة الكلاعي، المتوفى سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م) يلي الصلاة ببلدة إشبيلية وقد ذكر ابن الفرضي أن أبا الحسن الكلاعي قد كُتب على قبره أنه كان كذاباً[١].

وكان أبو عبدالله محمد بن حبيب بن كسرى اليحصبي قد تولى الصلاة ببلدة استجه إلى أن توفي ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر المحرم سنة ٣٢٧هـ (نوفمبر ٩٣٨م)[٢].

وفي رية كان إبراهيم بن سليمان بن أبي زكريا، يلي الصلاة بها إلى أن توفي سنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م)[٣]، فتولاها من بعده الفقيه الزاهد أحمد بن عبدالله القيني[٤]، وكان الفقيه أبو محمد بن قاسم بن نضير بن رقاص بن عيشون الشهير بأبي الفتح، من أهل شذونه، كان خطيب أهل قلسانه، وصاحب صلاتهم، إلى أن توفي في شهر ذي الحجة سنة ٣٣٨هـ (٩٥٠م)[٥].

وفي إلبيرة كان صاحب الصلاة بحاضرتها أبو سعيد عثمان بن سعيد بن كليب، المتوفي سنة ٣٤٠هـ أو ٣٤١هـ (٩٥٢م)[٦].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ٩٢٠.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١٢١٧.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ٢٩.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٠.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ١٠٦٩.

٦ - نفسه، ترجمة رقم ٩٠٠.

وفي قلعة أيوب كان أبو عبدالله محمد بن نصر هو صاحب الصلاة بها إلى أن توفي سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦م) [١].

وكان أبو إسحاق إبراهيم الباجي، المتوفى في أوائل سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م) يلي الصلاة ببلده باجه[٢].

أما في تطيله فكان أبو بكر محمد بن الشبل بن بكر القيسي، المتوفى سنة ٣٥٣هـ (٩٦٤م) يلي الصلاة بها[٣].

وكان أحمد بن مطرف بن محمد بن خلف الأشعري، من أهل رية، تولى الصلاة بحاضرة بلده إلى أن توفي في أيام الخليفة الحكم المستنصر[٤].

وأبو القاسم أصبغ بن قاسم بن أصبغ من أهل أستجه، تولى الصلاة والقضاء بإستجه إلى أن توفي سنة ٣٦٣هـ (٩٧٤م) وكان أهل موضعه لايثنون عليه[٥].

وأبو محمد عبدالله بن محمد إبراهيم بن إسحاق، المتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من رجب سنة ٣٦٩هـ (فبراير ٩٧٠م) من أهل باجه تولي الصلاة ببلدة[٦].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ١٢٧٣.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ٣٣.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ١٢٨١.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ١٤٥.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ٢٥٥.

٦ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧١١.

وفي بجانة كان صاحب الصلاة والخطبة بها أبو القاسم أحمد بن خالد بن يزيد الأسدي المعروف بابن أبي هاشم، توفي يوم الثلاثاء لست خلون من شوال سنة ٣٦٨هـ (٨ مايو ٩٧٩م)[١].

وأبو خالد يزيد بن أسباط المخزومي، المتوفى في أواسط القرن الرابع الهجري، من أهل شذونه، سكن شريش وكان صاحب الصلاة بها[٢].

وهذا أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، المتوفى ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ٣٨٧هـ (أكتوبر ٩٩٧م) تولى الصلاة ببلدة استجه[٣].

وأبو عبدالله محمد بن سعيد بن سليمان بن أسود الغافقي، المتوفي سنة ٣٨٩هـ (٩٩٩م) من أهل فحص البلوط، تولى الصلاة بموضعه[٤].

وأبو عبدالله محمد بن يزيد، من أهل بطليوس، كان رجلاً صالحاً فاضلاً، تولى الصلاة بموضعه نحو سنة ثم توفي في أواخر سنة ٣٩٠هـ (١٠٠٠م)[٥].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ١٥٣.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١٦١٠.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٧٦.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٨١.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٨٤.

وأبو يزيد أسباط بن يزيد المخزومي، من أهل شذونة، سكن شريش وأصبح صاحب الصلاة بعد وفاة والده، ولم يزل عليها إلى أن توفي في أواخر سنة ٣٩٢هـ (١٠٠٢م)[١].

وأبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد الأنصاري، من أهل رية، كان زاهداً تولى الصلاة بموضعه مدة طويلة إلى أن توفي ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان سنة ٣٩٤هـ (يونيو ١٠٠٣م)[٢].

وأبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن عباس بن عبدالله بن النعمان، من أهل شذونه كان صاحب الصلاة ببلده، توفي يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول سنة ٤١٣هـ (٤ يونيو ١٠٢٢م)[٣].

وأبو محمد عبدالله بن أحمد بن عثمان الشهير بابن القشاوي، من أهل طليطلة كان ديناً ثقة ورعاً شاعراً، تولى الصلاة والخطبة بجامع طليطله، توفي ليلة السبت لليلتين خلتا من شهر شعبان سنة ٤١٧هـ (سبتمبر ١٠٢٦م)[٤].

وأبو بكر محمد بن عبدالغني بن حبيب، صاحب الصلاة بأستجة، توفي سنة ٤٢٤هـ (١٠٣٣م)[٥].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ٢٨١.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٩٢.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ١٩٩.

٤ - الصلة ترجمة رقم ٥٨٢.

٥ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١٠٦٧.

ومن خلال التراجم السابقة لمن كان يتولى الصلاة سواء في قرطبة أو غيرها من حواضر الأندلس، نجد أن كل واحد منهم قد تولى الصلاة ببلده، أو في بلد سبق وأن عاش بها فترة طويلة، كما أن الصفة العلمية المشتركة بينهم هي الفقه وإتقان اللغة العربية وآدابها، الأمر الذي يمكن كل منهم من أداء الخطابة بصورة جيدة.

ويظهر لنا أن هذه الخطة متوارثة في بعض الأسر التي اشتهر رجالها بالفقه مع إتقان العربية، ونالت حظاً وافراً من التدين والخلق والسمعة العالية الرفيعة بين فئات المجتمع التي تتوارث الإمامة في الصلاة في هذه الأسر أمراً محبباً إلى نفوسهم، وقد تعرفنا فيما سبق على بعض تلك الأسر.

خطة الرد

هذه الخطة من الخطط التي انفرد بها المغرب والأندلس عن بقية بلاد العالم الإسلامي[1]، وكذلك انفرد القاضي ابن سهل بالتعريف بها دون كل من سبق وكتب عن القضاء، إذ أن المصادر لم تحفظ لنا إلا قوله عن هذه الخطة، فقد ذكر ابن سهل أن خطة الرد من بين الخطط الست التي كانت تجري على يد أصحابها الأحكام. وهي القضاء، الشرطة، المظالم، الرد، المدينة السوق[2]، ثم تحدث ابن سهل عن اختصاصات صاحب الرد. فقال: "وإنما كان يحكم صاحب الرد فيما استرابه الحكام وردوه عن أنفسهم[3]".

ويمكن أن نفهم من كلام ابن سهل أنه كان للقاضي حرية الامتناع عن النظر في أي قضية لم تكن واضحة المعالم لديه، ولكي يتخلص منها يحيلها إلى صاحب الرد كي يبت فيها .

وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء الذين تولوا هذه الخطة في عهد الدولة الأموية بالأندلس، منهم:-

الفقيه أبو عمر حارث بن أبي سعد المتوفى سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) كان يتولى الشرطة الصغرى والرد في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط[4]".

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٥١٩.

٢ - النباهي، ص٥.

٣ - المصدر السابق، والصفحة.

٤ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٨٧ . المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٣٨.

كما كان موسى بن محمد الجذامي يتولى خطتي الشرطة والرد في عهد الأمير عبد الله بن محمد[١].

وفي مطلع القرن الرابع الهجري كان أبو الوليد محمد بن محمد بن أبي زيد، المتوفى يوم الخميس لعشر بقين من صفر سنة ٣٣٣هـ (أكتوبر ٩٤٤م) يتولى خطة الرد، رغم اتصافه بقلة العلم[٢]، ثم عزل عن منصبه سنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) وعين بدلاً عنه يحيى بن إسحاق الطبيب مضافة إليه الشرطة الصغرى[٣].

وكان الفقيه أبو عيسى يحيى بن عبدالله الليثي، المتوفى ليلة الثلاثاء لثمان خلت من رجب سنة ٣٦٧هـ (٢٠ فبراير سنة ٩٧٨م)[٤] يتولى خطة الرد.

وكان أبو عبدالله محمد بن تمليخ التميمي المتوفي في شهر رمضان سنة ٣٦١هـ (يونيو ٩٧١م) يتولى خطتي الرد والشرطة في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، وأنه كان يتمتع بمنزلة رفيعة لديه[٥].

ثم تولى خطة الرد بعد ابن تمليخ عبدالملك بن منذر بن سعيد البلوطي، واستمر في منصبه طيلة عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، وأقره

---

١ - قضاة قرطبة، ص٩٤.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٤١.

٣ - المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ١٣٤.

٤ - قضاة قرطبة، ص ١١٨-١٢٠. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٥٩٧.

٥ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣٠١.

على منصبه ابنه الخليفة هشام المؤيد، ثم اتُهم عبدالملك بن منذر أنه يتآمر ضد الخليفة هشام وحاجبه المتسلط عليه المنصور بن أبي عـــامر، فـــألقي القبض عليه وصُلب على باب سدة السلطان وذلك يوم الخميس للنصف من جمادي الآخرة سنة ٣٦٨هـــ (١٩ يناير ٩٧٩م)[١].

ثم أُسندت خطة الرد لأبي بكر عبدالله بن هرثمة بن ذكوان، واستمر عليها إلى أن توفي بكركي في غزوة الصائفة وذلك في صدر شهر رمضان سنة ٣٧٠هـــ (مارس ٩٨١م)[٢]. ومن بعده تولاها ابنه أبو العباس أحمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان فلم يزل قائماً بخطـــة الــــرد مشـــاوراً في الأحكام إلى أن قلده المنصور بن أبي عامر قضاء الجماعة وذلـــك يـــوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر المحرم سنة ٣٩٢هـــ (ديســـمبر ١٠٠١م)[٣].

وبعد أحمد بن ذكوان تولى خطة الرد الفقيه يونس بن عبدالله بـــن محمد، المعروف بابن الصفار المتوفى ليلة الجمعة لليلتين بقيتا لشهر رجب سنة ٤٢٩هـــ (مايو ١٠٣٨م).

ويبدو أن ابن الصفار لم يستمر في منصبه طـــويلاً، إذ ولي خطـــة القضاء والصلاة والخطبة بجامع قرطبة مع الوزارة[٤] فتولى خطة الرد مـــن

---

١ – المصدر السابق، ترجمة رقم ٨٢٣.

٢ – نفسه، ترجمة رقم ٧٢٤.

٣ – الصلة ، ترجمة رقم ٦٥.

٤ – المصدر السابق، ترجمة رقم ١٥١٢.

بعده أبو عبدالملك راشد بن عبدالله، لكنه لم يلبث فيها إلا أياماً من سنة ٤٠١هـ (١٠١١م) وهي السنة التي تولى فيها خاله أبو بكر بن وافد قضاء القضاة بقرطبة مع الوزارة وعندما حلت المحنة بابن وافد من جراء دخول المستعين إلى قرطبة[١] هرب أبو عبدالملك راشد بن إبراهيم عن قرطبة متوجها إلى الشمال، لكنه قبض عليه في الطريق فُذبح وذلك سنة ٤٠٤هـ (١٠١٤م)[٢].

ويمكن اعتبار الفقيه عبدالله بن سعيد بن عبدالله الأموي، المعروف بابن الشقاق، آخر من تولى خطة الرد في عهد الدولة الأموية، وظل على مرتبته إلى أن توفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٤٢٦هـ (يوليو ١٠٣٥م)[٣].

والملاحظ أن معظم الأسماء التي تولت خطة الرد كانت تلي أيضاً خطة الشرطة أي الجمع بين الخطتين، ولعل الهدف من هذا هو ضمان سرعة تنفيذ الأحكام[٤].

ومعظم من تولى خطة الرد، قد وصل إلى منصب قضاء الجماعة مباشرة وهذا يعني أن من يلي خطة الرد لابد وأن يكون متصفاً بالصفات

---

١ – النباهي، ص ٨٨.

٢ – الصلة، ترجمة رقم ٤٢٥.

٣ – ترتيب المدارك، ٧/٢٩٥-٢٩٦. الصلة، ترجمة رقم ٥٨٧.

٤ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٥٢٠.

المؤهلة لمنصب قاضي الجماعة، كما يعني أيضاً أن منصب قاضي الجماعة أعلى من منصب صاحب الرد كما أنها خطة قابلة للتوارث.

ولصاحب الرد مهام غير ماذُكر، فقد كانُ يكلّف بمطالعة رعايا الكور والوقوف على أحوالهم، ففي جمادى الآخرة من عام ٣٦٢هـ (مارس ٩٧٣م) كلف الخليفة الحكم المستنصر بالله صاحب الرد عبدالملك بن منذر البلوطي بالخروج إلى الكور الغربية وهي شريش ولقنت وإشبيلية ولبله وقرمونه ومورور واستجة وشذونة، وذلك لمطالعة رعاياها والتعرف على أحوالهم والكشف عن سير عمالهم فيهم[١].

وذكر ابن حيان أنه في شهر رجب من سنة ٣٦٢هـ (إبريل ٩٧٢) خرج صاحب الرد قاضي فحص البلوط[٢] عبدالملك بن منذر بن سعيد ومعه الخازن أحمد بن محمد الكلبي إلى مدينة الفرج أمينين ليتعرفا حقيقة مارفعه أهلها على قائدها رشيق بن عبدالرحمن صاحب الركاب فينصفاهم منه[٣]".

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٠٠.

٢ - فحص البلوط، **El valle de los Pedroches** هو سهل منبسط ممتد في شمال غربي قرطبة، ومجاور لأراضي أو ريط، وتتصل بأحواز فحص البلوط بأحوار فريش، ومن هذا الفحص يصدر الزئبق للآفاق، ونظراً لاشتهار المنطقة بشجر البلوط، لذا فقد نسبت إليه. انظر: وصف الأندلس للرازي، ص٨٣. الروض المعطار، ص٤٣٥-٤٣٦.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ١٠٤-١٠٥.

ونظراً لأن صاحب الرد يتمتع بأحقية ولاية النظر في الطعن في الأحكام فإنه يملك سلطة رد الحكم وتعديله وتصويبه إذا خالف الشرع، وبذلك فإن صاحب الرد يملك سلطة نقض الحكم ونظر دعوى المخاصمة[1].

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٥٢٦.

خطة المظالم

نظام المظالم هو لون من ألوان القضاء، امتزجت فيه سطوة السلطان بنصفة القضاء ولذا فقد عرفه الماوردي بقوله: "ونظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة[١]".

والناظر في المظالم يختلف عن القاضي، فهو أوسع صلاحيات وأكثر سلطة. إذ يكفي في هذا المجال أن له النظر فيما تنظر إليه القضاة، ومالاتنظر فيه من الحكومات، وبالجملة فهو يمتاز عن القاضي بأشياء كثيرة منها أن له من الهيبة وقوة اليد ما ليس للقضاة، كما أن الناظر في المظالم أفسح مجالاً وأوسع مقالاً، وأن له من قوة الإرهاب ما ليس للقضاة، وله حرية التعامل مع الخصمين وفق مجريات القضية، وكذلك له الحق في استدعاء الشهود وأطراف الدعوى والعمل على اتخاذ كافة الإجراءات التي تزيل الشك عنده[٢] وعندما تناول الحديث عنها الكاتب الأعرج ذكر أن لصاحب المظالم" النظر قبل التظلم إليه في الجرائم والظلامات، وله إرهاب المتهوم بالظلم والجريمة قبل الثبوت بالإقرار أو البينة القوية، وله الحمل على الاعتراف بالحق، والحبس في المظالم، وله الضرب للاعتراف عند ظهور الإمارات في الجرائم وله تأديب المدعى عليه

---

١ - الأحكام السلطانية، ص ٦٤.

٢ - المصدر السابق، ص ٧٠ - ٧١.

إذا ثبت الحق بالبينة بعد الإنكار، ولـه حمـل المجـرمين علـى التوبـة بالإجبار[١]".

ومجلس صاحب المظالم لابد وأن يضم خمسة أصناف مـن أهـل الاختصاص هم: الحماة والأعوان، والقضاة والحكام، والفقهاء، والكتاب، والشهود[٢] فإذا انتظم المجلس بأعضائه، فلصاحب المظالم حينئذ النظر في عدة قضايا، وهذه القضايا عشرة أقسام هي:- النظر في تعدي الولاة على الرعية، وجور العمال فيما يجبونه من الأموال، وكُتَّاب الدواوين لأنهـم أمناء المسلمين على أموالهم، وتظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم، والنظر في الغصوب بنوعيها، السلطانية وماتغلب عليه ذوو الأيدي القوية، والنظر في مشارفة الأوقاف العامة والخاصة، وتنفيذ ماوقف القضاة من أحكام لضعفهم عن إنفاذها وعجزهم عن المحكوم عليه لتعزيره وقوة يده أو لعلو قدره وعظم خطره. كما أن له النظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة من المصالح العامة، وله مراعاة العبـادات الظـاهرة كـالجمع والأعياد والحج والجهاد من تقصير فيها وإخلال بشروطها، وكذلك لـه النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين[٣].

ومن أجل هذه المهام الجسيمة الملقاة على عاتق صاحب المظالم، فإنه لابد وأن يكون متصفاً بصفات تؤهله لتحمل تلك المهام، وعليه فلابـد،

---

١ - تحرير السلوك، ص٣٨.

٢ - الأحكام السلطانية، ص٦٧. تحرير السلوك، ٣٩.

٣ - الأحكام السلطانية، ص٦٧-٧٠. تحرير السلوك، ص٣٩-٤٠.

"أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر الفقه، قليل الطمع كثير الورع، لاتأخذه في الله لومة لائم، ولاتُدنس دينه ولاعرضه الرشوة بالقائم، إذ يحتاج إلى سطوة الولاة وتثبت القضاة، فينبغي أن يكون جامعاً بين صفتي الفريقين، ويكون لجلالة قدره نافذ الأمر من الجهتين"[1].

وخطة المظالم في الأندلس هي إحدى الخطط الدينية الست التي ذكرها ابن سهل وجعل لأصحابها الحق في إصدار الأحكام[2].

والملاحظ أنه في بداية الدولة الأموية بالأندلس لم يكن يوجد صاحب مظالم، إذ أن هذه الخطة لم تنشأ هناك إلا متأخرة، ولكن هذا لايعني عدم الاهتمام بها، إذ أن الأمير عبدالرحمن الداخل كان "يقعد للعامة، ويسمع منهم، وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل إليه من أراده من الناس فيصل الضعيف منهم إلى رفع ظلامته إليه دون مشقة[3]".

وذكر ابن حيان أن الأمير عبدالرحمن الداخل بلغ من شدة اهتمامه بالمظالم أنه كان يتصدى لها في أي مكان وزمان، وفي أثناء عودته من حضور جنازة في إحدى الأيام تصدى له أحد العوام وخاطبه بصوت عال طالباً منه أن ينصفه ممن ظلمه، فوقف الأمير ودعا بالقاضي المرافق له وأنصف الرجل[4].

١ – تحرير السلوك، ص٣٨.

٢ – النباهي، ص٥.

٣ – نفح الطيب، ٣٣٢/١.

٤ – المصدر السابق، ٣٧/٣.

كذلك نجد الأمير عبدالرحمن الداخل يعطي الشاعر أبا المخشي ألفي دينار ويضاعف له دية عينيه[١]، رغم أن الرجل لم يتظلم له من مصابه، ولكن شعور الأمير بأن الرجل قد ظلم دفعه لمواساته ومحاولة إنصافه.

وأما الأمير هشام الرضا بن عبدالرحمن الداخل فإنه انتصف لأحد أعوانه المظلومين قبل أن يلي الإمارة[٢]، وبعد أن تولاها كان أول شيء اهتم به هو تسريح السجون من غير أهل الحدود ورد المظالم[٣] كما أنه كان يبعث برجال عدول يذهبون إلى الكور يسألون الناس عن سير عمالهم فيهم، ثم ينصرفون إليه ويطلعونه على حقيقة الأوضاع فيصدر على ضوئها أوامره بما يحقق العدالة[٤].

ومن شدة حرص الأمير هشام الرضا على العدل أن رجلاً اعترض طريقه وهو يستغيث من ظلم أحد العمال له، فحاول بعض مرافقي الأمير إرضاء ذلك الرجل خشية من سخط الأمير على ذلك العامل، إلا أن الأمير بعث إلى الشاكي وأحضره وقال له: "إحلف على كل ماظلمك فيه، فإن كان ضربك فاضربه، أو هتك لك ستراً فاهتك ستره، أو أخذ لك مالاً فخذ من ماله مثله، إلا أن يكون أصاب منك حداً من حدود

---

١ - ابن القوطية، ص٣٥.

٢ - انظر القصة في: أخبار مجموعة، ص١٢١-١٢٤. ذكر بلاد الأندلس، ١/١٢٢-١٢٤. البيان المغرب، ٢/٦٧-٦٨.

٣ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١١٩.

٤ - البيان المغرب، ٢/٦٦.

الله، فجعل الرجل لايحلف على شيء إلا أقيد منه، فكان زجره هكذا لعماله أبلغ فيهم من النكال والأدب[1]".

وقد وصُف الأمير هشام بأنه كان عادلاً فاضلاً جواداً كريماً ورعاً ... متشبهاً بورعه وزهده بعمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى "يجري في أحكامه على القريب والبعيد وينصف الصغير من الكبير والفقير من الغني والضعيف من القوي وينصف من نفسه وقرابته[2]".

وأما الأمير الحكم الربضي فرغم القسوة التي عرف بها، إلا أنه كان محباً للعدل، وقد حُفظت عنه كلمة كان يداوم على ترديدها تدل على حرصه على الإنصاف، فقد كان يقول "ماتحلى الخلفاء بمثل العدل[3]" وعندما أفضت الإمارة إليه خصص يومين من كل أسبوع يقعد فيهما للعامة بنفسه وينظر في أمورهم[4].

وحدث في عهده أن عاملاً في جيان[5] اغتصب جارية من صاحبها، فلما عزل العامل عن الولاية تقرَّب إلى الأمير الحكم بأن أهدى إليه

١ - المصدر السابق، ٦٦/٢.

٢ - ذكر بلاد الأندلس، ١٢٠/١.

٣ - المصدر السابق، ١٢٦/١. البيان المغرب، ٧٩/٢.

٤ - ذكر بلاد الأندلس، ١٢٨/١.

٥ - جيان "**Jaen**" تقع إلى شرق قرطبة وتبعد مسافة مائة كيلو متر، وإلى شمال غرناطة وتبعد عنها بنفس المسافة، وتحدها التلال العالية من الجنوب الشرقي ومن الغرب، وقد كانت جيان من أعظم قواعد الأندلس الوسطى، وأشهرها حصانة ومنعة، وقد=

الجارية، فحضر صاحبها عند قاضي الجماعة المصعب بن عمران وشرح له القصة، وأقام البينة على ذلك، فدخل القاضي على الأمير وأنهى إليه خبر الجارية، وطلب منه إبرازها تمهيداً لإصدار الحكم، ورفض عرض الأمير بشراء الجارية بالسعر الذي يبتغيه سيدها فخضع الأمير لرأي القاضي وسُلِّمت الجارية لسيدها، وأمره القاضي ألا يبيعها إلا في بلدة جيان لينتشر ذكر العدل ويقوى من ظلم على رفع ظلامته[1].

وتكرر موقف القاضي المصعب بن عمران مع الأمير الحكم وذلك في مظلمة رفعها أيتام من جيان ضد العباس بن عبدالله القرشي، المتوفى سنة ٢١٩هـ (٨٣٤م) الذي اغتصب ضيعة أبيهم، ورغم محاولات الأمير التدخل في القضية لصالح القرشي إلا أنه في النهاية خضع لحكم القاضي، وقال للقرشي "ماأشقاه من لطمه قلم القاضي[2]".

=خرجت من أيدي المسلمين سنة ٦٤٣هـ، وهي اليوم عاصمة إحدى المحافظات التي تتألف منها مقاطعة الأندلس "**Andalucia**" انظر: الرازي وصف الأندلس، ص٦٨-٦٩. الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣-١٨٤. محمد عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص٢٢١-٢٢٢.

١ - أخبار مجموعة، ص١٢٥-١٢٦. وقد ذكر ابن عذاري في البيان المغرب، ٧٨/٢ أن القاضي كان محمد بن بشير.

٢ - قضاة قرطبة، ص٢٥-٢٦.

وبالإضافة إلى ماسبق فقد جرت في عهده عدة قضايا خاصة بالمظالم كانت له فيها مواقف مشرفة.(١) ورغم مايمكن أن نلمسه في بعض مواقف الأمير الحكم مع قضاته بخصوص المظالم من أنه يحاول التحيز نوعاً لمن يعنى به، إلا أننا لايمكن أن ننكر موقفه من مناصرة الحق في النهاية، وذلك من خلال خضوعه للحكم الذي يصدره القاضي وقد توَّج اهتمامه بالمظالم عندما أحدث خطة خاصة بها، فهو أول من أحدثها بالأندلس، وولى عليها مولاه مسرة الخصي(٢).

وأما الأمير عبدالرحمن الأوسط فبعد أن استلم الإمارة كان أول شيء فعله أن سرَّح السجون -من غير أهل الحدود- ورد المظالم(٣).

ومن المظالم التي ردها الأمير عبدالرحمن الأوسط مظلمة حسانة التميمية التي وفدت إليه من إلبيرة شاكية واليها جابر بن لبيد عندما لم يمتثل لكتاب معها سبق وأن كتبه لها الأمير الحكم الربضي بيده(٤).

وقد تولى عيسى بن شهيد، المتوفى سنة ٢٤٣هـ (٨٥٧م) خطة المظالم في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط فقد "ولاه النظر في المظالم وتنفيذ الأحكام على طبقات أهل المملكة(٥)".

---

١ - انظر تاريخ القضاء في الأندلس، ص٥٤٢ ومصادره.

٢ - ذكر بلاد الأندلس، ١/١٢٨.

٣ - المصدر السابق، ١/١٣٩.

٤ - نفسه، ١/١٤٢-١٤٣.

٥ - المقتبس، تحقيق: د. محمود علي مكي، ص٢٦.

وبذلك أصبح من صلاحيات صاحب المظالم مساءلة ذوي المناصب الإدارية العليا في الدولة عن أي تجاوزات تحدث من قبلهم، وممن تعرض لمساءلة صاحب المظالم الشاعر السفير يحيى الغزال، المتوفى سنة ٢٥٠ (٨٦٤م) وقصة ذلك أن الغزال كان قد مدح الأمير عبدالرحمن الأوسط بقصيدة ولاه بسببها قبض الأعشار ببلاط مروان واختزانها في الأهراء[١]، وحدث أن عم القحط في ذلك العام، وقل الطعام وارتفعت الأسعار، فأخذ الغزال يبيع مافي مستودعات الدولة لديه حتى نفذ ماها، وبعد أن نزل الغيث وتوفر الطعام، علم الأمير بما حدث، فغضب وأنكر تصرف الغزال، وأمر باستيفاء الثمن منه، ولكنه أبى فحمل إلى قرطبة مقيداً، حيث سجن هناك ثم أطلق سراحه[٢].

---

١ - الأهراء: المستودعات الضخمة المعدة لخزن الأطعمة.

٢ - المطرب، ص١٢٨. والأستاذ الدكتور إحسان عباس يشك في أن هذه الحادثة وقعت زمن الأمير عبدالرحمن الأوسط، محتجاً بأن قحطاً لم يقع في حياته، ويرجح أنها حدثت زمن الأمير الحكم الربضي سنة ١٩٩هـ، انظر: د . إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ص١٥٩. لكن الواقع يشير إلى خلاف ذلك فقد ذكر ابن حيان أنه في سنة ٢٠٧هـ، في صدر أيام الأمير عبدالرحمن الأوسط، نالت أهل الأندلس مجاعة شديدة بسبب انتشار الجراد. ولحسه الغلات وتردده في الجهات، وفي سنة ٢٣٢هـ قلت الأمطار وعم القحط العام، أما القحط الخاص فقد أصيبت به عدة كور منها مثلاً في سنة ٢٣٦هـ كورة تدمير، انظر: المقتبس، ابن حيان، تحقيق: د.محمود مكي، الصفحات: ٩٣، ٧، ١٠٧ على التوالي.

وفي عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط تولى قضاة الجماعة بقرطبة وكذلك قضاة الكور رد المظالم إلى أهلها[١].

وأما الأمير محمد بن عبدالرحمن فقد وصف بأنه كان "مهتبلاً بأمور رعيته مراقباً لمصالحها[٢]" كما أنه اهتم بالمظالم، وأشرف على الكثير منها، من ذلك قصة الثلث الذي أوصى ابن القصيي بتفريقه[٣]، وكذلك اغتصاب وزيره هاشم بن عبدالعزيز لأرض بوثيقة مزورة، واللطيف في هذه القصة هي الطريقة التي تمت بها عرض المظلمة، فقد ذكر ابن حيان أن صاحب الأرض عندما فشل في إقناع الوزير بالعدول عن الأرض، تصدى للأمير محمد عند ركوبه إلى بعض منتزهاته، ونظراً لضخامة الموكب وصعوبة الاقتراب من الأمير، فقد ابتكر الرجل حيلة مناسبة، حيث صعد على حائط يمر الأمير بالقرب منه، وكتب مظلمته على منشور وربطها بعصا ورفعها فوق رأسه فلما حاذاه الأمير، أخذ الرجل يستغيث به ويشير بعصاه والكتاب فيها، فأمر الأمير بأخذ الكتاب فلما قرأه أحضر وزيره هاشم الذي حاول عبثاً تكذيب الرجل، لكن الأمير ضيق عليه حتى اعترف وأقر بظلمه له وتعديه عليه فأنصفه الأمير منه[٤].

---

١ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص٥٤٣ ومصادره.

٢ – البيان المغرب، ١٠٩/٢.

٣ – قضاة قرطبة، ص٨٣-٨٥. ابن القوطية، ص٧١-٧٣.

٤ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص١٤٨-١٥٢.

وهناك عدة قضايا خاصة بالمظالم نظرها قضاة الجماعة في عهد الأمير محمد، منها: قصة إخفاء الأمير أبي إسحاق لرجل استحق الحكم عليه وكذلك اغتصاب أحد المرشحين لخطة المدينة منزلاً لأحد الناس، واغتصاب الفتى بدرون الصقلبي وصيف الأمير منزلاً لامرأة، وتظلم أحدهم من صاحب المدينة، بالإضافة إلى الدعوى التي رفعت ضد يوسف بن بسيل الذي كان عاملاً على شذونة[١].

وأما الأمير المنذر بن محمد فقد كانت مدة إمارته قصيرة لاتتجاوز السنتين ٢٧٣-٢٧٥هـ (٨٨٦-٨٨٨) كما أن تلك الفترة قضاها في حروب متصلة لإخضاع المتمردين، لأجل هذه فلا يوجد أثر للمظالم في عهده، ونكتفي في هذا المجال بالقول بأنه في اليوم الثاني لبيعته بالإمارة أمر بتفريق "العطاء في الجند، وتحبب إلى أهل قرطبة والرعايا بأن أسقط عنهم عشر العام ومايلزمهم من جميع المغرم[٢]".

وقد عُرف الأمير عبدالله بن محمد بشدة وطأته على أهل الظلم[٣]، ومن أجل نصرة المظلوم كان يجلس في الساباط قبل صلاة الجمعة وبعدها، يرى الناس ويشرف على تصرفاتهم ويسمع قول المتظلم منهم[٤].

---

١ - انظر تاريخ القضاء في الأندلس، ص٥٤٤-٥٤٥ ومصادره.

٢ - البيان المغرب، ١١٤/٢.

٣ - ذكر بلاد الأندلس، ١٥٣/١.

٤ - المقتبس، تحقيق: أنطوينه، ص٣٤.

ثم ازداد اهتمام الأمير عبدالله بالمظالم، فأمر بفتح باب عند أحد أركان قصره أطلق عليه اسم باب العدل[١]، وجعل عليه باب حديد صنع مشرجباً ليلقي كل متظلم رقعته من خلاله[٢]، وذلك في حال عدم تواجد الأمير في قرطبة، أما إذا كان في القصر فبإمكان أي متظلم مناداته من قبل ذلك الباب دون أن تكون لحاجب سلطة عليه، فتؤخذ الرقعة سريعاً أو يصل المتظلم للأمير فيخاطبه بظلامته ويعمل الأمير على إنصافه، فعظمت المنفعة بهذا الباب[٣]، وأخذ أهل المكانات وذوو الأقدار يأخذون حذرهم من كل أمر يوجب الشكوى بهم، ويتحاشون ظلم من هم دونهم، مهابة للأمير وخشية من افتضاح أمرهم أمامه[٤].

وفي أوائل عهد الأمير عبدالرحمن بن محمد رفع إليه عجم أهل أبطليش دعوى ضد أسماء بنت ابن حيون، فأمر الأمير قاضي الجماعة بالنظر فيها[٥].

وقد كان الخليفة عبدالرحمن الناصر يترفع عن النظر في المظالم وبالذات ماكان منها يتعلق بمشاكل العوام، ومن ذلك، أنه كان يسير في موكب فاعترضه أحد العوام وهو يصيح بصوت منكر، فلما وقف

---

١ - المصدر السابق، ص٣٧.

٢ - البيان المغرب، ١٥٣/٢.

٣ -المقتبس، تحقيق: انطونيه، ص٣٧.

٤ - البيان المغرب، ١٥٣/٢.

٥ - وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، ص٥٨-٥٩.

واستفسر منه، وجد أن قضيته تدور حول حمار اشتراه وظهر فيه عيب، فغضب الخليفة وأنكر عليه تجاوزه للقاضي وأهل السوق ورفع هذا الأمر التافه له، ثم أمر به فُضرب ونودي عليه بذلك مجرَّساً ليكون عبرة لسواه[١].

والخليفة عبدالرحمن الناصر لم يترفع عن النظر في المظالم فحسب، بل إنه عدَّ الجلوس لها مضيعة للوقت وسببا في تدهور الدولة وعاب على جده الأمير عبدالله بن محمد جلوسه لها، وعدَّ اهتمامه بها سبباً في الاضطراب الذي أصاب الدولة في عهده، فقد خاطب الخليفة عبدالرحمن الناصر وزراءه قائلاً "أعلمتم أن الأمير عبدالله جدي بتروله للعامة في الحكم للمرأة في غزلها والحمال في ثمن مايحمله، والدلال في ثمن ماينادي عليه، وإضاعة كبار الأمور ومهامتها، والنظر في حروبه، ومداراة المتوثبين عليه، حتى اضطرمت جزيرة الأندلس وكادت الدولة ألا يبقى لها رسم، أي مصلحة في نظر غزل امرأة ينظر فيه أمين سوق الغزل، وإضاعة النظر في قطع الطرق وسفك الدماء وتخريب العمران[٢]" والذي يمكن قوله في هذا المقام، أن تصرف الخليفة عبدالرحمن الناصر مع صاحب الحمار فيه تأديب له لأمثاله، وفي الوقت نفسه تكريس لهيبة الدولة في نفوس الرعية والمناوئين لها، كما أن فيه تأكيد على التسلسل الوظيفي إذ لايجوز لأحد

---

١ -المغرب في حلى المغرب، ١/١٨٥.

٢ - المصدر السابق، ١/١٨٥.

عرض قضية على ذي منصب كبير قبل أن تأخذ تدرجها الطبيعي ابتداء من أدنى السلم. وولي الأمر لابد وأن يهتم دائماً وأبداً بالصالح العام للرعية، وعليه أن يكرس جهده فيما يعود بالنفع عليها.

ولاشك أن الاهتمام بقمع المناوئين وقطّاع الطرق أعظم أهمية من صرف الانتباه لقضايا أقل مايقال عنها أن بالإمكان حلها بأيسر السبل دون أن يكون لها أي ذكر في المجتمع.

وملامة الخليفة لجده هي في الواقع أمر منطقي، إذ أن الدولة في عهده كانت معرضة للإنهيار، بل إن حكومة قرطبة في بعض الأحيان لم يعد لها سيطرة في الأندلس إلا على قرطبة والأماكن القريبة منها فقط، فأي مصلحة والوضع بهذه الصفة من الخطر في الاستماع لامرأة تدور قضيتها حول الغزل، وترك الفتن تستعر في أرجاء البلاد، الأمر الذي يترتب عليه انعدام الأمن وتدهور الحالة الاقتصادية إلى خلاف ذلك من أمور، المجتمع في غاية الغنى عن خوض تجربتها.

ومن الطرائف التي جرت على يدي الخليفة عبدالرحمن الناصر أن تاجراً زعم أن صرة له قد ضاعت وهي تحوي مائة دينار، وجعل لمن وجدها مكافأة مقدارها عشرة دنانير، فجاء بها رجل عليه سمة أهل الخير، فلما قبضها التاجر ادعى أنه كان بها مائة وعشرة دنانير وأن الرجل أخذ عشرة دنانير وهي المكافأة، وأبى أن يدفع الشرط، فرفع الأمر للخليفة فوقع على الكتاب "صدق التاجر والرجل الذي وجد المال، ولولا صدق

الرجل ماأتى بشيء مجهول، فاردد عليه المائة، وناد على مال التاجر فإنه مائة وعشرة[١]".

ويبدو أن الخليفة عبدالرحمن الناصر أخذ يهتم بالمظالم أكثر من ذي قبل، فعزم على تنظيمها وإقامة جهاز إداري خاص بها، فقد ذكر ابن حيان أنه في شهر ربيع الأول من سنة ٣٢٥هـ (يناير ٩٣٧م) أصدر الخليفة أمره بنقل "محمد بن قاسم بن طملس من خطة العرض إلى خطة المظالم، أفرد بها، وأجرى عليه الرزق لها، فكان أول من ارتزق بهذه الخطة، وصيرها الناصر لدين الله من هذا الوقت خطة بذاتها، وقد كان نظر في المظالم قبله جماعة أضيفت إليهم، منهم الوزير أحمد بن حدير، والوزير عبدالله بن جهور، فأفردت من هذا التاريخ، وجل قدرها وعظمت المنفعة بها[٢]".

من مامضى ندرك أن خطة المظالم لم تأخذ تنظيمها النهائي إلا في آخر الربع الأول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فرغم أنها كانت موجودة في السابق إلا أنها لم تكن قائمة بذاتها بل كانت مضافة إلى غيرها من الخطط، ومنذ أن أفردت خطة المظالم لوحدها، لم تتم إضافتها إلى غيرها من الخطط طيلة تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، باستثناء مرة واحدة وذلك عندما أضافها الخليفة عبدالرحمن الناصر لذي

---

١ - نفسه، ١/١٨٥-١٨٦.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤١٦.

الوزارتين أحمد بن عبدالملك بن شهيد مجموعة له مـع الشـرطة العليـا بالإضافة إلى قيامه بأعباء الوزارة وذلك سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) [١].

والخليفة عبدالرحمن الناصـر رجـل إداري صـاحب تجديـدات وإضافات ملموسة ذات تأثير على الجهاز الإداري للدولة ككل. من ذلك أنه في سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) قام بتوزيع المهام الإدارية بين وزرائه، منها انه كلف وزيره محمد بن حدير القيام بمهام النظـر في مطالـب النـاس وحوائجهم وتنجيز التوقيعات لهم[٢].

وعندما تولى الحكم المستنصر الخلافة، كانت أول أعماله الاهتمـام بإصلاح شأن رعيته، فأحسن إليها وحط وظائفها، وأمر بإطلاق سـراح من في السجن من غير أهل الحدود، وتصدق من ماله الخاصة بمائة ألـف دينار، وفدى الأسرى، وأدى عن أهـل الـديون ديـوهم، وعـدل في الرعية[٣].

وقد بلغ اهتمامه بالعدل أنه بعث في سنة ٣٥٣هـ (٩٦٤م) أمناءه إلى سائر الكور والثغور وذلك لتفقد أحوال الرعية ومتابعة سير عمـالهم فيهم[٤]، ورفع تقرير متكامل عن ذلك إليه لتتم محاسبة المسيء ومكافـأة المنصف الحريص على تأدية الحق إلى مستحقه.

---

١ – المصدر السابق، ص٤٦١-٤٦٢.

٢ – البيان المغرب، ٢/٢٢٠.

٣ – ذكر بلاد الأندلس، ١/١٧٠.

٤ – المصدر السابق، ١/١٧١.

وتكرر إرساله لأمنائه، ففي سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م) بعث عدة من ثقاته وذلك لتفقد أحوال الرعية في سائر بلاد الأندلس، وقبل أن يغادروا قرطبة متجهين حيث أرسلوا، خاطبهم الخليفة قائلاً "إن لم تنصحوا فأنا المباشر لها بنفسي، فإني أنا المسئول عنهم، فما العذر بين يدي السائل[١]".

ويبدو أن الخليفة قد وقف على تجاوزات كبيرة لبعض العمال، ولذا ففي سنة ٣٥٦هـ، (٩٦٧م) أوقع الخليفة بأولئك المتجاوزين الظالمين للرعية ونكل بهم[٢]، وكتب كتاباً بتعنيفهم قرئ على كافة منابر الأندلس، جاء فيه "أما بعد، فإن الله جل ثناؤه لايظلم مثقال ذرة ولايقوي الظالم، وهو الكفيل بنصرة المظلوم وقد أعد للظالمين عذاباً أليماً، وقد علمتم عنايتنا بالمسلمين وحفظهم حفيظتنا بالعباد، فأحفظتموها إلى العنف والاستبداد، وحماكم السخف المركب فيكم ، ووصيتنا بالداني والقاصي والمطيع والعاصي ونبذتم بالعراء أمرنا، فلتراجع التوبة عما أنتم بسببه من الجور، وأثبتوا العدل ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء من الآية رقم ٢٢٧) والسلام[٣].

---

١ - نفسه، ١٧٢/١.

٢ - البيان المغرب، ٢٣٩/٢. وقد جاء في ذكر بلاد الأندلس، ١٧٢/١. أن الخليفة أوقع بأولئك العمال في سنة ٣٥٥هـ. ولكن الأقرب للصواب هو ماذهب إليه ابن عذري، وذلك لأن الوفد الذي شكل لتفقد أحوال الرعية غادر قرطبة في الربع الأخير من تلك السنة تقريباً فكيف يتم انجاز كل تلك المهام في مدة أربعة أشهر تقريباً؟

٣ - ذكر بلاد الأندلس، ١٧٢/١.

وميزان العدالة لدى الخليفة الحكم المستنصر لايعرف المحاباة لأحد دون أحد، حتى أقاربه لايمكن استثناؤهم من الخضوع للحق، ولذا ففي يوم الاثنين صدر شهر شوال من سنة ٣٦٢هـ (يوليو ٩٧٣م) انتدب الخليفة الحكم الوزير صاحب المظالم عبدالرحمن بن موسى بن حدير للنظر في القضية المرفوعة من أهل إشبيلية ضد واليهم ابن الخال سعيد الذي يبدو أنه استغل منصبه فيما يعود عليه بالمنفعة المادية دون تجنب وقوع الحيف على أهل إشبيلية[١].

من مامضى ندرك أن خطة المظالم أو بالأحرى صاحب المظالم جُعل لتنفيذ الحقوق ضد أولئك الأقوياء سواء كانوا أقارب للأمراء والخلفاء أو من يلوذ بهم، وإنصاف المستضعفين من طغيانهم.

ويبدو أن قاضي الجماعة وبالذات في المدة الأخيرة من عهد الدولة الأموية لم يعد من القوة بحيث ينفذ الحق على من وقع عليه دونما اعتبار لمكانته، ولذا أصبح صاحب المظالم صاحب اليد الطولى في هذا المجال.

فعندما عجز قاضي الجماعة عبدالرحمن بن فطيس عن إنفاذ الحق ضد وصيف مقرَّب من الحاجب المنصور بن أبي عامر، استغاث صاحب الحق بالمنصور ضد وصيفه، فما كان من المنصور إلا أن أمر صاحب

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٨٦.

الشرطة بأخذ ذلك الوصيف وإيقافه مع خصمه عند صاحب المظالم لإنفاذ الحق في قضيتهما[١].

وكان للفتنة أثرها على خطة المظالم، فأصبح يتصدى لها من ليس أهلاً لها، ويدعي حمل مسئوليتها من لايقوى عليها، وقد وصف ابن حيان رجلاً من أصحاب المظالم الذين تسلطوا على الناس في الفتنة يدعى فزارة، فقال: "من رجل معدن من معادن الجهل والأفن والغباوة وحجة من حجج الله تعالى في الرزق، واستظهر بما رأى الناس فيه من شدة وطأة المجاعة بما شاء من وفور الزاد وكثرة الطعام ونفاسة البر وسعة الثروة، فاغتذى على فرط الزلزلة في المجاعة بكثرة القوت والطعام أرسى من ثهلان وثبير، بما يفوت التقدير وولي المظالم صدر اكتهاله أيام التخليط الواقع بمنبعث الفتنة: ومن المظالم أن وليت على المظالم يافزاره[٢]".

وممن تقلد المظالم زمن الفتنة المشاور أبو عبدالله الحسين بن حي بن عبدالملك التميمي، المتوفى يوم الخميس لثمان خلون من ذي العقدة سنة ٤٠١هـ (١٤ يونيو ١٠١١م) وكان صدراً في المفتين بقرطبة وتولى خطة الوثائق في عهد الحاجب عبدالملك المظفر، كما تولى القضاء بعدة كور، ولكنه لم يلبث أن وقع في حب الدنيا، فاشترك في الفتنة، وكان أحد دعاة المهدي الذي ماأن تولى الخلافة حتى استوزره ثم ولاه المظالم[٣].

---

١ - البيان المغرب، ٢/٢٨٩.

٢ - الذخيرة، ق١ م٢، ص٥٩٨-٥٩٩.

٣ - ترتيب المدرك، ٧/١٩٩-٢٠٠.

وعندما تولى الخلافة على بن حمود، أخذ الناس بالإرهاب والسطوة، وأخضع البرابر للحق، فبعد أن كانت مطالبتهم من الأمور العسيرة، إن لم تكن مستحيلة، صار أقل الرعية يرفع دعواه ضد اعتاهم وهو مطمئن لنيل حقوقه كاملة، واهتم علي بن حمود بالمظالم، فجلس لها بنفسه، وجعل بابه مفتوحاً للوارد والصادر والكبير والصغير.

ويصف ابن حيان حال الناس بقرطبة في ظل اهتمام علي بن حمود بالمظالم، فبعد أن كان الناس منقبضين قد زهدوا الدنيا وزينتها من شدة وطأة الفتنة عليهم، "انتشروا في الأرض ذات الطول والعرض، وسلكت السبل، ورخا السعر، وأرقوا الأغذية وشاموا النساء، وطلبوا النسل، وكان أكثرهم يقول بالعزلة، واتخذوا الحلواء على طول عهد بها"[١].

وقد باشر علي بن حمود المظالم، فجلس لها وكان يقيم الحدود بنفسه على من وقع عليه الحق دون مراعاة لمكانته، فقد ذكر ابن حيان أنه قُدِّم لعلي بن حمود مجموعة من كبار البربر ارتكبوا من الجرائم ماتجاوز حد النكال، فأمر بضرب أعناقهم وعشائرهم تنظر إليهم لايستطيع أحد أن يدلي بشفاعته[٢].

كما أمر بقتل أحد البربر بسبب حمل عنب قال إنه أخذه كما يأخذ الناس، فضرب عنقه ورفع رأسه في الحمل وطيف به سائر البلد[٣].

---

١ – الذخيرة، ق١ م١ ص٩٧-٩٨.

٢ – المصدر السابق، ص٩٨.

٣ – نفسه، ص٩٨.

وأما الخليفة الأموي الأخير المعتد بالله، فقد كان أول شيء فعله بعد دخوله قرطبة هو جلوسه للمظالم بنفسه[1]، ونظراً للضعف الذي اتصف به هذا الخليفة فقد عُدَّ جلوسه للمظالم بنفسه نادرة من النوادر، إذ أنه عاجز عن ضبط أي أمر من أمور الدولة، فكيف يمكن أن ينفذ الأحكام على من توجه إليه الحق.

هذا وقد حفظت لنا المصادر أسماء بعض من اشتغل بالمظالم، منهم:-

أبو محمد عبدالله بن أصبغ، المعروف بابن الصناع، كان يتصرف في رفع كتب المظالم إلى أن توفي في شهر رجب سنة ٣٧٣هـ (ديسمبر ٩٨٣م)[2].

أبو محمد موسى بن أحمد بن سعيد اليحصبي، المعروف بالوتد، تصرف في رفع كتب المظالم وأصحاب الحوائج للمنصور بن أبي عامر، ظل كذلك إلى أن توفي ليلة الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٧هـ (٢١ مايو ٩٨٧م)[3].

أبو المطرف عبدالرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس المتوفى سنة ٤٠٢هـ (١٠١١م) من علماء قرطبة المعدودين، وأبرزهم في جمع

---

١ - نفسه، ق٣م١ص٥١٧.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٢٨.

٣ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١٤٦٦. ترتيب المدارك، ١٥٨/٧.

الحديث وتدوينه، اشتهر بالزهد والفقه والصلابة، فقلد المظالم والأحكام للمنصور بن أبي عامر ومن بعده، فقام بها أحسن قيام[1].

أبو حاتم محمد بن عبدالله بن ذكوان كان طلق اللسان، حسن الطبع، ولاه الحاجب عبدالملك المظفر خطة المظالم، فحُمدت سيرته فيها، توفي في منتصف شهر رمضان سنة ٤١٤هـ (نوفمبر ١٠٢٣م)[2].

---

١ - ترتيب المدارك، ١٨١/٧.

٢ - نفسه، ١٧٥/٧-١٧٦.

خطة الشورى

عندما تحدث ابن خلدون عن الخطط الدينية الشرعية، ذكر خطة الشورى تحت مسمى: الفتيا. فقال: "اعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة[1]".

وبما أن كلمة مفتي تعني كلمة مشاور، فلا حرج علينا هنا من استخدام أي اللفظين لأنهما يؤديان نفس المعنى.

ومن تولى مهمة الإفتاء فقد تصدر لأمر جسيم، لأن المفتي يوضح ماغَمُض على العامة من أمور دينهم ويدلهم على المسلك القويم الذي في انتهاجه الفلاح والنجاح.

ويكفي للدلالة على عظم منصب الإفتاء أن الباري جل وعلا قد تولاه بنفسه، فقد قال تعالى {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ}[2].

كما أن متوليه نائب عن النبي ﷺ وذلك في رواية العلم الشرعي الذي تركه المصطفى عليه الصلاة والسلام فيبلغه للناس وينشره بينهم، فقد روى البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: "بينا أنا نائم إذ أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى لأرى

١ - مقدمة ابن خلدون، ص٦٢٥.

٢ - سورة النساء، من الآية رقم ١٢٧.

الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، فقالوا: فما أولتها يارسول الله؟ قال العلم[١]".

من هنا تتضح عظم مترلة المفتي فهو مخبر عن الله تعالى، ونائب عن النبي ﷺ في تبليغ الأحكام الشرعية، وعليه فإن علم الفتوى "علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوثائق الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم[٢]".

وبما أن الأمر متعلق بالأحكام، إذاً ربما تساءل البعض عن الفرق بين المفتي والقاضي؟ وقد أجاب ابن فرحون عن هذا، فذكر أنه لافرق بينهما سوى أن المفتي مخبر بحكم شرعي ولكنه لايملك صفة الإلزام، بعكس القاضي الذي تكون أحكامه ملزمة[٣].

والملاحظ أن كل مجتمع من المجتمعات، وفي أي عصر من العصور، يسير وفق أنظمة محددة دينية أو اقتصادية ونحوها. وفي كل مجتمع تبرز ظواهر ذات أثر ملموس على سلوك أفراد المجتمع وتوجيه طاقاتهم.

والواجب على من اختص بتتبع الظواهر الاجتماعية محاولة توظيف الإيجابي منها لصالح المجتمع والعمل على الحد إن لم يمكن إزالة السلبي منها.

---

١ - محمد حبيب الله بن سيدي عبدالله الجكني الشنقيطي، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٥٩هـ) ١/١٠١.

٢ - مفتاح السعادة، ٢/٦٠١.

٣ - تبصرة الحكام، ١/٧٤.

وبما أن المجال الذي نتحدث فيه هو عن الفتوى أو الإفتاء، فإن من الظواهر الملموسة جهل الكثير من أبناء الأمة الإسلامية بالكثير من أمور دينهم، وهنا يأتي دور المفتي في الإجابة على أسئلة الذين يعانون من نقص في معلوماتهم الشرعية.

والمستفتي يسير في معالجة هذا النقص وفق الإرشاد الذي يقدمه له المفتي، من هنا تتضح عظم المهمة الملقاة على عاتق المفتي تجاه أمته، ولذا فإن من عُرف بالتساهل والتسرع لايجوز أن يستفتى، لأنه في هذه الحالة عرضة لأن يَضل أو يُضل، بل إن المفتي الذي يتعمد إفتاء العامة بالتشديد والخاص من ولاة الأمور بالتخفيف وذلك في المسائل التي فيها أكثر من قول، هو رجل قد فرغ قلبه من تعظيم الله تعالى، وانصرف بكليته إلى الدنيا وحب الرئاسة والتقرب إلى الخلق دون الخالق[1]. ومأشبه هذا بالمفتي الماجن "الذي لايبالي أن يُحرم حلالاً أو بالعكس"[2] وبمقابل هذا فإن الفتيا لاتجوز إلا بما يرويه العدل عن المجتهد الذي يقلده المفتي[3].

ثقافة المفتي

اهتم الأندلسيون بشدة في المفتي أو المشاور، حتى أن بني أمية كانوا لايقدمون لهذا المنصب إلا من كان عالماً، ولايكتفى بذلك، بل لابد من

---

١ - المصدر السابق، ٧٤/١.

٢ - كشاف اصطلاحات الفنون، ١١٥٦/٣-١١٥٧.

٣ - تبصرة الحكام، ٧٧/١.

اختباره بواسطة مجالس مذاكرة متعددة تعقد لذلك[١]، وعلى هذا فلابـد أن يكون المتقدم لهذا المنصب صاحب ثقافة دينية قوية، تمكنه من اجتياز تلك المجالس، والحد الأدنى من هذه المعرفة الفقهية هي أن يكون قد نظر في المدونة والموطأ والمختصر، أو بقول لابن القاسم أو لأحد من نظرائه أو لسحنون أو لابن المواز أو لأصبغ أو لابن عبدوس أو أمثالهم[٢].

وإلى جانب هذه الكتب والأقوال؛ هناك مصادر اخرى على مـن أراد أن يكون راسخ القدم في الإفتاء إتقان تلك المصـادر، مـن ذلـك ماذكره ابن بشكوال عند ترجمته لأبي القاسم خلف مولى يوسـف بـن بهلول الشهير بالبربلي، المتوفى سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) أن أبـا الوليـد هشام بن أحمد كان يقول: "من أراد أن يكون فقيهاً مـن ليلتـه فعليـه بكتاب البربلي[٣]". ومن أضاف كتاب الأحكام الكبرى للقاضـي ابـن سهل ومنتخب ابن أبي زمنين وغيرهما من كتب الأحكام إلى الكتب التي سبق ذكرها بالإضافة إلى المداومة على دراسة الأصول، فإنه على حد قول ابن سهل، يحرز علم الأحكام على وجهه، ويدرك معرفة الأقضية علـى حقائقها، ويتعرف على المسلك الذي سار عليه شيوخ الفتيـا في هـذا المجال[٤].

---

١ - نفح الطيب، ٢١٤/٣.

٢ - تبصرة الحكام، ٧٥/١.

٣ - الصلة، ترجمة رقم ٣٨٣.

٤ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٢٣٢.

ولكن مهما بلغت ثقافة المفتي الدينية، وتبحره في المسائل، فإنه لايستغني أبداً عن الدربة التي تمكنه من فهم مايلقى إليه من أسئلة، وقد اعترف كبار أهل الفتيا بالأندلس أنهم في مجالسهم الأولى عانوا بشدة من قلة الدربة، وفي هذا يقول ابن سهل: "وكثيرا ما سمعت شيخنا أبا عبدالله بن عتاب رضي الله عنه يقول: الفتيا صنعة، وقد قاله قبله أبو صالح أيوب بن سليمان بن صالح رحمه الله، قال: الفتيا دربة، وحضور الشورى في مجالس الحكام منفعة وتجربة، وقد ابتليت بالفتيا فما دريت ما أقول في أول مجلس شاورني فيه سليمان بن أسود، وأنا أحفظ المدونة والمستخرجة الحفظ المتقن والتجربة أصل في كل فن ومعنى مفتقر إليه[١]".

وهناك شروط لابد من توافرها في من سيتم اختياره للفتيا، وهي نفس الشروط الواجب توفرها فيمن يلي القضاء، إلا أن سلامة الحواس أمر يمكن تجاوزه عند اختيار المفتي.

ولدينا نماذج متعددة لفقهاء تولوا الفتيا بالأندلس لم يكونوا سليمي الحواس بصورة مكتملة من هؤلاء:-

الفقيه القرطبي محمد بن يوسف بن مطروح، المتوفى يوم عاشوراء سنة ٢٧١هـ (يوليو ٨٨٤م) كانت الفتيا دائرة عليه أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن رغم أنه كان أعرجاً[٢].

---

١ - المعيار المعرب، ٧٩/١٠.

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٣١. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١١٣.

الفقيه أحمد بن محمد بن زكرياء، الشهير بالرصافي، قرطبي مفتي، كان مكفوفاً، يجتمع حوله أهل الحسبة. توفي في شهر صفر ٣٦٢هـ (نوفمبر ٩٧٢م)[١].

الفقيه سعيد بن حمدون بن محمد القيسي، المتوفى يوم الخميس لأربع بقين من ذي القعدة سنة ٣٧٨هـ (مارس ٩٨٩م) فقد كان أعور[٢] العين اليمنى، ولذا فقد كانت العامة تسميه: دجال الفقهاء[٣].

سن المفتي

ورد لدى القاضي عياض أن الفقيه العدل القرطبي محمد بن محمد بن أبي دليم، المتوفى ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة من شهر رمضان سنة ٣٧٢هـ (مارس ٩٨٣م) "كان لايرى أن يسمى طالب العلم فقيهاً حتى يكتهل ويكمل سنه[٤]".

من هذا النص يتضح لنا أن هناك سناً قانونية لابد من بلوغها لمن أراد أن يتخذ لقب فقيه، والمفتي بطبيعة الحال لابد أن يكون فقيهاً، وعليه فكأن المسألة فيها تحديد عمر المفتي، لكن هذه القاعدة لم تطبق دوماً في الأندلس، إذ وجد من قُدِّم للفتيا وهو دون سن الكهولة بكثير.

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٦٢.

٢ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٥٢٥.

٣ - ترتيب المدارك، ١٢/٧.

٤ - المصدر السابق، ١٥١/٦.

فالفقيه أحمد بن بقي بن مخلد قدمه الأمير عبدالله بن محمد للشورى وهو ابن خمس وعشرين سنة، وذلك لأنه "كان في حداثة سنه معظماً، موسوماً بالخير، معروفاً بالفضل، ظاهر السؤدد[١]".

وكان الفقيه عبدالملك بن العاص بن محمد بن بكر السعدي، المتوفى يوم السبت لثمان بقين من شهر المحرم ٣٣٠هـ (أكتوبر ٩٤١م) قد ظهر فقهه مبكراً، ولذا نرى قاضي الجماعة أسلم بن عبدالعزيز يقدمه للشورى حتى قبل أن يرحل للمشرق[٢].

وكان قاضي الجماعة أحمد بن بقي بن مخلد يشاور الفقيه محمد بن عبدالله بن أبي عيسى المتوفى سنة ٣٣٩هـ (أغسطس ٩٥٠م) مع سائر الفقهاء وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره[٣].

ولم يقف الأمر عند تقديم من بلغ سن الثلاثين من عمره للشورى، فقد قُدِّم لها من هو دون ذلك بكثير، فالفقيه ابن الباجي أحمد بن عبدالله بن محمد اللخمي، المتوفى ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر

---

١ - قضاة قرطبة، ص ١١٢.

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣٣٠. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٢٠. ترتيب المدارك، ٦/١٤٥.

٣ - ولد ابن أبي عيسى سنة ٢٨٤هـ، ورحل إلى المشرق سنة ٣١٢هـ، وعاد سنة ٣١٤هـ، انظر: قضاة قرطبة، ص١١٩-١٢٠.

المحرم سنة ٣٩٦هـ (أكتوبر ١٠٠٠م) شاوره قاضي إشبيلية ابن أبي الفوارس وهو ابن ثماني عشرة سنة فقط[١].

وبصفة عامة فإن مسألة تقديم الشباب للشورى هي مسألة استثنائية يحكمها في الغالب النبوغ الفقهي المبكر لذلك الشاب، أما في الأحوال العادية فلا يقدم لها إلا من اكتهل سنه كما ذكر ذلك الفقيه ابن أبي دليم[٢].

معايير التقديم للفتيا "الشورى"

إذا اشتهر أمر أحد طلاب العلم بسعة المعرفة ورسوخ القدم في الفقه، لاشك أنه سيقدم لمرتبة الإفتاء لكفاءته.

لكن يحدث أحياناً أن يُقَدَّم أحدهم للشورى ويُستدعى من موطنه إلى قرطبة لتوليها نتيجة لعداوة تنشب بين فقهاء قرطبة، فقد وصل الفقيه عبدالملك بن حبيب إلى خطة الشورى بقرطبة بعد أن طلب قاضي الجماعة يحيى بن معمر من الأمير عبدالرحمن الأوسط استدعاءه من إلبيرة، وذلك ناتج عن تلك العداوة المستحكمة بين القاضي وبقية فقهاء قرطبة[٣].

كما أن الفقيه عبدالأعلى بن وهب بن عبد الأعلى، المتوفى سنة ٢٦١هـ (٨٧٥م) وصل إلى خطة الشورى بعد أن "شهد يحيى بن يحيى

---

١ - الصلة، ترجمة رقم ١٥.

٢ - تاريخ القضاة في الأندلس، ص ٣٣٧.

٣ - قضاة قرطبة، ص٥٠.

وسعيد بن حسان وقاضي الجماعة آنذاك وبعض الفقهاء عند الأمير عبدالرحمن الأوسط بأنه يستحق التقديم لخطة الشورى، فأمر بتقديمه[١].

ووصل الفقيهان "أبو عمر أحمد بن عبدالملك المعروف بابن المكوي وأبو بكر محمد بن عبدالله المعيطي إلى خطة الشورى بعد أن تمكنا من جميع أقوال الإمام مالك بن أنس رحمه الله من كافة الروايات بمائة جزء وأسمياه "الاستيعاب الكبير" وبعد أن تصفحه الخليفة الحكم المستنصر "سُرَّ به ووصل كل واحد منهما بألف دينار، ومنديل كتب وقدمهما للشورى[٢]".

لباس المفتي

جرت العادة في الأندلس على أن لايقدم للفتوى إلا من توفرت فيه شروط سبق معرفتها فإذا اتفقت الكلمة على تقديم أحدهم لهذا المنصب، جعلوا له لباساً خاصاً يكون دلالة على المرتبة التي وصلها، واللباس الذي يختص به هو "القالس والرداء[٣]" إذ لايضع القالس عندهم إلا من حفظ المدونة وحفظ عشرة آلاف حديث بأسانيدها عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم[٤].

---

١ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣٣٣. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٣٧.

٢ - ترتيب المدارك، ٧/١٢١-١٢٢.

٣ - نفح الطيب، ٣/٢١٦.

٤ - ذكر بلاد الأندلس، ١/٣٤.

وقد كان عدد الذين يلبسون القالس والرداء في الأندلس كـــثيراً، ومن كان منهم سكنه بالقرب من قرطبة حضر للصلاة يوم الجمعـــة في قرطبة ثم يسلم على الأمير أو الخليفة ويطالعه بأخبار بلده[١]، وكان يشهد صلاة الجمعة بجامع الزهراء مع الخليفة عبدالرحمن الناصر مـــن العلمـــاء والفقهاء ثلاثة آلاف وخمسمائة مقلس[٢].

وعلى المفتي أن يهتم بهيئته، وذلك فيما يتعلق بجمال المظهر وحسن الزي وفق الوضع الشرعي، لأن في الحرص على ذلك وقع ملموس علـــى نفس المقابل، إذ الخلق مجبولون على تعظيم الصور الظاهرة، واهتمام المفتي بهيئته تجعل له مكانة في قلوب العامة، الأمر الذي يجعل هناك مجالاً واسعاً للإقتداء به.

ويكفي للدلالة على أهمية المظهر أن الذي لديه رغبة أكيدة في التعلم عليه أن يهتم بمظهره، وهذا مانصح به الفقيه الأندلسي زياد بن عبدالرحمن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي في بداية طلبه العلم عند زياد، فقد قال له "يابني إن كنت عازماً على التعلم، فخذ من شعرك وأصلح زيك[٣]".

ثم لابد أن يلتزم بمظهر الاحتشـــام والأدب، ويتصـــف بالســـكينة والوقار لأن ذلك مدعاة لأن يرغب المستمع في قبول مايقوله وينصح به.

١ - المصدر السابق، ١/٣٤.

٢ - نفسه، ١/١٦٦.

٣ - ترتيب المدارك، ٣/٣٨٠.

وعندما سئل الفقيه يحي بن يحيى الليثي عن عدم انبساطه أمام الناس في المحافل العامة كانبساطه في مجالسه الخاصة، قال: "لو فعلت ذلك لتلوعب بين يدي، وأنا أحب أن يقتدى بي كما اقتديت أنا بغيري[١]".

موارد دخل المفتي

إن ارتفاع المستوى المادي نوعاً ما للمفتي أمر محبب وذلك خشية أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين[٢].

وقد أورد المقري قصة الأمير الحكم الربضي عندما أراد تقديم أحد الفقهاء للإفتاء، فقد جمع كبار أهل الفيتا أمثال يحي بن يحي وعبدالملك بن حبيب وغيرهما، وعندما طرح الأمير رغبته عليهم، أجابوه بأنه أهل لذلك إلا أنه فقير لامال له، وهو في هذه الحالة على خطر عظيم، لأنه سوف يتعرض للمواريث والوصايا وماشابهما واضطر الحكم الربضي أمام صلابة موقف الفقهاء بالإضافة إلى رأي ابنه الأمير عبدالرحمن إلى إعطاء ذلك الفقيه الذي يريد ترشيحه للإفتاء من المال ما أغناه به وأهلّه لتلك المنزلة، وأعطاه من اصطبله الخاص مركوباً، فكانت هذه الأعطية مكرمة لاخفاء فيها[٣].

---

١ - المصدر السابق، ٣/٣٩٠.

٢ - نفح الطيب ٣/٢١٤ هذا ليس على إطلاقه، ولكن للاحتياط فالأولى أن يكون من أهل الثراء لكي لايلتفت للأموال التي ستجري على يديه، كما أنه لايمكن إغراؤه بها، وإن كان أمر مخافة الله تعالى ليس له علاقة بالغنى أو الفقر.

٣ - المصدر السابق، ٣/٢١٤-٢١٦.

وإذا أتينا للتطبيق الفعلي على أهل الفتيا بالأندلس لنرى أحـــوالهم المادية، سنجدهم من الموسرين بصفة عامة، فالفقيه العدل محمد بن عيسى بن عبدالواحد المعافري المعروف بالأعشى، المتوفى سنة ٢٢٢هـــ (٨٣٧م) كان من الميسورين حتى أنه عندما غلت الأسعار بقرطبة أمر بتفريق مخازن أطعمته على الناس بطريقة جعلت الكل فيها يأخذ حتى الشريف المحتـــاج والمتعفف المستور ومن لاينكشف لأخذ الصدقة[١].

وكان شيخ الفقهاء يحيى بن يحيى الليثي يلبس ملابس غالية الـــثمن كلها من الوشي الرفيع وذلك في الأعياد والمناسبات الرسمية أو عندما يريد الدخول على الأمراء[٢]. كما كان نعل زوجته مرصعاً بالدر واليـــاقوت الأمر الذي عرضه لانتقاد بعض زملائه من الفقهاء[٣].

وكان الفقيه المشاور عبدالملك بن حبيب المتوفى ســـنة ٢٣٨هـــــ (٨٥٣م) قد حبَّس أملاكه بالبيرة على المسجد الجامع بقرطبة[٤]، وكـــان أبوه حبيب يعمل عطاراً، ولذا فقد ذكر أن ابنه عبدالملك كـــان يعصـــر الأدهان ويستخرجها[٥].

---

١ - ترتيب المدارك، ١١٥/٤-١١٦.

٢ - المصدر السابق، ٣٩١/٣.

٣ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٧١.

٤ - الإحاطة، ٥٤٩/٣.

٥ - ترتيب المدارك، ١٢٢/٤.

وأما الفقيه عبدالأعلى بن وهب فقد كان موسراً، إذ كانت له جنة بالقرب من مقبرة قريش يعمل بها مع بعض تلاميذه والكل يشـــاركه في طعامه[١].

وقد بلغ ثراء الفقيه المشاور أبو زيد عبدالرحمن بن سعيد التميمـــي الشهير بالجزيري المتوفى في شهر شعبان ٢٧٥هــ (ديسمبر ٨٨٨م) درجة كبيرة، حتى أن الوصفاء كانوا يقفون على رأسه فقد كان متشبهاً بأمراء بني أمية ورجالهم من حجاب ووزراء مخالطاً لهم، حـــتى كـــانوا يأتونـــه ويأتيهم[٢].

وأما الفقيه المشاور عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي المتـــوفى يـــوم الاثنين لعشر خلون من رمضان سنة ٢٩٨هــ (١٣مـــايو ٩١١م) فقـــد كان كريماً عظيم المال والجاه، وبجوده تضرب الأمثال حـــتى قـــال فيـــه أحدهم :-

وإنك غيث آخر الدهر هامع ... كمـــا أنت بدر آخر الليل طالع

وقد سرني أن فزت بالحمد والعلا ... وأنـــك للدنيا وللدين جامع[٣]

١ - المصدر السابق، ٤/٢٤٨.

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣١٦. ترتيب المدارك، ٤/٢٦٣.

٣ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣١٠. ترتيب المدارك، ٤/٤٢١-٤٢٣.

وكان الفقيه المشاور محمد بن إبراهيم بن عيسى الكتاني الشهير بابن حيوه، المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) عظيم الوجاهة، مشبهاً بأهل الدنيا، خارجاً من طبقة أهل العلم[١].

وأما الفقيه عبدالله بن محمد بن موسى، المتوفى بحاضرة استجة يوم الأربعاء للنصف من جمادى الأولى سنة ٣٧٩هـ (٢٣ أغسطس ٩٨٩م) فقد كان صدرا فيمن يستفتى ببلده استجة، ويصفه ابن الفرضي بقوله أنه "كان عظيم الجاه والحرمة، كريم النفس، سرياً متصرفاً في أمور الناس، مداخلاً للسلطان[٢]".

والفقيه المشاور أبو بكر عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، والد الوزير ابن زيدون، توفي بالبيرة في توجهه إليها لتفقد ضيعته، وذلك لست خلون من ربيع الآخر سنة ٤٠٥هـ (أكتوبر ١٠١٤م)[٣].

وكان الفقيه أبو بكر بن زهر الإيادي من أهل إشبيلية، توفي بطلبيرة سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وكان يمتلك بإشبيلية الأموال الكثيرة والضياع[٤].

---

١ – أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٢٠٤. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٢١إلا إنه ذكر أنه اشتهر بابن جُيوية.

٢ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٤٥.

٣ – ابن الأبار، التكملة، (طبعة الحسيني)، ترجمة رقم ١٩٤١.

٤ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٧٣.

مما سبق نلاحظ أن جل أولئك الفقهاء الذين تصدروا للإفتاء والمشاورة كانوا من المستورين إن لم يكونوا من المياسير. لكن هذه الصورة لايمكن أن تشمل الكل فقد وجد بين أهل الأفتاء من كان أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى، فالفقيه أصبغ بن خليل، المتوفى سنة ٢٧٣هـ (٨٨٦م) كان يلي رئاسة الإفتاء بالأندلس مدة خمسين عاماً[١]. ومع ذلك فقد كان فقيراً لم يكتسب شيئاً، حتى أن أبا عمر ابن عبدالبر يذكر أن تركة أصبغ عند وفاته بلغت مائة دينار فقط[٢].

ونظراً لأهمية منصب المفتي في الأندلس، فلنا أن نتوقع أن لايتصدر أحد للإفتاء إلا من بعد صدور ظهير رسمي من قبل الأمير أو الخليفة، ولعل من الأدلة المؤيدة لهذا ماجرى في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط عندما قام قاضي الجماعة آنذاك بمشاورة الفقيه عبدالأعلى بن وهب دون إذن مسبق من الأمير الذي ما إن علم بالأمر حتى عنَّف قاضي الجماعة وأغلظ له، كما لحقت الفقيه ابن وهب غضاضة[٣].

ومن الملاحظ أن منصب الإفتاء -الشورى- يمكن أن يكون متوارثاً، حاله في ذلك حال بقية المناصب في دولة بني أمية بالأندلس، فالفقيه المشاور يحيى بن يحيى الليثي ترك ولدين هما: إسحاق المتوفى سنة ٢٦١هـ (٨٧٥م) وعبيد الله المتوفى سنة ٢٩٨هـ (٩١١م)، وكلاهما

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٤٧.

٢ - تبصرة الحكام، ١/٧٠.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٣٧. ترتيب المدارك، ٤/٢٤٦-٢٤٧.

تولى الإفتاء بقرطبة، بل إن عبيدالله كان منفرداً برئاستها[١]، كما أن أحمد بن حكم بن محمد العاملي تولى الشورى بقرطبة بعد وفاة أخيه يحيى في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر[٢].

رئاسة الإفتاء بقرطبة

يحتل فقهاء قرطبة المالكيون مكانة رفيعة لدى أهل المغرب والأندلس، حتى أنه إذا وقعت مسألة فقهية في إحدى النواحي، وأفتى فيها فقهاء تلك الناحية، ربما أصرَّ صاحب المسألة على ضرورة الوقوف على رأي فقهاء الحضرة بقرطبة.

وقد ذكر القاضي عياض قصة حادثة وقعت بمدينة سبتة في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أفتى فقهاء سبتة بفتوى لم يقتنع بها صاحب الدعوى، فطلب من القاضي أن يرسل بتفاصيل المسألة إلى فقهاء قرطبة، فأتتهم الفتوى من الفقيه ابن المكوي بخلاف رأي فقهاء سبتة الذين تلقوه بالقبول[٣].

ولايصل لرئاسة فقهاء الفتيا بقرطبة إلا من كان متميزاً عن أقرانه من معاصريه بمزايا علمية تؤهله لذلك المنصب، ويلاحظ أحياناً اشتراك أكثر من فقيه بالرئاسة، ومن خلال تتبع تراجم فقهاء الأندلس حاولت أن أخرج بترتيب زمني لرئاسة الفتيا بقرطبة وهم:

---

١ - المصدر السابق، ٤/٤٢١-٤٢٤.

٢ - الصلة، ترجمة رقم ٢٥.

٣ - ترتيب المدارك، ٧/١٣٠-١٣١.

الفقيه قاضي الجماعة معاوية بن صالح، المتوفى سنة ١٦٨هـ (٧٨٥م) هو رأس أهل الإفتاء في الأندلس طيلة ستة وعشرين عاماً، وذلك على عهد الأمير عبدالرحمن الداخل، فهو "إمام فقيه[١]" وكان من طبقة الإمام مالك بن أنس رحمه الله بل إنه شاركه في بعض رجاله[٢] " وكان ممن يستغني بعقله وعلمه وفهمه عن مشاورة غيره[٣]".

الفقيه عامر بن أبي جعفر المتوفى في أيام الأمير هشام الرضا، كانت الفتيا بقرطبة تدور عليه مع من عاصره من شيوخ الفتيا بقرطبة[٤].

الفقيه أبو عبدالله صعصعة بن سلام الشامي، توفي سنة ١٩٢هـ (٨٢٧م) كانت الفتيا دائرة عليه في الأندلس[٥].

الفقيه أبو عبدالله عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، المتوفى سنة ٢١٢هـ (٨٧٢م) كان أفقه من يحيى بن يحيى الليثي، وفي زمانه كانت الفتيا دائرة عليه، وذلك طيلة أيام الأمير الحكم الربضي ومطلع أيام الأمير عبدالرحمن الأوسط[٦].

---

١ – تذكرة الحفاظ، م١ ج١ س ١٧٦.

٢ – قضاة قرطبة، ص ١٥.

٣ – النباهي، ص٤٣.

٤ – أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣٧٠. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٦٢٨.

٥ – المصدر السابق، ترجمة رقم ٦١٠.

٦ – نفسه، ترجمة رقم ٩٧٥.

الفقيه أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي، المتوفى سنة ٢٣٤هـ (٨٤٨م) رحل إلى المشرق وعمره ثمان وعشرون سنة، وبعد عودته إلى الأندلس عادت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار إلى رأيه[١] ورغم مكانة الفقيهين عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى إلا أنهما كانا يمتنعان عن الإفتاء إذا قدم إلى قرطبة أبو موسى عبدالرحمن بن موسى الهواري حتى يرحل عنها[٢]. وذلك إجلالاً لقدره واعترافاً بسعة علمه وفضله.

ورغم هذه المكانة السامية للهواري إلا أنه لم يتولى رئاسة أهل الإفتاء، ولعل السبب في هذا يعود إلى عوامل منها أنه ربما لم يكن أسن نظرائه، إذ أن عامل السن مهم في هذا الأمر، كذلك لم يكن من سكان قرطبة إذ كان يقيم ببلدة استجة، إضافة إلى أن للعلاقة التي بينه وبين إمارة قرطبة أثر في هذه المسألة.

الفقيه أبو مروان عبدالملك بن حبيب، اشتهر بالعلم والرواية في بلده البيرة، وسمع الأمير عبدالرحمن الأوسط به وبفضله، فأمر بنقله إلى قرطبة، فتولى فيها زعامة الإفتاء مع الشيخ الفقيه يحيى ابن يحيى، وبعد وفاته سنة ٢٣٤هـ (٨٤٨م) انفرد ابن حبيب برئاسة الفتيا من بعده إلى أن أدركته الوفاة في أوائل أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٣٨هـ[٣].

١ - نفسه، ترجمة رقم ١٥٥٦.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ٧٧٨.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨١٦. ترتيب المدارك، ٤/١٢٢-١٤١.

وفي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن كانت الفتيا في الأندلس دائرة على ثلاثة من فقهاء قرطبة هم: عبدالأعلى بن وهب[١]، ومحمد بن يوسف بن مطروح[٢]، وأصبغ بن خليل[٣]، ومن بعد هؤلاء الثلاثة برزت شخصية الفقيه أبو عبدالرحمن بقي بن مخلد، المتوفى ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ٢٧٦هـ (٢٩ أكتوبر ٨٨٩م) فقد بلغ رتبة الإمامة والاجتهاد وجمع فتاوى الصحابة والتابعين، وكثيراً ماكان الأمير عبدالله بن محمد يستشيره[٤].

وطيلة عهد الأمير عبدالله بن محمد كانت الفتيا دائرة على أبي مروان عبيدالله بن يحيى الليثي المتوفى يوم الاثنين لعشر خلون من شهر رمضان سنة ٢٩٨هـ (١٣ مايو ٩١١م) فقد كان مقدماً في الفتيا، منفرداً برئاستها غير مدافع[٥].

وخلال السنتين الأخيرتين من عهد الأمير عبدالله بن محمد والأربعة عشر عاماً الأولى من عهد الأمير عبدالرحمن بن محمد كانت رئاسة الفتيا

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٣٧.

٢ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١١١٣.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ٢٤٧.

٤ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٦٣.

٥ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٦٤.

بالأندلس للفقيه أبي عبدالله محمد بن عمر بن لبابه، المتوفى ليلة الاثنين لأربع بقين من شعبان سنة ٣١٤هـ (نوفمبر ٩٢٦م)[١].

والفقيه أبو بكر أحمد بن عبدالله بن أحمد الأموي، المعروف باللؤلؤي المتوفى يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من جمادى الأولى سنة ٣٤٨هـ (١٣ يوليو ٩٥٩م) كان إماماً في حفظ الرأي على مذهب الإمام مالك، ولذا فقد كان مقدماً في الفتيا على أصحابه واستمر على منصبه قرابة ثلاثة عقود[٢] وانتهت رئاسة الإفتاء في عهد الخليفة الحكم المستنصر إلى عبيدالله بن الوليد، المعروف بالمعيطي، المتوفى في شهر محرم سنة ٣٧٨هـ (٩٨٨م) فقد كان عالماً بصيراً في المسائل والشروط، ومشاوراً في الأحكام[٣].

ومن أواخر عهد الخليفة الحكم المستنصر إلى مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، كانت رئاسة الإفتاء لأبي عمر أحمد بن عبدالملك المعروف بابن المكوي، فقد كان شيخ فقهاء الأندلس في وقته[٤]، مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة إذ انتهت إليه الرئاسة في ذلك[٥]، قلده الخليفة الحكم المستنصر الإفتاء برأي قاضي الجماعة ابن

---

١ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١١٨٩.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١٢٤.

٣ - ترتيب المدارك، ٦/٢٩٠.

٤ - المصدر السابق، ٧/١٢٣.

٥ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٢٣١.

السليم سنة ٣٦٥هـ (٩٧٦م)[١] ودارت الفتيا بالأندلس على ابن المكوي إلى وفاته في جمادى الأولى سنة ٤٠١ هـ (ديسمبر ١٠١٠م)[٢].

وبعد الفقيه ابن المكوى، آلت رئاسة الإفتاء للفقيه عبدالله بن سعيد بن عبدالله الأموي، الشهير بابن الشقاق، المتوفى يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رمضان سنة ٤٢٦هـ[٣] (١٠٣٥م) فقد كان أخر العلماء الأندلسيين النحارير المبرزين في الفقه والحفظ والحذق بالفتوى والشروط[٤].

وقد كان مشيخة الإفتاء يجتمعون عند قاضي الجماعة في المسجد الجامع أو أحد المساجد الصغيرة وهذه الجلسات لايحضرها سواهم، يقول الفقيه ابن عتاب: كنا نجتمع مع شيوخ الإفتاء عند قاضي الجماعة ابن بشر، فتطرح مسألة يختلف فيها القاضي مع الشيوخ، فيحاجهم ويناظرهم ويستظهر عليهم بالروايات والكتب حتى ينصرفوا وهو يقولون بقوله[٥].

---

١ - ترتيب المدارك، ١٢٤/٧.

٢ - المصدر السابق، ١٢٧/٧.

٣ - الصلة، ترجمة رقم ٥٨٧.

٤ - ترتيب المدارك، ٢٩٥/٧.

٥ - الصلة، ترجمة رقم ٦٩٨.

وقد حذر ابن عبدون من أن المشاور لايشاور في داره أبـداً، إذ أن ذلك مدعاة إلى أكل أموال الناس بالباطل، فضلاً عن أن مقابلتـه في داره ليس أمراً متيسراً دائماً[1].

والفتيا في الأندلس كانت دائرة في عصر الولاة على رأي السـلف الذي وصل إلى هناك بواسطة التابعين ومن أتـى بعـدهم رحمهـم الله تعالى[2]، ثم أصبحت الفتيا قائمة على مذهب الإمام الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧هـ (٧٧٤م) وذلك عندما عرف الأندلسيون ذلـك المـذهب في السنوات الأولى من عهد الأمير عبدالرحمن الداخل على يدي الفقيه أسد بن عبدالرحمن السبئي[3] وعند مطلع القرن الثالث الهجري أخذ المذهب

---

١ - ابن عبدون، رسالة في القضاة والحسبة، ص٩.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٩١، ٨١٦ الحميدي، جذوة المقتبس ص٦. وترجمة رقم ٤٤٤. نفح الطيب، ٢٧٨/١-٢٨٨، ١٢/٣. د.محمود مكي، رواد الثقافة الدينية الأولى بالأندلس، (مجلة البينة، الرباط، المغرب ج ٦،٧، جمادي الثانية ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ص٥١.

٣ - ورد في ترتيب المدارك ٢٦/١ ، ونفح الطيب ٢٣٠/٣، أن أهل الأندلس كـانوا على مذهب الأوزاعي منذ الفتح، ولكن إذا عرفنا أن الإمام الأوزاعي قد ولـد سـنة ٨٨هـ وفتح الأندلس تم سنة ٩٢هـ أدركنا عدم صحة ماذهب إليه القاضي عيـاض والمقري. ويمكن القول بأن الفقيه الأندلسي أسد بن عبدالرحمن السبئي (كان حياً بعـد ١٥٠هـ) هو أول من أدخل مذهب الأوزاعي للأندلس، فقد سبق جميع الأندلسيين في الأخذ عن الأوزاعي. انظر: الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقـم ٥٣. ابـن الفرضي، ترجمة رقم ٢٣٩.

المالكي يحل بقوة محل مذهب الاوزاعي، واختص الأندلسيون بآراء عبدالرحمن بن القاسم المتوفى سنة ١٩١هـ (٨٠٦م) [1] من بين أراء تلاميذ الإمام مالك حتى أنه أطلق على المغاربة عامة والأندلسيين خاصة أهم "مالكية قاسميون[2]" فقضاة الأندلس يعتبرون ابن القاسم مرجعهم الأول، حتى أن يحيى بن معمر الألهاني قاضي الجماعة في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، رفض أن يحكم في إحدى القضايا برأي أشهب بن عبدالعزيز، المتوفى سنة ٢٠٤هـ (٨١٩م) رغم أنه تلميذه، وعدل عنه إلى رأي ابن القاسم محتجاً بأن هذا ما وجد عليه إجماع أهل قرطبة[3].

وبعد وفاة ابن القاسم كان قضاة الأندلس يستشيرون تلميذه أصبغ بن الفرج، المتوفى سنة ٢٢٥هـ (٨٤٠م) [4] فقد تمسك الأندلسيون بآرائه بنحو لايقبل التجديد والتعديل أبداً ولعل أكثر من يمثل هذا الاتجاه المتشدد الفقيه المفتي أصبغ بن خليل القرطبي المتوفى سنة ٢٧٣هـ (٨٨٦م) الذي تتلمذ على ابن الفرج، وقد بلغ من شدة تمسك أصبغ بن خليل بآراء ابن القاسم أنه رغم فقره الشديد فقد كان يرفض الإغراءات

---

١ – عبدالرحمن بن القاسم بن خالد العتقي، ولد بمصر سنة ١٣٢هـ، ثم انتقل إلى المدينة ولازم الإمام مالك عشرين عاماً ويعد من أشهر تلاميذه ورواته، انظر: ترتيب المدارك، ٣/٢٤٤-٢٦١.

٢ – قضاة قرطبة، ص٥٠.

٣ – المصدر السابق، ص٥٠.

٤ – نفسه، ص٤٦-٤٧.

المادية على أن يتنازل في الإفتاء عن رأي ابن القاسم، يقول أبو عمر بـــن عبدالبر: سمع أحمد بن خالد يقول "دخلت على أصبغ بن خليل فقال لي: يأحمد، فقلت نعم، فقال انظر إلى هذه الكوة، لكوة فوق رأسه في حائط بيته، فقلت نعم، فقال: والله الذي لاإله إلا هو، لقد رددت منها ثلاثمائة دينار صحاحاً على أن أفتي في مسألة بغير رأي ابن القاسم مما قاله غـــيره من أصحاب مالك فما رأيت نفسي في سعة من ذلك[١]".

من هنا نخلص إلى أن الإفتاء في الأندلس كان معتمداً على المذهب المالكي وبالذات آراء ابن القاسم.

عرض فقهاء الشورى لآرائهم

إذا كانت هناك ضرورة لانعقاد مجلس الشورى لمناقشة أمر ما، أو الإفتاء في قضية من القضايا، فالمتوقع أنه لابد أن يتم توزيع نص المشكلة على كل عضو من أعضاء المجلس قبل إنعقاده بوقت كاف، ليتمكن كل منهم من مراجعة أقوال العلماء إن كان ناسياً ويتثبت من معلوماتـــه إن كان غير متيقن.

وكان من المتبع أن يقوم كاتب القاضـــي بتســـجيل أراء أولئـــك الفقهاء، لكن عندما تولى قضاء الجماعة الحبيب أحمد بن محمد بن زيـــاد اللخمي، سنة ٢٩١هـــ (٩٠٤م) طلب من الفقهاء المشاورين أن يقـــوم

---

١ - تبصرة الحكام، ١/٧٠.

كل منهم بتسجيل فتواه بيده في السجل، فكان هو أول من وضع هـذا الرسم وأصبح معمولاً به من بعده في الأندلس[١].

وطريقة التسجيل بالكتابة لآراء الفقهاء المشاورين هي إحدى طرق وصول رأي المشاور للقاضي، إذ أن هناك طريقة أخرى هـي المشـافهة وطريقة ثالثة تقوم على المناقشة والمناظرة[٢] وكـذلك تعتمـد طـريقتي المشافهة[٣] والكتابة[٤] لوصول آراء فقهاء الشورى للأمير أو الخليفة.

عدد فقهاء الشورى

كانت الفتيا في عهد الأمير عبدالرحمن الداخل والأيام الأولى مـن عهد ابنه الأمير هشام دائرة على ثلاثة فقهاء هم: عامر بن أبي جعفر[٥]، وصعصعة بن سلام[٦]، والغازي بن قـيس المتـوفى سـنة ١٩٩هـ (٨١٥م)[٧].

وفي عهد الأمير هشام الرضا كان مجلس الشورى لـدى قاضـي الجماعة المصعب بن عمران يتكون من صعصعة بن سلام، والغازي بـن

١ – قضاة قرطبة، ص١٠٢.

٢ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٦٨-٣٦٩.

٣ – نفح الطيب، ٢/١٠-١١.

٤ – قضاة قرطبة، ص٥٩-٦٠.

٥ – أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٧٢. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٦٢٨.

٦ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٦١٠.

٧ – المصدر السابق، ترجمة رقم ١٠١٥.

قيس وعبدالرحمن بن موسى الهواري، وعبدالملك بن حسن المعروف بزونان، المتوفى سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م) [١].

وكان مجلس شورى القاضي محمد بن بشير المعافري يتكون من: الغازي بن قيس وأبو محمد إسماعيل بن البشر التجيبي، المتوفى في أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وأبو عمرو حارث بن أبي سعد، المتوفى سنة ٢٢١هـ أو ٢٢٢هـ (٨٣٥م أو ٨٣٦م) وعبدالملك بن حسن المعروف بزونان ومحمد بن سعيد السبائي[٢].

وقد ذكر ابن عبدالبر أن الفتيا في أيام الأمير الحكم الربضي وابنه الأمير عبدالرحمن الأوسط كانت تدور على عيسى بن دينار ومحمد بن خالد الأشج، المتوفى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) وأبو عبدالله محمد بن عيسى بن عبدالواحد المعافري المعروف بالأعشى المتوفى سنة ٢٢١هـ (٨٣٦م) وزونان، ويحيى بن يحيى الليثي وسعيد بن حسان، المتوفى سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠م) وعبدالملك بن حبيب[٣].

وفي عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط كانت الفتيا في الأندلس تدور على الفقيه عيسى بن دينار وبعد وفاته أصبحت الفتيا تدور على الفقيه

---

١ - هذه الشخصيات هي مزيج من الأوزاعية والمالكية، وبصفة عامة يعتبر القاضي المصعب بن عمران ومجلس شوراه ممثلين للفترة الانتقالية من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي. انظر: سالم الخلف، المرجع السابق، ص ٢٦٣-٢٦٤.

٢ - ترتيب المدارك، ٣٣٢/٣.

٣ - المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي ص٤٢.

يحيى بن يحيى الليثي وحده من سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) إلى سنة ٢١٨هـ تقريباً (٨٣٣م) إذ شاركه منذ ذلك التاريخ في زعامة الفتيا الفقيه أبو مروان عبدالملك ابن حبيب[1].

وقد ذكر ابن حيان أن خمسة عشر فقيهاً دارت عليهم الفتيا في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن وولديه المنذر وعبدالله، وهؤلاء الفقهاء هم:

بقي بن مخلد، وحسن بن يحيى بن مزين المتوفى في صدر أيام الأمير عبدالله بن محمد، ومحمد بن أسباط المخزومي، المتوفى سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م) ومحمد بن وضاح المتوفى سنة ٢٨٧هـ (٩٠٠م) ويحيى بن عبدالله المعروف بابن الخراز المتوفى سنة ٢٩٥هـ (٩٠٧م) وعبيد الله بن يحيى بن يحيى المتوفى في سنة ٢٩٨هـ (٩١١م) ومطرف بن قيس، وأبو صالح أيوب بن سليمان بن صالح، وسعيد بن حمير، المتوفى سنة ٣٠١هـ (٩١٣م) وخالد بن وهب المعروف بالصغير، المتوفى سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) وسعد بن معاذ الشعباني، المتوفى سنة ٣٠٨هـ (٩٢٠م) ومحمد بن وليد. المتوفى سنة ٣٠٩هـ (٩٢٢م) ومحمد بن عمر بن لبابه، المتوفى سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) وسعيد بن عبدالملك بن السمح[2].

---

١ – قضاة قرطبة، ص٥٠،٤٦. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٩٧٥. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص٥٧.

٢ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه ص ٨.

ثم ألحق بهم ابن حيان مشيخة الفقهاء في عصر الأمير عبدالله بن محمد، وهم:-

محمد بن غالب المعروف بابن الصفار، المتوفى سنة ٢٩٥هـ (٩٠٨م) وأصبغ بن مالك المتوفى سنة ٢٩٩هـ (٩١٢م) وأحمد بن بيطير، المتوفى سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) ويحيى بن إسحاق بن يحي بن أبي عيسى، المتوفى سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) ومحمد الزراد، وأحمد بن عيسى بن يحيى بن يحيى الملقب بالثائر[١].

وأما في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر فقد بلغ عدد فقهاء الشورى ستة عشر فقيها مشاوراً، وكان المكمل للستة عشر هو الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة المتوفى بطليطلة سنة ٣٥٢هـ (٩٦٣م) وقد تم تقديمه للشورى على يد قاضي الجماعة ابن أبي عيسى، دل عليه ولي العهد الحكم في عدة ارتيدوا لها، فكملت عدتهم إذ ذاك ستة عشر مشاورا[٢].

ومن ما مضى نلاحظ أن عدد فقهاء الشورى بقرطبة كان في بداية عهد الدولة الأموية قليلاً إذ لم يتجاوزوا الثلاثة، ثم أخذ عددهم بالازدياد تدريجياً، لكنه لم يتجاوز الستة عشر، وربما تكون الزيادة في العدد، ذات

---

١ - نفس المصدر والصفحة.

٢ - ترتيب المدارك، ٦/١٢٧.

ارتباط وثيق باتساع قرطبة وكثرة سكانها وأنها أصبحت مركزاً علمياً، وبذلك كثر عدد طلاب العلم فيها، وبسبب ذلك تزايد عدد الفقهاء.

وقد سبق أن عرفنا أن القالس والرداء هما علامة للفقيه المفتي، وقد كان المقلسون المتواجدون في القرى المحيطة بقرطبة، يأتون لأداء صلاة الجمعة مع أمراء وخلفاء بني أمية وبعد الصلاة يلتقون بهم ويسلمون عليهم ويطلعونهم على أحوال أماكنهم التي وفدوا منها[١].

وكان فقهاء الشورى يتم اختيارهم من بين المجموع الكلي للفقهاء لأجل هذا فلا غرابة أن يصل تعداد فقهاء الشورى زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر إلى ستة عشر فقيها، خاصة إذا عرفنا أن عدد من يشهد معه صلاة الجمعة من الفقهاء والعلماء كانوا ثلاثة آلاف وخمسمائة مقلس[٢].

وبالمناسبة فإن فقهاء الشورى لايقتصر عملهم على مشاورة القاضي لهم فيما يعرض عليه من قضايا، إذ أن منهم من كان الأمير أو الخليفة يعتمد على رأيه في معالجة مشاكل الرعية وتدبير شئون الحكم، فقد كان الفقيه يحيى بن يحيى الليثي مرجعاً للقضاة، ولكنه في الوقت نفسه كان شديد الصلة بالأمير عبدالرحمن الأوسط حتى أنه غلب على رأيه "وألوى بإيثاره فصار يلزم من إعظامه وتكريمه وتنفيذ أوامره مايلتزمه الوالد

---

١ - ذكر بلاد الأندلس، ١/٣٤.

٢ - المصدر السابق، ١/١٦٦.

لأبيه[١]، وبالإضافة إلى أن الفقيه المشاور يقوم بعمله تجاه القاضي وأحياناً الأمير أو الخليفة، فإنه يحدث في بعض الأحيان أن تسند إليه مهام جسام في الدولة، من هؤلاء:-

الفقيه حارث بن أبي سعد كان مفتياً في آخر أيام الأمير الحكم الربضي وأحد أعضاء مجلس شورى قاضي الجماعة محمد بن بشير[٢]، ومع ذلك فقد ولاه الأمير عبدالرحمن الأوسط الشرطة الصغرى، و لم يزل عليها إلى أن توفي سنة ٢٢١هـ أو ٢٢٢هـ (٨٣٥م) [٣].

أبو محمد إسماعيل بن البشر التجيبي، كان أحد فقهاء الشورى في آخر أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن الذي ولاه الصلاة[٤].

أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطروح كان أحد الذين تدور عليهم الفتيا أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن الذي ولاه كذلك الصلاة[٥].

الفقيه المشاور أبو عبدالملك حسن بن عبيد الله بن محمد بن عبدالملك، المتوفى سنة ٣٣٦هـ (٩٤٨م) كان قاضي الجماعة ابن أبي عيسى كثيراً مايستخلفه على الصلاة بقرطبة[٦].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٤٢.

٢ - ترتيب المدارك، ٣/٣٣٢.

٣ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٨٧. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٢٦.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٠٩.

٥ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١١١٣.

٦ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٧٢. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٤٣.

أبو محمد موسى بن أحمد بن سعيد اليحصبي المعروف بالوتد، المتوفى سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) كان كاتباً لقاضي الجماعة محمد بن برطال، ثم قلد الشورى، وتولى رفع كتب المظالم وأصحاب الحوائج إلى المنصور بن أبي عامر(١).

وأبو عبدالله محمد بن قاسم بن محمد الأموي، المعروف بالجالطي، قلده قاضي الجماعة ابن فطيس الشورى سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م) وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بالزهراء، فكان آخر خطيب قام على منبره كما ولاه الخليفة هشام المؤيد أحكام الشرطة، قتله البربر يوم دخولهم قرطبة، في جوف بيته، يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣هـ (٢١ إبريل ١٠١٣م)(٢).

ومن المهام التي كانت تسند أحياناً للفقيه المشاور القيام بالإصلاح بين المتشاكسين، فقد اختار الأمير محمد بن عبدالرحمن الفقيه المشاور عبدالله بن محمد بن خالد بن مرتنيل المتوفى سنة ٢٥٦هـ (٨٧٢م) ليذهب إلى باجه لإصلاح ماوقع بين قبيلتي مضر واليمن بسبب العصبية(٣).

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٤٦٦. ترتيب المدارك، ٧/١٥٨-١٥٩.

٢ - الصلة، ترجمة رقم ١٠٦٠.

٣ - تجدر الإشارة إلى أن الفقيه رفض الذهاب إلى باجه إذ اعتبر أن مهمته قائمة فقط على نقل الكتب من الأمير إلى زعماء القبائل وبسبب رفضه سجن ثلاثة أشهر. ترتيب المدارك، ٤/٢٣٩-٢٤٢.

كما كان الفقيه المشاور أبو محمد عبدالله بن محمد الصابوني الشهير بابن بركة المتوفى سنة ٣٨٧هـ (٩٨٨م) كثيراً مايستعين به القضاة للإصلاح بين الناس وذلك لما امتاز به من حسن تناوله للمشاكل وصدق نيته في الإصلاح بين المتخاصمين[١].

ومن المهام التي يقوم بها الفقيه المشاور الوصاية على الأيتام، ولكن دون أن يكون ملزماً بالاستجابة للقاضي إن طلب منه القيام بهذه المهمة. يدل على ذلك أن الخليفة الحكم المستنصر عندما عاتب قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي على تقديمه لأوصياء سوء ليكونوا مسئولين عن الأيتام رد عليه القاضي بأن هذا غير مستغرب طالماً أن الفقهاء المشاورين الذين يُتوسم الخير فيهم لايتم إلزامهم بالقوة لتولي مهام الوصية على الأيتام[٢].

وعندما نقرأ تراجم فقهاء خطة الشورى، نجد أن العلاقة بينهم لم تكن على مايرام بصفة دائمة، بل إنها للتوتر أقرب منها إلى الصفاء، ولعل هذا ناجم عن التنافس في العلم فيما بينهم.

والنماذج على التنافر الموجود بين الفقهاء لاحصر لها، فمن ذلك نجد: أن قاضي الجماعة يحيى بن معمر الألهاني كانت علاقته بالفقيه يحيى بن يحيى الليثي وبقية فقهاء قرطبة غير طيبة لأن القاضي ابن معمر كان

١ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٤٣.

٢ – الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢٥٧.

لايلين لهم فيما يريدون، ولايصغي لهم فيما يحبون، لذا كانوا كلهم ضده، وكانت النتيجة عزله عن القضاء[١].

كذلك العلاقة بين الفقيهين المشاورين يحى بن يحى وعبدالملك بن حبيب لم تكن على مايرام، ورغم ماكان بينهما من شحناء إلا أن ذلك لم يخرج أي منهما عن جادة الحق، حتى أن الأمير عبدالرحمن الأوسط عندما بلغه أن الفقيه يحى بن يحى وقاضي الجماعة إبراهيم بن العباس يتآمران على خلعه، استدعى الفقيه ابن حبيب وسأله عن حقيقة هذه القصة، فأجابه قائلاً: "قد علم الأمير مابيني وبين يحى ولكني لاأقول عليه إلا الحق ليس يجئ من يحى إلا مايجيء مني، وكل مارفع عليه فباطل[٢]".

وكان الفقيه عبدالملك بن حبيب محسوداً من قبل بقية الفقهاء لأنه مبرز في علوم هم على غير علم بها[٣].

وفي منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نجد أن الفقيهين ابن المكوي والمعيطي قد جرى بينهما خلاف شديد على من يكتب اسمه أولاً على الكتاب الذي جمعا به أقوال الإمام مالك بمائة جزء وأسمياه كتاب الاستيعاب الكبير[٤].

---

١ - قضاة قرطبة، ص٤٧-٤٨.

٢ - ترتيب المدارك، ٤/١٣١.

٣ - المصدر السابق، ٤/١٢٩.

٤ - نفسه، ٧/١٢٢.

وهذا الفقيه الموثق ابن العطار يُعزل عن خطة الشورى ويُسقط عن الفتيا وذلك بسبب تمالؤ الفقهاء عليه[١].

وهكذا نجد أنفسنا أمام فئة أقل مايقال عن العلاقة بين أفرادها أنها غير ودية نوعاً ما ولذا فلا عجب عندما نرى أن أحدهم يُسجَّل عليه بالسخطة ويعزل عن منصبه، ثم إن فقهاء الشورى بعلاقاتهم تلك قد فتحوا المجال أمام رجال السلطة من حجاب ووزراء وغيرهم، بالدخول بينهم وزيادة التوتر في علاقاتهم، مما يجعل أحدهم صيداً سهلاً للحكام، حتى أن المنصور بن أبي عامر لم يحتمل أن يصحح له الفقيه ابن العطار كلمة أخطأ فيها المنصور واعتبر ذلك إهانة، فوبخه وأمر بإخراجه واستمال الكثير من الفقهاء للشهادة ضده حتى أُسقط عن رتبته[٢].

رفض منصب الشورى

كان الفقيه المشاور ينظر إلى منصبه نظرة كلها حذر، ويكفي للدلالة على نظرته تلك ومعاناته من ذلك المنصب، ماأورده ابن بشكوال من أن شيخ أهل الشورى في زمانه الفقيه محمد بن عتاب بن محسن الجذامي، المتوفى سنة ٤٦٢هـ (١٠٧٠م) كان يهاب الفتوى ويخاف عاقبتها بالآخرة، وكان يقول: "من يحسدني فيها جعله الله مفتياً" وإذا

---

١ - نفسه، ٧/١٤٨.

٢ - نفسه، ٧/١٥١.

رُغِّب في ثوابها وغُبط بالأجر عليها يقول: "وددت أني أنجو منها كفافاً لا علي ولاليا[١]".

لأجل هذا نجد أن الكثير من الفقهاء يرفضون منصب "الفقيه المشاور" منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن باز، المعروف بابن القزاز، المتوفى ليلة الخميس لثمانية أيام مضين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٤هـ (أغسطس ٨٨٧م) فقد عرض عليه الأمير محمد بن عبدالرحمن قضاء الجماعة فرفض، ثم طلب منه الأمير أن يكون أحد الداخلين عليه ليستشيره في أموره، لكنه رفض أيضاً، وعندما حاول الأمير أن يضغط عليه لقبول المشاورة أخبره الفقيه ابن باز بأنه سوف يرحل عن الأندلس إن كرر عليه هذا الطلب، فما كان من الأمير إلا أن أعرض عنه[٢].

كذلك رفض منصب الشورى الفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد الجبليّ، المتوفى سنة ٣١٣هـ (٩٢٥م)[٣] والفقيه أبو عمر أحمد بن عبادة بن علكدة الرعيني المتوفى في شهر رجب ٣٣٢هـ (٩٤٤م)[٤]. وفي أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حاول الخليفة على بن حمود بإشارة من قاضي الجماعة عبدالرحمن بن بشر المتوفى سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) أن يقدم الفقيه عبدالرحمن بن مروان بن عبدالرحمن

---

١ - الصلة، ترجمة رقم ١١٩٤.

٢ - قضاة قرطبة، ص١٠٦. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠.

٣ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٧٩. ابن الفرضي ترجمة رقم ١١٨٥.

٤ - ترتيب المدارك، ٦/٩٣-٩٤.

الأنصاري المعروف بالقنازعي، المتوفى سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م) لخطة الشورى، لكنه رفض، ولم يرهب سطوة الخليفة علي بن حمود التي قدَّر القاضي ابن بشر أن الفقيه القنازعي سيداريها، ثم اعتذر عن ذلك بأنه يحتاج لطلب العلم حتى يكون مؤهلاً لهذا المنصب[1].

وكما أن هناك من رفض منصب الشورى، فإن هناك من تقلده ثم طلب الاستعفاء منه، فهذا الفقيه محمد بن عبيد الله بن الوليد المعيطي، المتوفى سنة ٣٦٧هـ (٩٧٨م) قد قدم للفتيا وهو في شبابه، وصارت إليه رئاسة قرطبة بالعلم والشرف والقرب من الخليفة، ولكنه سرعان مازهد في ذلك كله وطلب الإعفاء من الفتيا وانقطع للعبادة حتى وافته المنية[2].

ولايتم عزل الفقيه المشاور إلا إذا طلب هو الاستعفاء، أو تمت ترقيته إلى منصب أعلى[3]، وكما ذكرنا من قبل أن هناك ظهير يصدر عند ترقية أحد الفقهاء للشورى، فإن ظهيراً آخر يصدر عند إعلان السخطة عليه وعزله عن منصبه، وكما أن الشهادات التي من قبل الفقهاء تسجل لصالحه في المرة الأولى، فهي في الثانية تثبت ضده، كلها تجرح في عدالته وتؤكد عدم أهليته لمنصبه. ويحدث أحياناً أن ترفع قضية من القضايا للأمير أو الخليفة فيها فتاوى الفقهاء، وبعد تقليبه لها، وتدقيقه

١ - الصلة، ترجمة رقم ٦٩٤.

٢ - ترتيب المدارك، ٧/١١٩-١٢٣.

٣ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٧٨.

فيها، يصدر حكمه على ضوئها، فربما تكون تلك الفتاوي سبباً في عزل أحد فقهاء الشورى[١].

وأما إذ كان الفقيه المشاور سيء الذكر فإن العزل مصيره، فالفقيه المشاور محمد بن يحيى بن لبابه لم يكن بالمرضي في نفسه وكان الثناء عليه من أقرانه قليلاً[٢]، ولذا فقد سجل عليه قاضي الجماعة الحبيب بن زياد سخطته، ثم رفع ذلك إلى الخليفة عبدالرحمن الناصر الذي أصدر ظهيراً بإسقاط ابن لبابه عن مترلة الشورى، وأمره بلزوم بيته وعدم إفتاء أحد[٣].

وللأمور السياسية دور في العزل عن خطة الشورى، وهذا ما فعله المنصور بن أبي عامر مع الفقيهين أصبغ بن الفرج الطائي وأبي بكر بن وافد بسبب عدم إفتائهما بجواز التجميع بمسجد الزاهرة[٤].

وقد عرفنا من قبل أنه لايتم إسقاط الفقيه المفتي عن مرتبته إلا بشهادة الفقهاء ضده بأنه غير أهل للرتبة التي هو فيها، وعلى هذا الأساس يرفع قاضي الجماعة كتاباً للأمير أو الخليفة بهذا الخصوص، فيصدر من لدنه ظهيراً بإسقاط ذلك المفتي من مرتبته.

---

١ - قضاة قرطبة، ص٥٩-٦٠.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٣١.

٣ - ترتيب المدارك، ٨٧/٦.

٤ - المصدر السابق، ١٥٩/٧-١٦٠.

وبالرغم من أن الفقيه المشاور ابن العطار قد أُسقط عن مترلته نتيجة موقف سياسي، إلا أننا وجدنا في قصته أنموذجاً واضحاً لمشاور جُرِّد من منصبه ثم أعيد إليه.

فبعد أن سلّط عليه الحاجب المنصور بن أبي عامر قاضي الجماعة ابن زرب وبقية الفقهاء، جاءت الشهادات ضده من جميع الفقهاء إلا القلـة، وعلى ضوء ذلك تم إسقاط ابن العطار عن مترلته وأوصى إليه المنصور بأن لايغادر مترله ومنعه من الاختلاط بالناس، وبعد وفاة القاضي ابـن زرب الذي كان المنصور يستحي منه كلما أراد إعادة ابن العطار لمنصبه، أصدر المنصور أمره لصاحب الشرطة بالبحث في شأن عدالة ابن العطار فظهرت وثيقة بصلاحه وإقتدائه بالسلف واعتدال طريقته، شـهد فيهـا ثقـاهم وعلماؤهم، ثم رفعت الوثيقة للمنصور، فجمع أهل العلم وأفتوا بسـقوط السخطة عنه، فرفع المنصور الوثيقة إلى الخليفة هشام المؤيد، فأصدر ظهيراً أمر به قاضي الجماعة ابن برطال بإعادة ابن العطار إلى منصبه[١].

من هذه القصة -بغض النظر عن ملابسـاهما- نعـرف أن لـيس بالإمكان إسقاط فقيه مفتي عن منصبه إلا بإجماع أغلب شهادات الفقهاء ضده، وتُذكر الأشياء المأخوذة عليه، ثم إذا صلحت حاله وشهد الثقات بعدالته، بعد أن يبحث صاحب الشرطة في شأن حال ذلك الفقيه، يرفـع

---

١ - نفسه، ٧/١٥٠-١٥٤.

ذلك كله للحاجب، والذي هو بدوره يوصلها للخليفة فيصدر من قبله ظهيراً يأمر فيه قاضي الجماعة بإعادة ذلك الفقيه إلى منصبه السابق.

نماذج لبعض فقهاء الشورى

هذه صور لبعض فقهاء الشورى، لأصحابها شخصيات خاصة بهم ميزتهم عن بقية نظرائهم، ولايعني التميز هنا الأفضلية، بل لتخلقهم بأخلاق نأت بهم على الأقل عما عُرف عن زملائهم من سعة في العلم واتصاف بالورع والقدوة بالسلف الصالح.

فهذا الفقيه عبدالأعلى بن وهب، المتوفى سنة ٢٦١هـ (٨٧٤م) تأثر بكتب المعتزلة وأهل الكلام وكان يقول أن الأرواح تموت[١]، وذكر القاضي عياض أن عبدالأعلى بن وهب "كان يُزن بالقدر[٢]" وكانت نظرة الفقهاء المعاصرين له بالذات يحيى بن يحيى وعبدالملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم لاتنم عن القبول[٣]، وعندما أفتى ابن وهب بعدم سفك دم ابن أخي عجب الذي تطاول على جناب الله تعالى، أرسل الأمير عبدالرحمن الأوسط فتاه حسان ليوصل رسالته لصاحب المدينة فيبلغها بدوره لابن وهب، وقد جاء في رسالة الأمير " ... وأما أنت يعني

١ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٨٣٧.

٢ – ترتيب المدارك، ٤/٢٤٥.

٣ – المصدر السابق، والصفحة.

عبدالأعلى فكان يحيى بن يحيى يشهد عليكم بالزندقة ومن كانت هذه حالة فحري ألا يسمع فتياه[١]".

الفقيه أبو عبدالله محمد بن غالب المعروف بابن الصفار، المتوفى سنة ٢٩٥هـ (٩٠٨م) كانت الفتيا دائرة عليه مع عبدالله بن يحيى ومحمد بن لبابه وأصحابهم، لكنه مالت به الدنيا فكان يتبع الهوى في فتياه ويخلط[٢].

الفقيه أبو عبدالله محمد بن وليد بن محمد، المتوفى سنة ٣٠٩هـ (٩٢٢م) كانت للأمير عبدالله ابن محمد عناية به، وكان طويل اللسان، كثير الملق، وكان يضع الأحاديث وينسبها للرسول صلى الله عليه وسلم، ويرفعها للأمير عبدالله، وقد اشتهر أمره بالكذب حتى أن خالد بن سعد كان يقول "محمد بن وليد كذاب"[٣].

الفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد الأنصاري المعروف بابن واقزن المتوفى سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) ذكر ابن الفرضي عن أبي أيوب سليمان بن أيوب أن ابن واقزن كان "يضرب على الخطوط في الشهادات ويدلس في العقود، شهد بذلك مرة وثانية، فأوصى إليه أسلم بن عبدالعزيز القاضي أن يلزم بيته ويترك الوثائق والشهادات والفتيا، فلم يزل كذلك إلى أن توفي[٤]".

---

١ - قضاة قرطبة، ص ٦٠.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٤٨.

٣ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١١٨٠.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ٦٧٥.

الفقيه المشاور أبو بكر محمد بن إبراهيم الكتاني، المعروف بابن جيويه، المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) وصف بأنه كان متشبها بأهل الدنيا، خارجاً من طبقة أهل العلم[١].

الفقيه أبو الأصبع عيسى بن مكرم الغافقي المتفوفى سنة ٣٣٦هـ (٩٤٧م) كان متصرفاً في الفتيا وعقد الشروط، وفي نفسه لم يكن بالمشهور في العلم ولابالنافذ فيه[٢].

الفقيه أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن إبراهيم الكتاني، المتوفى سنة ٣٧٤هـ (٩٨٥م) كان مشاوراً في الأحكام، فلما تولى محمد بن إسحاق بن السليم قضاء الجماعة، ترك مشاورته فقد كان أقرب في العلم إلى الأدب من الفقه والحديث، وهو أشبه بأهل الدنيا من طلبة العلم ولذا لم يؤخذ عنه لأنه لم يكن أهلاً لذلك[٣].

الفقيه موسى اليحصبي المعروف بالوتد، المتوفى سنة ٣٧٧هـ (٩٧٨م) يقول عنه ابن الفرضي بأنه "كان يُنسب إليه تخليط كثير شُهر به وعُرف منه[٤]".

الفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد الصابوني، المعروف بابن بركه، المتوفى سنة ٣٧٨هـ (٩٨٨م) قدمه قاضي الجماعة ابن زرب للشورى،

١ – أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٢٠٤. ابن الفرضي ترجمة رقم ١٢٢١.

٢ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٩٨٣.

٣ – المصدر السابق، ترجمة رقم ٩٨٩.

٤ – نفسه، ترجمة رقم ١٤٦٦.

فلم يزل يستفتى مع المشاورين إلى وفاته، رغم أنه كان موصوفاً بقلة العلم[١].

الفقيه أبو العاص أمية بن أحمد بن حمزة القرشي الأموي، المتوفي سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٣م) شاوره قاضي الجماعة ابن زرب، وتولى أحكام الشرطة، والذي تجدر ملاحظته أن أبا العاص كان متأخراً في علمه وعقله[٢].

أبو الوليد عبدالله بن محمد بن السليم، المتوفى سنة ٤٠٢هـ (١٠١٢م) قدمه الخليفة سليمان المستعين لخطة الشورى، وذلك أيام الفتنة تنويها بمكانه، رغم أنه لم يكن أهلاً لذلك[٣].

الشورى زمن الفتنة

عندما اندلعت الفتنة وعمت قرطبة وماجاورها، تركت أثراً قويا على خطة الشورى، فهي من جهة جعلت الكثير من فقهاء الشورى يهربون من قرطبة ينشدون الأمان في بلد غيرها، وهذا لايعني أنهم سوف يتولون الشورى في البلاد التي هربوا إليها، ذلك أن الخليفة الذي عينهم أساساً هو لايملك من الأمر شيء، إذ أن البلاد أخذت بالتجزؤ، وأصبح لكل مقاطعة حاكم جديد، وتم تولية من هرب من قرطبة من فقهاء الشورى في وظائف قضائية وتنفيذية في الكور التي لجأوا إليها .

---

١ – نفسه، ترجمة رقم ٧٤٣.

٢ – نفسه، ترجمة رقم ٢٦٦.

٣ – ترتيب المدارك، ٦/٢٨٩.

ومن جهة أخرى فإن الفتنة فتحت المجال أمام من هم ليسو أكفاء لتولي خطة الشورى، فرغبتهم في المناصب ازدادت، وأصبحت أمامهم فرصة أخذ الأموال دون تمييز طيبها من خبيثها، بل المجاهرة فيها هي ديدهم، وازدادت أعدادهم فإذا كنا قد عرفنا أن أعلى عدد لهم هو ستة عشر فقيهاً مشاوراً، فإن عددهم في عهد الخليفة المستكفي كان أربعين رجلاً. وقد حفظ لنا ابن بسام نصاً لابن حيان يصف به حال الشورى زمن الفتنة، فبعد أن ذكر تهافت الناس بكافة فئاتهم على الخطط، قال: "... فأسهم منهم الفقهاء، فآثر العلية منهم المشاورين أصحاب الفتوى بالإرقاء إلى خطة الوزارة، .. ففتنوا بهذه الخطة وشدوا أيديهم عليها وهجروا من حطهم في خطاب عنها، معرضين بما يعاب من ذلك، إلى أن مضوا بسبيلهم، وارتقى المستكفي أيضاً بكثير ممن يحمل المحابر، ويدرس مسائل الدفاتر، ومن أصاغر الطبقة الفقهية، إلى مابلغت عليتهم من مترلة الشورى، فوسم كافتهم بوسم الفتوى، فأسرف في ذلك، حتى بلغ عددهم بقرطبة يومئذ إلى الأربعين، وذلك مالم يعهد في الغابرين[١]".

وأما عن حال الشورى في عهد الخليفة هشام المعتد بالله، فقد قال ابن حيان: "وزاد في رزق مشيخة الشورى من مال العين، ففرض لكل واحد خمسة عشر ديناراً مشاهرة، فقبلوا ذلك على خبث أصله، وتساهلوا في مأكل لم يستطبه فقيه قبلهم على اختلاف السلف في قبول جوائز

---

١ - الذخيرة، ق١م١ ص٤٣٥-٤٣٦.

الأمراء الذين سكبوا خبائث الضرائب والمكوس القبيحة، فاستدر القوم مرية هذه الطعمة الخبيثة، وكنت أحسب فقهاء الشورى بعده أنهم يكتمون شأن ذلك الراتب حتى سمعت أبرهم يُلح في طلبه، وينتظر بلوغ وقته، فانكشف لي شأنه، والقوم أعلم بما يأتونه وهم القدوة لاجعلهم الله لنا فئة وقد حُدثتُ أن هشاماً أطعمهم من قمح ولد القاضي ابن ذكوان أيام فرَّ عنه وأخذ ماله فقبلوه قبول مال الفيء[١]".

الفقهاء المشاورون في الكور

كان عدد الفقهاء المشاورين في كور الأندلس أقل من نظرائهم في قرطبة، فعلى سبيل المثال نجد أن قاضي شذونه يشاور ثلاثة فقهاء سوية هم: أبو مروان حمدان بن سعدون بن بطال التميمي المتوفى سنة ٣٦٤هـ (٩٧٥م)[٢]، وأبو عثمان سعيد بن يوسف الخولاني، المعروف بابن البيضاء[٣]، المتوفى آخر سنة ٣٦٥هـ (٩٧٦م)[٤] وأبو عثمان سعيد بن مرشد العكي كان مشاوراً في الأحكام مع أصحابه، ثم رحل حاجاً وعند عودته توفي بمصر سنة ٣٧٣هـ (٩٨٤م)[٥].

---

١ - المصدر السابق، ق٣ م١ ص٥١٧-٥١٨

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٨٠.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٥١٢

٤ - ترتيب المدارك، ١٦/٧.

٥ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٥١٥.

وقد حفظت لنا المصادر أسماء من كان في الكور من فقهاء مشاورين، منهم: الفقيه حفص بن عمر، المتوفى سنة ٢٨٨هـ (٩٠١م) من أهل وادي الحجارة، كان مفتياً ببلده[١].

الفقيه أبو عبدالله محمد بن سليمان بن محمد بن تليد المعافري، المتوفى سنة ٢٩٥هـ (٩٠٨م) من أهل وشقه، كان مفتي موضعه وإليه كانت الرحلة في وقته، وكان شديد العصبية للمولدين[٢]، كما كان "رأس فقهاء الثغر، المتقدم فيهم، يقر له بذلك الجميع ويقفون عند أمره ولايعدون فتياه[٣]".

الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المرادي، من أهل استجة، وكان له ببلده قدر عظيم في الفتيا والرئاسة، ثم انتقل إلى قرطبة حيث توفي بها أواخر أيام الأمير عبدالله بن محمد[٤].

الفقيه أبو علي حسن بن شرحبيل، من أهل بطليوس، كان فقيهاً عالماً في موضعه، وكان مدار الفتيا عليه في وقته إلى أن توفي أخر أيام الأمير عبدالله بن محمد[٥].

---

١ – نفسه، ترجمة رقم ٣٦٧.

٢ – أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٩٦. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٤٩.

٣ – ترتيب المدارك، ٤٧٢/٤.

٤ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٢٠.

٥ – المصدر السابق، ترجمة رقم ٢٣٨.

الفقيه عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم، من أهل طليطلة، كان صاحب فتيا ببلده، توفي قريباً من سنة ٣٠٠هـ (٩١٢م) [١].

الفقيه محمد بن سعيد بن حكم، من أهل بجانة، تولى الإفتاء بها حتى وفاته سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) [٢].

الفقيه أبو وهب حزم بن الأحمر، تولى الإفتاء ببلده بطليوس حتى وفاته سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م)[٣].

الفقيه محمد بن ميمون، تولى الإفتاء ببلده طليطلة حتى وفاته سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م) [٤] الفقيه محمد بن عبدالله بن محمد بن بدرن الحضرمي، تولى الإفتاء ببلده الجزيرة حتى وفاته سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) [٥].

الفقيه نابغة بن إبراهيم بن عبدالواحد المتوفى سنة ٣١٣هـ (٩٢٥م) من أهل إلبيرة من قلعة يحصب، كان متصرفاً في الفتيا وعقد الشروط[٦].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ٨٦٣.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١١٦١.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ٣٦٢.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ١١٦٩.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ١١٨٢.

٦ - نفسه، ترجمة رقم ١٤٩٥.

الفقيه سعدان بن إبراهيم بن عبدالوارث، يعرف بابن الجرز، من أهل رية، ومن ساكني أرجذونه، كان حافظاً للمسائل مفتياً بموضعه إلى أن توفي سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) [١] الفقيه محمد بن أحمد بن حزم بن تمام، المتوفى قريباً من سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) من أهل طليطلة، كان مفتيا فيها[٢].

الفقيه عثمان بن محمد بن أحمد بن مدرك، من أهل قبره، كان معتنياً بالعلم، حافظاً للمسائل، عاقداً للشروط، تولى الإفتاء ببلده حتى وفاته سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) [٣].

الفقيه عمر بن عبدالخالق من أهل الجزيرة، تولى الإفتاء بها حتى وفاته سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م)[٤].

الفقيه أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي شيبه الكلابي المتوفى سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م) من أهل إشبيلية، كان مشاوراً في الأحكام مع نظرائه، كما أنه كان بصيراً بالفتيا، لكنه كان مشهوراً بالكذب[٥].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ٥٤٣.

٢ - نفسه، ترجمة رقم ١٢٠٧.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ٨٩٣.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ٩٤٨.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ٩٢٠.

الفقيه سعدان بن معاوية المتوفى سنة ٣٢٧هـ (٩٣٩م) انتقل من بلده قرطبة وسكن إقليم القصب فكان مفتي أهل ذلك الموضع وعاقد شروطهم[١].

الفقيه جحاف بن يمن، المتوفى سنة ٣٢٧هـ (٩٣٩م) من أهل بلنسية، وعليه كان مدار الفتيا ببلده[٢].

الفقيه محمد بن إبراهيم بن إسحاق، المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) كان فقيه حاضرة باجه وصاحب فتياهم نحواً من ثلاثين سنة[٣].

الفقيه أبو المطرف عريف مولى ليث بن فضيل، المتوفى سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) من أهل لورقه كان ضابطاً للفقه، بصيراً بالفتيا، جامعاً للعلم، بلغ مبلغ السؤدد في موضعه وكان معوّل أهل لورقه في وقته عليه[٤].

الفقيه أبو رزين هشام بن محمد بن أبي رزين، من أهل شذونه، كان حافظاً للمسائل، مفتي أهل شذونه وما والاها، وكان يرحل إليه للسماع منه، كان معظماً في موضعه حتى أدركته الوفاة بحاضرة شريش سنة ٣٣٦هـ (٩٤٧م)[٥].

---

١ - نفسه، ترجمة رقم ٥٤٤.

٢ - ترتيب المدارك، ٦/١٧٨-١٧٩.

٣ - ابن الفرضي ترجمة رقم ١٢٢٤.

٤ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١٠٠٥.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ١٥٤٦.

الفقيه أبو القاسم عيسى بن خلف الخولاني، المتوفى سنة ٣٤٢هـ (٩٥٣م) من أهل إشبيلية، كان حافظاً للمسائل، عالماً بها، مقدماً في الفتيا بموضعه[١].

الفقيه أبو سعيد فرج بن سلمة بن زهير البلوي، المتوفى سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦م) أصله من باجه، وانتقل إلى فحص البلوط، كان حافظاً للرأي على مذهب مالك، عاقداً للشروط، مشاوراً في الأحكام[٢].

الفقيه أبو عثمان سعيد بن أحمد بن رمح الخولاني، المتوفى بعد سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م) من أهل شذونه، كان معتنياً في موضعه مقدماً في الشورى ببلده[٣].

الفقيه محمد بن حصين، المتوفى سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) من أهل بلنسية كان عالماً فقيهاً نبيهاً نبيلاً حاد الفهم، وعليه وعلى أبي جعفر جحاف بن يمن كان مدار الفتيا في وقتهما ببلنسيه[٤].

الفقيه أبو عبيد قاسم بن خلف بن فتح بن عبدالله، المتوفى سنة ٣٧١هـ (٩٨١م) يعرف بالجبيري، أصله من طرطوشه، كان فقيهاً

١ – نفسه، ترجمة رقم ٩٨٦.

٢ – ترتيب المدارك، ١٢٦/٦.

٣ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٥٠٩.

٤ – ترتيب المدارك، ١٧٨/٦.

عالماً، حسن النظر. وقد عهد الخليفة الحكم المستنصر إلى الحكام بمشاورته، فكان صدراً في أهل الشورى[١].

الفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد الحارث بن منتيل، المتوفى سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩م) كان صدراً فيمن يستفتى ببلده استجه[٢].

الفقيه أبو الأصبغ عيسى بن أبي العلاء، من أهل تدمير، تولى الفتيا في موضعه حتى توفي سنة ٣٩١هـ (١٠٠١م)[٣].

الفقيه أبو محمد قاسم بن حامد الأموي، من أهل ريه، كان مدار الفتيا ببلده عليه وعلى صاحبه محمد بن عوف[٤].

الفقيه مهدي بن عمر الجذامي، من أهل استجه، تولى الفتيا ببلده، ثم رحل أيام الفتنة إلى قرطبة فتوفي بها[٥].

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٧٧.

٢ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٧٤٥.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ٩٩٣.

٤ - نفسه، ترجمة رقم ١٠٦١.

٥ - نفسه، ترجمة رقم ١٤٨٧.

خطةالسوق"الحسبة"

عُرفت هذه الخطة في المشرق باسم "الحسبة"[(١)] لكنها في الأندلس كانت تعرف باسم: خطة السوق ويطلق على من يتولاها: صاحب السوق، وهذا هو الاسم الذي استخدمه القاضي ابن سهل عند تعديده للخطط التي من حق أصحابها إصدار الأحكام[(٢)].

ولعل الأندلسيين استخدموا مصطلح "صاحب السوق" دون "الحسبة" ربما لكون عمل صاحب السوق كان أكثره متعلق بالأسواق ومايجري فيها، فمن ذلك قد يكون اكتسب التسمية.

إلا أن الأندلسيين لم يتمادوا في استخدام هذا المصطلح، إذ ما إن حل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حتى أصبح استخدام مصطلح "المحتسب" شائعاً في الأندلس[(٣)].

لأجل ذلك آثرت استخدام مصطلح "خطة السوق" لأنه هو السائد في الأندلس طيلة فترة الدراسة.

وتجمع المصادر على مالهذه الخطة من أهمية، وذلك لارتباطها الوثيق بخطط القضاء والشرطة والمظالم.

---

١ - عن الحسبة في المشرق وأشهر المصادر عنها، انظر: الأحكام السلطانية، ص٢٠٨-٢٢٤. نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٠-٢١٦. معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٧-٢٤٢. ابن تيمية، الحسبة، ص٧٩-٣٩٨.

٢ - النباهي، ص٥.

٣ - خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، ١٧-١٨.

فالماوردي يرى أنها "واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم[١]" وقد وافقه السقطي على ذلك[٢]، بينما يرى الجيلدي أنها "بين خطة القضاء وخطة الشرطة جامعة بين نظر شرعي ديني وزجر سياسي سلطاني[٣]".

فهي تهدف إلى العناية بكل مايكفل السعادة للإنسان من أبواب الدين والدنيا[٤]، ولأجل هذا كان لابد من وجود سمات معينة، يتحلى بها من يلي هذه الخطة، إذ ينبغي أن يكون فقيهاً نزيه النفس، عالي الهمة، ظاهر العدالة، معروفاً بالأناة والحلم، يقظاً، حاد الفهم، بحيث لاترتجى لشدة يقظته غفلته، ولاتؤمن على ذي منكر سطوته[٥]، خبيراً بأحوال المجتمع وسياسة أفراده، لايستفزه مطمع، قوي الشخصية بحيث لايجرؤ أحد على الاستهانة به، وفي الوقت نفسه لاتأخذه في الله لومة لائم[٦].

---

١ - الأحكام السلطانية، ص٢٠٩.

٢ - آداب الحسبة، ص٢.

٣ - أحمد سعيد الجيلدي، التيسير في أحكام التسعير، (تقديم وتعليق: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧٠م) ص٤٢.

٤ - رسالة ابن عبدون، ص٢١.

٥ - السقطي، ص٢٤،٢٠. الجليدي، ص٤٢.

٦ - رسالة ابن عبدون، ص٢٠.

وبالجملة فإن الصفات التي يجب أن يتحلى بها صاحب السوق، هي نفسها التي يجب أن يكون عليها أصحاب الخطط الدينية لأن الأمر مرتبط بأمور شرعية لها وضع خاص.

ويتم تعيين صاحب السوق من قبل الأمير أو الخليفة الأموي، وذلك بعد استشارة قاضي الجماعة بالنسبة لمن يلي السوق بقرطبة، وقضاة الكور لمن يلي الأسواق بها[١].

وأما ابن عبدون فيرى أن القاضي هو الذي يعين صاحب السوق، شريطة أن يستشير ولي الأمر، وعلل ذلك بقوله: "لتكون للقاضي حجة عليه إن أراد أن يعزله أو يبقيه[٢]".

ويتسلم صاحب السوق مرتبه الشهري، من بيت المال، ورغم أن المصادر لم توضح مقدار هذا المرتب، إلا أنه لابد أن يكون قد روعي فيه أن يكفي حاجته[٣].

وقد ذكر ابن سعيد أثناء حديثه عن عبدالرحمن الأوسط أنه هو الذي ميَّز ولاية السوق عن غيرها من الخطط، وجعل رزق صاحبها ثلاثين ديناراً في كل شهر[٤].

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٨٣.

٢ - رسالة ابن عبدون، ص٢٠.

٣ - المصدر السابق والصفحة.

٤ - المغرب في حلى المغرب، ١/٤٦.

ونظراً لكون أحوال الناس في المجتمع الإسلامي، لاتضبط إلا من خلال أمور الدين، لأجل هذا، نرى اهتماماً كبيراً من بني أمية في الأندلس، بأمر السوق ومن يتولاه، ويتضح هذا الاهتمام بصورة مجملة من خلال بعض الأحداث التي ذكرها كتب التراجم.

فقد ذكر ابن الفرضي أن العباس بن قرعوس الثقفي كان يلي السوق بقرطبة، في عهد الأمير الحكم الربضي، وقد عُرف العباس بالشدة وأنه لاتأخذه في الله لومة لائم، فقد التقى في أحد الأيام أثناء خروجه من قرطبة، برسول لسعيد الخير الكبير وهو يحمل وعاءً فيه شراب، فنظر إليه العباس، وأمر بأخذه، فأخبر الرسول بأن مولاه عند الأمير، وأنه أمره بإحضاره، فما كان من العباس إلا أن أمر بكسر الإناء وإهراق مافيه، ثم ضرب الرسول ضرباً موجعاً، فلما علم سعيد الخير بأمر رسوله، أنهى الخبر للأمير، وحرضه ضد العباس، لكن الأمير لم يلتفت لقول سعيد، بل خاطبه قائلاً: "هذا قوة لملكنا، ألا استتر رسولك؟ [1]".

وهذا الفقيه محمد بن خالد بن مرتنيل، المعروف بالأشج، المتوفى سنة ٢٢٤هـ (٨٣٩م) تولى عدة خطط في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، من بينها السوق، وقد كان صلباً لاتأخذه في الله لومة لائم، كان لايهاب أحداً من جلاس الأمير، وكان ينفذ عليهم من الحقوق ماينفذه على السوقة والعوام، وقد ضرب رجلاً من أصحاب الأمير يعرف

---

١ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٨٤.

بالتمار أصاب منكراً، أربعمائة سوطاً ثم حبسه، فضج فيه أصحاب الأمير وأكثروا عليه عنده، وزينوا له عزله، لكنه أبى واكتفى بان أمرهم بالتحفظ منه، وحدث أن عزله الأمير عشية، لكنه رده صباحاً لما رأى من سداده[1].

وعندما حدثت المجاعة الشديدة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وحاول بعض الأشرار الاستفادة من هذا الظرف الطارئ لمصلحتهم، على حساب أمن الأخرين وحرياتهم، وعندما كثرت الشكاوى من ذلك، لجأ الأمير محمد للقضاء على ذلك العبث، إلى تولية إبراهيم بن حسين بن عاصم، المتوفى سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م) خطة السوق، ومنحه صلاحيات واسعة، بحيث أذن له بالتنفيذ في القطع والصلب بلا مؤامرة منه ولا استئذان[2].

وفي عهد الأمير عبدالله بن محمد: ٢٧٥-٣٠٠هـ (٨٨٨- ٩١٢) كان سعيد بن محمد السليم يلي خطة السوق، فظهرت منه صرامة في عمله أكسبته مهابة، لما فعله بأحد غلمان المطرف بن الأمير عبدالله، فقد تطاول ذلك الغلام على ابن السليم وهو في مجلس نظره بوسط السوق، فما كان من ابن السليم إلا أن أمر أعوانه بإحضار الغلام عنده، فشق أثوابه، وضربه مائتي سوط، وأرسل به إلى السجن، وخاطب من وقته

---

١ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٢٦.

٢ - قضاة قرطبة، ص ١٠٣-١٠٤.

الأمير عبدالله بخبره بما جرى، فما كان من الأمير إلا أن صوَّب فعله واستحسنه، وأدرك عظم كفاءته، ولذا فبعد مدة يسيرة، رفعه إلى الوزارة ثم ولاه الحجابة[١].

وصاحب السوق لايستطيع أن يقوم بكل شيء بمفرده، فهناك أعوان له يساعدونه في أداء مهامه، وهو بدوره يقوم بمراقبتهم، ويتفقدهم دائماً، فلا يجعل لأحد شغلاً معيناً كوزن الخبز على الخبازين وغيره، لأن ذلك مدعاة لرشوته، كما يجب على صاحب السوق ألا يخبر أعوانه عن وجهته لأمر من أمور الخطة، إذ ربما حدث تواطؤ من أحدهم مع أحد أصحاب المهن، فيرسل إليه يعلمه بمقدم صاحب السوق، فيغير كل فاسد لديه، وبذلك لايمكن إقامة الحجة عليه، ويتولى صاحب السوق بنفسه إعدام الشيء الفاسد[٢].

ولصاحب السوق مجلس في وسط السوق، يجري فيه أحكامه[٣] فإذا أراد التجول في الأسواق، نهض ومعه أعوانه، وفي يد أحدهم ميزان، يزن به الخبز، لأنه معلوم الوزن لديهم، كما أن اللحم موضح عليه سعره من خلال ورقة تلصق به، لذا لايمكن التدليس على أحد بقيمتها، لأن الكل يخشى من صاحب السوق الذي كان يعمد إلى إرسال صبي صغير أو جارية فتشتري إما خبزاً أو لحماً، فيزنه بميزانه، فإن وجده ناقصاً، علم أنه

١ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٥.

٢ - السقطي، ص٢٤.

٣ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٥.

غشاش، فيعاقبه بالضرب والتجريس في الأسواق، فإن لم يتب نفاه من البلد[١].

وتحدثنا كتب التراجم الأندلسية، عن مهام صاحب السوق، فهو بالإضافة إلى مراقبته للأسواق، ومايجري فيها من عمليات البيع والشراء، يقوم بمعاقبة من يشهد زوراً، فقد ذكر القاضي عياض أن إبراهيم بن حسين خالد بن مرتنيل، المتوفى سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣م) "ضرب شاهد زور عند باب الجامع أربعين سوطاً وحلق لحيته وسخَّم وجهه[٢]".

كما يتولى صاحب السوق، أمر من يأتي بشيء من الأمور الدينية غير معروف في البلد، مثلما جرى في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن عندما قام صاحب السوق أبو عبدالله محمد بن الحارث بن أبي سعيد القرطبي، المتوفى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٤م) باستدعاء الفقيه محمد بن عبدالسلام الخشني، المتوفى سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م) بعد عودته من المشرق، وذلك عندما بلغه أنه يقول إن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً[٣].

ومن بين المهام التي يضطلع بها صاحب السوق، الإشراف على توسعة الشوارع الضيقة، وبالذات مايمكن أن يطلق عليها الشوارع التجارية، فقد ذكر ابن حيان أنه يوم السبت لثمان خلون من جمادى

١ - نفح الطيب، ٢/٢١٨-٢١٩.

٢ - ترتيب المدارك، ٤/٢٤٤.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٣٤. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٥٠-٢٥٦.

الأولى سنة ٣٦١هـ (فبراير ٩٧٢م) أصدر الخليفة الحكم المستنصر بالله أمره لصاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر "بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة؛ لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها، وهدّ الحوانيت المتحيّفة لعرضها، المضيقة لسبيلها، كيما ينفسح الطريق ولايضيق بالواردين والصادرين[١]".

وقد تولى السوق بقرطبة عدد من الأعلام الأندلسيين، منهم:-

العباس بن أبي قرعوس بن عبيد الثقفي، تولى السوق في عهد الأمير الحكم الربضي، وقد كان معروفاً بالشدة والقسوة على أهل الريب، حتى أنه كان يضربهم ضرباً شديداً، الأمر الذي أقلق ابنه قرعوس، فسأل الإمام مالك عن الضرب الذي كان والده يضربه للناس فأجابه الإمام بقوله "إن كان فعل هذا غضباً لله وذباً عن محارمه فأرجو أن يكون خفيفاً[٢]".

وقد ورث الفقيه قرعوس بن العباس خطة السوق عن أبيه وسلك سبيله في التشدد على أهل الريب[٣]، وكان ممن اتُهم بأمر هيج الربض سنة ٢٠٢هـ (٨١٨م) فوقاه الله شر سطوة الأمير الربضي، وقد توفي قرعوس سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط[٤].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٧١.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٨٤.

٣ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٨٥.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٠٨٤. ابن حيان، المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٧٩-٨٠. الحميدي، جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٧٨٠.

الفقيه محمد بن مرتنيل، المعروف بالأشج، المتوفى سنة ٢٢٤هـ (٨٣٩م) ولي السوق بقرطبة، وكان صلباً في أحكامه، ورعاً فاضلاً لاتأخذه في الله لومة لائم[١].

الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل، المتوفى في شهر رمضان سنة ٢٤٩هـ[٢] (أكتوبر ٨٦٣م) كان يلي السوق بقرطبة سنة ٢٣٢هـ (٨٤٧م) وفي ذلك الوقت هدم ابن مرتنيل حوانيت بني قتيبة، مخالفاً في ذلك علماء عصره، فتظاهروا عليه، وأبانوا خطأه، وأيد قاضي الجماعة معاذ بن عثمان الشعباني رأيهم وفسخ حكم ابن مرتنيل[٣].

الفقيه أبو الوليد حسين بن عاصم بن كعب الثقفي، تولى السوق بقرطبة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وقد اتصف بالشدة على أهل الريب فكان يضرب ضرباً شديداً[٤].

الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن عاصم، المتوفى شهر رجب سنة ٢٥٦هـ[٥] (يونيو ٨٧٠م) ورث خطة السوق عن والده في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن وقد عهد إليه الأمير بالتحفظ، وأذن له

---

١ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٢٦. ترتيب المدارك، ٤/١١٧-١١٨.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١.

٣ - قضاة قرطبة، ص٥٦-٥٧.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٥١، المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٧٧. وأُختلف في تاريخ وفاته وقد ناقش ذلك القاضي عياض، انظر: ترتيب المدارك، ٤/١٢٠-١٢١.

٥ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣.

بالعقوبات بلا مؤامرة ولااستئذان، فبلغ من الشدة مبلغاً حاد فيه عن سنن القضاء[١].

أبو عبدالله محمد بن الحارث بن أبي سعيد، أقره الأمير محمد بن عبدالرحمن على الشرطة، وولاه السوق، فلم يزل في منصبه حتى توفي سنة ٢٦٠هـ [٢] (٧٨٤م)، وقد كان ابن الحارث أشد الثلاثة القائمين على الفقيه بقي بن مخلد، المتوفى سنة ٢٧٦هـ (٨٨٩م) والفقيه محمد بن عبدالسلام الخشني، المتوفى سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م) وذلك بعد عودهما من المشرق، وقد عُرف ابن الحارث بقلة الفقه[٣]، وبالأفن والجهالة[٤].

عبدالله بن حسين بن عاصم الثقفي، تصرف للأمير محمد في خطط عدة، منها خطة السوق، وقد كان "عسوفاً فيها متمرداً على الغاشين من التجار والصناع له في ذلك أخبار معروفة[٥]".

وممن تولى خطة السوق في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن أحد رجال البربر، يدعى سليمان بن محمد بن أصبغ بن وانسوس، كان من

---

١ – ترتيب المدارك، ٤/٢٥٤-٢٥٥.

٢ – أخبار الفقهاء، والمحدثين، ترجمة رقم ١٤٥.

٣ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٠٧.

٤ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٥٠-٢٥٦.

٥ – المصدر السابق، ص١٨٦.

الأدباء والأشراف وقد عزله الأمير محمد عن السوق بسبب كلمة بدرت منه استهجنها الأمير وعابها عليه فعزله[١].

ومن الذين تولوا خطة السوق في عهد الأمير عبدالله بن محمد الفقيه المشاور أبو صالح أيوب بن سليمان المعافري، المتوفى يوم الخميس لسبع بقين من شهر المحرم سنة ٣٠٢هـ[٢] (أغسطس ٩١٤م).

وقد ذكر القاضي عياض أن أبا صالح المعافري تولى السوق "ضرورة وحمية وذلك لذلة نالته من بعض العامة، وقيل بسبب فران رفضه[٣]" وقد عزل عن السوق كراهية من أهلها كما يقول ابن الفرضي[٤] لكن هذا القول لايمكن الاطمئنان إليه متى ماعرفنا أن أبا صالح، كان جواداً سمحاً على قلة ماله، حسن الأخلاق والمعاشرة[٥]" فمن كانت هذه صفاته، كيف يكون مكروهاً من الآخرين؟ لكن لعل سبب العزل ماذكره الخشني من أن أبا صالح صاحب السوق "كان له ختن جعل إليه شيئاً من أمور السوق، فكان ذلك سبب عزله[٦]".

١ - نفسه، ص١٨٩-١٩١.

٢ - ترتيب المدارك، ١٥٣/٥.

٣ - المصدر السابق، ١٠٥/٥.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٢٦٧.

٥ - ترتيب المدارك، ١٥٠/٥٠.

٦ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣٨.

وذكر ابن عذاري أنه في سنة ٢٩٥هـ (٩٠٨م) توفي محمد بن يحيى بن أبي غسان صاحب السوق، وتولى الخطة بدلاً منه يحيى بن سعيد بن غسان[١].

ولعل سعيد بن محمد السليم هو أشهر من تولى السوق في عهد الأمير عبدالله، والسبب في شهرته يعود إلى فعلته بغلام المطرف بن الأمير عبدالله مما أهله للوزارة ومن ثم الحجابة[٢].

وفي شهر ربيع الآخر من سنة ٣٠١هـ (نوفمبر ٩١٣م) أصدر الأمير عبدالرحمن بن محمد أوامره بعزل عمر بن أحمد بن فرج، المتوفى سنة ٣٠٥هـ[٣] (٩١٧م) عن خطة السوق، وجعل مكانه محمد بن عبدالله الخروبي[٤]، لكنه لم يلبث إلا أقل من سنة، ثم تولى السوق بدلاً منه أحمد بن حبيب بن بهلول، وذلك سنة ٣٠٢هـ[٥] (٩١٤).

ويبدو أن ابن بهلول قد استمر في ولاية السوق فترة طويلة، وهو أمر يخالف ماعُرف عن سياسة الأمير عبدالرحمن بن محمد "الناصر" القائمة على عدم بقاء أحد من رجاله في منصبه أكثر من سنة أو سنتين، وقد ظل ابن بهلول في ولاية السوق حتى شهر شوال من سنة ٣١٣هـ (يناير

---

١ - البيان المغرب، ١٤٤/٢.

٢ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٥.

٣ - البيان المغرب، ١٧١/٢.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٩٧.

٥ - المصدر السابق، ص١٠٣.

٩٢٦م) حيث أصيب بعلة أبطلت حركته، فتولى السوق بدلاً منه يحيى بن يونس القبري[١].

وهناك خطة أخرى موازنة لخطة السوق، وهي خطة تغيير المنكر، وقد ظهرت هذه الخطة في سنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م) وهي السنة التي عُزل فيها حسين بن أحمد بن عاصم عن خطة السوق، وقدم إلى خطة تغيير المنكر[٢].

وقد انحصر وجود خطة تغيير المنكر، في قرطبة فقط، دون بقية كور الأندلس، والسبب في إنشائها يعود إلى حرص الدولة الأموية، بقيادة الخليفة عبدالرحمن الناصر إلى الوقوف في وجه المد الباطني القادم بقوة من الشمال الأفريقي[٣]، بدعم شديد من العبيديين الذين حاولوا التسلل إلى الأندلس من خلال زحف أفكارهم الباطنية في الوسط الاجتماعي هناك.

وعندما تسلط الحاجب المنصور بن أبي عامر على الخليفة هشام المؤيد، جعل على ولاية السوق وقضاء جيان، أبا المطرف عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الرعيني، المعروف بابن المشاط، المتوفى في شهر جمادى الآخرة من سنة ٣٩٧هـ[٤] (مارس ١٠٠٧م).

---

١ - البيان المغرب، ١٩١/٢.

٢ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤٢٨.

٣ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٨٨.

٤ - ترتيب المدارك، ١٩٧/٧. الصلة، ترجمة رقم ٦٧٨.

والملاحظ أن هناك تقارباً شديداً بين خطتي السوق والشرطة، إذ أن كلاً منهما ذات اتصال وثيق الجماهير، وعليهما تقع مسئولية حفظ الأمن والنظام، ومن أجل تحقيق التكامل بين هذين الجهازين يحدث أحياناً الجمع بينهما في يد موظف واحد.

فقد كان محمد بن الحارث المتوفى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٤) يلي الشرطة والسوق للأمير محمد بن عبدالرحمن[١]، كما كان أحمد بن يونس الجذامي، المعروف بالحراني، يلي خطتي الشرطة والسوق للخليفة هشام المؤيد بالله[٢].

وآخر من جمع هاتين الخطتين محمد بن محمد بن إبراهيم القيسي، المتوفى لثلاث عشر ليلة خلت من شهر المحرم سنة ٣٤٢هـ (١٠٤٠م) فقد كان يلي الشرطة والسوق بقرطبة في عهد الخليفة هشام المعتد بالله، وكان القيسي معروفاً بالصرامة في أحكامه[٣].

وهناك وظيفة نشأت داخل ولاية السوق، وهي وظيفة الإفتاء في السوق، وقد نشأت هذه الوظيفة منذ عصر الإمارة[٤]، فقد كان الفقيه القرطبي علي بن محمد العطار، المتوفى في شهر ربيع الأول سنة ٣٠٦هـ

---

١ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٤٥.

٢ - طبقات الأمم، ص ١٩٠-١٩١. التكملة (طبعة أبي شنب) ترجمة رقم ٢٢.

٣ - الصلة، ترجمة رقم ١١٤٢.

٤ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٣٩٠.

(أغسطس ٩١٨م) يلي منصب المفتي في السوق، وذلك في عهد الأمير عبدالله بن محمد[١].

وفي عصر الخلافة كان الفقيه أبو عبدالله محمد الحداد، فضيل بن هذيل، يتولى الفتيا في السوق وقد استشهد الحداد في موقعة الخندق، وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شهر شوال سنة ٣٢٧هـ[٢] (يوليو ٩٣٩م).

يوسف بن سمؤال، كان مفتياً في السوق بقرطبة، توفي في القرن الرابع الهجري[٣].

الفقيه أبو عمر أحمد بن هلال بن زيد العطار، كان مفتياً في السوق بقرطبة، توفي في أواخر شهر صفر سنة ٣٦٤هـ[٤] (نوفمبر ٩٧٤م).

---

١ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٣٨٥.

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٢١٧. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢١٩. وقد ورد فيهما أن أبا عبدالله هذا اسمه محمد بن فيصل، وتابعهما في ذلك الاستاذ عبدالرحمن الفاسي، في خطة الحسبة، ص٧١. ولكني اخترت ماأثبته في المتن متابعة لما ذهب إليه الأستاذ محمد خلاف في تاريخ القضاء في الأندلس، ص٣٩١. وذلك؛ لأن اسم فيصل غير شائع إطلاقاً آنذاك، فضلاً عن إمكانية الخلط بينه وبين فضيل، كما أن أبا عبدالله لم يكن نسبه المعروف هو الحداد ولكن لقب بهذا اللقب لملازمته لسوق الحديد.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٦٣٠.

٤ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١٥٠.

خطة الشرطة

يقول ابن سعيد الأندلسي "وأما خطة الشرطة[١] بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن، معروفة بهذه السمة، ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحبة المدينة وصاحب الليل[٢]".

وعندما تحدث ابن خلدون عن "الشرطة" ذكر أن صاحبها يعرف بالأندلس بـ"صاحب المدينة[٣]".

من هذين النصين يتبادر إلى الذهن بأن صاحب الشرطة هو صاحب المدينة، أو أن امتزاجاً حصل بين المنصبين لدرجة أنه يصعب الفصل بينهما، وهذا ماوقع فيه البعض[٤]، لكن الحقيقة خلاف ذلك، فالمدينة لها موظف خاص كما هو الحال بالنسبة للشرطة، ويكفي للدلالة على ذلك أن القاضي ابن سهل الأندلسي، المتوفى سنة ٤٨٦هـ (١٠٩٣م) ذكر أن

---

١ – عن كلمة الشرطة ونشأة نظامها: انظر: محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى اواخر القرن الرابع الهجري (الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م) ص٢٩-٦١. د.أرسن موسى رشيد، الشرطة في العصر الأموي (ترجمة: د.أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة السندس، ط الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص١٥-١٧.

٢ – نفح الطيب، ٢١٨/١.

٣ – مقدمة ابن خلدون، ص ٦٨٧.

٤ – محمد رضا عبدالعال، النظام القضائي في الأندلس، في عهد الخلافة الأموية ٣١٦-٤٤٧هـ (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) لم تطبع) ص١٢٨. **L.provencal: Op. Cit, V, III: P: 158** .

هناك خططاً ستاً تجري على يد أصحابها الأحكام وهي: القضاء والشرطة والمظالم والرد والمدينة والسوق[١] ففصل بذلك خطتي الشرطة والمدينـــة، ولاشك أن ابن سهل أدرى بأخبار الأندلس من ابن سعيد وابن خلدون.

وعندما نستعرض كتابات المؤرخ ابن حيان عن الاحتفالات الـــتي تقام بمناسبة الأعياد أو الزيارات الدبلوماسية، نجد ان صاحب الشرطة يأتي في الترتيب بالجلوس بعد صاحب المدينة[٢].

ومن هنا ندرك أن للشرطة في الأندلس جهازاً قائماً بذاته، كما أن الشرطة بأقسامها وصلاحيات أصحابها تعطي دلالة على ضخامتها وكثرة عدد أفرادها.

ويعرف من يلي خطة الشرطة في الأندلس بصاحب الشرطة أو والي الشرطة أو الشرطة، أو صاحب الأحكام[٣].

ويأتي تعيينه عن طريق الأمير[٤] أو الخليفة[٥]، ويصـــدر في هـــذه المناسبة سجل يحوي أمر التعيين[٦].

---

١ – النباهي، ص٥.

٢ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٣٠ وغيرها.

٣ – انظر، ابن الفرضي، تراجم رقـــم ٣، ١٦٦، ١٦٧، ٢٠٨، ٣٢٦، ٧٠٧، ٧٤٦، ١٠٧٣، ١١٠١، ١١٠٧، ١٢٨٧، ١٣٠١، ١٣٢٥، ١٣٢٧.

٤ – أخبار مجموعة، ص٩١.

٥ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٥٢.

٦ – البيان المغرب، ٢/٢٣٥.

وأول من تولى الشرطة لبني أمية في الأندلس هو عبدالرحمن بن نعيم، فقد ولاه الأمير عبدالرحمن الداخل الشرطة بمجرد أن وضع يده على قصر قرطبة بعد انتهاء معركة المصارة[١]. وبعد أن استوثق الأمر للأمير عبدالرحمن الداخل ولى شرطته الحصين بن الدجن بن عبدالله العقيلي، لما عرف عنه الأمير من صالح بلائه وشدة بأسه ونجدته وموقفه من يوسف الفهري ووزيره الصميل[٢].

ومن خلال كتاب أرسله الخليفة الأموي بالشام مروان بن محمد إلى ولده عبدالله يمكن الوقوف على السمات التي يجب توافرها فيمن يلي الشرطة فقد جاء في الكتاب: "فول شرطتك وأمر عسكرك أوثق قوادك عندك، وأظهرهم نصيحة لك، وأنفذهم بصيرة في طاعتك، وأقواهم شكيمة في أمرك، وأمضاهم صريمة، وأصدقهم عفافاً، وأجزأهم غناء، وأكفاهم أمانة، وأصحهم ضميراً، وأرضاهم في العامة ديناً، وأحمدهم عند الجماعة خلقاً، وأعطفهم على كآفتهم رأفة، وأحسنهم لهم نظراً، وأشدهم في دين الله وحقه صلابة، ... مجرباً، ذا رأي وتجربة وحزم في المكيدة، له نباهة في الذكر، وصيت في الولاية، معروف البيت، مشهور الحسب[٣]".

كما تحدث ابن عبدون عن تلك السمات فذكر أن صاحب الشرطة -الحاكم- لابد "أن يكون رجلاً خيراً، عفيفاً، غنياً، عالماً، متحنكاً في

---

١ - أخبار مجموعة، ص٩١.

٢ - الحلة السيراء، ٢/٣٥٤-٣٥٥.

٣ - صبح الأعشى، ١٠/٢١٥-٢١٦.

علم الوثائق ووجوه الخصومات، ويكون ورعا، لايرتشي ولايميل، ويجري في حكمه وأمره إلى الحق والاعتدال، ولايخاف في الله لومة لائم، ويكون أكثر جريه في حكمه إلى الإصلاح بين الناس[١]".

ولقد كانت تلك السمات متوفرة في معظم أصحاب الشرطة لدى بني أمية في الأندلس، فأبو عبدالله محمد بن خالد الأشج، المعروف بابن مرتنيل، المتوفى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥) كان فقيها فاضلاً، ورعاً صليباً، ولاه الأمير عبدالرحمن الأوسط الشرطة والصلاة معاً[٢].

ولكن وجد بالمقابل من تولى الشرطة وهو خالٍ من بعض تلك السمات، فقد وجد من أصحاب الشرطة من كان متأخراً في علمه وعقله[٣]، وهناك من كان قليل العلم[٤]، "ولعل سبب اختيار هؤلاء وأمثالهم في خطة الشرطة هو شرف بيوتاهم ونباهتها[٥]" فضلاً عن أن الخطط لدى أمويي الأندلس متوارثة، أي أهما محصورة في بيوتات معينة، ولذا فإنه يتم تعيين أحد أبناء تلك الأسرة في تلك الخطة حتى وإن كان يعاني من نقص معرفي وعقلي نوعاً ما، وحفاظاً على عدم خروج أي خطة في الدولة عن أي من الأسر المساندة لبني أمية.

---

١ - رسالة في القضاء والحسبة، ص١١.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٠١.

٣ - المصدر السابق، ترجمة رقم ٢٦٦.

٤ - الصلة، ترجمة رقم ١١٠٢.

٥ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٨٧.

أقسام الشرطة

عندما وجدت الشرطة في الدولة الأموية في الأندلس، لم تكن خطة قائمة بذاتها، وإنما كانت مضافة إلى غيرها من الخطط، بالذات ولاية السوق؛ ولأجل هذا لم تكن مقسمة إلى أقسام، واستمر الوضع على هذه الصورة حتى أوائل القرن الثالث الهجري، ففي عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط تم فصل الشرطة عن ولاية السوق[١]، وأصبحت الشرطة منقسمة إلى قسمين: الشرطة الكبرى، والشرطة الصغرى، وإلى هذين القسمين أشار ابن خلدون أثناء حديثه عن الشرطة لدى بني أمية في الأندلس[٢].

ولكن ابن سهل الأندلسي ذكر أن الشرطة لدى بني أمية كانت منقسمة إلى ثلاثة أقسام: شرطة كبرى، شرطة صغرى، وشرطة وسطى[٣]، ولاريب أن ابن سهل آكد من ابن خلدون في هذا؛ لقربه من الأحداث؛ ولوجود مايؤيد قوله، وذلك ماذكره ابن حيان من إنشاء الشرطة الوسطى سنة ٣١٧هـ[٤] (٩٢٩).

وهناك فروع للشرطة، منها: فرع مختص بالعسس، وهو الطواف بالليل أو مايسمى في الأندلس بالدرابين، ومهمة أولئك الدرابين المحافظة على الأمن عند حلول المساء، إذ ينشط الأشرار، فلا "تكاد في الأندلس

---

١ - المغرب في حلى المغرب، ٤٦/١.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ص٦٨٧.

٣ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٧١.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٥٢.

تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه[١]"، وقد سمي هذا الفرع بالدرابين ذلك "لأن بلاد الأندلس لها دروب بأغلاق تغلق بعد العتمة، ولكل زقاق بائت فيه، له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معدّ[٢]".

وأما الفرع الآخر فهو "شرطة العدو" وهذا الفرع أنشأه الأمير عبدالرحمن الأوسط، وعندما حقق الدكتور محمود مكي كتاب المقتبس لابن حيان، لم يهتد إلى إعطاء تفسير لها، واكتفى بالقول بأن تحريفاً وقع في ألفاظها أو سقط منها شيء،[٣] وتابعه في ذلك بعض الباحثين[٤]، إلا أن أحد الأساتذة المهتمين بالدراسات التاريخية الأندلسية وهو الدكتور محمد خلاف ذكر أن شرطة العدو هي فرقة من الشرطة أشبه ماتكون برجال الدرك إذ أن كلا الطرفين يستخدمان الخيل في عملهما، ويكون مكان تواجد شرطة العدو خارج أبواب قرطبة، وذلك لمراقبة الخارجين منها والداخلين إليها، من اللصوص وقطاع الطرق الذين يستخدمون الخيل في تنقلاتهم فتقوم شرطة العدو بمطاردتهم والقبض عليهم؛ لينالوا

---

١ – نفح الطيب، ٢١٩/١.

٢ – المصدر السابق، والصفحة.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ٣٨، حاشية رقم ٣.

٤ – النظام القضائي في الأندلس، ص١٢٨.

جزاء أفعالهم المشينة[١]، وهذا هو التفسير المقنع والذي يمكن أن تطمئن إليه النفس.

وهذان الفرعان: الدرابون وشرطة العدو يتبعان الشرطة الصغرى، إذ أنها مختصة بالعامة[٢].

أما الشرطة الكبرى فهي المختصة بكبار رجالات الدولة، وكل من يشغل وظيفة فيها، بالإضافة إلى أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه والسلطان[٣].

ونظراً للنقلة الكبيرة التي عاشتها الدولة الأموية بتولي الأمير عبدالرحمن بن محمد مقاليد الحكم بها، وفرضه لكلمته على أرجاء البلاد، ومن ثم تسميه بالخلافة، كل هذاجعل قرطبة تستقبل قاطنين جدد، ومع الاستقرار السياسي والأمن الذي أصبحت الأندلس تعيشه في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر فقد ازدهرت التجارة، وارتفع المستوى الإقتصادي في البلاد عامة، وفي قرطبة خاصة، الأمر الذي نتج عنه ظهور فئة ثالثة في المجتمع وهي فئة التجار، والتي تشمل أيضاً أصحاب المهن الراقية، وهذه الفئة تقع بين فئتي الأثرياء وكبار الشخصيات وبين فئة العامة[٤]، وبما أن

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٧٢-٤٧٣.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ص٦٨٨.

٣ - المصدر السابق، ص ٦٨٧-٦٨٨.

٤ - L.Provencal: op. cit. T. III. p 156-157 قارن: أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي ص٢٩٩.

الشرطة الكبرى مختصة بشئون الخاصة، والشرطة الصغرى مختصى بالعامة، ونظراً لأن الخليفة عبدالرحمن الناصر كان صاحب تجديدات في الدولـــة، فإنه لم يشأ أن يزيد تكاليف أي من الشرطتين الكبرى والصغرى، ولأجل هذا فقد أمر بإنشاء الشرطة الوسطى سنة ٣١٧هـــــ (٩٢٩م) لتتـــولى شئون تلك الفئة الجديدة وأول من تولاها هو سعيد بن جدير[١].

وقد ذكر ابن حيان أن الخليفة عبدالرحمن الناصر جعـــل الـــرزق الشهري لصاحب الشرطة الوسطى وســـطاً بـــين الشـــرطتين الكـــبرى والصغرى[٢] وعلى هذا الأساس وبناء على التطور الهائل الذي أصـــبحت عليه الدولة الأموية في زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر يمكن أن نتوقع رزقاً شهرياً لأصحاب الشرطة الثلاثة يتناسب والرخاء الاقتصادي الذي كانت تعيشه الدولة آنذاك[٣].

والمصادر لم تحدثنا عن الزي الذي يرتديه صاحب الشرطة، لكننـــا من خلال قصة رويت عن عالم المرية القاضي أبي الحسن الرعيني، المتـــوفى سنة ٤٣٥هــ (١٠٤٣ـــ ١٠٤٤م) يمكن أن نتصور الشكل العام الذي

---

١ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٥٢.

٢ – المصدر السابق، والصفحة.

٣ – تجدر الإشارة إلى أن ابن حيان ذكر أن الخليفة الحكم المستنصر بالله أصدر أوامره في شهر رمضان سنة ٣٦١هــ) بتولية علي بن أبي الحسين الشرطة الصغرى مجموعة له إلى عمل القضاء بالثغر، وجعل مرتبه ثلاثين ديناراً في الشهر . انظر: المقتبس، تحقيـــق: د.عبد الرحمن الحجي، ص٨١.

يظهر به صاحب الشرطة، فهو رجل يمشي مظهراً قوته من خلال سرعة مشيته، بعد أن يشمر ثيابه ويمسك بيده عصا[١]، وإن كنّا نتوقع أن الأمير أو الخليفة لابد وأن يمنح صاحب الشرطة زياً خاصاً يعرف به بين الناس.

أهمية منصب صاحب الشرطة

تتضح أهمية منصب صاحب الشرطة، من خلال المهام المناطة بـــه، وقبل الحديث عن هذه المهام نشير إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية من أن صاحب الشرطة في المغرب ليس له حكم في شيء وإنما هو منفذ لأحكام القاضي[٢]، وفي هذا دلالة على تبعية صاحب الشرطة للقضاء، ويبدو أن هذا كله كان في بداية عهد الدولة الأموية في الأندلس، إذ أن ابن خلدون يذكر في حديثه عن الشرطة أنها كانـــت في البدايـــة تقـــوم "باســـتيفاء الحدود[٣]" أي تنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي، بعد أن تقوم بجمـــع الأدلة ضد المتهم، وإثباتها عليه، ثم أنهم أرداوا أن ينزهوا القاضي عن النظر في بعض الجرائم التي تتعلق بالحدود كالزنا وشرب الخمـــر، فاختصـــروا الوقت الذي يستلزم عرض مثل هذه القضايا على القاضي وجعلوها مناطة بالشرطة؛ لأنها هي التي تستوفي الأدلة، الأمر الـــذي أدى إلى انفصـــال الشرطة عن القضاء.

---

١ – نفح الطيب، ٣/٣٨١.

٢ – شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، الحسبة في الإسلام، (نشرها، قصي محـــب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٧هـــ) ص٨.

٣ – مقدمة ابن خلدون، ص٦٨٧.

وقد سبق أن عرفنا أن في الدولة الأموية بالأندلس تنقسم الشـــرطة إلى ثلاثة أقسام:-

الشرطة الصغرى:

انشأها الأمير عبدالرحمن الأوسط، وذلك عندما ميَّز الشرطة عـــن ولاية السوق، ويُذكر أن الفقيه المفتي حارث بن سعيد هو أول من تولى الشرطة الصغرى، ولم يزل عليها إلى أن توفي سنة ٢٢١هــ (٨٣٦م)[١] ومجلس صاحب الشرطة يكون في مشبَّك يُبنى له خصيصـــاً في ســـقيفة المسجد الجامع بقرطبة مع مشبك مجلس القاضي[٢] وذلك لكـــي يحضـــر مجلس القاضي للتشاور معه في الأمور التي تحتاج لابداء المشورة، بالإضافة إلى إيجاد رقابة من القاضي عليه، فيكون دائماً تحت نظره، يراجع أحكامه ويبحث في سيرته[٣].

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٨٠-٩٩. ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن حيان ذكر أن الأمير الحكم الربضي هو الذي ولى حارث بن أبي سعد الشرطة الصغرى، فكان أول من وليها، وأن الأمير عبدالرحمن الأوسط أقره عليها، انظر: المقتبس، تحقيق: مكي، ص ٩٩.

٢ – أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٧٩.

٣ – ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص١٣.

الشرطة الوسطى:

أنشأها الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) وأول من تولاها سعيد بن حدير، ولعل مجلس صاحبها يكون مع صاحب الشرطة الصغرى في المسجد الجامع أو أحد مساجد البلد[١].

الشرطة العليا:

وهذه من ابتكارات الأمير عبدالرحمن الأوسط، ولعل محمد بن خالد بن مرتنيل المعروف بالأشج، المتوفى سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م) هو أول من تولاها[٢].

ويذكر ابن خلدون أن صاحب الشرطة الكبرى -العليا- كان ينصب له "كرسي بباب دار السلطان ورجاله يتبوءون المقاعد بين يديه، فلايبرحون عنها إلا في تصريفه[٣]".

والشرطة العليا هي أهم أنواع الشرطة وأعلاها مرتبة، ولأجل هذا فقد "كانت ولايتها للأكابر من رجالات الدولة، حتى كانت ترشيحاً للوزارة والحجابة[١]".

---

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٨٦.

٢ - ترتيب المدارك، ١١٧/٤-١١٨. وقد اعتبرت محمد الأشج أول من تولى الشرطة العليا رغم عدم تصريح المصادر بذلك، لأني قد وجدت معاصره ابن سعيد كان يلي الشرطة الصغرى، بالإضافة إلى سطوة الأشج بأحد أصحاب الأمير، وهذا لايكون إلا لصاحب الشرطة العليا.

٣ - مقدمة ابن خلدون، ص ٦٨٨.

ومن خلال تتبع المصادر الأندلسية حاولت أن أخرج بقائمة تحوي أسماء أصحاب الشرطة بأنواعها الثلاث، مسلسلة زمنياً قدر الاستطاعة.

فعندما وصل الأمير عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس واصطدم بواليها يوسف الفهري، جعل عبدالرحمن بن نعيم والياً لشرطته مكافأة له على نصحه إياه وتحذيره ممن أراد الفتك به[٢].

وبعد أن استوثق الأمر للأمير عبدالرحمن الداخل جعل على شرطته الحصين بن الدَّجْن بن عبدالله العُقيلي، الذي كان على خيل الداخل يوم المصارة، كما أنه يعتبر فارس أهل الشام بأساً ونجده، وعندما كُتب عقد الأمان بين الأمير عبدالرحمن الداخل وبين يوسف الفهري كان الحصين أحد شهود العقد[٣] وبعده تولى الشرطة قاسم بن أبي ... [٤] .

وفي عهد الأمير هشام الرضا بن عبدالرحمن الداخل تولى الشرطة كل من : الحسن بن بسام وعبد الغافر بن أبي عبده[٥].

وفي عهد الأمير الحكم الربضي تولى الشرطة كل من جودي بن أسباط السعدي[٦] ومن بعده محمد بن كليب بن ثعلبة[١] وعندما وصل

---

١ – المصدر السابق والصفحة.

٢ – أخبار مجموعة، ص ٩١.

٣ – الحلة السيراء، ٢/٣٥٤-٣٥٥.

٤ – ذكر بلاد الأندلس، ١/١١٠.

٥ – البيان المغرب، ٢/٦١.

٦ – المقتبس، تحقيق: انطونيه، ص ١٢٣. ذكر بلاد الأندلس، ١/١٢٦.

عبدالرحمن بن الحكم للإمارة أقر محمد بن كليب بن ثعلبة على الشرطة ثم رقاه إلى الوزارة[٢]، ثم نظم الشرطة وقسمها قسمين كما عرفنا من قبل، فتولى الشرطة الصغرى شخصيات عدة، منها:-

حارث بن أبي سعد الفقيه المفتي، المتوفى سنة ٢٢٢هـ (٨٣٧م)[٣]، ومن بعده تولاها محمد بن الحارث، ورغم أنه اتصف بقلة العلم، إلا أن الأمير عبدالرحمن الأوسط ولاه الشرطة الصغرى؛ لأن من سياسة الأمويين إبقاء الخطط متوارثة في أسر معينة، ولم يزل محمد بن الحارث يلي الشرطة الصغرى طيلة عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط فلما توفي تولى الإمارة ابنه محمد أقر ابن الحارث على الشرطة الصغرى، وولاه السوق، وظل بالولاية حتى وفاته سنة ٢٦٠هـ (٨٧٤م)[٤].

وفي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن تولى الشرطة الصغرى أبو سعيد محمد ابن عبدالرحمن بن إبراهيم، وقد ذكر الخشني قصة وقوف صاحب الشرطة محمد بن عبدالرحمن في وجه قاضي الجماعة أحمد بن زياد اللخمي عندما أراد أن يحبس محمد بن يوسف[٥].

---

١ - المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ٣٨.

٢ -المصدر السابق، تحقيق: د.محمود مكي، ٢٩،٣٨.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٢٦. ترتيب المدارك، ١١٣/٤.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٠٧.

٥ - قضاة قرطبة، ص ٦٥-٦٦.

كما تولاها موسى بن محمد بن زياد الجذامي[١]، قبل أن يلي قضاء الجماعة، وكذلك تولاها مسرور المعلم[٢].

وفي عهد الأمير عبدالله بن محمد كان الفقيه أبو عبدالله محمد بن سعيد الموثق، المعروف بابن الملون، يلي الشرطة الصغرى بعهد من الأمير لكنه لم يستمر في منصبه إذ مات في صدر أيام الأمير عبدالله[٣].

وعندما توفي الأمير عبدالله كان أحمد بن محمد بن حدير يلي الشرطة الصغرى، فأقره عليها الأمير عبدالرحمن بن محمد، ثم نقله منها إلى الوزارة والقيادة وذلك لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٠هـ (ديسمبر سنة ٩١٢م) وولي مكانه محمد بن محمد بن أبي زيد، ثم عزله عنها وولاها يحيى بن إسحاق سنة ٣٠٤هـ (٩١٦)[٤] ثم أعاد ابن أبي زيد للشرطة الصغرى وذلك يوم السبت لخمس بقين من شوال سنة ٣١٠هـ (فبراير ٩٢٣م)[٥] وفي سنة ٣١١هـ (٩٢٤م) تولى الشرطة الصغرى يحيى بن يونس القبري[٦].

---

١ - المصدر السابق، ص ٩٤.

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٧٠. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٤٣١.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٢٥. ترتيب المدارك، ٤٥٢/٤.

٤ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ١٣٤. البيان المغرب، ١٦٧/٢.

٥ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص١٨٢. البيان المغرب، ١٨٣/٢.

٦ - البيان المغرب، ١٨٥/٢. ورد الاسم لدى ابن عذاري "القبرسي" والتصحيح من المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ٣١٤.

وتولاها مع السوق والسكة يحيى بن عبدالله بن يونس المرادي، المتوفى سنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م) [1] ثم تولاها حسين بن أحمد بن عاصم الذي تنازع مع الفقيه ابن لبابه في مجلس قاضي الجماعة محمد بن عبدالله بن أبي عيسى فاحتدم الخصام بين الاثنين مما تسبب في اضطراب جسم بن لبابة ففلج، وحمل إلى داره، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من ذي الحجة، وتوفي يوم الأحد لست خلون من ذي الحجة سنة ٣٣٠هـ (أغسطس ٩٤٢م) [2].

ومن الذين تولوا خطة الشرطة في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي دليم، المتوفى في شهر جمادى الأولى سنة ٣٥١هـ (يونيو ٩٦٢) كان نبيلاً في الحديث، ضابطاً لما روى، بصيراً في الإعراب، تولى قضاء إلبيرة وبجانه وأحكام الشرطة، وكانت له لدى الخليفة المستنصر مترلة خاصة[3].

ونظراً لشدة تعلق الخليفة المستنصر، بالعلم والعلماء، نجده يميل إلى تولية بعض العلماء لمناصب دولته، ومنها الشرطة، فبالإضافة إلى ابن أبي دليم نجد أبا عبدالله محمد بن أبان ابن سيد اللخمي، الذي كان عالماً

١ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص ٤٩١.

٢ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٣١. ترتيب المدارك، ٩٢/٦.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٠٧.

بالعربية واللغة، وحافظاً للأخبار والأنساب والأيام والمشاهد والتـــواريخ، يلي أحكام الشرطة للخليفة الحكم وله مكانة عنده[١].

وكذلك تولى الشرطة الصغرى أبو عبدالله محمد بن تمليخ التميمي، المتوفى في شهر رمضان سنة ٣٦١هـــ (يوليو ٩٧٢م) تولى خطـــة الـــرد والشرطة، وقد كانت له مترلة عند الخليفة الحكم المستنصر، كما كـــان عالماً بالطب[٢].

ويذكر ابن حيان أنه في يوم السبت السادس من شهر شوال ســـنة ٣٦١هـــ (٢١ يوليو ٩٧٢) عُزل خالد بن هشام عن الشرطة الصغرى[٣] وكان قبل ذلك في شهر رمضان من العام نفسه قد تمت تولية علي بـــن محمد بن أبي الحسن الشرطة الصغرى مجموعة له إلى القضاء بالثغر، وبلغ رزقه ثلاثين ديناراً، وفي اليوم نفسه قدم أخوه حسن بن علي إلى الشرطة الصغرى أيضاً إلى مايليه من قضاء الثغر[٤]، كما تولاها لفترة وجيزة محمد بن يحيى بن عبدالعزيز المعروف بابن الخراز، الذي لزم داره طيلة السنوات السبع الأخيرة من عمره، حيث توفي يوم الأحد لسبع خلون من شـــوال سنة ٣٦٩هـــ (٢٨ إبريل ٩٨٠م)[٥].

---

١ – المصدر السابق، ترجمة رقم ١٢٨٧.

٢ – نفسه، ترجمة رقم ١٣٠١.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.الحجي ص٨٦.

٤ – المصدر السابق، ص٨١.

٥ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣٢٥.

وفي صدر دولة الخليفة هشام المؤيد بالله، تولى أحكام الشرطة أبو عثمان سعيد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير، ثم لزم بيته وانقبض عن الخدمة إلى أن توفي غداة يوم الثلاثاء لتسع بقين من ربيع الأول سنة ٣٩١هـ (فبراير ١٠٠١م)[١].

كما تولاها في عهد الخليفة هشام المؤيد عدد من أعلام قرطبة، منهم:-

أبو عبدالله محمد بن يحيى بن الخليل توفي لليلتين خلتا من رجب سنة ٣٧٠هـ (٨ يناير ٩٨١م)[٢]، والعالم اللغوي محمد بن حسن الزبيدي، المتوفى يوم الخميس مستهل جمادي الآخرة سنة ٣٧٩هـ (٥ ديسمبر ٩٨٩م)[٣]، والأديب العالم أحمد بن أبان بن سيد، المتوفى سنة ٣٨٢هـ (٩٩٢م)[٤]، أبو عبدالله محمد بن قاسم بن محمد الأموي، المعروف بالجالطي، كان من أهل العلم والأدب والدراية والرواية، تولى أحكام الشرطة للخليفة هشام المؤيد بالله، فكان محموداً في حكومته، قتلته البرابرة يوم تغلبهم على قرطبة في جوف بيته مدافعاً عن أهله وولده، وذلك يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣هـ(٢١ إبريل ١٠١٣م)[٥].

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٥٣١.

٢ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١٣٢٨.

٣ - نفسه، ترجمة رقم ١٣٥٧.

٤ - الصلة، ترجمة رقم ٦.

٥ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١٠٦٠.

وهذا الشاعر الطبني أبو عبدالله محمد بن الحسين بن محمد بن أسد الحماني، مشرقي، قدم الأندلس سنة ٣٣١هـ (٩٤٣م) وكانت له عند العامريين حظوة خاصة، تولى بسببها الشرطة عندهم، وعاش إلى أن علت سنه، توفي غداة يوم الاثنين لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٣٩٤هـ (أكتوبر ١٠٠٤م)[1].

ومحمد بن يحيى بن زكريا بن برطال، كان يلي الشرطة حتى سنة ٣٨١هـ (٩٩١م)[2]. وعبدالرحمن بن محمد بن أحمد الرعيني المعروف بابن المشاط، المتوفى سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧م) كان يلي للحاجب المنصور بن أبي عامر أحكام الشرطة وخطة الوثائق السلطانية وقضاء إستجه وأشونه وقرمونة ومورور وتاكرنا، جمعهن له، وقد تنقل في وظائف عدة إلى أن توفي سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧م)[3]. وعبدالله بن أحمد بن قند، المتوفى سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م)[4]. وعبدالله بن حسين بن إبراهيم بن حسين بن عاصم، المتوفى سنة ٤٠٣هـ (١٠١٣م)[5] وعبد الملك بن

---

١ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٤٠٦. قارن الصلة، ترجمة رقم ١٣٠٤.

٢ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٣٩٠.

٣ – الصلة، ترجمة رقم ٦٧٨.

٤ – المصدر السابق، ترجمة رقم ٥٦٥.

٥ – التكملة، (طبعة كويرا) ترجمة رقم ١٢٧٧.

مروان بن أحمد بن شهيد، المتوفى سنة ٤٠٨هـ (١٠١٧م) [١] ومحمد بن يحيى بن عبدالرحمن بن حدير، المتوفى سن ٤١٤هـ[٢] (١٠٢٤م).

وأما الشرطة الوسطى فقد تعاقب على ولايتها شخصيات عدة، والأسماء التي سوف أوردهاعلى أنها قد تولت الشرطة الوسطى، لم تصرح المصادر بتولي بعضها لتلك الخطة، وهذا قليل، وقد أدرجتها ضمن القائمة بناء على استقراء لبعض الأحداث التاريخية، وإن كان الأمر لايمكن القطع به، فعندما أنشأ الخليفة عبدالرحمن الناصر الشرطة الوسطى، كان أول ولاتها هو: سعيد بن سعيد بن حدير، كما تولاها جعفر بن عثمان المصحفي المتوفى سنة ٣٧٢هـ (٩٨٢م) فقد استخدمه الحكم بن عبدالرحمن الناصر عندما كان وليا للعهد فاستكتبه "ورقاه إلى خطة الشرطة الوسطى والنظر في عدة من الأعمال والكور[٣]".

وفي سنة ٣٢٩هـ (٩٤١م) تولى عبيدالله بن يحيى بن إدريس خطة الشرطة الوسطى[٤] وقد بلغ من تواضعه رحمه الله، انه رغم توليه الوزارة فيما بعد فقد كان يؤذن في مسجده، ولم تزده الخطط الرفيعة إلا تواضعاً، وقد توفي في أواخر ذي القعدة سنة ٣٥٢هـ (نوفمبر ٩٦٢م[٥]).

---

١ – الصلة، ترجمة رقم ٧٦١.

٢ – المصدر السابق، ترجمة رقم ١٠٩٩.

٣ – البيان المغرب، ٢/٢٥٤.

٤ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٧١.

٥ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ٧٦٧.

كما شغل هذه الخطة في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله أبو محمد قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار، المتوفى سنة ٣٥٣هـ (٩٦٤م[١]).

ويذكر ابن حيان أنه في شهر جمادى الأولى من سنة ٣٦١هـ (فبراير ٩٧٢[٢]) قدم الخليفة الحكم المستنصر بالله "محمد بن عبدالله بن أبي عامر إلى خطة الشرطة الوسطى مجموعة له إلى مافي يده من خطة المواريث والقضاء بإشبيلية ووكالة الأمير أبي الوليد هشام[٣]".

ويذكر ابن حيان أنه في الاحتفال الذي أقامه الخليفة الحكم المستنصر بالله بمناسبة عيد الأضحى لعام ٣٦٢هـ (سبتمبر ٩٧٤م) كان عبدالرحمن بن يحيى بن هشام التجيبي يلي الشرطة الوسطى حيث كان من بين الذين حجبوا الأمير هشام بن الحكم المستنصر[٤].

وحدث أن عتب الخليفة الحكم المستنصر بالله على صاحب الشرطة الوسطى يعلى بن أحمد بن يعلى فأمر بإقصائه عن منصبه وذلك يوم السبت لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٣٦٤هـ (يونيو ٩٧٥م[٥]).

---

١ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٩١.

٢ – المقتبس، تحقيق: د.الحجي، ص٧٢. وقد جعل ابن عذاري ذلك في شهر جمادى الآخرة، البيان المغرب، ٢٥١/٢.

٣ – المقتبس، تحقيق: د.الحجي، ص٧٢.

٤ – المصدر السابق، ص ١٨٥.

٥ – نفسه، ص٢٢٨.

وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان سنة ٣٦٤هـ قدم عبدالعزيز بن حكم التجيبي من الشرطة الوسطى إلى الشرطة العليا[١].

وفي يوم السبت العاشر من شهر صفر سنة ٣٦٦هـ (أكتوبر ٩٧٦) أصدر الخليفة هشام المؤيد بالله أوامره بترقية محمد بن أبي عامر من الشرطة الوسطى إلى خطة الوزارة[٢]، وتولى بدلاً منه أبو القاسم نزار بن كوثر، المتوفى قريباً من سنة ٣٨٠هـ (٩٩٠م[٣]). وفي عهد تسلط الحاجب المنصور بن أبي عامر على الخليفة هشام المؤيد بالله، تولى الشرطة الوسطى عبدالله بن سعيد بن محمد بن بتري، المتوفى سنة ٤٠١هـ (١٠١١م) وقد كلفه المنصور في ذلك الوقت بالإشراف على الزيادة التي أجراها على جامع قرطبة سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م[٤]).

ويمكن اعتبار الفقيه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحضرمي، المعروف بابن الشرفي، المتوفى في نصف شهر شعبان سنة ٣٩٦هـ (مايو ١٠٠٦م) آخر أصحاب الشرطة في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، فقد تولى خطط الشرطة والمواريث والصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة ولم يزل يشغلها حتى وفاته[٥].

---

١ - نفسه، ص ٢٢٥.

٢ - البيان المغرب، ٢/٢٥٤.

٣ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٨٥.

٤ - التكملة، (طبعة كوديرا)، ترجمة رقم ١٢٧٧. البيان المغرب، ٢/٢٨٧.

٥ - ترتيب المدارك، ٧/١٩٢-١٩٤.

وبجلس صاحب الشرطة الوسطى يكون دائماً بعد صاحب الشرطة العليا ففي عيد الفطر الكائن في سنة ٣٦١هـ (١٦ يوليو ٩٧٢م) جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله وجلس كبار رجالات الدولة من حوله بالترتيب، وكان جلوس صاحب الشرطة الوسطى آنذاك محمد بن عبدالله بن أبي عامر تحت صاحب الشرطة العليا محمد بن سعد[١].

وعند استقبال الخليفة رجال دولته يكون ترتيب صاحب الشرطة الوسطى بالتسليم على الخليفة بعد صاحب الشرطة العليا[٢].

وأما الشرطة العليا فيمكن اعتبار محمد بن خالد بن مرتنيل، المعروف بالأشج أول من تولاها في الأندلس، وذلك بالنظر إلى سلطته الواسعة، حتى أنه أدب أحد أصحاب الأمير عبدالرحمن الأوسط وحبسه، وعندما عاتبه الأمير على ذلك أجابه ابن مرتنيل بأنه عندما تولى الشرطة لم يوصه الأمير بمراعاة أحد دون أحد[٣]، ومما يقوي اعتبار أن ابن مرتنيل أول من تولى الشرطة العليا أن معاصره حارث بن أبي سعد كان يلي الشرطة الصغرى، وهذا كانت وفاته سنة ٢٢٢هـ (٨٣٧) وابن مرتنيل توفي سنة ٢٢٠هـ (٨٣٥م).

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.الحجي، ص٨١.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٠.

٣ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١١١. ترتيب المدارك، ٤/١١٧-١١٨.

كما تولى الشرطة العليا في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط سعيد بن عياض القيسي[١]، وكان حارث بن أبي سعد يلي الشرطة الصغرى في الوقت نفسه.

وفي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن كان على الشرطة العليا إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل، المتوفى في شهر رمضان سنة ٢٤٩هـ (نوفمبر ٨٦٣م) وكما نلاحظ من نسبه فإنه من أسرة أفرادها هم أول ولاة الشرطة العليا، وقد عرف إبراهيم بن حسين بأنه كان خبيراً فقيهاً عالماً بالتفسير، واتصف بالصلابة في حكمه، والعدالة عندما كان والياً للشرطة وقد ذكر ابن لبابة أن إبراهيم هذا قد عاقب أحد شهود الزور بأن أقامه عند الباب الغربي لجامع قرطبة ثم ضربه أربعين سوطاً وحلق لحيته وسخم وجهه[٢].

وممن كان يلي الشرطة العليا في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن الأديب الشاعر عبدالله بن عاصم، فقد كان رجلاً سريع البديهة كثير النوادر، ولذا فقد كان من جلساء الأمير محمد[٣].

وكذلك إبراهيم بن حسين بن عاصم، المتوفى في شهر رجب من سنة ٢٥٦هـ (يونيو ٨٧٠م)[٤] ويبدو أنه في عهد ولايته للشرطة العليا

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي ص ٣٨.

٢ - ترتيب المدارك، ٤/٢٤٢-٢٤٤. المعيار المعرب، ٢/٢١٥.

٣ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٥٦٠.

٤ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣.

قد كثر أهل الشر والفساد ولأجل هذا فقد قال عنه القاضي عياض، أنــه قد غلب "على أهل الشر، وقد قتل وصلب كثيراً بلا مشـــاورة ســـلطان ولافقيه[١]".

وفي عهد الأمير عبدالله بن محمد كان مروان بن عبدالملك بن عبدالله بن أمية يلي الشرطة العليا، وظل في منصبه حتى عزله الأمير عن سخطه في سنة ٢٨٣هـــ (٨٩٦م[٢]) ثم أودع مع غيره في سجن المطبق بداخل قصر الإمارة حيث قتل ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان ســـنة ٢٨٤هـــ (١٤ سبتمبر ٨٩٧م)[٣].

ثم تولى الشرطة من بعده موسى بن محمد بن زياد الجذامي، فقـــد كان على الشرطة الصغرى والرد ثم نقله الأمير للشرطة العليا[٤]، واستمر في منصبه حتى تولى قضاء الجماعة بعد النضر بن سلمة الذي عزله الأمير عبد الله عن منصبه سنة ٢٨٥هـــ (٨٩٨م) بعد أن استمر في القضاء مدة عشرة أعوام تقريباً[٥].

---

١ - ترتيب المدارك، ٤/٢٥٤.

٢ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١١٨.

٣ - المصدر السابق، ص١٢٢.

٤ - قضاة قرطبة، ص٩٤.

٥ - المصدر السابق، ص ٩٢-٩٣.

وبعد موسى بن محمد بن زياد تولى الشرطة العليا عمه يحيى بن زياد، فلما توفي بقيت الشرطة دون والٍ مدة سنتين ثم وليها قاسم بن وليد الكلبي فظل عليها حتى توفي الأمير عبدالله بن محمد[1].

فلما تولى الإمارة الأمير عبدالرحمن بن محمد أقر قاسم بن وليد على الشرطة العليا[2]، ثم عزله عنها وجعل مكانه عيسى بن أحمد بن أبي عبده[3] ولأربع بقين من ربيع الآخر سنة ٣٠٠هـ (ديسمبر ٩١٢م) عزل عيسى وجعل مكانه قاسم بن وليد[4]، ثم عزله عنها وجعل مكانه أحمد بن محمد بن مسلمة وذلك في شهر رجب من سنة ٣٠١هـ (مارس ٩١٤م[5]).

ثم عُزل عنها ابن سلمه وأعيد قاسم بن وليد إلى ولايتها[6]، ثم عزل مسخوطاً عليه وذلك أواخر ذي الحجة سنة ٣٠١هـ (يوليو ٩١٤م) وتولاها عباس بن الوزير القائد أبي عباس أحمد بن محمد بن أبي عبده[7] فاستمر في منصبه إلى أن قتل يوم الأحد مستهل ذي الحجة سنة ٣٠٢هـ

---

١ - البيان المغرب، ١٥٢/٢.

٢ - المصدر السابق، ١٥٨/٢.

٣ - نفسه، ١٥٩/٢.

٤ - نفسه، ١٦٠/٢.

٥ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ٨١.

٦ - البيان المغرب، ١٦٤/٢.

٧ - المصدر السابق، ١٦٥/٢.

(١٨ يونيو ٩١٥م) أثناء محاصرته مُنت روبي، فولى الأمير مكان عباس أخاه عبدالله بن أحمد إكراماً لأبيه ومواساة له[١].

وفي سنة ٣٠٣هـ (٩١٥م) تولى الشرطة العليا محمد بن أبي زيد[٢]، ثم عزل عنها في أواخر شهر ربيع الآخر من سنة ٣٠٨هـ (سبتمبر ٩٢٠م) وولاها مولاه دري بن عبدالرحمن[٣] الذي استمر في ولايته إلى سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) فعزله الخليفة عبدالرحمن الناصر وولى مكانه أحمد بن أبي قابوس، وبعد شهر من ذلك أعاد الخليفة مولاه دري إلى الشرطة العليا[٤].

ويذكر ابن حيان أنه في سنة ٣٢٥هـ (٩٣٨) كان صاحب الشرطة العليا عبدالله بن بدر أحد شهود عقد الأمان الذي أبرمه الخليفة عبدالرحمن الناصر لمحمد بن هاشم التجيبي[٥].

وفي سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) عزل عبدالله بن بدر عن الشرطة العليا وأضيفت مع خطة المظالم والوزارة لذي الوزارتين أحمد بن عبدالملك بن شهيد[٦]. وفي سنة ٣٣٠هـ (٩٤٢م) أزاح الخليفة الشرطة عن ابن شهيد

---

١ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٠٧. البيان المغرب، ٢/١٦٧.

٢ - البيان المغرب، ٢/١٦٨.

٣ - المصدر السابق، ٢/١٨٠.

٤ - نفسه، ٢/١٩٩.

٥ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٠٨.

٦ - المصدر السابق، ص٤٦١-٤٦٢.

وولاها مولاه نجدة بن حسين الحيري[1]. وفي سنة ٣٤٧هـ (٩٥٨م) كان أحمد بن يعلى هو صاحب الشرطة العليا[2].

هذا، وقد شغل خطة الشرطة العليا في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله عدد من الشخصيات هم بالترتيب:

عبدالله بن بدر بن أحمد، محمد بن جهور[3]، هشام بن محمد بن عثمان، أحمد بن سعد الجعفري، أحمد بن نصر، يحيى بن عبيدالله بن يحيى بن إدريس، محمد بن سعد، عبدالرحمن بن رماحس، قاسم بن محمد بن قاسم بن طملس، أحمد بن عيسى بن فطيس، محمد بن عبدالله بن أبي عامر، رائق بن حكم الجعفري، رزق بن الحكم الجعفري، أحمد بن عبدالله بن بسيل وعبدالعزيز بن حكم التجيبي[4].

وطيلة عهد الخليفة هشام المؤيد بالله وهي فترة تسلط الحجاب العامريين على الخلافة، تعاقب على الشرطة العليا مجموعة من رجالات الدولة منهم:

---

١ - نفسه، ص٤٨٧.

٢ - البيان المغرب، ٢٢١/٢.

٣ - المصدر السابق، ٢٣٥/٢.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.الحجي الصفحات: ٢٠، ٢١، ٤٤، ٦٦، ٧٢، ٨١، ٨٩، ١٠٦، ١١٩، ١٢٣، ١٤٩، ١٥١، ١٨٤، ٢٢٥.

زياد بن أفلح[١]، محمد بن بسيل[٢] عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الرعيني المعروف بابن المشاط، المتوفى سنة ٣٩٧هـ (١٠٠٧م[٣]).

وآخر من تولى الشرطة العليا في عهد الحجاب العامريين هو المدعو: ابن الرسان، كان رجلاً من سفَّال أهل قرطبة، ورغم ذلك ولاه الحاجب عبدالرحمن بن المنصور بن أبي عامر، ولاه الشرطة العليا، وكان يصطحبه معه في عزواته، ويأمره أن ينادي في المعسكر بأن أمير المؤمنين المأمون – يعني نفسه– يأمركم بكذا وكذا[٤].

وعندما تمكن محمد بن عبدالجبار المهدي من الاستيلاء على قرطبة، وصلب شنجول على باب السدة، أمر ابن الرسان صاحب شرطة شنجول أن ينادي عليه هذا شنجول المأبون، ثم يلعنه ويلعن نفسه، وذلك يوم السبت لأربع خلون من شهر رجب سنة ٣٩٩هـ (١ مارس ١٠٠٩م) [٥].

ولصاحب الشرطة دور أساسي في استتباب الأمن، والأمر متوقف على قوة شخصيته، ويعتبر محمد بن عبدالله بن أبي عامر أشهر من تولى خطة الشرطة في الأندلس، خاصة بعد انقضاء عهد الأمراء والخلفاء

---

١ – تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٨٦.

٢ – ذكر بلاد الأندلس، ١/١٧٤.

٣ – الصلة، ترجمة رقم ٦٧٨.

٤ – البيان المغرب، ٣/٤٩.

٥ – المصدر السابق، ٣/٧٣.

الأقوياء، ويمكن أن نتصور قوة ابن أبي عامر في هذا المجال من خلال ماذكره ابن عذاري من أن أهل قرطبة كانوا، قبل سيطرة ابن أبي عامر على كرسي شرطة المدينة "في بلاء عظيم، يتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعة طراقه مالايكابد أهل الثغور من العدو[١]" ولأجل القضاء على هذه المشكلة الحساسة قام "بسد باب الشفاعات وقمع أهل الفسق والذراعات، حتى ارتفع البأس، وأمن الناس، وأُمنت عادية المتجرمين من حاشية السلطان، حتى لقد عثر على ابن عم له يعرف بعسقلاجة، فاستحضره في مجلس الشرطة وجلده جلداً مبرحاً كان فيه حمامه[٢]". وبذلك "ضبط المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة من سلف من أفراد الكفاة وأولي السياسة[٣]".

وفي الاحتفالات الرسمية التي تقيمها الدولة سواء بمناسبة الأعياد أو الاستقبالات الدبلوماسية يكون ترتيب صاحب الشرطة العليا سواء في السلام على الخليفة أو حجابته بعد الوزير صاحب المدينة[٤]، ويكون مكان جلوسه في القصر في المجلس القبلي بدار الوزراء مع أصحابه[٥].

---

١ - البيان المغرب، ٢/٢٦٦.

٢ - المصدر السابق والصفحة

٣ - نفسه، والصفحة.

٤ - المقتبس، تحقيق: د.الحجي، ص ٨١.

٥ - المصدر السابق، ص ٥٠.

أما المهام التي يضطلع بها صاحب الشرطة العليا فهي جسيمة ومتعددة، منها:

قيادة الجيش وفرض الحصار[1] وحضور عقد الأمان الذي يعقده الخليفة لأحد المناوئين التائبين[2]، كما يتم أحياناً تكليفه بقيادة الأساطيل البحرية[3]، وكذلك دفع التعويضات المالية للأهالي في إحدى الكور لقاء ماأخذته منهم الدولة من مواد بغية تجهيز السفن الحربية[4] وفي بعض الأحيان يخرج صاحب الشرطة العليا على رأس طائفة من الجند؛ ليكون مددا لبعض قادة الجيش[5]، وبناءً على اوامر الخليفة يقوم صاحب الشرطة العليا بنفسه بإلقاء القبض على أحد كبار رجالات الدولة ووضعه في السجن[6].

ومن ناحية الأمور المتعلقة بالمسائل الدبلوماسية يتم تكليفه باصطحاب الرسل والوفود من مكان إقامتهم إلى قصر الخليفة لمقابلته[7].

---

١ - المقتبس، تحقيق:شالميتا،ص٢٠٠-٢٠١، ٢١٣-٢١٤.المقتبس، تحقيق: د.الحجي ص٩٢-١٠٠.

٢ - المقتبس، تحقيق شالميتا، ص٤٠٨.

٣ - المقتبس، تحقيق د.الحجي، ص٨٩ البيان المغرب، ٢٢٢/٢.

٤ - المقتبس، تحقيق: د. الحجي ص ١٠١.

٥ - المصدر السابق، ص ١٠٦ .

٦ - نفسه، ص١٥٣.

٧ - نفسه، ص٤٧-٧٧.

وعندما يريد الخليفة أن يخرج أموالاً خاصة به، ليتم تفريقها على الفقراء والمساكين، تعبيراً منه على شكره لله تعالى لقاء أمر أدخل السرور على قلبه مثل مافعل الخليفة الحكم المستنصر بالله عندما عاين إقبال ولده الأمير هشام على التعلم من مؤدبه الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف الملقب بالقسطلي، ففي هذه الحالة يتم تكليف صاحب الشرطة العليا بتولي تفريق الأموال على الضعفاء والمساكين وأبناء السبيل[١].

ومن أجل نشر العدل في الرعية يتولى صاحب الشرطة العليا التحقيق في الشكاوى المرفوعة ضد بعض العمال[٢] كما يقوم بتنفيذ أوامر الخليفة أو الحاجب في الأفراج عن بعض المسجونين[٣].

وفيما يتعلق بولي العهد فإن صاحب الشرطة العليا يقوم بأخذ البيعة لولي العهد من الناس على مراتبهم[٤] كما يقوم بأخذها له بعد استلامه الحكم[٥].

وعندما يأمر الخليفة بإقامة بعض المنشآت العمرانية[٦] أو إجراء توسعة لبعض الشوارع الضيقة[١]، فإن صاحب الشرطة العليا يتولى

١ - المقتبس، تحقيق: د.الحجي ص٧٧.

٢ - المصدر السابق، ص١٠٠.

٣ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٢١٥.

٤ - البيان المغرب، ٢/١٩٤.

٥ - المصدر السابق، ٢/٢٥٤.

٦ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٦٧.

مسئولية الإشراف على إنجازها كما يتولى الإشراف على نقل الأشياء الهامة مثل النقل الذي تم لدار البرد من غرب قرطبة إلى دار الزوامل التي بالمصارة في طرف قرطبة[٢].

لأجل هذا، فإن منصب الشرطة العليا من أهم مناصب الدولة الأموية في الأندلس، ولذا فلا يليه إلا كبار رجالات الدولة. وقد بلغ من اهتمام بني أمية في صاحب هذا المنصب أن من يليه يصبح ركوبه من على حجر يعرف بـ"حجر الأعزة[٣]" في داخل القصر ولايؤذن لأحد بالركوب منه إلا لخواص كبار رجالات الدولة.

وصاحب الشرطة العليا حتى وإن بدا منه أحياناً العنف ضد بعض أصحاب أمراء وخلفاء بني أمية، فإن هذا لايدفعهم إلى عزله أو تعنيفه، بل يعمدون إلى تحذير خواصهم من الوقوع بيده[٤]، ويقرونه على منصبه؛ لإدراكهم أن في قوته ضمان للأمن، مما يكفل لهم عدم الاصطدام برعيتهم، وذلك بسبب إعطاء كل ذي حق حقه، دونما اعتبار إلى مكانة من ترتب عليه الحق، الأمر الذي يشعر الجميع بالرضا، وهو ماينتج عنه بالنهاية استمرار حكم الأسرة الأموية.

---

١ - المقتبس، تحقيق: د.الحجي، ص٧١.

٢ - المصدر السابق، ص ٦٦.

٣ - نفسه، ص ٢٢٥.

٤ - ترتيب المدارك، ٤/١١٧-١١٨.

هذا، وقد أشار الأستاذ محمد خلاف عند دراسته لخطة الشرطة إلى نقطة جديرة بالملاحظة، وهي تكرارِ ورود لفظ "صاحب الشرطة العليا" عند ابن حيان دونما تحديد منه لمكان شغل هذه الخطة، واستشهد على ذلك بما ورد في المقتبس عن رسوم جلوس الخليفة الحكم المستنصر بالله في عيد الفطر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م[١] وكذلك في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة عيد الأضحى سنة ٣٦٣هـ (٩٧٤م[٢]) بالإضافة إلى ماورد في أحداث شهر رجب سنة ٣٦٤هـ (٩٧٥م[٣]).

ومن ذلك استنتج الأستاذ خلاف أن تكرار لفظ "صاحب الشرطة العليا" المراد به تعدد كراسيها في قرطبة والزهراء وبقية الكور الأندلسية[٤]، ورغم وجاهة هذا الاستنتاج إلا أنني أميل إلى استنتاجه الآخر الذي قال فيه:-

"أو ربما كان يجلس في هذه المقاعد كل من كان يشغل خطة الشرطة العليا الذين ما زالوا على قيد الحياة والحاليين حسب أقدميتهم وسنهم[٥]".

١ - المقتبس، تحقيق: د.الحجي ص١١٩.

٢ - المصدر السابق، ص١٨٤-١٨٥.

٣ - نفسه، ص ٢١٦.

٤ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٨٤.

٥ - المرجع السابق، ص٤٨٤.

ومما يرجع هذا الرأي عندي، أن اللقب الذي يحصل عليه أحد رجالات الدولة، لايسحب منه بمجرد عزله عن ذلك المنصب، كما أن عزله لايعني إبعاده عن الأمير أو الخليفة الأموى، إذ أن الأمر مرتبط بولاء شديد تقدمه الأسر التي تنحصر فيها الخطط للأسرة الأموية، والأخيرة بدورها تحرص كل الحرص على استمرارية هذا الولاء؛ لأنه يمثل سياج الحماية لها ضد كل المناوئين.

توارث خطة الشرطة

خطة الشرطة في دولة بني أمية بالأندلس، كانت متوارثة، شأنها في ذلك شأن معظم خطط الدولة، فقد تعاقب على خطط الشرطة بدرجاتها الثلاث أبناء أسر معينة، فقد تولاها: حارث بن أبي سعد، المتوفى سنة ٢٢٢هـ (٨٣٧[١]) وخلفه عليها ابنه محمد المتوفى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٤م[٢]) ومن أسرة آل عاصم تولى الشرطة كل من:-

إبراهيم بن حسين بن عاصم، المتوفى سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م) [٣]، وعبدالله ابن عاصم الذي كان من جلساء الأمير محمد بن عبدالرحمن[٤]،

---

١ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ٧٩. ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣٢٦. ترتيب المدارك، ١١٣/٤.

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٤٥. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٠٧.

٣ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٣.

٤ - جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٥٦٠.

وحسين بن أحمد ابن عاصم[1]، وأخيراً عبدالله بن حسين بن إبراهيم بن عاصم المتوفى سنة ٤٠٣هـ (١٠١٣م[2]).

ومن أسرة مرتنيل، تولى خطة الشرطة كل من: محمد بن خالد بن مرتنيل، المعروف بالأشج المتوفى سنة ٢٢٠هـ[3] (٨٣٥م) كما تولاها إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل، المتوفى سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣[4]).

وهناك ثلاثة من أسرة ابن حدير تولوا خطة الشرطة، هم:

سعيد بن سعيد بن حدير، وهو أول من تولى الشرطة الوسطى في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م[5]) وسعيد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير، المتوفى سنة ٣٩١هـ[6] (١٠٠١م) وأخيراً محمد بن يحيى بن عبدالرحمن بن حدير، المتوفى سنة ٤١٤هـ (١٠٢٤م)[7].

---

١ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٢٣١.

٢ - التكملة ، (طبعة كوديرا)، ترجمة رقم ١٢٧٧.

٣ - أخبار الفقهاء والمحدثين، ترجمة رقم ١٢٦. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٠١.

٤ - ترتيب المدارك، ٤/٢٤٢-٢٤٤.

٥ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٢٥٢.

٦ - ابن الفرضي، ترجمة رقم ٥٣١.

٧ - الصلة، ترجمة رقم ١٠٩٩.

ومن أسرة ابن أبي عبده، هناك عيسى بن أحمد بن أبي عبده[١]، وعباس بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبده[٢]، وعبدالله بن أحمد بن أبي عبده[٣].

السجون

عندما استولى الأمير عبدالرحمن بن معاوية على قرطبة وقصر إمارتها، كان السجن يقع بالقرب من ذلك القصر الذي اتخذه الأمير الأموي مقراً لإمارته. وعندما تحدث ابن الآبار عن ذلك السجن، ذكر أنه كان ملاصقاً للقصر، ويصل بين السجن وبين نهر الوادي الكبير سرداب اتخذ للمساجين ينتهي بهم إلى الجزء المنخفض من شاطئ النهر ليستخدموه للطهور والوضوء، والرقباء يتابعونهم ولايغفلوا عنهم لحظة طيلة خروجهم إلى النهر[٤].

ومن هذا السجن هرب أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري عندما حبسه الأمير عبدالرحمن الداخل، إذ تمكن من التمثيل على الموكل به في السجن أنه أعمى وأجاد التمثيل إلى أن انطلت حيلته عليه فهرب[٥].

---

١ – البيان المغرب، ١٥٩/٢.

٢ – المصدر السابق، ١٦٥/٢.

٣ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١٠٧.

٤ – الحلة السيراء، ٣٥١/٢.

٥ – المصدر السابق، ٣٥١/٢. البيان المغرب، ٥٠/٢.

ولعل هذا الحبس هو الذي أراده ابن حوقل عندما ذكر أثناء حديثه عن قرطبة أن الحبس يقع بالقرب من المسجد الجامع[١]، وربما يكون هو الذي أطلق عليه ابن القوطية مسمى "دار الرهائن[٢]" إذ ذكر أنه مجاور لباب القنطرة المؤدي إلى قنطرة قرطبة المقامة فوق نهر الوادي الكبير، وبما أن السجناء كانوا يستخدمون حافة النهر للطهارة والوضوء، فمن الطبيعي أن يكون المكان عراء، يفتقد إلى شيء يستتر خلفه من أراد قضاء حاجته، وهذا أمر متعمد، لكي تسهل عملية المراقبة.

وقد ذكر ابن حيان أن السجناء كانوا يغشون هذا الموضع من غير سترة[٣]، الأمر الذي جعل الفقيه محمد بن عبدالسلام الخشني، المتوفى سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م) يأنف من هذه الصورة، وبسببها لم يذق الطعام طيلة ثلاثة أيام، وهي المدة التي قضاها في السجن وبذلك لم يضطر للذهاب إلى هذا المكان[٤].

وهناك سجن آخر يسمى "حبس الدويرة" ذكره ابن القوطيه أثناء حديثه عن الأمير الحكم الربضي[٥]، ويرى الدكتور عبدالعزيز سالم أن حبس الدويرة هو نفس الحبس القديم الذي كان أبو الأسود قد سجن به،

١ -صورة الأرض، ص ١٠٨.

٢ - ابن القوطية، ص٩٤.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٢٥٥.

٤ - المصدر السابق، ص٢٥٥.

٥ - ابن القوطية، ص٥٦.

ويحتج على ذلك بأن الفترة الزمنية الفاصلة بين الأمير عبدالرحمن الداخل وبين حفيده الأمير الحكم الربضي من القصر بحيث لاتسمح باستحداث سجن جديد[١].

ولكني أرى أنه سجن آخر، إذ أن اسمه أولاً يدل على صغر حجمه، وبذلك لايصلح أن يكون سجناً عاماً، فضلاً عن أن ابن القوطيه عاد وذكر قصة تؤيد ماذهبت إليه، وهي قصة الوزير صاحب المدينة أمية بن عيسى بن شهيد عندما استخلفه الأمير محمد بن عبدالرحمن عند خروجه إلى بعض مغازيه، وكان على سطح القصر أحد أولاد الأمير، وعندما حاول هذا الولد مغادرة السطح هدده الوزير ابن شهيد بأنه سوف يضع قيود الحديد في رجليه ويلقي به في حبس الدويره حتى يرجع والده[٢]. وهذه القصة تؤكد على أن حبس الدويره غير الحبس القديم، إذ أنه يقع في القصر، فضلاً عن أنه من المستحيل وضع ولد الأمير مع بقية المساجين في السجن العام.

ويمكن أن يكون حبس الدويره مخصصاً لعلية القوم، إن لم يكن خاصاً بأبناء البيت الأموي، فقد ذكر ابن حيان أن الأمير محمد بن عبدالرحمن عندما تولى الإمارة، كان أول أمر أصدره هو الإفراج عن القاسم وعبدالملك وعبدالعزيز أبناء العباس المرواني، إذ كانوا مسجونين في

١ - قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ٢١٨/١.

٢ - ابن القوطية، ص٨٦-٨٧.

سجن الدويره[١]، وقبله كان الأمير الحكم الربضي قد سجن به مجموعة خاصة من الفقهاء الذين ثاروا ضده[٢].

ويذكر بروفنسال أن هذا الحبس كان يقع تحت الأرض في القصر، وأنه كان مخصصاً لمن حكم عليه بالإعدام[٣].

وهناك حبس آخر يحمل نفس المسمى "الدويره" أنشأه الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة ٣٦١هـ (٩٧٢م) في الدار المنسوبة للسقائين بالقرب من سجن الزهراء[٤].

وهناك سجن آخر يدعى "دار البنيقة[٥]" كان يقع داخل قصر الإمارة بقرطبة، وفيه حبس الأمير عبدالله بن محمد ولده محمد وأخاه القاسم بن محمد[٦].

ومن أشهر سجون قرطبة سجن يدعى "المطبق" ويرى بعض المختصين بالدراسات الأندلسية أنه استحدث زمن الدولة الأموية[٧]، وإذا

١ - المقتبس، تحقيق:د.محمود مكي، ص١٢٠.

٢ - ابن القوطية، ص٥٦.

٣ - **L.Provencal: op. cit. T. III p:159**

٤ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي ص ٨٨.

٥ - يسميه الدكتور عبدالعزيز سالم، دار النقيقه. انظر: قرطبة حاضرة الخلافة، ٢١٩/١.

٦ - البيان المغرب، ١٥٠/٢.

٧ - قرطبة حاضرة الخلافة، ٢١٩/١.

كان الأمر كذلك، فيكون إنشاؤه قد تم قبل سنة ٢١٠هـ (٨٢٥م) إذ ان ابن حيان ذكر أنه في هذه السنة مات مالك بن القتيل في المطبق[١].

ويقع سجن المطبق داخل قصر قرطبة، ومن أشهر نزلائه الوزير هاشم بن عبدالعزيز، عندما سجنه الأمير المنذر بن محمد، ومن هذا السجن كتب الوزير هاشم إلى جاريته "عاج" عدة أبيات، أولها:

وإني عداني أن أزورك مطبق وباب منيع بالحديد مضبب[٢]

كما أن الأمير عبدالله بن محمد قد سجن في المطبق كلاً من: أخيه هشام، ومروان بن عبدالملك بن عبدالله بن أمية وسعيد بن وليد الشامي وأحمد بن هشام بن الأمير عبدالرحمن وموسى بن محمد بن زياد، وذلك يوم الخميس لست خلون من شعبان سنة ٢٨٤هـ (٩سبتمبر ٨٩٧م[٣]) ويوجد في سجن المطبق، بيت يعرف "ببيت البراغيث" وفيه كان المنصور بن أبي عامر قد سجن به الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي[٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمير أو الخليفة الأموي إذا سخط من أحد رجالات دولته، بسبب إهماله أو نحو ذلك، ففي هذه الحالة ليس بالضرورة أن يبعث به إلى السجن العام، بل يتم سجنه في أحد الأماكن بالقصر، مثل مافعل الخليفة الحكم المستنصر بالله عندما سخط على الخازن

---

١ – المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٧٧.

٢ – الحلة السيراء، ١/١٤٠.

٣ – المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٢٢.

٤ – البيان المغرب، ٢/٢٧٠.

أحمد بن محمد بن حاجب فأمر بعزله عن الخزانة وحبسه في بيت العمال بفصيل باب الجنان من قصر قرطبة، وذلك في شهر المحرم من سنة ٣٦٤هـ (أكتوبر ٩٧٤م[١]).

وفي السجون رجال اختصوا بتعذيب المساجين، يعرف كل منهم باسم "الضاغط" ولدينا عدة أسماء اشتهرت بالقسوة، فهناك ضاغط يدعى "عمير" كان مسئولاً عن التعذيب في السجن إبان عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وهو الذي عناه الشاعر عبدالله بن حسين بن عاصم عندما خاطب الأمير محمد بن عبدالرحمن مغرياً إياه بابن عمه سعيد بن عبدالملك بن سعيد بن عاصم، صاحب الطراز، وذلك عندما نكبه الأمير، فقد قال عبدالله بن عاصم:-

أحل عليهم عميرا أن يذيقهم طيب العصافير إن القوم قد سمقوا[٢]

وعمير هذا هو الذي عناه الشاعر السفير يحيى الغزال بقوله وهو يخوف أحد الظلماء:-

فكأني بعمير منك قد سل الحشاشة
أنت والله كما حا مت على النار الفراشة[٣]

ويصف ابن حيان عميرا هذا بقوله: "كان ضاغطاً للأمير محمد، وكان يتولى له تعذيب من يسخط عليه، يبدع في ذلك مكاره يستعاذ بالله

١ - المقتبس، تحقيق: د عبدالرحمن الحجي، ص٢٠٢.

٢ - المقتبس، تحقيق د.محمود مكي ص١٨٥.

٣ - المصدر السابق، ص١٨٥-١٨٦.

منها، وكان شديد القساوة، فظاً لايعرف الرحمة، فله في شأنه أخبار معروفة، وكانت العصافير آلة من آلات تعذيبه[1]".

وكان الذي يلي تعذيب الحاجب المصحفي يدعى واثق الضاغط، وهو الذي سلطه المنصور بن أبي عامر على المصحفي، يضيق عليه في سجنه ويحضره مراراً إلى مجلس الوزراء لمحاسبته، وفي كل مرة كانت الشدة والقسوة السمة البارزة لتعامل واثق الضاغط معه[2].

ويذكر ابن حيان أن الخليفة المستظهر بالله عبدالرحمن بن هشام عندما قبض على جماعة من وزرائه لمصادرهم، ولى مسئولية محاسبتهم وإخراج مابأيديهم أحد مسئولي التعذيب ويدعى نجاح الضاغط[3]، ولانعرف أنواع التعذيب التي كانت تجري داخل السجون في تلك الفترة، لكن ابن حزم ذكر أن الخليفة عبدالرحمن الناصر كان يعلق أولاد السودان في ناعورة قصره بدلاً من الأقداس الغارقة في الماء[4].

كما كانت لديه دار خاصة بالأسود، اتخذها لإرهاب الناس، وهذه الدار تقع "ظهر قصره فوق القنطرة الماثلة على الخندق، وبجوفه المطبق به ينسب إليها اليوم فتدعى قنطرة الأسود[5]".

---

١ – نفسه، ص ١٨٥.

٢ – البيان المغرب، ٢/٢٦٨.

٣ – الذخيرة، ق١م١ ص٥٢.

٤ – نقط العروس، ص٧٣. المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص٣٧.

٥ – المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٣٩.

ويبدو أن المسئولين عن التعذيب قد اختيروا بعناية فائقة، فهم باختصار أجساد بلا قلوب، يدل على ذلك ماذكره ابن حيان عن كيفية مقتل الشاعر الأديب عبدالملك بن إدريس الجزيري، في سجن المطبق بالزاهرة، حيث خُنق بداخل السجن على أيدي بعض السودان[١] وقد نقل لنا ابن حبان كيفية الخنق تلك، فقال: "أخبرني أبي خلف بن حسين، قال: سألت الذي تولى قتل الجزيري في محبسه، فجعل يصف لي سهولة ماعانه منه لقضافته وضعف أسره، ويقول: ماكان الشقي إلا كالفروج في يدي، دققت رقبته بركبتي فما زاد أن نفخ في وجهي، فعجبت من جهل هذا الأسود[٢]".

وكان التعذيب البدني يجري لبعض السجناء، فقد ذكر ابن بشكوال أن أبا عمر أحمد بن محمد بن فرج، أحد الشعراء، قد نقلت عنه كلمة عامية ضد الدولة، وذلك في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، فسجن بسجن جيان مدة سبعة أعوام أو أكثر، وخلال هذه المدة نيل بمكروه في جسده و لم يخرج إلا بعد وفاة الخليفة الحكم، لكنه لم يلبث إلا يسيراً ثم توفي[٣].

والدولة الأموية في الأندلس، كانت تحرص على تثقيف المساجين - من غير الأعلام- ثقافة موجهة، تخدم نظام الحكم في المقام الأول؛ ولأجل

---

١ - الذخيرة، القسم الرابع، ٥٢/١.

٢ - المصدر السابق، ٥٢/١.

٣ - الصلة، ترجمة رقم ٢.

تحقيق هذا الغرض يتم تكليف أحد رواة الأخبار بالاختلاف إلى السجن في أوقات محددة، حيث يجتمع بالمساجين، ويسمعهم قصص ذات نهج محدد، وإذا ماانحرف المؤدب عن هذا النهج تتم معاقبته.

ومما يدل على ذلك ماذكره ابن القوطية من أن الوزير صاحب المدينة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، أمية بن عيسى بن شهيد "خطر بدار الرهائن المجاورة لباب القنطرة ورهائن بني قسي ينشدون شعر عنترة، فقال لبعض الأعوان: ايتني بالمؤدب ... فقال له: لولا أني أعذرك بالجهل لأدبتك، تعمد إلى شياطين قد شجى الخلفاء بهم، فترويهم الشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة، كفّ عن هذا ولاترويهم إلا خمريات الحسن بن هانئ وشبهها من الأهزال[1]".

الشرطة في زمن الفتنة

اختفت في تلك الفترة التقسيمات التي عرفناها من قبل للشرطة، فلم يعد هناك إلا نوع واحد منها يتمتع بكافة صلاحيات الأنواع الأخرى من الشرطة[2].

ونظراً لأن فترة الفتنة كانت مضطربة، لم تعرف الاستقرار، لذا نرى كثرة الأسماء التي تعاقبت على خطة الشرطة، إذ أن كل من انتزى على كرسي الخلافة، أحضر صاحب شرطته معه[3].

---

١ - ابن القوطية، ص٩٤.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٩٩.

٣ - أعمال الأعلام، ٢/١١٠.

ومن تولى خطة الشرطة في تلك الفترة محمد بن المغيرة تولاها لابن عمه الخليفة المهدي في بداية وصوله للخلافة[١] كما تولاها اللغوي القرطبي عبدالله بن أحمد بن قند، المتوفى سنة ٤٠٠هـ[٢] (١٠١٠م).

وأما ابن وداعة فقد تولى الشرطة للخليفة هشام المؤيد في بداية خلافته الثانية[٣].

وقد ذكر ابن الأبار أن العالم ابن الغربالي عبدالله بن حسين بن إبراهيم بن حسين بن عاصم، قد تولى الشرطة بقرطبة، وقد قتله البربر يوم دخولهم قرطبة سنة ٤٠٣هـ[٤] (١٠١٣م).

وتولى خطة الشرطة الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف، المتوفى سنة ٤١٠هـ[٥] (١٠١٩م).

ومحمد بن يحيى بن عبدالله بن قاسم القيسي المعروف بابن الخفاريه، المتوفى سنة ٤١١هـ[٦] (١٠٢١م).

ومحمد بن يونس بن عبدالله المتوفى سنة ٤١٨هـ[٧] (١٠٢٨م).

---

١ - المصدر السابق، ٢/١١٠.

٢ - ترتيب المدارك، ٨/٢٥-٢٦.

٣ - البيان المغرب، ٣/١٥٠.

٤ - التكملة، طبعة الحسيني، ترجمة رقم ١٩٤٠.

٥ - ترتيب المدارك، ٨/٨-٩.

٦ - الصلة، ترجمة رقم ١١٠٢.

٧ - المصدر السابق، ترجمة رقم ١١٠٩.

وأبو عبدالله محمد بن علي بن هشام بن عبدالرؤوف، المتوفى سنة ٤٢٤هـ[1] (١٠٣٣م).

١ - ترتيب المدارك، ٨/١١-١٢.

خطة المدينة

ذكر الأستاذ حسين مؤنس أنه كان يوجد في النظام السائد في الأندلس قبل الفتح الإسلامي حاكم خاص للمدينة، يسمى DEFENSOR CIVITATIS أي حامي المدينة أو حارسها، ثم أصبحت في عجمية أهل الأندلس ZAHALMEDINA أو ZAFALMEDINA أو ZALMEDINA أي صاحب المدينة، واستمر هذا المصطلح متداولاً ومعمولاً به في ظل الحكم الإسلامي للأندلس[١].

ولكن رغم أن المسلمين قد ورثوا هذا المصطلح عن القوط والرومان، إلا أن المصادر الإسلامية لم تستخدمه بوضوح إلا في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، ولعل هذا راجع إلى أن هذا الأمير هو المنظم للجهاز الإداري للدولة الأموية في الأندلس، بالإضافة إلى أن منصب "المدينة" كان متداخلاً مع غيره من المناصب، و لم يصبح مستقلاً بذاته إلا في أوائل القرن الثالث الهجري "التاسع الميلادي" وذلك عندما ميز الأمير عبدالرحمن الأوسط "ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة[٢]".

---

١ - فجر الأندلس، ص٤٦٣.

٢ - المغرب في حلى المغرب، ١/٤٦.

وخطة المدينة هي إحدى الخطط الدينية التي تخوّل صاحبها حق إصدار الأحكام، وفي هذا يقول القاضي ابن سهل "وللحكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ست خطط: أولها القضاء .. والشرطة.. وصاحب المظالم، وصاحب الرد ... وصاحب المدينة، وصاحب السوق[١]".

ومن هنا يتضح لنا أن خطة المدينة أصبحت قائمة بذاتها، لها كيانها الذي يميزها عن سواها، وإذا كان البعض يرى أن هناك ازدواجية بين عمل صاحب المدينة وأصحاب الشرطة[٢]، فذلك راجع إلى أن أصحاب الشرطة -العليا والوسطى والصغرى- هم تحت إمرة صاحب المدينة الذي يعتبر المسئول عما يجري داخلها، فهو أشبه مايكون بوزير داخلية، المسئول الأول عن الأمن.

ومن يشغل هذه الخطة يسمى "حاكم المدينة[٣]" أو "متقلد المدينة[٤]" وكذلك "والي المدينة[٥]" ولكن المصطلح الذي اشتهر استخدامه هو: "صاحب المدينة[٦]".

---

١ - النباهي، ص٥.

٢ - أبو رميلة، نظم الحكم في الأندلس، ص٢٩٣.

٣ - البيان المغرب، ٥٤/٣.

٤ - المصدر السابق، ٥٨/٣.

٥ - قضاة قرطبة، ص٥٩.

٦ - المصدر السابق، ص١٠١،٨١،٧٧،٧٥.

وصاحب المدينة -كما يرى ابن عبدون- لابد أن يكون "رجلاً عفيفاً فقيهاً شيخاً؛ لأنه في موضع الرشوة وأخذ أموال الناس، وربما فجر إن كان شاباً شريباً[1]".

ولابد له من أعوان ينفذون أوامره ويساعدونه على أداء المهام المناطة به، ونظراً لحساسية منصبه، فعليه أن يكون حذراً في التعامل مع أعوانه، فلا يقبل منهم شيئاً إلا ببينة لاتحتمل الشك، ذلك لأنهم إلى الشر أقرب منهم إلى الخير[2].

ولقاضي الجماعة دور في عمل صاحب المدينة، فهو رقيب عليه، ومن أجل ضبط هذه الرقابة، فمن حق القاضي استخلافه أحياناً من أجل اختبار فقهه وحسن تصرفه[3].

وبأمر القاضي فليس من حق صاحب المدينة أن يرسل أكثر من واحد برسالة خارج البلد، وعلل ابن عبدون ذلك بقوله "لئلا يكثر الجُعل والأذى والنهب[4]".

وبالجملة فليس من حق صاحب المدينة أن يقدم على تنفيذ أي أمر من الأمور الجسيمة، إلا بعد إطلاع الأمير أو الخليفة، وقاضي الجماعة على ذلك[1].

---

١ - ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص١٦.

٢ - المصدر السابق، ص١٦.

٣ - نفسه، والصفحة.

٤ - نفسه، والصفحة.

ويبدو أن ابن عبدون قد أدلى بآرائه هذه، وهو متأثر بأحداث عصره "عصر ملوك الطوائف" أما في عهد دولة بني أمية، وبالذات الأقوياء من الأمراء والخلفاء، فليس من الضروري أن تصدق تلك الآراء في تلك المدة أو تطبق[٢].

ومهما يكن، فالأمر لم يترك مفتوحاً أمام الأعوان ليمارسوا سلطاهم، كما تمليه عليهم رغباهم، بل إن ابن عبدون، الذي استفاد مما كان سائداً قبله في عهد الأمويين، وضع لأولئك الأعوان ضوابط يسيروا وفقها في أداء مهامهم، لكي لاينحرف الهدف الذي من أجله تمت الاستعانة بهم، وهذه الضوابط هي بالنهاية سياج يحمي كرامة الآخرين من تسلطهم، فقد ذكر أن الحد يقام على من استحقه منهم، إذ ليس أقبح من أن يكونوا يغيروا المنكر بزعمهم وهم يفعلونه، كما يجب أن يمنعوا من التفتيش ليلاً كان أو نهاراً، فذلك فيه هتك لستر من يتم تفتيشه، كما أن من ألقوا عليه القبض في الليل، وهو ممن لاتأخذه تهمة ولاظنه، فعليهم أن يوصلوه إلى داره وهو موفور الكرامة، وأما من اشتبه بأمره فعليهم ألا يلحقوا به الأذى سواء مادياً أو معنوياً، بل يحضروه عند صاحب المدينة

---

١ - نفسه، والصفحة.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٤٣.

بالهيئة التي وجدوه عليها، فإن سجنوه، يتم سجنه في أحد الفنادق بكفالة ساكنيه حتى الصباح[١].

ولقاضي الجماعة الحق في إحضار صاحب المدينة إلى مجلسه، وذلك لمساءلته عن تجاوزاته، فقد ذكر الخشني أن قاضي الجماعة سليمان بن أسود، أحضر صاحب المدينة إلى مجلسه، ليقضي بينه وبين من رفع دعوى ضده[٢].

وعندما جرى في قرطبة أمر أخل بالأمن، ولم يتخذ صاحب المدينة أمية بن عيسى الحلول اللازمة، قام قاضي الجماعة سليمان بن أسود برفع الأمر للأمير محمد بن عبدالرحمن طالبه فيه بعزل صاحب المدينة عن منصبه لتقصيره[٣].

وبمقابل ذلك فإنه عندما يهيج العوام ضد قاضي الجماعة، مثلما فعلوا بالقاضي محمد بن يبقى بن زرب، المتوفى سنة ٣٨١هـ (٩٩١م) بسبب تكراره لصلاة الاستسقاء وعدم نزول المطر، فإن صاحب المدينة هو الذي يتولى حمايته منهم[٤]، كما أنه إذا تطاول أحدهم على الخطيب

١ - رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص١٨.

٢ - قضاة قرطبة، ص٧٧.

٣ - المصدر السابق، ص٧٤-٧٥.

٤ - النباهي، ص ٧٨-٧٩.

أثناء خطبة الجمعة، فإن صاحب المدينة يأمر بالقبض على ذلك المتطاول وحمله إلى السجن[1].

مهام صاحب المدينة

نظراً لفخامة منصب صاحب المدينة، فإن المهام المناطة به، تبدو جسيمة تناسب أهمية المنصب، ولعل من أعظم المهام الملقاة على صاحب المدينة، أن الأمير أو الخليفة الأموي، يستخلفه أحياناً أثناء غيابه عن العاصمة[2].

وقد عرفنا من قبل أن من رسوم بني أمية أنه عند مغادرة الأمير أو الخليفة للعاصمة، فإنه يترك أحد أولاده، سواء كان ولي العهد أو غيره، على سطح القصر، ويجعل صاحب المدينة ملازماً له على الدوام، ويكون من حقه منع الولد من مغادرة السطح حتى وإن اضطر إلى تهديده بوضع قيد الحديد في رجله، وهذا ماكاد أن يفعله صاحب المدينة أمية بن عيسى بن شهيد بأحد أولاد الأمير محمد ابن عبدالرحمن[3]، الأمر الذي يعطي دلالة أكيدة على قوة شخصية صاحب المدينة، حتى أنه لم يأبه بولد الأمير مادام في الأمر مصلحة للدولة.

---

١ - البيان المغرب، ٣/٥٤.

٢ - ابن القوطية، ص٨٦.

٣ - المصدر السابق، ص٨٧.

ومما يدل على نزاهة صاحب المدينة أمية بن عيسى بن شهيد، وقوة شخصيته أنه وقف أمام رغبة الأمير محمد عندما أمره أن يحبس أحد أهل العلم.

والقصة كما رواه ابن القوطية تدور حول فقيه كان يقطن في إحدى الكور، لكنه فر من عاملها إلى قرطبة، فكتب ذلك العامل للأمير محمد كتاباً يغريه فيه بذلك الفقيه، ويزين له ضمه إلى الحبس، فأصدر الأمير أوامره لابن شهيد بحبس ذلك الفقيه، فرد عليه قائلاً: "لاوالله، ماأحبس رجلاً من أهل العلم والرواية، فرَّ من جور ظالم مشهور بالظلم، ولو كان فيه خير مافرّ مثله عنه[١]" فما كان من الأمير إلا أن عدل عن رأيه وكتب إلى ذلك العامل كتاباً يوبخه فيه على فعله[٢].

ولم يقتصر الأمر في قوة الشخصية والنزاهة على أمية بن عيسى بن شهيد فقط، فلدينا صاحب المدينة وليد بن عبدالرحمن بن غانم، المتوفى سنة ٢٩٢هـ (٩٠٥م) ففي أثناء ولايته للمدينة، حدثت مجاعة شديدة سنة ٢٦٠هـ[٣] (٨٧٤م)" لم يزرع فيها بالأندلس حبة ولارفعت[٤]" "ومات فيها أكثر الخلق[٥]" فاستشار الأمير محمد الوزراء وأصحاب

١ - نفسه، ص ٨٦.

٢ - نفسه، ص ٨٦.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص٣٤٣.

٤ - ابن القوطية، ص٨٧.

٥ - البيان المغرب، ١٠٢/٢.

المشورة، وعرض عليهم رأيه في فرض العشور على الغلات، والزام الرعية بذلك لمواجهة تلك الأزمة، فوافقوه على ذلك، و لم يعترض عليه إلا صاحب المدينة وليد بن عبدالرحمن الذي طلب من الأمير أن يرفق بالرعية في ظل هذه المحنة، وأن يخرج مما في مستودعات الدولة وبيت المال، لينفق على الجنود والرعية المتعبة من شدة المجاعة[١]، ثم قال له: "فإنه الحق على مثلك من ولاة العدل، فقد بلغنا أن طواغيت الروم فعلته بقسطنطينية ورومه، وأنتم أولى بذلك[٢]".

إلا أن الأمير لم يقتنع برأي ابن غانم، الذي أصر على موقفه، فكانت فرصة لأحد الطغاة الظلمة، يدعى حمدون بن بسيل المعروف بالأشهب، الذي عرض على الأمير أن يوليه المدينة، وهو يتكفل له بتنفيذ مراده، فوافق ذلك هوى في نفس الأمير، فعزل ابن غانم وولى الأشهب الذي "هتك الستور وضرب الظهور وقتل الأنفس بالتعليق[٣]" فضج الناس عليه بالدعاء في كل جمعة، حتى أماته الله تعالى، وهنا استدعى الأمير محمد وليد بن غانم وأراده أن يعود إلى المدينة، فأجابه قائلاً: "أما وقد صرت

---

١ - ابن القوطية، ص٨٧. المقتبس، تحقيق: د. محمود مكي، ص١٧٢.

٢ - المصدر السابق والصفحة.

٣ - ابن القوطية، ص ٨٨.

عندك في محل من يديله حمدون بن بسيل أو مثله، فلا والله لاخدمتك في المدينة أبداً، فولى غيره"[1].

ومن بين مهام صاحب المدينة، التحقيق في حوادث القتل التي تحدث في البلد، مثل حادثة الرجل الذي وجد مقتولاً في قرطبة، وذلك في يوم الأول لولاية محمد بن السليم للمدينة في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط[2].

وإذا احتاج الأمير إلى رأي الفقهاء في أمر ما، فإنه يكلف صاحب المدينة بالقيام في هذه المهمة، مثل ماحدث في قصة ابن أخي عجب، ومانسب إليه من ألفاظ تطاول على الباري جل وعلا[3]، فبعد أن اجتمع بهم صاحب المدينة ابن السليم في مجلسه المسمى: مجلس النشمه[4]، عرض عليهم القضية وطلب أن يكتب كل واحد منهم رأيه في صك منفرد ليعرضها جميعاً على الأمير، الذي ماأن تصفحها حتى أصدر قراره بعزل

---

١ - المصدر السابق والصفحة. الحق أن ولاة الأمور هم أحوج مايكون للبطانة الصالحة، فابن غانم لم يجد له من بين أصحابه من الوزراء وبقية رجالات الدولة مناصراً؛ لذا فالأمير لم يتأثر بمقولته، وإلا فإن الوضع العام سيئ إلى درجة خطيرة، إذ أن القحط، قد عم كور الأندلس، وليس لدى الناس قدرة على مواجهة هذا الموقف الخطير، بل إنهم بأمس الحاجة لوقوف الدولة إلى جانبهم فكيف يصبح الوضع عندما تقف الدولة مع المجاعة ضد الرعية؟

٢ - ابن القوطية، ص ٦٩-٧٠.

٣ - قضاة قرطبة، ص٩٩-٦٠. المعيار المعرب، ٢/٣٦٣.

٤ - قضاة قرطبة، ص٥٩.

قاضي الجماعة الحبيب محمد بن زياد عن منصبه ومن تابع رأيه من فقهاء الشورى، كما أمر بصلب ابن أخي عجب[١].

من هذه القصة، ندرك أن لدى صاحب المدينة مجلس خاص بـــه، وأنه هو الذي يتولى رفع الآراء التي تتم في هذا المجلس للأمير، كما أنه هو الذي يبلغ قاضي الجماعة وفقهاء الشورى بعزلهم عن مناصبهم.

ومن مهام صاحب المدينة، تفقد السجن العام وما يـــدور فيـــه[٢] وإخراج بعضهم منه بأمر الأمير[٣] أو الخليفة[٤]، وإذا مات قاضي الجماعة أو عزل، تولى صاحب المدينة قبض ديوان القاضي، ويتحفظ عليه حـــتى يعين الأمير قاضٍ آخر[٥].

ونظراً لأن من رسوم الدولة أن الأمير أو الخليفة إذ أراد الخـــروج للصيد والنزهة، فإنه لايسمح لأحد بعبور قنطرة قرطبة أو الاقتراب مـــن مكان النزهة، فإن صاحب المدينة يقوم بهذه المهمة، ومن وجـــده مخالفـــاً للأوامر فإنه يحبسه[٦].

---

١ – المصدر السابق، ٦٠.

٢ – ابن القوطية، ص٩٤. المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٧٣-٧٤.

٣ – ابن القوطية، ص ١٠٢.

٤ – البيان المغرب، ٢/٢٥٠.

٥ – قضاة قرطبة، ص١٠١.

٦ – البيان المغرب، ٢/١٤٦.

كما أن صاحب المدينة يتولى أخذ البيعة الخاصة والعامة للأمير عند توليه للإمارة[١].

وعندما يكون هناك وفد رفيع المستوى، يقوم بزيارة رسمية للدولة، فإن الخليفة يصدر أوامره لصاحب المدينة، بأن يجمع فتيان قرطبة وأحداثها، ويظهروا قوتهم للوفد الزائر، وذلك من خلال حملهم السلاح، وهذا ماقام به الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان المصحفي في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة وفود جعفر ويحي ابني علي بن حمدون على الخليفة الحكم المستنصر بالله، وذلك في أواخر شهر ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ (سبتمبر ٩٧١م)[٢].

كما يتولى تقديم الخلع والهبات للوافدين على الخليفة[٣]، ويشرف على نقل بعض الأجهزة الإدارية من موقع لآخر[٤]، ومعاقبة المفسدين ومثيري الفتن بسجنهم وتعقب الفارين منهم[٥]، وكذلك مطاردة أهل البدع والتضييق عليهم وإخافتهم والزج بمن قبض عليه منهم في السجن[٦].

---

١ - المصدر السابق، ص٢/١٥٨.

٢ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٤٧-٤٨.

٣ - المصدر السابق، ص١١١.

٤ - نفسه، ص ٦٦.

٥ - نفسه، ص٧٣-١٠٤،٧٥.

٦ - نفسه، تحقيق: شالميتا، ص٢٥.

وبأمر من الخليفة يتولى صاحب المدينة إذلال وتوبيخ من سخط عليه الخليفة، حتى وإن كان من كبار رجالات الدولة[١].

ومن مهام صاحب المدينة تنفيذ أومر الأمير أو الخليفة باستنفار الناس للجهاد، ولايأذن لأحد بالتخلف إلا إن كان من أهل الأعذار، أو أن صاحب المدينة تغاضى عنه شريطة ألا يظهر من داره حتى يعود الجيش الغازي[٢]، ومن فر من أرض المعركة فإن صاحب المدينة يتولى مسئولية القبض عليه بأمر من الأمير أو الخليفة، وإذا صدرت الأوامر بصلبهم تولى الإشراف على تنفيذه[٣]، كما أنه يتولى مصادرة من نكب من رجالات الدولة ومصادرة المقربين إليه[٤].

والأمير أو الخليفة الأموي حريص على صلة رحمة من خلال تفقد أحوالهم، وإن كان الأمر لايخلو من نظرة أمنية، وصاحب المدينة هو الذي يقوم بهذه المهمة، إذ يعمد إلى تكليف أمناء العطب والنوازل بتحديد يوم من كل أسبوع لايخلون فيه أبداً، يقومون فيه بتفقد أحوالهم، وإبلاغ صاحب المدينة بكل شيء، ليرفع ذلك بتفاصيله للخليفة ليرى فيه رأيه[٥].

---

١ – نفسه، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص١٠٣-١٠٤.

٢ – نفسه، تحقيق: د. محمود مكي، ٤٣-٤٥.

٣ – نفسه، تحقيق: شالميتا، ص ٤٤٦.

٤ – ترتيب المدارك، ٧/٢١٥.

٥ – المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٩٢.

وصاحب المدينة لايسير إلا في موكب خاص يرافقه أثناء ذهابه إلى مجلسه الكائن بجوار مجلس الخزّان[١]، في حين أن من جمعت له المدينة مع الشرطة العليا فإنه يستخدم كرسي الشرطة العليا بباب قصر قرطبة أو قصر الزهراء مكاناً له[٢].

ومن رسوم الدولة الأموية في الأندلس أن الوزير صاحب المدينة بقرطبة مقدم على نظيره الوزير صاحب المدينة بالزهراء، ويتضح ذلك من خلال ترتيب جلوسهما أثناء الاحتفالات الرسمية التي تقام في قرطبة، سواء عند السلام على الخليفة لتهنئته بأحد العيدين أوبمناسبة زيارة وفد رفيع المستوى.

ففي الاحتفال الذي أقامه الخليفة الحكم المستنصر بالله عند جلوسه لرعيته، لتهنئته بعيد الفطر سنة ٣٦٢هـ (يوليو ٩٧٣م) كان الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان المصحفي يحجب الخليفة عن يمينه، وقام عن يساره صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح[٣].

ولكن إذا تعذر جلوس صاحب المدينة بقرطبة عن يمين الخليفة، فعندها يصبح مكانه عن يسار الخليفة، ويجلس تحته صاحب المدينة بالزهراء، وهذا ماجرى في الاحتفال بمناسبة قدوم الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن الناصري من العدوة المغربية، ففي هذا الاحتفال

---

١ - قضاة قرطبة، ص٧٧.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٥٧.

٣ - المقتبس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص٢٨-٣٠.

الذي أقيم في يوم السبت لسبع خلون من شهر المحرم سنة ٣٦٤هـ (سبتمبر ٩٧٤م) جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله، وقام للحجابة عن يمينه الوزير القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن وعن يساره الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان المصحفي وتحته محمد بن أفلح صاحب المدينة بالزهراء[١].

وصاحب المدينة إن لم يحمل لقب وزير، ففي هذه الحالة يكون أقل مرتبة من الوزير، دل على ذلك ماذكره ابن حيان من أن الأمير عبدالرحمن الأوسط ولي عبدالواحد بن يزيد الاسكندراني خطة المدينة، ثم رقاه بعد ذلك إلى الوزارة والقيادة[٢].

وممن تولى خطة المدينة بقرطبة، بالإضافة إلى خطة إحدى المدينتين الزهراء أو الزاهرة، فإنه يطلق عليه لقب "صاحب المدينتين" ولم يرد في المصادر طوال فترة الدراسة أن أحداً حمل هذا اللقب إلا عمرو بن عبدالله بن أبي عامر[٣] الملقب بعسكلاجه، فقد ولاه ابن عمه الحاجب المنصور بن أبي عامر مدينة قرطبة، وعندما أتم المنصور بناء مدينة الزاهرة أقامه عليها، فأصبح يلقب بـ"صاحب المدينتين[٤]".

---

١ – المصدر السابق، ص ١٩٨.

٢ – نفسه، تحقيق: د.محمود مكي ص٣٠-٣١.

٣ – الحلة السيراء، ٢٧٧/١.

٤ – المصدر السابق، والصفحة، حاشية رقم ٢.

وكان مرتب صاحب المدينة في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط يبلغ مائة دينار، فهو عندما مّيز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردها وصير لواليها ثلاثين ديناراً في الشهر ولوالي المدينة مائة دينار[١]".

ونظراً للوضع الاقتصادي المتميز الذي عاشته الأندلس بالذات في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فمن المتوقع أن يكون مرتبه الشهري قد تجاوز ماكان عليه أيام الأمير عبدالرحمن الأوسط.

من تولى خطة المدينة

المصادر الأندلسية لم تورد ذكراً للقب "صاحب المدينة" قبل عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط، ولكن هذا لايعني أبداً أن هذا اللقب أو المصطلح لم يكن مستعملاً.

وبصفة عامة يمكن القول بأن أبا عثمان عبيد الله بن عثمان، كبير موالي بني أمية بالأندلس، هو أول من قام بأعباء "صاحب المدينة" في الدولة الأموية، ونستشف ذلك من خلال ماأورده أحد المؤرخين من أن الأمير عبدالرحمن الداخل عندما بلغه أن يوسف الفهري والصميل بن حاتم قد استوليا على إلبيره، جمع قواته ثم غادر قرطبة وخلف عليها أبا

---

١ - المغرب في حلى المغرب، ١/٤٦.

عثمان[١]، كما كان الأمير عبدالرحمن الداخل يستخلف أحياناً مولاه بدراً على قرطبة عند مغادرته لها[٢].

وغير هذين الخبرين لانجد ذكراً لصاحب المدينة إلا في عهد الأمـــير عبدالرحمن الأوسط.

ورغم هذا النقص، فإننا لانعرف من تولى المدينة منذ بداية عهـــده، إذ نفاجأ بما ذكره ابن القوطية من أن الأمير عبدالرحمن الأوسط قد سئم من كثرة الشكاوى المقدمة إليه ضد كل من تولى المدينة، وكانوا جميعـــاً من القرطبيين، فأقسم ألا يوليها رجلاً من أهل قرطبة، ثم أخذ يسأل عَمن يستحقها فاستدل على رجل من أهل إحدى الكـــور، عُـــرف بالفطنـــة وحسن العقل، يدعى محمد بن السليم، فاستدعاه وولاه المدينة[٣].

وذكر ابن الفرضي أن ممن تولى المدينة للأمير عبدالرحمن الأوســـط، رجلاً يدعى ابن لُبيد، وفي سجنه ختم الفقيه يحيى بن يزيد الأزدي، القرآن أربعين مرة، وفي هذا يقول الفقيه يحيى بن يحيى الليثـــي، مخاطبـــاً يحـــيى الأزدي: "ماأشقى من ختمت القرآن في حبسه أربعين مرة[٤]".

---

١ – أخبار مجموعة، ص٩٢.

٢ – المصدر السابق، ص ١٠٧.

٣ – ابن القوطية، ص ٦٩.

٤ – ابن الفرضي، ترجمة رقم ١٥٥٤.

وكان الأمير محمد بن عبدالرحمن يداول في ولاية المدينة بين أمية بن عيسى بن شهيد وبين وليد بن عبدالرحمن بن غانم، وذلك لإدراكه رجاحة عقليهما، وأنهما لايراقبان في أحكامهما إلا الله تعالى[١].

وفي عهد الأمير المنذر بن محمد كان حفص بن بسيل يلي المدينة[٢].

وورد لدى ابن حيان أن في سنة ٢٨١هـ (٨٩٤م) عزل الأمير عبدالله بن محمد حفص ابن بسيل عن المدينة وجعل مكانه عبدالله بن محمد بن نصر[٣]، لكنه لم يستمر في منصبه أكثر من سنة، فقد صُرف وولي مكانه مروان بن عبدالملك بن أمية وذلك سنة ٢٨٢هـ[٤] (٨٩٥م) ولأمر مافقد سخط الأمير على ابن أمية فعزله وجعل بدلاً منه أحمد بن محمد بن أبي عبده سنة ٢٨٣هـ[٥] (٨٩٦م).

ثم تولى المدينة محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد، ولاندري متى كان ذلك، لكن خبراً ورد لدى الخشني أفاد بأنه في سنة ٢٨٩هـ (٩٠٢م) كان محمد بن أمية هو صاحب المدينة في ذلك الوقت[٦]، وقد تمادى في منصبه إلى أن عزل سنة ٢٩٣هـ (٩٠٦م) ووليها محمد بن

---

١ - ابن القوطية، ص٨٥-٨٦. المقتبس، تحقيق: د.محمود مكي، ص ١٧١.

٢ - ابن القوطية، ص١٠٢.

٣ - المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص ١١٠.

٤ - المصدر السابق، ص١١٤.

٥ - نفسه، ص ١١٨.

٦ - قضاة قرطبة، ص ١٠١. ابن الفرضي، ترجمة رقم ١١٤١.

وليد بن غانم، وكانت ولايته ستة أشهر، ووليها مكانه موسى بن محمد بن حدير[١] الذي عزل عنها سنة ٢٩٥هـ (٩٠٨م) ووليها محمد بن عبيد الله بن أبي عثمان، وذلك يوم الخميس، لكنه طلب الإعفاء سريعاً، فعزل ثاني يوم ولايته، وولي مكانه علي بن محمد المعروف باليابسه، الذي لم يستمر أكثر من ثلاثة أيام، إذ سُرعان ماعُزل وأعيد إليها موسى بن محمد بن حدير، فتمادى في ولايتها طيلة مابقي من عهد الأمير عبدالله[٢]، وأقره عليها الأمير عبدالرحمن بن محمد إلى سنة ٣٠٢هـ (٩١٥م) ثم عزله عنها في شهر شوال من تلك السنة، وجعل مكانه محمد بن عبدالله الخروبي[٣]، فظل في منصبه إلى أن توفي في أوائل شهر صفر سنة ٣١٤هـ (إبريل ٩٢٦م).

ثم تولى المدينة عيسى بن أحمد بن أبي عبده، الذي كان إذا غادر قرطبة بصحبة الأمير عبدالرحمن بن محمد، يخلف عليها ولده أحمد بن عيسى[٤].

وفي سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) عزل الخليفة عبدالرحمن الناصر أحمد بن عيسى عن المدينة وجعل مكانه أحمد بن عبدالوهاب بن

---

١ – المقتبس، تحقيق: انطونيا، ص ١٤٢.

٢ – البيان المغرب، ١٤٤/٢. قارن: المقتبس، تحقيق: أنطونيه، ص١٤٣.

٣ – المصدر السابق، ص ١٠٣.

٤ – البيان المغرب، ص ١٩٣/٢، ١٩٦.

عبدالرؤوف[١]، ثم عزله عنها في غرة جمادي الأولى[٢] سنة ٣١٩هـ (مايو ٩٣١م) وولاها يحيى بن يونس القبري[٣]، لكنه لم يستمر أكثر من أربعة أشهر، إذ عزل عنها ووليها عبدالحميد بن بسيل وذلك في شهر شوال من تلك السنة[٤] واستمر في منصبه إلى أن عزل عنها في شهر شوال من سنة ٣٢٠هـ (أكتوبر ٩٣٢م) ووليها بدلاً منه فطيس بن أصبغ[٥].

وقد ذكر ابن حيان أنه في شهر ربيع الأول من سنة ٣٢٦هـ (يناير ٩٣٨م) ولي خطة المدينة الوزير جهور بن عبيد الله مكان أحمد بن عيسى بن أبي عبده[٦]، وفي سنة ٣٢٧هـ (٩٣٩م) عزل الوزير جهور عن المدينة ووليها الخال سعيد بن أبي القاسم[٧].

وفي سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) تولى المدينة عبيدالله بن بدر بن أحمد بدلاً من ابن أبي القاسم[٨].

---

١ - المصدر السابق، ص٢/١٩٧.

٢ - نفسه، ٢/٢٠٥.

٣ - ورد لدى ابن عذاري "البيان المغرب، ٢/٢٠٥، لفظ "القبرسي" والتصحيح من المقتبس، تحقيق شالميتا، ص ٣١٤.

٤ - البيان المغرب، ٢/٢٠٥.

٥ - المصدر السابق، ٢/٢٠٨.

٦ - المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٤٢٨.

٧ - المصدر السابق والصفحة.

٨ - نفسه، ص ٤٦١.

وكان جعفر بن عثمان المصحفي يتولى خطة المدينة بقرطبة، بينما كان محمد بن أفلح يشغل خطة المدينة بالزهراء، وذلك في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله(١).

وفي سنة ٣٦٦هـ (٩٧٧م) صدر أمر الخليفة هشام المؤيد بالله بتولية محمد ابن عبدالله بن أبي عامر خطة المدينة بقرطبة، بدلاً من محمد بن جعفر المصحفي(٢).

ثم إن ابن أبي عامر استخلف على المدينة ابن عمه عمرو بن عبدالله بن أبي عامر، الملقب بعسكلاجه(٣) "فسلك في أهل الشر سبيله، بل أربى عليه في ذلك(٤)".

---

١ - نفسه، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، ص ٢٢.

٢ - الذخيرة، ق٤م١، ص ٦٤. البيان المغرب، ٢،٢٦٦. وقد ذكر القاضي عياض أن أحمد بن عبيدالله المورروري الحضرمي قد تحول من طبقته طبقة العلماء، إلى طبقة أهل الدنيا، فصحب ابن أبي عامر، فنال الوزارة، وتقلد المدينة، ثم توفي في شهر رمضان سنة ٣٦٦هـ وترك من الأموال مالا كفاء له، مما غله، فحاز ابن أبي عامر أكثره. انظر ترتيب المدارك، ٧/٢١٥-٢١٦. ولم يتضح لي مما ذكره القاضي عياض متى تولى المورروري المدينة، ومن الذي ولاه؟ وبالذات أن المصحفي كان آنذاك مسيطراً على كل شيء، كما أن ابن أبي عامر لم يلِ المدينة إلا بعد عودته من غزوته الثانية، والتي لم يخرج إليها إلا يوم الفطر سنة ٣٦٦هـ، أي بعد وفاة المورروري، ولعل هذا مايدفعني إلى الشك في وصول المورروري لخطة المدينة.

٣ - الحلة السيراء، ١/٢٧٧.

٤ - البيان المغرب، ٢/٢٧٦.

ونظراً لكفاءة عمرو بن عبدالله فقد ولاه ابن أبي عامر خطة مدينتي قرطبة والزهراء، فأصبح يعرف بصاحب المدينتين[١].

كما تولى مفرج العامري خطة المدينة في زمن المنصور وابنه عبدالملك المظفر[٢]، وأما في عهد الحاجب شنجول فقد كان يلي المدينة عبدالله بن عمر الذي قتله الخليفة المهدي عند استيلائه على قرطبة[٣].

توارث خطة المدينة

خطة المدينة خطة متوارثة، شأنها في ذلك شأن بقية الخطط في الدولة الأموية، ولدينا عدة أسر تعاقب أفرادها على خطة المدينة.

فعبيد الله بن عثمان الذي يعتبر أول من تولى خطة المدينة لدى الأمويين، نجد من ذريته محمد بن عبيدالله يلي المدينة في آخر عهد الأمير عبدالله بن محمد، ومن أسرة ابن شهيد تولى المدينة كل من : أمية بن عيسى بن شهيد وولده محمد بن أمية.

ومن أسرة ابن غانم وليد بن عبدالرحمن بن غانم وولده محمد بن وليد، وهناك ثلاثة من أسرة ابن أبي عبده تولوا المدينة، وهم: أحمد بن محمد بن أبي عابده وابنه عيسى ومن بعده أحمد بن عيسى.

والأسرة الأموية تحرص على أن تحصر خطط الدولة في أسر معينة؛ ولذا نجد الخليفة الحكم المستنصر بالله عندما بلغه نبأ وفاة صاحب المدينة

---

١ - الحلة السيراء، ٢٧٧/١.

٢ - تاريخ القضاء في الأندلس، ص٤٩٥.

٣ - البيان المغرب، ٥٤/٣.

بالزهراء محمد بن أفلح يوم السبت إحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة ٣٦٤هـ (فبراير ٩٧٥م) سارع إلى تعيين زياد بن أفلح مكان أخيه المتوفى مجموعة إلى مابيده من خطتي الخيل والحشم وولاية كورة فريش[1].

١ – المقتبس، تحقيق: د. عبدالرحمن الحجي ص ٢١٠.



النتائج

النتائج

وبعد هذه الدراسة التي تعرفنا من خلالها على نظم حكم الأمـــويين ورسومهم في الأندلس أود أن أختم ذلك بذكر عدد من النتائج.

- نظام الحكم في الدولة الأموية وراثي، يرثه الأبناء عن الآباء، و لم يحدث ان تولى الأخ بعد أخيه إلا مرة واحدة، وذلك عندما تولى الأمير عبدالله بن محمد رئاسة الدولة بعد أخيه المنـــذر، فولايـــة العهد كانت تسند للأصلح من الأبناء دونما اعتبار للسن.
- الصراع الذي شهدته الدولة الأموية يمكن تقسيمه إلى قســـمين، وقعا في فترتين مختلفتين، ففي النصف الأول من ذلك العصر كان الصراع منحصراً في أبناء البيت الأموي، وعندما اختفى هـــذا النمط من الصراع ظهر نوع آخر، حيث انـــدلعت حركـــات التمردوالعصيان في كافة أرجاء الأندلس، وإذا كان هدف النوع الأول من الصراع الوصول إلى السلطة، فإن النوع الثاني كـــان تعبيراً لزعماء تم تجاهلهم والاستئثار دونهم بكل شيء، وهو نتاج طبيعي للفساد الإداري الذي عاشته الدولة في النصف الثاني من عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن.
- عمد الأمير عبد الرحمن الداخل منذ تأسيس دولته إلى اصـــطناع الموالي والرقيق والصقالبة، فاستعان بهم على تـــدعيم ســـلطانه، وسار من أتى بعده من الأمراء والخلفاء على هذه السياسة.

- الدولة الأموية قدمت كل من هو شامي على نظيره البلدي، سواء في الإدارة أو الجيش أو رسوم الدخول على الحكام أو ماسوى ذلك، وهذا الرسم وضعه الأمير عبدالرحمن الداخل منذ بداية قيام دولته.
- إن ظهور الزعامات القبلية في الأندلس يعود سببه إلى توزيع الأراضي إقطاعاً على القبائل التي شاركت في الفتح، وهذا الإجراء جعل كل قبيلة تحافظ على وحدها، مما حال دون انصهار طوائف المجتمع، الأمر الذي أدى إلى اندلاع الحروب بين تلك الفئات فيما بعد.
- الدولة الأموية اعتمدت على أسر مساندة حصرت الخطط في أبنائها، فعاشت قوية متماسكة، وصمدت أما الهزات، هذه السياسة حارها المنصور بن أبي عامر، فأخمل ذكر تلك الأسر، واختار أسوأ الرجال وأقلهم كفاءة، فجعل الخطط في أيديهم، ولذا فقد عاشت الدولة من بعده فراغاً سياسياً كبيراً، أدى إلى انهيارها بسرعة بعد وفاته.
- تعيين الولاة في الثغور البرية والبحرية غالباً مايخضع لاعتبارات خاصة، فالأمير عبدالرحمن الداخل جعل الرماحس والياً على الجزيرة الخضراء لأنه كان من رجال البحر، وأما عمال الثغور البرية فهم في الغالب من أرباب السيف ورجال الحرب.

• هيمنة الوزراء على الأمير أو الخليفة وتسلطه عليه، هو نذير شؤم على الدولة ككل، إذ أن أهل الطموح يتحركون للتخلص من ذلك المتسلط بأي وسيلة، وهذا ماعاشته الدولة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن بسبب تسلط الوزير هاشم بن عبدالعزيز علي، وتكرر في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله عندما تسلط عليه جعفر المصحفي، مما دفع بقية أبناء البيوتات المساندة للأسرة الأموية أن تسعى جاهدة للتخلص من المصحفي، وعندما تم لهم ذلك كانت النتيجة وصول المنصور بن أبي عامر للسلطة، والقضاء على هيبة بني أمية.

• الدولة الاموية دولة رجال، تحرص دائماً على الأكفأ، يدل على ذلك أن قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي عندما قرع الخليفة عبدالرحمن الناصر في خطبة الجمعة بسبب تخلفه ثلاث مرات عن شهودها، لم يعزله الخليفة بل ثبته في منصبه.

• الخليفة عبدالرحمن الناصر لم يهتم إلا بابنه الحكم، فقد أعده إعداداً سياسياً وإدارياً، وأما بقية أبنائه فلا نصيب لهم من ذلك الاهتمام، وهذا ماكان له أثره القوي في سرعة انهيار الدولة لعدم وجود المؤهل من الأسرة الأموية بعد الحكم المستنصر بالله.

• الخليفة الحكم المستنصر بالله لم يستطع التخلص من أزمة السلطة الوراثية التي لاتعترف بالأكفأ، وإنما بالابن المحبب، فجره ذلك

إلى تقديم ولده الصبي هشام لولاية العهد من بعده، دون أن يدرك أنه في تصرفه هذا قد مهد الطريق بقوة لسقوط الدولة.

- المنصور بن أبي عامر لم يعمل قط إلا لمصلحة نفسه، ورفعة شأنه، ولأجل هذا فقد وجه سهامه ضد الخلافة الأموية، ناسياً أنها الرمز القوي لوحدة البلاد.
- الأمويون عند معالجتهم للأحداث الطارئة، ساروا على منهج يقوم على نبذ العجلة وعدم التسرع، فكل خبر يرفع إليهم، يعملون على كشفه والتأكد من، فإذا ثبتت صحته، عالجوا مايمكن معالجته، بالصفح والمصالحة أو التأديب الذي لايتلف الروح، هذه السياسة غيرها المنصور بن أبي عامر، فقد جعل مكان اللين غلظة، والسكون حركة، واستخدم البطش بدلا الأناة، وجعل المحاربة مكان السلم والموادعة.
- المنصور بن أبي عامر كان حريصاً على نيل الخلافة، ولكن خشيته من قيام الرعية ضده، حال بينه وبين مايشتهي، وهذا ماغفل عنه ابنه شنجول عندما تسمى بولاية العهد، مما تسبب في هيجان شعبي أودى به.
- منصب الحاجب منذ بداية الدولة الأموية وحتى نهاية عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، لم يختلف عن منصب الوزارة بشيء، إذا استثنيا بعض الرسوم، فهو أشبه مايكون بوزير تنفيذ، ولكن هذا المنصب بلغ أوج عظمته عندما تسلط العامريون على

الخلافة، فقد أصبح الحاجب العامري بحق رئيساً للوزراء، فبيده عزلهم وتعيينهم، ولذا فقد تحول منصب الحاجب في تلك الفترة إلى وير تفويض.

- المنصور بن أبي عامر أخل بتركيبة الجيش الأموي، الذي كان يتميز بالقبائل والعشائر والبطون والأفخاذ، فقدم المنصور القواد على الأجناد، وفي هذه الحالة أصبح في جند القائد فرق من قبائل شتى، وبذلك قضى على الروح القبلية التي كانت كل قبيلة تحرص على حفظ كرامتها من خلال سمعتها في المعارك، كل هذا فعله المنصور ليتحكم في الجيش ويجعله أداة قمع بيده ضد الرعية.
- جميع الرسوم التي درجت عليها الدولة الأموية اختفت في الفتنة التي تركت آثارها السلبية على كافة مجالات الحياة.
- الصقالبة كان لهم دورهم القوي في الدولة الأموية، فقد بلغوا مكانة أصبحوا معها يمثلون طبقة متميزة في المجتمع، وبلغوا أوج عظمتهم في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، حتى أن أمر دولته كان بيد جعفر الصقلبي، ورغم ضجر الرعية منهم ومن تصرافتهم، إلا أن الخليفة كان لايوقفهم عند حدهم، بل كان يطالب الرعية باحتمالهم وغض الطرف عنهم، الأمر الذي دفع الناس إلى محاربتهم بمجرد وفاة الخليفة، مما مكن ابن أبي عامر من بلوغ مرامه والانفراد بالسلطة.

وبذلك تم البحث، فلله جل وعلا الحمد والثناء، الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع[١]

أولاً المصادر:

ابن الأبار (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي):

- الحلة السيراء، تحقيق: د.حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣م.

- التكملة لكتاب الصلة: القسم الأول، تحقيق: الفريد بل وابن أبي شنب، طبعة الجزائر سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) والجزآن التاليان اللذان نشرهما كوديرا، طبعة مدريد ١٨٨٦-١٨٨٧م، والقسم الذي نشره عزت العطار الحسيني، طبعة القاهرة، ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد)

- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

الإدريسي (أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله):

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، بدون تاريخ.

الأزدي (علي بن ظافر):

---

١ - اقتصرت في هذه القائمة على ذكر أهم المصادر والمراجع وأغفلت ذكر ماكانت الفائدة منه محدودة.

- بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

الأزدي (أبو الوليد هشام بن عبدالله):

- مفيد الحكام في نوازل الأحكام، مخطوط رقم ١٠٣، رقم الفهرست ٢/٢١٧، بتاريخ ١٢٧٧هـ، مكتبة المسجد النبوي الشريف، المدينة النبوية.

الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد):

المسالك والممالك، تحقيق: د.محمد جابر عبدالعال، مراجعة: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨١هـ (١٩٦١م).

ابن أبي أصيبعه (أبو العباس أحمد بن القاسم):

-عيون الأبناء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: د.فؤاد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

الأعرج (أبو الفضل محمد):

تحرير السلوك في تدبير الملوك، تحقيق ودراسة: د.فؤاد عبدالمنعم أحمد، مكتبة شباب الجامعة الأسكندرية، ١٩٨٢م.

ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني)

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: د.إحسان عباس، الدار العربية للكتب، ليبيا - تونس، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبدالملك):

- الصلة ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

البكري (أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز)

جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب "المسالك والممالـــك" تحقيـــق: د.عبدالرحمن الحجي دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٧هـــ (١٩٦٨م).

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشـــر دي ســـلان De Slane الجزائر، ١٨٥٨م.

البكري (أبو عبدالله محمد بن عبدالله):

لباب اللباب، المطبعة التونسية، تونس، ١٣٤٦هـــ .

التهانوي (محمد علي بن شيخ علي بن قاضي محمد):

- كشاف إصطلاحات الفنون، طبعة كلكته، ١٨٦٢م.

الثعالبي (أبو منصور عبدالملك بن محمد)

آداب الملوك، تحقيق: د.جليل العطيـــة، دار الغـــرب الإســـلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر):

-كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـــ (١٩١٤م).

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد):

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩١هـــ (١٩٧١م).

- طوق الحمامة، تحقيق: حسن صيرفي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ.

- نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: د.شوقي ضيف، مجلة كلية الأداب، جامعة فؤاد الأول، م١٣ ج٢ ديسمبر ١٩٥١م.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، المطبعة الأدبية القاهرة، ١٣١٧هـ.

الحضرمي (أبو بكر محمد بن المرادي):

- كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق: د.سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت):

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥م.

الحميدي (أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي):

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م.

الحميري (أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم):

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د.إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي):

- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف):

- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشر ملشـــور م. انطونيـــا، باريس، ١٩٣٧م.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: د.عبدالرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م.

- المقتبس، تحقيق: د.محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣م.

- المقتبس الجزء الخامس، نشره : ب. شـــالميتا، ف.كـــورنيطي، م.صبح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٧٩م.

الخشني (أبو عبدالله محمد بن حارث):

- قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م.

- أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: لويس مولينا، المجلـــس الأعلـــى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٢م.

ابن الخصاف (أحمد بن عمرو بن مهر الشيباني):

- كتاب أدب القاضي، شرح: أبو بكر أحمد بن علـــي الـــرازي، تحقيق: فرحات زياده، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٧٩م.

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله):

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبدالله عنان، مكتبـــة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٣-١٣٩٧هـــ (١٩٧٣-١٩٧٦م).

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام "تاريخ إسبانيا الإسلامية" نشر: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام "تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط" تحقيق: د.أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٦٤م.

- معيار الإختيار، تحقيق: د.محمد كمال شبانة، الإمارات - المغرب، بدون تاريخ.

ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد)

- المقدمة، تحقيق: د.علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١هـ (١٩٧١م)

ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن الحسن):

المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: مصطفى عوض، الخرطوم ١٩٥٤م.

الرصاع (قاضي الجماعة محمد الأنصاري التونسي):

- كتاب شرح حدود الإمام أبي عبدالله بن عرفة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).

الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)

- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: د.عبدالله العلي الزيدان، د. عــز الدين موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن):

-طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

السبكي (قاضي القضاة تاج الدين عبدالوهاب):-

-معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار، وغيره، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م).

ابن سعيد (علي بن موسى المغربي)

- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د.شوقي ضيف، دار المعــارف، القاهرة ١٩٦٩م.

السقطي (أبو عبدالله محمد بن أبي محمد):

- آداب الحسبة، نشر: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، باريس، ١٩٣١م.

ابن سلام (أبو عبيد القاسم):

-كتاب السلاح، تحقيق: د.صالح الضــامن، مؤسســة الرســالة، بيروت، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).

ابن سماك (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء المالقي):

-الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تحقيق: د.محمود علي مكي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلدان ٢٠-٢١، مدريد ١٩٧٩-١٩٨٠م/١٩٨١-١٩٨٢م.

الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم بن موسى):

- الفتاوى، تحقيق: محمد أبو الأجفان، تونس، ١٤٠٦هـ (١٩٥٨م).

صاعد (أبو القاسم صاعد بن أحمد البغدادي):

- طبقات الأمم، تحقيق: حياة العيد أبو علوان، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٥م.

الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى):

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: نشر: فرانسيسكو كوديرا "F. CODERA" وخليان ربيرا "J. RIBERA" مطبعة روخس، مجريط ١٨٨٤م.

طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى):

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق: كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٩٦٨م.

الطرطوسي (مرضي بن علي بن مرضي).

- تبصرة أرباب الألباب، تحقيق: ونشر: كلود كاهين، بيروت ١٩٤٨م.

الطرطوشي (أبو بكر محمد الوليد):

- سراج الملوك، المكتبة المحمودية، القاهرة، ١٣٥٤هـ (١٩٥٣م).

العباسي (الحسن بن عبدالله بن محمد):

- آثار الأول في تدبير الدول، مطبوع على هامش تاريخ الخلفاء للسيوطي، القاهرة، ١٣٠٥هـ.

ابن عبدربه (أبو عمر أحمد بن محمد):

- العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، وغيره، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م).

ابن عبدالرفيع (أبو إسحاق إبراهيم بن حسين):

- معين الحكام على القضايا والأحكام، تحقيق: د.محمد بن قاسم بن عباد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م.

ابن عبدون (محمد بن عبدالله النخعي، أو محمد بن أحمد التجيبي):

- في القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاث رسائل في الحسبة) تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م.

ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣هـ.

العذري (أبو العباس أحمد بن عمر):

نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك "تحقيق: د.عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

ابن العطار (محمد بن أحمد الأموي):

كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق: ب. شالميتا- ف. كورينطي، المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.

عياض (القاضي أبو الفضل بن موسى بن عياض):

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد غراب، وزميليه، وزارة الثقافة والشئون الإسلامية، المغرب، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

ابن غالب (محمد بن أيوب):

- قطعة من كتاب "فرحة الأنفس في أخبار الأندلس" نشر قطعة منه د.لطفي عبدالبديع، تحت عنوان "تعليق منتقى من فرحة الأنفس" مجلة معهد المخطوطات العربية، العدد الأول، القسم الثاني، القاهرة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م)، عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق: د.لطفي عبدالبديع، مطبعة مصر، القاهرة ١٩٥٦م.

الغساني (محمد بن عبدالوهاب)

-رحلة الوزير في افتكاك الأسير، بعناية، الفريد البستاني، نشر، مؤسسة الجنرال فرانكو ١٩٣٩م

ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي):

- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، راجعه وقدم له: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، مكتبة عباس بن عبدالسلام بن شقرون، القاهرة، ١٣٥١م.

ابن الفرضي (أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزدي):

- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى):

- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).

الفيروزبادي (أبو طاهر محمد بن يعقوب):

- القاموس المحيط، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م).

ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز):

- تاريخ افتتاح الأندلس، ملحق به "الرسالة الشريفية في الأقطار الأندلسية" نشر: باسكوال دي جايانجوس "P.GAYANGOS" مدريد، ١٨٦٨م.

ابن الكردبوس (أبو مروان عبدالملك):

- الأندلس، قطعة من كتاب الإكتفاء في تاريخ الخلفاء "تحقيق: د.أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد):

- كتاب الأحكام السلطانية، تصحيح: السيد محمد بدر الدين الحلبي مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م).

المراكشي (عبدالواحد بن علي):

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م).

المقري (أبو العباس أحمد بن محمد):

- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، لجنة التراث الإسلامي المشتركة بين دولتي الإمارات العربية والمملكة المغربية، ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م).

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم):

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م).

مؤلف مجهول:

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحرب الواقعة فيما بينهم، نشر : لافونتي أي الكنترا LA FUENTE Y ALCANTARA، مع ترجمة إسبانية ، مدريد ١٨٦٧م.

مؤلف مجهول:

- تاريخ عبدالرحمن الناصر، تقديم: د.عدنان محمد آل طعمه، دار سعد الدين، دمشق ١٩٩٢م.

مؤلف مجهول:

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: د.سهيل زكار وعبدالقادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

مؤلف مجهول:

- ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، الجزء الأول، مدريد ١٩٨٣م.

مؤلف مجهول:

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: د.سعد زغلول، الدار المغربية، المغرب ١٩٨٥م.

مؤلف مجهول:

- نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من كتاب مفاخر البربر، نشر: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، المغرب، ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م).

النباهي (أبو الحسن علي بن عبدالله):

- تاريخ قضاة الأندلس، المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، بدون تاريخ.

النويري (أحمد بن عبدالوهاب):

- نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثالث والعشرون، تحقيق: د.أحمد كمال زكي، مراجعة: د.محمد مصطفى زياده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

الونشريسي (أحمد بن يحيى):

- المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، بإشراف: د.محمد حجي، نشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية للملكة المغربية، ١٤٠١هـ (١٩٨١م).

أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم):

- كتاب الخراج، نشر المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

ثانياً المراجع:

أحمد بن خالد الناصري:

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد أحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م.

أحمد مختار العبادي:

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الناشر: محمد أحمد بسيوني، مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية ١٩٦٨م.

- الصقالبة في أسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٣٧٣هـ (١٩٥٢م).

- تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، جامعة الأسكندرية ١٩٥٨م.

د. إسماعيل العربي:

- دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ (١٩٨٤م).

آنخل جنثالث بالنثيا:

- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د.حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

شكيب أرسلان:

- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر المتوسط، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

د.حسن الباشا:

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

د.حسين مؤنس:

- أثر ظهور الإسلام في الأوضاع السياسية والإقتصادية في البحر الأبيض المتوسط، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع، العدد الأول، مايو ١٩٥١م، القاهرة.

- رحلة الأندلس حديث الفردوس المفقود، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

- غارات النورمانديين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩-٢٤٥هـ (٨٤٤-٨٥٩م) المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني، العدد الأول، مايو ١٩٤٩م القاهرة.

- فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٩م.

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.

د.رجب محمد عبدالحليم:

- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، منشورات: دار الكتب الإسلامية، القاهرة - بيروت، ١٩٨٥م.

ستانلي بول:

- العرب في أسبانيا، ترجمة: علي الجارم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٧م.

د. سعاد ماهر:

- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

د.سيد عبدالعزيز سالم:

- تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٨١م.

- تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، مكتبة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٨٤م.

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دراسة تاريخية عمرانية أثرية، في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٨٤م.

شكيب أرسلان:

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المكتبة التجارية الكبرى بفاس، ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م).

د.صلاح الدين المنجد:

- معجم بني أمية، مستخرج من تاريخ دمشق، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠م.

د.عبدالرحمن الحجي:

- أندلسيات، المجموعة الثانية، دار الإرشاد، بيروت ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م).

عبدالرحمن زكي:

- السلاح في الإسلام، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٠١م.

عبدالرحمن الفاسي:

-خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين، مكتبة دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).

عبدالرؤوف عون:

- الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف القاهرة، ١٩٦١م.

عبدالواحد ذنون طه:

- دراسات أندلسية في التاريخ الأندلسي، بيروت ١٩٨٧م.

علي بهجت:

- قاموس الأمكنة والبقاع التي يرد ذكرها في كتب الفتوح، شركة طبع الكتب العربية القاهرة، ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م).

كليليا سارنللي تشركوا:

- مجاهد العامري، قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٦١م.

ليفي بروفنسال:

الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، ترجمة : د.عدنان محمد آل طعمه، دار سعد الدين، دمشق ١٩٩٢م.

لويس سيكودي لوثينا:

- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة د.عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين، مراجعة: لطفي عبدالبديع، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م.

محمد سالم مذكور:

- القضاء في الإسلام، دار النهضة العربية القاهرة، ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م).

محمد عبدالله عنان:

- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا، دراسة تاريخية أثرية، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ (١٩٦١م).

- دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولـــة العامريـــة، العصر الأول، القسم الثاني، مؤسسة الخـــانجي القـــاهرة، ١٣٨٠هـــــ (١٩٦٠م).

- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطـــي لجنـــة التـــأليف والترجمة القاهرة ١٣٨٠هـــ.

- دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٢هـــ (١٩٦٢م).

محمد عبدالوهاب خلاف:

- تاريخ القضاء في الأندلس، من الفتح إلى نهاية القـــرن الخـــامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، المؤسسة العربيـــة الحديثـــة، القـــاهرة، ١٤١٣هـــ (١٩٩٢م).

- ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس، مســـتخرجه من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ بن سهل، المركز العربي الدولي للأعلام، القاهرة ١٩٨١م.

- قرطبة الإسلامية في القرن ١١م/٥ هـــــ، الحيـــاة الإقتصـــادية والإجتماعية، الدار التونسية للنشر، تونس ، ١٩٨٤م.

- وثائق في أحكام أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي ابن سهل، المركز الـــدولي العـــربي للأعـــلام، القاهرة، ١٩٨٠م.

- وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ بن سهل، المركز العربي الدولي للأعلام، القاهرة، ١٩٨٠م.

- وثائق في شئون الحسبة في الأندلس، مستخرجة من الأحكام الكبرى للقاضي ابن سهل الأندلسي، المركز الدولي العربي للأعلام، القاهرة، ١٩٨٥م.

محمد مختار باشا:

- التوفيقات الإلهامية، في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنجية والقبطية، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١١هـ.

محمد ياسين الحموي:

- تاريخ الأسطول الإسلامي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٥م.

محمود محمد عرنوس:

- تاريخ القضاء في الإسلام، المطبعة المصرية الأهلية الحديثة، القاهرة، ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م).

ناصر النقشبندي:

- نقود أندلسية من أسبانية، مجلة سومر، الجزء الأول، المجلد السابع، مديرية الآثار القديمة العامة، بغداد، ١٩٥١م.

هشام سليم عبدالرحمن أبو رميلة:

- نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة، (رسالة ماجستير) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م (لم تطبع).

المراجع الأجنبية

1- DE LAGRANJ - FERNANDO:
- Del "Kitab AL-Durr AL-Munazzam Flmawlid Alnabi AL-Muzzam" De AL-Azafi, AL-Andalus, Madrid- Granada, 1969 Vol XXXIV.

2- F.SIMONET - AND J.LERCHUNOL:
- Arabico - Espanola - Granada, 1881.

3- G.C.MILES:
The Coinage of the umayyade of spain. New York 1950.

4- JERRIL:
AL-Andalus, The art of Islamic spain new york 1992.

5- PROVENCAL:
- Histoire de L' Espagne Musulmane. 3 vols, paris, 1950.
- La description de I'espagne, de razi, AL-Andaluse, Vol XVIII 1953.

الفهارس

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١٧١	ابن فرحون	٦٦٣
١٧٢	ابن الفرضي	٥٥٦،٦٢٣،٧٦١، ٨٣٢، ٨٤٦، ٩١٩
١٧٣	ابن أبي الفوارس	٨٠٠
١٧٤	ابن فطيس	٦٧٨
١٧٥	ابن القصيب	٧٢٩، ٧٣٣، ٧٨٥
١٧٦	ابن القطاع	٤٧٧
١٧٧	ابن القوطية	٤١٢، ٤٦٢، ٥٦٤، ٥٦٦، ٦٢٣، ٦٣٦، ٩١٠
١٧٨	ابن لبابه	٦٨٥، ٨٨٠
١٧٩	ابن المشاط	= أحمد بن مطرف
١٨٠	ابن مفرج	٤٥٧
١٨١	ابن هشام الأزدي	٦٦٢
١٨٢	بون فلي بن سندريط	٥١٤، ٥٥٧
١٨٣	ابن وافد	٧٣٥
١٨٤	ابن واداعة	٩٠٢
١٨٥	قسطنطين السابع	٢٥٢، ٢٥٩
١٨٦	جعفر بن عثمان بن نصر المصحفي	٥٧، ٥٩، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٢٩،٤١٧،
١٨٧	قام بن عامر بن أحمد بن تمام الثقفي	٣٢٥، ٤٢١، ٤٢٢

م	اسم العلم	الصفحة
٢٤٣	الحكم الربضي	٤٩٠، ٤٩١، ٥٣٠، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٤٢، ٦٥٠، ٦٧٨، ٧٧٦، ٨٠٣، ٨٥٠، ٨٦٩، ٨٩٤
٢٤٤	خيران العامري	٤٥١، ٤٥٢
٢٤٥	خير بن شاكر	٣٢٨
٢٤٦	خلف بن سليمان بن خميس	٦٩٢
٢٤٧	الخير بن محمد بن خزر	٧١٦
٢٤٨	خوليان ريبيرا	١٦
٢٤٩	خلف بن أيوب بن فرج الكاتب	٣٦٩
٢٥٠	أبو القاسم خلف البربلي	٧٩٦
٢٥١	حمدان بن سعدون بن بطال	٨٣٦
٢٥٢	قيان بن خلف أبو مروان	٢١
٢٥٣	حي بن يحي اليحصبي	٣٢٢، ٣٢٣
٢٥٤	خالد بن زكريا	٧٥٩
٢٥٥	خالد بن هاشم	١٨٠
٢٥٦	خطاب بن إسماعيل الغافقي	٧٥٩
٢٥٧	خالد بن وهب الصغير	٨١٩
٢٥٨	حمدون بن فطيس	٧٢٨
٢٥٩	خلف بن حسين	٢١
٢٦٠	إبراهيم بن حجاج	١٦٣

م	اسم العلم	الصفحة
		٨٨٥، ٨٨٦، ٩٢٣
٧٠٢	محمد بن عبدالله بن أبي عيسى	٦٨٧، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٩٩
٧٠٣	محمد بن عبدالله بن محمد الحضرمي	٨٣٨
٧٠٤	محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي عامر المعافري	٦٠، ٦١
٧٠٥	محمد بن عبدالله بن مطر	٣٦٩
٧٠٦	محمد بن عبدالله بن هانئ العطار	٦٩١
٧٠٧	محمد بن عبدالملك بن جهور	٤٧٣
٧٠٨	محمد بن عبدالملك بن ضيفون بن مروان اللخمي	٦٩٢
٧٠٩	محمد بن عبيد الله المعيطي	٨٢٨
٧١٠	محمد بن عتاب بن محسن الجذامي	٨٢٦
٧١١	محمد بن العرافي	١١٩
٧١٢	محمد بن علي بن هشام بن عبدالرؤوف	٩٠٣
٧١٣	محمد بن عمر بن لبابه	٧٣٨، ٨١٢، ٨١٩
٧١٤	محمد بن عيسى بن عبدالواحد	٦٩٠، ٨٠٤، ٨١٨

فهرس الجماعات

م	اسم الجماعة	الصفحة
٨٤	النورمانديون	٣٥٢، ٥١٢، ٥٣٣، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٨٤، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠

فهرس الأماكن

فهرسة الموضوعات

البيـــــــــــان	الصفحة

البيــــــــان	الصفحة

البيـــــــــــان	الصفحة

البيـــــــــان	الصفحة